



مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية مُحكمة



الجزء 1

العدد : 16

أبريل - يونيو 2025م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع
في مكتبة الملك فهد الوطنية
النسخة الورقية :

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٧٦-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية :

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٨٤-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدى

(رئيس هيئة التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضى

(مدير التحرير)

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك

بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن ظافر الحازمي

أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان البتيمي

أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان

أستاذ اللغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان - بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة - مصر

أ.د. سعيد العوادي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض - المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك

(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش

أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية

المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية

بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستقلاً من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	المقاصد النحوية عند الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ) د . وليد بن عبد الله الدوسري	٩
(٢)	من قواعد العامل الكلية في الصناعة النحوية دراسة تطبيقية في بعض مسائل الخلاف في الإنصاف للأنباري	٦٥
(٣)	العلاقات الاستبدالية للمعنى بين الداليتين الصورية والمعجمية د . علي بن جازي بن علي الدبيسي الجهني	١٠٣
(٤)	الانغماس اللغوي في التراث العربي دراسة تاريخية تأصيلية	١٦٧
(٥)	د . عبد الرحمن بن زايد بن محمد الشعشاعي الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ من سطوة البخل إلى سلطة القول	٢٣١
(٦)	د . بلقاسم محمد حمام القهوة بين الماضي والحاضر رحلة لغوية في عالم المشروب الأكثر شعبية	٢٩٩
	د . عبد الوهاب بن محمد الغامدي	

م	البحث	الصفحة
(٧)	بلاغة التشكيل الصوتي في سورة النازعات د. منور بن نايف الفديد الشمري	٣٦٣
(٨)	علاقة التوافق في أسلوب المقابلة ولطائفها في الأوصاف القرآنية دراسة بلاغية تأصيلية د. منى بنت فهد أحمد النصر	٤٠٥
(٩)	حجاج الجائحة في الخطاب الديني مقاربة تداولية في خطب الحرمين الشريفين د. فوزي علي علي صويلح	٤٦٩
(١٠)	جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي رواية أوراق المورينجا أنموذجا د. محمد بن مشخص المطيري	٥٢٥
(١١)	الرمز، دلالاته وحضوره في ديوان (طيور تحلق في المصيدة) مقاربة في ضوء رؤية أسلوبية د. شيهانة بنت سعيد بن عبد الله الشهراني	٥٧١
(١٢)	تحليل الأخطاء الصوتية لدى غير الناطقين بالعربية مقاربة منهجية وفق نظرية كوردر د. ماهر بن دخيل الله الصاعدي	٦٦٥

المقاصد النحوية عند الإمام الشَّاطِبي (٧٩٠هـ)

Grammatical Objectives According to
Imam Al-Shatibi (D. 790 AH)

د. وليد بن عبد الله الدوسري

الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، بكلية التربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

البريد الإلكتروني: w.aldosary@psau.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving		استلام البحث A Research Receiving
2025/04/13		2025/01/28
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-001		

ملخص البحث:

استطاع الشَّاطِبي (٧٩٠هـ) أن يجمع أصول النَّحو ومقاصده في شرحه على ألفية الإمام جمال الدين ابن مالك (٦٧٢هـ)، فجاء كتابه (المقاصد الشَّافِيَّة في شرح الخلاصة الكافية) الذي جمع فيه مقاصد العرب في كلامها، ومقاصد النُّحويين في بيان كلام العرب.

وقد كان للشَّاطِبي في هذا الشَّرْح مقاصد، جاءت في الكتاب واضحة المعالم، سليمة المنهج، انتهجها الشَّاطِبي من بداية شرحه على ألفية ابن مالك إلى نهاية النظم، سلط هذا البحث الضوء عليها من خلال استقراء الأبواب النُّحوية؛ ليستخرج منها نماذج تنتظم في جميع أبواب الكتاب، وقد ثبت من خلال هذه النَّمَاذِج منهج الإمام الشَّاطِبي في تناول القضايا النُّحوية، وتقويمه للفكر النُّحوي من خلال دراسة مسائل الخلاف بين النُّحويين، وتقويمه لألفية ابن مالك من خلال الاعتراضات والاستشكالات وأوجه الدرك، مما أضاف للمكتبة النُّحوية موسوعة علمية، جمعت بين سلامة المنهج، وحسن الصياغة، وأصالة المادة العلمية، لذا يوصي الباحث بدراسة مقاصد النُّحويين في مؤلفاتهم، وبيان منهجهم، وموقفهم ممن يشرحون كتبهم، ومنهجهم في تقويم الدَّرس النُّحوي، وعرض قضاياها.

الكلمات المفتاحية: الشَّاطِبي - المقاصد - النَّحو.

Abstract

Al-Shāṭibī (D. 790 AH) was able to compile the foundational principles and objectives of grammar in his commentary on the book *Alfiyyah* of Imam Jamāl al-Dīn Ibn Mālik (D. 672 AH). The result was his book *Al-Maqāṣid al-Shāfiyah fī Sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah*, in which he gathered both the communicative purposes of the Arabs in their speech and the aims of the grammarians in explaining that speech.

Al-Shāṭibī had clear and deliberate objectives in this commentary, which were evident throughout the work and grounded in a sound methodological approach. From the very beginning of his explanation of Ibn Mālik's *Alfiyyah* to the end of the poem, Al-Shāṭibī consistently followed these aims. This study sheds light on those objectives by examining them through a close analysis of the grammatical chapters in the text. In order to extract representative examples that span all chapters of the book, this study identifies recurring patterns that reflect Al-Shāṭibī's methodological approach to grammatical issues. These examples reveal his distinctive method in addressing grammatical questions, particularly his critical engagement with divergent views among grammarians. Furthermore, they highlight his evaluative reading of Ibn Mālik's *Alfiyyah* through objections, critical inquiries, and interpretative clarifications. Collectively, these elements contribute to positioning Al-Shāṭibī's work as a scholarly encyclopedia that enriched the Arabic grammatical tradition. It combined methodological soundness, eloquent expression, and the authenticity of its scholarly content. Therefore, the researcher recommends further study of the aims of grammarians as reflected in their works—clarifying their methodological approaches, their perspectives on those who comment on their writings, and their strategies for evaluating grammatical discourse and presenting its issues.

Keywords: Al-Shāṭibī – Objectives (*Maqāṣid*) – Grammar.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين.
وبعد:

وُلِدَ الدَّرْسُ النُّحَوِيُّ مِنْ رَحِمِ حَلَقَاتِ إِقْرَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ،
وَدَوَاوِينِ الْعَرَبِ: شَعْرُهَا، وَنَثْرُهَا، وَخَطْبُهَا، وَأَمْثَالُهَا، وَعَيْنَاهُ تَرْقُبُ اللَّغَةَ، وَانْتَقَاكُهَا مِنْ
الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى شَتَى بَقَاعِ الْأَرْضِ، يَحْرُسُهَا، وَيَقُومُهَا، وَيَبْتَثُّ فِيهَا الْحَيَوِيَّةَ وَالنَّشَاطَ
كَلَّمَا أَصَابَهَا الْوَهْنُ، أَوْ تَطَاوَلَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا.

مَنْحَ اللَّهِ وَجَّكَ لِهَذِهِ اللَّغَةِ مَنَبْعًا لَا يَنْضُبُ مَعِينَهُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَكَانَ مَشْرَبًا
لِلْعُلَمَاءِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، حَشَدُوا جَهُودَهُمْ فِي خِدْمَةِ لُغَتِهِ، حِفَاطًا عَلَى كِتَابِهِمْ، وَسُنَّةَ
نَبِيِّهِمْ، وَشَرِيعَةَ دِينِهِمْ، تَعَدَّدَتْ مَسَالِكُهُمْ فِي دَرَسَةِ هَذِهِ اللَّغَةِ، وَاخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُهُمْ،
لَكِنْ غَايَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، هِيَ حِفْظُ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَتَبْلِيغُهُمَا لِلنَّاسِ مَا دَامَتْ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

اسْتَقْرَأَ النُّحَوِيُّونَ تَرَاثُهُمُ اللَّغَوِيُّ الْمُنْتَوِعَ، وَصَاغُوا مِنْهُ قَوَاعِدَهُمْ، وَأَخْرَجُوا لِلْأُمَّةِ
مَدُونَةً نُحَوِيَّةً مُتَكَامِلَةً، ظَهَرَتْ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ، تَمَثَّلَتْ فِي
(الْكِتَابِ) لِشَيْخِ النُّحَاةِ وَإِمَامِهِمْ (سَيَبُويَه ١٨٠هـ)، التَّفَّ النُّحَوِيُّونَ حَوْلَ هَذِهِ الْمَدُونَةِ
إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، يَتَفَقَّوْنَ وَيَخْتَلَفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، إِلَّا أَنَّ الْغَايَةَ وَاحِدَةً، وَهِيَ تَعْلِيمُ النَّحْوِ
لِلْأُمَّةِ جِيلَ إِثْرَ جِيلٍ، حَتَّى لَا تَضْعَفَ اللَّغَةُ، وَيَنْخَرُ فِي عِظَامِهَا السُّوسُ، وَكَانَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ اللَّغَةِ أَنَّهُ كَلِمَا تَرَهَّلَتْ أَطْرَافُهَا، وَاتَّسَعَ الْبَحْثُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهَا، قَيَّدَ
اللَّهُ لَهَا مَنْ يَجْمَعُ عَلَيْهَا أَمْرَهَا، وَيَحْضُ الدَّارِسِينَ عَلَيْهَا.

وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَنَاهِجِ الْوَاضِحَةِ فِي دَرَسَةِ اللَّغَةِ الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبي
(٧٩٠هـ)، وَالَّذِي تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ مِنْهُجَهُ فِي دَرَسَةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ وَعَرَضَ قِضَايَاهُ
وَتَقْوِيمَ مَسَائِلِهِ الْخِلَافِيَّةِ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ الْفَرِيدِ (الْمَقَاصِدُ الشَّافِيَّةُ فِي شَرْحِ خِلَاصَةِ

الكافية)، وهي تحت عنوان: (المقاصد النحوية عند الإمام الشاطبي ٧٩٠هـ).

أسئلة البحث:

- ١- من هو الشاطبي الذي شغل بكتابه المقاصد النحوية الباحثين؟
- ٢- ما المراد بالمقاصد النحوية عند الشاطبي؟
- ٣- ما مدى عناية الشاطبي بمقاصده النحوية؟
- ٤- ما أثر هذه المقاصد في الدرس النحوي الحديث والمعاصر؟

أهداف البحث:

- ١- الكشف عن شخصية الإمام أبي إسحاق الشاطبي.
- ٢- إيضاح منهج الشاطبي ومقاصده في التأليف النحوي.
- ٣- بيان أثر هذا المنهج في الدرس النحوي.
- ٤- الكشف عن جهد الشاطبي في تقويم الدرس النحوي.

أهمية البحث:

يعالجُ هذا البحثُ منهجَ أحد أعلام النحو العربي في دراسة النحو، وتقويم مسائله وآراء علمائه من خلال دراسة مقاصده التي انتهجها في شرحه على ألفية ابن مالك في كتابه (المقاصد الشافية شرح خلاصة الكافية) والذي يرى الباحث أنه أحد من أفضل الشروح التي سطرت على ألفية الإمام جمال الدين ابن مالك (٦٧٢هـ)، إذ لم أقف على شرح للألفية بهذا العمق في الطرح والصياغة السلسلة لكلام سابقه، والتقويم المعتدل لمسائله الخلافية من خلال أدلة الصناعة النحوية.

الدراسات السابقة:

لم أقف من خلال البحث في فهارس المكتبات والدوريات العلمية على دراسة تناولت مقاصد الشاطبي النحوية من خلال المنهج الذي اتبعته في هذا البحث، ولكنني وقفت على دراستين تتقاطعان معه في العنوان، وتختلفان معه في المنهج:

الأولى بعنوان: المقاصد وأثرها في الدَّرس النَّحوي عند أبي إسحاق الشَّاطِبي ،
د. محمد عمار درين، مجلة العلوم العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
العدد ٦٩، شوال ١٤٤٤هـ. عالج الباحث فيه مقاصد العرب، ومقاصد النَّحو،
ومقاصد النَّحويين، ومقاصد ابن مالك، ومقاصد الشَّاطِبي، ومقاصد المتكلمين،
شغلت مقاصد الشَّاطِبي خمس صفحات ونصف الصفحة من مجموع صفحات
البحث الثَّمانين، ذكر الباحث في عجالة مقصدين فقط من مقاصد الشَّاطِبي، وهما:
الشَّرح، والبيان، وتوجيه كلام ابن مالك، ومقصد الاختصار غير المخل بالبيان.

الثانية بعنوان: المقاصد بين الفقهاء والنحاة (الشَّاطِبي نموذجاً)، د. محمد صلاح
الدين أحمد فتح الباب، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد (٦٤) يناير
٢٠١٩م. وهي دراسة تعتمد في مبناها على المقارنة بين مقاصد الفقهاء ومقاصد
النحاة في وضع العِلمين.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة،
وفهرس للمصادر والمراجع على النَّحو التالي:
اشتملت المقدمة على أسئلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة،
وخطة البحث فيه، أهم النتائج، وأهم التوصيات.
وفي التمهيد نبذة مختصرة عن الإمام أبي إسحاق الشَّاطِبي، والتعريف بمصطلح
المقاصد في الدَّرس اللغوي.

المبحث الأول: المقاصد الضرورية.

المبحث الثاني: المقاصد العلمية.

المبحث الثالث: المقاصد الجدلية.

الخاتمة: سجلت فيها النتائج والتوصيات. ثم فهرس للمصادر والمراجع التي استقى

منها البحث مادته العلمية.

وقد سرت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي.

رحم الله الإمام أبا إسحاق الشَّاطِبي، وجزى الله القائمين على عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز خير الجزاء على دعمهم هذا المشروع البحثي (٢٠٢٤/٠٢/٤٨/٣٠٠٤٨).

التمهيد:

أولاً: التعريف بالشَّاطِبي:

الشَّاطِبي: إبراهيم بن موسى بن محمد، اللخمي: نسبة إلى قبائل لخم، الغرناطي المولد والنشأة، الشَّاطِبي اللقب والشهرة نسبة إلى شاطبة التي تقع على الساحل الشرقي لبلاد الأندلس موطن أسرته، المالكي المذهب، المكنى بأبي إسحاق. لم أقف في كتب التراجم على تاريخ محدد لميلاد أبي إسحاق الشَّاطِبي، ولكن الذي أستطيع أن أجزم به أنه ولد في مطلع القرن الثامن الهجري. قضى الشَّاطِبي حياته كلها في غرناطة، دارسا ومعلما، لم تذكر كتب التراجم أنه غادرها لطلب العلم، أو الحج، ولكنه سكنها حتى توفي يوم الثامن من شعبان عام (٧٩٠هـ) ودفن فيها.

برع أبو إسحاق الشَّاطِبي في علوم متعددة، فكان إماما في علوم اللغة، والنحو وأصوله، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم التفسير والحديث، حتى وصفه تلميذه محمد المجاري بأنه "نسيج وحده، وفريد عصره".^(١)

قيض الله للشَّاطِبي ثلة من مشايخ عصره، أخذ عنهم وتعلم على أيديهم، كان من أشهرهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقرئ التلمساني (٧٥٨هـ)^(٢)، أشهر مشايخ الشَّاطِبي، وأبو عبد الله بن الفخار الإلبيري (٧٥٤هـ)، قرأ

(١) المجاري، محمد بن علي، "برنامج المجاري"، تحقيق: محمد أبي الأُجفان، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م)، ص ١١٦-١٢٢.

(٢) التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه، "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، تح/ د. عبد الحميد الهرامة، (ط٢، طرابلس، ليبيا، دار الكتاب، ٢٠٠٠م)، ص ٢٥٠.

عليه بالقراءات السبع^(١)، وأبو جعفر أحمد بن آدم الشقوري^(٢)، الذي قرأ عليه كتاب سيويوه، وتسهيل ابن مالك، وأبو سعيد فرج بن قاسم بن لب التعلبي (٧٨٢هـ) مفتي غرناطة، قرأ عليه مختصر ابن الحاجب في الأصول في مجلس واحد، وغيرهم ممن كانت تذخر بهم مدارس غرناطة ومساجدها في القرن الثامن الهجري، ممن كان لهم الفضل في تكوين شخصية الشَّاطِبي العلمية، وتبحره في علوم اللغة والشرعة.^(٣)

تصدر الشَّاطِبي للتدريس في جامع غرناطة الأعظم، وقد اشتغل بعلوم خمسة: الفقه، والأصول، والحديث، والقراءات، والنحو، وقد أخذ عنه في هذه المجالس كوكبة من أذكىاء طلبة غرناطة، كان من أشهرهم: أبو يحيى محمد بن عاصم (٨١٣هـ)^(٤)، وأخوه أبو بكر القاضي (٨٢٩هـ)^(٥)، وأبو جعفر أحمد القصار الأندلسي الغرناطي، وتلميذه النجيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري (٨٦٢هـ) صاحب برنامج المجاري، أخذ عنه كتاب سيويوه، ومختصر ابن الحاجب، وموطأ مالك.^(٦)

أثرى الشَّاطِبي المكتبة العربية والشرعية بكتابين يعد كل واحد منهما مصدراً في

(١) لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ)، ٣/٣٥.

(٢) التنبكي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه، "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، ص ٤٧، ولم أقف على سنة وفاته.

(٣) المرجع نفسه ص ٢١٩.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٨٥.

(٥) مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، (ط١)، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ص ٢٤٧.

(٦) محمد بن علي المجاري، "برنامج المجاري"، ص ١١٦-١٢٢.

بابه، هما:

الأول: الموافقات، كتاب جامع لعلم الأصول، حظي باهتمام علماء الشريعة، طبع مرارا في العالم العربي والإسلامي.

الثاني: المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية كتاب جامع لعلم النَّحو وأصوله لم يكتب مثله على شرح ألفية ابن مالك، اعتنت به جامعة أم القرى تحقيقا، وطباعة، ونشرا.

وللشَّاطِبي -أيضا- الاعتصام في محاربة البدع^(١)، والإفادات والإنشادات في الملح والطرائف والنوادر مما قيده عن شيوخه^(٢)، وأخرى مفقودة أتت عليها عوامل الدهر.^(٣)

ثانيا: تعريف المقاصد.

المعنى الدلالي للجذر (ق - ص - د) في المعاجم اللغوية يفيد معاني عدة، أشهرها: استقامة الطريق، وبلوغ الغاية، أو العدل، أو التوجه ناحية الشيء وإتيانه، أو التوسط في الأمور.^(٤)

وقد كشف الشَّاطِبي نفسه عن مدلولها في قوله على شرح قول ابن مالك:

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، "الاعتصام"، تحقيق د/ محمد الشقيير، د/ سعد آل حميد، د/ هشام الصبني، (ط١، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

(٢) طبع في مؤسسة الرسالة، بيروت، بتحقيق محمد أبي الأجناف ط١ ١٤٠٣هـ، ط٢ ١٤٠٦هـ.

(٣) منها كتاب نفيس في أصول النحو.

(٤) انظر ابن منظور، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ) (قصد) ٣/٣٥٤، أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، كتاب القاف، باب الصاد، (٩٥/٥).

وَشُدَّ إِتْيَايَ وَإِيَّاهُ أَشَدَّ ... وَعَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ مَنْ قَاسَ انْتَبَذَ^(١)

"والقصد: العدل، والقصد -أيضا-: إتيان الشيء، والذهاب نحوه. وانتبذ فلان، أي ذهب ناحية، فكأنه قال: ومن قاس فقد خرج عن طريق العدل والصواب، أو خرج عن الطريق القاصد الموصل إلى الصواب والحق".^(٢)

وفي الاصطلاح: المقاصد في الاصطلاح هي المضمون القيمي لكل علم من العلوم، وذلك كما عبر عنها ابن مالك في قوله عن الألفية أنها: (مقاصد النَّحو بها محوية)، قال الشَّاطِبي: "وقوله: (مقاصد النَّحو بها محوية)، معنى محوية: مجموعة محاط بها، يعني أن هذه القصيدة قد أحاطت بمقاصد النَّحو، وجملتها مجموعة فيها.....، ثم إِنَّ النَّاطِم نص على أن قصيدته هذه محتوية من النَّحو على جميع مقاصده؛ لقوله: (مقاصد النَّحو)، وهذه صيغة عموم تفيد الاحتواء من المقاصد على جميعها"^(٣). وقال الأشموني: (مَقَاصِدُ النَّحو) أي: أغراضه وجل مهماته (بها)، أي: فيها "مَحْوِيَّة"، أي: محوذة".^(٤)

ويعد الشَّاطِبي أحد أبرز العلماء الذين وظفوا مصطلح المقاصد في خدمة الدَّرس النَّحوي، فقد كشف في كتابه المقاصد الشَّافِية عن مقاصد العرب في كلامها، ومقاصد التَّحويين في توجيه كلام العرب، ومقاصد ابن مالك في نظمه، ومقاصده هو

(١) ابن مالك، أبو عبدالله محمد جمال الدين، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، تحقيق سليمان العموي، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، د. ت)، ص ١٤٦.

(٢) الشَّاطِبي، إبراهيم بن موسى، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، تح: د. محمد إبراهيم البنا وآخرون، (ط ١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ). ٤٨٩/٥.

(٣) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية": ١٧/١-١٨.

(٤) أبو الحسن الأشموني، "شرح الأشموني على الألفية"، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ١٩/١.

في شرحه إذ قال: "ولما عَرَّف النَّاطِم -رحمه الله- بما تضمن كتابه من هذا العلم، وما أعطاه من الفائدة، كان من الذي ينبغي أن أُعَرِّف أنا بما قصدته في هذا الشَّرح، وأبين مرتكبي فيه، وما أودعته من منازع شيوخه -رضي الله عنهم- ونفعني وإياهم، وذلك أني لم أقصد فيه قصد الاختصار الذي قصده غيري ممن شرح هذا النظم لأُمور أكيدة": (١)

أحدها: أنه قصد التوسع في الشَّرح؛ لأنَّ هذه المنظومة اشتملت على قوانين هذا العلم جملة، وإذا كان كذلك لم يكن لائقا بشرحها الاختصار المحض، والاقتصار على مجرد التمثيل وما يليه.

الثاني: بسط فيه من المآخذ الحكمية العربية ما يسوغ أن يقع تعليلا لمسائله، وأورد فيه من التنبيه على الخلاف في المسائل الموردة فيه، ومال إلى الانتصار للنظام فيما رآه، واعتذر عن مخالفته ما وجد إلى ذلك طريقا. (٢)

الثالث: بسط فيه من القواعد الكلية والقوانين العاقدة ما ينبغي بسطه، ولا يسع اختصاره. (٣)

الرابع: قصد الشَّاطِبي شرح أمثلة النَّاطِم، وبيان الضوابط المشتملة عليها، وخدمتها بالاعتراضات والأجوبة فيما أمكن، وتتبع القواعد الكلية، وعرضها على أصول العلم، فما وجدها منها صحيحا أثبت وجه صحته، وما كان فيها من خلل بينه بقدر الإمكان. (٤)

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية": ٤٨٥/٩.

(٢) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية": ٤٨٦/٩.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية": ٤٨٧/٩.

المبحث الأول: المقاصد الضرورية

تجلت المقاصد الضرورية عند الشَّاطِبي في نحوه من خلال شرحه على ألفية ابن مالك في تأسيسه لقواعد النَّحو، وأسلوبه التعليمي الذي يجمع بين البساطة مع المبتدئ والعمق مع الباحث المنتهي، إذ يعد الشَّاطِبي واحدًا من أكابر علماء النَّحو الذين جمعوا بين التسهيل في عرض المادة العلمية لقواعد النَّحو العربي، والإحاطة بجميع شوارده، ونوادره، ومسائله المتشعبة والمتناثرة في بطون أمهات التراث العربي.

كان للشَّاطِبي مقاصد ضرورية في تناول ألفية ابن مالك لا يستغني عنها دارس النَّحو، منها:

(١) ربط أبواب الكتاب بعضها ببعض، إذ يتميز الشَّاطِبي عن غيره ممن وقف على ألفية ابن مالك ببيان موضع الأبواب النَّحوية بعضها من بعض، ابتدأها بقوله في أول باب (الكلام وما يتألف منه): "وهذا الباب مقدمة لا بد من تقديمها قبل النظر في شيء من أبواب النَّحو، إذ لا يتحصل شيء من تلك الأبواب إلا بعد تحصيله، ومضمَّنه بيان الكلام، وأجزائه، وتمييز بعضها من بعض". (١)

وقال في أول باب المعرب والمبني: "النظر في هذا العلم في قسمين: أحدهما: الأحكام المتعلقة بالكلم من حيث هي مفردات. والثاني: الأحكام المتعلقة بها من حيث هي مركبات. وجرت عادة النَّاس بتقديم النظر في القسم الثاني؛ لما فيه من الفائدة (العائدة) على الناظر في هذا العلم، حسب ما يذكر في مقدمة التصريف - إن شاء الله-، ولكن هذا القسم يفتقر إلى تقديم مقدمتين واجب ذكرهما قبل الشروع فيه؛ لأنَّ الأحكام التركيبية مبنية عليهما. إحداها: مقدمة الإعراب والبناء، والثانية: مقدمة التعريف والتنكير.

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية": ٣٠/١.

فأما الأولى فهي التي شرع الآن فيها، وإنما كانت ضرورية، ومفتقرًا إليها؛ لأنَّ المعاني الثلاثة اللاحقة بعد التركيب، وهي: الفاعلية، والمفعولية، والإضافة، لا تبين إلا بالإعراب، والإعراب، والبناء، وأنواعهما، وعلامتهما، وموضوعهما، وهما المعرب والمبني^(١).

وقال في التقديم لباب النكرة والمعرفة: "هذه هي المقدمة الثانية من المقدمتين اللتين لابد من ذكرهما قبل الشروع في الأحكام التركيبية"^(٢).

وقال في مقدمة باب المبتدأ والخبر: "هنا ابتداء كلامه في الأحكام التركيبية، والتراكيب كلها راجعة عند الاعتبار إلى جملتين: جملة اسمية، وهي المصدرة بالاسم، وهي جملة المبتدأ والخبر، وجملة فعلية، وهي المصدرة بالفعل، وهي جملة الفعل والفاعل، وإلى هاتين الجملتين ترجع التراكيب الإفادية كلها..... وقد شرع في ذكر الجملة الاسمية أولاً، وما يتعلق بها من الأحكام، ثم أتبعها بالجملة الفعلية، وما يتعلق بها"^(٣)، وهكذا في سائر أبواب النحو، باب الفاعل، المفعول المطلق، المفعول لأجله، المجرورات، العوامل، وغيرها إلى آخر أبواب الكتاب، يربط الشَّاطِبي للدارس الباب الذي بين يديه بالأبواب النحوية التي تتبعه، وموقعه من خريطة النحو العربي، وهذا يعد من الضروريات التعليمية التي نفتقدها في المنهج التعليمي للنحو العربي.

(٢) ربطُ مسائل الباب الواحد بعضها ببعض، ووضعُ عنوانٍ مناسب لما يتضمنه بيت الألفية، كما في قول ابن مالك:

"مبتدأ (زيد)، و(عاذرٌ) خبر ... إن قلت: (زيدٌ عاذرٌ من اعتذر)

(١) المرجع نفسه: ٧٠/١.

(٢) المرجع نفسه: ٢٤١/١.

(٣) المرجع نفسه: ٥٨٩/١.

وأول مبتدأ، والثَّاني ... فاعل أغنى في: (أسار دان)^(١)
هذه توطئة اصطلاحية في معنى المبتدأ والخبر، تفيد التعريف بهما على الجملة".^(٢)

ومن الأمثلة على ربط الشَّاطِئِ مسائل الباب الواحد بعضها ببعض قوله تحت قول ابن مالك:

"وَالْأَصْلُ فِي الْأَخْبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَ وَجَوُزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَ"^(٣)

لما قَدَّمَ أولاً الأحكام المتعلقة بكل واحد من المبتدأ والخبر على حدِّته، وذلك التعريف بكل واحدٍ منهما، والعامل فيه، وما يجوز أن يقع مبتدأً أو خبراً -أخذ الآن في ذكر بعض الأحكام المتعلقة بكل واحد منهما بالإضافة إلى الآخر، وذلك التقديم والتأخير".^(٤)

ثم استنبط من بيت ابن مالك ثلاث قواعد أصلية: الأولى: الأصل في المبتدأ أن يكون مقدماً على الخبر. والثانية: الأصل في الخبر أن يتأخر عن المبتدأ. الثالثة: أصل استعماله، وهو جواز تقديم الخبر على المبتدأ. ثم علل له بقوله: "ووجهُ هذا الأصل الاستعمالي أنَّ العامل المتصَرِّفَ في نفسه حقُّه أن يتصرَّفَ في معموله بالتقديم والتأخير ما لم يَعْرضْ عارض، والمبتدأ متصرِّفٌ في نفسه، فينبغي أن يتصرَّفَ في معموله".^(٥)

(١) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٦.

(٢) الشَّاطِئِ، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية": ١/٥٩٠.

(٣) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٧.

(٤) الشَّاطِئِ، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية": ٢/٥٣.

(٥) المرجع نفسه: ٢/٥٤.

ثم يكشف الشَّاطِبي عن مراد ابن مالك بالضمير في قوله: (وجوزوا)، إذ يحتمل أن يكون مرادًا به العرب؛ لأنهم أصحاب اللغة، أو مرادًا به النحويين المستخلصين للقواعد من لغة العرب، والمعنى يحتمل التفسيرين، فإن كان عائدًا إلى العرب فهو إشعارًا بوجود ذلك سماعًا، وإن كان عائدًا على النحويين، فيريد بالنحويين أهل البصرة، خلافًا لأهل الكوفة الذين منعوا تقديم الخبر على المبتدأ؛ لئلا يؤدي تقديم ضمير الاسم على ظاهره كما في نحو (قائمٌ زيدٌ)، إذ في (قائم) ضمير يعود على (زيد)، وقد تقدم عليه، والأغلب أن يعود الضمير على متقدم (١).

وفي شرح قول ابن مالك:

وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا ... تَقُولُ: زَيْدٌ. بَعْدَ: مَنْ عِنْدَكُمْ؟

وَفِي جَوَابِ: كَيْفَ زَيْدٌ؟ قُلْ: دَنِفَ ... فَزَيْدٌ اسْتُعْنِيَ عَنْهُ إِذْ عُرِفَ (٢)

ربط هذا المبحث -حذف المبتدأ أو الخبر- بمبحث باب المبتدأ والخبر، فقال: "لما تَكَلَّمَ على أحكام المبتدأ والخبر مثبتين، أخذ في الكلام على عروض الحذف فيهما". (٣)

ثم استنبط من كلام ابن مالك قاعدة كلية تنطبق على جميع الأبواب النحوية من خلال بيان مدلول مفردات البيت: (وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ)، فقال: "والنَّاطِمُ ابتداءً بهذه القاعدة الكُلِّيَّة الجارية في أبواب العربية؛ إذ لم يُقَيِّدْها بهذا الباب، بل قال: (وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ)، فأتى بـ (ما) العامة، ولم يقيدها، فإن أراد هذا فهو صحيح،

(١) المرجع نفسه: ٥٥/٢-٥٦.

(٢) ابن مالك، "اللفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٩.

(٣) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِيَّة في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٥/٢-٥٦.

ويدخل في العموم بابه من باب أولى".^(١)

ثم استطرد في بيان صور الحذف التي تقع في بنية الجملة الاسمية، والتي استنبطها من نص ابن مالك: (وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ)، فقال: "احتمل كلامه ثلاثة أضربٍ من الحذف، أشار إلى ضربين بمثالين، وترك الثالث اعتماداً على الكلية. الضرب الأول: حذف الخبر، وهو الذي أشار إليه بقوله: (كما تقول: زيدٌ بعد: مَنْ عِنْدَكُمَا؟) فإذا سئلت هذا السؤال فقل لك ولصاحبك: (من عندكما؟) فقلت: (زيد) ف(زيدٌ) مبتدأ، حُذِفَ خبره لدلالة الكلام الأول عليه.....

والضرب الثاني: حذف المبتدأ، وهو الذي عني بمثاله الذي قال فيه: (وفي جواب: كيف زيدٌ؟ قل: دَنِفٌ). يعني أنك إذا سئلت فقل لك: (كيف زيدٌ؟) فلك أن تحذف المبتدأ فتقول (دَنِفٌ). وأصل الجواب أن تقول: (زيدٌ دَنِفٌ)، ثم تحذف.....

والضرب الثالث: حذفهما معاً. ولم يُشَرِّ النَّازِمُ إليه بمثال، ولفظه محتمل له، لكنه ليس في كثرة الضربين قبله، ومثاله قوله: (أين زيدٌ جالسٌ؟) فتقول: (في الدار)، أو (عندي). فالتقدير: زيدٌ جالسٌ في الدار، أو عندي".^(٢) قال في قول ابن مالك:

"وَأَخْبِرُوا بِأَثْنَيْنِ أَوْ بِأَكْثَرٍ ... عَنْ وَاحِدٍ كَهُمْ سَرَاةً شَعْرًا"^(٣)

هذه مسألة من مسائل المبتدأ والخبر، وهي: هل يقتضي المبتدأ الواحد أكثر من خبرٍ واحدٍ، أم لا؟ ولا بُدَّ قَبْلَ النظر في كلامه من تعيين محلِّ السؤال. وذلك أن

(١) المرجع نفسه: ٩٢/٢.

(٢) المرجع نفسه: ٩٦/٢-٩٨.

(٣) ابن مالك، "اللفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٩.

المقاصد النحوية عند الإمام الشَّاطِبي (٧٩٠هـ)، د. وليد بن عبد الله الدوسري

المبتدأ إذا كان واحداً وأُخبر عنه بأكثر من خبرٍ واحدٍ فَهُوَ على ثلاثة أضرب: (١).

وأخذ الشَّاطِبي في تعداد أنواع الخبر الذي يقع متعددًا لمبتدأ، وما يصح منه أن يدخل تحت كلام النَّاظم في البيت، وما لا يدخل، فذكر أنَّ الخبر المتعدد قد يكون متعددًا لفظًا ومعنى، وذلك لتعدد المبتدأ في نفسه، نحو (بنو فلان فقيه وكاتب وشاعر)، وهذا لا يندرج تحت كلام النَّاظم.

وقد يتعدد الخبر لفظًا دون معنى، وذلك لقيامه مقام خبرٍ واحدٍ لفظًا ومعنى، نحو: (هذا حلٌّ حامضٌ)، بمعنى: مز، و(هذا أعسر أيسر)، بمعنى: أضبط، فهذا مما يصح دخوله تحت قول النَّاظم: (وَأُخْبِرُوا بِأَثْنَيْنِ أَوْ بِأَكْثَرَا ... عَنْ وَاحِدٍ) قال الإمام الشَّاطِبي: "لأنَّ المبتدأ لا يستقل بأحد الخبرين دون الآخر، وقد يستقل في نحو قوله: (هم سراة شعراء)". (٢).

والضرب الأخير من أضرب تعدد الخبر التي استنبطها الشَّاطِبي من كلام العرب: تعدد الخبر لفظًا ومعنى مع اتحاد المبتدأ، نحو: (زيدٌ كاتبٌ شاعرٌ) ومثال النَّاظم عند الشَّاطِبي يحتمل الصورتين الجائزتين من صور تعدد الخبر، فهو إما متعدد لفظًا دون معنى، لكنه يجوز أن يستقل بأحدهما دون الآخر، أو متعدد لفظًا ومعنى كما في نحو: زيدٌ كاتبٌ شاعرٌ، مع أن هذا المثال عند شراح الألفية من قبيل المتعدد لفظًا ومعنى. في قول ابن مالك:

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافعية في شرح الخلاصة الكافية"، ١٢٧/٢.

(٢) المرجع نفسه: ١٢٨/٢.

وقس، وكاستفهامٍ النفي، وقد ... يجوزُ نحو: (فائزٌ أولُو الرِّشد) ^(١)

أبدع الشَّاطِبي أيما إبداع في الكشف عن مراد ابن مالك من كلمة (وقس)، إذ ذكر أنها تحتمل سبعة أوجه من التفسير كلها مرادة، منها:

قس على المثالين السابقين: (زيدٌ عاذرٌ)، (أسارٌ ذانٍ)، اللذين اشتمل على نوعي المبتدأ: مبتدأ له خبر، ومبتدأ له فاعل سد مسد الخبر.

ومنها: قس على (أسارٌ ذانٍ)، حيث المبتدأ الذي له فاعل سد مسد الخبر، فهذا كثير في كلام العرب، مقيس عليه.

ومنها: وقس على الهمزة في (أسارٍ) سائر أدوات الاستفهام، نحو: (متى ذاهبُ البكران؟)، و(أين جالسٌ صاحبك؟)، و(كيف مصبحٌ إخوتك؟) قال الإمام الشَّاطِبي: "فهذا مما يليق أن يكون مراده". ^(٢)

ومنها: وقس على (ذانٍ)، للتنبيه على جواز ذلك في المثني، وغير المثني من مفرد أو جمع، نحو: (أسارٌ هؤلاء؟)، و(أقائمٌ الزيدون؟)، و(أفائزٌ إخوتك؟)، وكذلك المفرد على أحد الاحتمالين فيه إذا قلت: (أقائمٌ زيد؟)، و(أسارٌ هذا؟)، إلى غيرها من الأوجه التي ذكرها مما يحتمله قوله (وقس)، ثم قال: "وهذه الأوجه يمكن أن يكون أشار إلى جميعها بقوله: (وقس)، فلا يختص التفسير ببعضها دون بعض، وهو أولى؛ لأن جميعها أحكام ضرورية، تقدم ذكرها بالإشارة إليها. فيبعد أن يشير إلى بعضها دون بعض، مع أنها كلها قياس". ^(٣)

وهذه من فرائد الشَّاطِبي، التي تميز شرحه عن غيره من شراح ألفية ابن مالك،

(١) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٦.

(٢) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية"، ١/٥٩٦.

(٣) المرجع نفسه: ١/٥٩٨.

المقاصد النحوية عند الإمام الشَّاطِبي (٧٩٠هـ)، د. وليد بن عبد الله الدوسري

والتي تجلت فيها مقاصده النحوية، فلم أجد هذا الاستنباط العميق لهذه المفردة: (وقس) وتقليبها على جميع الأوجه المحتملة عند غيره من الشراح، كابن النَّاظم، وأبي حيان، والمرادي، وابن هشام، وابن عقيل، والسيوطي، رضي الله عنهم جميعاً.^(١) قال في قول ابن مالك:

ومفردًا يأتي، ويأتي جُمْلَةً ... حاويةً معنى الَّذِي سِيَقَتْ لَهُ^(٢)

قسم النَّاظم -رحمه الله- خبر المبتدأ إلى أقسامه العظمى، وهي ثلاثة أقسام: أحدها: الجملة الصريحة. والثاني: المفرد الصريح -أيضاً-. والثالث: الظرف وشبهه، وهو المجرور.

ويتميز الشَّاطِبي في تعليمه للقواعد النحوية وتدريبه لها وتقريره لأحكامها

(١) انظر: ابن النّاطم، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن مالك، "شرح ألفية ابن مالك"، تحقيق عبد الحميد السيد، (بيروت، دار الجيل، ب. د)، ص ١٠٥-١٠٧. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك"، تحقيق علي محمد فاخر وآخرون، (ط ١، القاهرة، ١٤٣٥هـ)، ١/١٢٥-١٢٨. المرادي، حسن بن قاسم، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط ١، دار الفكر العربي ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م)، ١/٤٧١-٤٧٢. ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، بيروت، ب. د)، ١/١٨٨-١٩٣. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (ط ١، القاهرة، دار التراث، ١٤٠٠هـ)، ١/١٨٨-١٩٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "شرح السيوطي على ألفية ابن مالك (البهجة المرضية)"، تحقيق: علي سعد الشينوي، (ط ١، طرابلس، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، ١٤٠٣هـ)، ص ٩١-٩٢.

(٢) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٦.

بالاستقصاء، إذ يحاول دائماً في عرضه للقواعد أن يحيط المتلقي بما يندرج تحت هذه القاعدة، والواضح من نظم ابن مالك أن الخبر ينقسم إلى مفرد وجملة، إلا أن للشاطبي لمسة بيانية قصد فيها إحاطة المتلقي بما يندرج تحت قول ابن مالك: (ومفرداً يأتي، ويأتي جملة)، قال: "وهذه الأقسام الثلاثة لا يخرج عنها نوع من أنواع الخبر على كثرتها، وانتشارها، إذ الخبر ينقسم إلى نيفٍ وسبعين قسمًا، كل قسمٍ منها يخالف صاحبه في حكم ما، لكن أتى الناظم بالأحكام التي لا بد للخبر منها، من حيث هو خبر، وترك ما سوى ذلك لعدم الاحتياج إليه" (١).

قال في قول ابن مالك:

وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرٍّ ... نَاوَيْنَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرَّ (٢)

"هذا هو القسم الثالث من الأقسام التي تقع خبراً للمبتدأ، وذلك الظرف، وحرف الجر، وعَبَّرَ بحرف الجر عنه وعن مجروره، فكأنه قال: أو بحرف جرٍّ ومجرور، كما أنهم يُعَبِّرون بالمجرور وحده عنهما، فيقولون: ظرف أو مجرور" (٣).

ثم يتوقف الشاطبي عند كلمة (وأخبروا) في نظم الألفية، ليقول بأن الضمير فيها عائد على العرب، حتى وإن لم يرد لهم ذكر؛ لأنَّ العلم بهم حاضرٌ، فهم المأخوذ عنهم. ثم يفصح الشاطبي عن مدلول قول ابن مالك: (ناوين معنى كائناً أو استقرَّ) أنَّ الظرف وحرف الجر مع مجروره لا بد لهما من متعلق يتعلقان به، هذا المتعلق قد يكون فعلاً، أو معنى فعل، ظاهراً، أو مقدراً، إلا أنه في الإخبار بالظرف أو المجرور وجب تقديره، إذا لو ظهر هذا المقدر لكان هو الخبر بنفسه، فالخبر الظرف والمجرور

(١) الشاطبي، "المقاصد الشافعية في شرح الخلاصة الكافية"، ١/٦٢٣.

(٢) ابن مالك، الألفية ص ٨٧.

(٣) الشاطبي، المقاصد الشافعية: ٣/٢.

غير مستقلين بالخبرية، ولكنهما مفتقران إلى متعلق، وهو كائن أو استقر. (١)
وكعادة الشَّاطِبي في تقرير القواعد بالأمثلة، وتوضيح الأمثلة من خلال بيان وظائف مفرداتها، قال في بيان مثال الظرف وما تعلق به: "إذا قلت: (زيدٌ عندك)، فهو على تقدير: زيد كائنٌ عندك، أو استقرَّ عندك". وفي بيان الجار والمجرور وما تعلق به: "وكذلك إذا قلت: (زيدٌ في الدار)، فالتقدير: زيدٌ كائنٌ في الدار، أو زيدٌ استقرَّ في الدار. فإذا «عندك» منصوب بذلك المقدَّر، وكذلك «في الدار»، هو في موضع نَصْبٍ به". (٢)

ومما يشهد للإمام الشَّاطِبي قصد تلقين الدَّرس النَّحوي، وتأسيسه، وتعليمه للمبتدئين والمنتهمين على حد سواء اختلافه عن بقية شراح الألفية في تقديم القاعدة النَّحوية المفهومة من كلام ابن مالك في ألفيته، وتأطيره لها، وتقريب المسافة بينه وبين المتلقي من خلال ربط المسائل النَّحوية بعضها ببعض، وتذكير الدارس بالسابق، وربطه بالمسألة محل الدراسة، يقول في قول ابن مالك:

وَلَا يَكُونُ اسْمٌ زَمَانٍ خَبَرًا ... عَنِ جُثَّةٍ، وَإِنْ يُفَدَّ فَأَخِيرًا (٣)

"لما أطلق القول في وقوع الظرف خبرًا للمبتدأ، وكان المبتدأ تارةً يكون اسم عين، وهو المراد بالجملة، وتارةً يكون اسم معنى، كان من مقتضى إطلاقه أنه يجوز وقوعُ ظرف الزمان خبرًا عن كلِّ جملة كان أو معنى، كما كان مقتضىً لذلك مع ظرف المكان، فهو في ظرف المكان إطلاقٌ صحيح، وغير صحيح في ظرف الزمان. فأراد تقييد ذلك الإطلاق، فأخبر أنَّ اسم الزمان لا يكون خبرًا عن مبتدأ هو جملة، إلا أنَّ

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٧.

يكون الإخبار به عنه مفيداً، فإذا أفاد جاز".^(١) ولم يتيسر مثل هذا الأسلوب التعليمي فيما تيسر الاطلاع عليه من شروح الألفية، فابن النَّاطِم مثلاً ذكر أن اسم الزمان قد يخبر به عن اسم العين إذا كان مثل اسم المعنى في وقوعه وقتاً دون وقت، نحو (الرطب في تموز).^(٢)

وأبو حيان توقف عند قول ابن مالك في البيت: (وإن يفد فأخبراً) مكتفياً بضرب الأمثلة المفيدة، نحو: (الهلالُ الليلة)، و(الرطبُ شهري ربيع).^(٣) ولم يزد أحدٌ من شراح الألفية على ما قاله الشيخان (ابن النَّاطِم - أبو حيان) كالمرادي، وابن هشام، وابن عقيل، والسيوطي، وغيرهم.^(٤)

ثم يستطرد الشَّاطِبي في بيان حكم اسم الزمان أو المكان عند وقوعه خبراً عن نوعي المبتدأ: اسم الذات، واسم المعنى، وما يفيد، وما لا يفيد من صوره الأربع، فقال: "الظرف إما أن يكون مكانياً أو زمانياً، فإن كان مكانياً أُخبر به عن كل اسم كان، اسم جثة، نحو: (زيدٌ أمامك)، و(عمرو خَلَفَ الحائط)، و(الدرهم عند زيد). أو اسم معنى، نحو: (قُعُودُ زيد مكانك)، و(قيامه خَلَفَ الدار)، وَ (أَكَلَهُ عندك). وإن كان زمانياً، فإمّا أن يكون المبتدأ اسم جثة، أو اسم معنى، فإن كان اسم معنى أُخبر عنه لحصول الفائدة بذلك، نحو: (قيامك غداً)، و(سفرُ زيد بعد غدٍ)، و(خروج زيد يوم الجمعة). وإن كان اسم جثة فلا يُخبر به عنه لعدم الفائدة بذلك، فلا تقول:

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٣/٢.

(٢) ابن النَّاطِم، "شرح ألفية ابن مالك"، ص ١١٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي، "منهج السالك"، ١٥٠/١.

(٤) المرادي، "توضيح المقاصد"، ٤٥٠/١. ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك"، ٢٣٠/١.

ابن عقيل، "شرح الألفية"، ٢١٤/١. السيوطي، "شرح الألفية" ص ٩٥.

(زيدٌ يوم الجمعة)، ولا: (عبد الله غداً)". (١)

ولا يعدم الشَّاطِبي وسيلة التعليل لهذه الأحكام التي تساعد على تثبيت القواعد وتمكينها في أذهان الدارسين، إذ قد يتبادر إلى ذهن الدارس سؤال: ما الفرق بين اسم الزمان واسم المكان في الإخبار بأحدهما دون الآخر في صورة من صور الخبر؟
يعلل الإمام الشَّاطِبي لعدم جواز الإخبار باسم الزمان عن الجثة في نحو: (زيدٌ اليوم) بأنَّ "ظروف الزمان أشياء تحدث، وتنقضي، وما وُجِدَ منها فمشمولٌ على كلِّ موجودٍ، والجثة كلها موجودة، فلا فائدة في الإخبار عنها بذلك". (٢)

وتتجلى موسوعية الشَّاطِبي وسعة اطلاعه على مصادر النحو في جمع كل الصور، والأساليب التي استنبطها النحويون من كلام العرب، والتي أفاد فيها الإخبار باسم الزمان عن الجثة فقال: "وقد حُصِرَت مواضعُ الإفادة في ثمانية": (٣)

منها: أن يشبه اسم الجثة اسم المعنى في الحدوث، وهو مثال النحويين المشهور في هذا الموضوع: (الهلأُلَّ الليلة). ومنها: أن يكون الزمان موصوفاً، نحو: نحن في زمان طيب. ومنها: أن يكون المبتدأ موصوفاً، نحو: أكل يوم ثوب تلبسونه؟ إلى آخر ما استقصاه الشَّاطِبي من الصور التي ورد فيها اسم الزمان خبراً عن الجثة مفيداً. ثم قال: "والجميع منتظم في سلك قوله: (وإن يُفقد فأخيراً)". (٤)

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٢٢/٢.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه، ٢٣/٢.

(٤) المرجع نفسه: ٢٦/٢.

المبحث الثاني: المقاصد العلمية

تشير المقاصد العلمية في فكر الشَّاطِبي النَّحوي إلى دراسة المسائل النَّحوية دراسة علمية مبنية على منهجية علمية ثرية واضحة، ودقيقة، تتجلى فيها موسوعية الإمام أبي إسحاق الشَّاطِبي، يكشف فيها عن القراءة العميقة للأمّهات كتب النَّحو، ومصادره، ومنابعه من كتب المتقدمين والمتأخرين على حد سواء، قراءة واعية نتج عنها إعادة صياغة للدرس النَّحوي وقضاياها، ومسائله، وأدلتها، وشواهد، صب الشَّاطِبي هذه القراءة في ثنايا شرحه على ألفية ابن مالك، فخرج الشَّرْح على خلاف غيره من شراح الألفية.

تميز المقصد العلمي في شرح الشَّاطِبي بالموضوعية، والاحتكام إلى الأصول النَّحوية، والتقويم الفكري الناضج لأقول أئمة النَّحو من خلال العرض والتحليل، والمناقشة، والقول الفصل المدعوم بالدليل، وسيتبين من خلال الأمثلة قصد الشَّاطِبي العلمي في دراسة المسائل النَّحوية. تحت قول ابن مالك:

وأول مبتدأ، والثاني ... فاعلٌ أغنى في: (أسارِ ذانِ)

وقس، وكاستفهامٍ النفي، وقد ... يجوزُ نحو: (فائزٌ أولو الرشد)^(١)

توقف الشَّاطِبي مع النَّحويين في ثلاث مسائل:

الأولى: في حكم الصفة التي ترفع الفاعل خبرًا، وشرط اعتمادها على ما يقوي فيها جانب الفعلية، كما جاء في مثال ابن مالك في النَّظم: (أسارِ ذانِ)، قال في الشَّرْح: "فلا يجوزُ إذًا أن يرفع اسم الفاعل ونحوه من الصفات فاعلاً منفصلاً ينوب عن الخبر إذا لم يقرن بجمزة الاستفهام، ولا بما يقوم مقامها، فلا تقول: (قائمُ الزيدان)، ولا (سارِ ذانِ)، وهذا تنبيه على طرفٍ من شرط اسم الفاعل، وهو أن يكون معتمداً

(١) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٦.

على متقدم قبله، ومن جملة ما يعتمد عليه الاستفهام والنفي^(١)، وهذا رأي الجمهور، وقد ذهب الأخفش من البصريين ومن تبعه إلى جواز رفع الوصف فاعلا من غير اعتماد على نفي أو استفهام، نحو: (قائمُ الزيدان)، و(خارجُ المصلحون)^(٢). قال الشَّاطِبي: "والأصح قول الجمهور الذي اختاره النَّاطِم^(٣)، وحجته في ذلك هي أنَّ اسمَ الفاعل أضعف من الفعل في العمل، فلا يعمل حتى يعتمد على ما يقوي فيه جانب الفعل، كالنفي، والاستفهام، ومعتمد الشَّاطِبي في تصحيح رأي الجمهور من البصريين وابن مالك هو السماع، إذ لم ينقل نحو: (قائمُ الزيدان) إلا نادراً، بحيث لا يبنى عليه قياس.

الثانية: في أدوات الاعتماد التي أشار إلى بعضها النَّاطِم في مثاله: (أسارُ دان)، وهي الاستفهام، وما في معناه، كالنفي، نحو: (ما سارُ دان)، ويدخل (ما) التيمية، و(ما) الحجازية إذا فقدت شرطاً من شروط إعمالها، وهذا كله الأمر فيه قريب؛ لأنها أدوات تدخل على الجملة الفعلية كما تدخل على المبتدأ، هذا كله لا إشكال فيه، الذي تحرز منه الشَّاطِبي هو دخول (ما) الحجازية، و(لا) العاملة عمل (إنَّ) أو (ليس)، و(إنَّ)، (ليس)، ذكر ذلك ابن مالك في شرحه على تسهيله^(٤)، ونقله عنه الشَّاطِبي، ثم عقب على ذلك بقوله: "ومثل هذا لا يقدم على إجازته بغير دليل،

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٩٣/١.

(٢) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "التذيل والتكميل شرح كتاب التسهيل"، تحقيق:

حسن هنداوي، (ط١، دمشق، دار القلم، ١٤٢٠هـ)، ٢٧٢/٣.

(٣) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٩٤/١.

(٤) ابن مالك، محمد بن عبدالله، "شرح التسهيل"، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي

المختون، (ط١، القاهرة، دار هجر، ١٤١٠هـ)، ٢٧٤/١.

وسماع يمكن أن يقاس عليه"^(١). وقال في موضع آخر: "فإن كان في ذلك سماع يقاس عليه فلا عتب، وإن كان ذلك بالقياس النظري فهو غير مسلم"^(٢).
والذي يمنع من دخول (ما) الحجازية، و(لا) العاملة عمل (إن) أو (ليس)، و(إن) و(ليس) في اعتماد الصفة عليها قياسا الاستفهام، أو على (ما) النافية عند الشاطبي أمران:

الأول: إنابة المرفوع عن المنصوب، وذلك في خبر (ليس) و (ما) الحجازية، وذلك غير موجود في كلام العرب.

الثاني: دخول النواسخ: (ليس)، و(ما) الحجازية على الجملة الاسمية مناف لتقوية جانب الفعلية، ومقوٍ لجانب الاسمية؛ لاختصاصهما بالدخول على المبتدأ والخبر، قال أبو حيان: "والأحوط التوقف حتى يسمع"^(٣).

الثالثة: في حكم المرفوع بالوصف إذا جاء ضميراً منفصلاً، نحو: (أقائم أنت؟)، (أقائم أنتما؟)، (أقائم أنتم؟)، وهذا غير جائزٍ على مذهب الكوفيين، فإنهم يجعلون الوصف خبراً مقدماً والضمير مبتدأً مؤخرًا، وحجتهم في ذلك أن الوصف قائم مقام الفعل، والفعل لا ينفصل منه الضمير كما في نحو: (أيقومان)، و(أيقومون)، فلا ينبغي أن يجري ذلك فيما جرى مجراه، وهذا الكلام غير مسلم به عند الشاطبي، قال: "بل انفصال الضمير هنا هو الصواب، وإن لم يكن في الصفة من الموجب ما قال؛ لأنَّ الصفة هنا خاصيةٌ توجب انفصال الضمير ليست في الفعل..... وقد جاء السماع

(١) الشاطبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٩٨/١.

(٢) المرجع نفسه: ٥٩٩/٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي، "التذيل والتكميل"، ٢٧٦/٣.

بذلك".^(١)

في شرحه على قول ابن مالك:

وَجَائِزٌ رَفْعُكَ مَعْطُوفًا عَلَى ... مَنْصُوبٍ «إِنَّ» بَعْدَ أَنْ يَسْتَكْمَلَ^(٢)

تناول الشَّاطِبي هذه المسألة -العطف على اسم (إِنَّ)- بالتفصيل، ذاكراً الصور التي يمكن للمتكلم أن يتصرفَ فيها، مبيناً آراءَ النُّحويين في حكمها؛ لأنَّ العطف على اسم (إِنَّ) له أربع صور: صورتان باعتبار اللفظ، وصورتان باعتبار الموضع، أما اللتان باعتبار اللفظ فهما العطف على اسم (إِنَّ) قبل تمام الخبر، أو بعده، نحو: (إِنَّ زَيْدًا وَعَمْرًا فِي الدَّارِ)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، (الأحزاب ٣٥)، و(إِنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَعَمْرًا)، وهاتان الصورتان جائزتان على الإطلاق، لا خلاف بين اللغوين فيهما.

وأما الصورتان اللتان يقع العطف فيهما باعتبار الموضع -موضع اسم (إِنَّ)- نحو: (إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ وَعَمْرُو)، و(إِنَّ زَيْدًا وَعَمْرُو قَائِمَانِ)، فقد ذكر الشَّاطِبي أنَّ في الصورتين خلافاً بين النُّحويين، يختلف في الصورة الأولى عنه في الثانية.

حقق الشَّاطِبي خلاف النُّحويين في الصورة الأولى، وهي العطف على موضع اسم (إِنَّ) بعد تمام الخبر من جهة نوع العطف، فمنهم من جعل ذلك عطفاً حقيقة، من باب عطف المفردات، ففي نحو: (إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ وَعَمْرُو) عطف في (عَمْرُو) على موضع (زَيْد)، قال: "وإليه ذهب الشُّلُوبِيُّ فِي أَوَّلِ قَوْلَيْهِ، وَابْنُ أَبِي الرَّيِّعِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ إِيضَاحُ الْفَارَسِيِّ، وَجُمْلُ الزَّجَاجِيِّ، وَمَالٌ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ شَرَحَ كَلَامَهُمَا، أَخَذًا بِالظَّاهِرِ

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٦٠٦/١.

(٢) ابن مالك، "الْفِية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٩٥.

من كلامهما، وتأول بعضُهم عليه كلام سيبويه^(١).
وفريقٌ جعل الرفعَ في المعطوف على الابتداء، أي من قبيل عطف الجمل، قال:
"وهو الأظهر من كلام سيبويه، ونقل عن الأخفش، والفراء، والمبرد، وابن السراج،
والفارسيّ - في غير الإيضاح - وابن أبي العافية^(٢)، والشلوبين - في آخر قوله -
وجماعةٍ من أصحابه -"^(٣).
ولم يفت الشَّاطِبي أن يستنبط رأي ابن مالك من روح كلامه قائلاً: "وكلامُ
النَّاظم هنا محتملٌ للمذهبيين؛ إذ معنى كلامهم أنَّ المنصوب بالعطف على اسم (إِنَّ)
يجوزُ رفعه، ولم يذكر: علام يُرفع؟ فيتحمل أن يكون قائلاً بالأول، أو بالثاني؛ فإن
كان رأيه هذا الثاني فهو أولى لوجهين:

أحدهما: أنه الذي ذهب إليه في شرح التسهيل، ونصره، وزيف غيره.
والثاني: أنه الصحيح من المذهبين، والمعتمدُ المعضودُ بالدليل. وقد تصدَّى ابن
أبي العافية لنصره في مسألة أفردھا، وابنُ الزبير^(٤) من شيوخ شيوخنّا، فتلَقَّيناه عنھم،
فمن أراد الترجيح بين المذهبين فعليه بكلام ابن الزبير، ففيه غايةُ الشفاء في

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٣٦٧/٢.

(٢) محمد بن أبي العافية النحوي المقرئ الإشبيلي. الإمام بجامع إشبيلية، أبو عبد الله، أخذ عن أبي
الحجاج الأعمى الأدب وغيره، وكان من أهل المعرفة والأدب، أخذ الناس عنه ذلك، وتوفي
سنة تسع وخمسمائة. انظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، "إنباه الرواة
على أنباه النحاة"، (ط ١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ)، ٧٣/٣.

(٣) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٣٦٧/٢.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن الزبير، الغرناطي، يكنى بأبي جعفر، عرف بنسبته إلى جده الأول الزبير،
ولد سنة ٦٢٧ ببيان شمال غرناطة، وتوفي بغرناطة سنة ٧٠٨هـ. انظر: لسان الدين بن
الخطيب، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، ٧٢/١-٧٥.

المسألة.....

وإن كان مراده الأول، وكان هو مذهبه فيترجح بأمرين، أحدهما: أن يجعله من باب عطف الجُمْل يُوَدَّى إلى مخالفة الظاهر من ادعاء حذف الخبر
والثاني: أنه قد جاء في كلام العرب ما يعضده، إذ هو على تقدير التوهم، وهو كثير في كلام العرب.....، وهذا الرأي أسعد بكلام النَّاظم؛ لأنه قد أجاز العطف على الموضع في باب اسم الفاعل، وليس إلَّا من باب التوهم، وسيأتي ذكره في بابه إن شاء الله تعالى^(١).

تبقى الصورة محل النزاع، وهي العطف على موضع اسم (إنَّ) قبل تمام الخبر، نحو: (إنَّ الزبيدين وعمراً قائمون)، فقد اختلف أهل البصرتين: (البصرة - الكوفة) في حكم العطف، البصريون لا يجيزون إلا النصب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، (الحج: ١٧)، واختلف إماما مدرسة الكوفة في جواز ذلك، فقيده الفراء بعدم ظهور الإعراب في المعطوف عليه، نحو: (إنَّك وزيدٌ ذاهبان)، ولا يجوز الرفع في نحو: (إنَّ زيداً وعمرو ذاهبان)، وأطلقه الكسائي، ظهر في المعطوف عليه النصب، أو لم يظهر. قال الشَّاطِبي: "والصحيح ما ذهب إليه النَّاظم للقياس والسماع"^(٢).
قال ابن مالك:

الْفَاعِلُ الَّذِي كَمَرُوعِي: أَتَى زَيْدٌ، مُنِيرًا وَجْهَهُ، نَعَمَ الْفَتَى
وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ فَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ، وَإِلَّا فَضَمِيرٌ اسْتَتَرَ^(٣)

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافعية في شرح الخلاصة الكافية"، ٣٦٧/٢ - ٣٧٠.

(٢) المرجع السابق ٣٧١/٢.

(٣) ابن مالك، "اللفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٩٩.

في شرح الإمام الشَّاطِبي للبيتين السابقين شغل مساحة ما يربو على خمسٍ وعشرين صفحة من القطع المتوسط في استنباط الأحكام التي يمكن أن تبوح بها مفردات هذين البيتين، وأردفهما بالمسائل الخلافية، والفوائد والشوارد مما جادت به قريحة النحاة حول الفاعل وأحكامه، في حين لم ينجز شراح ألفية ابن مالك أكثر من خمس صفحات في شرح هذين البيتين.

لم ينس الشَّاطِبي ربط باب الفاعل بأبواب النَّحو، وبيان موقعه، فقال في التوطئة لدراسة باب الفاعل: "الجملة المفيدة على قسمين: جملة اسمية، وجملة فعلية؛ فالجملة الاسمية هي جملة المبتدأ والخبر، وهي التي فَرَّغَ الآن من ذكرها، وذكر أحكامها، وعوارضها.

والجملة الفعلية هي جملة الفعل والفاعل، وهي التي شَرَعَ الآن في ذكرها، وذكر أحكامها"^(١)، ثم ابتدأ بالكلام على تعريف الفاعل مستنبطاً تعريفه من مثالي ابن مالك في نظم الألفية كما فعل في باب المبتدأ، (فأتى زيداً) مثال ابن مالك اشتمل على فاعل يتصف بخمسة أوصاف: مسند إليه فعل، تام، متفرغ له، مبني للفاعل، مقدم عليه، وكذلك أوصاف الفاعل في المثال: (منيراً وجهه)، ثم يتوقف الشَّاطِبي مع قيود تعريف الفاعل المأخوذة من مثاله، والتي منها قيد التمام في الفعل، وهذا القيد يخرج فاعل (ظنَّ) وأخواتها، وهو متفق على فاعليته بين النحاة، وكذلك قيد تفرغ الفعل لفاعله قيد فارغ من الفائدة؛ وذلك لأنَّ الفعل إذا تحمل ضميراً كان هو الفاعل المراد التعريف به، قال الشَّاطِبي ما نصه في القيد الأخيرين: "فالصواب تركُّ هذا القيد، والذي قبله، كما فعل غيره"^(٢).

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٣٠/٢.

(٢) المرجع نفسه: ٥٣٣/٢.

ثم بدأ الإمام الشَّاطِبي يوظف أدواته البحثية في ثنايا كلام ابن مالك، وما تحتمله الأمثلة التي أشار بها إلى أوصاف الفاعل، وصور وروده في الخطاب، فقال: "وإذا تقرّر هذا رَجَعْنَا النَّظْرَ إلى معنى التعريف، وما يتعلّق به، وفيه نظر من أوجه".^(١) من أوجه النَّظَر التي استنبطها الشَّاطِبي من مثالي ابن مالك: "أن هذا التعريف الجُمْلِيّ اقتضى أَنَّ الفاعل إمَّا يكون اسمًا صريحًا؛ لتعريفه إياه بالاسم الصريح، وهو: (زيد)، (وجهه). وليس ذلك بلازم، بل قد يكون غير صريح، نحو: (أعجبي أن تقوم)، ف(أن) وما بعدها هو الفاعل، وليس باسم صريح. وكذلك (أَنَّ) ومعمولاها، نحو: (أعجبنني أَنَّك قائمٌ)، و(ما) المصدرية -أيضًا-، نحو: (ما صنعت)، أي: صنعتك. ولا يقال: إنَّ مثل هذا قليل لم يُعْتَد به، بل هو كثير، مطرد، مقيس".^(٢)

ثم يرد الشَّاطِبي على صنيع ابن مالك في استشهاده بمثاليه إنما يريد التنكيت على الكوفيين القائلين بجواز كون الفاعل غير اسم، ولا مقدّرًا باسم، مستدلّين بما ورد من أساليب لغوية، ورد فيها الفاعل جملة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِيزَ﴾، (يوسف: ٣٥)، ففاعل (بَدَأَ) عندهم الجملة التي هي: ﴿لَيْسَجُنَّهُ﴾. ومثله ذلك: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ هُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾، (طه: ١٣٨)، فلا يصحّ أن يكون (كَمْ) الفاعل، بل الجملة كلّها.

ثم يفند الشَّاطِبي هذه المسألة التي قد تبدو في ظاهرها أنها خلافية بين جمهور النحويين قائلًا: "إنَّ هذا التَّمَطُّ مما حُمِلَ الكلامُ فيه على معناه دون لفظه، والمسألة من باب تعليق الفعل عن الفاعل، كما يُعلّق عن المفعول بإطلاق في باب (ظننت)، لأنَّ (بدا)، و(ظهر) و(تبَيَّنَ) في معنى (عَلِمَ)، فعُلّقَ تعليقه..... فإن قيل: فأين

(١) المرجع نفسه: ٥٣٧/٢.

(٢) المرجع نفسه، ٥٣٨/٢.

الفاعل؟ قيل: ما أعطاه الكلامُ المعلق عنه الفعل من معنى المفرد..... فإن قيل: هذا إقرارٌ بمذهب الكوفيين. قيل: إن أرادوا بما أجازوا هذا المقدار فنحن نوافقهم عليه، ولا يبقى بين الفريقين خلاف، فإن أرادوا غير ذلك فلا نقول به؛ إذ الجملة من حيث هي جملةٌ لا تقع فاعلةٌ أبداً، ولا يوجد في الكلام ذلك إلا على ما تبين^(١).
كذلك من أوجه النظر التي استنبطها الشاطبي من مثالي ابن مالك أنَّ الرفع للفاعل هو المسند، فعلا كان أو ما يشبهه، منبها بقوله: (كمرفوعي أتى) على مذهب البصريين في عامل الرفع في الفاعل، وزعم بعض الكوفيين أن الرفع له الإسناد لا المسند.

ولم يزل الشاطبي بألفاظ ابن مالك ينثر من ثنايا مفرداتها الفوائد والبدائع التي تزخر بها موسوعات النحو العربي، إذ يرى أن قوله: (وَبَعْدَ فِعْلٍ فَأَعْلٍ) يشتمل على ثلاث فوائد، عقد من خلالها ثلاث مسائل خلافية مشهورة بين النحويين حول صور بنية وتركيب الجملة الاسمية:

الأولى: جواز تقدم الفاعل على الفعل، أو ما يشبه الفعل، وهو مذهب الكوفيين، نحو: (الزيدان قام)، و(الزيدون قام)، مستدلين بما ورد من ذلك في الشعر، نحو:
مَا لِلْجَمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدًا^(٢)

وقول امرئ القيس: فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنِعْمَةٍ ... فَقَلَّ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَعَيِّبٍ^(٣)

(١) المرجع نفسه، ٥٤٠/٢.

(٢) بيت من الرجز للزباء انظر: الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة"، تحقيق، رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٣/١٢٣٧.

(٣) البيت من الطويل ليس في ديوان امرئ القيس، وهو منسوب إليه في كتب النحو واللغة والأدب، انظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، "مجالس العلماء"، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٢ القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٣هـ)، ص ٢٤٥.

وقول النابغة:

ولا بُدُّ من عوجاء تَهْوَى براكبٍ إلى ابن الجلاح سيرُها الليل قاصِدٍ^(١)
وهذا وما ورد على مثاله مما استدل به أهل الكوفة أجاب عنه ابن مالك بقوله:
(.....فَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ، وَإِلَّا فَضَمِيرٌ اسْتَتَرَ)

معنى هذا الكلام: إذا ظهر الفاعل بعد الفعل فذاك، وإن لم يظهر فالفاعل ضمير مستتر في الفعل، أو فيما أشبهه.

الثانية: استغناء بعض الأفعال عن الفاعل، كما زعم بعض النحويين أن (قَلَّ) إذا لحقتها (ما) كفتها عن العمل، كما تكف غيره، كـ (إِنَّ) و (أَنَّ) و (رَبَّ) وما أشبه ذلك. ومن ذلك دعوى الكسائي حذف الفاعل في نحو: (ضربني وضربتُ قومك)، إذ لا يجوز عنده الإضمار فيه، وهاتان الصورتان اللتان ادعي فيهما حذف الفاعل لا يجوز القول بهما، لأن الفاعل ركن أساس في الجملة، لا يمكن حذفه، والاستغناء عنه؛ لأنه إن لم يظهر فهو ضمير مستتر كما نص النّاظم في الألفية.

الثالثة: التنكيت على بعض البصريين، ومنهم سيبويه في جواز تقديم الفاعل على الفعل في صور مخصوصة، كما في قول الشاعر:

صَدَدَتْ فَأَطُولَتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ^(٢)
على أَنَّ (وصالٌ) فاعل متقدّم ضرورة، ويجيز هؤلاء تقديم الفاعل على الفعل في الضرورة.

(١) البيت من الطويل، النابغة الذبياني، "الديوان"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط٢)، القاهرة، دار المعارف، ب د)، ص ١٤٠.

(٢) البيت من الطويل، عند سيبويه، "الكتاب"، تحقيق عبد السلام هارون، (ط٣)، القاهرة، الخانجي، ١٤٠٨هـ)، ٣١/١.

قال الشَّاطِبي: "وهذا كله لا داعي له؛ لإمكان أن يكون (وصالٌ) فاعلاً بفعل مضمَر يفسِّره (يدوم)، كأنه يقول: (وقلِّمًا يدومٌ وصالٌ على طول الصُّدودِ يدومٌ)؛ وساغ هذا لأنَّ قلِّمًا مما لا يليها إلا الفعل".^(١)

ومن صور تقديم الفاعل ما رواه الأُبَدي عن شيخه أبي الحسن الدباج أنه يرى في نحو: (إنَّ زيدٌ قام أكرمتَه) مما رفع فيه الفعل فاعلاً مقدماً عليه، معللاً بأنَّ العامل متصرِّفٌ في نفسه، فيتصرَّف في معموله، إلا أن يمنع مانعٌ، ولا مانع هنا، لوجود حرف لا يليه إلا الفعل لفظاً، أو تقديراً، قال الإمام الشَّاطِبي: "فالحاصل من كلامه أنه أجاز أن يكون (زيدٌ) فاعلاً مقدِّماً، وذلك غير سائغ عند الجمهور".^(٢)

ولم يترك الشَّاطِبي بيتي ابن مالك السابقين إلا بعد أن كشف رموزهما، وأزال إبهامهما، وكشف عن فوائد مثاليه فيهما، ولم يبق له فيهما إلا بحث لفظي في قوله:

وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ فَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ، وَإِلَّا فَضَمِيرٌ اسْتَتَرَ

إذ يظن القارئ أنَّ هذا كلامٌ خلفٌ، لا فائدة فيه؛ لأنَّ معناه: أنَّ الفاعل بعد الفعل، فإن ظهر الفاعل فهو الفاعل.

لكن الشَّاطِبي لم يترك ابن مالك لأفكار القراء والناقدين الباحثين عن عشرات المؤلفين والمصنفين، فقال: "إنَّ ذلك جارٍ على قصد صحيح فيه فائدةٌ، وهو أن قوله: "وبعد فعلٍ فاعلٌ"، إخبارٌ بالقاعدة، أنَّ كلَّ فعلٍ لا بدَّ له من فاعل بعده لا قبله، يريد: فابحث عنه. فهي كُليَّةٌ تُعيِّن موضع البحث عن الفاعل. ثم أخبر بعد ذلك بوجه مجيئه، فقال: إن جاء ظاهراً فهو، أي: المطلوب الذي قصدته، وإن لم يجرِ ظاهراً فاعلم أنه ضمير مستتر في الفعل، طرداً لحكم القاعدة، وعملاً بمقتضاها. وهذا معني

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٥٢/٢.

(٢) المرجع نفسه.

صحيحٌ مفيدٌ". (١)

مثال آخر من أمثلة المقاصد العلمية في نحو الإمام الشاطبي من خلال شرحه على ألفية ابن مالك يتجلى في تناوله لظاهرة التقديم والتأخير في أسلوب الحال، والتي بدأها بشرح قوله:

وَسَبَقَ حَالٍ مَا بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ ... أَبَوْا وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدُ (٢)

وكعادته لم ينس الشاطبي أن يربط هذا المبحث بمباحث باب الحال؛ ليتبين الدارس موقع المسألة من عموم الباب، أو من مبحث التقديم والتأخير في أسلوب الحال، سواء أكان التقديم في الحال، أو في صاحب الحال، فقال: "هذا الفصل يتكلم فيه على الحال من المجرور بحرف، هل يجوز تقديمه عليه، أم لا يجوز؟ وهذا الحكم ثانٍ عن كون الحال يجوز تقديمه على صاحبه، وثانٍ عن جواز الحال من المجرور بحرف مطلقاً، بخلاف المجرور باسم، فإن فيه تفصيلاً، وسيأتي ذكر ذلك كله إن شاء الله". (٣) ومعنى بيت ابن مالك أَنَّ النحويين أبوا أن يسبق الحال صاحبه المجرور بحرف جر، نحو: (مررت بالزيدين قائمين)، لا يجوز: (مررت قائمين بالزيدين)، ولا: (قائمين مررت بالزيدين)، إلا على مذهب ابن كيسان، والفارسي، وابن برهان، والذي تبعهم فيه ابن مالك بقوله في النظم: "ولا أمنعه فقد ورد". (٤)

وقد توقف الشاطبي مع ابن مالك في هذه المسألة، ولم يرض دليل ابن مالك في جواز تقديم الحال على صاحبه المجرور بحرف جر، وهو السماع الوارد في القرآن

(١) المرجع نفسه، ٥٥٤/٢.

(٢) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ١١٢.

(٣) الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية"، ٤٥١/٣.

(٤) المرجع نفسه، ٤٥٢/٣.

الكریم، والنصوص الشعرية من اللسان العربي، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾، (سبأ: ٢٨)، ومن المنظوم قول الشاعر من أبيات الحماسة:
إذا المرءُ أَعْيَتْهُ المُرُوءَةُ ناشئاً ... فمَطْلَبُهَا كَهْلاً عليه شديد^(١)

فالظاهر في (كافية) أنها حال من (الناس)، كما لو قال: للناس كافة. والعرب لا
تستعمل (كافية) قط إلا حالاً، و(كهلاً) حال من ضمير (عليه).

قال الشَّاطِبي: "والصواب -والله أعلم- مع التَّحْوِين دون ابن مالك؛ لأنهم لم
يأتوا بوجه المنع إلا بعد استقراء كلام العرب، وأنهم لم يجدوا التقديم إلا في شعر، لا
يجعل وحده مأخذ قياس، أو في الآية الكريمة مع احتمالها، وعدم نظير لها في ظاهرها،
ومعارضة الاستقراء للقياس في المسألة، فحينئذ جزموا بمنع المسألة، وأولوا الآية الكريمة
حين لم يجدوا لها في الكلام نظيراً، ولم يثبت عندهم جواز التقديم في لغة من اللغات،
فالحق ما ذهبوا إليه".^(٢)

ثم توقف الشَّاطِبي مع ابن مالك في بيان ما استدل به من سماع، واعتباره دليلاً
في بناء قواعد النَّحو، والقياس عليه، قائلاً: "ومن عادة ابن مالك التعويل على اللفظة
الواحدة تأتي في القرآن، ظاهرها جواز ما يمنعه التَّحْوِين، فيعمل عليها في الجواز،
ومخالفة الأئمة"^(٣). ولم يشفع لابن مالك استشهاده بالنص القرآني؛ لأن القرآن قد
يأتي بما لا يقاس عليه، وإن كان فصيحاً، وكذلك ما ورد في اللسان العربي، كبيت
الحماسة الذي استدل به ابن مالك، وغيره؛ لأنه "ليس كل ما تكلم به العرب يُقاس

(١) البيت من الطويل لرجل من بني قريع عند المرزوقي، أبي علي أحمد بن محمد، "شرح ديوان
الحماسة"، تحقيق فريد الشيخ، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ص ٨٠٧.

(٢) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية"، ٤٥٦/٣.

(٣) المرجع نفسه.

عليه^(١)، ولكن النحويين "لما استقروا كلام العرب ليقيموا منه قوانين يحذى حدودها وجدوه على قسمين:

قسم سهل عليهم فيه وجه القياس، ولم يعارضه معارض؛ لشياعه في الاستعمال، وكثرة النظائر فيه، فأعملوه بإطلاق، علماً بأنَّ العرب كذلك كانت تفعل في قياسه. وقسم لم يظهر لهم فيه وجه، أو عرضه معرض لقلته، وكثرة ما خالفه. فهنا قالوا: إنه شاذ، أو موقوف على السماع، أو نحو ذلك^(٢)، وهكذا تستتب القاعدة الأصولية عند الشَّاطِبي، والتي مفادها: "أننا نتبع العرب فيما تكلموا به من ذلك، ولا نقيس غيره عليه، لا لأنه غير فصيح، بل لأننا نعلم أنها لم تقصد في ذلك القليل أن يُقاس عليه، أو يُغلب على الظن ذلك، وترى المعارض له أقوى، وأشهر، وأكثر في الاستعمال، هذا الذي يعون، لا أنهم يرمون الكلام العربي بالتضعيف، والتهجين، حاش لله، وهم الذين قاموا بفرض الذب عن ألفاظ الكتاب، وعبارات الشريعة، وكلام نبينا محمد ﷺ، فهم أشد توقيراً لكلام العرب، وأشد احتياطاً عليه ممن يغمز عليهم بما هم منه بُراء. اللهم إلا أن يكون في العرب من بَعُدَ عن جمهرتهم، وباين بجوحة أوطانهم، وقارب مساكن العجم، أو ما أشبه ذلك ممن يخالف العرب في بعض كلامها، وأنحاء عباراتها، فيقولون: هذه لغة ضعيفة، أو أشبه بذلك من العبارات الدالة على مرتبة تلك اللغة في اللغات. فهذا واجب أن يُعرف به، وهو من جملة حفظ الشريعة، والاحتياط لها، وإذا كان هذا قصدهم، وعليه مدارهم، فهم أحق أن يُنسب إليهم المعرفة بكلام العرب، ومراتبه في الفصاحة، وما من ذلك الفصيح قياس، وما ليس بقياس، ولا تضر العبارات إذا عُرف الاصطلاح فيها، وعلى هذا المهيع

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

جرى النّحويون في منع هذه المسألة، فلم يغفلوا السماع أصلاً، ثم مالوا إلى المنع بالقياس، وإنما قالوا بالقياس عضداً لما حصل لهم بالاستقراء من امتناع العرب من التقديم، ولكن للكوفيين هنا قاعدة بينون عليها القياس - مخالفة لما تقدم، وهي أنهم قد يعتبرون اللفظ الشاذ فيقسون عليه، وبينون على الشعر الكلام من غير نظر إلى مقاصد العرب، ولا اعتبار لما كثر، أو قل، فمن ههنا وقع الخلاف بينهم في مسائل كثيرة. والنّاظم قد ينحو نحوهم في مسائل كثيرة، وهذه المسألة منها، وكذلك مسألة تقديم التمييز على عامله، ومسألة العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، ومسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وغير ذلك مما سيأتي ذكره. وقد مرت منه مسائل، ولعله ينبه على بعض ذلك إن شاء الله. فقد ظهر قصد النّاظم في إعمال القياس في هذه المسألة، وتبين علام بنى في أمثالها على الجملة، وتفصيل النظر في القاعدة المبني عليها مقرر في علم الأصول النّحوية^(١). انتهى كلام الشّاطي، وقد نقلته بنصه بما في ذلك من التطويل؛ لنفاسته، وأهميته في الاستدلال على عمق الشّاطي في البحث النّحوي، وجديته في طرح المسائل النّحوية، والاستدلال عليها، وإقامة الحجة على من يخالف نهج العرب في كلامهم، حتى لو كان الإمام المصنف ابن مالك، الذي يتعمد الشّاطي الانتصار له إذا وجد إلى ذلك سبيلاً.

(١) المرجع نفسه: ٤٥٦/٣ - ٤٥٨.

المبحث الثالث: المقاصد الجدلية

المقاصد الجدلية هي القسم الثالث من مقاصد الإمام الشَّاطِبي في شرحه على ألفية ابن مالك، ويعني بها الشَّاطِبي تحريرَ نظمِ ابن مالك مما يتصور أن يرد عليه، وكان منهجه إيراد الاعتراض، أو الاستدراك، أو السؤال، ثم الإجابة عليه، وهكذا غدا الشَّرح عبارة عن ثلاثة أقسام: الأول ضروري لكل دارس مبتدئ في علم النَّحو، يستخلص له الشَّاطِبي القواعد النَّحوية من ثنايا كلام ابن مالك في الألفية. والقسم الثاني: يخاطب به الباحثين في علم النَّحو وأصوله، يقوم فيه فكر النَّحويين وأدلتهم. ثم ينتقل بعد ذلك إلى القسم الثالث الذي يكمل به تقويم الألفية، وما يمكن أن يرد على ذهن المتلقي من أسئلة حول الموضوع محل البحث والدراسة. في شرح قول ابن مالك:

ونونٌ مجموعٌ وما به التحقُّق ... فافتحْ، وقلَّ مَنْ بكسرِ نطقٍ

ونونٌ ما تُنِّي والمَلْحَقِ بهُ ... بعكسِ ذاك استعملوه، فانتبه^(١)

قال الشَّاطِبي في شرح البيت الأول: "التقدير: مهما يكن من شيء فافتح نون مجموع وما التحق بالمجموع".^(٢)

وقال في شرح البيت الثاني: "وقوله: (ونونٌ ما تُنِّي والمَلْحَقِ بهُ) إلى آخره، يعني أن نون المثني من الأسماء حقيقة، وما ألحق به مما ليس بمثنى حقيقة، استعملوه بعكس نون المجموع وما لحق به، أي: جعلوا كسر التَّوْن منه واجبا، وقل من نطق بفتحه".^(٣)

ثم يطرح الشَّاطِبي على ابن مالك سؤالين:

(١) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٧٤.

(٢) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية"، ١٩٩/١.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠٢/١.

الأول خاص بمصطلح الكسر في نون جمع المذكر في قوله: (وقل من بكسره نطق)، والكسر مصطلح من مصطلحات البناء يقابله الجر في الإعراب، ولا دليل هنا على كون الكسر كسر بناء، لاحتمال أن يكون كسر إعراب، وبخاصة أن النّاطم أجازَ في بعض كتبه أن تكونَ كسرة إعراب، وهو في ذلك تابع للأخفش الأصغر، والأعلم في توجيه بعض الشواهد النّحوية التي جاءت على لغة كسر نون المجموع جمعاً مذكراً سالماً. قال الشّاطبي: "وإذا ثبت هذا كان قطعه بأنه كسر بناء معترضاً عليه".^(١)

ثم يجيب الشّاطبي عن هذا السؤال الذي طرحه على ابن مالك من جهتين، الأولى: أن النّحويين لم يتفقوا على ما ذهب إليه الأخفش والأعلم، وأنّ من نطق بالكسر في الشواهد ألجأته الضرورة إلى ذلك. الجهة الثانية: أنه لا فرق بين من يقول بكسر البناء أو بكسر الإعراب، لأن الجميع ضرورة، والكلام فيه على توجيه مسموع، لا في القياس عليه.

والسؤال الثّاني من سؤالي الشّاطبي على بيتي ابن مالك السابقين: كيف يقول ابن مالك: (ونونَ ما تُنّي والملحق به... بعكس ذاك استعملوه)؟ والواقع أنه لم يسمع في الملحق بالمتنى ما سمع في الملحق بالمجموع، ولم يرد عن النّحويين في (اثنتين)، ولا (اثنتين) ولا فيما أشبههما، يقول الشّاطبي: "فكان الأولى أن يخص القليل بما ثني وحده"^(٢). ولا يعدم الشّاطبي جواباً لما طرحه من أسئلة على نص ابن مالك، وخلوه من القيد الذي يحجر القاعدة، إذ كيف يجمع الملحق بالمتنى مع المتنى في ورود فتح النون مع عدم وروده في المدونة اللغوية.

(١) المرجع نفسه: ٢٠٤/١.

(٢) المرجع نفسه: ٢٠٦/١.

قال: "والجواب أنَّ قوله: (ونونَ ما نُثِّي والملحقَ به) شيء واحد لا شيئين، وإنما يعني أن كل ما كان مرفوعاً بالألف، ومنصوباً ومجروراً بالياء، فإن نونه قد تفتح في بعض المواضع، فلا يلزم في الفتح، وإن كان قليلاً أن يأتي في كل قسم من أقسامه، بل في أي قسم أتى يلزم وجوده في الجملة، كما تقدم في الاستشهاد عليه. وهذا حسن في الجواب فتدبره، وبالله التوفيق".^(١)

في شرح قول ابن مالك:

وَلَا يَكُونُ اسْمٌ زَمَانٍ خَبَرًا ... عَنْ جُثَّةٍ، وَإِنْ يُفَدَّ فَأَخْبَرًا^(٢)

ربط الشَّاطِبي هذه المسألة بما قبلها، وهي تدرج تحت مبحث أنواع الخبر، إذ ذكر في مبحث سابق أنَّ الخبرَ ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مفرد، وشبه جملة، وجملة. وشرح أحكام كل نوع بالتفصيل، وكان المصنف قد أطلق القول في وقوع الظرف خبراً للمبتدأ، فأراد تقييد ذلك بالإطلاق، فأخبر أنَّ اسم الزمان لا يكون خبراً عن مبتدأ هو جثة، إلا أن يكون الإخبار به عنه مفيداً، فإذا أفاد جاز.

قال الشَّاطِبي: "وقد نبّه على أصل المنع في هذه المسألة، وهو عدم الفائدة، بقوله: (وإنَّ يُفَدَّ فَأَخْبَرًا)، فكأنّه قال: ولا يكون اسم زمانٍ خبراً لجثةٍ لعدم الفائدة، فإن أفاد ذلك جاز الإخبارُ به عن الجثة".^(٣)

وكعادة الشَّاطِبي صال وجال في موسوعات النحو حتى عدَّ صورَ الإفادة التي وردت في الإخبار باسم الزمان عن الجثة مما لا يتسع المجال لنقلها، ثم قال: "وبقي في

(١) المرجع نفسه.

(٢) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٨٧.

(٣) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٢٢/٢.

هذه المسألة دَرَكٌ على النَّاطِمِ من أوجه ثلاثة^(١):

الأول: أخذ الشَّاطِبي على ابن مالك تعبيره باسم الزمان، والتَّحْوِيون إنما يعبرون بظرف الزمان، فقال: "واسم الزمان غير مرادفٍ لظرف الزمان؛ لأنَّ ظرفَ الزَّمان هو اسم الزمان المنصوبُ المقدَّرُ بـ(في) من جهة المعنى، لا اسمُ الزَّمان مطلقاً؛ إذ اسمُ الزَّمان منقسم إلى ظرفٍ وغير ظرفٍ، فكيف يكون مرادفًا له؟ وإذا لم يكن كذلك خَرَجَ عن وضع المسألة عند غيره".^(٢)

وقد عد الشَّاطِبي في الجواب عن هذا الدرك أن هذا تنبيه حسن من النَّاطِمِ عندما عبَّرَ باسم الزمان، وليس بظرف الزمان، إذ يخبر باسم الزمان عن المصدر، لا عن الجثة، فلا يقال: (زَيْدٌ يوم الجمعة)، وإنما يقال: (القيامُ يوم الجمعة)، فالمرفوع هنا لا يسمى ظرف زمان، ولكن يسمى اسم زمان. فإطلاق لفظ اسم الزمان إذاً أجود من التعبير بالظرف.

الثاني: أخذ الشَّاطِبي على ابن مالك في التعبير بقوله: (وإن يفد فأخبرا) أمرين، الأول: أن هذا أمر معلوم عند النحاة واللغويين، وقد تقدّم له عندما عرّف بالكلام، فقال: (كلامنا لفظٌ مفيدٌ). فهذا تكرار لا فائدة منه. وإلا فيلزم أن يشترط ذلك في سائر صور الخبر شبه الجملة، الأمر الثاني: أن إخراج ظرف الزمان المخبر به عن الجثة وتقييده بالإفادة يوهم أن بقية الصور من ظرف الزمان وظرف المكان يجوز الإخبار بها، أفادت أو لم تفد. وهذا غير صحيح.^(٣)

ثم أجاب الشَّاطِبي عن الشق الأول في هذا الاستدراك بأن التنبيه على الإفادة

(١) المرجع نفسه: ٢٦/٢.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ٢٧/٢.

عند النحويين يكون في مسائل مخصوصة، وذلك أن من الأبواب ما يطرد، أو يغلب فيها عدم الإفادة إلا بشرط، فعادة النحويين أن يُبيِّنوا ذلك، ليكون فيه حصرٌ لما يُفيد، وما لا، وضبط لما يتكلم به. وهذا من شأنهم؛ إذ لا يكفي في مثل ذلك مجرد تعريف الكلام بأنه لفظ مفيد، ومثل مسألة الإخبار بظرف الزمان عن الجثة إذا أفادت: الابتداء بالنكرة إذا أفادت، وكذلك تأكيد النكرة إذا أفادت، قال الإمام الشَّاطِبي: "فاعرف هذا أصلاً اصطلاحياً تحتاج إليه فيما يرد عليك من هذه الأشياء، وتعتمد على مقتضاه في حلِّ أمثال هذه الإشكالات، فتقطع به كثيراً من التشغيب والتعسُّف الذي يقع بين الباحثين".^(١)

ثم أجاب عن الشق الثاني بأنَّ قول ابن مالك: (وإن يفد فأخبراً) بقوله: "الكلام في قُوَّة أن لو قال: وظرفُ الزمان مع الجثة غيرُ مفيد، فلا يخبر به عنها، فإن فُرِض حصولُ الإفادة به معها جاز الإخبار به عنها. فمثل هذا الكلام لا يقتضي أنَّ غيره يخبر به أفاد أولاً، فإذا كان كذلك لم يبق إشكالٌ. والله أعلم".^(٢)

الاستدراك الثالث من الشَّاطِبي على ابن مالك أنه بإجازته الإخبار باسم الزمان عن الجثة إذا أفاد قد وقع في محظورين:

الأول: مخالفة إجماع النحويين في هذه المسألة، إذ لم يقل بجواز ذلك إلا ابن الطراوة، والقطع أنَّ مخالفَ الإجماع مخطئٌ.

الثاني: أنَّ الإخبار بظرف الزمان عن الجثة قد يفيد، وهو أمر لا يعقل.^(٣) ولا يعدم الشَّاطِبي إجابة على ما طرحه من إشكال في كلام ابن مالك لأنَّ

(١) المرجع نفسه: ٢٩/٢.

(٢) المرجع نفسه: ٣٠/٢.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ٣٠/٢-٣٢.

قصده من طرح هذه الإشكالات إنما هو تحرير كلام ابن مالك. أما مخالفته لإجماع النحويين فهذه حجة لا دليل عليها، كيف يثبت الإجماع وفيه خلاف قبل ابن الطراوة؟ وقد تكلم فيه مجموعة من النحويين قبل ابن مالك. وإذا كانت كذلك فلا عتب على ابن مالك في ارتكابه بعض المذاهب المنقولة في مسألة اجتهادية. وأما القول بأن ظرف الزمان قد يفيد، فهذا وقوف مع الظاهر، "والوقوف مع الظاهر هو المراد، وأما التأويل فالنظر فيه ثانٍ عن جواز المسألة، والاعتماد على الظاهر، والحمل عليه - وإن أمكن غيره - هو مذهب ابن مالك في عربيته، وهو أصل سيبويه، يؤب عليه ابن جني في الخصائص، وسيأتي التنبيه على مواضع من هذا القبيل، بحول الله ومشيتته". (١)

وفي شرحه على قول ابن مالك:

وَكَيْفَ تَنْظُرُ أَجْعَلُ (تَقُولُ) إِنْ وَلِيَ ... مُسْتَفْهَمًا بِهِ، وَلَمْ يَنْفَصِلِ
بِغَيْرِ ظَرْفٍ أَوْ كَظَرْفٍ أَوْ عَمَلٍ ... وَإِنْ يَبْغُضُ ذِي فَصَلَتْ يُجْتَمَلُ
وَأُجْرِي الْقَوْلُ كَ(ظَنَّ) مُطْلَقًا ... عِنْدَ سُلَيْمٍ، نَحْوِ (قُلْ ذَا مُشْفِقًا) (٢)

يضرب الشاطبي نموذجاً فريداً من نماذج استشكالاته على النّاظم، وعمقها، وفائدتها في تقويم نحو ابن مالك، وبيان موضع الثغرات فيه، ليس هذا فقط، ولكنه قد يضع يده على الداء ولا يجد الدواء، وقد عبر عن ذلك في أكثر من موضع في الكتاب قائلاً: "وليس كل داء يعالجه الطبيب" (٣)، فقد طرح الشاطبي على نظم ابن

(١) المرجع نفسه: ٣٣/٢.

(٢) ابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، ص ٩٨.

(٣) الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٧٠/١، ٣٦٥/٢، ٦٠٢/٢،

١٧٧/٩.

المقاصد النحوية عند الإمام الشَّاطِبي (٧٩٠هـ)، د. وليد بن عبد الله الدوسري

مالك أسئلةً واستدراكاتٍ في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً؛ ولقوتها، وورودها، وعدم انتحال الشَّاطِبي للأجوبة الضعيفة التي لا تليق بمكانته، وتصدره وإمامته في الدَّرس النَّحوي كان يقول لا أجد جواباً. (١)

تناول الشَّاطِبي أبيات ابن مالك الثلاثة بالتحليل والشرح كما ينبغي في الدَّرس النَّحوي، ففصَّل مجملها، وشرح مراد ابن مالك فيها، وعالج مبهمها، فذكر أنَّ هذا الفصل يذكر فيه إلحاق القول بالظنِّ في العمل في جزأي الابتداء. ولا يتم هذا العمل للقول في جزأي الابتداء إلا إذا توافر فيه شروط أربعة: شرطان صرح بهما النَّاطم، وشرطان أشار إليهما بالمثال.

أما المصريح بهما فهما وقوع القول بعد أداة استفهام، واتصالها به، نحو: (أَتَقُولُ زيداً أخاك)، وهذا معنى قوله:

(وَكَذَ تَظُنُّ) اجْعَلْ (تَقُولُ) إِنْ وَلَى ... مُسْتَفْهَمًا بِهِ، وَلَمْ يَنْفَصِلْ

وأما المشار إليهما بمثاله: (وَكَذَ تَظُنُّ) اجْعَلْ (تَقُولُ))، فهما أن يكون فعل القول مضارعاً، بخلاف الماضي أو الأمر، وأن يكون مسنداً لضمير المخاطب، بخلاف المتكلم، أو الغائب. قال الإمام رحمه الله: "فهذا كمال الشروط الأربعة، وهي غاية ما اشترطه الناس". (٢)

ثم بسط الشَّاطِبي قول ابن مالك:

بِغَيْرِ ظَرْفٍ أَوْ كَظَرْفٍ أَوْ عَمَلٍ ... وَإِنْ بِيَعُضِ ذِي فَصَلَتْ يُجْتَمَلُ

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٦٨/١، ٣٢٠/١، ٦١٣/١، ٦٦٠/١، ٧١/٢، ٢٩٩/٢، ٣٥٩/٢، ٣٦٥/٢، ٥٨٠/٢، ١٩/٣، ٢٢٢/٣، ٧٧/٤، ٥٤٩/٤، ١٦٦/٦، ٤٦٨/٦، ٥٥٣/٧، ١٨/٨، ٤٦٩/٩.

(٢) المرجع نفسه: ٤٩٩/٢.

ويعني أنه إذا فصل بين فعل القول وأداة الاستفهام بالظرف، أو بالجار والمجرور، أو بمعمول القول، صح الإعمال، نحو: مثال الفصل بالظرف: أكلَ يوم تقول أخاك منطلقاً؟ ومنه قول الشاعر:

أَبْعَدَ بَعْدَ تَقُولُ الدَارَ جَامِعَةً شَمَلِي بِهِمْ، أَمْ دَوَامَ الْبُعْدِ مَحْتُومًا؟^(١)
ومثال الفصل بالجار والمجرور: أفي الدار تقول زيدًا قائمًا؟ وأما الفصل بمعمول القول فقد جاء منه قول الشاعر:

أَجْهَلًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ لَعَمْرُ أَيْبِكَ أَمْ مُتَجَاهِلِينَ؟^(٢)

ومعنى قول ابن مالك:

وَأَجْرَى الْقَوْلُ كَ(ظَنٍّ) مُطْلَقًا عِنْدَ سُلَيْمٍ، نَحْوُ (قُلْ ذَا مُشْفِقًا)

أن القول في لغة سُلَيْمٍ يجرى مجرى الظنِّ بإطلاقٍ من غير تقييد بشرطٍ من الشروط المذكورة عند غيرهم. وبعد أن استوفى الشَّاطِئِي الكلام على أبيات ابن مالك السابقة قال: وعلى النَّازِمِ بعدُ في هذا الفصل دَرْكٌ من أربعة أوجه:

الأول من أوجه الدرك أن عدم إجراء القول مجرى الظن عند توافر شروطه جائز، رجوعاً إلى الأصل في الحكاية. وهذا مما لا خلاف فيه بين النحويين، ولم يشر ابن مالك في نظمه إلى ما يفيد ذلك. بل يقتضي لزوم إجراء القول مجرى الظن. لقوله: (وكذا تظن) اجعل (تقول)، مع أنه قد أشار إلى ذلك في كتابه التسهيل بقوله: "فإن عُدَّ شرط رجوع إلى الحكاية، وتجاوز إن لم يعد".^(٣)

(١) البيت من البسيط، لم ينسب لقائل، وهو مشهور في كتب المتأخرين، أول من أورده ابن مالك في "شرح التسهيل"، ٩٦/٢.

(٢) البيت من الوافر، للكُمَيْت، وليس في ديوانه، نسبه إليه سيبويه في "الكتاب"، ١٢٣/١.

(٣) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٩٣/٢.

الدرك الثاني: أنَّ النَّاطِمَ أهمل الوجهَ الغالب، والمذهبَ المطرَدَ في القولِ هو الحكاية، ولم يتكلم فيها بشيء، وإنما تعرَّض للإعمال، وهو الأقلُّ بالنسبة إلى الحكاية، وللغة سُليم، وهي قليلة -أيضًا- بالنسبة إلى جميع اللغات، وترك ما هو الأولى بالبيان من أحكام القول، لا سيما وفيه في الحكاية تفصيل.

الثالث: الحشو والزيادة بما لا يفيد، وبخاصة في ألفاظ الألفية التي ينشد فيها الاختصار، وذلك في قوله: وَإِنْ يَبْعُضُ ذِي فَصَلَتْ يُحْتَمَلُ
فإن هذا البيت حشو، وزيادة؛ لأن معناه قد سبق في قوله:

وَكَذَ (تَظُنُّ) اجْعَلْ (تَقُول) إِنْ وَلَى ... مُسْتَفْهَمًا بِهِ وَلَمْ يَنْفَصِّلِ
بِعَبْرِ ظَرْفٍ أَوْ كَظَرْفٍ أَوْ عَمَلٍ

وهذا معناه، فكيف يأتي بعده بقوله: وَإِنْ يَبْعُضُ ذِي فَصَلَتْ يُحْتَمَلُ
قال الإمام: "فكان الأولى به أن يأتي في هذا الشطر الثاني بالحكم الذي أغفل، وبيان ما أجمل".^(١)

الرابع من أوجه الدرك على نظم ابن مالك عند الشَّاطِبي: أنه أطلق أحكام إجراء القول مجرى الظن في جميع ما يتعلق به من الأحكام، ولم يقيدها، وهو إطلاق غير صحيح عنده.^(٢)

قال الشَّاطِبي بعد أن أورد الأوجه الأربعة: "وهذه الأوجه الأربعة قويّة الورود على النَّاطِمِ، يصعبُ الجواب عنها".^(٣)

(١) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٠٩/٢.

(٢) انظر: الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٠٦/٢-٥٠٩.

(٣) الشَّاطِبي، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، ٥٠٩/٢.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسالات، وبعد:

أشكر الله ﷻ على ما أجرى من النعم، ووفق وأعان من الهمم، فقد يسر لي قراءة شرح الإمام أبي إسحاق الشَّاطِبي (٧٩٠هـ) على ألفية العلامة جمال الدين ابن مالك (٦٧٢هـ) المسمى: (المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية) هذه الموسوعة الكبرى التي تحوي بين دفتيها نحو الإمام الشَّاطِبي ومقاصده في دروسه النَّحْوية لأستخلص منها مقاصده النَّحْوية التي انتهجها في شرحه، ولخصها في ختام الشَّرح. وقد تبين لي بعد طول مداورة لشرح الإمام الشَّاطِبي ما يلي:

١- مقاصد النَّحو عند الشَّاطِبي في دروسه ثلاثة: ضرورية، وهي التعليمية، وعلمية، وجدلية.

٢- المقاصد الضرورية عند الشَّاطِبي مقاصد تعليمية، لا غنى عنها للمبتدئ والمنتهى في علم النَّحو، يتدرج الشَّاطِبي فيها من التعريف بالمصطلح، وضرب الأمثلة، وشرح الشواهد، وربط المسائل بالمباحث، والمباحث بالفصول والأبواب، وشرح أمثلة النَّظم، وفك رموزها، واستخراج مكنونها، وبيان ما تشير إليه من أوجه واستعمالات.

٣- المقاصد العلمية عند الشَّاطِبي مقاصد بحثية، تدور في المصادر النَّحْوية التي دونت في علم النَّحو، الغرض منها دراسة القضايا النَّحْوية التي اشتغل عليها النحاة في مدوناتهم النَّحْوية، وعرض المسائل الخلافية التي كانت محل نقاش بين أئمة المدارس النَّحْوية، وتقويم الفكر النَّحْوي بأدلة وأصول نحوية اتفق عليها أوائل النَّحويين.

٤- المقاصد الجدلية عند الشَّاطِبي مقاصد تحسينية جدلية أثرت كتاب المقاصد

الشَّافِيَّة، جعلته أهم شروح الألفية التي سجلت على ألفية ابن مالك، وظهرت حتى الآن، الغرض من هذه المقاصد تقويم فكر ابن مالك من خلال الألفية، ومقارنته - في أغلبها - بفكره في كتابه (تسهيل الفوائد)، وإثارة تساؤلات قد تطرأ على ذهن الدارس، والإجابة عنها قدر المستطاع.

٥- كان الشَّاطِبي في مقاصده الضرورية التعليمية مدرس حلقة لتلاميذ في مرحلة التلقي الأولى، يعلم، ويكرر، ويدرب، ويجمع بين التعليم والنظري والتطبيقي، فإذا ما انتقل إلى المقصد الثاني من مقاصده صار باحثاً، ينقب في أمهات الكتب، يوثق النقول من مصادرها، ويشرح ما استبهم واختلط على الدارس من نصوصها، يجمع بين أقوال العالم في المسألة الواحدة، ثم يجمع بين أقوال العلماء ويقومها، منهجه في ذلك الاحتكام إلى أدلة الصناعة النحوية.

٦- كشفت المقاصد الجدلية أو التحسينية عند الشَّاطِبي عن شخصية نحوية برزت في القرن الثامن الهجري، تلقت النحو عن أئمة مدرسة الأندلس، ثم درست بفكر واع، وعقل مستنير، ثم أعادت صياغته في هذه الموسوعة النحوية الموسومة بالمقاصد النحوية للشَّاطِبي.

التوصيات:

١- يوصي الباحث بإعداد دراسات حول المدونات النحوية في التراث اللغوي لكشف مناهج أصحابها ومقاصدهم في تدوينهم لقضايا النحو العربي ومسائله وأدلته.

٢- يوصي الباحث بدراسة موسوعة الإمام أبي إسحاق الشَّاطِبي دراسة مقارنة مع شراح الألفية لكشف قيمة الشَّرح العلمية وبيان جوانب تفوقها.

٣- في المقاصد الشَّافِيَّة عدد غير قليل من أوجه الدرك والاستشكالات التي طرحها الشَّاطِبي على ابن مالك من خلال الألفية، ولم يجد لها جواباً، مع أنها

قوية الورود تحتاج إلى تنقيب في فكر ابن مالك.

٤- تقويم الإمام الشَّاطِبي لأئمة النحاة من خلال عرض القضايا النَّحْوِيَّة مناقشتها، وعرضها على أدلة الصناعة يحتاج جهود المخلصين من الباحثين لإنصاف الشَّاطِبي.

رحم الله الإمام أبا إسحاق الشَّاطِبي، وجزى الله القائمين على عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الأمير سطان بن عبد العزيز خير الجزاء على دعمهم هذا المشروع البحثي (٢٠٢٤/٠٢/٢٨/٣٠٠٤٨)

المصادر والمراجع:

- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط ١)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- الأشْمُونِي، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى، "شرح الأشْمُونِي على ألفية"، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- التنبكي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه، "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، تح/ د. عبد الحميد الهرامة، (ط ٢)، طرابلس - ليبيا: دار الكتاب، ٢٠٠٠م).
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك"، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، (ط ١)، القاهرة، ١٤٣٥هـ).
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "التذيل والتكميل شرح كتاب التسهيل"، تحقيق: حسن هندأوي، (ط ١)، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ).
- الرازي، أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، "مجالس العلماء"، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط ٢ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٣هـ).
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط ٣، القاهرة: الخانجي، ١٤٠٨هـ).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "شرح السيوطي على ألفية ابن مالك (البهجة المرضية)"، تحقيق: علي سعد الشينوي، (ط ١)، طرابلس - ليبيا: كلية الدعوة الإسلامية، ١٤٠٣هـ).
- الشَّاطِبي، إبراهيم بن موسى، "المقاصد الشَّافِية في شرح الخلاصة الكافية"، تح: د. محمد إبراهيم البنا وآخرون، (ط ١)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، "الإفادات والإنشادات"، تحقيق: محمد أبو الأجفان، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، "الاعتصام"، تحقيق: د/ محمد الشقير، د/ سعد آل حميد، د/ هشام الصيني، (ط١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٠، القاهرة: دار التراث، ١٤٠٠هـ).
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ).

لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ).

ابن مالك، أبو عبدالله محمد جمال الدين، "ألفية ابن مالك في النحو والتصريف"، تحقيق: سليمان العيوني، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، د. ت).

ابن مالك، محمد بن عبدالله، "شرح التسهيل"، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، (ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤١٠هـ).

المجاري، محمد بن علي، "برنامج المجاري"، تحقيق: محمد أبي الأجفان، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م).

مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

المرادي، حسن بن قاسم، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط١، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).

المرزوقي، أبي علي أحمد بن محمد، "شرح ديوان الحماسة"، تحقيق: فريد الشيخ،

المقاصد النحوية عند الإمام الشَّاطِبي (٧٩٠هـ)، د. وليد بن عبد الله الدوسري

(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

النابعة الذبياني، "الديوان"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ب د).

ابن الناظم، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن مالك، "شرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: عبد الحميد السيد، (بيروت: دار الجيل، ب. د).

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبدالله بن يوسف، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، بيروت، ب. د).

Bibliography

- Al-Azdī, Abūbaktir Muḥammad ibn al-Ḥasan ibn Duraid. "Jamharat al-Lughā". Investigation: Ramzī Munīr Ba‘labakkī. (1st ed, Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1987).
- Al-Ushmūnī, Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Īsā, "Sharḥ al-Ushmūnī ‘alā al-Alfīyah". (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah 1419AH - 1998).
- Al-Tunbuktī, Aḥmad Bābā ibn Aḥmad ibn al-Faqīh, "Nail al-Ibtihāj be-Taṭrīz al-Dībāj". Investigation: Dr. ‘Abd al-Ḥamīd al-Harāmah, (2nd ed, Tripoli, Libya: Dār al-Kitāb, 2000).
- Abū Ḥayyān al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf, "Manhaj al-Sālik fī al-Kalām ‘alā Alfīyat Ibn Mālik". Investigation: ‘Alī Muḥammad Fākhīr et al. (1st ed, Cairo: 1435 AH).
- Abū Ḥayyān al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf, "al-Tadhyīl wa-al-Takmīl Sharḥ Kitāb al-Tashīl". Investigation: Ḥasan Hindāwī, (1st ed, Damascus: Dār al-Qalam, 1420AH).
- Al-Rāzī, Aḥmad ibn Fāris, "Mu‘jam Maqāyīs al-Lughā". Investigation: ‘Abd al-Salām Hārūn, (Beirut, Dār al-Fikr, 1399AH).
- Al-Zajjājī, Abū al-Qāsim ‘Abd al-Raḥmān, "Majālis al-‘Ulamā'", Investigation: ‘Abd al-Salām Hārūn, (2nd ed, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1403 AH).
- Sībawaih, Abū Bishr ‘Amr ibn ‘Uthmān, "al-Kitāb". Investigation: ‘Abd al-Salām Hārūn. (3rd ed, Cairo: al-Khānjī, 1408AH).
- Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, "Sharḥ al-Suyūṭī ‘alā Alfīyat Ibn Mālik (al-Bahjah al-Marrḍīyah)". Investigation: ‘Alī Sa‘d al-Shynwy, (1st ed, Tripoli, Libya: College of Islamic Daawah, 1403 AH).
- Al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá, "al-Maqāṣid al-Shāfiyyah fī Sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah". Investigation: Dr. Muḥammad Ibrāhīm al-Bannā et al. (1st ed, Mecca: Umm Al-Qura University, 1428 AH).
- Al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá, "al-Ifādāt wa-al-Inshādāt". Investigation: Muḥammad Abū al-Ajfan, (1st ed, Beirut: Mu‘assasat al-Risālah, 1403 AH).
- Al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá, "al-I‘tiṣām", Investigation: Dr. Muḥammad al-Shuqayr, Dr. Sa‘d Āl Ḥamīd, Dr. Hishām al-Ṣīnī, (1st ed, Saudi: Dār Ibn al-Jawzī, 1429AH-2008).
- Ibn ‘Aqīl, Bahā’ al-Dīn ‘Abdullāh ibn ‘Abd-al-Raḥmān, "Sharḥ Ibn

- ‘Aqīl ‘alā Alfīyat Ibn Mālik". Investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, (Cairo: Dār al-Turāth, 1400 AH).
- Al-Qiftī, Jamāl al-Dīn Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Yūsuf, "Inbāh al-Ruwāh ‘alā Anbāh al-Nuḥāh". (1st ed, Cairo: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1406AH).
- Lisān al-Dīn ibn al-Khaṭīb, Muḥammad ibn ‘Abdillāh ibn Sa‘īd, "al-Iḥāṭah fī Akhbār Gharnāṭah". (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah 1424AH).
- Ibn Mālik, Abū ‘Abdillāh Muḥammad Jamāl al-Dīn, "Alfīyat Ibn Mālik fī al-Naḥw wa-al-Taṣrīf". Investigation: Sulaymān al-‘Uyūnī, (Riyadh: Maktabat Dār al-Minhāj).
- Ibn Mālik, Muḥammad ibn ‘Abdillāh, "Sharḥ al-Tashīl". Investigation: ‘Abd-al-Raḥmān al-Sayyid and Muḥammad Badawī al-Makhtūn, (1st ed, Cairo: Dār Hajar, 1410AH).
- Al-Majāri, Muḥammad ibn ‘Alī, "Barnāmaj al-majāri", Investigation: Muḥammad Abī al-Ajfan, (1st ed, Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1982).
- Makhlūf, Muḥammad ibn Muḥammad ibn ‘Umar, "Shajarat al-Nūr al-dhakīyah fī Ṭabaqāt al-Mālikīyah", (1st ed, Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1424AH).
- Al-Murādī, Hasan ibn Qāsim, "Tawḍīḥ al-Maqāṣid wa-al-Masālik be-Sharḥ Alfīyat Ibn Mālik". Investigation: ‘Abd al-Raḥmān ‘Alī Sulaymān, (1st ed, Dār al-Fikr al-‘Arabī 1428AH-2008).
- Al-Marzūqī, Abū ‘Alī Aḥmad ibn Muḥammad. "Sharḥ Dīwān al-Ḥamāsah". Investigation: Farīd al-Shaykh, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1424AH).
- Ibn Manzūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn ‘Alī, "Lisān al-‘Arab", (3rd ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1414AH).
- Al-Nābighah al-Dhubayānī, "al-Dīwān", Investigation: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (2nd ed, Cairo: Dār al-Ma‘ārif).
- Ibn al-Nāzim, Abū Abdillāh Badr al-Dīn Muḥammad ibn Mālik, "sharḥ Alfīyat Ibn Mālik", Investigation: ‘Abd al-Ḥamīd al-Sayyid, (Beirut: Dār al-Jīl).
- Ibn Hishām al-Anṣārī, Jamāl al-Dīn Allāh ibn Yūsuf, "Awḍaḥ al-Masālik ilā Alfīyat Ibn Mālik". Investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, (Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah).

من قواعد العامل الكلية في الصناعة النحوية

دراسة تطبيقية في بعض مسائل الخلاف في الإنصاف للأنباري

Among the General Rules of the Causal
Element in the Grammatical Theory
An applied Study on: “Al-Inṣāf fi Masā’il al-Khilaf
lil-Anbārī”

د. نوال عبدالعزيز محمد الفحام

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بجامعة المجمعة بالمملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: n.2118@hotmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/06		استلام البحث A Research Receiving 2025/02/05
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI: DOI:10.36046/2356-000-016-002		

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث قاعدة العامل الكُليَّة في الصناعة النحوية، عن طريق دراسة تطبيقية لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، ويهدف البحث إلى بيان مفهوم هذه القاعدة وأثرها في الترجيح بين الأقوال النحوية، ودورها في تشكيل بنية القواعد النحوية، واعتمد البحث المنهج الوصفي في تتبُّع المواضع التي اعتمد فيها الأنباري على هذه القاعدة، ثم تحليلها وفق منهج وصفي تحليلي يبرز أبعادها النظرية والتطبيقية، وتوصَّل البحث إلى أنَّ قاعدة العامل الكُليَّة تُعدُّ من المرتكزات الأساسية في الصناعة النحوية؛ إذ استخدمها الأنباري في مناقشة كثير من المسائل الخلافية، وثبتت جدارتها في توحيد الضوابط النحوية بين المدارس المختلفة؛ ممَّا يعكس دورها في تحقيق الاتساق والاطراد في قواعد النحو العربي.

الكلمات المفتاحية: العوامل - الكليَّة - الخلاف - الأنباري - المسائل.

Abstract

This study examines the principle of the Aggregate Element principle (al-‘āmil al-kullī) in the formulation of Arabic grammatical theory through an applied analysis of *Al-Insāf fī Masā’il al-Khilāf* by Ibn al-Anbārī. The research aims to elucidate the concept of this principle, its role in adjudicating between conflicting grammatical opinions, and its influence on shaping the structure of grammatical rules. The study employs an inductive approach to trace the instances in which Ibn al-Anbārī applied this principle, followed by a descriptive-analytical method to highlight its theoretical and practical dimensions. The findings reveal that the Aggregate Element principle is a fundamental pillar in Arabic grammatical theory, as Ibn al-Anbārī utilized it in addressing numerous grammatical disputes. Moreover, it has proven effective in unifying grammatical principles across different schools, underscoring its role in ensuring coherence and consistency in Arabic grammar.

Keywords: Elements - Aggregate - Dispute - Al-Anbārī – Issues.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعود فكرة نشأة العامل إلى نشأة النحو نفسه، وتتقدّم الزمن تحوّلت هذه الفكرة إلى نظريّة ذات أسس وأركان منطقيّة، تقوم على مبادئ وأسس أخذت توجّه النحو العربي وجهةً مخصوصةً، وتتحكّم في قواعده ومسائله تحكّمًا متعسفًا أحيانًا، حتى غدت محور جدلٍ بين النحاة؛ لذا يمكن القول: إن فكرة العامل استوت على سوقها بكتاب الجرجاني "العوامل المائة"، وهي خلاصة لكل العوامل التي استخلصها النحاة قبله، وهي بذلك تمثّل خلاصة التفسير والتنظير لما سبقه.

ولعلّ فكرة العامل من أهم أسس الاختلاف بين النحاة وانقسامهم إلى بصريين وكوفيين؛ فاختلاف وجهات النظر في بعض المسائل النحويّة والصرفيّة -بين القبول والرفض والترجيح- يعود إلى اختلاف توجيهها وتعليلها وتأويلها وفق أسس نظريّة العامل؛ فلقد كان العامل من أهم القضايا التي تناولها النحاة في أثناء وضع القواعد، كما يعدّ ميدانًا للاختلاف فيما بينهم، ويعدّ كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" للأنباري من المؤلّفات المشهورة في الخلاف النحوي؛ ولأهميّة موضوع القواعد الكلّية في العامل، جاء هذا البحث الموسوم بـ "من قواعد العامل الكلّية في الصناعة النحويّة (دراسة تطبيقية على بعض مسائل الخلاف للإنصاف للأنباري)؛ بُغية تعرّف أصول العامل وقواعده عند الأنباري؛ إذ تكمن أهميّة هذا الموضوع في عدم إفراده ببحثٍ خاصٍ فيه؛ إذ يهدف إلى معرفة خصائص قواعد العامل الكلّية، وأثرها

في الصناعة النحويّة عند أبي البركات الأنباري في كتابه الإنصاف، إضافةً إلى محاولة تتبّع هذه القواعد الكلّيّة تاريخيّاً؛ لمعرفة مَنْ استخدمها قبل أبي البركات، ومتى بدأ استخدامها؟ وكيف نشأت؟

وأود الإشارة إلى أنّ هناك بعض الدراسات التي تناولت العامل في كتاب الإنصاف غير أنّها لم تتناول قواعد العامل الكلية في الصناعة النحوية بشكل خاص، ومنها على سبيل المثال: قضايا منتقاة من كتاب الإنصاف للأنباري، دراسة وصفية. لسميرة الخوالدة (رسالة ماجستير)، ونظرية العامل عند الأنباري من خلال كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. لهدى حمادي (رسالة ماجستير).

ويتكوّن البحث من مقدمة، ومبحثين مسبوقين بتمهيد، وملتوّن بخاتمة؛ وهي كالآتي:

- التمهيد، وفيه الحديث عن مفهوم العامل لغةً واصطلاحاً، وأنواع العوامل.
 - المبحث الأوّل: أصول العامل وقواعده باعتبار القوّة والضعف.
 - المبحث الثاني: أصول العامل وقواعده باعتبار الحُضور والغياب.
- ثم عُرضت أهمّ نتائج البحث وتوصياته في الخاتمة.
- وعُني البحث بأصول العامل باعتبار القوة والضعف، وكذلك باعتبار الحضور والغياب، ثم عُرضت أهمّ خصائص استعمال القواعد الكلّيّة للعامل النحوي في كتاب الإنصاف عبر الخاتمة.

وقد سار هذا البحث على المنهج الوصفي؛ لأنّ حَيَزَ البحث محصوراً في كتاب الإنصاف، وكان لا بدّ بعد مناقشة كلّ قاعدة كلّيّة من البحث عمّن

استخدمها من علماء اللغة قبله؛ ومن منهج البحث تتبُّع الأقوال والتأكد منها، وكذلك العناية بتخريج الشواهد الشعرية وضبطها، وردّ القول إلى صاحبه. وأخيراً نسأل الله التوفيق والسداد، وأن نكون قد وُفِّقنا إلى ما فيه فائدة، وإلى الصواب، والكمال لله وحده خالق كلِّ شيء، وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

مفهوم العامل والقواعد الكلية

العامل لغةً:

مأخوذ من عَمِلَ عملاً فهو عامل^(١)، ويُجمع على (عوامل)، والعوامل الأرجل؛ فعوامل الدابة قوائمها؛ واحدها عاملة، والعامل هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، والعمل: المهنة والفعل^(٢).

العامل في الاصطلاح: هو "ما به يتقوّم المعنى المقتضي للإعراب"^(٣)، أو هو الذي يعمل في غيره، فيؤثّر في حركة آخره إن كان معرباً، أو في محله إن كان مبنياً^(٤)، أو هو "ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه الخصوص من الإعراب"^(٥)؛ والعامل نوعان:

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ، مادة (عمل) ١٥٣: ٢.

(٢) محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م)، مادة (عمل)، ٤٠١: ٩.

(٣) جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي ابن الحاجب، "الكافية في علم النحو". تحقيق الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م)، ص: ١١.

(٤) عاصم بيطار، "النحو والصرف". (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٩٠م)، ١٨-١٩. بتصرف.

(٥) علي الجرجاني، "معجم التعريفات". تحقيق محمد المنشاوي، (ط١، القاهرة: دار الفضيلة، بدون تاريخ)، ١٢٢.

أ_ **العامل اللفظي:** هو الملفوظ في التركيب، وهو الذي يُحدِث الحركات الإعرابيّة في نهاية الكلمة، وهو الذي يُتلفّظ به ك(من) و(إلى) في قولك: سِرْتُ من البصرة إلى الكوفة^(١).

ب_ **العامل المعنوي:** هو العامل المقدّر المفترض؛ كالتجرّد من الناصب والجازم الذي عللوا به رفع الفعل المضارع، والابتداء الذي علّلوا به رفع المبتدأ^(٢).

والقواعد الكليّة للعامل النحوي: هي آليّة من آليات ضبط الصناعة النحويّة، وهي جمل بسيطة تعبّر عن أحكام شاملة، تُستعمل أساساً فكريّاً للنظر في القضايا النحويّة، وهذه القواعد الكليّة تنظّم العلاقة بين العوامل والمعمولات، أو بين العوامل ذاتها، وتحدّد ما إذا كانت الوحدة التركيبية عاملةً أو غير عاملة، قويّة أو ضعيفة، وتنظّم العلاقة بين الأصول والفروع؛ ومن القواعد الكليّة:

١- لا يُجمَع بين العِوضِ والمعوّض منه.

٢- ما لا يختصُّ لا يعمل.

٣- لا بدّ للمعمول من عاملٍ.

٤- الأصل في العمل للأفعال.

٥- إذا رُكِبَ الحرفانِ بطلَ عملُ كلٍّ منهما منفردًا.

٦- الحرف لا يكونُ معمولًا.

٧- لا يقع المعمول إلا حيث يقع العامل.

٨- العاملُ أصيلٌ أو تابعٌ في عمله.

(١) محمد بن الحسن الكوفي الاستراباذي، "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تحقيق

يوسف حسن عمر، (ليبيا: جامعة قارونوس، ١٩٧٥م)، ١: ٦٤.

(٢) رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي". (منشورات مجمع اللغة العربية على

الشبكة العالمية، ١٤٣٥هـ)، ص ٣٥-٣٦ بتصرف.

- ٩- الفروع تنحطُّ عن الأصول في العمل.
- ١٠- العاملُ يعملُ مباشرةً وبواسطة.
- ١١- العوامل لا تتبادل العمل.
- ١٢- العامل قويٌّ وضعيف.
- ١٣- عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال.
- ١٤- الأصلُ في الأسماء أن لا تعمل.
- ١٥- أمُّ البابِ أصلٌ في العمل لأخواتها.
- ١٦- الأصلُ أن لا يُفصلَ بين العامل والمعمول^(١).

(١) للاستزادة راجع: مصطفى حمزة، "نظرية العامل في النحو العربي، دراسة تأصيلية وتركيبية". (ط١)، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٤م). الفصل الثالث (إحصاء أنواع العوامل)، ص ١٧١، وكذلك دخيل بن غنيم العواد، "الإجماع في النحو العربي، دراسة أصولية نحوية". رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١٥هـ)، من منشورات دار المنظومة، المبحث الثالث.

المبحث الأول: أصول العامل وقواعده باعتبار القوة والضعف

١- الأصل في العمل للأفعال:

من المعلوم أنَّ العامل الأقوى والأكثر شيوعاً واطراداً في النحو هو الفعل؛ لذلك جعله النحاة هو الأصل في العمل^(١)، وباقي العوامل محمولة عليه؛ لأنَّك إن هممت بالعمل، فأول ما يتبادر إلى ذهنك كون عملك هذا حديثاً مرتبطاً بزمان ماضٍ أو حاضرٍ أو مستقبل، ولأنَّ أكثر ما يرد عن العرب من أسباب العمل وعلاماته إنما هو للأفعال، ومن ثمَّ فأصل عمل الفعل ركن مكين في النظرية النحويَّة^(٢).

وقد ذكر الأنباري هذا الأصل في ردِّه على بعض البصريين^(٣) القائلين بجواز تقدُّم معمول "ليس" عليها، وتأييده الكوفيين على مذهبهم القائل: إن خبر "ليس" لا

(١) انظر: يعيش بن علي ابن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري". (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ٢: ١٦؛ وأبو محمد المرادي، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك". تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، (ط١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م)، ١: ٤٧٩؛ وابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك". تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ)، ١: ١٨١؛ وأبو البقاء العكبري، "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق غازي مختار طليمات، (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥م)، ١: ٤٠؛ وعلي بن مؤمن ابن عصفور، "شرح جمل الزجاجي". تحقيق فواز الشعار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١: ١٥٩؛ ومحمد بن علي الصبان، "حاشية الصبان". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ١: ٩٨-٤٢٥.

(٢) انظر: حسن خميس الملخ، "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي". (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م)، ص ٨١.

(٣) أجاز ابن جني تقديم خبر ليس فهو يرى أنه مذهب أكثر البصريين والكوفيين، وكذلك ابن عصفور؛ أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص". تحقيق محمد علي النجار، (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١: ٨٨.

يتقدّم عليها^(١)؛ لأنها جامدة، فالـ"ليس" فعل غير مُتصَرّف، فلا يجري مجرى الفعل المتصَرّف كما أُجريت "كان" مجراه؛ لأنها متصرفة، فأما إذا كان غير متصرف في نفسه، فينبغي أن لا يتصَرّف عمله^(٢).

ومع إقرار الأنباري أنّ أصل الفعل العمل، فإنّه يُعارض البصريين في تقديم معموها عليها، فيقول: "وأما قولهم إنّ الأصل في العمل للأفعال، وهي فعل يعمل في الأسماء المعرفة والنكرة، والمظهرة والمضمرة، قلنا هذا يدل على جواز إعمالها؛ لأنها فعل، والأصل في الأفعال أن تعمل، ولا يدل على جواز تقديم معموها؛ لأنّ تقديم المعمول على الفعل يقتضي تصرّف الفعل في نفسه وليس فعل غير متصرف^(٣)، ثم يعود ويؤكد بأنّه عمل بمقتضى دليلين؛ فيقول: "فأثبتنا لها أصل العمل لوجود أصل الفعلية وسلبنها وصف العمل لعدم وصف الفعلية وهو التصرف"، وبذلك يكون الأنباري على مذهب الكوفيين، وإليه ذهب أبو العباس المبرّد، والزجاج، وابن السراج، والسيوافي، والجرجاني من البصريين^(٤)، وأكثر المتأخّرين ومعهم ابن مالك^(٥).

(١) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ابن الأنباري، "أسرار العربية". تحقيق فخر صالح قدارة، (ط١، بيروت: دار الجليل، ١٩٩٥م)، ص: ٧٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين". (دمشق: دار الفكر، بدون تاريخ)، ١: ٦٢.

(٣) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٦٣.

(٤) انظر: بكر محمد بن السري ابن السراج، "الأصول في النحو". تحقيق عبد الحسين الفتلي، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م)، ١: ٩٠؛ ومحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد، "المقتضب". تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، (بيروت: عالم الكتب)، ٣: ١٠٠، ٤: ١٩٦.

(٥) انظر: محمد بن عبد الله الطائي ابن مالك، "شرح الكافية الشافية". تحقيق عبد المنعم

أَمَّا سيبويه فقد اختلف النقل عنه؛ إذ نقل أبو حيان في الارتشاف الخلاف الواقع في هذه المسألة، فقال: "وأما تقديم خبر (ليس) عليها؛ فذهب جمهور الكوفيين، والمبرد، والزجاج، وابن السراج، والسيوافي، وأكثر المتأخرين إلى أنه لا يجوز. وذهب قدماء البصريين، والفرّاء، وأبو علي في المشهور، وابن برهان، والزحشري، والأستاذ أبو علي الشلوين إلى جواز ذلك. واختاره ابن عصفور، واختلف النقل في ذلك عن سيبويه، فنُسب الجواز والمنع إليه"^(١).

وَحُجَّةٌ مِّنْ أَجَازِ التَّقْدِيمِ، ورود ذلك في السماع: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾^(٢) ف"يوم يأتيهم" منصوب بخبر "ليس" الذي هو (مصروفًا) وقد تقدّم عليه، وتقديم المفعول يؤذن بتقديم العامل فيه، فتقديم (يوم) يؤذن بتقديم (مصروفًا)؛ فثبت بهذا أنَّ تقديم خبر "ليس" جائز^(٣).

والذي أراه -والله أعلم- أنه يجوز تقديم خبر "ليس" عليها؛ يؤكد ذلك تحليل الزحشري الآية نحوياً: "(يَوْمَ يَأْتِيهِمْ) منصوب بخبر (ليس) ويستدل به مَنْ يُجَوِّزُ تقديم

=

هريدي، (بغداد: دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م)، ١: ٣٩٧؛ وعبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط ٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠م)، ١: ٢٧٧-٢٧٨.

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق ودراسة رجب عثمان محمد، مراجعة رمضان عبد التواب، (ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٢: ٨٧؛ وابن عقيل، "شرح ابن عقيل"، ١: ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) هود: ٨.

(٣) انظر: عثمان بن عمر ابن الحاجب، "شرح الوافية نظم الكافية". تحقيق موسى علوان، (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٨٠م)، ص: ٣٦٧-٣٦٨.

خبر (ليس) على (ليس)، وذلك أنَّه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها؛ إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل^(١).

وقد اعتمد الأنباري هذا الأصل أيضاً في موافقته للبصريين في مسألة عامل النصب في الظرف الواقع خبراً؛ إذ ذهب البصريون إلى أنَّ العامل في نصب الفعل الواقع خبراً فعلٌ مقدَّر، والتقدير: زيد استقرَّ أمامك^(٢)، أمَّا الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ الظرف منصوب على الخلاف؛ فالظرف يُقدَّر (في) ثمَّ عُذِلَ عن ذلك ونُصِب، فكان نصبه لمخالفته الأصل؛ ولذلك نراه يقول: "والصحيح عندي هو الأول؛ وذلك لأنَّ اسم الفاعل فرع على الفعل في العمل وإن كان هو الأصل في غير العمل، فلمَّا وجب هاهنا تقدير عامل كان تقدير ما هو الأصل في العمل وهو الفعل أولى من تقدير ما هو الفرع فيه وهو اسم الفاعل"^(٣).

يُتَّضح لنا ممَّا سبق أنَّ العامل في نصب الظرف الواقع خبراً فعلٌ مقدَّر؛ لأنَّ الأصل في العمل للأفعال، وهو لا بدَّ أن يكون عاملاً؛ فهو دائماً يرفع فاعلاً، ويتعدَّى إلى المصدر والمكان والزمان، ويتعلَّق بالجار والمجرور والظرف، وهناك أفعال تنصب مفعولاً به وحداً، ومفعولين، وثلاثة مفاعيل.

٢- الفروع تنحط عن الأصول في العمل:

يُقصد بهذا الأصل أنَّ الفرع وإنَّ حُمِلَ على الأصل فأخذ حكمه، فإنَّ الأصل

(١) محمود بن عمر الرمخشري، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل".

تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، ٢: ٣٦٢.

(٢) انظر: ابن الحاجب، "الكافية في النحو"، ١: ٣٩؛ وابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٢٤٦.

(٣) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ١٩٨.

يبقى له مزايا لا تصل لها الفروع؛ لذلك جاءت هذه القاعدة الأصوليّة لتؤكد أنّه يجب على الفرع أن يحفظ خاصيّة الفرعيّة التي هي الضعف عن الأصل؛ فالعوامل الفروع هي عوامل غير أصيلة جاءها الأعمال لصلة لها بالفعل؛ ولذلك يبني النحاة على أصالة عمل الفعل وجوب انحطاط الاسم والحرف إذا عملاً عن الفعل تحقيقاً لفرعيّتهما^(١).

ولأجل هذا الأصل عارض الأنباري^(٢) مذهب الكوفيين في مسألة (القول في إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير صاحبه)؛ إذ ذهبوا إلى أنّ الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لا يجب إبرازه، نحو قولك: (هند زيد ضاربتة هي)^(٣).

في حين ذهب البصريون^(٤) ووافقهم الأنباري إلى أنه يجب إبراز الضمير^(٥)، ودليلهم على أنه يجب إبرازه -إذا جرى على غير من هو له- أنّاً أجمعنا على أنّ اسم الفاعل فرع عن الفعل في تحمل الضمير؛ إذ كانت الأسماء لا أصل لها في تحمّل الضمير وإنما يضمّر فيما شابه منها الفعل، كاسم الفاعل نحو: ضارب وقتل، فإذا ثبت أن اسم الفاعل فرع عن الفعل، فلا شك أن المشبّه بالشيء يكون أضعف منه

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٦: ٧٨؛ وحسن خميس الملخ، "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي"، ص: ٨١.

(٢) يؤمن أبو البركات الأنباري بهذا الأصل ويؤكد عليه في عدد من المسائل، انظر: ابن الأنباري، "أسرار العربية"، ١: ٢٢٤، ٢٤٨.

(٣) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٥٨؛ وابن جني، "الخصائص"، ١: ١٨٦.

(٤) انظر: المبرد، "المقتضب" ١: ١٥١؛ وابن السراج، "الأصول" ١: ٧٠.

(٥) وتبعه العكبري وابن مالك في ألفيته: انظر: العكبري، "اللباب"، ١: ١٣٨؛ وابن عقيل، "شرح ابن عقيل"، ١: ٢٠٧.

في ذلك الشيء، فلو قلنا: إنه يتحمل الضمير في كل حالة إذا جرى على مَنْ هو له، وإذا جرى على غير مَنْ هو له لأدى ذلك إلى التسوية بين الأصل والفرع، وذلك لا يجوز؛ لأن الفروع أبداً تنحط عن درجة الأصول^(١)؛ فقلنا إنه إذا جرى على غير مَنْ هو له يجب إبراز الضمير ليقع الفرق بين الأصل والفرع^(٢).

ومن هذا القبيل: عدم تجويز البصريين تقديم معمول اسم الفعل عليه، في مثل قولنا: عليك زيداً وعندك عمرٌا ودونك بكرٌا، وحجَّتْهم في ذلك "أنَّ هذه الألفاظ فرع عن الفعل في العمل؛ إذ الفروع أبداً تنحطُّ عن درجات الأصول"؛ لأنها إنما عملت عمله لقيامها مقامه، فينبغي أن لا تتصرف تصرفه، فوجب أن لا يجوز تقديم معمولاتها عليها"^(٣).

وبهذا أرى أنَّ اسم الفاعل فرع عن الفعل في العمل، وحتى يتميَّز الأصل عن الفرع، فإنَّ الفرع لا يأخذ كلَّ خصائص الأصل، وهذا ما يُسمَّى بتدني الفروع عن الأصول؛ فالعامل الفرع قد يكون فرعاً لأصله، وأصلاً لغيره، فكما "أن بعض العوامل عامل فرع عن فعل، فإنَّ لبعضها هي أيضاً فروعاً تنبثق عنها، وتلحق بها، ف"ما، ولا، ولات، وأن، المشبهات بليس"، محمولة على ليس، وملحقة بها، ولها في كتب النحو حيزٌ خاصٌّ يرِدُّ عقب باب "كان"، مما يُشعر بتبعيَّتها لها ولحوقها بها"^(٤).

٣- العامل يعمل مباشرة وبواسطة:

غالبًا ما تكون العلاقة بين العامل والمعمول مباشرة، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر،

(١) وافق ابن عيش الأنباري في هذا الأصل، انظر: ابن عيش، "شرح المفصل"، ٦: ٧٨.

(٢) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٦٠.

(٣) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٢٢٩.

(٤) رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي"، ص: ٢٦٩.

والمضاف إليه، والجار والمجرور، إلا أن هذه القاعدة ليست مطردة دائماً؛ فقد نجد نوعاً آخر من العمل يتم بـ"واسطة" سواء أكان بأداة أو غيرها، وهذا موجود في عدد من الأبواب النحويّة، وقد استعان الأنباري بهذا الأصل في مسألة القول في رافع المبتدأ والخبر^(١)؛ فهو يرى أنّ "الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ؛ لأنه لا ينفك عنه، ورتبته أن لا يقع إلا بعده؛ فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ"^(٢).

ويُقرّب ذلك أكثر، فيشبهه بالنار التي تُسخّن الماء بواسطة قدر، ويمثل هذا التشبيه -لتأكيد رأيه- يُورده مرةً ثانيةً في مسألة عامل الجزم في جواب الشرط، فيقول: "والتحقيق فيه عندي أنّ (إن) هو العامل في جواب الشرط بواسطة فعل الشرط؛ لأنه لا ينفك عنه؛ فحرف الشرط يعمل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا به، كما أنّ النار تسخن الماء بواسطة القدر والخطب؛ فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما؛ لأنّ التسخين إنما حصل بالنار وحدها، فكذلك هاهنا إنه هو العامل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا أنه عامل معه"^(٣).

ونلاحظ إيمان الأنباري بهذا الأصل وإن لم نرَ تصريحاً بالعامل الذي يعمل مباشرةً، وبهذا يكون استقلّ برأيه وانفرد عن البصريين والكوفيين^(٤)؛ إذ "ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار، واختلف البصريون فذهب الأكثرون إلى أن العامل فيهما حرف الشرط، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط، وذهب أبو عثمان المازني إلى أنه مبنيٌّ على

(١) هذه المسألة يدخل فيها عدة أصول لذلك لم نسهب هنا في ذكر المذاهب.

(٢) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٦-٤٧.

(٣) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٦؛ وابن الأنباري، "أسرار العربية"، ١: ٨٦.

(٤) اختار هذا الرأي ابن يعيش. انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٨٥.

الوقف" (١).

وبذلك أرى أنَّ قاعدة عمل العامل مطَّردة في أغلب العوامل النحويَّة؛ لأننا عندما نتتبع مذاهب النحاة في العامل المباشر والعامل بواسطة، نجد أنَّ هناك مسائل عديدة أثارها النحاة، فمن أبرز مواضع النحو المقول فيها بواسطة: نصب المستثنى؛ إذ يرى البصريون أنه عمل بواسطة الأداة (٢)، "وقد قال ابن يعيش والمالقي إن هذا رأي سيبويه" (٣).

وقد نَبَّه الأشموني إلى "أنَّ النحاة في كتبهم يقدِّمون المفعول المطلق، ثم المفعول، ثم المفعول فيه، وتقديم المفعول فيه على المفعول معه؛ لأنه يصل إلى معموله بنفسه لا بواسطة حرف ملفوظ" (٤)، وهذا دليل على تفضيلهم النوع الأول من العمل على الثاني "بواسطة".

٤ - العامل قوي وضعيف:

غالبًا ما يتردَّد هذا الأصل في كتب النحاة (٥)، وعلى أساسه تحكم في تجويز

(١) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٦٠٨.

(٢) انظر: أبو الحسن الرماني، "معاني الحروف". تحقيق عرفان سليم العشاء، (ط١)، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م، ص: ١٨٤؛ وابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٢٦١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ٧٦.

(٣) رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي"، ص: ٢٧٠.

(٤) المرجع السابق؛ وانظر: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك". (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١: ٤٨٥.

(٥) توضيح: المراد بالعامل الضعيف: هو العامل الملاصق لمعمولاته فلا ينفك عنه، والعامل القوي: هو العامل الذي يصح أن يكون غير ملاصق لمعموله، وقد يكون العامل مرةً قويًا، ومرةً

أسلوبٍ ومنع آخر، ومن المعلوم أنَّ أقوى العوامل (الفعل)، وعليه تناولنا الأصل الأول (الأصل في العمل للأفعال)؛ ولهذا فإنَّ من أبرز الحقائق المندرجة تحت هذا الأصل أنَّ العامل اللفظي أقوى من العامل المعنوي^(١)، وعليه فهو يُبطل أثر العامل المعنوي، وخير دليل على ذلك: دخول النواسخ -وهي عوامل لفظية- على المبتدأ الذي عمل فيه الابتداء وهو عامل معنوي، فأبطل أثره ونسخ عمله، كما أنَّ هناك تفاوتاً في القوة داخل كل من العوامل اللفظية والمعنوية؛ فالعامل اللفظي مع قوته متفاوت؛ فعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال^(٢)، وستتناول هذا الأصل بالتفصيل بمشيئة الله.

وإذا ما تتبَّعنا حديث الأنباري عن ضَعْف العوامل وقوتها؛ فإنَّنا لا نكاد نجد إلا تضعيفه لمذهب الكوفيين لمسألة رفع المبتدأ والخبر^(٣)؛ إذ يقول: "وأما مَنْ ذهب إلى أنَّ الابتداء يعمل في المبتدأ، والمبتدأ يعمل في الخبر، فقالوا: إنما قلنا إن الابتداء يعمل في المبتدأ، والمبتدأ يعمل في الخبر دون الابتداء؛ لأن الابتداء عامل معنوي والعامل المعنوي ضعيف، فلا يعمل في شيئين كالعامل اللفظي"^(٤). ويرى الأنباري أنه رغم كون الابتداء عامل معنوي ضعيف مقارنة بالعمل

=

ضعيفاً، نحو: (إنَّ) إذ يصح أن يقول: (إن في المكتبة علماً غزيراً) فيفصل بين (إنَّ) وبين الاسم الذي حل بعدها بالجارِّ والمجرور؛ ف(إنَّ) في هذا الموضع تُستعار لها صفة (القوة)، فيقال: (إن) في هذا الموضع عامل قوي، انظر: الإجابة في أصول فقه النحو: ٦٢.

(١) انظر: رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي"، ص: ٢٨٠.

(٢) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٥٢٩؛ وابن الأنباري، "أسرار العربية"، ١: ٧٨.

(٣) انظر: المبرد، "المقتضب" ٢: ٤٩؛ وابن السراج، "الأصول" ١: ٦٢؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٨٣.

(٤) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٧.

اللفظي، إلا أنَّ هذا لا يمنعه من العمل في اسمين (وهذا ما أراه أيضاً)، فمتى وجب كونه عاملاً في المبتدأ وجب أن يعمل في خبره؛ لأن خبر المبتدأ يتنزل منزلة الوصف، ويمثل لذلك بقوله: "ألا ترى أنَّ الخبر هو المبتدأ في المعنى، كقوله (زيد قائم، وعمرو ذاهب)، أو منزل منزلته، كقوله (زيد الشمس حسناً، وعمرو الأسد شدةً) أي يتنزل منزلته"^(١).

وقد أشار الزمخشريُّ إلى رافع الخبر؛ إذ يرى أنَّ كون المبتدأ والخبر مجردين للإسناد فالابتداء رافعهما^(٢)؛ وذلك لأنَّ المعنى الذي اقتضى أن يكون أحدهما المبتدأ، هو المعنى الذي اقتضى أن يكون الآخر خبراً، فصار المصحح لمقتضى الإعراب فيهما واحداً؛ فوجب أن يكون العامل فيهما^(٣).

٥ - عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال:

اشتهر بين النحويين أنَّ عوامل الأفعال أضعف من عوامل الأسماء^(٤)، وعلَّلوا ذلك بأنَّ الأفعال أدوات للأسماء تعمل فيها، كما تعمل فيها الحروف الناصبة والجارّة، وإن كانت الأفعال أقوى في ذلك؛ ولذا كان الأصل ألاَّ يعمل في الأفعال؛ لأنَّ الإعراب لا يكون إلا بعامل، فإذا جُعِل لها عوامل تعمل فيها لزم أن يجعل لعواملها

(١) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٧؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢٨٨: ١.

(٢) محمود بن عمر الزمخشري، "المفصل في علم العربية". تحقيق فخر الدين قباوة، (ط١، عمان: دار عمان، ٢٠٠٤م)، ص: ٤٨.

(٣) انظر: موسى بناي العليلي، "الإيضاح في شرح المفصل". (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٧٦م)، ١: ١٨٣.

(٤) انظر: المبرد، "المقتضب" ٤: ٨٠؛ وابن جني، "الخصائص"، ٢: ٣٨٨؛ والعكبري، "اللباب"، ٢: ٣٢، ٣٦.

عوامل، وكذلك لعوامل عواملها إلى ما لا نهاية.

ويمكن سبب قوة عوامل الأسماء في "أنها تحملتُ شبهاً قوياً بالفعل فعملتُ إلحاقاً به، فإنها تشبه الفعل من خمسة أوجه: وهي أنها على وزن الفعل، وأنها مبنية على الفتح، وأنها تتطلب الاسم كما يتطلبه الفعل، وأنها تدخلها نون الوقاية كما تدخل الفعل، وأن فيها معنى الفعل وهي بمعنى حققتُ أو أكذبتُ"^(١).

ولهذا نرى أنَّ الأفعال مبنية إلا المضارع لمشابهته للأسماء؛ إذ يقع موقعها ويؤدّي معانيها، فيرفع، ويُنصب، ويُجرّم، ولما كان الأصل أن لا يعمل في الأفعال شيء لزم إذا عمل في المضارع ناصب، أو جازم أن لا يحذف^(٢)، إلا أنَّ الكوفيين لهم رأي آخر؛ وهو أن فعل الأمر معرب مجزوم بـ(لام) مقدّرة^(٣)، وأمّا البصريون ووافقهم الأنباري، فيرون أنه مبني على السكون، وحجّتهم في ذلك أنَّ "حرف الجرّ لا يعمل مع الحذف، فحرف الجزم أولى؛ لأنَّ حرف الجر أقوى من حرف الجزم؛ فحرف الجر من عوامل الأسماء وحرف الجزم من عوامل الأفعال، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال، فإذا كان الأقوى لا يعمل مع الحذف فالأضعف أولى"^(٤).

بذلك يكون الأنباري قد أيّد هذا الأصل حينما وافق على مذهب البصريين في تلك المسألة، وأيضاً في مسألة عامل النصب في الفعل المضارع بعد فاء السببية؛ إذ ذهب الكوفيون إلى أن "الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب الستة الأشياء التي هي: الأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض، ينتصب بالخلاف"^(٥).

(١) رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي"، ص: ٢٨٣.

(٢) انظر: العكبري، "اللباب" ٢: ١٧؛ وابن عقيل، "شرح ابن عقيل"، ١: ٣٨.

(٣) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٥٢٤.

(٤) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٥٢٩.

(٥) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٥٥٧.

في حين ذهب البصريون إلى أنه ينتصب بإضمار "أَنْ" وجوباً بعد الفاء^(١)، فوجب تقدير "أَنْ"؛ لأنها مع الفعل بمنزلة الاسم، وهي الأصل في عوامل النصب في الفعل، فجاز أن تعمل "أَنْ" الخفيفة مع الحذف دون "أَنَّ" المشددة، وإن كانت المشددة أقوى من الخفيفة؛ لأن المشددة من عوامل الأسماء، والخفيفة من عوامل الأفعال، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال^(٢).

وإلى ذلك ذهب سيبويه، فقال: "اعلم أَنَّ ما انتصب في باب الفاء ينتصب على إضمار أَنْ ... تقول لا تأتيني فتحدثني لم ترد أَنْ تدخل الآخر فيما دخل فيه الأول، فتقول لا تأتيني ولا تحدثني، ولكنك لما حوِّلت المعنى عن ذلك تحوَّل إلى الاسم، كأنك قلت: ليس يكون منك إتيانٌ فحديثٌ، فلما أردت ذلك استحال أَنْ تضم الفعل إلى الاسم فأضمروا "أَنْ"؛ لأن "أَنْ" مع الفعل بمنزلة الاسم فلما نوَّوا أَنْ يكون الأول بمنزلة قولهم: لم يكن إتيانٌ، استحالوا أَنْ يضموا الفعل إليه، فلما أضمروا "أَنْ" حَسُنَ؛ لأنه مع الفعل بمنزلة الاسم"^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أَنَّ الأنباري استعمل هذه القاعدة في مسألة عمل "أَنْ" المصدرية محذوفة من غير بدل، وذلك في أثناء ردِّه لمذهب الكوفيين الذين يرون إعمال (أَنْ) مع الحذف من غير بدل؛ إذ أكَّد على عدم عمل (أَنْ) الخفيفة عند الحذف حملاً على (إِنْ) المشددة، حين قال: "(أَنَّ) المشددة من عوامل الأسماء، و(أَنْ) الخفيفة من عوامل الأفعال، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال، وإذا

(١) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٥٥٧؛ والعكبري، "اللباب"، ٢: ٣٧.

(٢) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٥٥٨.

(٣) عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، "كتاب سيبويه". تحقيق عبد السلام محمد هارون، (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤م)، ٣: ٢٨.

كانت (أن) المشددة لا تعمل مع الحذف وهي الأقوى، فإن لا تعمل (أن) الخفيفة مع الحذف، وهي الأضعف كان ذلك من طريق الأولى^(١).

ويرى سيبويه أن "أن" لا تعمل محذوفة إلا في ضرورة شعرية^(٢)، ويبدو أن هذا الأصل يرتبط بقاعدة الأصل في الإعراب للأسماء، والتي سيفصل عنها إن شاء الله.

٦- أم الباب أصل في العمل لأخواتها:

قد تكون هناك سمات مشتركة لعدد من الأدوات، والأفعال، وغيرها؛ لذلك جُمع النحاة كثيرًا من الأدوات العوامل داخل أبواب، وجعلوا لبعض الأبواب أصولًا وفروعًا عليها، وعبروا عن هذا الأصل بعبارات مثل: "أصل الباب"، و"أم الباب" لما تتميز به من سعة في التصرف وكثرة الاستعمال^(٣).

ففي المصادر النحوية نرى باب كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظن وأخواتها، وإن الشرطية... إلخ؛ إذ حكى سيبويه أن الخليل كان يرى "إن" الشرطية هي أم حروف الجزاء، وهي أم؛ لأن غيرها من الأدوات يفارق الشرطية إلى غيرها من المعاني؛ ف"من" قد تغادر الشرطية أو تكون مشربة شرطية ووصلاً^(٤)، ويعلل السيرافي كونها أم حروف الجزاء؛ لأنه قد يُسكت عليها ويُحذف الشرط بعدها والجواب، ولا يُفعل ذلك بغيرها^(٥).

(١) المرجع السابق: ٥٦٣/٢؛ وسعيد الأفغاني، "الإعراب في جمل الإعراب ولمع الأدلة في أصول

النحو" (ط ١، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م)، ص: ١٣٨.

(٢) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٩٩.

(٣) انظر: حسن خميس الملخ، "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي"، ص: ٩٨.

(٤) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٣.

(٥) انظر: الحسن بن عبد الله السيرافي، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق علي سيد سعيد، (ط ١،

بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ٣: ٢٦٤.

وإذا ما تَبَعْنَا الأَنْبَارِي فِي كِتَابِ الْإِنْصَافِ، نَرَاهُ يُسَلِّمُ بِهَذَا الْأَصْلِ حِينَ ذَكَرَ أَنَّ "إِنْ" الشَّرْطِيَّةَ هِيَ الْأَصْلُ فِي بَابِ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ فِي رَدِّهِ لِمَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ رَفَعَ الْأِسْمِ بَعْدَ "إِنْ" الشَّرْطِيَّةَ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ لِلْفِعْلِ؛ مِثْلُ: إِنْ زَيْدٌ أَتَانِي آتَهُ^(١)، حِينَ قَالَ: "(إِنْ) هِيَ الْأَصْلُ فِي بَابِ الْجَزَاءِ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ تَقْدِيمِ الْأِسْمِ الْمَرْفُوعِ بِالْفِعْلِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَتَقَدَّمَ مَا يَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي كَلَامِهِمْ، فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا بِتَقْدِيرِ فِعْلٍ وَيَكُونَ الْفِعْلُ الظَّاهِرُ مُفَسَّرًا"^(٢)، ثُمَّ نَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ "إِنْ" هِيَ الْأَصْلُ وَقَدْ اخْتَصَّتْ بِجَوَازِ تَقْدِيمِ الْمَرْفُوعِ، وَلَكِنْ بِشَرَطِ تَقْدِيرِ فِعْلٍ مَعَ الْفِعْلِ الْمَاضِي خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالظُرُوفِ الَّتِي يَجَازِي بِهَا، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: إِنْ أَتَانِي زَيْدٌ، ثُمَّ يُعَلَّلُ ذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ هُمَا:

- ١- لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَتِلْكَ الْأَسْمَاءُ وَالظُرُوفُ فَرَعُ عَنْهَا.
- ٢- أَنَّ الْأَصْلَ يَتَصَرَّفُ مَا لَا يَتَصَرَّفُ الْفَرَعُ، وَيُمَثِّلُ لِذَلِكَ يَقُولُ: "أَلَا تَرَى أَنَّ هَمْزَةَ الْاسْتِفْهَامِ لَمَّا كَانَتْ هِيَ الْأَصْلُ فِي حُرُوفِ الْاسْتِفْهَامِ جَازَ فِيهَا مَا لَمْ يَجْزِ فِي غَيْرِهَا مِنْ حُرُوفِ الْاسْتِفْهَامِ، فَكَذَلِكَ هَاهُنَا"^(٣).

وَيَعُودُ الْأَنْبَارِيُّ وَيُرِيدُ عَلَى اسْتِشْهَادِهِمْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَمَنْ حُنَّ نُؤْمَنُهُ يَبْتَ وَهُوَ آمِنْ وَمَنْ لَا نُجْرُهُ يُمَسِّ مِنَّا مُفَرَّعًا^(٤)

بِأَنَّ ذَلِكَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ قَدَّرَ فِعْلَ بَعْدَ "مَنْ" وَهِيَ فَرَعٌ عَنْ "إِنْ" فِي الْكَلَامِ، فِإِذَا

(١) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٦١٧.

(٢) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٦١٧.

(٣) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٢١٨.

(٤) البيت لهشام المري، وهو من بحر الطويل، انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ١١٤؛ والمبرد،

"المقتضب"، ٢: ٧٥؛ وابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٣: ٢٨١؛ وخزانة

الأدب ولب لباب لسان العرب: ٩/٤٢؛ الصبان، "حاشية الصبان"، ٤: ٤٣.

كان ذلك ضعيفاً في "إن" وهي الأصل، ففيما هو فرع عنها أولى.
ويكون الأنباري بذلك موافقاً لمذهب البصريين وعلى رأسهم سيبويه^(١)،
والمبرد^(٢)، وهذا ما أراه أيضاً؛ لأنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل
باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل، ولا يجوز أن يكون الفعل هاهنا عاملاً فيه؛ لأنه لا
يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه، فلو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعاً بلا رافع،
وذلك لا يجوز؛ فدلّ على أن الاسم يرتفع بتقدير فعل، وأن الفعل المظهر الذي بعد
الاسم يدل على ذلك المقدر^(٣).

وقد اكتفيْتُ بالحديث عن مسألة واحدة؛ لأني لم أجِد حديثاً للأنباري في هذا
الأصل إلا مسألة - "إن" الشرطيّة - في كتابه الإنصاف، أما في غير الإنصاف فنجدّه
يتحدث عن أصل باب القسم، وهي: الباء^(٤)، وأن "الواو" هي أصل باب العطف
و"إن" أصل حروف النصب.

(١) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٦٣، ٣: ١١٣-١١٤.

(٢) انظر: المبرد، "المقتضب"، ٢: ٧٧.

(٣) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ٢: ٦١٦.

(٤) انظر: ابن الأنباري، "أسرار العربية"، ١: ٢٠٣-٢١٩-٢٣٥.

المبحث الثاني: أصول العامل باعتبار الحضور والغياب

١ - إذا رُكِبَ الحرفان بطل عمل كلٍ منهما:

من بين المسائل الخلافية التي تطرق لها أبو البركات الأنباري في كتابه واستعمل فيها هذا الأصل، مسألة "القول في إعراب الاسم الواقع بعد مذ ومنذ"^(١)؛ إذ ذهب الكوفيون ومنهم الفراء إلى أن "مُذ ومنذ إذا ارتفع الاسم بعدهما ارتفع بتقدير فعل محذوف"^(٢)، وكان تحليلهم على ذلك أن "مذ ومنذ مركبة من (إن وإذ) فكان الرفع بتقدير فعل، فتقول في ما رأيته مذ يومان: ما رأيته منذ مضى يومان"^(٣)، بينما ذهب البصريون ووافقهم الأنباري إلى أنهما "يكونان اسمين مبتدئين، ويرتفع ما بعدهما؛ لأنه خبر عنهما، ويكونان حرفين جارّين، فيكون ما بعدهما مجرورًا بهما"^(٤).

ويردُّ الأنباري على الذين يرون أن (مذ ومنذ) مركبتان من: من وإذ واستشهدوا بمثال: ما رأيته منذ يومان، فيقول: "إن (من) لو كانت مؤلفة لـ "منذ" لما صح لها أن تعمل؛ لأن الحرفين إذا رُكِبَا بطل عمل كل منهما منفردًا"^(٥)، ويرى أنَّ (هل) التي هي أداة استفهام لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، لكنّها لما رُكِبَت مع "لا" صارت "هالًا" فانتقلت إلى معنى التحضيض^(٦)، فتغير حكمها فصار جائزًا أن يعمل ما بعدها فيما

(١) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ١٨١.

(٢) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ١٨١.

(٣) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٣٨٢.

(٤) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ١٨١.

(٥) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٣٩٢-٢٩٤.

(٦) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٢١٣؛ والحسن بن القاسم المرادي، "الجنى الداني في حروف المعاني". تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، (حلب: المكتبة

قبلها، فيُقال: زيدًا هَلَّا أكرمت^(١).

وإذا كان الأنباري يرى بأن الحرفين يَبْطُلُ عمل كل واحد منهما منفردًا، فهو لم يكن من ابتدع هذا الأصل؛ فقد سبقه الخليل الذي يُوَكِّد أن الحرفين بعد التركيب يحدث لهما حكم آخر^(٢)، ويُعَلِّل ابن جني رأي الخليل، فيقول: "فهذا يدلّك على أن الشيئين إذا خُلِطَا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا"^(٣)، وهذا ما يراه ابن جني أيضًا حين قال: "فيحدث لهما في التركيب ما لم يكن لهما مع الأفراد"^(٤).

وفي موضع آخر يستعمل الأنباري هذا الأصل في دحض دعوى الفرّاء في مسألة القول في العامل في المستثنى النصب؛ فهو يرى أن الأداة "إلا" مركّبة من "أن" و"لا" والمستثنى بعدها منصوب بأن^(٥)، وهذا ما أراه، ويُوَكِّد ذلك أن "كل حرفين رَكِبَ أحدهما مع الآخر، فإنه يبطل حُكْم كل واحد منهما عمّا كان عليه في حالة الأفراد، ويحدث لهما بالتركيب حكم آخر، وصار هذا بمنزلة الأدوية المركّبة من أشياء

=

العربية، ٩٣٧م)، ص: ٢٧١.

(١) رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي"، ص: ٢٦٥.

(٢) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، "سر صناعة الإعراب". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ١: ٦٤.

(٤) المرجع السابق: ١: ٣٠٦.

(٥) انظر: الحسن بن القاسم المرادي، "الجنى الداني في حروف المعاني"، ص: ٥١٧؛ وأبو الحسن

الرماني، "معاني الحروف"، ص: ١٢٦؛ ورياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو

العربي"، ص: ٢٦٥.

مختلفة، فإنه يبطل حكم كل واحد منها عمّا كان عليه في حالة الإفراد^(١).

٢- العوامل لا تتبادل العمل:

العامل حقه التقديم والمعمول حقه التأخير، ومن ثمّ فالأصل أن الكلمات لا تتبادل العمل؛ لأنه من المحال أن تكون الكلمة متقدمة متأخرة، وقد عبّر أبو البركات الأنباري عن هذا الأصل بعبارة "لا يدخل عامل على عامل"^(٢) أثناء رده على مذهب الكوفيين في مسألة رفع المبتدأ والخبر القائلين: إن المبتدأ والخبر يترافعان، كل منهما يرفع الآخر؛ إذ قال: "والوجه الثاني أن العامل في الشيء ما دام موجودًا لا يدخل عليه عامل غيره؛ لأنّ عاملاً لا يدخل على عامل، فلمّا جاز أن يُقال: (كان زيد أخاك وإن زيدا أخوك وظننتُ زيدا أخاك) بطل أن يكون أحدهما عاملاً في الآخر"^(٣).

وقد أيّد الأنباري مذهب البصريين - ومنهم سيبويه - إلى أن عامل الرفع في المبتدأ هو الابتداء، يقول سيبويه: "الابتداء لا يكون إلا بمبنى عليه، فالمبتدأ الأول والمبنى ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه"^(٤)، وهذا ما ذهب إليه أغلب النحويين؛ كالمبرد^(٥)، وابن السراج^(٦)، وابن جني^(٧)، وابن يعيش^(٨)،

(١) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٢٦٤.

(٢) لم يكن الأنباري هو من ابتدع هذا الأصل حيث استعمل المبرد هذا الأصل بهذه العبارة في المقتضب، انظر: المبرد، "المقتضب"، ١: ٢٤٧.

(٣) ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٨.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ١: ١٢٦.

(٥) انظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٢٦.

(٦) انظر: ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٨.

(٧) انظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٢٦.

(٨) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٨٤.

والعكبري في اللباب^(١).

أمّا عن اختلافهم في رافع الخبر، فذهب جمهور البصريين^(٢) وعلى رأسهم سيبويه إلى أن العامل في الخبر هو المبتدأ^(٣)، ومنهم من قال إن الابتداء هو العامل بواسطة المبتدأ^(٤) وهو مذهب الأنباري وتبعه بذلك ابن يعيش، وأوافقهم الرأي؛ لأنّ هذا من أصول العامل وقواعده، وهي إن العامل يعمل مباشرة وبواسطة، أما الكوفيون^(٥) فعندهم أن رافع الخبر هو المبتدأ كما أن المبتدأ يرفع الخبر^(٦) وقد ضعّفه الأنباري معتمداً على أصل من أصول العوامل وهو أن العوامل لا تتبادل العمل، وأوافق الأنباري بذلك؛ لأنّ من قال إن الابتداء يعمل في المبتدأ، والمبتدأ يعمل في الخبر دون الابتداء، احتجّ بأن الابتداء عامل معنوي، والعامل المعنوي ضعيف فلا يعمل في شيئين كالعامل اللفظي^(٧)، وكذلك يجب أن تكون رتبة العامل قبل رتبة المعمول وهم بذلك يخالفون أصلاً معتمداً من أصول العامل.

وقد دافع الكوفيون عن رأيهم بأن له نظائر؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ

(١) انظر: العكبري، "اللباب"، ١: ١٢٦.

(٢) انظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٢؛ وابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٤.

(٣) انظر سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٢٧.

(٤) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٦؛ ابن يعيش، "شرح المفصل"،

٨٥: ١

(٥) وافقهم بذلك الرضي، انظر: رضي الدين الاسترأبادي، "شرح الرضي على الكافية" ١:

٢٢٧؛ وأبو حيان "ارتشاف الضرب" ٣: ١٠٨٥.

(٦) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٤؛ والعكبري، "اللباب"، ١:

٢٣٠؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٨٥.

(٧) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٧؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"،

٨٥: ١

أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١﴾ فهم يرون أن "أَيَّامًا" معمول لـ "تدعو" و "تدعو" معمول لـ "أي" (٢).

ونختم بأن "الخلاف لا يمكن أن يحسم بمجادلة أو محاولة إقناع؛ لأنه يعكس تصور كل مدرسة لطبيعة العامل، فمن كان يرى العمل إفضاءً عليًا، لم يكن له أن يستسيغ التبادل؛ لأن ذلك فعلاً ممتنع، ومن كان يرى العمل وضعاً لغويًا خاصًا، لم يكثرث بأن يكون الشيء عاملاً ومعمولاً، ما دام ذلك نابعاً عن اللغة نفسها" (٣).

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) انظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، ١: ٤٥؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٨٤.

(٣) رياض حسن الخوام، "نظرية العامل في النحو العربي"، ص: ٢٧٨.

الخاتمة

عرضنا في الصفحات السابقة بعض المطالب عن بعض القواعد الكلية للعامل في الصناعة النحوية عند أبي البركات في الإنصاف، ومن النتائج التي توصل إليها:

١- القواعد الكلية هي آلية من آليات ضبط الصناعة النحوية، وهي جمل بسيطة تعبر عن أحكام شاملة تستعمل كأساس فكري للنظر في القضايا النحوية، وهذه القواعد الكلية تنظم العلاقة بين العوامل والمعمولات أو بين العوامل ذاتها، وتحدد ما إذا كانت الوحدة التركيبية عاملة أو غير عاملة، قوية أو ضعيفة، ونظم العلاقة بين الأصول والفروع.

٢- القواعد الكلية هي وسيلة حجاج وبرهنة، استعملها الكوفيون، والبصريون، وأبو البركات الأنباري؛ لإثبات ما ذهبوا إليه من آراء نحوية.

٣- العامل هو ما يدخل على الكلمة العربية فيحدث تأثيراً في آخرها، سواء بالرفع، أو بالنصب، أو بالجزم، وقد أكد الأنباري هذا حين صرح بأن العوامل في صناعة النحو ليست مؤثرات حسية؛ كالإحراق للنار، والإغراق للماء، والقطع لل سيف، وإنما هي أمارات ودلالات، والأمانة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بشيء.

٤- استعمال القاعدة الكلية لا يُعدُّ حجة كافية لإثبات صحة الرأي ما لم يوافقه القياس، ويُدعم بشواهد من السماع، كما في استعمال الكوفيين لقاعدة "ما لا يختص لا يعمل".

٥- القاعدة الكلية ليست صحيحة دائماً، ومثال ذلك قاعدة: "إنَّ المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل"؛ إذ تقدّم معمول خبر ليس على ليس مع عدم

جواز تقدّم خبر ليس عليها لجمودها، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوقًا عَنْهُمْ﴾^(١).

٦- قد يستعمل النحويون قاعدتين أو أكثر في إثبات رأيٍ واحدٍ، كما فعل الكوفيون في إثبات ما ذهبوا إليه من أنّ خبر (ما) منصوب بنزع الخافض؛ إذ استدلوا بقاعدتين؛ هما:
أ. يجوز حذف العامل مع إبقاء عمله.

ب. العامل في الشيء ما دام موجوداً لا يدخل عليه عامل غيره.

٧- القواعد الكلية نسبية وليست مطلقة؛ فلها جوازات استثنيت من سطوتها، ومن ذلك قاعدة "الأصلُ ألا يفصل بين العامل والمعمول"؛ إذ جاز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف والجار والمجرور على التوسع، وكذلك بالقسم.

٨- وجود عدّة أصول في مسألة واحدة؛ يتضح ذلك في مسألة "رافع المبتدأ والخبر"؛ إذ تناول الأنباري فيها عدداً من الأصول؛ مثل: العوامل لا تتبادل العمل، والأصل في العمل للأفعال، والأصل في الأسماء العمل.

٩- لم ينفرد الأنباري في أي أصل من أصول العامل الكلية؛ فغالباً ما يكون قد ذكره المبرد في المقتضب، أو ابن السراج في الأصول.

١٠- لم يكن أبو البركات ت ٥٧٧هـ أوّل من استعمل الأصول الكلية في الصناعة النحوية؛ فقد سبقه ابن السراج ت ٣١٦هـ في كتابه "الأصول في النحو"، وابن

(١) هود: ٨.

جني ت ٣٩٢ هـ في كتابه "الخصائص"، فيما توصل إليه البحث.
وهنا يُوصى بمتابعة البحث في هذا الجانب؛ فمن المرجح أنه أوّل قطرة تنبئ
عن هذا الغدير في مجال قواعد العامل الكلّية؛ فهو بمنزلة نافذة إلى البحث اللغوي
يطلّ منه طلاب العلم على مجالٍ جديدٍ في دراسة النحو العربي؛ فكلّ ما يحتاجه
الباحث هو الغوص للبحث عن الدرر والآلئ في بحرٍ خضم لا يُحْدُ ساحله.
ختامًا نحمد لله حمداً نوّدي به شكره على ما منّ به علينا من إتمام هذا
البحث، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

المصادر والمراجع

- الإسترابادي، محمد بن الحسن. "شرح شافية ابن الحاجب". تحقيق محمد محيي الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ).
- الأصولي، أصيل. "الإجابة في أصول فقه النحو". (إربد: مكتبة الرافدين، جامعة اليرموك، بدون تاريخ).
- الأفغاني، سعيد. "الإغراب في جدل الإعراب وملع الأدلة في أصول النحو". (ط١، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م).
- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد. "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين". (دمشق: دار الفكر، بدون تاريخ).
- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد. "أسرار العربية". تحقيق فخر صالح قدارة. (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥م).
- البغدادي، عبد القادر. "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق محمد نبيل، إميل بديع يعقوب. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).
- الجرجاني، علي. "معجم التعريفات". تحقيق محمد المنشاوي. (ط١، القاهرة: دار الفضيلة، بدون تاريخ).
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "شرح الوافية نظم الكافية". تحقيق موسى علوان. (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٨٠م).
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "شرح شافية ابن الحاجب". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ).
- ابن حمزة، مصطفى. "نظرية العامل في النحو العربي: دراسة تأصيلية وتركيبية". (٢٠٠٤م).
- الرماني، أبو الحسن. "معاني الحروف". تحقيق عرفان سليم العشا. (ط١، بيروت:

المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م).

الزمخشري، محمود بن عمر. "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". تحقيق عبد الرزاق المهدي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ).

الزمخشري، محمود بن عمر. "المفصل في علم العربية". تحقيق فخر الدين قباوة. (ط ١، عمان: دار عمان، ٢٠٠٤م).

ابن السراج، بكر محمد بن السري. "الأصول في النحو". تحقيق عبد الحسين الفتلي. (ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م).

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. "كتاب سيبويه". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط ٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤م).

السيرافي، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق علي سيد سعيد. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

الصبان، محمد بن علي. "حاشية الصبان". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

ابن عصفور، علي بن مؤمن. "شرح جمل الزجاجي". تحقيق فواز الشعار. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (ط ٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠م).

العكبري، البقاء. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق غازي مختار طليمات. (ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥م).

العليلي، موسى بناي. "الإيضاح في شرح المفصل". (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٧٦م).

الفتلي، عبد الحسين. "الأصول في النحو". (ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة،

(١٩٨٨م).

- الكوفي، محمد بن الحسن الاستراباذي. "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تحقيق يوسف حسن عمر. (ليبيا: جامعة قاريونس، ١٩٧٥م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي. "شرح الكافية الشافية". تحقيق عبد المنعم هريدي. (بغداد: دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م).
- المرادي، أبو محمد. "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك". تحقيق عبد الرحمن علي سليمان. (ط ١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م).
- المرادي، الحسن بن القاسم. "الجنى الداني في حروف المعاني". تحقيق فخر الدين قباوة، محمد فاضل. (حلب: المكتبة العربية، ١٩٣٧م).
- الملخ، حسن خميس. "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي". (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م).
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك". تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي. (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ).
- ابن يعيش، يعيش بن علي. "شرح المفصل للزمخشري". (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

Bibliography

- Al-Afghani, Sa'id. "Al-Ighrab fi Jadal al-I'rab wa-Luma' al-Adillah fi Usul al-Nahw". (1st edition. Damascus: Matba'at al-Jami'ah al-Suriyyah, 1957).
- Al-Anbari, 'Abd al-Rahman bin Muhammad bin Abi Sa'id. "Al-Insaf fi Masa'il al-Khilaf bayna al-Nahwiyyin al-Basriyyin wa-l-Kufiyyin". (No date. Damascus: Dar al-Fikr).
- Al-Anbari, 'Abd al-Rahman bin Muhammad bin Abi Sa'id. "Asrarr al-'Arabiyyah". Investigated by Fakhr Salih Qadarah. (1st edition. Beirut: Dar al-Jil, 1995).
- Al-Asil al-USuli. "Al-Ijābah fi Usul Fiqh al-Nahw". (No date. Irbid: Maktabat al-Rafidayn, Yarmouk university).
- Al-Baghdadi, 'Abd al-Qadir. "Khizanat al-Adab wa-Lubb Lubab Lisan al-'Arab". Investigated by Muhammad Nabil and Imil Badi' al-Ya'qub. (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1998).
- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad. "Siyarr A'lām Al-Nubala'. Investigated by Shu'aib Al-Arna'out. (11th edition. Beirut: Mu'assasatur-Risalah, 2001).
- Al-Dwamir, 'Abd al-'Aziz bin 'Abd al-Rahman. "“Anaaween Kutub al-Tafseer Dirasah Ta'seeliyyah". Tibyan Journal for Quranic Studies 28, (2017): 431-477.
- Al-Fatli, 'Abd al-Husain. "Al-Usul fi al-Nahw". (3rd edition. Beirut: Muassasat al-Risalah, 1988).
- Al-Jurjani, 'Ali. "Mu'jam al-Ta'rifāt". Investigated by Muhammad al-Manshawī. (1st edition. Cairo: Dar al-Fadilah).
- Al-Koufi, Muhammad bin al-Hasan al-Istarabadi. "Sharh al-Radi 'ala al-Kāfiyah li-Ibn al-Hajib". Investigated by Yusuf Hasan 'Umar. (Libya: Qar Yunus university, 1975).
- Al-Malikh, Hasan Khamis. "Nazariyyat al-Asl wa-l-Far' fi al-Nahw al-'Arabi". (Amman: Dar al-Shuruq, 2001).
- Al-Manzur, Muhammad bin Mukram. "Lisan al-'Arab". (1st edition. Beirut: Dar Sader, 1998).
- Al-Murādi, Abu Muhammad. "Tawdih al-Maqāsid wa-l-Masalik be-Sharh Alfiyyat Ibn Malik". Investigated by 'Abd al-Rahman 'Ali Sulayman. (1st edition. Dar al-Fikr al-'Arabi, 2008).

- Al-Murādi, al-Hasan bin al-Qasim. “Al-Janā al-Dāni fi Huruf al-Ma'āni”. Investigated by Fakhr al-Din Qabawah and Muhammad Fadil. (Aleppo: Al-Maktabah al-'Arabiyyah, 1937).
- Al-Rummani, Abu al-Hasan. “Ma'ani al-Huruf”. Investigated by 'Irfan Salim al-'Asha. (1st edition. Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyyah, 2005).
- Al-Zamakhshari, Mahmud bin 'Umar. “Al-Mufasssal fi 'Ilm al-'Arabiyyah”. Investigated by Fakhr al-Din Qabawah. (1st edition. Amman: Dar 'Amman, 2004).
- Al-Zamakhshari, Mahmud bin 'Umar. “Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa-'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil”. Investigated by 'Abd al-Razzaq al-Mahdi. (Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi).
- Al-'Ulayli, Musa Banay. “Al-Idāh fi Sharh al-Mufasssal”. (Baghdad: Matba'at al-Majma' al-'Ilmi, 1976).
- Ibn 'Aqil, 'Abdullah bin 'Abd al-Rahman. “Sharh Ibn 'Aqil 'ala Alfiyyat Ibn Malik”. Investigated by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid. (20th edition. Cairo: Dar al-Turath, 1980).
- Ibn al-Hājib, 'Uthman bin 'Umar. Sharh al-Wafiyyah Nazm al-Kāfiyyah”. Investigated by Musa 'Alwan. (Najaf: Matba'at al-Adab, 1980).
- Ibn al-Hājib, 'Uthman bin 'Umar. “Sharh Shāfiyyat Ibn al-Hājib”. Investigated by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid. (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah).
- Ibn al-Sarraj, Bakr Muhammad bin al-Sari. “Al-Usool fi al-Nahw”. Investigated by 'Abd al-Husain al-Fatli. (3rd edition. Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1988).
- Ibn 'Asfour, 'Ali bin Mu'min. “Sharh Jumal al-Zajjaji”. Investigated by Fawwaz al-Sha'ir. (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1998).
- Ibn Hisham al-Ansari, 'Abdullah bin Yousuf. “Awḍaḥ al-Masālik ila Alfiyyat Ibn Malik”. Investigated by Yousuf al-Shaykh Muhammad al-Biqā'i. (Beirut: Dar al-Fikr).
- Ibn Malik, Muhammad bin 'Abdillah al-Ta'i. “Sharh al-Kafiyyah al-Shafiyyah”. Investigated by 'Abd al-Mun'im Haridi. (Baghdad: Dar al-Ma'mun li-al-Turath, 1982).
- Ibn Ya'ish, Ya'ish bin 'Ali. “Sharh al-Mufasssal li-al-Zamakhshari”.

- (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2001).
- Mustafa bin Hamzah. “Nazariyyat al-'Amil fi al-Nahw al-'Arabi: Dirasah Ta'siliyyah wa-Tarkibiyyah”. (2004).
- Sibawaih, 'Amr bin 'Uthman bin Qunbar. “Kitab Sibawayh. Investigated by 'Abd al-Salam Muhammad Harun. (4th edition. Cairo: Maktabat al-Khanji, 2004).
- Al-Sirafi, al-Hasan bin 'Abd Allah. “Sharh Kitāb Sibawaih”. Investigated by 'Ali Sayyid Sa'id. (1st edition. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2008).
- Al-Ṣabban, Muhammad bin 'Ali. “Hāshiyat al-Ṣabban. (1st edition. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1997).

العلاقات الاستبدالية للمعنى بين الداليتين الصورية والمعجمية

Substitutive Meaning Relations Between Formal And Lexical Semantics

د. علي بن جازي بن علي الدبيسي الجهني

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: alialgohani2671@gmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/03/10		استلام البحث A Research Receiving 2024/11/18
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-003		

المستخلص

يهدف البحث إلى استجلاء التداخل بين الداليتين الصورية والمعجمية في مجال العلاقات الاستبدالية للمعنى.

ولتحقيق هذا الهدف اتبع البحث منهجا وصفيا لدراسة ظاهرة العلاقات الاستبدالية للمعنى ضمن مفاهيم مشتركة بين الداليتين الصورية والمعجمية. تتمثل في التماثل والتناقض والاشتغال. مع تحليل لطبيعتها وأسبابها ومنطقاتها. ومقارنة المنهج لدى كلتا الداليتين في مجال التعامل مع هذه الظاهرة.

وتوصل البحث إلى أن علاقات المعنى الاستبدالية في جوانب التماثل والتناقض والاشتغال هي علاقات مشتركة بين الداليتين الصورية والمعجمية. وبالإمكان رد العلاقات الصورية الاصطناعية إلى نظيرتها المعجمية الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: علاقات، استبدالية، معنى، دلالة، صورية، معجمية.

Abstract

This research aims to explore the interplay between formal and lexical semantics in the domain of substitutive meaning relations. To achieve this objective, the research adopts a descriptive approach to investigate the phenomenon of substitutive meaning relations within concepts shared by both formal and lexical semantics, namely, synonymy, antonymy, and hyponymy. It includes an analysis of their nature, causes, and origins, as well as a comparison of the methodologies employed by both semantics in addressing this phenomenon.

The research concludes that substitutive meaning relations in the aspects of synonymy, antonymy, and hyponymy are common between formal and lexical semantics. Furthermore, artificial formal relations can be traced back to their natural lexical counterparts.

Keywords: Relations, Substitutive, Meaning, Semantics, formal, Lexical

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تحمل النظرية الدلالية عبء تحليل المعنى على مستوى المفردات والتراكيب. وكان لهذه الخاصية أثرها في تنوع المقاربات المتعلقة بذلك. وتطورها إلى نظريات فرعية ذات مناهج خاصة. تتنوع في منطلقاتها البحثية ونتائجها المستهدفة. مع الاشتراك في الأهداف الأساسية للنظرية الدلالية التي تتمثل فيما يلي⁽¹⁾:

أ_ تحديد معاني عناصر اللغة الطبيعية من مفردات وتراكيب، وتقديم نماذج تفسيرية لطبيعة معانيها.

ب _ تفسير الحدس الذي يمتلكه أبناء اللغة بشأن علاقات المعنى بين التعبيرات اللغوية.

ج_ دراسة ظاهرة غموض المعنى وتحليل أسبابها وتفسير وجودها.

د _ تشخيص نظام علاقات المعنى بين المفردات والتراكيب.

هـ _ إيجاد تفسير للروابط بين التعبيرات اللغوية وموجودات العالم.

و _ السعي إلى تعيين معاني التعبيرات اللغوية في المستوى النحوي والانتقال بها إلى المستوى التداولي⁽²⁾.

وفي سياق هذا المسعى، تفرع عنها عدد من النظريات الفرعية، منها الدالتان

(1) ينظر: Ronnie Cann, "Formal Semantics: An Introduction". (Cambridge University Press, 1993), p. 1

(2) ينظر: J. Dever, "Semantic Value, In: the Encyclopedia of Language And

Keith Brown(ed.). 2nd ed., Elsevier, vol.11 (2006) pp.137-142). «Linguistics» 11/137-142.

الصورية والمعجمية. ويجمع بينهما الانتماء إلى أسرة النظريات الإشارية ضمن الإطار العام للنظرية الدلالية. وهو الشأن الذي يؤدي إلى الاشتراك بينهما في عدة موضوعات من أهمها العلاقة الاستبدالية للمعنى.

وفي هذا الجانب يبرز كل من الترادف والتضاد والاشتغال باعتبارها علاقات معجمية استبدالية. ترتبط ببنية المعلومات المنقولة عبر التعبيرات اللغوية. مما يوثق صلتها بالدلالة الصورية من جانب، ومن جانب آخر يُبين ملمحًا من الملامح المشتركة بين الدالتين الصورية والمعجمية.

ومنهج التحليل في الدلالة الصورية يتضمن مفهومي الاقتضاء والتناقض. ويمثلان علاقيتين معنويتين بين الجمل. ويحملان من التصور للبنية المعلوماتية ما يناظر الترادف والتضاد والاشتغال في الجانب المعجمي. ضمن نظرية دلالية عامة متأثرة بالاتجاه البنيوي في دراسة عمل النظام اللغوي. ويُقصدُ بذلك البنية التي تمثل ركيزة أساسية للتواصل، ونقل الأفكار من المرسل إلى المتلقي.

ونجد الاختلاف بين الدالتين الصورية والمعجمية في تحديد أصغر وحدة تواصلية خاضعة للعلاقات الاستبدالية للمعنى حسب اختلاف المنهج. فإذا كانت الجملة أصغر وحدة تواصلية في الدلالة الصورية، والكلمة أصغر وحدة تواصلية في الدلالة المعجمية. فإن أوجه العلاقة الاستبدالية للمعنى لا بد أن تتأثر بهذا الاختلاف. مع الاحتفاظ بالعناصر الأساسية المرتبطة بمفاهيم مشتركة بين الدالتين. وهو الأمر الذي أدى إلى وجود توجه علمي لاعتبار تفسير علاقات المعنى الاستبدالية هدفًا مهمًا على صعيد هاتين الدالتين⁽¹⁾.

(1) ينظر: M. L, Murphy, "Semantic Relations and the Lexicon: Antonymy, Synonymy and other Paradigms". (Cambridge University Press, 2003). pp.3-4

مشكلة البحث:

يمثل المعنى الهدف الأساسي للداليتين الصورية والمعجمية. ولكل منهما منهج خاص لدراسة المعنى. يُعبر عن اختلاف في المنطلقات والتوجهات المنهجية، والأهداف الخاصة التي تسعى إلى تحقيقها، في دراسة علاقة المعنى باللغة ضمن إطار النظرية الدلالية العامة.

وهذا الاختلاف بين الداليتين الصورية والمعجمية محكوم بعناصر لغوية مشتركة. وتوجهات عامة في النظرية الدلالية. تعمل على إيجاد نقاط التقاء مشتركة. ومن أبرزها المفهوم الاستبدالي لعلاقة المعنى. مما يثير مجموعة من الأسئلة يحاول البحث الإجابة عنها.

أسئلة البحث:

- ما علاقات المعنى الاستبدالية المُشتركة بين الداليتين الصورية والمعجمية؟
- ما سبب وقوع الاشتراك بين الداليتين في هذا النوع من علاقات المعنى؟
- لم كان مفهوم الاستبدال موضوعا مشتركا بين الداليتين الصورية والمعجمية؟ وما دور الاتجاه البنيوي في ذلك؟
- هل يوجد في المنهج الخاص لكلتا الداليتين ما يبرر وجود هذا الاشتراك والتداخل في علاقات المعنى الاستبدالية؟
- هل توجد أوجه للمقارنة بين الداليتين الصورية والمعجمية فيما يخص استيعاب مفاهيم هذه العلاقات المشتركة ضمن الاعتبارات الخاصة لكلتا الداليتين؟

أهداف البحث:

- في ضوء الأسئلة العلمية السابقة يهدف البحث إلى ما يلي:
- معرفة علاقات المعنى الاستبدالية المُشتركة بين الداليتين الصورية والمعجمية.
- إيجاد تفسير علمي لهذا الاشتراك بالاستناد إلى الأسس والمفاهيم التي شكّلت

المنهج لكلتا الداليتين.

- تفسير دور البعد البنيوي في ترسيخ مفهوم الاستبدال لعلاقات المعنى، وجعله موضوعا مشتركا بين الداليتين الصورية والمعجمية.
- البحث في المنهج الخاص لكلتا الداليتين عن الأسباب والمبررات لوجود هذا الاشتراك والتداخل في علاقات المعنى الاستبدالية. ومقارنة الطريقة التي تم بها استيعاب مفاهيم هذه العلاقات المشتركة لدى الداليتين الصورية والمعجمية.
- الدراسات السابقة:
- لم يقف الباحث -حسب حدود بحثه- على دراسة مستقلة تدرس ظاهرة الاشتراك بين الداليتين الصورية والمعجمية في العلاقات الاستبدالية للمعنى. وتعمل على تقديم تفسير لها، بالاعتماد على جمع المفاهيم المشتركة في سياق الوصف والتحليل. وإجراء المقارنة -في ضوءها- بين منهجي الداليتين الصورية والمعجمية. غير أن الموضوع مطروح بصورة عامة في عدد من المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث في مادته العلمية، ومنها:

- Frawley, William. (1992). Linguistic semantics. Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publishers.
- Kreidler, Charles W. (1998). Introducing English semantics, (1st ed.). Routledge. Taylor and Francis, London and New York.
- Kroeger, paul. (2018). analyzing meaning: an introduction to semantics and pragmatics. Berlin: language science press.
- Murphy, M. L. (2003). Semantic Relations and the Lexicon: Antonymy, Synonymy and other Paradigms. Cambridge University Press.
- Murphy, M. L. (2006). Synonymy. In Keith Brown(ed.). the encyclopedia of language and linguistics. (vol.12. pp.376-378.), ELSEVIER, (2nd ed).
- Saeed, John.I.(2016). Semantics. (4 ed). Blackwell publishing.

حدود البحث:

- تقوم فكرة البحث على دراسة علاقات المعنى الاستبدالية المشتركة بين الداليتين الصورية والمعجمية. ولا تخرج هذه العلاقات المشتركة عن ثلاثة مفاهيم أساسية: التماثل والتناقض والاشتغال. ولهذا يقتصر البحث على أنواع علاقات المعنى المتفرعة عن هذه المفاهيم لدى هاتين النظريتين الداليتين.
- ولأن منهج الدلالة الصورية يهتم بعلاقات التأويل والتناقض والاقتضاء. كما أن منهج الدلالة المعجمية يهتم بعلاقات الترادف والتضاد والاشتغال. فإن موضوع البحث يختص بدراسة العلاقات الاستبدالية المعنوية لدى كلتا النظريتين ضمن هذه الأنواع الثلاثة، كما يلي:
- ١_ علاقة التماثل في المعنى. ٢ _ علاقة التناقض في المعنى. ٣ _ علاقة الاشتغال في المعنى.
- منهج البحث:
- اعتمد البحث في دراسته لموضوع العلاقات الاستبدالية للمعنى بين الداليتين الصورية والمعجمية على منهج يجمع بين الوصف والتحليل والمقارنة. فقد عمل البحث على تقديم وصف لمنهج الداليتين الصورية والمعجمية. عرض من خلاله العوامل التي كان لها تأثير في قيام علاقات المعنى الاستبدالية، على أساس مفاهيم مشتركة بين الداليتين. وذلك لتبيين طبيعة هذا الاشتراك في علاقات المعنى بين الداليتين الصورية والمعجمية. وتفسير أسبابه ومنطقاته. وتوضيح دور البعد البنيوي في ترسيخ مفهوم الاستبدال لعلاقات المعنى. ومعرفة طريقة المعالجة لدى المنهج الخاص بكلتا النظريتين. كما قدم وصفاً تحليلياً لتلك العلاقات المشتركة. مبيّناً أوجه المقارنة بين الداليتين الصورية

والمعجمية في التعامل مع هذه العلاقات المعنوية المشتركة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس؛ وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: الدلالة الصورية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف والتشخيص.

المبحث الثاني: الأسس والمفاهيم.

المبحث الثالث: شروط الصدق بين الحدس اللغوي والعلاقة المعنوية.

المبحث الرابع: النموذج الصوري والبعد البنيوي للمعنى.

الفصل الثاني: الدلالة المعجمية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف والتشخيص.

المبحث الثاني: العلاقات المعجمية والبعد البنيوي للمعنى.

المبحث الثالث: مفهوم الاستبدال في العلاقات المعجمية.

الفصل الثالث: العلاقات الاستبدالية المشتركة بين الدالتين الصورية والمعجمية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاقة التماثل.

المبحث الثاني: علاقة التناقض.

المبحث الثالث: علاقة الاشتمال.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الفهارس: وفيها قائمة مراجع البحث.

الفصل الأول: الدلالة الصورية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف والتشخيص.

المبحث الثاني: الأسس والمفاهيم.

المبحث الثالث: شروط الصدق بين الحدس اللغوي والعلاقة المعنوية.

المبحث الرابع: النموذج الصوري والبعد البنيوي للمعنى.

المبحث الأول: التعريف والتشخيص

الدلالة الصورية عنوان موضوع لفرع نظري ينتمي إلى عائلة النظريات الدلالية الإشارية⁽¹⁾

يستخدم المنطق في التحليل الدلالي. ويعد مقارنة عامة تشمل عدة مقاربات فرعية هي: دلالة شروط الصدق، دلالة النموذج النظري، و"نحو مونتاجيو"⁽²⁾.

(1) ينظر: Chierchia, G & McConnell-Ginet, "Meaning and Grammar: An

Introduction to Semantics". (MIT Press, 1990).pp.46-48

(2) يشير هذا المصطلح إلى اتجاه ضمن اللسانيات. برز في أواسط السبعينات الميلادية. نتيجة

لأبحاث العالم اللغوي "ريتشارد مونتاجيو" التي نُشرت في الفترة ما بين نهاية الستينات وبداية السبعينات. وهي مقارنة تسعى إلى تحليل الجُمْل في اللغة الطبيعية باستخدام أدوات مفاهيمية مشتقة من الدراسات الدلالية للغة المنطق الصوري. ويتضمن هذا النحو مكونين اثنين. ينتميان إلى مستويين لغويين؛ أحدهما تركيب، والآخر دلالي. ويرتبطان ببعضهما إلى درجة التطابق بين التصنيفات الداخلية في كليهما. ويتم التعامل في المستوى التركيبي للجُمْل من خلال قواعد تصنيفية تعمل على تحديد الأصناف النحوية المُتَصَنِّة في الجُمْل. مع تطابق قواعد المستوى التركيبي وقواعد المستوى الدلالي. وتعمل على إنشاء تأويل للجُمْل

ومن المعتاد أن يُشار إلى هذا الفرع النظري بـ "الدلالة المنطقية"⁽¹⁾. ويُعرّف بأنه: دراسة معاني تعبيرات اللغة الطبيعية باستعمال أدوات المنطق الصوري وصولاً للأهداف التالية⁽²⁾:

- العمل على توضيح مفهوم المعنى.
 - تفسير دور اللغة في الاستدلال على المعنى.
 - تفسير دور اللغة في التواصل ومشاركة المعلومات.
- وتأتي هذه الأهداف ضمن الإطار الأشمل للنظرية الدلالية في تشكيل مفهوم دراسة الكيفية التي بها يتمكن نظام من الرموز اللغوية من نقل المعلومات عن العالم. وإذا اعتُبرت اللغة كيانا مؤسّساً على معجم، يمثل مخزون كلمات اللغة. مع أدوات لتركيب الجمل. فإن النظرية الدلالية معنية بالإجراءات التي يتبعها أبناء اللغة لربط تأويل معين بنسق الرموز الذي ينتمي إليه. والدلالة الصورية تدرس هذه الإجراءات باستعمال وسائل رياضية⁽³⁾. ويبرز اهتمام الدلالة الصورية بالمعنى التركيبي للجمل، ليشكل تشخيصها الأبرز ضمن الحقل الأوسع للنظرية الدلالية. وتُعرّف بأنها: نظرية فرعية دلالية تدرس الطريقة التي بها يُمكن التركيب اللغوي المتكلم من

=

باستخدام مفاهيم منطق المحمولات المشروط بالصدق. وقد شهدت هذه المقاربة فيما بعد عدة تطورات، ومن أبرزها "النحو المُعمَّم للبنية المُركَّبة - generalized grammar

phrase structure"، ينظر: Crystal, David. "A Dictionary of Linguistics and Phonetics". (6th ed., Blackwell Publishing Ltd, 2008). p.312.

(1) ينظر: Saeed, John. I. "Semantics". (4 ed., Blackwell Publishing, 2016). p.306.

(2) ينظر: Eijk. J. Van. "Formal Semantics", in: Concise encyclopedia of philosophy of language, Lamarque, Peter (ed). (Elsevier Science Ltd. 1997). pp.318-328

(3) ينظر: Chierchia, G, "Formal Semantics", In: The Encyclopedia Of Language And Linguistics". Keith Brown (ed.). 2nd ed., ELSEVIER, 4: 564-579.

التصرف في المعنى⁽¹⁾. ويأتي هذا التعريف ليبيّن السمة الأبرز التي تميّز الدلالة الصورية. وهي انطلاقتها من التركيب لدراسة المعنى. فالقضية المنطقية -وهي المكافئ التركيبي للجملة الخبرية- تشكّل وحدة التحليل الأساسية. بناء على أنها تحمل قيم الصدق التي تشكل ركنا أساسيا من أركان النظرية الصورية لتحليل المعنى. وأن الدلالة الفردية لما تنتظمه من كلمات هو عبارة عن مُستخرجات من التراكيب، لا تنقل في ذاتها المعنى التركيبي؛ لأنه مفهوم تحدده القيمة التواصلية ضمن عملية تركيبية لإنتاج المعنى. ويرى المنهج الصوري الدلالة في ذاتها مفهوما واسعا. يشمل ما يقبل التحليل ضمن أدواته، وما لا يقبل ذلك. وأما المعرفة الدلالية -وترتبط بالقدرة اللغوية لمستعمل اللغة. وتنتج عن واقع الاستعمال اللغوي القابل لتقديم مادة المعرفة وتحديد الصدق والحقيقة في مجال التعبير اللغوي عن العالم⁽²⁾- فهي محك اختبار نماذج تحليل القضايا بأدواتها الرياضية المنطقية.

وهذه المعرفة الدلالية تتجلى فيها، ولا يمكن تصورها لدى المفردات أصالة إلا من منطلق تراكيبها النحوية المحتملة التي ترد فيها. ضمن واقع يشكله الاستعمال

(1) ينظر: Winter, Yoad. "Elements of Formal Semantics: An Introduction To The Mathematical Theory of Meaning In Natural Language" *Edinburgh Advanced Textbooks in Linguistics*. (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2016). p.3

(2) بما أن الفلسفة والمنطق يمثلان الأصول والمنطلقات المنهجية للدلالة الصورية. فإن من المتعارف عليه في حقلهما العلمي أن تحديد الصدق والحقيقة يكون بواسطة المنطق. وأن التجربة تقدم مادة المعرفة. وأن الصورة - Form تنتج عن العقل في سياق أنظومة منطقية. تستلزم أن علاقة المنطق بالصدق هي: مطابقة التعبير عن الحقيقة والواقع للحقيقة والواقع. وهذه المطابقة تفترض إمكان معرفة الحقيقة والواقع. وإمكان التعبير عنهما تعبيرا أميناً يفني بالمقصود، ينظر: معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية العربية"، (ط ١)، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦م، ١: ٥٣٤.

اللغوي. فالمنطلق التركيبي -ملفوظا كان أو مُقَدَّرًا- هو الناقل الحقيقي للقيمة التواصلية. وبالتالي هو الحامل الأساسي للمعنى.

وهي فكرة فلسفية لغوية مفادها: أن الجملة هي الوحدة الأساسية للتواصل وليس الكلمة المفردة. وهي مسألة لطالما كانت خافية عن النظر بسبب منزلة الأسبقية التي تحوزها الكلمات على الجمل. والنظر إلى الكلمات على أنها مواد البناء يجعل الذهن سابقا إليها باعتبارها وحدات أساسية للتواصل اللغوي. ولكن التواصل في حقيقته لا يتم بالمفردات منعزلة عن سياق ينتظمها، وإنما يتم من خلال تركيب الجمل. وهي وحدها حاملة المعنى. مما يعني حيازتها للأفضلية الدلالية على المفردات⁽¹⁾.

(1) ينظر: Hans-Johann Glock, "Quine and Davidson on Language, Thought and Reality". (New York, NY, USA: Cambridge University Press, 2003). pp.139-140

المبحث الثاني: الأسس والمفاهيم

لقد كان تبني الدلالة الصورية لما سبق من أفكار شأنًا أساسيًا بالنسبة إلى نظرية دلالية فرعية نشأت في ميدان الفلسفة والمنطق. حملت معها تساؤلات فلسفية أساسية. من نحو: ما معنى أن نصف الأشياء -أو بالأحرى: ما معنى أن نقول شيئًا ذا مغزى- وما معنى أن تكون الكلمات والجمل ذات معنى؟

وبناء على ما سبق تبنت الدلالة الصورية نظرة لدراسة المعنى تتجاوز مرحلة الكلمات المفردة وتبدأ من الجملة. فهدف منهج الدلالة الصورية هو دراسة كيفية قدرة الإنسان على التصرف في عدد غير متناهٍ من الجمل، تتألف من عدد متناهٍ من الكلمات. وقد أدى هذا إلى بروز اتجاه تأثرت به الدلالة الصورية، وعبر عنه فيلسوف اللغة البارز "فريجه" بقوله: لا تسأل عن معنى كلمة منفردة، ولكن اسأل عن معنى كلمة في جملة⁽¹⁾.

ولما سبق فإن الدلالة الصورية تتعامل مع الكلمة باعتبارها محطة نهائية لتأويل المعنى. وليست نقطة بداية -كما هو الشأن لدى الدلالة المعجمية- ولتفسير هذا الموقف لابد من اعتبار الجملة وحدة لغوية ذاتية الاكتفاء. بمعنى أنها تحوي كل المعلومات الكافية لإيصال المعنى الذي يقصده المتكلم إلى المستمع بالطريقة التي يلاحظ بها تقبل المستمع، وتفاعله مع ما استوعبه من الجملة بناء على المعرفة الدلالية التي أكسبته إياها قدرته اللغوية. وهذه الوحدة اللغوية هي جملة من مفردات -الحروف والأسماء والأفعال- تُعْتَبَرُ مُرَكَّبَاتٍ تتألف منها جملة مضبوطة بقواعد نحو اللغة التي

(1) ينظر: Michael, Potter, "The Cambridge Companion To Frege". (Cambridge : University Press, 2010), p.10.

تنتمي إليها تلك المفردات. ويُكَيِّفُهَا مستعمل اللغة، لتتوافق مع خصوصية الغرض الذي أنشأها لأجله.

هذا هو الموقف من تأويل المعنى لدى منهج الدلالة الصورية. فهو منهج يعطي أفضلية للجمل على المفردات. والأخيرة مُرَكَّبَات جزئية لوحداث أساسية. لا تدرس إلا من منظور الجملة. فتكون حينئذ "مستخرجات - extractions" من الجملة. مما يعطي انطبعا واضحا عن طبيعة دلالاتها ووظيفتها الجزئية في المعنى التأليفي للجملة. وهذا المعنى التأليفي - حسب المنهج الصوري لتأويل المعنى - هو وظيفة مجموع معاني المفردات التي تركبت منها الجملة.

إن الجملة تمثل القيمة التواصلية للغة. فتسلسل المعنى - في المنظور التحليلي الصوري - يبدأ من الجملة ليصل إلى الكلمة وليس العكس. على قاعدة تغليب مبدأ الواقعية اللغوية الذي هو الوضع الأساسي للغة في إطار استعمالها أداة للتواصل منذ البدء. ضمن إطار المعرفة الدلالية.

إن التواصل اللغوي يكون عبر الجمل لفظاً أو تقديراً في مقامات لغوية تعمل على تفعيل الدلالات المعجمية المحددة في سياق جملها. ومن الطبيعي أن تبدأ الدراسة الصورية للمعنى بـ: ما معنى أن نفهم الجملة؟ والإجابة عن هذا السؤال توجب ربط الشيء بمقتضاه، عن طريق فهم علاقة الجملة بالجمل الأخرى. فالتواصل اللغوي هو خاصية إنسانية. تقتضي إنشاء العديد من الجمل التي تحمل في طياتها روابط بينية. وكل جملة تحمل معلومات مرتبطة بجمل دون أخرى. والتواصل اللغوي عملية تعتمد

على المعرفة، والإدراك التلقائي، والاستيعاب العفوي لدلالات هذه الروابط (1).
ولقد ارتكزت الدلالة الصورية في دراسة المعنى وتأويله على ثلاثة مفاهيم
أساسية شكلت المنهج الذي تميّزت به، وهي (2):
➤ التركيز على جانب المعنى المتعلّق بـ "شروط الصدق".
➤ التصور الدلالي المبني على النموذج النظري.
➤ مركزية "مبدأ التأليفية" في تأويل المعنى.

(1) ينظر: Chierchia, G. "Formal Semantics".4:564-579

(2) ينظر: Portner, P & Partee, H. "Formal Semantics, The Essential Readings".
(Blackwell publishers, Ltd, 2002). pp.1-2.

المبحث الثالث: "شروط الصدق" بين الحدس اللغوي والعلاقة المعنوية

"شروط الصدق" أداة مفاهيمية تحليلية يتطلبها منهج الدلالة الصورية. وهي نابعة من مسألة قيمتي الصدق والزيف. وتحمل المتلقي على افتراض واقع تتطابق معه الجملة ضمن التواصل اللغوي. فإما أن تنجح عملية المطابقة فيُحكم بصدق الجملة، أو تفشل هذه العملية فيُحْكَم بزيّف الجملة أو عدم صدقها. ومسألة الواقع المفترض هذه هي بحد ذاتها أداة تحليلية هامة. ولقد سبقت الإشارة إلى أن الدلالة الصورية قامت على إرث أساسي من علوم الفلسفة والمنطق والرياضيات. وهذه مسألة مهمة تتعلق بالتلاقي بين الدراسات اللغوية الخاصة والدراسات المنتمية إلى حقول العلم الأخرى في مسائل اللغة ووظيفتها التواصلية.

ومن المفاهيم المهمة التي شغلت حيزاً لا بأس به من البحث والنظر في حقلي الفلسفة والمنطق مفهوم "الصدق". ويرتبط بالقضايا باعتبارها كيانات ذهنية. ويصح لنا أن نعبر عن هذه الفكرة بعبارة "صدق الجملة". وهي بدورها مفهوم يدل على حالة معينة تتطابق فيها الجملة مع الواقع أو لا تتطابق. وهو ما ينقلنا مباشرة إلى مقارنة "دلالة شروط الصدق".

إن "دلالة شروط الصدق" مقارنة مرتبطة بتأويل معنى الجملة. وتنطلق من فكرة أن الجملة تعتبر تركيباً مجمعا من عدد من الكلمات. وهذه المجموعة المنتظمة ضمن جملتها تملك خاصية إشارية إلى مراجعها. وهذا يقتضي أننا في حالة تأويل المعنى المُركَّب للجملة لا بد أن نتعامل مع عدة موضوعات - objects - تترافق مع أدوات نحوية. تقوم بدور ربط الموضوعات على مدى عدد من الجمل. وهذا يتطلب اعتبار الجمل وحدات أساسية للتواصل. تتضمن رُموذاً وعلاماتٍ تقرر بين الدال والمدلول. نظراً لأفضلية سياق التركيب الذي تحوزه الجملة على الكلمة المفردة. ومنهج الدلالة الصورية يرى أن تركيب الجملة يوفر معلومات كافية. يمكن من

خلالها استخراج معنى الكلمات في دائرة جملتها. والجملة الخبرية تحكي شيئاً عن العالم، أو تصف واقعا منه. وهي جسر لحقائق تنتقل من ذهن المتكلم إلى ذهن المتلقي. وإدراكه إيها قائم على إمكانية ربط المعلومات المستقاة من الجملة مع هذا الواقع. والإدراك بحد ذاته قائم على إمكانية افتراض واقع أو مقام تتطابق معه الجملة أو لا تتطابق. ولو كانت الجملة متطابقة مع الواقع بنسبة مائة بالمائة، وكانت بلغة لا نفهمها أو لا نعرف عنها شيئاً. فليس بإمكاننا استخراج الحقائق منها، ولا أن نربطها بواقع يفترضه الحدس. يُحكّم من خلاله على صدقها أو زيفها.

إن الدلالة الصورية نظرية دلالية فرعية. تهتم بشروط الصدق لتأويل المعنى. وتسعى إلى إيجاد صلات بين شروط الصدق المبنية على التجربة لكل جملة وكلماتها التي تتكرر في جمل أخرى. وتتعين لها الوظائف ذاتها عبر هذه الجمل. ونظراً للجدور الفلسفية لهذه النظرية الدلالية فإن لمفهوم التجربة والخبرة أثراً فيما يتعلّق بإنشاء التعبير اللغوي المُعبّر عن الحقيقة والواقع، واستيعابه وتأويله. واستكشاف الروابط بين الجملة والعالم الذي تصفه أو تتحدث عنه. وهي عناصر أساسية للقدرة اللغوية.

والقدرة اللغوية قوة تجرّيبية دافعة لفهم طبيعة اللغة التي تتكون من ثلاثة عناصر؛ هي: الأسماء والأفعال والحروف. وهي عناصر في ذاتها محدودة. ومقيدة في حدود معجم يسجلها. ومع ذلك نعلم أنّ لدى أبناء اللغة الكفاءة والقدرة على إنتاج عدد غير متناهٍ من الجُمُل. بالاعتماد على معرفة فطرية متكاملة لإدراك الموضوعات وعلاقاتها، دفعة واحدة، في مكان وزمان واحد. دون الحاجة إلى الانتقال في مراحل الاستنباط من شيء إلى آخر. أو الحاجة بصورة ثابتة ودائمة للقيام بتجريد المفاهيم والتصورات من المحسوسات لاستنباط المعاني. وهذا يعني بالضرورة كون الجملة هي المحرك الحقيقي للتواصل اللغوي. وما خبرناه من واقع استعمال اللغة دليل على ذلك. وهذه القوة التّجريبية — التي تُعبّر عنها الجملة — تقوم على نجاح الاعتماد على

المعرفة بنوعيتها الحسي المستمد من الخبرة. وغير الحسي المستمد من المعرفة الحدسية. وذلك في شأن القدرة على إنتاج اللغة وفهمها من قِبَل أبنائها. وهي فكرة جزئية تنتمي إلى مقارنة فلسفية أشمل تُسمَّى "الإمبريقية المنطقية" (1).

ومن شأن التركيب أن يوظف دلالات مُركّباته من مفردات ضمن مجموع المعنى التألفي؛ لقيام التواصل اللغوي بشكل غير متناهٍ عبر الجمل. ووجود نفس المُركّبات في عدد متباين نحوياً من تراكيب الجملة ينتج معنىً تألفياً متغيراً في كلٍّ من تلك الحالات. مستفيداً من مفردات التركيب ذات المعنى. وتُسمَّى حينئذٍ أشكالاً كلمية دالة. تعمل في المنظور الصوري ضمن سياق وظيفة دلالية للمفردات ذات بعدين. أحدهما: خارجي يتعلّق بإشارة المفردة إلى مرجعها الخارجي. والآخر: داخلي يرتبط بعلاقة المفردة بمفردات أخرى وفق قواعد نحوها. في سياق أنظومة منطقية لعلاقة

(1) ينظر:- Donald, Davidson, "Truth and Meaning". pp. 304-

323Published.http://www.jstor.org/stable/20114563.

ومصطلح "التَّجْرِبِيَّة" — نسبة إلى " التجربة": مصطلح ينتمي إلى معجم علم الفلسفة. ويُعبّر عنه غالباً بـ "الإمبريقية". وهذا المصطلح بصيغته هذه يشير إلى مفهوم عام حول كل رؤية تؤسس المعرفة — أو المواد المُشكّلة منها — على مبدأ الخبرة عبر الحواس الخمس التقليدية. وتفرعت عن هذا المفهوم العام عدة = مفاهيم خاصة لـ "الإمبريقية"، منها: "الإمبريقية المنطقية" وهي: برنامج لدراسة العلم. يجمع بين التجريبية والمنطق الرمزي. وينشد توضيح البنية المنطقية التي يحوزها التفسير والتوقع العلمي. ويحاول إثبات أن كل المفاهيم العلمية تستمد معانيها من علاقتها بالخبرة. وعلى الرغم من الإشكالات التي واجهت "الإمبريقية المنطقية" — مما دعا إلى تجاوزها — إلا أن روحها ظلت لدى أولئك الفلاسفة الذين يوظفون الدلالة الصورية في تحليل النظريات العلمية، ينظر: تد هوندريتش، "دليل أوكسفورد للفلسفة". ترجمة: نجيب الحصادي، (المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ٢٠٠٣ م)، ١: ١٠٠ - ١٠٣.

المنطق بالصدق. من خلال مطابقة التعبير للحقيقة والواقع، ووفاء الجملة بالشروط الضامنة لذلك الصدق. ولقد كان الاهتمام بإثبات صلات بين شروط الصدق للجملة وأجزائها المؤلفة لها مع القوة التجريبية في إطار تأويل المعنى. توصلا لتفسير إمكانية إعادة إنتاج البنية التركيبية المستمدة من القدرة اللغوية والمعرفة بشقيها الحسي وغير الحسي. وتعمل بشكل فطري لدى الإنسان. مما دفع إلى الاهتمام بمفهوم "الحُدس - Intuition" (1).

لقد ارتبط مفهوم "الحُدس" في الفلسفة بصورة عامة بالمعرفة حول الأشياء وعلاقاتها. وكان هذا الأمر يتطلب من الدلالة الصورية — بمنهجها الذي يعطي الأولوية للتركيب في تأويل المعنى — أن يتخذ من "الحُدس" أداة ضمن عدة أدوات مفاهيمية للتأويل اللغوي. فمن المنظور المنطقي كانت الكيانات — كالأعداد، والأشكال الهندسية، والتعبيرات اللغوية — مسلماتٍ تنطلق منها المعالجة المنطقية. لأنها ناشئة عن معرفة حدسية غير محسوسة. بما تُدرك تلك المُسلّمات دفعة واحدة بلا استدلال (2).

(1) يشكل "الحُدس" أحد الموضوعات المهمة في الفلسفة والمنطق والدلالة الصورية. ويشير مصطلحه إلى معرفة حقيقية غريزية تكون مُركّزًا للاستدلال النظري. وتدور حول الأشياء وعلاقاتها. وعلى هذا فهو مفهوم مرتبط بالمعرفة عموماً. وتفرع عنه مصطلح "المعرفة الحدسية" للدلالة على المعرفة التي نستطيع من خلالها التفكير في آن واحد بكل التصورات التي تُشكّل بتركيبها الموضوع المُفكّر به، فيأتي إدراكها دفعة واحدة وبلا مفاهيم. والحُدس بهذا المعنى لا يعطي الأشياء وحسب، بل يعطي علاقاتها أيضاً، ينظر: أندريه لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية". تعريب: خليل أحمد خليل، (ط ٢)، بيروت — باريس: منشورات عويدات، ٢٠٠١م)، ٧٠١ / ٢ - ٧٠٦.

(2) ينظر: المرجع نفسه.

والمعنى التأليفي يُعَدُّ ضمن ما ينشأ عن تلك المعرفة الحدسية، والتسليم بذلك يحثُّ إضافة مفهوم الحدس إلى جملة أدوات تأويل المعنى لدى الدلالة الصورية. إن المنظور الصوري للدلالة جعلها شأنًا معتمدًا على معرفة طريقة بنائها. وبذلك يتيسر تحديدها بشكل نظامي، ذي صيغة قابلة للاستنباط. والمعرفة الحدسية بشأن الحقائق والمُسَلَّمات هي حسٌّ مشترك بين الناس. ويتفرع عن ذلك الحقائق والمُسَلَّمات حول اللغة. ووظيفتها في التواصل اللغوي عبر وحداته الأساسية لدى الدلالة الصورية، وهي القضايا والجُمَل.

والمعرفة الحدسية تنتمي إلى نطاق ما وراء اللغة. ونتمكن عبرها من الحكم بالصدق أو الزيف على الشيء المقصود بالنظر. وأن نقضي بإثبات القضية ونفيها. انطلاقًا من ذاتية الجملة باعتبارها قضية تحليلية. وليس على قاعدة التجربة والاختبار. وغالبًا ما تُعَدُّ القضايا ذاتية الدليل هي القضايا الوحيدة المعلومة عن طريق المعرفة الحدسية، دون الحاجة لتدخل عامل التجريد المنطقي والاستنباط لإثباتها أو نفيها⁽¹⁾. ويمكننا أن نعبّر عن مفهوم هذه المعرفة بمصطلح يناسب الموضوع، ويشير إلى الغرض من النقاش حوله، وهو مصطلح "الحدس اللغوي".

إن "الحدس اللغوي" يشير إلى كون الكيانات المعبر عنها باللغة أبنيةً ذهنية. تعتمد في وجودها على نشاط العقل⁽²⁾. والمعنى التأليفي في هذا السياق يشمل ما يُسمَّى "المعنى المشروط بالصدق أو المعنى القضوي". ويُعرَّف بأنه "المعنى الذي يحدد المرجع وقيم الصدق". ويسمَّى أيضًا: "المعنى الوصفي". وهو النوع المعتاد من المعنى،

(1) ينظر: Robert, Audi. "The Cambridge Dictionary of Philosophy". (2nd ed., Cambridge University Press, 1999). p. 442

(2) ينظر: Alex, Orenstein. "Philosophy Now". (Acumen Publishing Limited, 2002). p.42.

الذي يتم التعرّف عليه، وتمييزه عن غيره من المعاني عبر أساليب نحوية؛ كالنفي، والاستفهام، والتقديم والتأخير.

وكون معنى الجملة مرتبطاً بشروط صدقها مبنيٌّ على أن الحدس اللغوي بشأن المعنى التأليفي مظهر للقدرة اللغوية. فتعمل على تفعيل تلك الملكة. وإنشاء افتراضات بشأن الظروف التي تصدق فيها القضية على الواقع المعبر عنه بها أم لا. وبالتالي فإن معنى الجملة يحدد شروط صدقها (1).

إنّ صدق الجملة ينحصر في اتفاقها مع الواقع الذي تخبر عنه. وزيفها ينحصر في عدم اتفاقها مع ذلك الواقع. وكما سبق فإن ملاحظة الحدس قائمة على قيام العلاقة بين العقل وموضوعات العالم. واللغة باعتبارها أداة التواصل الإنساني الأبرز تعمل في نطاق معالجة التصورات الذهنية لهذه الموضوعات. وهي في ذاتها انعكاس لأبنية ذهنية، تعمل على ربط الأفكار، وبنائها كتصورات مُركّبة. تتوافق مع ما يُراد التعبير عنه وإيصاله من المرسل إلى المتلقي. وهذا الانعكاس يربطها برباط وثيق مع الحس المشترك. وتكون جزءاً منه بحيث يتمكن أبناء اللغة من إدراك معاني لغتهم مباشرة من غير حاجة أو قصد إلى التجربة أو عمليات استنتاج منطقي.

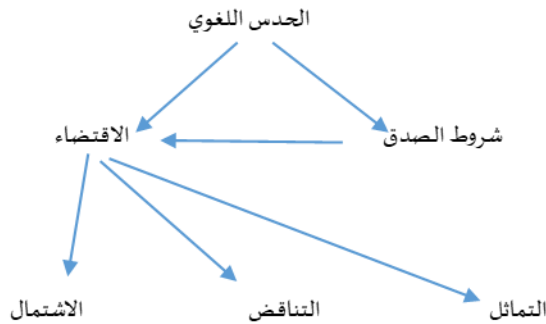
إن مفهوم شروط صدق الجملة مرتبط بالظروف المحتملة الداعية لإنشاء الجملة. وانعدام هذه الظروف يكون قاضياً بزيف الجملة. وتكون الجملة الخبرية موافقة لظروفها ومقامها أو لا تكون كذلك. وهو شأن راجع للحدس اللغوي؛ لأنه مكّون أساسي لقدرة لغوية فطرية. تُمكن أبناء اللغة من إدراك علاقة الجملة الواقعة بجمل أخرى لم تنشأ بعد. ولديهم القدرة على إنشائها. بناء على كونها موجودة مسبقاً. ومستبطنة في نظام إدراكي تأويلي متكامل. يعمل بشكل تلقائي. بالتزامن مع العمليات التأويلية

(1) ينظر: Paul, Kroeger, "Analyzing Meaning: An Introduction to Semantics and Pragmatics". (Berlin: Language Science Press, 2018). pp.24,26,36.

التي يجربها الذهن في مقام التواصل اللغوي. وبهذا تظهر لنا الإمكانية التي يحوزها الحدس اللغوي؛ من خلال تقديم معلومات عن حقائق اللغة، وما يلحقها من أحكام لا يتوصّل إليها عبر الخبرة والاستدلال. بل إن أبناء اللغة يحضون بأفضلية الوصول إلى حقائقها عبر الحدس اللغوي؛ لأنهم يمتلكون القدرة اللغوية ^(١).

وللحدس اللغوي دور في نشأة علاقات إدراكية متنوعة بين جمل محكية، وأخرى لم تُحَكَّ بعدُ. يعمل النظام الإدراكي على استدعائها وتصنيفها على أنها علاقات معنوية. وذلك عبر بوابة علاقة كبرى تُسمّى "علاقة الاقتضاء-Entailment".

وتقع هذه العلاقة المعنوية في أعلى التسلسل الهرمي لعلاقات فرعية أخرى ناشئة عنها. وتلك الفرعية بدورها تكون أساسا لعلاقات معنوية تتفرع عنها على شكل شبكة هرمية. يتطلبها وصف طبيعة علاقات المعنى في الجانب الإدراكي الذي يُعدُّ منطلق الدالّتين الصورية والمعجمية لتأويل المعنى وتفسير علاقاته، كما في الشكل رقم (١):



(١) ينظر: M, Devitt. "Linguistic intuitions revisited". (The British Journal for the

Philosophy of Science, 2010), ٦١ (٢٠١٠), ٨٦٥, ٨٣٣.

وعلاقة الاقتضاء مفهوم يتسع للمنظور الطبيعي للعلاقة المعنوية بقدر ما يتسع للمفهوم الصوري للاستنباط بين القضايا في إطار العلاقة المنطقية. بل إن استعماله في المجال المنطقي مشتق من أساس فطري لطبيعة العلاقة بين التعبيرات اللغوية. فالمرادف يقتضي مرادفه في حال كونهما بالدرجة ذاتها من المعرفة اللغوية في المخزون المعجمي لدى مستعمل اللغة. والنقيض يعرف بنقيضه — وبتعبير آخر: بضدها تتميز الأشياء — والتعبيرات الدالة على الأنواع الرئيسية والمجموعات المُشْتَمَلَة ترتبط بها مجموعات أدنى من التعبيرات اللغوية الدالة على الفروع المُشْتَمَلَة.

إن الجُمْل باعتبارها تجمعات تأليفية لدلالات أجزائها ينسحب عليها هذا المفهوم. وذلك بتأثير ما تحمله كلماتها من أنواع الاقتضاء. وبالتالي يمكن إنشاء جمل تدرج في سياق الاقتضاء عبر التماثل والتناقض والاشتمال.

وفي هذا الوضع يكون التباين الحاصل بين أنواع العلاقات الفرعية — التماثل والتناقض في هذه الحالة — غير منعكس بصورة حاسمة بين العلاقات المعجمية — الترادف والتضاد في هذه الحالة — بل يكون منعكسًا من خلال المعنى التألفي للقضايا. فالتماثل في المعنى — على سبيل المثال — قد يقع علاقة اقتضاء بين قضيتين عبر العلاقة الصورية المُعَبَّر عنها بعلاقة التفسير والتأويل - “Paraphrase” بين القضيتين (أ) و(ب) كما يلي:

أ — زيد اشترى كتاباً من عمرو.

ب — عمرو باع زيداً كتاباً.

هنا نلاحظ أن شروط الصدق للقضيتين متطابقة. فالقضية الأولى تقتضي الثانية، والثانية تعتبر تأويلاً للأولى. مع أنَّ دلالة الفعل (باع) تعارض دلالة الفعل (اشترى). ولكن تمثيل المعنى والمقام للقضيتين متطابق، بحيث استنبط الحدس اللغوي علاقة التماثل بينهما. أو بالأحرى وُجِدَ الترادف المنطقي بينهما. والعلاقة بين

القضيتين مبنية على أساس أنّ صدق إحداها يقتضي صدق الأخرى. وهذا هو تشخيص علاقة الاقتضاء في جانبها المنطقي. ومن هنا تنطلق دلالة شروط الصدق إلى دراسة العلاقات المعجمية بواسطة مقارنة المحمولات القابلة للإسناد إلى موضوع معين يحمل قيمة دلالية من خلال إشارته إلى مرجع معين⁽¹⁾.

ويُلاحظ الجانب الاستبدالي في هذه المقاربة. فُتُسَبِّدُ المحمولات المُسَنَدَة إلى الموضوع من جهة المُسَنَد في الجملة الاسمية الخبرية المفيدة عند تحليل المعنى. وينشأ عن ذلك الاهتمام بعلاقات المعنى ذات السمة الاستبدالية التي تكتسب تأثيرها من خاصية الاقتضاء. وهي علاقات معنوية تركيبية يمكن اعتبارها - بشكل عام - نظيرة لعلاقات معجمية غير تركيبية؛ وهي: الترادف - "Synonymy" - والتضاد - "Antonymy" - والاشتغال والانضواء - "Hypernymy & Hyponymy".

وهو جانب تتميز به الدلالة المعجمية؛ لأنها تدرس طبيعة هذه العلاقات المعنوية بين المفردات انطلاقاً من أن القدرة اللغوية تستدعي معرفة علاقة كلمة معينة بكلمات أخرى، تنتمي إلى متن لغتها على الصعيد المعجمي، باعتباره الأساس الأول المكوّن للتركييب اللغوية.

(1) ينظر: Charles W Kreidler, "Introducing English Semantics". (1st ed., Routledge. (1998), p.86. Taylor and Francis, London and New York).

المبحث الرابع: النموذج الصوري والبعد البنيوي للمعنى

سبق أن الدلالة الصورية تعتمد على تصور دلالي مبني على مبدأ النموذج. ويُقصدُ به وصف وتوضيح دلالة اللغة الطبيعية عبر محاكاتها بطريقة النموذج النظري. ويتعلّق في الأساس بالتأويل الدلالي في لغات المنطق الصوري التي طورها علماء المنطق في إطار ما يُسمّى "الدلالة المنطقية – logical semantics".

وتتيح هذه الطريقة وصف اللغة وتأويلها بصورة نظامية قابلة للتكرار حسب شروط الصدق. ولعل أهم سمة لها هي التمييز القاطع بين اللغة المقصودة بالتأويل، وتُسمّى: لغة الشكل أو اللغة الهدف. و"لغة الوصف والتأويل – metalanguage". وذلك بهدف إظهار كيفية ترجمة تعبيرات اللغة الطبيعية إلى نوع من اللغة يصطنعه العلماء. وفي هذه الحالة اللغة الرمزية للمنطق الحديث.

ولغة الوصف والتأويل مبنية على تعريف معيّن. يتكون من تعبيرات وضعية. يتوفر لها تمثيل نموذجي مُقتبس من نظرية النموذج في المنطق الرياضي. حيث تُتخذُ الموضوعاتُ مراجع من أنواع مختلفة. ويُخصّصُ مرجع لكل مفردة في الجملة المستهدفة. يمثل قيمتها الدلالية في هذه اللغة. ويُقرّن بتعريف ينص على كيفية استرجاع معاني الجُمْل التي تم تفكيكها إلى مكوناتها البسيطة. ويشكل تحديد الشروط التي تضمن صدق اللغة الصورية ضمن النماذج النظرية أداة رئيسية لهذا الإجراء. وعليه يمكن اعتبار هذه النماذج نوعاً من دلالة أعم لشروط الصدق⁽¹⁾. والنموذج – هنا – هو بنية معلوماتية محاكية للغة الطبيعية. يتعلق بها إمكانية تقييم تعبيرات لغة معينة. وبالأخص تقييم جمل تلك اللغة حسب مفهوم الصدق والزيّف⁽¹⁾.

(1) ينظر: Radek Ocelák, "Besieging Model-Theoretic Semantics." pp. 1-21.

<http://www.ocelak.cz/wp-content/uploads/2016/01/besieging.pdf>

(1) ينظر: Kamp. H & Reyle. U. "From Discourse to Logic". (Springer- Science +

وبناء على ما سبق فإن النظرية الصورية تتعامل مع المعنى على أنه بنية قابلة للتأويل من خلال نموذج موضوع للتأويل لجني الفوائد التالية (2) :

أولاً: ضبط التمثيل الدلالي وإزالة الغموض: ففكرة الحدس اللغوي تؤدي دوراً في خلق مساحة للخطأ وللانطباعات الشخصية عند تأويل المعنى. وعلى سبيل المثال، ما المقصود بالقول: إن تعبيراً لغوياً معيناً يشير إلى "الدقة" أو يعني "الدقة"؟ على اعتبار أن التصور المجرد لـ "الدقة" يكون مرجعاً للتعبير.

إنه من أجل أن يكون مرجع كلمة "الدقة" جزءاً من نظرية صورية للمعنى يجب أن يكون مفهوماً محدداً بوضوح في مكانٍ ما من النموذج المُحاكي. لأن إيضاح المعاني حسب أشكال وضعية منطقية للتعبيرات هو منهج تقييدي يعمل على بناء المعنى من الأسفل إلى الأعلى. ويعتمد على ما يُعَلَّم بصورة عامة أنه جزء من النموذج ليُبتدأ به.

ثانياً: تأويل المعنى حسب نموذج هو معالجة صورية مستقلة عن محتوى ما يتم تمثيله بواسطة التعبير اللغوي حسب طبيعته اللغوية الأساسية.

ولتكون هذه المعالجة قابلة للتطبيق بصورة عامة وآلية. فإن الدلالة الصورية تعمل من خلال النموذج على استنطاق ما تعتبره ضرورياً بالشكل الكافي لتأويل التعبيرات اللغوية المركبة.

وتعمل كذلك على استكشاف القيود الدلالية على هذا النموذج باعتبارها —

=

Business Media, B.V, 1993), p.93.

William, Frawley. "Linguistic Semantics". (Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publishers, 1992). p.27.

أي تلك القيود _ فضاء مثاليا للمعنى في مجال البحث في البنية العامة لمعنى التعبير اللغوي. وهي لا تسعى إلى هذه المثالية في إطار جهدها بمقابلة التراكيب اللغوية بعناصر النموذج المُحاكي لها في اللغة الرمزية. وتفترض أن اللغة عند تعيين المعاني للتعبيرات المركبة تسلك خطأً معيناً. يجعل النموذج الصوري مناسباً وطبيعياً لعملية تأويل المعنى. لأن التمثيلات الدلالية الناتجة عن تجمعات الألفاظ حسب قوانينها الطبيعية تقتزن بسمات معيّنة غاية في العمومية. وتستفيد منها الدلالة الصورية في إنشاء نماذجها النظرية. مع كونها مقيّدة بسمات أسلوبية، أو بلاغية، أو صفات دلالية طبيعية معينة. يُعبّر عنها بمفهوم "ظلال المعنى".

ثالثاً: إذا كان المعنى صورياً فبإمكاننا استعمال بقية أدوات جهاز التحليل الصوري. لحل الإشكالات الدلالية المتعلقة بعلاقات المعنى بين التعبيرات. وهي فكرة تؤدي إلى الالتقاء مع الدلالة المعجمية؛ لأنّ مفهوم الحدس اللغوي يؤدي دوراً مهماً في افتراض ثلاث علاقات رئيسية بين التعبيرات؛ هي علاقات التماثل، والتناقض، والاشتغال.

الفصل الثاني: الدلالة المعجمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف والتشخيص.

المبحث الثاني: العلاقات المعجمية والبعد البنيوي للمعنى.

المبحث الثالث: مفهوم الاستبدال في العلاقات المعجمية.

المبحث الأول: التعريف والتشخيص

تبين لنا مما مضى قيام تداخل بين منحين لدراسة المعنى:

أولهما: المنحى الذي يعتمد الجملة أساساً للتأويل الدلالي. ومنطلقاً لفهم مساهمة معاني أجزائها في معناها الكلي، المعنى بقيمتها التواصلية وتمثله "الدلالة الصورية".
وثانيهما: المنحى الذي يعتمد الكلمة أساساً للتأويل الدلالي، ومن ثم ينطلق نحو تأويل الجملة. وتمثل هذا المنحى "الدلالة المعجمية".

ومن العناصر الأساسية للقدرة اللغوية إدراك العلاقات المعجمية. والبناء على ما تحمله الألفاظ من دلالات تتناسب مع هذه العلاقات. وإعادة صياغة الرسالة اللغوية من قبل منشئها بطرق مختلفة، تبعاً لمقتضيات الغرض الذي يراد إيصاله⁽¹⁾.
والفرع الدلالي الذي يهتم بهذا الجانب هو "الدلالة المعجمية".

والدلالة المعجمية يمكن تعريفها بأنها: فرع من علم الدلالة يهتم بدراسة معاني الكلمات، وعلاقاتها ضمن اللغة. والتركيز الأساسي فيه على متن اللغة. ليكون منطلقاً إلى المستوى الذي تتم فيه عمليات التواصل اللغوي. ونقل الأفكار المركبة في مستوى الجملة والنص.

(1) ينظر: Nick, Riemer. "Introducing Semantics". (Cambridge University Press, 2010), p.136.

وبناء على أن وظيفة اللغة الرئيسية هي أن تكون أداة فاعلة للتواصل بين أبناء المجتمع اللغوي، من خلال القدرة اللغوية على بناء علاقات بين مختلف الوحدات المعجمية في إطار التواصل اللغوي. فلا يمكن استعمال الكلمة لوحدها منفردة عن سياق تركيب ملفوظ أو مُقَدَّر. ولا بد من أن تتركّب وتلتقي مع كلمات أخرى لتعبّر عن فكرة مُركّبة كُليّة صالحة للتواصل. ولا يكون ذلك إلا في نطاق الجملة التامة المفيدة التي تعبّر عن تلك الفكرة الكليّة المُركّبة. والأفكار المُركّبة هي الأفكار التي يتم نقلها عبر اللغة. والوظيفة الأساسية للغة هي أن تكون وسيلة لإيصال تلك الأفكار المركبة من خلال مخزون معجمي تمثله الكلمات المفردة بمعانيها المؤلّفة للمعنى الكلي للتركيب.

وتحليل معنى الكلمات، وكيفية مساهمتها في فهم وتفسير المعنى المُركّب للكلام الطبيعي. يقتضي اعتبار الجانب النحوي للكلمة. وكونها عنصراً أساسياً في المستوى النحوي للغة. تؤدي دورها من خلاله في ترميز المعلومات المُتطلّبة في التواصل اللغوي. وهي فكرة مرتبطة بمسألة كون مداخل المعجم كيانات ذات بنية غنية. تقوم بدور حاسم فيما يتعلق بتركيب الجُمْلَة الواحدة. وما يستلزمه معناها التأليفي من جمل أخرى تتناسب معه. مما يتطلّب أن يكون التأويل الدلالي للمعنى على صعيد الجملة مبنياً على معرفة الدلالات المعجمية لكلماتها. وقيام قواعد النحو والصرف بتوفير طريقة نظامية وفعالة لترميز المعلومات المرتبطة بالكلمات في نظم الجمل⁽¹⁾.

J. Pustejovsky, "Lexical Semantics". In M. Aloni & P. Dekker (Eds.), *The* (1) *Cambridge Handbook of Formal Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press, 2016, pp. 33-64.

المبحث الثاني: العلاقات المعجمية والبعد البنيوي للمعنى

نشأت الدلالة المعجمية ضمن إطار لساني عام متأثر بالاتجاه البنيوي. وفي النهاية جميع المقاربات بنيوية؛ لأن اهتمامها الأساسي مُنصبٌّ على دراسة عمل النظام اللغوي (1).

وفي سياق هذا الاتجاه البنيوي للدرس اللغوي - كما وضع أسسه "دوسوسور" - تأثرت تيارات ومدارس لسانية جاءت فيما بعد. واعتمدت منظورًا يشمل تحليل نُظُم اللغة في مستوياتها المتعددة. والعمل على إيجاد وسائل علمية تعين على وصف تفاصيل عناصرها البدائية والتركيبية. وربطها بأنواع وأصناف قابلة للفرز والتحليل لاستنتاج الأنماط العامة. ومعرفة كيفية عمل اللغة على اعتبارها أداة تواصلية. تكاد تكون الوحيدة المؤثرة أشد التأثير في مسيرة الجنس البشري عبر التاريخ. لذلك نجد في علم الدلالة مصطلح "الدلالة البنيوية". وهو مصطلح يشير إلى مفهوم يجمع مقاربات وصفية مختلفة. تأسست على مبدأ البنيوية في حقل الدلالة المعجمية. والسمات المشتركة بين هذه المقاربات يمكن إيجازها فيما يلي (2):

- ١_ الأهمية الأساسية للنطاق التصوري في عملية تحليل معنى الكلمة.
- ٢_ يجري تحليل معنى الكلمة بصفاتها وحدة مرتبطة ببقية وحدات متن لغتها.
- ٣_ معنى الكلمة هو نتيجة علاقتها بالمعجميات الأخرى ضمن نطاق تصوري معيّن.
- ٤_ تحليل المعنى الكلي للكلمة المفردة، عبر تجزئته إلى عناصر دلالية صغرى، تمثّل

(1) ينظر: Clark, B. "Structuralism" In the Encyclopedia of Language and Linguistics. Keith Brown (ed.). 2nd ed., ELSEVIER, 12:165-166
(2) ينظر: Bussmann, Hadumod, "Dictionary Of Language And Linguistics". (Routledge, 1998). pp.1131-1132.

جزيئات المعنى. وتلتقي مع جزيئات المعنى لكلمات أخرى. وتُكوّن بنية إدراكية تلعب دور الأساس للخطاطات الذهنية (1) في النطاق التصوري للمعنى. وتبرز في هذا السياق مقاربات معجمية؛ كالحقول الدلالية، والتفكيك المعجمي، والتحليل المكوناتي للمعنى. وهي مقاربات مهمة لقيام الدلالة المعجمية بوصف البنية الدلالية لمجموعات الكلمات. وتصنيف أنواع العلاقات بينها. وجميعها مقاربات لمعجم اللغة، تنشط إجراءاتها في ظل المفهوم العام للبنىوية.

وهنا نلاحظ إحدى النقاط المهمة في التداخل بين الداليتين الصورية والمعجمية. فالمنظور البنيوي يحمل في طياته مفهوم التركيب. ويمثل الميدان الذي تعمل فيه الدلالة الصورية عبر نماذجها النظرية للتحليل الدلالي. وفي سياق التحليل البنيوي للمعنى ووصف علاقاته تلتقي الداليتان الصورية والمعجمية من خلال مقارباتي دلالة شروط الصدق والعلاقات المعجمية.

إن الدلالة المعجمية تدرس علاقات الترادف والتضاد والاشتغال. ضمن مقاربات تعتمد على تحليل معاني المعجميات. بناء على سمات الاشتراك والاختلاف. تمهيداً لتصنيفها ضمن معجم لغتها. وأما في الدلالة الصورية فتُدرس علاقات المعنى من خلال القضايا. وبناءً على ركيزة شروط الصدق بمقارنة المحمولات القابلة للإسناد إلى موضوع معين. فإن هذا الموضوع يحمل قيمة دلالية

(1) "الخطاطات الذهنية" مصطلح ينتمي إلى علم النفس. ويشير هذا المصطلح إلى إطار عملي للمعرفة والإدراك. يشمل الأنماط المتداخلة للأفكار، والانطباعات عن العالم من حولنا. واستنتاج العلاقات من ذلك. وتذكر الحقائق والأحداث المترابطة، ينظر:

Runyan, Jason D., Anthony N. Moore, and Pramod K. Dash. 2019. "Coordinating What We've Learned About Memory Consolidation: Revisiting a Unified Theory." *Neuroscience & Biobehavioral Reviews* 100 (February): 77–84. <https://doi.org/10.1016/j.neubiorev.2019.02.010>. 77–84.

من خلال إشارته إلى مرجع معين (1).

ويبرز في هذه الحالة مفهوم علاقة الاستبدال. وهي عنصر أساسي في عملية المقارنة. وافترض العوالم الممكنة لسياق القضايا في الدلالة الصورية. وتعمل على تأطير التحليل العلمي القابل للتكرارية المنهجية لتحليل المكونات اللغوية الموصوفة بأنها "وحدات معجمية". ضمن شمولية المخزون المعجمي في مقاربات الدلالة المعجمية. ومن هنا نستطيع أن نلمح الأثر المنطقي الجامع بين الداليتين الصورية والمعجمية. في البحث عن المعايير التي من خلالها يمكن إيجاد أدوات عامة لدراسة المعنى. وتفسير علاقته بالأجزاء والكلية اللغوية. وقيام الاستنتاج الصحيح للروابط الطبيعية بينها. بعيداً عن خصوصية الحالات. لاستكشاف الثوابت والقوانين الضابطة لنوع هذه العلاقة وطبيعتها في الميدان العام للنظرية الدلالية.

(1) ينظر: Kreidler, Charles W. "Introducing English Semantics" p.86.

المبحث الثالث: مفهوم الاستبدال في العلاقات المعجمية

في إطار الدلالة المعجمية تنشأ مجالات تستدعي الإجابة عنها البحث فيما يتعلق بماهية المكونات الدلالية التي تشكل معنى الكلمة. فمعرفة هذه المكونات عنصر أساسي لبقية أدوات تأويل المعنى وتحليله على صعيد علاقة الكلمة المفردة ببقية الكلمات. ومعرفة كيفية ترابط معاني الكلمات وتمييزها. ومعرفة العوامل المؤدية إلى تداعي المعاني والاختضاء. خاصة إذا وضعنا بعين الاعتبار أن منهج الدلالة المعجمية يقتضي دراسة دلالة الكلمات، ودورها في المعنى التأليفي للجمل⁽¹⁾.

وهنا تبرز دراسة العلاقات الاستبدالية للمعنى. فلها دور حاسم في مجال الدلالة المعجمية بشكل خاص. وفي النظرية الدلالية بشكل عام. لأن الدلالة المعجمية مرتبطة بمعجم اللغة. ومعجم اللغة في هذا السياق يُنظرُ إليه باعتباره جزءاً من قواعد اللغة التي تنتج التراكيب وما تحمله من معنى تأليفي⁽²⁾.

وتشير العلاقة الاستبدالية المعجمية إلى تنوع طرائق ترابط الكلمات فيما بينها عند استعمالها ضمن نظامها النحوي. وقد يكون هذا الترابط نابعا من معنى مشترك. وقد يكون لإحدى الظواهر المعجمية الأخرى. وأهمها في هذا السياق علاقات الترادف، والتضاد، والاشتغال.

إن دراسة هذه العلاقات شأن أساسي في النظريات الفرعية المنتمية إلى عائلة

(1) : ينظر : J. Pustejovsky, "Lexical Semantics". In M. Aloni & P. Dekker (Eds.), The Cambridge Handbook of Formal Semantics. Cambridge: Cambridge University Press, 2016, pp. 33-64.

(2) ينظر: المرجع نفسه.

النظريات الدلالية الإشارية. ونظيرها في مجال الدلالة الصورية علاقات المعنى الاستبدالية على صعيد الجملة. وهي محور اهتمام شروط الصدق. التي تشكل بدورها ركنا أساسيا للدلالة الصورية. وتتمثل هذه العلاقات المعنوية في علاقات التماثل، والتناقض، والاشتغال.

وتنطلق هذه العلاقات المعنوية — كما سبق — من اهتمام ذي بعد منطقي رياضي، توليه الدلالة الصورية للقضايا وقيم صدقها، باعتبارها نواة المعنى. ومع أن هذه العلاقات المعنوية بين الجمل تعكس هذا الاهتمام البحثي المتخصص. غير أن لها جذورها اللغوية الطبيعية. من خلال علاقة الاقتضاء، وارتباطها بالقدرة اللغوية. وارتباطها بالإطار الأوسع للنظرية الدلالية. ووظيفتها المهمة في تفسير الحدس اللغوي، الذي يمتلكه أبناء اللغة بشأن العلاقات المعنوية بين تعبيرات لغتهم.

فإذا اعتبرنا ما يقتضيه مفهوم المعنى التأليفي — وهو مركب مهم في الدلالة الصورية — فإن هذه العلاقات هي نسخة منطقية رياضية على صعيد الجملة لمفاهيم وتصورات لغوية طبيعية أساسية. يقتضيها منطق اللغة الفطري. الذي يجعل اللغة وسيلة للتواصل بين أبنائها.

ولذلك تُوظف إمكانات اللغة التركيبية والمعجمية. لتعكس طبيعة الأفكار الإنسانية، والتصورات الذهنية. بالاعتماد على مقولات، وأنواع إدراكية، مشتركة بين الأذهان. ومنها التماثل والترادف. والتعارض والتضاد. والاشتغال والانضواء. وهي تصورات ذهنية مجردة. منسجمة مع طبيعة الكون الذي يعيش فيه الإنسان، ويلاحظ خصائصه الطبيعية.

واللغة جزء من فطرة الإنسان التي فطره الله تعالى عليها. ومن الطبيعي أن

تنتقل هذه الملاحظات والتصورات الكونية المجردة عبر إدراك الإنسان إلى طبيعة لغته. ممهدة الطريق لعلاقات معنوية طبيعية على صعيد مفردات متن اللغة انتقالاتاً إلى تركيب اللغة ونظمها. ومن تركيب الجملة المفيدة إلى أجزائها المكونة _أو من الكل إلى الأجزاء_ ولذا فهذه العلاقات الصورية والمعجمية يمكن ردها إلى ثلاث علاقات رئيسية؛ هي:

- ١ _ علاقة التماثل.
- ٢ _ علاقة التناقض.
- ٣ _ علاقة الاشتمال.

الفصل الثالث: العلاقات الاستبدالية المشتركة بين الداليتين الصورية

والمعجمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاقة التماثل.

المبحث الثاني: علاقة التناقض.

المبحث الثالث: علاقة الاشتمال.

المبحث الأول: علاقة التماثل

تشمل علاقة التماثل في المعنى علاقة الشرح والتأويل من جهة الدلالة الصورية. والترادف من جهة الدلالة المعجمية. أما علاقة الشرح والتأويل، فهي علاقة منطقية ودلالية بين الجمل. يتمكن من خلالها المعنى التأليفي للجمل من التعبير عن فكرة الموضوع مع محموله بعدة صيغ تركيبية تحمل نفس قيم الصدق⁽¹⁾.

وبغض النظر عن تنوع الدلالات التركيبية لتنوع الأساليب النحوية؛ كالتقديم والتأخير، والبناء للمعلوم والمجهول، وإضافة أدوات نحوية معينة. فهذه الظواهر النحوية تؤدي إلى التنوع في تركيب الجمل، ولكن لا تؤدي بالضرورة إلى التباين الكلي بينها في القيمة المنطقية للصدق. وعلاقة الموضوع والمحمول. والمقدمات المنطقية للقضايا وارتباطها بالمرجع في الجمل الخبرية المفيدة. ذلك المرجع الذي يتكرر بصورة أو بأخرى في جميع هذه التنوعات التركيبية. وفي هذا السياق يقع الترادف التام بين الكلمات. من منظور نماذج محاكاة اللغة الطبيعية، وتحليلها في الدلالة الصورية.

(1) ينظر: Crystal, David. "A Dictionary of Linguistics and Phonetics". (6th ed., p.350. Blackwell Publishing Ltd, 2008).

وفي الجانب الصوري من مقارنة المعنى يُعبّر عن مفهوم علاقة التماثل بـ "الترادف المنطقي". وتقع على صعيد الجمل بناء على التعامل مع الجملة على أنها وحدة مفردة. في مقابل وحدات أخرى في سلسلة الاستنتاج المنطقي ومعادلاته الرياضية. ويبرز ذلك جلياً في اللغة الرمزية للمنطق التي تعمل على اختزال الجمل في رموز وأحرف، نحو: القضية (أ) والقضية (ب). كما هو الشأن لدى المعجمي الذي يتعامل مع المفردة على أنها وحدة مستقلة. في مقابل وحدات أخرى في مجال المترادفات. ولهذا يعرف الترادف بأنه: "علاقة التماثل الدلالية في المعنى بين المواد المعجمية، أو الجمل والقضايا" (1).

وتشمل دراسة الترادف في الدلالة المعجمية عناصر مختلفة مؤثرة في المعنى؛ مثل إشارة الكلمة إلى مرجعها، وما تضيف إليه من خصائص وصفات تثير مدخله المعجمي. وهذه العوامل مؤثرة في الدلالة الكاملة للكلمة في وضعها الإفرادي والتركيب. فبالإضافة إلى الاشتراك بين كلمتين فأكثر في الإشارة المباشرة إلى موضوع معين، فإن الكلمة يمكن أن تحمل معنى إضافياً "Connotative meaning" يُعبّر به عن الجوانب الدقيقة للمعنى، والحالات الخاصة للدلالة. ومن خلال ذلك يمكن المحاجة بالفروق بين المترادفات أو حتى نفي صفة الترادف عنها. بناء على تغليب هذه الفروق المتحصلة في هذه الحالات الخاصة كما فعل أبو هلال العسكري في كتابه "الفروق" (2).

ولهذا يفضل بعض الباحثين في مجال الدلالة المعجمية استعمال مصطلح "

(1) ينظر: Murphy, M. L. "Synonymy". In Keith Brown (ed.). the encyclopedia of language and linguistics. 2nd ed., ELSEVIER. vol.12. (2006). pp.376-378. 12/376-378.

(2) ينظر: الحسن بن عبد الله العسكري، "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم سليم. (القاهرة _ دار العلم والثقافة).

الترادف الجزئي ". للتعبير عن هذه العلاقة المعنوية بين الكلمات. ويرون أنه يقع الاستبدال بين المترادفات في سياقات معينة. يكون القصد منها التعريف، أو السعي إلى تطبيق قوانين عامة، وربط الأجزاء بالكليات. والمترادفات _ بهذا الاعتبار _ تكون أكثر شيوعاً في المفردات الأساسية وأقل شيوعاً في المصطلحات التخصصية^(١).

ومن جهة الدلالة الصورية _ حيث تحليل المعنى والتمثيل المنطقي في مجال الجملة _ يُعتبر الترادف بين الكلمات تأملاً. بغض النظر عن الفروق الدقيقة بينها. ويوظف هذا الاعتبار في نماذج محاكاة اللغة الطبيعية وتحليلها لدى الدلالة الصورية. لبناء نماذج منطقية تمثل معاني الكلمات وعلاقتها بالكلمات الأخرى في جملها. ولمعرفة إمكانية اشتراك هذه الكلمات في نفس النموذج الصوري. وبالتالي تحديد شروط الصدق التي تجعل هذه الكلمات مترادفة.

ومن الأمثلة على هذا المفهوم الصوري للترادف كلمات من نحو: السيف، المهند (٢)، المشرفي^(٣). فيتم تحليلها في جمل أو قضايا تعتمد لغة المنطق الرمزي وأدواته. وتستعير مفاهيم ونظريات رياضية. ومنها "نظرية المجموعات". في تسلسل يفترض وجود

(١) ينظر: Hartmann, R.R.K., & James, G. "Dictionary of Lexicography". (1st ed., p.135. London: Routledge, 1998).

(٢) المهند: هو السيف المنسوب إلى بلاد الهند. وأصل التهنيذ في السيف أن يُطَبَّع ببلاد الهند. ويُحَكَّم عمل شَحْذِهِ حتى لا ينبو عن الضريبة. يُقَال: سيفٌ مُهَنَّدٌ وهِنْدِيٌّ وَهِنْدُاويٌّ إذا سوي وطُبع بالهند، ينظر: محمد بن أحمد الأزهرى "تخذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م). (ه د ن)، ٦: ١١٥.

(٣) المشرفي: سيف منسوب إلى "مشارف الشام". وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م). (ش ر ف)، ١٣٨٠/٤.

الترادف التام بين هذه الكلمات. حسب خطوات يمكن إيجازها فيما يلي:

١ _ تحديد المفاهيم الأساسية لكل من: السيف، المهند، المشرفي.
فنعتبر " السيف " اسمًا عاما لمجموعة. تضم كلا من: المهند، والمشرفي. والأخيران يُعتبران فردين _ Constant في هذه المجموعة. وهناك ارتباط دلالي بين المهند والمشرفي يُعبّر عنه بالترادف. من خلال التماثل في الإشارة إلى الاسم العام "السيف". فهما عنصران في مجموعة واحدة اسمها "السيف". وعلى الرغم من اختلافهما في تفاصيل معنوية أخرى تنتمي إلى مدخليهما المعجميين. إلا أن التركيز على التماثل الحاصل في الانتماء إلى مجموعة واحدة هو المهم في هذه الحالة.

٢ _ التمثيل المنطقي لكل من: السيف، المهند، المشرفي.

➤ السيف (x): دالة منطقية عامة. وحكمها "صادق" إذا كان X يمثل السيف.
و "زائف" إذا لم يكن كذلك.

➤ المهند (x): "المهند" دالة منطقية تأخذ المتغير X الذي يمثل "السيف". وحكمها "صادق" إذا كان السيف من نوع "المهند". و "زائف" إذا لم يكن كذلك.

➤ المشرفي (x): دالة منطقية تأخذ المتغير X الذي يمثل "السيف". وحكمها "صادق" إذا كان السيف من نوع المشرفي. و "زائف" إذا لم يكن كذلك.

٣ _ تحليل العلاقة الدلالية:

➤ العلاقة بين "المهند" و "السيف":

"المهند": اسم لنوع من أنواع السيوف. وكل مهند سيف. وليس كل سيف مهند.

و يُعبّر عن ذلك في صيغة منطقية كما يلي:

$x \vee$ (المهند (x) ← السيف (x))⁽¹⁾.

➤ العلاقة بين "المشرقي" و"السيف": "المشرقي" هو نوع من أنواع "السيف". وكل مشرقي سيف. وليس كل سيف مشرقي. ويُعبّر عن ذلك في صيغة منطقية كما يلي:

$x \vee$ (المشرقي (x) ← السيف (x))

➤ العلاقة بين "المهند" و"المشرقي": العلاقة بينهما مباشرة. وكلاهما يشير إلى "السيف" باعتبارهما اسمين له. أو على الأقل اسمين لنوعين من أنواعه. ويرتبطان معنويًا عبر مرادفتهم لكلمة "السيف".

والمهند والمشرقي عنصران في مجموعة واحدة. ويكون الاسم "المهند" عنصرًا في المجموعة. ويشير إلى نوع معين من السيوف، وكذلك "المشرقي". ويُعتبران دالتين في سياق تأويل المعنى لدى المنهج الصوري للدلالة. ويُعتبر الاسم "السيف" اسمًا للمجموعة. ويكون مُتغيّرًا أو قيمة للمتغير X في الدوال "المهند (x)" و"المشرقي (x)". والدلالة الصورية تستخدم مفاهيم المجموعات والدوال لتحليل العلاقة بين المترادفات الواقعة في الجمل المختلفة.

(1) $x \vee$ (المهند (x) ← السيف (x)): $x \vee$: هذه العبارة تعني أنّ لكل x، والرمز $\vee$ يسمى "المُكَمِّم العام" ويعني: لكل أو لجميع. والعبارة التي تليه تنطبق على جميع العناصر في مجموعة معينة. والمهند (x): يمثل محمولًا - predicate يعبر عن خاصية كون x "مهندًا"؛ أي: كون السيف مهندًا. السيف (x): يمثل محمولًا آخر يعبر عن خاصية كون x "سيفًا"؛ أي: كون السيف سيفًا. والرمز $\rightarrow$: يعني "يستلزم" أو: "إذا كان... فإن...". وعلى هذا فالصيغة تعني: "لكل كائن x، إذا كان x مهندًا، فإن x سيف".

وتوجد أشكال من العلاقة بين الوحدات المعجمية. يُوجدها منطق علاقة الكل بالأجزاء في معجم اللغة. وبهذا يمكن العثور على ثنائيات أو مجموعات من الكلمات المؤتلفة في جُمْل. تتماثل تقريباً في الإشارة الموضوعية.

وعلى سبيل المثال، يمكن استخدام الأسماء نحو "التمييز، والتمايز، والتباين". والأفعال نحو "مَضَى، ذَهَبَ، سَارَ". للإشارة إلى موضوع يجمعها في التصور المعجمي. وينسحب هذا على المعالجة الصورية في إطار شروط الصدق. عن طريق مقارنة المحمولات في الجملة الفعلية الواقعة خبراً عن المبتدأ في نحو:

١- خالدٌ مَضَى نحو النجاح.

٢- خالدٌ سَارَ نحو النجاح.

٣- خالدٌ سعى نحو النجاح.

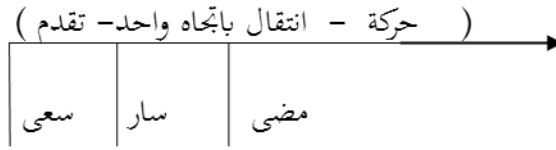
فالمقارنة حاصلة بين المحمولات: مَضَى، سَارَ، سعى. وبالرجوع إلى معطيات الدلالة المعجمية. نجد أن هذه الأفعال تشترك في سمة أو أكثر من السمات الدلالية المكونة لمعناها. مما يؤهلها من منظور الدلالة الصورية للانتماء إلى مجموعة واحدة تكون موضوعاً لها. وبالتالي الوفاء بمطابقة شروط الصدق في التعبير عن المعنى التركيبي المراد محاكاته في نموذج صوري.

ونرى التكاثر بين الداليتين الصورية والمعجمية في هذا الشأن عبر "الترادف الإدراكي"⁽¹⁾. وهو مفهوم لنوع خاص من الترادف يعتمد على قيمة الصدق للجملة.

(1) ينظر: D.A, Cruse, "Lexical Semantics". (Cambridge University Press, 1986). p.88.

والترادف الإدراكي _ كما ذكرت _ يبنى على مفهوم أن المترادفات تشترك في عضوية مجموعة واحدة. ويعني هذا أن مجموعة المفاهيم أو الأشياء التي تشير إليها كلمة معينة. تتداخل أو تتماثل مع مجموعة المفاهيم أو الأشياء التي تشير إليها مرادفاتُها الأخرى. وفي نظرية

ويُعرَّف بأنه العلاقة المعجمية التي تعمل على موازنة الهوية أو التماثل في عضوية المجموعة الواحدة بين عدة عناصر، وتلك المواد المعجمية يتطابق معناها بالتوازي باعتبار الاشتراك في السمات المعجمية للمعنى، مما يجعلها عناصر ضمن مجموعة واحدة كما في الشكل رقم (٢):



(يُلحَظُ التطابق بالتوازي بين الأفعال الثلاثة من خلال السمات المعجمية المشتركة) وما يوجد بين الوحدات المعجمية من اختلاف فهو لعامل دلالي معجمي. يرجع إلى اختلاف في المعاني الإضافية "Connotations" والخواص الأسلوبية المتعلقة بظلال المعنى. وبهذا يمكن وجود "الترادف المنطقي" من منظور استبدالي بين كلمات من نحو: اللب والعقل. الجود والكرم. السكين والمديّة. لوجود التوازي في الهوية لكل زوج منها عبر سمات مشتركة تنتمي بها إلى مجموعة واحدة. تجعل من الممكن وقوع الاستبدال بين أعضائها من غير تغيير شروط الصدق للقضايا المتضمنة لتلك المعجميات المستبدلة^(١).

وبتشخيص الترادف على أنه علاقة متكافئة بين جزئيات للكل الذي تعبّر عنه القضية. وهي جزئيات لا يمكن التغافل عنها؛ نظرًا لأهميتها في تحديد عناصر

=

المجموعات تتمثل المفاهيم أو الأشياء = مجموعات. وبذلك يصح استخدام مبدأ الترادف الإدراكي للحكم بأن كلمتين أو عدة كلمات تنتمي إلى نفس المجموعة.

(1) ينظر: Murphy, M. L. (2006). "Synonymy".

المجموعات. ولكون خواصها الدلالية المعجمية تؤهلها لعضوية تماثلية معينة ضمن دور الدالة الذي تقوم به هذه العناصر. فيعبر عنه "بوستيوفسكي" ⁽¹⁾ بأنه: علاقة بين أشكال الكلمات باعتبار الموضوع لا المفهوم؛ أي: باعتبارها متغيرات معجمية لمرجع معين يتم تقديره موضوعا لدالة تؤلفها مجموعة من المعجمات.

وهذه الدالة هي أيضاً في ذاتها موضوع لعدد من المتغيرات في مجموعة دالتها. يسري عليها مبدأ الاستبدال فتتماثل قيمتها الدلالية. ويمكن التعبير عنها في صيغ معادلات رياضية منطقية تعتمد نظرية المجموعات _ كما في الأمثلة السابقة _ وذلك نظراً لأهمية شروط الصدق في استنتاج الترادف بين القضايا التي تشكل هذه المتغيرات جزءاً منها. وهو ما يُعبر عنه بـ " الترادف المنطقي " _ كما سبق _ من غير أن تتغير قيمة الصدق للجمل التي وقع فيها استبدال بين عناصر مجموعة واحدة.

ومفهوم " المجموعة - Set " يؤدي دوراً مهماً في دراسة "علاقة التماثل ". كونها علاقة بين عدة أشكال للمُسند تُعتبر متساوية في القيمة الدلالية. وذلك على اعتبار أن هذه القيمة الدلالية تمثلها بالتساوي أعضاء مجموعة واحدة تعمل بصورة "دالة" لموضوع واحد.

وكذلك الشأن لبقية العلاقات المعجمية في إطار استبدالي ضمن التراكيب اللغوية. وهذه النظرة مبنية على مسألة مهمة في الدلالة الصورية؛ وهي أن منهجها التحليلي يكتفي بإعطاء المعنى العام للبنية دون التفاصيل الخاصة للمحتوى ⁽²⁾.

(1) ينظر: Pustejovsky, J. Lexical Semantics: Overview, In *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, Keith Brown (ed.). 2nd ed. ELSEVIER, 7:98-106

(2) ينظر: Frawley, William. (1992). *Linguistic semantics*. Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publishers. p.27.

فالقضيتان تعتبران مترادفتين أو شرحاً وتأويلاً لبعضهما ضمن علاقة التماثل إذا كان لديهما نفس شروط الصدق حسب المفهوم السابق. وبعبارة أخرى: فما يعتبره الحدس اللغوي مقاما تواصليا يصدق للقضية (أ) يقتضي أن يكون صادقا للقضية (ب). وكل مقام تواصللي لا تصدق فيه القضية (أ) يقتضي أن لا تصدق فيه القضية (ب) أيضا. وهذا يعني أن الترادف بمفهوم الشرح والتأويل بين القضايا هو علاقة اقتضاء متبادلة بين الجمل، نحو:

١ - زيدٌ اشترى الكتابَ مِنْ عَمْرٍو

٢ - عَمْرٌو باعَ زيداَ الكتابَ

فالقضية (١) تقتضي القضية (٢) والعكس صحيح. إذن (١) و (٢) هما جملتان مترادفتان منطقيا نظراً لتطابق شروط الصدق بينهما. مع أن كلاً من (اشترى) و (باع) متعارضان في المستوى المعجمي. ولكن دلالة كل من الكلمتين أصبحت جزءاً من كل. وبهذا اكتسبت قيمة دلالية تأليفية من التركيب المتضمن لها مما جعل التضاد المعجمي باعتباره علاقة تعارض بين الكلمتين يصبح عاملاً مساعداً للحدس اللغوي في تقدير تحقق التطابق بين شروط الصدق لكلتا القضيتين.

وهذا عائد في أساسه إلى الترادف الإدراكي في الفكرة المشتملة على هاتين المعجميتين. مما جعلهما متغيرتين منتميتين إلى مجموعة دالة موضوع: "البيع والشراء". بعيداً عن تصور السمات المعجمية الخاصة لكل منهما، واعتبار علاقة التضاد أو عدم وجودها حسب وجهات النظر في الدلالة المعجمية وفقه اللغة.

وبهذه الطريقة يمكن صياغة النموذج النظري الدلالي بلغة المنطق الرياضي. والعمل على تقليل تعقيدات الدلالة لتمكين نُظْم معالجة اللغات الطبيعية من تحليل

المعنى التركيبي. واستنتاج علاقة التماثل في المعنى بين الجمل على الصعيد الحاسوبي. وخلاصة القول: إن علاقة التماثل في المعنى هي علاقة معنوية استبدالية. تشكل جزءاً أساسياً من الدراسة الدلالية للغة وتفسير وظيفتها التواصلية في جانبها الصوري والمعجمي. والإسهام في فهم شبكة العلاقات الدلالية للغة في مستويي الأفراد والتركيب. وتعزيز مناهج دراسة المعنى والتواصل. وتفسير القدرة على التعبير عن المضمون الموحد بأشكال متعددة. والاستفادة من هذه الخاصية في مناهج تحليل المعنى المتعلقة بنماذج محاكاة اللغة الطبيعية على صعيد البرامج الحاسوبية.

المبحث الثاني: علاقة التناقض

تتعامل الدلالة الصورية مع القضايا. وتُجري عمليات التحليل الدلالي بناء على ما يلي:

- التركيز على جانب المعنى المتعلق بـ " شروط الصدق "
- التصور الدلالي المبني على النموذج النظري
- مركزية "مبدأ التأليفية" في تأويل المعنى

وهي العناصر التي تنصب بدورها في دراسة معنى القضية. بما تتألف منه من موضوع ودالة. يُترجم حسب التعبير النحوي إلى مُسند ومُسند إليه. فالمُسند إليه في هذا السياق يحمل قيمة خاصة. وهو يُعتبر في هذه الحالة الثابت. والإخبار عنه بالمُسند هو المتغير في إطار جملة خبرية القصد منها الإفادة بشيء من أحوال العالم خارج اللغة مما تتطابق فيه قيمة الصدق المستفادة من المعنى التألفي للجملة مع الواقع أو لا تتطابق.

وبما أن مادة البحث هي اللغة. في إطار كونها واسطة بين المتكلم والمتلقي. ووسيلة لإيصال الفكر بكل تشعباته وانعكاساته على الواقع. فمن المتوقع أن تنتج تراكيب نحوية معينة تحمل قيمة الزيف في كل مقام مفترض مما يسمها بالاستحالة المنطقية، أو التناقض المنطقي. وهو علاقة معنوية صورية بين جملتين تتكون منهما قضية. وتحمل كل منهما قيمة متعارضة مع الأخرى باعتبار الموضوع نفسه المخبر عنه. كأن تكون إحداها إثبات صفة للمُسند إليه، والأخرى نفيًا لذات الصفة عن ذات المُسند إليه في آن معا. أو أن تكون إحداها مخبرة عن المُسند إليه بشيء والأخرى مخبرة عنه بنقيضه.

فالتناقض علاقة منطقية بين جملتين تحمل كل منهما قيمة صدق متعارضة مع

الأخرى. وبهذا يكون التناقض بوصفه مفهوما منطقيا مندرجاً ضمن مفهوم التضاد الطبيعي لمنطق اللغة في قيمتها التواصلية. ضمن مفهوم أوسع للتعارض. وهو يحد ذاته علاقة طبيعية تنشأ بين تعبيرات اللغة على المستوى المعجمي بسبب دالاتها الذاتية كالتعارض بين النهار والليل، البعد والقرب، البكور والتأخر، الحضور والغياب ... إلخ. أو بسبب النفي.

وتنسحب قيمة التناقض الدلالية على قيمة الجملة التي تتضمنه بفعل المعنى التأليفي. مما يؤثر على قيم الصدق لتلك الجملة، وعلى علاقتها بالجملة الأخرى في سياق القضية الواحدة التي تجمعهما. ومعنى الوحدة المعجمية في سياق جملتها يحمل قيمة تواصلية معينة. لا يمكن أن ينفك عنها المعنى الكلي للجملة. والجملة وحدة التحليل الأساسية في الدلالة الصورية. ومنطلق التحليل ضمن المنهج النموذجي المتبع في هذه النظرية. وبالتالي ينعكس أثر هذه الوحدة المعجمية على التحليل الصوري لجملتها.

ومر بنا أن شروط الصدق تفترض بالحدس اللغوي واقعا معينا تتوافق معه القضية. وبدون وجود هذا الواقع أو عدم التمكن من افتراضه لسببٍ ما فإن هذه القضية تحمل قيمة الزيف. وتؤدي الوحدة المعجمية دوراً مهماً في حالة وقوع التناقض في القضية مما يؤدي إلى الحكم بزيفها من منطلق المعنى التأليفي للجملة.

ومفهوم التناقض يتضمن مفهومين فرعيين. ولكل منهما مصطلحه الذي يشير إليه. أحدهما التناقض "contradiction": وهو خاص بالدلالة الصورية. حيث يشير إلى استحالة كون القضية صادقة بسبب المعنى التأليفي لجملتها. نحو: "يبلغ طول هذه الطاولة أكثر من عشرة أقدام. ولكنه أقل من عشرة أقدام". والآخر:

المتناقضات "contradictories". وتمثل نوعاً من التعارض في المعنى على صعيد الوحدات المعجمية في ذاتها. ومُثِّلَ له عادةً بثنائيات الأضداد. وهذا المصطلح الأخير يُستعمل بشكل تخصصي في علم المنطق للإشارة إلى حالة العلاقة بين قضيتين لا

يمكن لكليهما معا أن تكونا صادقتين أو زائفتين في آن واحد. لهذا يُفضّل بعض علماء الدلالة استعمال مصطلح "تكامل أو تكاملية-complementarity" في الإشارة إلى علاقة التعارض بين الدلالات المعجمية. وهي العلاقة التي تندرج ضمن مفهوم التضاد المعجمي⁽¹⁾. وذلك بناءً على أن مصطلح "التضاد -Antonymy" هو مصطلح يشير إلى مفهوم التعارض الشائعي. وفي ضوء ذلك يمكننا التفكير بالتناقض على أنه علاقة ثنائية العناصر في المقام الأول على المستويين المعجمي والنحوي.

مع أن بعض اتجاهات البحث في الدلالة المعجمية ترى أن للترادف دوراً مهماً في توجيه هذه النظرة إلى كون التناقض علاقة دلالية معجمية. متعددة العناصر على مستوى الوحدات المعجمية. وينتقل تأثيرها من ثمَّ إلى مستوى التركيب فيما يُعرف بـ"نموذج الترابط في المعجم اللغوي -Associationist model of the lexicon"⁽²⁾. وهي مسألة شائكة تستدعي مقاما آخر لمزيد من البحث والنقاش.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار مفهوم الثنائية. ونقلناه إلى المستوى النحوي. فإننا نكون أمام جانب من جوانب علاقة الاقتضاء. تبرز من خلال مفهوم التناقض على الصعيد النحوي. ومفهوم التعارض على الصعيد المعجمي. وهي العلاقة التي تكون بين أزواج من الكلمات بالمعنى الواسع للتضاد. تُعبّر عن متغيرات تعاضدية لخواص معينة. نحو: سهل وصعب. ذكر وأنثى. أعزب ومتزوج.

والتضاد إحدى العلاقات المعجمية التي تؤدي دوراً مهماً في المعنى والتواصل.

(1) ينظر: Crystal, David. "A Dictionary of Linguistics and Phonetics.p.93

(2) ينظر: Murphy, M. L. "Semantic Relations and the Lexicon: Antonymy, Synonymy and other Paradigms". (Cambridge University Press, 2003). pp.169-171.

وتتعامل الدلالة المعجمية ضمن اهتمامها بدراسة علاقات المعنى في اللغة على قاعدة الكلية المعجمية لتوفير رؤى حول طبيعة ظاهرة المعنى المعقدة. وتقديم مقاربات لتحليل تلك العلاقات. وتصنيف موادها ممهدة الطريق لوسائل صناعة المعجمات وطرق بنائها حسب المتطلبات التي تفرضها مختلف العوامل المؤثرة في اللغة وصلتها بمستعملها.

ويتم تعريف التضاد _ حسب منظور عام _ بأنه: مصطلح جامع لكل أنواع التعارضات الدلالية. وينطوي على تمييز فرعي بين عدة أنواع من التضاد؛ منها: "التضاد المتدرج - graded antonyms"، نحو: قليل وكثير. "التضاد غير المتدرج - ungraded antonyms" أو "التضاد التكاملي - Complementary antonyms" نحو: أعزب ومتزوج. "التضاد العكسي - Reverse antonyms"، نحو: اسحب الباب وادفع الباب. فلا تُصعد إلى أعلى الجبل، والآخر ينزل من أعلى الجبل. وغيرها من أزواج المواد المعجمية التي تصف طبيعة الحركة⁽¹⁾.

ويرى بعض الباحثين تخصيص الأضداد بمصطلح (Contraries) على أن لا يتضمن النفي. وليس التناقض (Contradictories) الذي يتضمن النفي⁽²⁾. فإن نفي الصفة أو الخاصية المعبر عنها بوحدة معجمية معينة لا يؤدي دلالة الوحدة المعجمية المضادة لها. فعلى سبيل المثال جملة: "الامتحان ليس سهلاً" لا تعني بالضرورة أنه صعب. بناء على النموذج الإدراكي لمقياس التضاد، كما في الشكل رقم (٣):

(1) ينظر: Saeed, John. I. "Semantics". (4 ed., Blackwell Publishing, 2016). pp.63-64.
(2) ينظر: Elisabetta, Jezik, "The Lexicon an Introduction". (Oxford University Press, 2016). pp.175-177.



وذلك بناء على أن الدلالة المعجمية تنظر إلى التضاد على أنه علاقة معجمية. تتضمن بعض أنواعه _ التضاد المتدرج في هذه الحالة _ وجود مقياس على مدى طرفي القطبين المتناظرين للخواص المتعارضة. يعبر عن الانتقال المتدرج من طرف إلى الآخر. كما يعكس الدور الذي يؤديه "الاعتناء - Entailment" في الانتقال من طرف إلى آخر.

وبهذا يُغلب نوع من التضاد على بعض أنواعه الأخرى _ في هذه الحالة التضاد غير المتدرج والتضاد العكسي _ مما ينبني على تصور معين للسلب والنفي المتضمن فيه عبر إثبات أحد الضدين. فوجود أحدهما في سياق إسناد متغيرة من مجموعة الدالة _ على اعتبار أن الشكليات المتضادين يُكوّنان مجموعة واحدة _ إلى الموضوع يقتضي إلغاء الآخر أو نفيه. دون الحاجة إلى أدوات مساعدة في المقام الأول للإخبار وهو مقام خطاب خالي الذهن. نظرًا لشدة ارتباطه بالمستوى المعجمي.

وأسلوب النفي بحد ذاته أسلوب نحوي بامتياز. وهو أداة من أدوات النظم في تكييف دلالات الوحدات المعجمية ضمن الجملة. وهو مرتبط بمقامات الخطاب الأخرى سوى مقام خطاب خالي الذهن. ولكونه عنصرًا وجوده مبني على وجود النظم والمستوى النحوي. وهو المستوى ذاته الذي تُعنى به الدلالة الصورية. فإنها تضع الاعتبار لوسائل عدة لوجود التناقض في القضية يجمع بينها المعنى التأليفي.

وأما في الدلالة المعجمية فإنه شأن نسبي يخضع لاختلاف وتنوع قوانين اللغات. ففي بعض اللغات ذات الطابع التركيبي توجد السوابق واللاحق الصرفية. وترتبط بالكلمة. وتُكوّن معها وحدة معجمية. بل قد يتطور الأمر لتكون مدخلا معجميا

مستقلاً بذاته في معجم تلك اللغات.

وفي بعض اللغات الأخرى التي يغلب عليها الطابع الاشتقاقي. لا يوجد في الوضع الأول سوى عنصر واحد في هذا السياق. وهو ثنائية التعارض بين الوجدتين المعجميتين المنتميتين إلى مادتين أو مدخلين معجميين متباينين. وعلى صعيد الدلالة المعجمية فإن أزواج الأضداد هي في حد ذاتها من مكونات المعنى المعجمي لبعضها البعض. فالدلالة المعينة لوحدة معجمية معينة تدخل في إطار التحليل المعجمي لمكونات المعنى لوحدة أخرى. تلتقي معها في نطاق تصوري معين. ضمن منهج تحليل معاني المعجمات. تمهيداً لتصنيفها ضمن معجم لغتها⁽¹⁾.

وبهذا يكون النفي في الدلالة المعجمية جزءاً من مجموعة أدوات للتعبير عن التعارض بين خاصيتين متقابلتين لمرجع معين. وذلك للأهمية التي يمثلها تصور التناظر بين طرفي النقيض. ويمثل هذان الطرفان وجود نطاق إدراكي متصور. تؤدي داخله أزواج الأضداد دورها في التعبير عن ماهية العلاقة بينها ضمن معجم لغتها. ويكون النفي في الدلالة الصورية أداة مناسبة لإظهار التناقض في القضية، عند إجراء نماذجها النظرية لمحاكاة اللغة الطبيعية. وتأويلها بناء على مبدأ الاختصار والرمزية المعتمد في تلك النماذج التحليلية. والتركيز على عمومية المعنى دون الالتفات إلى خصوصيته بالنسبة إلى تركيب معين.

ولذا نجد أن نفي الخاصة وإثباتها في نظم القضية من أسباب التناقض. وجعل صيغتي الإيجاب والسلب في مجموعة واحدة تمثل عناصرها دوال متغيرة للموضوع الواحد. وكون أداة النفي جزءاً من الوحدة المعجمية ظاهر في بعض الأسر اللغوية؛

(1) ينظر: Proost, Kristel, "Antonymy Relations". Storjohann, Petra (ed). in *Lexical-Semantic Relations: Theoretical and Practical Perspectives*. (John Benjamins Pub. Company, (2010). pp.95-114.

كأسرة اللغات الهندية الأوروبية. وهو تفصيل مهم في المقارنة بين اللغات. وهذا يعني أن أسلوب النفي يُعَدُّ شكلاً بدائياً وأقل تعقيداً ضمن القدرة اللغوية. وهي لدى أبناء اللغة ترتقي حسب قدرة مستعمل اللغة على إنشاء جمل لغوية تتضمن الوحدات المعجمية لإثبات الدلالة. دون الحاجة إلى أدوات مساعدة. أي إن المخزون المعجمي يحتوي على وحدات معجمية أو "أشكال كلمية دالة - Full word forms" أكثر من الأدوات أو "الأشكال الكلمية الفارغة - Empty word forms". وبهذا تُقاس القدرة اللغوية بين مستعملي اللغة.

ويُحَلَّلُ التضاد في الدلالة المعجمية بناء على وجود التعارض بين الوحدات المعجمية بشكل عام. سواء كانت كلمات أو تركيبات ذات سوابق ولواحق في إطار السمات الدلالية. ويُحَلَّلُ في الدلالة الصورية حسب التعارض بين أزواج المواد المعجمية. من ناحية الأشكال فقط - على اعتبارها متغيرات الدالة - كما هو الشأن مع الترادف (1).

إنَّ التضاد - الذي يشير إلى التناقض الثنائي بشكل عام: هو علاقة دلالية معجمية رئيسية. ويوجد اتفاق عام على أنه ظاهرة معجمية موجودة بصورة شديدة الوضوح في اللغات الطبيعية. ويمكن أن تكون هذه الظاهرة المعجمية علاقة بين أشكال الوحدات المعجمية بنفس المقدار الذي تكون فيه علاقة بين مضامينها المعجمية الطبيعية (2).

ويعمل التضاد على إيجاد التناقض بين الجمل التي تصلح لأن تكون قضايا.

(1) ينظر: Pustejovsky, J. "Lexical Semantics: Overview". 7:98-106.

(2) ينظر: Murphy, M. L. "Semantic Relations and the Lexicon: Antonymy, Synonymy and other Paradigms". p.169

وهي حالة تستدعي معالجة خاصة نظرًا لحملها قيمة تواصلية معينة ليس لها علاقة بالمعنى حسب شروط الصدق الصورية. وإنما لها علاقة بالمعنى في سياقه البلاغي والأدبي المُستَمَد من قيمة التواصل ضمن السياق الطبيعي للغة.

ولوجود التناقض المنطقي تُعْتَبَرُ هذه الجمل قضايا زائفة في منهج الدلالة الصورية. ومن منظور اللغة الطبيعية هي أساليب يحمل على إنشائها معنى خارج عن مسألة شروط الصدق والاقتضاء. وهي حالة للتركيب تبرز فيها العلاقة المعجمية عنصرًا مُتَغَلِّبًا على النموذج الصوري المُحاكي للغة. وترتبط بأنواع من المعنى لا تخوض فيها الدلالة الصورية. نظرًا للغموض والخصوصية التأويلية. وهي السمة اللغوية التي تتجافى منها الدلالة الصورية.

ولا قُدْرَةَ للنموذج النظري على تفسير المعنى وتأويل دلالاته في هذه الحالة. فينزاح ثقل المعالجة من كَفَّةِ الدلالة الصورية إلى كفة الدلالة المعجمية في إطار علاقتها بالسياق وتأثيره في دلالات المفردات. وما يستلزم ذلك من أبعاد أسلوبية ونقدية تفتح المجال واسعًا أمام الخيال اللغوي للنظر والتفكير في التأويل والمعنى.

المبحث الثالث: علاقة الاشتمال

لعل أوضح تأثير للاقتضاء باعتباره علاقة استلزام-implication في ضوء العلاقات الاستبدالية للمعنى هو هذه العلاقة. بل إن من الباحثين من اكتفى بالتعبير عن المفهوم الخاص بالاشتغال بمصطلح "الاقتضاء - Entailment". وخصّ هذا النوع من علاقات المعنى بهذا المصطلح⁽¹⁾.

وبهذا يكون المصطلح المصاحب لمفهوم هذه العلاقة الاستبدالية للمعنى قد استعير من علم المنطق. من حيث إشارته إلى علاقة استدعاء منطقية بين قضيتين. يكون فيها صدق الثانية بالضرورة من اقتضاء صدق الأولى. نحو: "أنا أرى نخلة إذن أنا أرى شجرة." فالجملتان الأولى "منضوية - Hyponym" في الجملة الثانية. والجملة الثانية بدورها "مُشتملة - Hypernym" للجملة الأولى. وذلك بفضل كلمتي: نخلة وشجرة. وإسهامهما بشكل فعال في المعنى التأليفي لجمليتهما. فأصبحت علاقة الاقتضاء حاضرة بين الجملتين المكونتين للقضية.

ولهذا نجد من الباحثين من يرد علاقة الاقتضاء من الناحية الدلالية إلى علاقتي "الانضواء - Hyponymy والاشتغال - Hypernymy" واختار البحث التعبير عن هذه العلاقة بمصطلح "الاشتغال". والحديث عن هذا النوع من العلاقات المعنوية يتطلب الحديث عن مقارنه "الانضواء".

والانضواء مصطلح علمي يشير إلى مفهوم دلالي للعلاقة المعنوية التي تربط في الأساس بين المعجميات. وتحدث بين عناصرها اللغوية على طريفي التخصيص والعموم. فيتم انضواء العنصر الأول في العنصر الثاني - أي إن العنصر الأول نوع فرعي للعنصر الثاني - وعلى سبيل المثال، كلمة "القط" عنصر فرعي لكلمة "الحيوان". وكلمة "الكروسي" عنصر فرعي لكلمة "الأثاث" ... إلخ.

(1) ينظر: Murphy, M. L. "Semantic Relations and the Lexicon: Antonymy, Synonymy and other Paradigms". p.63

وفي كل حالة مما سبق يوجد مصطلح فوقى أعلى رتبة في التسلسل الهرمي يسمى "المُشْتَمِل - Hypernym". وبالرجوع إلى هذا المصطلح "الفوقى" يمكن صياغة التعريف المعجمي للعنصر الفرعى "المنضوي - Hyponym". كما هو متعارف عليه في تعريفات المعجمات اللغوية من نحو: "النخلة: شجرة التمر". فمجموع المعجمات التي تعتبر عناصر فرعية لنفس العنصر المعجمي الفوقى في التسلسل الهرمي للمواد المعجمية تُسمى: "مشتركات الفرع co-hyponyms". مثل: الكرسي، الطاولة، المرأة⁽¹⁾، كما في الشكل رقم (٤):



وتنشأ هاتان العلاقتان المعجميتان بين معاني المواد المعجمية عندما تكون صيغة أحدها متضمنة للصفات الدلالية المكونة لمعنى الصيغة أو الصيغ الأخرى. مما يجعلها مؤهلة للانضواء دلاليا ضمن تلك الصيغة الأخرى. وبالتالي تصلح تلك الصفات لأن تكون عناصر لتعريفها المعجمي. نحو كلمة "امرأة" تكون منضوية دلاليا ضمن كلمة "بالغ"؛ لأن الصفتين الداليتين المكونتين لتعريف معنى "البالغ": (+إنسان +بالغ) مُشْتَمِلتان في التعريف الدلالي لكلمة "امرأة": (+إنسان +بالغ - ذكر). وكذلك كلمة "امرأة" تكون منضوية دلاليا ضمن كلمتي "أنثى" و "إنسان"⁽²⁾. إن أي معجمية يمكن استبدالها بأخرى تكون مشتركة معها في المعنى الإشاري. ضمن العلاقة المعجمية للانضواء. من مجموع المعجمات التي تعتبر عناصر

(1) ينظر: Crystal, David. "A Dictionary of Linguistics and Phonetics". p.233.

(2) ينظر: Leech, Geoffrey. "Semantics the Study of Meaning". (2nd., Penguin Books 1981). p.92.

فرعية لنفس العنصر المعجمي الفوقي. وهي "مشتركات الفرع". مثل الكرسي، الطاولة، المرأة. وبالتالي يمكن - في سياق تعريفات المعجمات اللغوية - اعتبار أن اختلاف جُمْل التعريفات باختلاف المداخل المعجمية لا يغيّر من قيمة صدقها⁽¹⁾. ويصوغ الطابع التسلسلي لعلاقتي الانضواء والاشتغال وسائل مفيدة. لتنظيم وتصنيف الوحدات المعجمية أشكالاً ومفاهيم ضمن مجموعتها. ويعمل الانضواء على إنشاء علاقات تسلسلية بين الوحدات المعجمية. حيث تكون الوحدة المعجمية المعينة مصطلحاً أكثر تحديداً ضمن مجموعتها أو نوعها الأوسع المُشتمِل. ومن ناحية أخرى، تضم المجموعة عناصرها المُتصلة في المعنى. والمشاركة في السمات الدلالية. من خلال تحديد علاقات الانضواء داخل تلك المجموعة المعينة. مما يؤدي بدوره إلى تسهيل الوصول إلى فهم البنية الدلالية لمجموع المفردات ضمن معجم لغتها. والعمل بصورة أفضل على تنظيم المجموعة؛ لتتمكن من استيعاب متكامل لجميع عناصرها. وفق الشروط المفترضة مسبقاً. تبعاً للطبيعة المعجمية لتلك المفردات. ولا شك أن علاقتي الانضواء والاشتغال تحوزان موقعاً مهماً في إطار المعالجتين الصورية والمعجمية لمفردات اللغة في سياق المعنى والتواصل. وقيام الروابط المنطقية بين المعجمات، في مجال تصنيف المجموعات اللغوية، وبناء المعجم. وقيام الدلالة على مفهوم ترابط المعاني. مما يستدعي إبراز جانبي المفهوم والإشارة للمعنى. وإعطاء أهمية لهاتين العلاقتين المعجميتين في مقاربات التمثيل الدلالي المعجمي للغة؛ ليكونا أحد العناصر الفاعلة في تفسير الواقع الاستعمالي للغة، وفهم آليات التواصل اللغوي⁽²⁾.

(1) ينظر: Charles W, Kreidler, "Introducing English Semantics: p.93".

(2) ينظر: Murphy, M. L. "Synonymy". In Keith Brown (ed.). *the encyclopedia of language and linguistics*. 2nd ed., ELSEVIER. 12:376-378

ولقد سبق القول إنّ أوضح تأثير لمفهوم علاقة الاقتضاء في العلاقات الاستبدالية للمعنى هو عبر العلاقة المشتركة للاشتغال والانضواء. وذلك لانسجام هذه العلاقة مع ميل الذهن العملي للغة إلى التصنيف وربط الفروع بالأصول. وهي سمة يبعث عليها نزعة لغوية إدراكية إلى الاقتصاد قدر المستطاع في المدخلات التي تتم معالجة سماتها الدلالية؛ نظرًا لإدراك إنساني عميق لمحدودية قدرات اللغة في التعبير عن كل ما يحمله التصور من المحسوسات والمجردات. فهو دائما مضمار تسعى اللغة الطبيعية فيه جاهدة للحاق بركب التصور الإنساني. ومن نعمة الله عز وجل على الإنسان أن خلق له عقلا قائما على النظر والتفكير. وربط الأشباه والنظائر. واستنتاج العلاقات فيما بينها. واللغة انعكاس محسوس لما يدور في خلد الإنسان. وما يقوم به عقله من عمليات معقدة. ضمن شبكة هائلة من المعلومات التي تتم معالجتها. في سبيل قيام التواصل اللغوي بين البشر.

وهو تواصل لا يتم عبر المفردات وحدها مستقلة عن النظم. بل لابد من سياق ملفوظ أو مُقَدَّر. يعمل على تفعيل معنى المفردة الموضوع لها ضمن متن لغتها. ولهذا نجد في أدبيات الدلالة الصورية عبارة "المعنى المعجمي" في مقابل "معنى الجملة". وكذلك "الوحدة المعجمية" في مقابل "الكلمة".

وهذا وغيره من الأمثلة يعكس - كما سبق - كون المعنى التأليفي هو المجال الذي تُعنى به الدلالة الصورية في سياق إسهامها في تحليل المعنى وتأويله ضمن النظرية الدلالية. وهنا يبرز الاشتغال عنواناً لعلاقة اقتضاء بين جملتين أو قضيتين أوليتين. تشكّلان بدورهما قضية أخرى في سياق ما يُسمّى "الاقتضاء أو الاستلزام الدلالي أحادي الاتجاه - unilateral semantic Implication" (1). حيث مسار

(1) ينظر Bussmann, Hadumod, "Dictionary of Language and Linguistics". p.544 :

الاستنتاج يكون من الأول إلى الثاني وليس العكس.
ففي القضية: "إذا كنت أرى نخلة فأنا أرى شجرة" تكون القضية الأولية "أنا أرى نخلة" مستلزمة للقضية "أنا أرى شجرة". ويظهر البعد الرياضي المنطقي من خلال منظور "المجموعة - set"، فكلمة "شجرة" تمثل "المجموعة الفوقية-superset". التي تُعدّ كلمة "نخلة" عضوًا فيها. وكلمة "نخلة" بدورها تُعدّ "المجموعة الفرعية-subset". ولها أعضاؤها من أنواع النخل. انطلاقًا من قاعدة مهمة في الدلالة الصورية مفادها ما يلي:

في أي مجموعتين "أ" و "ب" تكون "أ" مجموعة فرعية لـ "ب" ($A \subseteq B$) إذا _ وفقط إذا _ كان كل عضو من المجموعة "أ" عضوًا من المجموعة "ب". فتكون "ب" مجموعة فوقية لـ "أ" ($B \supseteq A$)⁽¹⁾.

وتتبع صياغة المعادلة المنطقية البنية المعجمية لمتن اللغة الطبيعية. وهكذا نلاحظ أن العلاقة المنطقية بين القضيتين مواكبة للعلاقة المعجمية. بل يمكن القول إنها مبنية عليها. وهو شأن طبيعي نظرًا لأهمية المعنى التألفي في منهج الدلالة الصورية. وهو نظير مفهوم النظم أو المعنى التركيبي النحوي للغة الطبيعية الذي تكوّنه عناصر معجمية ينظمها عقد قواعد نحو لغتها.

(1) ينظر: Cann, Ronnie. "Formal Semantics an Introduction". p.45.

الخاتمة:

أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

- ١- الدلالة الصورية هي نظرية دلالية فرعية. تركز على طريقة تكييف المتكلم للمعنى عبر التركيب اللغوي.
- ٢- تركز الدلالة الصورية على ثلاثة مفاهيم رئيسية؛ هي: شروط الصدق، النموذج النظري، ومبدأ التأليفية.
- ٣- يدرس منهج الدلالة الصورية التركيب اللغوي، ممثلاً بالقضايا (الجملة)، باعتبارها وحدات التواصل اللغوي الأساسية.
- ٤- تسعى الدلالة الصورية إلى تأويل المعنى وتفسير علاقاته في التماثل، والتناقض، والاشتمال.
- ٥- تعتمد الدلالة المعجمية على الكلمة باعتبارها وحدة أساسية للتأويل الدلالي، وتركز على الخاصية التمثيلية لمعناها.
- ٦- تتشارك الدالتان الصورية والمعجمية في دراسة علاقات المعنى الاستبدالية. ويمكن رد العلاقات الصورية إلى نظيرتها المعجمية.
- ٧- تظهر علاقة التماثل في الترادف المعجمي من جهة الدلالة المعجمية. والترادف المنطقي من جهة الدلالة الصورية.
- ٨- التناقض مفهوم منطقي يندرج ضمن التعارض الطبيعي لمنطق اللغة. ويتداخل مع التضاد في الدلالة المعجمية. وتنسحب قيمته الدلالية من المفردة إلى الجملة، مما يؤثر على قيمة صدقها وعلاقتها بالجملة الأخرى.
- ٩- علاقة الاشتمال علاقة معنوية ومنطقية. تنشئ علاقات تسلسلية بين الوحدات المعجمية. تسهل فهم البنية الدلالية للمعجمات.
- ١٠- يتبع الاستنتاج الصوري تسلسل البنية المعجمية للغة الطبيعية. وتكون العلاقة المنطقية بين الجملة مواكبة للعلاقة المعجمية.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م).
- لالاند، أندريه، "موسوعة لالاند الفلسفية". تعريب: خليل أحمد خليل، (ط ٢، بيروت - باريس: منشورات عويدات، ٢٠٠١ م).
- هوندريتش، تد، "دليل أوكسفورد للفلسفة". ترجمة: نجيب الحصادي، (ليبيا: المكتب الوطني للبحث والتطوير، ٢٠٠٣ م).
- العسكري، الحسن بن عبد الله، "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم سليم. (القاهرة: دار العلم والثقافة).
- الأزهري، محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م).
- زيادة، معن، "الموسوعة الفلسفية العربية". (ط ١، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦ م).

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

- Audi, Robert. "The Cambridge Dictionary of Philosophy". (2nd ed., Cambridge University Press, 1999)
- B. Clark. "Structuralism" In the Encyclopedia of Language and Linguistics. Keith Brown (ed.). 2nd ed., ELSEVIER, (2006).vol. 12 pp.165-166.
- Bussmann, Hadumod, "Dictionary Of Language And Linguistics". (Routledge, 1998).
- Cann, Ronnie. "Formal Semantics an Introduction". (Cambridge University Press, 1993)
- Chierchia, G & McConnell-Ginet, "Meaning and Grammar: An Introduction to Semantics". (MIT Press, 1990).
- Chierchia, G, "Formal Semantics", In: The Encyclopedia Of Language And Linguistics". Keith Brown (ed.). 2nd ed.,

- ELSEVIER*, (2006). vol.4 pp.564-579).
- Cruse, D.A. "Lexical Semantics". (Cambridge University Press, 1986).
- Cruse, Allan. "Meaning In Language". (Oxford University Press, 2000).
- Crystal, David. "A Dictionary of Linguistics and Phonetics". (6th ed., Blackwell Publishing Ltd, 2008).
- Davidson, Donald. "Truth and Meaning". pp. 304-323. Published. <http://www.jstor.org/stable/20114563>.
- Dever, J, "Semantic Value, In: The Encyclopedia of Language and Linguistics", Keith Brown(ed.). 2nd ed., *Elsevier*, (2006). vol.11 pp.137-142.
- Eijk. J. Van. "Formal Semantics", in: Concise encyclopedia of philosophy of language, Lamarque, Peter (ed). (Elsevier Science Ltd. 1997).
- Frawley. William. "Linguistic Semantics". (Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publishers, 1992).
- Glock, Hans-Johann "Quine and Davidson on Language, Thought and Reality". (New York, NY, USA: Cambridge University Press, 2003).
- Hartmann, R.R.K., & James, G. "Dictionary of Lexicography". (1st ed., London: Routledge, 1998).
- Jezik, Elisabetta, "The Lexicon an Introduction". (Oxford University Press, 2016).
- Kamp. H & Reyle. U. "From Discourse to Logic". (Springer- Science + Business Media, B.V, 1993) .
- Kreidler, Charles W. "Introducing English Semantics". (1st ed., Routledge. Taylor and Francis, London and New York, 1998).
- Kroeger, Paul, "Analyzing Meaning: An Introduction to Semantics and Pragmatics". (Berlin: Language Science Press, 2018).
- Leech, Geoffrey. "Semantics the Study of Meaning". (2nd., Penguin Books 1981)
- Murphy, M. L. "Semantic Relations and the Lexicon: Antonymy, Synonymy and other Paradigms". (Cambridge University Press, 2003).
- Murphy, M. L. "Synonymy". In Keith Brown (ed.). the encyclopedia of language and linguistics. 2nd ed., *ELSEVIER*. (2006). vol.12. pp.376-378.
- Murphy, M. L. "Hyponymy and Hyperonymy". In Keith Brown (ed.).

- The Encyclopedia of Language and Linguistics. 2nd ed., ELSEVIER, (2006) vol.5. pp.446-448.
- Ocelák, Radek. "Besieging Model-Theoretic Semantics." pp. 1-21. <http://www.ocelak.cz/wp-content/uploads/2016/01/besieging.pdf>
- Orenstein, Alex. "Philosophy Now". (Acumen Publishing Limited, 2002).
- Portner, P & Partee, H. "Formal Semantics, The Essential Readings". (Blackwell publishers, Ltd, 2002).
- Potter, Michael, "The Cambridge Companion To Frege". (Cambridge University Press, 2010)
- Proost, Kristel, "Antonymy Relations". Storjohann, Petra (ed). in *Lexical-Semantic Relations: Theoretical and Practical Perspectives*. (John Benjamins Pub. Company, (2010) pp. 95-114.
- Pustejovsky, J. "Lexical Semantics". In M. Aloni & P. Dekker (Eds.), *The Cambridge Handbook of Formal Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press, 2016, pp. 33-64.
- Pustejovsky, J. Lexical Semantics: Overview, In the Encyclopedia Of Language And Linguistics, Keith Brown (ed.). 2nd ed., vol.7 (2006). ELSEVIER, (2006). pp.98-106.
- Riemer, Nick. "Introducing Semantics". (Cambridge University Press, 2010).
- Runyan, Jason D., Anthony N. Moore, and Pramod K. Dash. 2019. "Coordinating What We've Learned About Memory Consolidation: Revisiting a Unified Theory." *Neuroscience & Biobehavioral Reviews* 100 (February): 77-84. <https://doi.org/10.1016/j.neubiorev.2019.02.010>.
- Saeed, John. I. "Semantics". (4 ed., Blackwell Publishing, 2016).
- Winter, Yoad. "Elements of Formal Semantics: An Introduction To The Mathematical Theory of Meaning In Natural Language" *Edinburgh Advanced Textbooks in Linguistics*. (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2016).

Bibliography

- Al-Jawharī, Ismā'īl ibn Ḥammād, "al-Ṣiḥāḥ Tāj al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah". Investigation: Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār, (4th ed., Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1987).
- André Lalande, "Mawsū‘at Lalande Al-Falsafīyah". Arabization: Khalīl Aḥmad Khalīl, (2nd ed., Manshūrāt ‘Uwaydāt, Beirut – Paris, 2001).
- Hondrich, Ted, "Dalīl Oxford Lil-Falsafah". Translation: Najīb al-Ḥasādī, (Libya: National Office for Research and Development, 2003).
- Al-‘Askarī, al-Ḥasan ibn ‘Abd Allāh, "Al-Furūq Al-Lughawīyah". Investigation: Muḥammad Ibrāhīm Salīm. (Cairo: Dār al-‘Ilm wa-al-Thaqāfah).
- Al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tahdhīb al-Lughah". Investigation: Muḥammad ‘Awaḍ Mur‘ib, (1st ed., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 2001).
- Ziyādah, Ma‘n, "al-Mawsū‘ah al-Falsafīyah al-‘Arabīyah, (1st ed., Ma‘had al-Inmā’ al-‘Arabī, 1986).

الانغماس اللغوي في التراث العربي دراسة تاريخية تأسيسية

Linguistic Immersion in the Arabic Heritage:
A Historical and Foundational Study

د. عبدالرحمن بن زايد بن محمد الشعشاعي

أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بيشة

البريد الإلكتروني: aazz1277@gmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/03/03		استلام البحث A Research Receiving 2025/01/21
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-004		

ملخص البحث

تكمن أهمية الانغماس اللغوي في التراث العربي من اهتمام الدارسين والتربويين عليه في العصر الحديث وتم تطبيقه في المؤسسات التي تَبَعَتْ والتي تَسْتَقْبِلُ الطلاب الدوليين وكان التركيز على المعاشية والحوار كأحد أهم الروافد في بناء اللغة والحصول على أكبر قدر من الثروة اللفظية وتنمية الكفاءة الأدائية للأصوات والحروف للغة المدروسة. وأهم أسباب هذه الدراسة أن الباحث قد وجد فكرة الانغماس اللغوي حاضرة بقوة في تراثنا العربي، لكنها مع ذلك لم تحظ في الأبحاث والدراسات الحديثة إلا بإشارات طفيفة لا تفي بحجم الموضوع؛ ولذلك فإن هذا البحث يحاول أن يلقي الضوء على ما يندرج في مصطلح الانغماس اللغوي في أربع ظواهر وهي: الاسترضاع، والتأديب اللغوي، والمعاشية، ورواية اللغة.

يبين البحث هذه الجوانب ويربطها بمفهوم الانغماس اللغوي الحديث. وسيجد القارئ الكريم أنه مجرد إشارات ومنطلقات للباحثين لإثرائه بالأبحاث المختلفة، كما هو موضح في التوصيات. وقد جمع الباحث من كتب التراث مادة علمية ثرية تناولها بالتحليل والتأصيل، وشيء من المقارنة؛ ولذلك فقد كانت مراجع البحث ومصادره أكثر من ٢٥٠ مرجعا اقتصرت منها على ١٠٠ فقط، مع أنني قد اطرحت مثلها اختصارا؛ وأبقيت هذه البقية الكثيرة ليتبين للقارئ حجم وجود وحضور هذه الأنواع من الانغماس اللغوي، في تراثنا العربي.

وقد خلص البحث إلى نتائج كثيرة من أهمها الغنى والثناء والحضور القوي في تراثنا المتجدد في مجال تنمية الملكة اللغوية وبنائها في أطوار التلقي المختلفة والتوافق بين سن الاسترضاع وما تقرر في علم اللغة الحديث في سن البناء اللغوي وأما في

بدائل الاسترضاع (التأديب اللغوي، والمعايشة، ورواية اللغة، والحفظ لدواوين اللغة والشعر والتمرس عليها)، فقد تبين حضورها في التراث العربي، وأثرها الكبير -ولو على كبر- في تقويم اللسان، وبناء الملكة اللغوية.

الكلمات المفتاحية: (الاسترضاع، الانغماس، التأديب اللغوي، المعايشة اللغوية، الملكة اللغوية).

Abstract

Modern scholars and educators' interest in linguistic immersion reflects its importance in the Arab heritage. Institutions send and receive international students focusing on coexistence and dialogue as one of the most important means of learning languages, acquiring verbal wealth, and developing language efficiency. The motive behind this study is what the researcher has found about how linguistic immersion is strongly present in our Arab heritage. However, it has not received little attention in modern research and studies apart from some slight references. Therefore, this research attempts to shed light on four phenomena of linguistic immersion: nurturing, linguistic discipline, coexistence, and language transmission. The research shows these aspects and links them to modern linguistic immersion. As explained in the recommendations, the reader will find that it has references and starting points for researchers to enrich it with various research. The researcher has collected rich material from heritage books that he analyzed, authenticated, and compared. Therefore, the references and sources are more than 250, and I just used 100 for brevity. I have kept the others so that the reader can see the extent of these types of linguistic immersion in our Arab heritage. The research has produced several findings, the most significant of which highlight the richness, wealth, and strong presence of our renewed heritage in developing and building linguistic ability. This occurs across different stages of language acquisition and aligns with modern linguistic theories regarding language development. Alternatives to nurturing language skills, such as linguistic discipline, coexistence, transmitting language, and the memorization and practice of language and poetry, are clearly present in Arab heritage. Their significant impact—though rooted in the past—continues to play a vital role in refining language and developing linguistic abilities.

Keywords: nurturing, linguistic immersion, linguistic discipline, linguistic coexistence, linguistic ability.

مقدمة البحث

هذا البحث يعالج قضية إثبات غنى وثراء وسبق هذه اللغة الكريمة ومعالجتها لمعظم ما تطرق إليه علم اللغة الحديث، فيما يسمى بـ(الانغماس اللغوي)، وفي ثنايا هذه القضية الكبرى قضايا جزئية تتمثل في مد جسور الصلة بين القديم والحديث، وكيفية استثمار المحدثين لما بين أيديهم من معطيات التراث، وتطويرها حسب مقتضيات العصر الحديث.

ويمكن لهذا البحث أن يجيب عن مجموعة من التساؤلات ومن أهمها:

١- هل عرف المتقدمون الانغماس اللغوي بمفهومه الحديث في اللغة العربية؟

٢- في أي العصور وجد الانغماس اللغوي عند العرب؟

٣- هل ثمة وجه للمقارنة بين الانغماس اللغوي الحديث والقديم؟

الدراسات السابقة

الدراسات في الانغماس اللغوي كثيرة أما في بيان مفهوم الانغماس اللغوي في التراث العربي وبيان أنواعه ومظاهره وربطه بالمفهوم الحديث فلم أجده قد بحث استقلالا وإنما هي إشارات في بعض الأبحاث وسوف أعرض هنا ما يقترب من البحث مع بيان الفروق في المضمون:

١- دراسة آمنة مناع، ويحيى بن يحيى^(١).

بحث قصير في ١٨ صفحة عالج الانغماس اللغوي في التراث العربي في ثلاث

(١) آمنة مناع، ويحيى بن يحيى، "الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات (دراسة لسانية)". مجلة

الوحدات للبحوث والدراسات، م٩، ع١٤، (٢٠١٦م): ١٠٤٨-١٠٦٥.

صفحات ونصف معالجة قيمة ومركزة عرج فيها على بعض مظاهره عند العرب وربطه بالمفاهيم والتطبيقات الحديثة معتنيا بالتوثيق من المصادر والمراجع القديمة والحديثة، وقد أفدت من إشاراته في موطنها من البحث.

٢- دراسة رائد عبد الرحيم^(١).

عرض بعض المسائل النظرية لدى اللغويين المتقدمين وخلص إلى بعض القواعد منها:

(أ) أهمية ملاحظة السلوك اللغوي سماعاً من أبناء اللغة بطريقة مباشرة، وبشكل تدريجي حتى يكون كالطفل الناشئ بين والديه وبيئته المحيطة.

(ب) إن قواعد اللغة وحدها لا تكفي لتعلمها وتعليمها، بل يجب الانغماس؛ ليحصل على الكفايات اللغوية في مجتمع اللغة وبيئتها؛ وهذا يقتضي التعايش معهم والانغماس بهم.

(ت) إن أخذ اللغة عن أخذها تعليماً لا يفي بالغرض، فلا يمكنهم أن يكونوا مثل أبنائها المتحدثين بها.

وقد اتخذت المنهج الوصفي والتاريخي، مع الاستعانة بمنهج التحليل والتعليل؛ فاستعرضت جملة كبيرة من كتب اللغة والتاريخ والسير والتراجم، وجمعت ما يتعلق بالجوانب الثلاثة، ثم لخصتها وانتقيت منها ما يخدم البحث، وتناولتها بالتحليل،

(١) رائد عبد الرحيم، "الانغماس اللغوي: معناه لغة واصطلاحاً وأنواعه وأهدافه واستراتيجياته وحضوره في الفكر اللغوي العربي القديم وفي طرق تعليم اللغة الثانية وتعلّمها". في "الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)"، تحرير رائد عبد الرحيم. (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٩م)، ١٠-٥٤.

والتعليل، والربط، وقسمتها إلى فصلين؛ أولهما: الانغماس اللغوي من خلال الاسترضاع وأثره في بناء اللغة وتجويد الفصاحة عند العرب، وفيه مدخل، وخمسة مباحث مرتبة تاريخياً منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي.

والفصل الثاني: بدائل الاسترضاع بعد العصر الأموي، ويمتد بعضها إلى العصر الحديث، وفيه مدخل وثلاثة مباحث، رتبها حسب تاريخ بداياتها؛ لأنها متداخلة تاريخياً.

تمهيد في بيان بعض المصطلحات وتاريخ وجودها

أ) **الانغماس اللغوي**: الدلالة اللغوية للانغماس في المعجم العربي^(١) تدور حول الغمر والتغطية والغوص والإطباق، ويتبع هذا المعنى التعمق والتغلغل في أعماق الشيء يقال غمست الثوب واليد في الماء إذا غطيته فيه وغمرته به، ومنه اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم والانغماس في العدو أن يدخل في صفوف الأعداء متعمقا في وسطهم، وأخذ من هذه المعاني الانغماس اللغوي الاصطلاحي الذي تسمى في الدراسات اللغوية بعدة أسماء منها الغمر اللغوي، وحمية التعليم، والحمّام اللغوي، والدمج اللغوي، والانعزال اللغوي، حسب الترجمة، والانغماس اللغوي، وهو أقربها للمعنى الموجود في الثقافة العربية، وقد عرف بعدة تعريفات منها: برنامج يعرض الطالب للغة الجديدة باستخدامها وحدها. ويقوم الانغماس اللغوي على مفهومين أساسيين: البيئة اللغوية والكفاءة التواصلية. باختصار شديد التعليم ممارسةً. وتتلخص مجموعة التعاريف في تنمية ملكة اللغة وتطويرها من خلال دمج المتعلم في بيئة اللغة المستهدفة الطبيعية التي لا يسمع فيها صوت أو لغو إلا بتلك اللغة التي يراد اكتسابها. وهذا جوهر الانغماس

(١) أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٤: ٣٧٨-٣٩٢؛ ومحمد بن منظور، "لسان العرب". (ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م)، ٣: ٢٩٣٣؛ والمبارك بن محمد (ابن الأثير)، "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، ٣: ٣٨٤ وما بعدها، وأحمد مختار عمر، وآخرون، "معجم اللغة العربية المعاصرة". (عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٣: ١٦٤٠ وما بعدها.

اللغوي في التراث العربي^(١).

ب) الاسترضاع: هو طلب الرضاع، هذه دلالة الصيغة، وعلى الرغم من شهرة هذا المصطلح واستعماله في اللسان العربي لم أجد من نص على معنى هذه اللفظة بعينها وإنما ينصب الحديث على معنى الرضاعة وتصريفاتها بمعناها العام فمن ذلك قولهم: "رَضِعَ الصبي رَضَاعاً وَرَضَاعَةً، أي: مصَّ الثدي وشرب. وأرضعته أمّه، أي: سقته، فهي مرضعة بفعلها. ومُرَضِعٌ، أي: ذات رضيع، ويُجمَعُ الرضيعُ على رُضُع، وراضع على رُضْع" ^(٢)، وَرَضَعَ يَرْضَع رَضْعاً (جلس يجلس) لغةً في رَضَعَ يَرْضَع ^(٣)، ك(فتح يفتح)؛ فالمقصود بالاسترضاع هنا: هو طلب الممرضعات لإرضاع المولود في البداية ليصح بدنه وينفثق لسانه باللغة النقية، ولبناء جوانب شخصيته بناءً محكماً؛ ولهذا فإن

(١) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، "تاريخ ابن خلدون" تحقيق خليل شحادة. (ط٢)، بيروت: دار الفكر، (١٩٨٨م)، ١: ٧٦٥. وقد أشار ابن خلدون إلى مفهوم قريب من المقصود حين تطرق لتفسيره لقول العامة: إن اللغة للعرب بالطبع، يقول: "المتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها... ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم".

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. (ط٢)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، (١٩٨٩م)، ١: ٢٧٠.

(٣) إسحاق الفارابي، "معجم ديوان الأدب". تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ٢٠٠٣)، ٢: ١٧٠؛ ومحمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة". تحقيق رمزي منير بعلبكي، (ط١)، بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨٧م)، ٢: ٧٤٦.

فترته ممتدة من الولادة حتى العاشرة.

وأما ما ورد في الكتاب العزيز ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)) البقرة: ٢٣٣، فإنه خاص من جهة طلب المرضعة لغرض الرضاعة في الحولين فقط وعام من جهة كونه في الحواضر والبوادي.

أما فترة وجود ظاهرة الاسترضاع فهي ممتدة من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي حيث لم أعر على أحداث محددة وموثقة في العصر العباسي وما بعده. (ت) المعاشية: لم تكن هذه اللفظة بهذه الصيغة والمعنى الاصطلاحي المستعمل في هذا العصر موجودة في الاستعمال العربي القديم؛ ولهذا لا وجود لهذا المعنى في المعاجم القديمة اللهم إلا قولهم: (رَجُلٌ عَائِشٌ: أي لَهُ حَالَةٌ حَسَنَةٌ)^(١)، وفي المعاجم الحديثة عَائِشٌ يَعَائِشُ، معاشةً، فهو مُعَائِشٌ، وعَائِشٌ فَلَانًا: عاش معه وعاصره، وقضى معه جزءًا من حياته أو كُلَّهَا^(٢).

وهذا هو المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة في العصر الحديث وأقرب الكلمات إليها المخالطة، قال في العين: "خَلِيطُ الرَّجُلِ: مُخَالِطُهُ. والخليط: القوم الذين أمرهم واحد"^(٣)، وقال ابن الجوزي في مقدمة غريب الحديث: "ثُمَّ وَقَعَتْ مُخَالِطَةُ الْأَعَاجِمِ فَفَشَى اللَّحْنُ وَجَهِلَ جُمُهور النَّاسِ مُعْظَمُ اللُّغَةِ فَافْتَقَرَ ذَلِكَ

(١) محمد مرتضى الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق مجموعة من المحققين.

(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٦٥م)، ١٧: ٢٨٤.

(٢) أحمد رضا العاملي، "معجم متن اللغة" (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م)، ٤: ٢٤٥.

(٣) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٤: ٢١٩؛ وأبو منصور الأزهري، "تهديب اللغة". تحقيق محمد

عوض مرعب. (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٧: ١٠٧؛

ابن منظور، "لسان العرب"، ٧: ٢٩٣؛ وعلي بن إسماعيل بن سيده، "الحكم والمحيط الأعظم"

تحقيق عبد الحميد هنداوي. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٥: ١١٥.

الْكَلَامَ إِلَى التَّفْسِيرِ"^(١)؛ وبهذا نعلم أن المخالطة كانت تستعمل بموازاة لفظة المعاشية ومعناها اليوم.

أما عن وجود هذه الظاهرة كإحدى طرائق اكتساب اللغة فقد ورد توثيقها في فترات ممتدة منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، وهو ما يصدق عليه مسمى (الانغماس اللغوي) الحديث.

ث) رواية اللغة: يتكون هذا المصطلح الإضافي من ركنين: الرواية، واللغة. أشار أهل اللغة إلى معنى الرواية واشتقاقها حيث يشكّل المعنى المجازي لرواية الماء فيقال: "رَوَى فلانٌ حديثاً وشِعْراً، يَرْوِيهِ رِوَايَةً، فَهُوَ: رَاوٍ. فإذا كثرت رِوَايَتُهُ، قيل: هُوَ رَاوِيَةٌ، الهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي صِفَةِ الرِّوَايَةِ. وَيُقَالُ: رَوَى فلانٌ فلاناً شِعْراً، إذا رَوَاهُ لَهُ حَتَّى حَفِظَهُ لِلرِّوَايَةِ عَنْهُ"^(٢).

وقد كان هذا المعنى بلفظه معلوماً عند المتقدمين قال الفَرَزْدَق:

أَمَا كَانَ فِي مَعْدَانَ وَالْفِيلِ شَاغِلٌ ... لَعَنَبَسَةَ الرَّاويِ عَلَيَّ الْقَصَائِدِ^(٣)

أما الشطر الثاني من المركب الإضافي وهو اللغة فهي معلومة^(٤)، وخير ما قيل

(١) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، "غريب الحديث". تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ١: ١؛ والمبارك بن محمد (ابن الأثير)، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ١: ٢٨١.

(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٥: ٢٢٥؛ ومحمد بن أبي بكر الرازي، "مختار الصحاح". تحقيق يوسف الشيخ محمد. (ط٥، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية والدار النموذجية، ١٩٩٩م)، ١٣٢.

(٣) الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، ٣٨: ١٩٣.

(٤) علي بن إسماعيل ابن سيده، "المخصص". تحقيق خليل إبراهيم جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م)، ١: ٣٦؛ وأحمد مختار عمر، وآخرون، "معجم اللغة العربية

في تعريفها: أصواتٌ يعبرُ بها كُلُّ قومٍ عن أغراضهم^(١).
ويتضح المعنى الاصطلاحي للمركب بأنه جمع اللغة وحفظها من أفواه أهلها
وربما أسموا رواية اللغة الاستنطاق أو الاستلغاء كما قال الزمخشري: وإذا أُرِدَتْ أَنْ
تَسْمَعَ مِنَ الْأَعْرَابِ فَاسْتَلْغِهِمْ أَيْ اسْتَنْطِقْهُمْ، فعلى هذا الْقَوْلُ السَّيِّنُّ لِلطَّلَبِ^(٢).
وهذه الظاهرة هي أقل الظواهر الثلاث من الناحية الزمنية؛ حيث تبدأ من
أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني؛ فكانت منذ أن أخذ علماء اللغة على عواتقهم
مهمة الحفاظ على العربية وتدوينها إلى نهاية عصر التدوين المتفق عليه عند اللغويين
وهو نهاية القرن الرابع الهجري..^(٣).

=

المعاصرة"، ٣: ٢٠٢٠.

(١) أبو الفتح عثمان ابن جني، "الخصائص". تحقيق محمد علي النجار. (ط٤)، القاهرة: الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٢م)، ١: ٣٣.

(٢) محمود بن عمر الزمخشري، "أساس البلاغة". تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط١)، بيروت:
دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٢: ١٧٢؛ والزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"،
١٥٦: ٢٠.

(٣) عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، "تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم". (ط١)، المدينة
المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م)، ١٠: ٢٩.

الفصل الأول:

الانغماس اللغوي من خلال الاسترضاع وأثره في بناء اللغة وتجويد الفصاحة عند العرب^(١)، وفيه مدخل وخمسة مباحث:

مدخل:

كانت أشراف قريش في ذلك العصر يدفعون أولادهم إلى المراضع القاطنين في البادية لينشئوا نشأة عربية خالصة؛ لطيب الهواء وعذوبة الماء وجودة الغذاء كما أن لها تأثيراً أعظم في الفصاحة والبلاغة والجدود والكرم والشهامة والشجاعة إلى غير ذلك من المكارم وجوامع الشرف^(٢).

وكان على ذلك أهل الجاهلية يرسلون أولادهم إلى الثامنة أو العاشرة^(٣)، وكلها منصوب عليها في مواطن من كتب التاريخ واللغة والأدب، والذي يعيننا هنا هو

(١) مما يشير إلى قصدهم بذلك نشدان الفصاحة ما استشهد به الجاحظ أن عبد الملك قال بعد أن لحن ابنه الوليد: "أضر بالوليد حبنا له، فلم نوجهه للبادية"، عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين". تحقيق عبد السلام هارون. (ط٧، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ٢: ٢٠٥؛ وأحمد بن يحيى البَلَّاذُري، "أنساب الأشراف"، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م)، ٨: ٨٣.

(٢) محمد طاهر الكردي، "التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم" (ط١، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ٢٠٠٠م)، ١: ١٢١؛ وصبحي الصالح، "دراسات في فقه اللغة". (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م)، ١١٩؛ وعلي بن بسام الشنتريني، "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة". تحقيق إحسان عباس. (ط١، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م)، ٢٢٦: ١.

(٣) الكردي، "التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم"، ١: ١٢١.

الهدف اللغوي في الفصاحة وانفتاح اللسان باللغة النقية من شوائب الحواضر^(١).

المبحث الأول: الاسترضاع في العصر الجاهلي

وممن استرضع في الجاهلية أحد أبناء عمومة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكره في حجة الوداع، وهو ابنُ لربيعة بن الحارث بن عبد المطلب^(٢)، فقد استرضع له في هذيل فقتله بنو ليث بن بكر في حرب بينهم، وكان طفلاً صغيراً يحبو بين البيوت^(٣). وقيل، بل كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل^(٤) وأياً كان اسمه وقصته فالذي يستنبط من الرواية:

- ١- وجود الاسترضاع في العصر الجاهلي بنص الحديث.
- ٢- وجود الاسترضاع في أوساط ذوي الحسب والنسب وهم بنو هاشم.
- ٣- كان مسترضعاً في قبيلة هذيل؛ وناهيك بهم في الفصاحة ونقاء اللسان.

(١) محمد بن عمر بحرق الحميري، "حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار". تحقيق محمد غسان عزقول. (ط ١، جدة، دار المنهاج، ١٩٩٨م)، ١٠٨.

(٢) عبد الرحمن السهيلي، "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام". تحقيق عمر عبد السلام السلاامي. (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ٧: ٥٠٦؛ وقيل اسمه عامر، وقيل إياس، وقيل آدم، أحمد بن عبد الله الطبري، "ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى". (القاهرة: مكتبة القدسي بالقاهرة: ١٩٣٧م)، ٢٤٦، والله أعلم.

(٣) كما ورد في مصعب بن عبد الله الزبيري، "نسب قريش". تحقيق ليفي بروفنسال. (ط ٣، القاهرة: دار المعارف، القاهرة: ١٩٥٣م)، ٨٧؛ والبلاذري، "أنساب الأشراف"، ٤: ٢٩٥.

(٤) كما ورد في عبد الملك ابن هشام. "السيرة النبوية". تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ٦: ٩؛ وشمس الدين الذهبي، "تاريخ الإسلام". تحقيق عمر عبد السلام تدمري. (ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م)، ٢: ٧٠٤. ومحمد بن جرير الطبري، "تاريخ الطبري". (ط ٢، بيروت: دار التراث، ١٩٧٦م)، ٣: ١٥٠.

٤- أنه كان رضيعاً (يجبو بين البيوت)؛ وهي إشارة إلى سن الاسترضاع. وممن استرضع في الجاهلية مالك ابن الملك المنذر بن امرئ القيس اللخمي^(١)، قال صاحب المنمق: "إن المنذر بن امرئ القيس اللخمي استرضع زرارة ابن عدس ابنا له يقال له مالك فشب فيهم...."^(٢)، وقيل اسمه أسعد^(٣).

ويستنبط من هذه الرواية:

١- وجود الاسترضاع في العصور المبكرة من الحياة العربية حيث يقدر بما قبل مبعث النبي صلى الله عليه بستين سنة.

٢- وجود الاسترضاع في سادة وملوك العرب.

٣- قوله فشب فيهم يدل على استمرار الاسترضاع إلى وقت الشبيبة.

٤- كانت القبيلة المختارة بادية بني تميم وهم من أفصح العرب، وعند سيد من ساداتها وهو بيت زرارة بن عدس؛ وهذا يدل على أن الاسترضاع ليس فيه امتهان ولا مهانة.

وفي قصة طويلة لاسترضاع الأسود بن المنذر ملك الحيرة^(٤) ابنا له اسمه شرحبيل عند سنان بن أبي حارثة المري والد هرم بن سنان ممدوح زهير وكان الأسود قد

(١) خير الدين الزركلي، "الأعلام". (ط ١٥٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٧: ٢٩٢.

(٢) محمد بن حبيب بن حبيب البغدادي، "المنمق في أخبار قريش". تحقيق خورشيد أحمد. (ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ٢٤٠.

(٣) محمد بن عبد الله الحِميري، "الروض المعطار في خبر الأقطار". تحقيق إحسان عباس. (ط ٢، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م)، ٦٢، في قصة لعمر بن هند عم النعمان بن المنذر؛ وينظر محمد بن يزيد المبرد، "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط ٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م)، ١: ١٣٨.

(٤) الدمشقي، "الأعلام"، ١: ٣٣٠.

استرضع ابنه شرحبيل عند سنان، ترضعه امرأته...^(١)، وفي رواية أن الصبي كان مسترضعاً عند عمرو بن الحُصم التغلي، وأيا كان الاسترضاع فالمقصود بثبوته، ويستنبط من هذه الرواية إضافة إلى الرواية السابقة:

- ١- تقدم ظاهرة الاسترضاع إلى ما قبل الهجرة بأكثر من مائة وستين سنة.
- ٢- وجود الاسترضاع عند قبيلتي غطفان وتغلب وكلاهما من بادية نجد فأما غطفان فكانت محافظة على فصاحتها، وأما تغلب فقد أعرض عنها الرواة لاختلاطها بغير العرب، ولعل ذلك فيمن بقي في البادية محافظاً على فصاحته.

ومن استرضع في الجاهلية ابنٌ لِلْحَارِثِ بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار^(٢) كان مُسْتَرْضِعاً في تميم وبكرٍ ولدغته حيّة فمات، فأخذ خمسين رجلاً من تميم وخمسين رجلاً من بكرٍ فقتلهم به^(٣). قيل اسمه شرحبيل^(٤)، وهو غير ابنه الملك قطعاً؛ لأن شرحبيل بقي حتى ملك بعد أبيه، وهو عم امرئ القيس الشاعر، وهذا مثل سابقه إلا أنه أقرب عصراً إلى الإسلام.

وأقرب منه في الجاهلية المغيرة بن عبد الله والد الوليد بن المغيرة القرشي، قيل إنه

(١) جواد علي، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام". (ط٤، لندن، دار الساقى، ٢٠٠١م)، ٢١٠-٢١١.

(٢) الدمشقي، "الأعلام"، ٢: ١٦٩.

(٣) علي بن محمد بن الأثير (الجزري). "الكامل في التاريخ". تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. (ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م)، ١ / ٤٩٦.

(٤) ناصر الدين الأسد، "مصادر الشعر الجاهلي". (ط٧، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م)، ١: ٢٢٨. قال: كان شرحبيل مسترضعاً في بني دارم رهط الفرزدق، فلحق امرؤ القيس بعمه، فلذلك حفظ الفرزدق أخباره.

استرضع له في بني شِجْع بَن عَامِر، وقال قوم: إن المسترضع لهُ ابنه الْوَلِيد، وَاللَّهُ أعلم^(١). وكل ذلك في الجاهلية، ومما يستنبط من ذلك:

١- استمرار الاسترضاع إلى قبيل العهد النبوي.

٢- وجود الفصاحة ومن ثم الاسترضاع في بني شِجْع وهم من كنانة العدنانية^(٢).

٣- كثرة الاسترضاع من قبيلة قريش مما يدل على حرصها على فصاحة أبنائها، ولعل ذلك تمهيد وإرهاص لنزول القرآن فيهم وبلغتهم^(٣).

ومن ثبت استرضاعه في الجاهلية سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم استرضع في بادية بني سعد^(٤) بنص الحديث: "وَأَسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"^(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: "فلما نشأت بغضت إلي أوثان قريش وبغض إلي الشعر فكنت مسترضعا في بني ليث بن بكر"^(٦)، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء:

(١) البَلَادُورِي، "أنساب الأشراف"، ١٠: ١٧٠.

(٢) أحمد بن علي القلقشندي، "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب". تحقيق إبراهيم الإبياري.

(ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبنانيين، ١٩٨٠م)، ٣٠٣.

(٣) الكردي، "التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم"، ١: ١٢١.

(٤) علي بن إبراهيم الحلبي، "السيرة الحلبية". (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، ١:

١٣١؛ أحمد بن عبد الله الأصبهاني، "دلائل النبوة". تحقيق محمد رواس قلعه جي، وعبد البر

عباس. (ط٢، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٦م)، ١٣٧؛ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطي، "الخصائص الكبرى". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ١: ٩٧.

(٥) محمد بن يسار بن إسحاق، "سيرة ابن إسحاق". تحقيق سهيل زكار. (ط١، بيروت: دار

الفكر، ١٩٧٨م)، ٥١؛ ومحمد بن عمر بن واقد الواقدي، "المغازي". تحقيق مارسدن

جونس. (ط٣، بيروت: دار الأعلمي، ١٩٨٩م)، ٢: ٨٦٩؛ والأصبهاني، "دلائل النبوة"،

١٥٥، وما بعدها. وقد فصل واستوعب ما ورد في قصة استرضاعه صلى الله عليه وسلم.

(٦) السيوطي، "الخصائص الكبرى"، ١: ٩٩؛ والطبري، "تاريخ الطبري"، ٢: ١٦١.

أفصح العرب غُلْيَا هَوَازَن وَسُقْلَى تَمِيم^(١)، وكانت مرضعته حليلة السعدية رضي الله عنها^(٢).

وذكر أن عم النبي صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله عنه كان مسترضعا له عند بني سعد بن بكر، وكانت أم حمزة قد أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣)، وإنما عُدَّ رضاع النبي صلى الله عليه وسلم بالعصر الجاهلي لكونه قبل البعثة النبوية، ويستنبط من ذلك:

- ١- أن سيد الخلق وأفصح من نطق بالضاد كان في جملة تكوينه اللغوي الاسترضاع في البداية عند الفصحاء، وهذا مما لا يناقش فيه؛ لنص النبي صلى الله عليه وسلم على ربط فصاحة لسانه بتربيته في بني سعد بن بكر.
- ٢- فصاحة بني سعد بن بكر حيث قدم وفد منهم وأخذوا جملة من الأطفال كما في قصة حليلة وهذا يؤيد اعتناء قريش خاصة بفصاحة أبنائها.
- ٣- ثم استرضعت حليلة عم النبي صلى الله عليه وسلم قبله فهما أخوان من الرضاع ولم يكونا في وقت واحد كما يظهر من الروايات.
- ٤- يظهر في هذا سن الاسترضاع وهو من بداية الطفولة إلى الست سنين أو إلى

(١) السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، ١: ١٦٧.

(٢) الدمشقي، "الأعلام"، ٢: ٢٧١، في ترجمة حليلة السعدية رضي الله عنها.

(٣) أحمد بن الحسين البيهقي، "دلائل النبوة". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ١: ١٣١؛ ومحمد بن منيع بن سعد، "الطبقات الكبرى". تحقيق إحسان عباس. (ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م)، ١: ١٠٨ وما بعدها؛ وعبد العزيز ابن جماعة. "المختصر الكبير في سيرة الرسول". تحقيق سامي مكّي العاني. (ط ١، عمان، دار البشير، ١٩٩٣م)، ٢٥؛ وأحمد بن علي المقرئ، "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع". تحقيق محمد النميسي. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ١: ١٢.

الأربع كما في بعض الروايات.

وكل ما سبق يدل على الوجود الواضح لظاهرة الاسترضاع وعمومه لأصناف الناس وطبقاتهم إلا أنه في الملوك والسادة أكثر منه في عموم العرب، ويعود ذلك إلى قدرتهم على الإنفاق على المرضعات وإعداد أبنائهم للسيادة وحل المعضلات؛ ومن مقومات السيادة، وتكامل الشخصية العربية فصاحة اللسان، كما أن اللحن من دواعي السقوط من أعين المجتمع العربي، كما يظهر عناية قبيلة قريش بفصاحة أبنائها وهذا يفسر ما ورد في جلالة قدرها ورقية في لسانها ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها ونزول القرآن بلغتها.

المبحث الثاني: الاسترضاع في عصر صدر الإسلام

ومن أول ما يندرج في عصر صدر الإسلام استرضاع إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان مسترضعاً في عوالي المدينة وهي القرى التي عند المدينة^(١)، وقد مات صغيراً^(٢).

ومنهم ابنٌ لأبي العاص بن الربيع وأمه زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولدت له عليّاً الصحابي ابن الصحابي، أحد الأسباط النبوية استرضع في بني غاضرة^(٣).

ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير حيث كان مسترضعاً في مزينة^(٤).
ومنهم الصحابي: عمرو بن وقدان، كان يلقب بـ(السعدي)؛ لأنه كان استرضع

(١) مسلم بن الحجاج القشيري، "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م)، ٤: ١٨٠٨؛ وأحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، "مسند أبي يعلى". تحقيق حسين سليم أسد. (ط٢، جدة، دار المأمون للتراث، ١٩٨٩م)، ٧: ٢٠٢؛ الطبري، "ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى"، ١٥٤.

(٢) عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، "أخلاق النبي وآدابه". تحقيق صالح بن محمد الونيان. (ط١، الرياض، دار المسلم، ١٩٩٨م)، ١: ٣٨٠.

(٣) علي بن محمد بن الأثير (الجزري)، "أسد الغابة في معرفة الصحابة". تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ٤: ١١٨؛ ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ٤: ٣٢١؛ وأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة". تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ٤: ٤٦٩.

(٤) الخبر في المبرد، "الكامل في اللغة والأدب"، ٣٥٧.

- في بنى سعد بن بكر، توفي سنة ٥٧ هـ^(١)، ويستنبط من ذلك ما يلي:
- ١- أن الاسترضاع ما زال مستمرا في عصر صدر الإسلام.
 - ٢- وجود بعض فصحاء القبائل في ضواحي المدن مثل استرضاع إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم في ضواحي المدينة.
 - ٣- ظهور أسماء بعض القبائل والبطون العربية التي كانت تستقبل المرتضعين ومنهم بنو غاضرة (بطن من خزاعة) بنو غاضرة بن حبيشة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزينة، من الازد، من القحطانية^(٢)، وقبيلة مزينة: وهم بنو عثمان وأوس ابنا عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر؛ نسبا إلى أمهما مزينة بنت كلب بن وبرة^(٣).

(١) المقرئزي، "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع"، ٦: ١٩٧؛ ويوسف بن عبد الله ابن عبد البر، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب". تحقيق علي محمد البجاوي. (ط١، بيروت: دار الجليل، ١٩٩٢م)، ٣: ٩٢٠؛ والذهبي، "تاريخ الإسلام"، ٤: ٢٥٦؛ وعبد الله بن محمد البغوي، "معجم الصحابة". تحقيق محمد الأمين بن محمد الجكني. (ط١، الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠م)، ٣: ٥٤٥.

(٢) القلقشندي، "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، ٣٨٦.

(٣) علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، "جمهرة أنساب العرب". تحقيق لجنة من العلماء. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ١: ٢٠١، ٤٨٠.

المبحث الثالث: الاسترضاع في العصر الأموي

كانت هناك دوافع دينية واجتماعية وعصبية عربية جعلت الدولة الأموية عربية خالصة من ناحيتها اللغوية والعرقية^(١) وكان سبيلهم إلى تعلم الفصحى هو معايشة الأعراب وسكنى البوادي وقد حدث ذلك فعلاً، وقد واصل الخلفاء والكبراء ما اعتادوا عليه من تنشئة أبنائهم في البادية^(٢).

كان سادة البيت الأموي يرسلون أبناءهم إلى البادية لأغراض أهمها الفصاحة والبيان في جو عربي خالص وحتى يتدربوا على العربية في مصدرها الصافي من شوائب الحضارة^(٣).

وأول ما يواجهنا من ذلك فصاحة يزيد بن معاوية وإن لم يكن مسترضعاً ولكن بسبب نشأته مع أمه ميسون بنت بحدل الكلبية بين أهلها في البادية؛ فتعلم الفصاحة، ونظم الشعر هناك في بادية أخواله من بني كلب بن وبرة^(٤).

ومما يشير إلى أن الاسترضاع في البادية كان بقصد نشدان الفصاحة في العصر الأموي ما استشهد به الجاحظ أن عبد الملك بن مروان كان يقول: أضرب بنا حب الوليد؛ لأن الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحاً؛ حيث كانت إقامته مع أمه،

(١) يوهان فُك، "العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب". ترجمة رمضان عبد التواب. (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م)، ٥٠ وما بعدها.

(٢) إبراهيم محمد أبو سكين، "دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة". (المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/11751>)، ١٥؛ ومحمود فهمي حجازي، "علم اللغة العربية".

(القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ٢٤٤.

(٣) حجازي، "علم اللغة العربية"، ٢٤٤.

(٤) إسماعيل بن علي (الملك المؤيد)، "المختصر في أخبار البشر". (ط١، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ)، ١: ١٩٢.

وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية فتعربوا، ثم أدبوا فتأدبوا^(١).
ومنهم عبيد الله بن عدي بن الخيار أحد التابعين الذي ذكر وحشي بن حرب رضي الله عنه أنه استرضع له^(٢).
ومنهم أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه استرضع له أبوه في بني فقيم أوبني نعم، في آل الغرق^(٣).
ومنهم يحيى بن سعيد وهو من ولد سعيد بن العاص استرضع في بني كنانة^(٤).
ومن خلال ما سبق من الروايات يتبين ما يلي:
١- استمرار الاسترضاع في العصر الأموي إلى نهايته؛ فإن مروان بن محمد هو آخر خلفاء بني أمية.
٢- يوجد ارتباط بين الفصاحة والسيادة حيث كان الخلفاء هم أحرص على ذلك من غيرهم.
٣- اللحن مازال في العصر الأموي يعد مثلبة يدل على ذلك قصة الوليد بن عبد الملك، ولا شك أن العصبية العربية التي عادت في عصر بني أمية جذعة كان

(١) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ٢: ٢٠٥؛ والحلي، "السيرة الحلبية"، ١: ١٣١؛ والبلاذري، "أنساب الأشراف"، ٨: ٨٢.

(٢) أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، "معرفة الثقات". تحقيق عبد العليم البستوي. (ط١، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٩٨٥م)، ٢: ١١٢.

(٣) يوسف بن عبد الرحمن المزني، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال". تحقيق بشار عواد معروف. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م)، ٤: ٢٧٣؛ والبلاذري، "أنساب الأشراف"، ١٢: ١٣٨.

(٤) "فأناه قوم من كنانة في حماله فمتوا إليه بالرضاع فلم يصنع بهم خيراً"، البلاذري، "أنساب الأشراف"، ٥: ٤٥١.

لها دور كبير في ذلك.

٤- ظهر من أسماء القبائل التي كانت تستقبل المسترضعين: بنو فقيم أو بني نعم في آل الغرق، كما تظهر قبيلة سُليم الكبيرة كإحدى القبائل الفصيحة في هذا الباب.

٥- كل ما عثرت عليه من الروايات في العصر الأموي لقبيلة قريش ما عدا أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

٦- يكاد يقتصر الاسترضاع في العصر الأموي على علية القوم من أهل البيوتات الشريفة من الخلفاء والأمراء ونحوهم -على الأقل فيما نقل إلينا- فكانت "الملوك تعدل ببنيتها عن التنعم إلى شظف العيش، وتدني محالتهم من البادية، وتبوئهم منازل الفصاحة، لتحند أفئدتهم، وتمتد ألسنتهم"^(١).

(١) الشنتريني، "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، ١: ٢٢٦؛ وأبو سكين، "دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة"، ١٥.

المبحث الرابع: اندثار الاسترضاع في العصر العباسي

في دولة بني العباس انحسرت العصبية العربية وضعف الارتباط بالفصحاة وقلَّت العناية بتوقي اللحن وحل التأديب والمؤدبون مكان التنشئة اللسانية البدوية^(١) وانتقل التلقي من الأعراب شفاها إلى مرحلة عمرية أعلى واختلقت الأغراض من المعاشة للبدو فدخل في تلك الأغراض غرض الرواية وانتقاء أجود لغات العرب وتسجيلها، وأصبح غرض تصفية اللسان غرضا نادرا.

ولا شك أن التأديب بحفظ لغة العرب وأشعارهم ونصوصهم له أثره الكبير في فصاحة اللسان وإن لم يصل إلى تأثير الاسترضاع لأن النظام اللغوي قد استقر لدى الطفل منذ سنه الأولى^(٢).

والقراءة والاطلاع وحفظ اللغة سواء عن طريق المؤدبين أم عن طريق التعليم والممارسة وتدريب اللسان يقوم مقام السماع، وخاصة النصوص الأدبية القديمة، وما نسج على نمطها في العصور المختلفة، قراءة واعية صابرة، مع حفظ الكثير الجيد منها شعرا ونثرا. وقبل ذلك بالطبع، حفظ القرآن العظيم، وفي هذه الحالة تتكون الملكة القادرة على محاكاة هذه النصوص العالية^(٣).

(١) ومما ورد أن هارون الرشيد قال لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك فلان؟ قال: مات فاستراح من الكتاب. قال: وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ. والله لا حضرته أبدا. ووجهه إلى البادية فتعلم الفصحاة" وهذا يدل على أنه ما زال في نشدان الفصحاة في البادية بقية يسيرة. أحمد بن محمد بن عبد ربه، "العقد الفريد". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م)، ٢: ٢٧٥.

(٢) جوزيف فندريس، "اللغة". ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م)، ٦٤.

(٣) رمضان عبد التواب، "بحوث ومقالات في اللغة". (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٥م)، ١٦٩.

ولقد نادى بمثل ذلك العلامة ابن خلدون، فقال: "وجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم، الجاري على أساليبهم، من القرآن والحديث، وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور، منزلة من عاش بينهم، ولقن العبارة منهم" (١).

ومنذ ذلك العصر إلى عصرنا الحاضر لم يبق أمام من يريد بناء الملكة اللغوية سوى هذا الطريق، كما ضعف الاهتمام بهذا الجانب من الناحية العملية ضعفا بالغا؛ ولعل من أسباب هذا التحول أمور كثيرة منها:

أ) طبيعة العصور التي لم تعد تعطي الفصاحة والبيان الأهمية الاجتماعية التي كانت عليها، وامتزاج العرب بالأمم الأخرى.

ب) ضعف العصبية العربية من قبل العرب؛ من الخلفاء، والأمراء، والولاة الذين معظمهم من أبناء أمهات الأولاد، وتولى الأعاجم لزمام الأمور في كثير من أمور البلاد العربية.

ت) ضعف الفصاحة والنقاء اللغوي في البوادي التي التحقت بالحواضر في تحول اللسان، وهذه المسألة مستوفاة في أبواب الاستشهاد وفترته المتفق عليها عند اللغويين.

(١) ابن خلدون، "تاريخ ابن خلدون"، ١: ٧٧١.

المبحث الخامس: سن الاسترضاع وأثره في بناء اللغة عند الطفل

حدد علم اللغة الحديث بناء على الدراسات والتجارب سن اكتساب اللغة وأسهب اللغويون في تفصيل درجات اكتساب اللغة بداية من ولادته تلقيا من أبويه، والمحيطين به، وهم لا يملون من ترديد المقاطع التي يتفوه بها الطفل، ويستمتعون بأخطائه ويصلحونها له، حتى ينضج لغويا^(١)، كما بينوا العوامل التي يستعين بها على بناء لغته بشكل دقيق، ومنها السمع المرهف والذاكرة وصحة الفهم، والتقليد، والنشاط، والحيوية، وقوة الرغبة في المشاركة في الحياة^(٢).

وقد قسم علم اللغة الحديث أطوار التمكن من النظام اللغوي عند الطفل واكتماله في سنواته الأولى، وما يعتور ذلك من عوارض ومعوقات^(٣)، منذ ولادته إلى أن يصل إلى مرحلة الاستقرار اللغوي، (المرحلة الأخيرة)، "وتبدأ مرحلة الاستقرار من سن السادسة أو السابعة أو الثامنة؛ تبعًا لاختلاف الأفراد. حيث تستقر لغته، وتتمكن من لسانه أساليبها الصوتية، وترسخ لديه طائفة كبيرة من العادات الكلامية الملائمة لطبيعتها الخاصة"^(٤).

وإذا قارنا ذلك كله بمراحل تكوين الملكة اللغوية لدى الطفل في مرحلة

(١) رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي". (ط٣)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م، ١٢٢.

(٢) علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة". (ط١)، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٤م، ١٥١، وما بعدها، وقد فصل المؤلف في هذه الجوانب بما لا يتسع له نطاق البحث فليُنظر هناك.

(٣) ينظر فندريس، "اللغة"، ٦٤، وما بعدها؛ وعبد التواب، "بحوث ومقالات في اللغة"، ١٦٨؛ وحجازي، "علم اللغة العربية"، ١٣.

(٤) وافي، "علم اللغة"، ١٥٠.

الاسترضاع - بحسب ما ورد في تراثنا العربي - وجدنا توافقاً كبيراً؛ فنجد أن إرسال الطفل المسترضع إلى البداية منذ أشهر الولادة الأولى وهي مرحلة الرضاع يدل على ذلك استرضاع النبي صلى الله عليه وسلم، واسترضاع ولده إبراهيم، إلى أن بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الرابعة من عمره حيث حدث شق الصدر فخافت عليه مرضعته حليلة السعدية وأعادته إلى أمه، فطمأنتها وزادت بقاءه معها سنتين أخرى حتى بلغ ست سنين^(١)، وكما اتضح سن الاسترضاع في قصة إياس ابن ربيعة بن الحارث الذي قتل وهو يحبو أمام البيوت، وقصة ابن الحارث بن حجر الذي قتل وهو طفل صغير كل ذلك مؤشر على سن الاسترضاع وأنه منذ الأشهر الأولى إلى سن السادسة أو الثامنة كحد أقصى وهذه مرحلة استقرار اللغة كما تقرر في علم اللغة الحديث.

وقد نص علم اللغة الحديث على أهمية هذه الفترة في التكوين اللغوي الدقيق؛ وذكرنا أن الطفل يحرص على ما يتلقى من مفردات، ويكررها في خلوته، ويؤلف بينها، ويثبتها في ذهنه.

ويحاكي في هذه الفترة الأساليب الصوتية التي يلقي بها الكبار والجمل الإخبارية والاستفهامية والطلبية والتعجييبية والزجرية والحركات الجسمية واليدوية التي تصحب حديثهم.

ويتميز في هذه الفترة بسرعة وسهولة التعلم عن طريق المحاكاة لأية لغة أجنبية إذا اختلط بالمتكلمين بها، بل يستطيع أن يتعلم بهذه الوسيلة أكثر من لغة أجنبية واحدة، وإذا أتيح له بصفة دائمة في هذه الفترة سماع لغات شتى استطاع أخذها جميعها عن طريق المحاكاة، وأجاد كلاً منها إلى درجة لغته الأصلية، ومن أجل هذا

(١) ذكر ابن كثير أنه عليه الصلاة والسلام أقام عند مرضعته حليلة ست سنين تزيره جده في كل عام، ينظر إسماعيل بن عمر بن كثير، "البداية والنهاية". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط ١، بيروت: دار هجر، ١٩٩٧م)، ٣: ٤١٩.

تختار بعض الأسر الموسرة لأولادها في هذا الدور مربيات مختلفات اللغات، حتى تنتقل إليهم بالمحاكاة جميع لغاتهن.

ويسلك الطفل في هذه السن طريقاً محبباً إليه، ويسير على أسلوب يتفق مع أعباءه، فيسهل عليه بذل المجهود، ويؤتي مجهوده أكله. على حين أن الكبير يتعلم اللغة الأجنبية لغاية خارجة عنها، فتصعب عليه والكبار قد رسخت لديهم عادات كلامية خاصة، وتشكلت أعضاء نطقهم بالشكل الذي يلائمها، فيصبح من الصعب عليهم مع هذا اكتساب عادات صوتية جديدة مخالفة لعاداتهم الأولى، وليس الأمر كذلك عند الطفل، فأعضاء نطقه في هذا الدور تكون مرنة قابلة للتشكيل بمختلف الأشكال. وهذا مظهر من مظاهر ما يسميه علماء النفس: "مقاومة القديم"^(١).

وهذا كله يدل على إدراك العرب الأميين الجاهليين ومن جاء بعدهم في صدر الإسلام وعصر بني أمية لأهمية هذه المرحلة وهي من الأشهر الأولى بعد الولادة إلى سن الرابعة والسادسة ووقد تصل إلى الثامنة في بناء لغة الطفل وتكوين السليقة والملكة القوية على الرغم من أن الدراسات والتطبيقات في العصر الحديث منصبة نحو تعلم اللغة بشكل عام، سواء لغته الأصلية أم اللغات الأخرى الإضافية، أما الاسترضاع فهو متجه نحو التصحيح اللغوي والإجادة والوصول إلى درجة عالية صافية نقية من الشوائب وأن تكون تلك الدرجة ملكة إلا أن كليهما تكوين وبناء للسان ونمط الأداء الصوتي السليم عن طريق استخدام حاسي السمع والبصر والمعايشة والمحاكاة بطريقة عفوية طبيعية.

(١) وافي، "علم اللغة"، ١٣٩، وما بعدها.

الفصل الثاني

بدائل الاسترضاع فيما بعد العصر الأموي إلى العصر الحالي،

وفيه مدخل وثلاثة مباحث:

مدخل:

بعد انتهاء الاسترضاع تدريجياً للأسباب التي أشير إليها وبدأت تحتفي عصبية اللغة العربية من العرب بدأت ترتفع العصبية الدينية للغة العربية وبدأ يقوى الحفاظ على اللغة بدافع ديني من العرب والعجم على حد سواء فقد "كان الأمويون مرتبطين بالبادية مؤمنين بتنشئة الأبناء في بيئة لغوية بدوية، ولكن العباسيين آمنوا بضرورة إجادة الأبناء للعربية، غير أنهم لم يكونوا مرتبطين فكرياً أو عاطفياً بالمجتمع البدوي، وأرادوا لأبنائهم حياة رغبة في قصور بغداد ومعرفة جيدة بالعربية، ولهذا ظهر الأعراب في قصور السادة الجدد يُعلّمون اللغة، وهكذا اختلفت الصورة، قديماً كان الأبناء يرسلون إلى البادية، وفي القرن الثاني كان الأعراب يفدون إلى القصور يُعلّمون اللغة"^(١).

وبدأت تسود مظاهر جديدة يمكن أن نعتها بديلاً للاسترضاع:

المبحث الأول: المؤدبون

ساد في بلاط الخلفاء والأمراء والوزراء في العصر العباسي ما يسمى بالتأديب لأهداف تعليمية وتربوية ومن أهم الأهداف التعليمية تعليم اللغة وتقويم اللسان من خلال تحفيظ القرآن وعيون الشعر والنثر العربي، ومن أهم صفات المؤدب أن يكون عالماً باللغة حافظاً للقرآن عارفاً بالأدب متفناً في العلوم، ويحظى المؤدب باحترام

(١) حجازي، "علم اللغة العربية"، ٢٥٢.

وتقدير مجتمعي كبير؛ ولهذا كان اللغويون يتنافسون على هذه الرتبة العالية.
ومن المؤدبين المشهورين: الإمام علي بن حمزة الكسائي علم اللغة والإقراء
بالكوفة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي أبو عبد الله مفتي المدينة وأحد الفقهاء
السبعة فيها.

ومن خلال الاستعراض التاريخي لظاهرة التأديب والمؤدبين حصرت نماذج من
المؤدبين والمتأديبين عبر التاريخ في هذا الجدول:

م	المؤدبون	المتأديبون
١.	عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني	مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ^(١)
٢.	أبو الأسود الدؤلي، وأبو العراب السلمي	مؤدبا بني زياد ابن أبيه ^(٢)
٣.	صالح بن كيسان المدني، وميمون بن مهران	مؤدبا أولاد عمر بن عبد العزيز ^(٣)
٤.	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي مفتي أحد الفقهاء السبعة	مؤدب عمر بن عبد العزيز ^(٤)
٥.	الجعد بن درهم	مؤدب الخليفة الأموي مروان بن محمد ^(٥)

(١) الطبري، "تاريخ الطبري"، ٧: ٢٠٩.

(٢) محمد بن حبيب بن حبيب البغدادي، "المحرر". تحقيق إيلزة ليختن شتير. (بيروت: دار
الآفاق الجديدة، ١٩٤٢م)، ٣٤٦؛ ويعقوب بن سفيان الفسوي، "المعرفة والتاريخ". تحقيق
أكرم ضياء العمري. (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م)، ١: ٦٤٢.

(٣) المزي، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، ١٣: ٧٩.

(٤) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ٦: ٤٢٣؛ وخليل بن أبيك الصفدي، "نكت الهميان في نكت
العميان". تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،
٢٠٠٧م)، ١٨٠.

(٥) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ٧: ٣٣٧.

م	المؤدبون	المتأدبون
٦.	الإمام أبو عبد الحميد المخزومي مولاهم الدمشقي	مؤدب آل عبد الملك بن مروان ^(١)
٧.	شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النّيار	مؤدب الخليفة المستعصم بالله ^(٢)
٨.	علي بن حمزة الكسائي، وأبو عبد الصمد	مؤدبا الرشيد، والأمين، والمأمون ^(٣)
٩.	هارون بن زياد	مؤدب الواثق ^(٤)
١٠.	محمد بن عمران بن زياد بن كثير أبو جعفر الضبي النحوي الكوفي	مؤدب عبد الله بن المعتز ^(٥)
١١.	الحسين بن أبي النجم بدر بن هلال المؤدب	مؤدب الطائع لله ^(٦)
١٢.	صالح بن كيسان	مؤدب ابن شهاب ^(٧)
١٣.	محمد بن مسلم بن أبي الواضح، ومنصور بن أبي مُزَاجِم.	كلاهما مؤدب الخليفة موسى الهادي ^(٨)
١٤.	إبراهيم بن السري الزجاج	مؤدب القاسم بن عبيد الله بن سليمان ^(٩)

(١) شمس الدين الذهبي، "العبر في خبر من غبر". تحقيق محمد السعيد بسيوني. (بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ١: ١٣٢.

(٢) ابن كثير، "البداية والنهاية"، ١٧: ٢٦٤، ٢٧٣، ٣٨٢.

(٣) عبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري، "نزهة الألباء". تحقيق إبراهيم السامرائي. (ط٣،

الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥م)، ٦١؛ وياقوت بن عبد الله الحموي، "معجم الأديباء".

تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ٤: ١٧٤٠.

(٤) الحموي، "معجم الأديباء"، ١١: ١٢٠.

(٥) الطبري، "تاريخ الطبري"، ٩: ٣٧١.

(٦) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ٢٨: ٦٢.

(٧) الفسوي، "المعرفة والتاريخ"، ١: ٦٤٢.

(٨) عبد الحي بن أحمد الحنبلي ابن العماد، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق محمود

الأرنؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط. (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦م)،

٢: ٣١٢؛ والذهبي، "تاريخ الإسلام"، ١٠: ٥٤٨.

(٩) الطبري، "تاريخ الطبري"، ١١: ٢٣٧.

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ١

م	المؤدبون	المتأدبون
١٥.	أبو بكر الصولي	مؤدّب الخليفة الراضي بالله ^(١)
١٦.	أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب	مؤدّب أولاد المستظهر بالله كالمسترشد وغيره ^(٢)
١٧.	عبد الله بن مهران المؤدّب وعبد الله بن الغازي	مؤدبان للخلفاء من بني أمية وكان ابن الغازي مؤدبا للوليد أبي أيوب ^(٣)
١٨.	أبو العباس الجزيري	مؤدّب أبي جعفر بن أبي عامر بن غرسية ^(٤)
١٩.	أحمد بن منصور الدينوري الأخباري	مؤدّب الأمير حسن بن عيسى بن المقتدر ^(٥)
٢٠.	داود بن نصير، الطائي الكوفي	مؤدّب أولاد محمد بن قحطبة ^(٦)
٢١.	أبو إسماعيل المؤدّب إبراهيم بن سليمان بن رزين البغدادي	مؤدّب أولاد الوزير أبي عبيد الله ^(٧)
٢٢.	علي بن المبارك الأحمر شيخ العربية وتلميذ الكسائي	مؤدّب الأمين بتعيين الكسائي ^(٨)

- (١) محمد بن علي ابن العمري، "الإنباء في تاريخ الخلفاء". تحقيق قاسم السامرائي. (ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م)، ٣٧.
- (٢) ابن العمري، "الإنباء في تاريخ الخلفاء"، ٣١٨.
- (٣) محمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبار. "التكملة لكتاب الصلة". تحقيق عبد السلام الهراس. (بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥م)، ٢: ٢٣٠.
- (٤) القضاعي التكملة لكتاب الصلة (٣٢ / ٤)
- (٥) الذهبي، "العبر في خبر من غير"، ٢: ١٣٤.
- (٦) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ١٠: ١٧٩؛ وأحمد بن محمد ابن خلكان، "وفيات الأعيان". تحقيق إحسان عباس. (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)، ٢: ٢٦٠.
- (٧) أحمد بن علي الخطيب البغدادي، "تاريخ بغداد". تحقيق بشار عواد معروف. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ٦: ٦٠٩.
- (٨) الأنباري، "نزهة الألباء"، ٨٠؛ وعلي بن يوسف القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، وبيروت: ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٢م)، ٢: ٣١٣.

الانغماس اللغوي في التراث العربي -دراسة تاريخية تأصيلية، د. عبدالرحمن بن زايد بن محمد الشعشاعي

م	المؤدبون	المتأدبون
٢٣.	محمد بن قيس أبو زُكَيْر وابنه يحيى بن محمد بن قيس	مؤدب جعفر بن سليمان أمير البصرة وولده يحيى مؤدب أولاده ^(١)
٢٤.	الشَّرْقِيّ بن قِطَامِيّ ومحمد بن مسلم بن أبي الوضاح	كلاهما مؤدب للمهدي ^(٢)
٢٥.	شجاع بن الوليد أبو الليث البخاري	مؤدب الأمير حسن بن العلاء السعدي ^(٣)
٢٦.	أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي	مؤدب المكتفي بالله ^(٤) ، ومؤدب المُعْتَضِد ^(٥)
٢٧.	أحمد بن عبد العزيز بن الفرج النحوي صاحب القالي	مؤدب المظفر عبد الملك بن أبي عامر ^(٦)
٢٨.	أبو الحسن الهرويّ، الأديب	مؤدب أولاد الوزير أنوشروان بن خالد ^(٧)
٢٩.	وهب، وماهياي	مؤدبا الأساورة ^(٨)
٣٠.	عليّ بن منصور أبو الحسن السروجيّ الأديب	مؤدب أولاد الأتابك زنكي بن آق سنقر ^(٩)
٣١.	البشكري أحمد بن منصور الدينوري الأخباري	مؤدب الأمير حسن بن عيسى بن المقتدر ^(١٠)

- (١) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ١٣: ٤٧٩؛ وشمس الدين الذهبي، "سير أعلام النبلاء". تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م)، ٨: ٥٩.
- (٢) علي بن الحسن (ابن عساكر). "تاريخ دمشق". تحقيق محب العمروي. (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م)، ٦٢: ١٤٩.
- (٣) المزني، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، ١٢: ٣٨٨.
- (٤) علي بن الحسين المسعودي، "مروج الذهب ومعادن الجوهر". تحقيق أسعد داغر. (قم: دار الهجرة، ١٩٨٩م)، ٤: ١٨٣.
- (٥) ابن كثير، "البداية والنهاية"، ١٤: ٦٥٧؛ والبغداددي، "تاريخ بغداد"، ١٠: ٩٠.
- (٦) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ٢٧: ٣٨٣.
- (٧) الذهبي، "تاريخ الإسلام"، ٣٦: ٢٤٨.
- (٨) الطبري، "تاريخ الطبري"، ٢: ٢٣١؛ وابن خلدون، "تاريخ ابن خلدون"، ٢: ٢١٥.
- (٩) يوسف ابن تغري بردي، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة". (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٣م)، ٦: ٧٨.
- (١٠) ابن العماد، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ٤: ٣٧٧.

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ١

م	المؤدبون	المتأدبون
٣٢.	ولي الدين محمد ابن أحمد بن محمد الدمياطي	مؤدب الأمير بيبرس ^(١)
٣٣.	سعيد بن قدامة بن عبد الوارث بن محمود بن يزيد بن محمود بن أبي هلال القيسي	وكان مؤدب عربية ^(٢)
٣٤.	حسن بدر الدين المصري	أدب بعض الأعيان كالقاضي ابن عبد الوارث وأولاد ابن عبد المنعم وغيرهم ^(٣)
٣٥.	محمد بن هبيرة الأسدي أبو سعيد النحوي المعروف بصعوداء	مؤدب أولاد محمد بن يزداد وزير المأمون ^(٤)
٣٦.	النحوي، اللغوي: محمد بن عبد الرحمن بن خليفة الأزدي، أبو بكر الكتندي الإلبيري.	مؤدب الملك الأفضل ابن صلاح الدين ^(٥)
٣٧.	إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر التنوخي	مؤدب مرشد بن علي بن مقلد والد أسامة بن منقذ ^(٦)

ومن خلال استعراض الجانِب التاريخي للتأديب وأثره في استقامة اللسان العربي

- (١) أحمد بن علي المقرئ، "السلوك لمعرفة دول الملوك". تحقيق محمد عبد القادر عطا. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ٦: ١٥١.
- (٢) عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي. "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس". تحقيق عزت العطار الحسيني. (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٨م)، ١: ٢٠٢.
- (٣) محمد بن محمد الغزي. "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ١: ١٨٤.
- (٤) خليل بن أليك الصفدي، "الوافي بالوفيات". تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م)، ٥: ١٠٧؛ عمر بن رضا كحالة، "معجم المؤلفين". بيروت: مكتبة المتنبي ودار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م)، ١٢: ٩١.
- (٥) وليد بن أحمد الزبير وآخرون (جمع)، "الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة". (ط١، مانسستر: مجلة الحكمة، ٢٠٠٣م)، ٣: ٢١٤٣.
- (٦) الصفدي، "الوافي بالوفيات"، ٦: ٣٢، قال أسامة بن منقذ "وهو مؤدب والدي".

خلص البحث إلى الجوانب التالية:

١- نظام التأديب بدأ من العصر الأموي وشاع في العصر العباسي وما بعده كما كان حاضرا في بلاد الأندلس وتتضمن كتب اللغة والتاريخ والتراجم وغيرها آلاف الأمثلة الموثقة مما يدل على حضوره وأهميته.

٢- وجد من ضمن بيوتات المتأديبين جملة من الموالي (غير العرب)، وهذا غير مستغرب لأن أهداف تقويم اللسان وتنمية الثروة اللفظية العربية لها دوافع دينية وهذه يشترك فيها المعلمون من العرب وغيرهم، ولأن التأديب له أهداف تربوية وأخلاقية وليست فقط لتعليم العربية.

٣- للتأديب جذور تاريخية لدى ملوك وبيوتات الأمم الأخرى وخاصة الفرس، وقد يكون دخل إلى الثقافة العربية ضمن ما دخل من التنظيمات التعليمية والمنهجية والتربوية^(١).

٤- يكاد نظام التأديب العلمي واللغوي يختص بالخلفاء والأمراء والوزراء والأثرياء وقد يوجد لدى غيرهم نادرا.

٥- يشمل العمل في التأديب كلا من علماء اللغة والفقهاء والمحدثين والمقرئين ويستأثر اللغويون والنحاة بالنسبة الكبرى في هذا الميدان مما يحدد الهدف الأهم من فكرة المؤديبين.

٦- اشتملت النقولات على بيان أهمية تقويم اللسان وتحفيظ القرآن وعيون الشعر والنثر عند العرب يظهر ذلك في عموم توصيات المؤديبين.

٧- هذا التحول مما تقتضيه طبيعة العصر، والحياة المخملية، وميل الناس إلى

(١) ذكر في الطبري، "تاريخ الطبري"، ٢: ٢٣١، "ورجل يقال له ماهيائي، كان مؤدب الأساورة، وكثير من العظماء وأهل البيوتات".

الدعة والراحة؛ فقد كان الذهاب إلى البادية فيه من شظف العيش والشدة ما لا يخفى، إضافة إلى ضعف لسان البادية، ودخول الفساد إليها، وانقضاء فترة الاعتماد عليها كمصدر من مصادر بناء اللغة "وهكذا اختلفت الصورة، قديماً كان الأبناء يرسلون إلى البادية، وفي القرن الثاني كان الأعراب يقدون إلى القصور يعلمون اللغة"^(١).

(١) حجازي، "علم اللغة العربية"، ٢٥٢.

المبحث الثاني: الذهاب إلى البادية ومشاهدة الأعراب معايشة الراوي للمروي

عنهم (المشاهدة الحضورية)

المشاهدة والسماع هما أقوى مصادر تلقي اللغة وبناء الملكة اللغوية، كما تقرر ذلك في علم اللغة الحديث بشكل عام من خلال أبحاث الانغماس اللغوي في العصر الحديث بشكل خاص، وما أنتجته ممارسات تعلم اللغة عند العرب في التراث العربي، وتأتي ظاهرة الارتحال إلى البوادي ومخالطة أهلها ومشافهتهم وتسجيل الأداء اللغوي وحفظ الألفاظ وتدوين الشواهد شعرا ونثرا وضبطها ووصفها وتصنيفها، ضمن أولويات العلماء المتقدمين والرواة والنحويين واللغويين؛ ذلك لإدراكهم أهمية السماع والتلقي المباشر والاستيثاق من صحة اللغة وسلامة الأداء، وهذا الفعل يشبه إلى حد كبير حالات وظواهر الانغماس اللغوي في العصر الحديث، وقد بدأت هذه الظاهرة في أوائل تدوين اللغة وتقعيد النحو "حتى أوائل القرن الثالث الهجري، يوم كان الرواة والإخباريون يختلفون إلى الأعراب في البادية؛ ليأخذوا من أفواههم اللغة، ويعودوا ألسنتهم الفصاحة والبيان"^(١).

وقد كان لتلك الرحلة إلى البادية هدفان: الأول تقويم اللسان تقويما ذاتيا قاصرا على لغة المرتحل ولسانه، والهدف الآخر جمع اللغة لأغراض علمية متعددة لفحصها، وتقعيدها، وبيانها، وتعليمها، والهدفان متداخلان وكلاهما منصوب عليه فيما نقل عنهم، فكان همهم اللسان العربي الصحيح عن طريق الاتصال باللغة في أنقى صورها فارتحلوا إلى البوادي التي تعيش فيها القبائل العربية الفصيحة التي لم تختلط بالأجانب، وغلوا من معارفهم، ودونوا ما سمعوا^(٢).

(١) الصالح، "دراسات في فقه اللغة"، ١١٩.

(٢) أبو سكين، "دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة"، ١٦.

وخير مثال على معايشة الأعراب لغرض الفصاحة والبيان قصة الإمام الشافعي ومعايشته لقبيلة هذيل سنين عددا؛ حيث خرج إلى بادية مَكَّة، فلزم هُذَيْلًا، فكان يتعلَّم من لغَتِها ويأخذ من طبعها، وكانت هذيل أفصح العرب، فبقي عندهم سبع عشرة سنة، يرتحل معهم وينزل، ثم رجع إلى مَكَّة، فكان ينشد الأشعار ويذكر أيام العرب وفنون الأدب^(١).

ومن أمثلة ذلك سيبويه عندما لُحِنَ في مجلس الحديث عند حمّاد بن سلمة؛ فقال: لأطلبن علما لا يلحني معه أحد، فخرج إلى البادية، وأخذ اللغة من أفواه العرب^(٢). ومنهم الإمام الكسائي شيخ النحو والإقراء بالكوفة عندما لقي الخليل وتعجب من علمه وفصاحته وسأله عن أخذ هذا العلم؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامه، فخرج إلى البادية يلتمس اللغة الصافية النقية، ثم رجع، وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ^(٣).

ومنهم المتنبي؛ حيث ذكر عنه الخطيب البغدادي أنه نشأ محبا للعلم والأدب فطلبه وصحب الأعراب في البادية، وبقي فيها من عمره سنين، فجاء بعدها بدويا قحّا^(٤). ومنهم أبو منصور الأزهري الذي بقي في البادية قسرا بضع سنين حيث وقع أسيرا لدى أعراب من القرامطة قال: "وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا نشأوا

(١) يوسف قَزْ أُوغلي سبط ابن الجوزي، "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان". تحقيق مجموعة من المحققين. (ط١، دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣م)، ١٣: ٤٠١؛ وأحمد بن الحسين البيهقي، "مناقب الشافعي". تحقيق السيد أحمد صقر. (ط١، القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٧٠م)، ١: ١٠٢؛ والحموي، "معجم الأدباء"، ٦: ٢٣٩٥.

(٢) الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٥٤)

(٣) البغدادي، "تاريخ بغداد"، ١٣: ٣٤٥.

(٤) البغدادي، "تاريخ بغداد"، ٥: ١٦٤؛ والدمشقي، "الأعلام"، ١: ١١٥.

في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون النعم ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطبايعهم ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهرًا طويلاً، وكنا نشقّ بالدهناء ونرتبع بالصّمان ونقيّظ بالستارين، واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً ونوادير كثيرة، أوقعت أكثرها في كتابي -يعني التهذيب-^(١).

وتحقق من تلك الرحلات أهداف عدة منها -إضافة إلى ما سبق- قيام حركة التأليف في المعاجم العربية على أساس المادة التي جمعها اللغويون في البادية في القرن الثاني الهجري. فكانوا عدداً كبيراً من اللغويين، حتى تم إنجاز أول عمل لغوي ميداني في الجزيرة العربية.

وأما أحوال هؤلاء العرب المحتج بهم فخيرها ما كان أعمق في التبدي والصق بعيشة البادية^(٢).

وخير دليل على أهمية أخذ اللغة مشافهة، وقيمة معايشة أهل الفصاحة في موطنهم، والسماع المباشر منهم؛ أن أهل اللغة وأصحاب المعاجم والتراجم ينصون على هذه الخصيصة، ويمتدحون تلك الصفة، ويعدونها -مع كونها دليلاً على فصاحة لسانه- أهم دواعي الثقة في نقله، والدقة في علمه، والتعمق في فهمه للغة العرب. ويفرقون بين من أخذ اللغة مكتوبة ومن أخذها مسموعة، ويميزون بين من تمتع بالمشافهة الحضورية وغيره.

(١) ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، ٤: ٣٣٤.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الاقتراح في أصول النحو". تحقيق عبد الحكيم عطية، وعلاء الدين عطية. (ط٢، دمشق: دار البيروتي، ٢٠٠٦م)، ٢٤؛ وسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، "من تاريخ النحو العربي". (بيروت: مكتبة الفلاح، بدون تاريخ)، ٢٣.

ومن أمثلة ذلك:

- ١- قال ياقوت في ترجمة محمد بن أحمد الغندجاني اللغوي: "واسع العلم راجح المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها ... وأنا أرى أنّ هذا الرجل خرج إلى البادية واقتبس علومه من العرب الذين يسكنون الخيم"^(١).
- ٢- ورد في إنباه الرواة في ترجمة أبي عمرو الشيباني: "دخل أبو عمرو إسحاق بن مرار البادية، ومعه دستيجان^(٢) حبرا، فما خرج حتى أفناها بكتب سماعه عن العرب"^(٣)، وأبو عمرو راوية كوفي أخذ اللغة مشافهة عن الأعراب ورحل إلى البادية.
- ٣- وقال في ترجمة عبد الله بن سعيد الأموي اللغوي: "لقى العلماء، ودخل البادية، وأخذ عن فصحاء الأعراب، وأخذ عنه العلماء وأكثروا في كتبهم. وكان ثقة في نقله"^(٤).
- ٤- وفي ترجمة الزمخشري: "وأقام برهة من الزمان بالحجاز؛ حتى هبت على كلامه رياح البادية، وورد مناهل العرب العاربة، ثم انكفأ راجعا إلى خوارزم"^(٥).
- ٥- وقال ابن خلكان في ترجمة الفقيه ابن الماجشون: "وكان من الفصحاء، روي

(١) الحموي، "معجم الأدباء"، ٥: ٢٣١٩.

(٢) الدَّسْتِيجُ من الأواني: ما يُجْعَلُ فيه المائعات، أي ما يُنْقَلُ باليد ويُحوَّل. والدَّسْتِيجُ: آنية تحوَّل باليد، وتنقل، فارسي، وهو مُعَرَّبٌ دَسْتِي. الحسن بن محمد الصغاني، "التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق مجموعة من المحققين. (القاهرة: دار الكتب، ١٩٧٠م)، ١: ٤٣١.

(٣) القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ١: ٢٥٩.

(٤) القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ٢: ١٢٠.

(٥) القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ٣: ٢٦٦.

أنه كان إذا ذاكره الإمام الشافعي رضي الله عنه لم يعرف الناس كثيراً مما يقولان؛ لأن الشافعي تأدب بهذيل في البادية، وعبد الملك تأدب في خؤولته من كلب بالبادية^(١).

٦- وفي ترجمة الجوهري (صاحب الصحاح): "وسافر إلى الحجاز فطاف البادية"^(٢).

٧- وفي ترجمة حماد الراوية، وهو حماد بن سابور بن المبارك، وأصله من الديلم: "جال في البادية ورحل إلى الشام. وتقدم عند بني أمية، فكانوا يستزبرونه، ويسألونه عن أيام العرب وعلومها"^(٣).

٨- وورد في ترجمة محمد بن سلمة بن أرتيبيل اليشكري أنه رحل إلى البادية وأخذ عن أهلها^(٤).

٩- وفي ترجمة محمد التبريزي: أنه تنقل في بلدان كثيرة واختلط بأعراب البادية^(٥).

١٠- ونقل السيوطي في ذكر أبي زيد الأنصاري أنه كان أحفظ الناس للغة وأوسعهم رواية، وأكثرهم أخذاً عن البادية.... كان إماماً في اللغة والعربية وعلم الشعر وأيام الناس، وقصد البادية لطلب العربية، وأقام بها مدة^(٦).

١١- محمد بن هشام بن عوف التميمي أبو محلم الشيباني اللغوي كان إماماً في اللغة والعربية وعلم الشعر وأيام الناس، وقصد البادية لطلب العربية، وأقام

(١) ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، ٣: ١٦٦.

(٢) الدمشقي، "الأعلام"، ١: ٣١٣.

(٣) الدمشقي، "الأعلام"، ٢: ٢٧١.

(٤) الدمشقي، "الأعلام"، ٦: ١٤٧.

(٥) الدمشقي، "الأعلام"، ٦: ٢١٠.

(٦) السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، ٢: ٣٤٤.

بها مدة^(١).

١٢- وفي ترجمة أبي العميثل، عبد الله بن خليل وأصله من الري، أنه نشأ في البادية^(٢).

وظلت الرحلة إلى البادية والسماع من الأعراب الذين لم تديف ألسنتهم بالعجمة سنة متبعة بين اللغويين حتى منتصف القرن الرابع الهجري، حين توقف اللغويون عن الأخذ من البادية، وإنما كانت المشافهة رافداً قوياً ومهماً في تنمية الملكة اللغوية؛ لأن فهم اللغة لا يدرك إلا بالممارسة الطويلة وتنمية الذوق من خلالها وهذا ما لا يفي به تعلم القواعد المحررة والنظر في الشروح المبسطة دون التطبيق، وليس هذا خاصاً بعلم العربية، بل هو كذلك في بقية العلوم.

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "بغية الوعاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٧٩م)، ١: ٢٥٧.

(٢) الدمشقي، "الأعلام"، ٤: ٨٥.

المبحث الثالث: حفظ دواوين العرب يكون الملكة اللغوية

من ضمن بدائل الاسترضاع بعد انحساره ثم اندثاره حفظ أشعار العرب والتمرس عليها ما نص عليه العلماء في تكوين الملكة اللغوية ومما يعين على فهم نصوص الكتاب والسنة، بل إن بعض العلماء جعله شرطاً أساسياً للدخول في علوم الشريعة وخاصة التفسير^(١) والفقه^(٢) وقد عقد ابن فارس باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية^(٣)، قال ابن خلدون "لا بد من كثرة الحفظ، لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ ... وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم إجادة الملكة من بعدهما"^(٤).

-
- (١) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م)، ٤: ١٧٥.
- (٢) محمد بن إدريس الشافعي، "الرسالة". تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب. (ط١، المنصورة: دار الوفاء، ٢٠٠١م)، ٥٠.
- (٣) أحمد بن فارس، "الصاحبي في فقه اللغة العربية". تحقيق محمد علي بيضون. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٧م)، ٥٠.
- (٤) ابن خلدون، "تاريخ ابن خلدون"، ١: ٧٩٦.

النتائج:

- ١- الاسترضاع - وإن كان يستهدف بناء اللغة الأصلية- يجتمع مع الانغماس اللغوي في الأهداف اللسانية العامة، وهي تكوين الملكة اللغوية.
- ٢- يتوافق سن الاسترضاع مع سن البناء اللغوي المقرر في علم اللغة الحديث.
- ٣- منهجية العرب في الاسترضاع تعد سبقا لغويا متقدما جدا من العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر الأموي.
- ٤- المنهجية الانتقائية للبيئة اللغوية له التأثير الأكبر في نقاء اللسان وبناء المتلقي.
- ٥- بما أن اللغة ظاهرة اجتماعية ومكون فكري فإن أهداف الاسترضاع غير اللغوية تعد رافدا قويا للتكوين اللغوي، خاصة فيما يتعلق بسرعة البديهة وحسن الارتجال وموهبة الشعر وغيرها من المكونات الشخصية اللغوية.
- ٦- المعاشة اللغوية والمشافهة والسماع يشبه إلى حد كبير الانغماس اللغوي الحديث وبخاصة ما يتعلق بالرواة الأعاجم الذين يهدفون إلى إزالة اللكنة الأعجمية وأداء العربية مثل أهلها.
- ٧- التأديب اللغوي جاء بديلا عن الاسترضاع، واختص به عليّة القوم ممن يحرصون على تقويم ألسنة الأبناء وبنائهم اللغوي الصحيح الفصيح سواء كان عربيا أو من أصول أعجمية.
- ٨- الحفظ وإدامة النظر والمدارسة للدواوين العربية قد تقوم مقام المعاشة والمشافهة إلى حد كبير كما نص على ذلك ابن خلدون وغيره، فحري بها أن تكون إحدى بدائل الاسترضاع وإحدى طرق الانغماس اللغوي.

التوصيات:

- ١- يوصي البحث بالمقارنة التفصيلية بين ظواهر بناء اللغة في التراث العربي وبين الانغماس اللغوي الحديث حيث لم يتسع هذا البحث إلا لمقارنة يسيرة في

بعض الجزئيات.

٢- يوجد ظاهرة تستحق الدراسة وهي نشأة العربي عند غير العرب وسيطرة للكنة الأعجمية على لسانه ويمكن أن نسميه الاسترضاع العكسي، وقد حفظ لنا التاريخ في ذلك قصة صهيب الرومي الذي كان في لسانه لكنة رومية حتى كان العرب يشكون في نسبه العربي وينسبونه إلى الروم وهو عربي صميم من النمر بن قاسط، كما قال ذلك عن نفسه: "... وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سبني صغيراً، فأخذت لسانهم، وأنا رجل من النمر بن قاسط".

٣- مما يستحق المزيد من الدراسة ظاهرة (بيع اللغة)؛ حيث أصبح قدوم الأعراب الفصحاء إلى حواضر العالم الإسلام وخاصة البصرة وعلى قلة في الكوفة، مصدرا رافدا من مصادر أخذ اللغة وتدوينها شفاها من أصحاب الألسنة الصافية النقية^(١)، وأخذوا يبيعون المادة اللغوية التي عندهم لكل من ينشدها من اللغويين.

٤- في التأديب اللغوي جوانب كثيرة تستحق الدراسة منها:

(أ) أثره في تقويم اللسان للعربي وبناء اللسان غير العربي.

(١) ومنهم أبو خيرة العدوي، وأبو الغطمش المعرضي من بني عُقيل، ومُكْرَمَة بنت الكُحَيْل الفُراسية من قُشَيْر، وابن علكم المَارِيّ، وأبو بُرَيْه الغُدَمِيّ الأُسْدِيّ، والجُبَهيّ، وأبو عَنَدَل الأَوْسِيّ، وَجَمِيل بن دَغِيم المِنْقَرِيّ، وَحَزْمَة التَّمِيمِيّ، وأبو البَسَام الثُمَالِيّ، والرُّذَيْنِيّ الحَارِثِيّ، والمُسَلَّم بن أحمد بن يزيد الحَرَبِيّ، وأبو المعضاد الحَرَشِيّ، وأبو مَهْدِيَة، وأبو طَفِيلَة وأبو مالِك عمرو بن كَزْكَرَة صاحب النوادر من بني نَمِر وأبو الدَقِيش الأَعْرَابِيّ، وسَمَاهَم السِيوطِيّ في الزهر (ثقافات الأعراب) ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الزهر في علوم اللغة وأنواعها". تحقيق فؤاد علي منصور. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٢: ٣٤٤؛ والقفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ٢: ٣٦٠.

- ب) أثره في الحفاظ على اللغة أمام تيارات العجمة.
- ت) أثره في تنمية الثروة اللفظية العربية.
- ٥- أثر قوة الملكة اللغوية العربية في فهم النصوص الشرعية، واستنباط الأحكام.
- ٦- أثر قوة الملكة اللغوية العربية في تذوق الشعر العربي وتنمية الموهبة الشعرية.
- ٧- أثر اجتماع حاسي السمع، والبصر في بناء اللغة وجودة الأداء اللغوي والترتيب بين الحواس في الأهمية محل بحث ودراسة.
- ٨- من بدائل الاسترضاع حفظ دواوين اللغة شعرا ونثرا والتمرس عليها ومجال البحث يكون في ربط جودة اللسان بجودة المحفوظ.
- ٩- مما يستحق الدراسة حصر القبائل التي كانت تستقبل الرُّضْع، وبيان أوجه الاشتراك والاختلاف ومحاولة استنباط أسباب اختيارها دون غيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن إسحاق، محمد بن يسار. "سيرة ابن إسحاق". تحقيق سهيل زكار. (ط ١، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م).
- ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي، "التكملة لكتاب الصلة". تحقيق عبد السلام الهراس. (بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥م).
- ابن الأثير، المبارك بن محمد. "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م).
- ابن الأثير، علي بن محمد (الجزري). "أسد الغابة في معرفة الصحابة". تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
- ابن الأثير، علي بن محمد (الجزري). "الكامل في التاريخ". تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. (ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. "غريب الحديث". تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي. "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. (ط ١، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦م).
- ابن العمراني، محمد بن علي. "الإنباء في تاريخ الخلفاء". تحقيق قاسم السامرائي. (ط ١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م).
- ابن تغري بردي، يوسف. "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة". (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٣م).
- ابن جعفر، عبد الله بن محمد الأصبهاني. "أخلاق النبي وآدابه". تحقيق صالح بن

- محمد الونيان. (ط١، الرياض، دار المسلم، ١٩٩٨م).
- ابن جماعة، عبد العزيز الكثاني. "المختصر الكبير في سيرة الرسول". تحقيق سامي مكّي العاني. (ط١، عمان، دار البشير، ١٩٩٣م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص". تحقيق محمد علي النجار. (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٢م).
- ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي. "المحبر". تحقيق إيلزة ليختن شتير. (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٤٢م).
- ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي. "المنمق في أخبار قريش". تحقيق خورشيد أحمد. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م).
- ابن حجر، أحمد بن علي (العسقلاني). "الإصابة في تمييز الصحابة". تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
- ابن حزم، علي بن أحمد (الأندلسي). "جمهرة أنساب العرب". تحقيق لجنة من العلماء. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. "تاريخ ابن خلدون" تحقيق خليل شحادة. (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. "وفيات الأعيان". تحقيق إحسان عباس. (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م).
- ابن دريد، محمد بن الحسن. "جمهرة اللغة". تحقيق رمزي منير بعلبكي. (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- ابن سعد، محمد بن منيع. "الطبقات الكبرى". تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م).

- ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المحكم والمحيط الأعظم" تحقيق عبد الحميد هندراوي. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المخصص". تحقيق خليل إبراهيم جفال. (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م).
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. "الاستيعاب في معرفة الأصحاب". تحقيق علي محمد البجاوي. (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م).
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. "العقد الفريد". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م).
- ابن عساكر، علي بن الحسن. "تاريخ دمشق". تحقيق عمرو العمروي. (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م).
- ابن فارس، أحمد. "الصاحي في فقه اللغة العربية". تحقيق محمد علي بيضون. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٧م).
- ابن فارس، أحمد. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون. (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "البداية والنهاية". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط ١، بيروت: دار هجر، ١٩٩٧م).
- ابن منظور، محمد. "لسان العرب". (ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م).
- ابن هشام، عبد الملك المعافري. "السيرة النبوية". تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).
- ابن يونس، عبد الله بن محمد الأزدي. "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس". تحقيق عزت العطار الحسيني. (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٨م).
- أبو سكين، إبراهيم محمد. "دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة". (المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/11751>)

- أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي. "مسند أبي يعلى". تحقيق حسين سليم أسد. (ط٢، جدة، دار المأمون للتراث، ١٩٨٩م).
- الأزهري، أبو منصور. "تهديب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- الأسد، ناصر الدين. "مصادر الشعر الجاهلي". (ط٧، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م).
- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. "دلائل النبوة". تحقيق محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس. (ط٢، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٦م).
- الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد. "من تاريخ النحو العربي". (بيروت: مكتبة الفلاح، بدون تاريخ).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات. "نزهة الألباء". تحقيق إبراهيم السامرائي. (ط٣، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥م).
- البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. "تاريخ بغداد". تحقيق بشار عواد معروف. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م).
- البغوي، عبد الله بن محمد. "معجم الصحابة". تحقيق محمد الأمين بن محمد الجكني. (ط١، الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى. "أنساب الأشراف". تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين. "دلائل النبوة". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين. "مناقب الشافعي". تحقيق السيد أحمد صقر. (ط١، القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٧٠م).

- الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". تحقيق عبد السلام هارون. (ط٧، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).
- حجازي، محمود فهمي. "علم اللغة العربية". (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م).
- الحلي، علي بن إبراهيم. "السيرة الحلبية". (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله. "معجم الأدباء". تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).
- الحميري، محمد بن عبد الله. "الروض المعطار في خبر الأقطار". تحقيق إحسان عباس. (ط٢، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م).
- الحميري، محمد بن عمر (بحرق). "حدايق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار". تحقيق محمد غسان عزقول. (ط١، جدة، دار المنهاج، ١٩٩٨م).
- الذهبي، شمس الدين. "العبر في خبر من غير". تحقيق محمد السعيد بسيوني. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).
- الذهبي، شمس الدين. "تاريخ الإسلام". تحقيق عمر عبد السلام تدمري. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م).
- الذهبي، شمس الدين. "سير أعلام النبلاء". تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر. "مختار الصحاح". تحقيق يوسف الشيخ محمد. (ط٥، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية والدار النموذجية، ١٩٩٩م).
- الرَّيْدِي، محمد مرتضى. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق مجموعة من المحققين. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٦٥م).

الزبيري، مصعب بن عبد الله. "نسب قريش". تحقيق ليفي بروفنسال. (ط٣، القاهرة: دار المعارف، القاهرة: ١٩٥٣م).

الزبيري، وليد بن أحمد، وآخرون (جمع). "الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة". (ط١، مانشستر: مجلة الحكمة، ٢٠٠٣م).

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي. "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).

الزركلي، خير الدين. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
الرمحشري، محمود بن عمر. "أساس البلاغة". تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

سبط ابن الجوزي، يوسف قزُّ أوغلي. "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان". تحقيق مجموعة من المحققين. (ط١، دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣م).

السهيلي، عبد الرحمن. "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام". تحقيق عمر عبد السلام السلامي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "الإتقان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "الاقتراح في أصول النحو". تحقيق عبد الحكيم عطية، وعلاء الدين عطية. (ط٢، دمشق: دار البيروتي، ٢٠٠٦م).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "الخصائص الكبرى". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "المزهر في علوم اللغة وأنواعها". تحقيق فؤاد علي منصور. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "بغية الوعاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٧٩م).
- الشافعي، محمد بن إدريس. "الرسالة". تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب. (ط١، المنصورة: دار الوفاء، ٢٠٠١م).
- الشنتريني، علي بن بسام. "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة". تحقيق إحسان عباس. (ط١، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م).
- الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج. "تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم". (ط١، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م).
- الصالح، صبحي. "دراسات في فقه اللغة". (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م).
- الصغاني، الحسن بن محمد "التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق مجموعة من المحققين. (القاهرة: دار الكتب، ١٩٧٠م).
- الصفدي، خليل بن أيك. "الوافي بالوفيات". تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م).
- الصفدي، خليل بن أيك. "نكت الهميان في نكت العميان". تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).
- الطبري، أحمد بن عبد الله. "ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى". (القاهرة: مكتبة القدسي بالقاهرة: ١٩٣٧م).
- الطبري، محمد بن جرير. "تاريخ الطبري". (ط٢، بيروت: دار التراث، ١٩٧٦م).
- العاملي، أحمد رضا. "معجم متن اللغة" (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م).
- عبد التواب، رمضان. "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي". (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

عبد التواب، رمضان. "بحوث ومقالات في اللغة". (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٥م).

عبد الرحيم، رائد. "الانغماس اللغوي: معناه لغة واصطلاحاً وأنواعه وأهدافه واستراتيجياته وحضوره في الفكر اللغوي العربي القديم وفي طرق تعليم اللغة الثانية وتعلّمها". في "الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)" تحرير رائد عبدالرحيم. (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٩م)، ١٠-٥٤.

العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح. "معرفة الثقافات". تحقيق عبد العليم البستوي. (ط١، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٩٨٥م).

علي، جواد. "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام". (ط٤، لندن، دار الساقبي، ٢٠٠١م).

عمر، أحمد مختار، وآخرون. "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

الغزي، محمد بن محمد. "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق خليل المنصور. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

الفارابي، إسحاق. "معجم ديوان الأدب". تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس. (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ٢٠٠٣م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. (ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٩م).

الفسوي، يعقوب بن سفيان. "المعرفة والتاريخ". تحقيق أكرم ضياء العمري. (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م).

فُك، يوهان. "العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب". ترجمة رمضان عبد

- التواب. (القاهرة: مكتبة الخافجي، ١٩٨٠م).
- فندريس، جوزيف. "اللغة". ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م).
- القفطي، علي بن يوسف. "إنباه الرواة على أنباه النحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، وبيروت: ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٢م).
- القلقشندي، أحمد بن علي. "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب". تحقيق إبراهيم الإيباري. (ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبنانيين، ١٩٨٠م).
- كحالة، عمر بن رضا. "معجم المؤلفين". (بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م).
- الكردى، محمد طاهر. "التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم" (ط١، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ٢٠٠٠م).
- المبرد، محمد بن يزيد. "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).
- المزى، يوسف بن عبد الرحمن. "تهذيب الكمال في أسماء الرجال". تحقيق بشار عواد معروف. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م).
- المسعودي، علي بن الحسين. "مروج الذهب ومعادن الجوهر". تحقيق أسعد داغر. (قم: دار الهجرة، ١٩٨٩م).
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري. "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م).
- المقريزي، أحمد بن علي. "السلوك لمعرفة دول الملوك". تحقيق محمد عبد القادر عطا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

المقريزي، أحمد بن علي. "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع". تحقيق محمد النميسي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).
الملك المؤيد، إسماعيل بن علي. "المختصر في أخبار البشر". (ط١، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ).

مناع، آمنة، ويحيى بن يحيى. "الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات (دراسة لسانية)". مجلة الواحات للبحوث والدراسات، م٩، ع١، (٢٠١٦): ١٠٤٨ - ١٠٦٥.

وافي، علي عبد الواحد. "علم اللغة". (ط١، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٤م).
الواقدي، محمد بن عمر بن واقد. "المغازي". تحقيق مارسدن جونس. (ط٣، بيروت: دار الأعلمي، ١٩٨٩م).

Bibliography

- Abd al-Rahim, Raed. "al-Inghimas al-Lughawi: Ma'nahu Lughatan wa Istilahan wa Anwa'uhu wa-Ahdafu wa Istirajiyatuhu wa Haduruhi fi al-Fikr al-Lughawi al-Arabi al-Qadim wa fi Turuq Ta'lim al-Lughah al-Thaniyyah wa-Ta'allumuha." In "al-Inghimas al-Lughawi fi Ta'lim al-Lughah al-Arabiyyah li al-Natiqin bi Ghayriha (al-Nazariyyah wa al-Tatbiq)," investigated by: Raed Abd al-Rahim. (Riyadh: Markaz al-Malik Abdullah Abdulaziz li Khidmat al-Lughah al-Arabiyyah, 2019), 10-54.
- Abd al-Tawwab, Ramadan. "al-Madkhal ila 'Ilm al-Lughah wa-Manahij al-Baḥth al-Lughawi." (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, 1997).
- Abd al-Tawwab, Ramadan. "Buhuth wa-Maqālat fi al-Lughah." (Cairo: Maktabat al-Khanji, 1995).
- Abu Sikin, Ibrahim Muhammad. "Dirāsāt Lughawiyyah fi Ummahat Kutub al-Lughah." (al-Maktabah al-Shamilah: <https://shamela.ws/book/11751>).
- Abu Ya'la, Ahmad Ali al-Mawsili. "Musnad Abi Ya'la." Investigated by: Husain Salim Asad. (2nd ed., Jeddah: Dar al-Ma'mun lil-Turath, 1989).
- al-Afghani, Said Muhammad Ahmad. "Min Tarikh al-Nahw al-Arabi." (Beirut: Maktabat al-Falah, n.d.).
- al-Ajli, Ahmad Abdullah Salih. "Ma'rifat al-Thiqāt." Investigated by: Abd al-Alim al-Bastawi. (1st ed., Madinah: Maktabat al-Dar, 1985).
- al-Amili, Ahmad Rida. "Mu'jam Matn al-Lughah." (Beirut: Dar Maktabat al-Hayat, 1958).
- al-Anbari, Abd al-Rahman Muhammad Abu al-Barakat. "Nuzhat al-Albā." Investigated by: Ibrahim al-Samurra'i. (3rd ed., Zarqa: Maktabat al-Manar, 1985).
- al-Asad, Nasir al-Din. "Masadir al-Shi'r al-Jahili." (7th ed., Cairo: Dar al-Ma'arif, 1988).
- al-Asbahani, Ahmad Abdullah. "Dalā'il al-Nubuwwah." Investigated by: Muhammad Rawwas Qal'aji, and Abdul Barr Abbas. (2nd ed., Beirut: Dar al-Nafa'is, 1986).
- al-Azhari, Abu Mansur. "Tahdhib al-Lughah." Investigated by: Muhammad Awad Mar'ib. (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 2001).
- al-Baghawi, Abdullah Muhammad. "Mu'jam al-Sahabah." Investigated by: Muhammad al-Amin Muhammad al-Jakni. (1st ed., Kuwait: Maktabat Dar al-Bayan, 2000).
- al-Baghdadi, Ahmad Ali al-Khatib. "Tarikh Baghdad." Investigated by: Bashar Awwad Ma'ruf. (1st ed., Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2002).

- al-Baladhuri, Ahmad Yahya. "Ansāb al-Ashraf." Investigated by: Suhail Zakkar and Riyad al-Zirikli. (1st ed., Beirut: Dar al-Fikr, 1996).
- al-Baihaqi, Ahmad al-Husain. "Dalā'il al-Nubuwwah." (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1985).
- al-Baihaqi, Ahmad al-Husain. "Manāqib al-Shafi'i." Investigated by: Al-Sayyid Ahmad Saqr. (1st ed., Cairo: Maktabat Dar al-Turath, 1970).
- al-Dhahabi, Shams al-Din. "al-'Ibarr fi Khabar man Ghabar." Investigated by: Muhammad al-Said Basyouni. (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1985).
- al-Dhahabi, Shams al-Din. "Siyarr A'lām al-Nubalā." Investigated by: a group of editors under the supervision of Shu'ayb al-Arna'ut. (3rd ed., Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1985).
- al-Dhahabi, Shams al-Din. "Tarikh al-Islam." Investigated by: Umar Abd al-Salam Tadmuri. (1st ed., Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987).
- al-Fārābi, Ishaq. "Mu'jam Diwān al-Adab." Investigated by: Ahmad Mukhtar Umar, reviewed by Ibrahim Anis. (Cairo: Mu'assasat Dar al-Sha'b, 2003).
- al-Farahidi, Khalil Ahmad. "Kitāb al-'Ain." Investigated by: Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samurrai. (2nd ed., Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal, 1989).
- al-Fasawi, Ya'qoub Sufyan. "al-Ma'rifah wa-al-Tarikh." Investigated by: Akram Diya' al-Umari. (2nd ed., Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1981).
- al-Ghazi, Muhammad Muhammad. "al-Kawākib al-Sa'irah be-A'yan al-Mi'ah al-Ashirah." Investigated by: Khalil al-Mansur. (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1997).
- al-Halabi, Ali Ibrahim. "al-Sirah al-Halabiyyah." (2nd ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2006).
- al-Hamawi, Yaqout Abdullah. "Mu'jam al-Udaba'." Investigated by: Ihsan 'Abbas. (1st ed., Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1993).
- al-Himyari, Muhammad 'Abdullah. "al-Rawd al-Mu'atarr fi Khabar al-Aqtarr." Investigated by: Ihsan 'Abbas. (2nd ed., Beirut: Mu'assasat Nasir lil-Thaqafah, 1980).
- al-Himyari, Muhammad Umar (Bahraq). "Hada'iq al-Anwar wa Matalib al-Asrar fi Sīrat al-Nabi al-Mukhtar." Investigated by: Muhammad Ghassan Izghoul. (1st ed., Jeddah: Dar al-Manhaj, 1998).
- 'Ali, Jawad. "al-Mufasssal fi Tarikh al-'Arab Qabla al-Islam." (4th ed., London: Dar al-Saqi, 2001).
- al-Jahiz, 'Amr bin Bahr. "al-Bayān wa-al-Tabyin." Investigated by: Abd al-Salam Haroun. (7th ed., Cairo: Maktabat al-Khanji,

- 1988).
- al-Kurdi, Muhammad Tahir. "al-Tarikh al-Qawim li-Makkah wa Bayt Allah al-Karim." (1st ed., Makkah: Maktabat al-Nahdah al-Hadithah, 2000).
- Al-Malik al-Mu'ayyad, Isma'il ibn 'Ali. "Al-Mukhtasarr fi Akhbar al-Basharr". (1st ed., Cairo: Al-Matba'a al-Husayniyya al-Misriyya, n.d.).
- al-Maqrizi, Ahmad 'Ali. "al-Sulouk li-Ma'rifat Duwal al-Mulouk." Investigated by: Muhammad Abd al-Qadir 'Ata. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1997).
- al-Maqrizi, Ahmad 'Ali. "Imtā' al-Asma be-mā li-al-Nabi min al-Ahwal wa al-Amwal wa-al-Hafadah wa al-Mata'." Investigated by: Muhammad al-Nimisi. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1999).
- al-Mas'oudi, 'Ali al-Husain. "Murouj al-Dhahab wa Ma'ādin al-Jawhar." Investigated by: As'ad Daghir. (Qom: Dar al-Hijrah, 1989).
- al-Mizzi, Yusuf Abd al-Rahman. "Tahdhib al-Kamāl fi Asma' al-Rijal." Investigated by: Bashar Awwad Ma'rouf. (1st ed., Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1980).
- al-Mubarrid, Muhammad Yazid. "al-Kāmil fi al-Lughah wa al-Adab." Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (3rd ed., Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 1997).
- al-Qalqashandi, Ahmad 'Ali. "Nihāyat al-'Arab fi Ma'rifat Ansab al-'Arab." Investigated by: Ibrahim al-Abyari. (2nd ed., Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnaniyyin, 1980).
- al-Qifti, 'Ali Yusuf. "Inbah al-Ruwāt 'ala Anbah al-Nuhat." Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (1st ed., Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, and Beirut: Mu'assasat al-Kutub al-Thaqafiyyah, 1982).
- al-Rāzi, Muhammad Abi Bakr. "Mukhtarr al-Sihah." Investigated by: Yousuf al-Shaykh Muhammad. (5th ed., Beirut and Sidon: al-Maktabah al-Asriyyah wa al-Dar al-Namudhajiyyah, 1999).
- al-Safadi, Khalil Aybak. "al-Wafi bi al-Wafayāt." Investigated by: Ahmad al-Arna'ut and Turki Mustafa. (Beirut: Dar Ihya al-Turath, 2000).
- al-Safadi, Khalil Aybak. "Nakth al-Himyan fi Nukat al-Umyan." Investigated by: Mustafa Abd al-Qadir Ata. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2007).
- al-Saghāni, al-Hasan Muhammad. "al-Takmilah wa al-Dhayl wa al-Silah li Kitab Taj al-Lughah wa Sihah al-Arabiyyah." Investigated by: a group of investigators. (Cairo: Dar al-Kutub, 1970).
- al-Sa'idi, 'Abd al-Razzaq Farraj. "Tadakhul al-Usul al-Lughawiyyah

- wa Atharahu fi Bina' al-Mu'jam." (1st ed., Madinah: Islamic university, 2002).
- al-Salih, Subhi. "Dirāsāt fi Fiqh al-Lughah." (1st ed., Beirut: Dar al-Ilm li al-Malayin, 1960).
- al-Shafi'i, Muhammad Idris. "al-Risalah." Investigated by: Rifat Fawzi Abd al-Muttalib. (1st ed., Mansoura: Dar al-Wafa', 2001).
- al-Shantarini, 'Ali Bassam. "al-Dhakhirah fi Mahasin Ahl al-Jazirah." Investigated by: Ihsan Abbas. (1st ed., Libya: al-Dar al-Arabiyyah lil-Kitab, 1981).
- al-Suhayli, Abd al-Rahman. "al-Rawd al-Unuf fi Sharh al-Sirah al-Nabawiyyah li Ibn Hisham." Investigated by: Umar Abd al-Salam al-Salami. (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 2000).
- al-Suyouti, Jalal al-Din Abd al-Rahman Abi Bakr. "al-Iqtirah fi Usoul al-Nahw." Investigated by: Abd al-Hakim Atiyyah and Alaa al-Din Atiyyah. (2nd ed., Damascus: Dar al-Bayruti, 2006).
- al-Suyouti, Jalal al-Din Abd al-Rahman Abi Bakr. "al-Itqan fi Uloum al-Qur'an." Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (Cairo: al-Hay'ah al-Misriyyah al-Ammah lil-Kitab, 1974).
- al-Suyouti, Jalal al-Din Abd al-Rahman Abi Bakr. "al-Khasa'is al-Kubra." (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1985).
- al-Suyouti, Jalal al-Din Abd al-Rahman Abi Bakr. "al-Muzhir fi 'Uloum al-Lughah wa Anwa'iha." Investigated by: Fouad Ali Mansour. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1998).
- al-Suyouti, Jalal al-Din Abd al-Rahman Abi Bakr. "Bughyat al-Wu'at." Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (Sidon: al-Maktabah al-Asriyyah, 1979).
- al-Tabari, Ahmad 'Abdullah. "Dhakha'ir al-Uqba fi Manāqib Dhawi al-Qurba." (Cairo: Maktabat al-Qudsi, 1937).
- al-Tabari, Muhammad Jarir. "Tarikh al-Tabari." (2nd ed., Beirut: Dar al-Turath, 1976).
- al-Waqidi, Muhammad Umar Waqid. "al-Maghazi." Investigated by: Marsden Jones. (3rd ed., Beirut: Dar al-Alamiyy, 1989).
- al-Zabidi, Muhammad Murtada. "Tāj al-'Arus min Jawahir al-Qamus." Investigated by: a group of investigators. (Kuwait: al-Majlis al-Watani lil-Thaqafah wa al-Funun wa al-Adab, 1965).
- al-Zamakhshari, Mahmoud 'Umar. "Asās al-Balaghah." Investigated by: Muhammad Basil Uyoun al-Soud. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1998).
- al-Zirikli, Khayr al-Din. "al-A'lām." (15th ed., Beirut: Dar al-Ilm li al-Malayin, 2002).
- al-Zubayri, Mus'ab 'Abdullah. "Nasab Quraish." Investigated by: Levi Provençal. (3rd ed., Cairo: Dar al-Ma'arif, 1953).
- al-Zubayri, Walid Ahmad, et al. (eds.). "al-Mawsu'ah al-Muyassarrah fi Tarājim A'immah al-Tafsir wa al-Iqra' wa al-Nahw wa al-

- Lughah." (1st ed., Manchester: al-Hikmah journal, 2003).
- al-Zurqāni, Muhammad 'Abdul-Bāqi. "Sharh al-Zurqāni 'ala al-Mawahib al-Laduniyyah." (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1996).
- Fück, Johann. "al-'Arabiyyah: Dirasat fi al-Lughah wa al-Lahajat wa al-Asalib." Trans. Ramadan Abd al-Tawwab. (Cairo: Maktabat al-Khafji, 1980).
- Hijazi, Mahmoud Fahmy. "Ilm al-Lughah al-Arabiyyah." (Cairo: Dar Gharib, 1996).
- Ibn 'Abd al-Barr, Yousuf 'Abdullah. "al-Isti'ab fi Ma'rifat al-Ashab." Investigated by: 'Ali Muhammad al-Bajawi. (1st ed., Beirut: Dar al-Jil, 1992).
- Ibn 'Abd Rabbih, Ahmad Muhammad. "al-'Iqd al-Farīd." (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1984).
- Ibn al-Abar, Muhammad Abdullah al-Quda'i. "al-Takmilah li Kitab al-Silah." Investigated by: 'Abd al-Salam al-Harass. (Beirut: Dar al-Fikr 1995).
- Ibn al-Athir, Ali ibn Muhammad (al-Jazari). "Al-Kamil fi al-Tarikh". Investigated by: Umar Abd al-Salam Tadmuri. (1st ed., Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1997).
- Ibn al-Athir, Ali ibn Muhammad (al-Jazari). "Usd al-Ghabah fi Ma'rifat al-Sahabah". Investigated by: 'Ali Muhammad Mu'awwad and 'Adil Ahmad 'Abd al-Mawjoud. (1st Ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1994).
- Ibn al-Athir, al-Mubarak Muhammad. "al-Nihayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar." Investigated by: Tahir Ahmad al-Zawi, and Mahmoud al-Tanahi. (Beirut: al-Maktabah al-Ilmiyyah, 1979).
- Ibn al-Imad, Abd al-Hayy Ahmad al-Hanbali. "Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab." Investigated by: Mahmoud al-Arna'ut, and reviewed by: Abd al-Qadir al-Arna'ut. (1st ed., Beirut: Dar Ibn Kathir, 1986).
- Ibn al-'Imrani, Muhammad 'Ali. "al-Inba' fi Tarikh al-Khulafa'." Investigated by: Qasim al-Samurrai. (1st ed., Cairo: Dar al-Afaq al-Arabiya, 2001).
- Ibn al-Jawzi, 'Abd al-Rahman Ali. "Gharib al-Hadith." Investigated by: Abd al-Muti Amin al-Qalaji. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1985).
- Ibn 'Asakir, Ali al-Hasan. "Tarikh Dimashq." Investigated by: Muhib al-Amrani. (Beirut: Dar al-Fikr, 1995).
- Ibn Duraid, Muhammad al-Hasan. "Jamharat al-Lughah." Investigated by: Ramzi Munir Ba'labaki. (1st ed., Beirut: Dar al-Ilm li al-Malayin, 1987).
- Ibn Faris, Ahmad. "al-Sahibi fi Fiqh al-Lughah al-Arabiyyah." Investigated by: Muhammad 'Ali Baydoun. (1st ed., Beirut: Dar

- al-Kutub al-Ilmiyyah, 1997).
- Ibn Faris, Ahmad. "Mu'jam Maqayis al-Lughah." Investigated by: Abd al-Salam Harun. (Beirut: Dar al-Fikr, 1979).
- Ibn Habib, Muhammad Habib al-Baghdadi. "Al-Muhabbar." Investigated by: Ilza Lichtenstädter. (Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, 1942).
- Ibn Habib, Muhammad Habib al-Baghdadi. "Al-Munammaq fi Akhbar Quraysh." Investigated by: Khurshid Ahmad. (1st ed., Beirut: Alam al-Kutub, 1985).
- Ibn Hajarr, Ahmad 'Ali (al-'Asqalani). "al-Isābah fi Tamyiz al-Sahabah." Investigated by: Adil Ahmad Abd al-Mawjud and Ali Muhammad Mu'awwad. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1994).
- Ibn Hazm, 'Ali Ahmad (al-Andalusi). "Jamhara Ansab al-Arab." Investigated by: a committee of scholars. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1983).
- Ibn Hisham, Abd al-Malik al-Ma'afiri. "al-Sīrah al-Nabawiyyah." Investigated by: Taha Abd al-Ra'uf Sa'd. (1st ed., Beirut: Dar al-Jil, 1991).
- Ibn Ishaq, Muhammad Yasar. "Sīrat Ibn Ishaq." Investigated by: Suhayl Zakkar. (1st ed., Beirut: Dar al-Fikr, 1978).
- Ibn Ja'far, 'Abdullah Muhammad al-Isbahani. "Akhlāq al-Nabi wa Ādabuh." Investigated by: Saleh Muhammad al-Waniyan. (1st ed., Riyadh: Dar al-Muslim, 1998).
- Ibn Jama'ah, 'Abd al-Aziz al-Kinani. "al-Mukhtasarr al-Kabir fi Sīrat al-Rasoul." Investigated by: Sami Maki al-Ani. (1st ed., Amman: Dar al-Bashir, 1993).
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman. "al-Khasā'is." Investigated by: Muhammad 'Ali al-Najjar. (4th ed., Cairo: al-Hay'ah al-Misriyyah al-Ammah lil-Kitab, 1952).
- Ibn Kathir, Ismail Umar. "al-Bidāyah wa al-Nihāyah." Investigated by: 'Abdullah 'Abdul-Muhsin al-Turki. (1st ed., Beirut: Dar Hijr, 1997).
- Ibn Khaldoun, 'Abd al-Rahman Muhammad. "Tarikh Ibn Khaldoun." Investigated by: Khalil Shihada. (2nd ed., Beirut: Dar al-Fikr, 1988).
- Ibn Khillikan, Ahmad Muhammad. "Wafayat al-A'yān." Investigated by: Ihsan Abbas. (Beirut: Dar Sader, 1994).
- Ibn Manzour, Muhammad. "Lisan al-'Arab." (3rd ed., Beirut: Dar Sadir, 1993).
- Ibn Sa'd, Muhammad Mani'. "al-Tabaqāt al-Kubrā." Investigated by: Ihsan 'Abbas. (1st ed., Beirut: Dar Sader, 1968).
- Ibn Sīdah, 'Ali Ismail. "al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam." Investigated by: Abd al-Hamid Hindawi. (1st ed., Beirut: Dar al-

- Kutub al-Ilmiyyah, 2000).
- Ibn Sidah, 'Ali Ismail. "al-Mukhasas." Investigated by: Khalil Ibrahim Jaffal. (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1996).
- Ibn Taghri Barri, Yusuf. "Al-Nujum al-Zahira fi Muluk Misr wa al-Qāhira". (Cairo: Dar al-Kutub, 1963).
- Ibn Yunus, 'Abdullah Muhammad al-Azdi. "Tarikh al-Ulama' wa al-Ruwāt lil-'Ilm be-al-Andalus." Investigated by: Izzat al-Attar al-Husaini. (Cairo: Matba'at al-Madani, 1988).
- Kahhala, Umar Rida. "Mu'jam al-Mu'allifin." (Beirut: Maktabat al-Muthanna and Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1957).
- Mana', Amina, and Yahya Yahya. "al-Inghimas al-Lughawi wa Atharahu fi Ta'limiyyat al-Lughat (Dirasah Lughawiyyah)." Majallat al-Wahat lil-Buhuth wa al-Dirasat, vol. 9, iss. 1, (2016): 1048-1065.
- Muslim, Muslim al-Hajjaj al-Qushairi. "Sahih Muslim." Investigated by: Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi. (Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1999).
- Sibt Ibn al-Jawzi, Yousuf Qiz Oghli. "Mir'āt al-Zaman fi Tarikh al-A'yān." Investigated by: a group of investigators. (1st ed., Damascus: Dar al-Risalah al-Alamiyyah, 2013).
- Umar, Ahmad Mukhtar, et al. "Mu'jam al-Lughah al-Arabiyyah al-Mu'asirah." (1st ed., Beirut: Alam al-Kutub, 2008).
- Vendryes, Joseph. "al-Lughah." Trans. Abd al-Hamid al-Dawakhli and Muhammad al-Qassas. (Cairo: Maktabat al-Anglo al-Misriyyah, 1950).
- Wafi, 'Ali Abd al-Wahid. "Ilm al-Lughah." (1st ed., Cairo: Nahdat Misr, 2004).

الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ من سطوة البخل إلى سلطة القول

Communicative Competence in al-Jāhiz's
book al-Bukhalā (the misers)
From the Power of Miserliness to the Authority
of Speech

د. بلقاسم محمد حمام

أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية بجامعة الملك فيصل بالأحساء، المملكة
العربية السعودية

البريد الإلكتروني: hhbelkacem@gmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/08		استلام البحث A Research Receiving 2025/02/16
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ١٤٤٦ هـ DOI:10.36046/2356-000-016-005		

ملخص البحث:

تناول هذا البحث سطوة (البخل) على الكفاءة التواصلية التي توافرت عند بخلاء الجاحظ، وقد كان (البخل) بوصفه قناعة ذاتية لها آثارها النفسية والاجتماعية من خلال سطوته على نفسية البخل وقبضه على مجاميعها، قد انعكس على حوارات الشخصيات في كتاب البخلاء، الذين حفزت عندهم فكرة البخل المؤهلات المختلفة المكونة للكفاءة التواصلية، ومن ثم حاولت هذه الشخصيات بكل قدراتها الذاتية الوصول إلى الكفاءة التواصلية، التي من خلالها تؤثر على المتلقي لإقناعه بقبول فكرة البخل وفلسفته، ولذلك كان الهدف الأساس للبحث هو بيان تجليات هذه السطوة، خاصة على المستوى التواصلية، وقد اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، إذ حاولت تقصي جوانب الموضوع (الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ)، بتتبع حوارات البخلاء الواردة في كتاب الجاحظ، محللا الظواهر، ومناقشا أبعادها وتأثيراتها، وكان من أهم ما توصل إليه البحث من نتائج هي أن (الكفاءة التواصلية) مفهوم متعدد الجوانب، وهي أوسع من (الكفاءة اللسانية)، وأن (البخل) شأنه شأن باقي أخلاق الفرد الأخرى، له أبعاد نفسية بالدرجة الأولى، وأنه أصبح في زمن الجاحظ مذهباً أيديولوجياً، له أنصاره، وله فلسفته، كما كان له تأثير كبير على نفسية بخلاء الجاحظ، وظهر ذلك على عدة مستويات، منها المستوى التواصلية، الذي أدت (سطوة البخل) فيه إلى تحفيز القدرات التواصلية عند بخلاء الجاحظ، وقد تكونت (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء

الجاحظ من ثلاثة أنواع من الكفاءات الفرعية: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية، والكفاءة اللسانية، وكان لكل كفاءة من الكفاءات الفرعية المذكورة مظاهر وآليات.

الكلمات المفتاحية: الكفاءة التواصلية، سطوة البخل، سلطة القول، الكفاءة اللسانية.

Abstract:

This research deals with the profound impact of (stinginess) on the communicative competence observed in Al-Jahiz's book *al-Bukhalā* (the misers). Stinginess as a personal conviction had its psychological and social effects through its impact on the miser's psyche was reflected in the dialogues of the characters in the book of misers. The idea of stinginess triggered the various qualifications that make up communicative competence, and the misers' characters tried with all their personal abilities to reach a communicative competence through which they influence the recipient to convince him to accept the idea of stinginess and its philosophy. Therefore, the main objective of the research was to demonstrate the manifestations of this impact, especially at the communicative level. In this paper, the researcher adopted an Analytical inductive approach and tried to investigate the aspects of the subject (communicative competence in Al-Jahiz's book *al-Bukhalā*, by tracing the dialogues of the misers, analyzing their features and discussing their dimensions and effects. One of the key findings of the study is that communicative competence is a multifaceted concept, broader in scope than linguistic competence. The research also concluded that miserliness, like other personal traits, has primarily psychological dimensions, and that in al-Jāḥiẓ's time, it had evolved into an ideological stance with its advocates and a distinct philosophy. This ideology had a significant impact on the psychology of al-Jāḥiẓ's book *al-Bukhalā*, which was evident on various levels—including the communicative level—where the domination of miserliness served to stimulate communicative abilities among the misers. The communicative competence of al-Jāḥiẓ's misers was found to consist of three sub-competences: social competence, cognitive competence, and linguistic competence, each of which manifested through specific forms and mechanisms.

Keywords: communicative competence, the dominance of stinginess, the authority of speech, linguistic competence.

المُقَدِّمَةُ:

يعدّ الجاحظ من العلماء الذين جمعوا بين بُعدين قلّما اجتمعا في عالم، هذان البعدان هما: العلم الوفير، والتجربة الفذة، إذ هو لم يكتف في كتبه بنقل العلم والمعرفة اللذين حصلا عنده، وإنما جعل من مخالطة شؤون الحياة، وقضايا الأفراد والجماعات سبيلا لإثراء شخصيته العلمية، بحيث جمع بين العلم والخبرة الحياتية، خاصة أن العلم الذي برع فيه هو (علم البيان)، الذي يدرس اللغة من حيث هي عنصر من عناصر الوجود الإنساني، وسبيل ذو اتجاهين؛ اتجاه ينقل المعرفة، واتجاه يُصدر المعرفة، ف(اللغة) أو (البيان) وسيلة الإنسان لفهم العالم من جهة، ووسيلة لتقديم نفسه لهذا العالم من جهة أخرى.

ومما ساعد الجاحظ على الاهتمام إلى هذا الربط الموفق، الذي زاد نجاح مؤلفاته وأفكاره في تبوؤ مكانة عالية عند الدارسين قديما وحديثا، هو عقليته الفذة، وعزيمته القوية، وصبره الجَم، وإدراكه قيمة المجال الذي يكتب فيه.

ومما ساعده على ذلك أيضا طبيعة عصره الذي عاش فيه (١٥٩- ٢٥٥هـ)، الممتد على قرنين: الثاني والثالث، وكذا طبيعة المكان الذي قضى فيه حياته، واكتسب منه علمه وخبراته، فقد تميز عصره بانفتاح المجتمع الإسلامي على تنوعات ثقافية، وحياتية، وفكرية، وأجناسية، أثرت فيه على جميع الصعد.

وقد كانت كتابات الجاحظ خير ما سجّل هذه التحولات، وتلك الإثراءات، من حيث الرقعة والحجم والتأثير، فمن خلال هذه الكتابات استطعنا معرفة كثير من خصائص المجتمع في ذلك الزمان والمكان.

ومما زاد كتاباته موضوعية أنه يتناول قضاياها بشكل موضوعي في غالبه، ففي كتاب البخلاء مثلا، لم تكن غايته - كما يقول إحسان النص - التعريض

بجماعة من خصومه، بدليل أنه أورد من نماذج البخلاء جماعة من أصحابه المعتزلة، كالأسوري، وأبي هذيل العلاف^(١).

وعُرف عن الجاحظ اهتمامه بالثنائيات الاجتماعية المتضادة كالسودان والبيضان، والجواري والغلمان، والحولان والعميان، والبرصان والعرجان^(٢)، وكأنه يقرر أنّ أيّ ظاهرة لا يمكن إدراكها على الوجه الأكمل إلا بإدراك ضدها، وهو منهج قويم أثبت نجاعته، وفي كتاب البخلاء اتجه من الجاحظ لإثبات كرم العرب وسخائهم من خلال التركيز على ظاهرة البخل في مجتمعه، والتي كان النصيب الأوفر منها من نصيب الأجانب، وهو في هذا الكتاب ييدي رفضه لهذه الصفة على أساس أنها غريبة عن طبيعة المجتمع وعاداته وقيمه الدينية، ويشجب وجود هذه الصفة في مجتمع يحكمه التاريخ والعلم والأخلاق، مما لا يترك لها مبرراً للوجود، ويمكن أن نعدّ كتاب البخلاء وثيقة أنثروبولوجية لتلك الحقبة الزمنية، فيما يتعلق بصفة البخل، إذ استطاع أن يعطينا صورة متكاملة عن هذه الظاهرة في مستوياتها المختلفة: النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، واللغوية، وذلك ما جعلني أستهدف دراسة هذا الجانب الأخير، لكونه لم يحظ بما حظيت به الجوانب الأخرى من جهود الدارسين.

موضوع البحث وأهميته: أركز في بحثي هذا على تتبع مظاهر الكفاءة التواصلية عند (البخيل) من خلال عرض الجاحظ في كتابه (البخلاء)، وهو

(١) ينظر: النص إحسان، "إبداع الجاحظ في كتاب البخلاء". دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٨٣، ٤٤، (٢٠٠٨م): ٧٥٧.

(٢) ينظر: قادري محمد، "مخالفة الأنساق الثقافية العربية في رسالة (فخر السودان على البيضان) للجاحظ أمودجاً"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج ٣٧، ٧٤، (٢٠٢٣م): ١٢٧٧.

موضوع يكتسي أهميته من زاوية ربط تأثير القضايا النفسية والاجتماعية على القدرات التواصلية للفرد، بحيث يتكيف تواصله مع محيطه الاجتماعي بحسب ما يتوافر له من عوامل مؤثرة، ويعدّ هذا الجانب من الجوانب الرئيسة في المباحث اللسانية الحديثة.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: إن إعجاب الجاحظ ببلاغة البخلاء، وقوة حججهم، وعلو لغتهم، ينبئ عن كفاءة تواصلية عالية لدى هذه الفئة، ومن ثمّ يحاول هذا البحث دراسة العلاقة الجدلية بين البخل والكفاءة التواصلية عند شخصيات كتاب البخلاء للجاحظ، وكيف يمكن لصفة تحمل البعد السلبي أن تتحول إلى محفز يعزز الكفاءة التواصلية؟ وهل يمكن اعتبار البخل، رغم سطوته النفسية والاجتماعية، عاملاً داعماً لتطوير استراتيجيات تواصلية فعالة لدى بخلاء الجاحظ لإقناع الآخرين بمشروعية فلسفتهم؟

أسباب اختيار الموضوع: كانت هناك عدة أسباب جعلتني أختار هذا الموضوع للبحث، منها سبب أساس، وأسباب داعمة، أما عن السبب الرئيس والمباشر فهو رأي بعض الباحثين الذين يرون أن الجاحظ لم يكن بخيلاً وإنما كان معجباً بفصاحة البخلاء وبلاغتهم، ولذلك أثني عليهم^(١)، ومما زاد قناعتي بالموضوع أنني حين عدت إلى كتاب البخلاء قراءة وتفحصاً لاحظت أن الجاحظ لم يعتمد في عرضه لحياة البخلاء على الوصف، وإنما اعتمد أكثر على نقل واقعهم وحواراتهم كما هي في حياتهم الاعتيادية، وكل ما نقله عنهم كان من واقعه المعيش (مواقف حية)، والحوارات هي خير ما يمثل هؤلاء البخلاء في قدرتهم اللغوية، وكفاءتهم التواصلية، خاصة إذا نقلت مع ما يحيط بها في

(١) من هؤلاء الباحثين عبد الفتاح كيليطو في بحثه: (صورة البخيل بطلاً).

المقامات التواصلية من عناصر السياق التداولية، كما هو الحال مع بخلاء الجاحظ، وقد تفنن الجاحظ في وصف المجال التداولي الذي تمت فيه تلك الحوارات بكل دقة وتفصيل.

ومن الأسباب أيضا ما لاحظته أثناء قراءتي لكتاب البخلاء من تفنن في القول، وطرق إخراجها، وتنوع صور التحليل والتعليل والقياس، بشكل يجعله جديرا بتسليط الضوء عليه.

أهداف البحث: يهدف البحث -انطلاقا من إشكاليته- إلى:

- بيان مدى سطوة صفة (البخل) على نفسية البخيل.
- توضيح تأثير هذه السطوة على القدرات التواصلية عند البخيل.
- تحديد الكفاءات الفرعية التي تكوّن الكفاءة التواصلية.
- تحليل مظاهر هذه الكفاءات الفرعية وآلياتها.

حدود البحث: يختص هذا البحث بدراسة تأثير (سطوة البخل) على الجوانب التواصلية عند البخيل، من خلال أهم كتاب في موضوعه في الثقافة العربية، وهو كتاب البخلاء.

الدراسات السابقة: إن كتابات الجاحظ بفضل خصائصها المتعددة، ومزاياها المتفردة، وموضوعاتها الطريفة، فرضت نفسها على الباحثين، فتناولوها من جوانب شتى، وزوايا مختلفة، ومناهج متنوعة، ومن هذه الكتابات (كتاب البخلاء)، الذي امتاز بكونه كتابا اجتمعت فيه أبعاد عديدة، منها: فنية، ونفسية، واجتماعية، ولغوية، وعليه نجد دراسات كثيرة في كل جانب من هذه الجوانب، وطبعا من غير الممكن عرضها جميعا، وإنما سأنتخب منها ما كان أقرب موضوعا، وهدفا، ومنهجيا، من دراستي هذه.

- منها دراسة محمد الجويلي، بعنوان: نحو دراسة في سوسيولوجية

البخل: الصراع الاجتماعي في عصر الجاحظ من خلال كتاب
البخلاء (الدار العربية للكتاب، دمشق، ١٩٩٠م)، وقد تناول
الباحث العوامل التاريخية التي أفرزت ظاهرة البخل، ودور المال في
إذكاء الصراع الاجتماعي في العصر العباسي، كما تعرض لفلسفة
البخيل الاجتماعية، وصراعه الأيديولوجي مع مجتمعه، واعتماده في
هذا الصراع على عناصر كثيرة، منها الظاهرة الكلامية، وانقلاب
الجهاز المفاهيمي، ولكن البحث لم يتعمق في هذه العناصر، ولم أجد
عنده إشارة إلى فكرة بحثي.

— من هذه الدراسات دراسة زاهر بن مرهون الداودي، بعنوان: السخرية
في كتاب البخلاء للجاحظ: دراسة تداولية معرفية (مجلة الأهواز
لدراسات علم اللغة، مج ٤، ع ٣، ٢٠٠٤-١٤٤٥هـ، ص ٣٢)، التي
هدفت إلى دراسة العوامل التداولية بما فيها اللسانية، التي حققت
السخرية في كتاب البخلاء بناء على الفكرة التي تؤسس لها نظرية
الصدى، التي تبناها الباحث، وحاول البحث كشف طبيعة
المتحاورين، وملاحظهم النفسية، بتحديد طبيعة الحوار، وتوزيع الأدوار
الكلامية، مع التركيز على المنبهات الإظهارية التي تحفز المتلقي على
إكمال الحوار في نصوصه.

— ومنها دراسة حمادي فطومة، بعنوان: الاستلزام التخاطبي ودوره في
تحقيق مقصودية النص، قراءة تداولية لنصوص من كتاب البخلاء
(مجلة السرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع ٢٤،
٢٠١٧م، ص ٢١٤)، وقد ركزت على دور السياق في تحديد المعنى
المستلزم في المدونة المختارة، وآليات الانتقال من المعنى الصريح إلى

المعنى المستلزم مقاميا.

- ومنها دراسة نعيم السيد ومحمد الشريدة، بعنوان: المعايير النصية في البنية اللغوية عند الجاحظ في البخلاء (مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج ٣٥، ع ١٠٤، ٢٠٢١م، ص ١٦٥٣)، وقد حرص البحث على تتبع المعايير النصية السبعة، التي أقرها اللسانيون في علم النص، في أسلوب الجاحظ وشخصياته في كتاب البخلاء، مع تقديم نماذج من حواراتهم.
- ومنها دراسة نواري سعودي أبو زيد، بعنوان: الخاصية الحجاجية للفعل الكلامي، مقارنة لسانية تداولية، في نماذج نصية من كتاب البخلاء للجاحظ، (مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، مج ١٢، ع ١٤، ٢٠٢١م، ص ١٠٧)، حيث طبق الباحث نظرية أفعال الكلام على مجموعة من نصوص الكتاب، معتمدا على المنهج التداولي، الذي ينطلق في التحليل من التراكيب اللغوية، لينتقل إلى آفاق السياق التداولي، الذي هو أشمل من المعطيات اللغوية، مركزا على البعد الحجاجي والبرهاني في حوارات البخلاء، مستنتجا أن اللغة أكبر من كونها وسيلة تواصل أو نقل الأخبار، إلى كونها تبني تمثالاتنا للعالم من حولنا.
- إضافة إلى بحوث متعددة في الجانب الحجاجي، كدراسة برهومة عيسى عودة، بعنوان: البيان الحجاجي في قصص بخلاء الجاحظ، دراسة في خطاب النادرة (مجلة فيلولوجي، سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ع ٦٠، ٢٠١٣م، ص ١٢)، التي ركزت على البنية الحجاجية في نوادر البخلاء، التي

تجلت في ثمانية عناصر: المثل، والسلطة، والاستعارة، والحجاج المغالط، والوصل السببي، والأفعال اللغوية، والروابط الحجاجية، وكذا دراسة سليمة محفوظي بعنوان: الحجاج بالمغالطة بخلاء الجاحظ نموذجاً (مجلة مقامات للدراسة اللسانية والنقدية والأدبية، المركز الجامعي، آفلو، الجزائر، مج ١٤، ١٢٤، ٢٠٢٠م، ص ١٤)، إذ ركزت على أنواع المغالطات: الالتباس في المعنى، المغالطة بالاستدلال، العنف اللفظي، المغالطة بالشخص، المغالطة بالأقوال، الاستفهام المغالطي، مغالطة ادماج الكل في الجزء، ومنها دراسة عصام بن خداد، بعنوان: الحجاج بالعواطف عند بخلاء الجاحظ (المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ليبيا، مج ٢، ١٤، ٢٠٢٣م، ص ٢١٥)، مركزة على بيان إلى أي حدّ يساهم الحجاج العاطفي بوصفه أسلوباً من أساليب الاستدراج بالقول، في إقناع المتلقي والتأثير في أهوائه.

منهج البحث وخطته: اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، إذ حاولت تقصي جوانب الموضوع (الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ)، بتتبع حوارات البخلاء الواردة في كتاب الجاحظ، محلاً الظواهر، ومناقشاً أبعادها وتأثيراتها، وفق خطة أقمتها على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، على الشكل الآتي:

- مقدمة عامة في كتابات الجاحظ وأهم سماتها.
- تمهيد: خصصته لبيان أهم مفهوم قامت عليه دراستي وهو مصطلح (الكفاءة التواصلية).
- المبحث الأول: بعنوان البخل وتأثيراته على الفرد (سطوة البخل)،

- تناولت فيه مفهوم البخل، وأنواعه، وتأثيره على نفسية البخيل، خاصة في الجوانب التواصلية.
- **المبحث الثاني:** بعنوان الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ (سلطة القول)، تحدثت فيه عن الكفاءة التواصلية، وأهم مكوناتها (الكفاءة المعرفية، والكفاءة الاجتماعية، والكفاءة اللسانية).
- **المبحث الثالث:** مظاهر (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء الجاحظ.
- **خاتمة:** أجملت فيها أهم النتائج.

التمهيد:

في هذا التمهيد أحاول ضبط المصطلح الأساس للدراسة، لأن ذلك يساعد القارئ في تتبع التحليل والمناقشة لجزئيات الإشكالية، وهذا المصطلح هو (الكفاءة التواصلية).

يعود الفضل في التأسيس لمفهوم (الكفاءة التواصلية) للعالم ديل هايمز (Dell Hymes 1966) الذي لم يقتنع بما ذهب إليه اللساني تشومسكي (١٩٦٥م) من القول بأن الكفاءة القواعدية كافية لتوفير تواصل ناجح في كتابه (جوانب من نظرية النحو)، إذ يرى هايمز أن معرفة المتكلم بالقواعد النحوية لا تكفي للتواصل باللغة، بل إنه يحتاج مؤهلات أخرى غير لسانية، وعليه أصبح مفهوم (الكفاءة التواصلية) أعم وأشمل من (الكفاءة القواعدية) أو اللسانية، فهي عند هايمز^(١) قدرة الشخص على استعمال اللغة في سياق تواصل لآداء أغراض تواصلية معينة، ومن ثم فـالمتكلم بحاجة -إضافة إلى معرفته التامة بقواعد اللغة- إلى مؤهلات ثقافية واجتماعية تعينه على استعمال معارفه اللغوية بالشكل الصحيح الذي يضمن نجاح التواصل.

وقد بذلت جهود كثيرة لضبط مفهوم (الكفاءة التواصلية) وتطويرها، فظهرت عندنا نماذج متعددة، كل واحد منها يحاول رتق الخلل الملاحظ في النموذج السابق، وكانت معظم النماذج تختلف في عدد الكفايات الفرعية التي تكوّن في مجموعها (الكفاية التواصلية)، ومن أمثلة هذه النماذج: نموذج (Canale and Swain 1980)، الذي يجعلها تقوم على ثلاث

(1) Hymes, D. Foundations in Sociolinguistics:

An ethnographic approach. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1974. Pp. x+245. Published online by Cambridge

كفايات: القواعدية، والاجتماعية، والاستراتيجية، ثم أضاف إليه (Canale 1983) كفاية رابعة هي الكفاية التخاطبية.

ونموذج (Bachman 1990) الذي تقوم فيه الكفاية التواصلية على كفايتين فرعيتين، كل منهما تنقسم إلى كفايتين أخريين، على الشكل الآتي: الكفاية التداولية (وتتكون من الكفاية المهنية، والكفاية اللغوية الاجتماعية)، والكفاية التنظيمية (وتتكون من الكفاية اللغوية، والكفاية النصية أو الخطابية). ونموذج (Bachman and Palmer 1996)، وتتكون فيه (الكفاية التواصلية) من ثلاث كفايات، هي: الكفاية اللغوية، والكفاية البراغمية، والكفاية الاستراتيجية.

ونموذج (Littlewood 2004)، الذي يجعل (الكفاية التواصلية) تقوم على خمس كفايات، هي: الكفاية اللغوية، والكفاية الخطابية، والكفاية البراغمية، والكفاية اللغوية الاجتماعية، والكفاية الثقافية^(١). إضافة إلى نماذج متعددة لها علاقة بتعليم اللغة الثانية، كما هو الحال مع نموذج المعايير العالمية لتعلم اللغات الثانية للمجلس الأمريكي (ACTFL 1996)، ونموذج الإطار المرجعي الأوروبي (CEFR). وتسمى (الكفاءة التواصلية) أيضا (الكفاءة التداولية) كما عند سيمون

(١) ينظر في ذلك: أبو عمشة خالد حسين، "الكفاية التواصلية بين تعددية النماذج وتناس الدلالة"، ضمن كتاب: القدرة التواصلية وتطبيقاتها في تدريس اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها: قضايا وإشكالات، مجموعة من المؤلفين، تحرير محمد إسماعيلي علوي، (ط١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢م)، ١٧٣.

ديك^(١)، ومفهوم الكفاءة يتركز حول القدرات الذاتية للفرد في مجال معيّن، وقد تناولت هذا المصطلح مجالات علمية كثيرة، وكل مجال أعطاه المفهوم الذي يتناسب معه، فالسيكولوجيون مثلاً ومنهم (بياجيه) يرون أن الكفاءة تتضمن أربعة محاور أساسية، هي: النشاط الذهني، ونشاط الفرد، والربط بين العمليات المنجزة ونتائجها، والجدل الفكري بين المعارف السابقة والعمليات المنجزة، وكل هذه المحاور تؤدي إلى ما يسمى (التكيف)، وهي في نظر علماء التربية مرادفة لمجموع السلوكات (شفوية، وكتابية، وغير كلامية، وحركية)، ويذهب فريق من علماء التربية إلى إضفاء البعد التجريدي عليها فيربطها بالجوانب الذهنية المتعلقة بالمهارات الذهنية، ومنهم من يوسع مفهومها ويجعلها خمسة أصناف: ذهني، ووجداني، وتأثيري، وعملي، واستكشافي^(٢)، وهي في مجال الموارد البشرية عنصر يجمع ثلاثة أنواع من المعارف، معارف نظرية (معلومات)، ومعارف علمية (خبرات)، ومعارف مهارية (سلوكية)، يستغلها الفرد لإنجاز ما ينطاط به من مهام، على أحسن وجه^(٣).

وهي عند اللسانيين من أمثال تشومسكي، معرفة ضمنية تتركب من مجموعة من القواعد المستقرة في ذهن مستعمل اللغة، متكلما كان أو

(١) المتوكل أحمد، "آفاق جديدة، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي". (ط١)،

الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٣م)، ٨.

(٢) نحاري حورية، "الكفاءة: مقاربات متعددة لمفهوم رحال". مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ١/٧، (٢٠٢٣م): ٢٣٤.

(٣) ينظر: Peretti Jean Marie, Gestion Des Ressources Humaines, Vuibert. Paris – 2016, 21e éd, p60.

مستمعا^(١).

هذا بالنسبة للكفاءة، أما بالنسبة لـ(الكفاءة التواصلية) فهي عند جورج مونان: قدرة المتكلم على إنتاج وتأويل عدد لا محدود من العبارات والجمل، وإدراك الهفوات المرتكبة بعد إرسال الرسالة اللغوية^(٢).

والمقصود بها القدرة على التفاعل الإيجابي في المقام التواصلية، من خلال استثمار كل عناصر الحدث التخاطبي، بجميع مستوياته اللسانية وغير اللسانية، ومن هنا تفترق في مفهومها عن الكفاءة اللسانية، التي هي "القدرة على إرسال المعلومة على نحو صحيح لغويا"^(٣).

ومن ثم فمفهوم الكفاءة التواصلية أوسع بكثير من مفهوم الكفاءة اللسانية، بل إن هذه الأخيرة ما هي إلا مكون من مكونات الكفاءة التواصلية إلى جانب كفاءات أخرى مثل الكفاءة المنطقية، والكفاءة المعرفية، والكفاءة الإدراكية، والكفاءة الاجتماعية، وقد سماها فان ديك بـ(الملكات)، التي تكون في مجموعها الكفاءة التواصلية، والذي يقترح أن يصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية على هيئة جهاز يتكون من قوالب خمسة، يعنى كل قالب بملكة من هذه الملكات، فيكون عندنا: القالب النحوي، والقالب المنطقي، والقالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي، وتعمل هذه القوالب بشكل

(١) ينظر: جونيز فيليب، "الكفاءات والسوسيولinguistique". ترجمة الحسين سحبان، (ط١)، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ٢٠٠٢م)، ١٠.

(٢) ينظر: Mounin, Georges, Dictionnaire de la linguistique (4e édition) ; Puf Quadriga, Presses universitaires de France, 1995, p75

(3) Lyons John, Semantics. Cambridge: Cambridge University Press, 1979, p591

تكاملتي، رغم أن كل واحد منها مستقل قواعدياً^(١).

والمقصود بالملكة اللغوية كما يوضحها سيمون ديك التمكن من إنتاج عدد لا محدود من تراكيب اللغة وفهمها، البسيطة منها والمعقدة، والملكة المنطقية هي تلك القواعد والاستدلالات التي تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والاحتمالي، والملكة المعرفية هي الرصيد المعرفي المنظم الذي يفيد المتكلم من عبارات اللغة، كما أنه يمكنه توظيفه على الوجه المطلوب في مقامات التواصلية المختلفة، والملكة الإدراكية تتعلق بإدراك المتكلم للمحيط من حوله، وأن يوظف هذا الإدراك في إنتاج القوالب اللغوية وفهمها، ويقصد بالملكة الاجتماعية ما يستطيع المتكلم من خلاله أن يجعل خطابه يتناسب مع السياق التواصلية في أعاده الاجتماعية لتحقيق أهداف الخطاب^(٢).

ويمكنني أن أختزل هذه الكفاءات المتعددة في ثلاث: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية (عقلية، موسوعية، إيديولوجية، نفسية)، والكفاءة اللسانية، فالكفاءة الاجتماعية تتعلق بالمهارات الفردية في التعامل مع الآخر، والكفاءة الذهنية تتعلق بالصفات العقلية والنفسية لمنتج اللغة ومتلقيها. والكفاءة اللسانية هي المعرفة باللغة بعيداً عن التداول، وسأوضح كل واحدة بما يتناسب مع هدف البحث.

أولى الكفاءات هي الكفاءة الاجتماعية -التي تعد عنصراً من عناصر الكفاءة التواصلية- وتشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالخطاب، بما في ذلك طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، والخبرة الاجتماعية في إدارة

(١) ينظر: المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ٩.

(٢) ينظر: المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ٨ و ٩.

العلاقات، وتوظيف لغة الخطاب في ذلك.

وتعرف (الكفاءة الاجتماعية) على أنها "مجموعة الأنماط السلوكية اللفظية وغير اللفظية التي يستجيب بها الفرد للآخرين في مواقف التفاعل الاجتماعي"^(١)، وتعدّ إحدى السمات الشخصية، ومن أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي، فهي تعنى بالعلاقات الاجتماعية للفرد، بحيث تجعلها قوية، وذات جودة مرتفعة، مما ينتج عنه تحقيق التواصل الاجتماعي، والانسجام المجتمعي، مما يمكن الفرد من التأثير في الوسط الذي يعيش فيه، وتقوم هذه الكفاءة على مجموعة من المهارات، منها:

- مهارة توكيد الذات: وتتمثل في القدرة على التعبير عن الأفكار والرغبات، والمطالبة بالحقوق، ومواجهة ضغوط الآخرين.
- مهارة وجدانية: وتتمثل في إمكانية إنشاء العلاقات وتوثيقها مع المحيط الخارجي، لتحقيق القبول.
- مهارات اتصالية: وتتمثل في قدرة الإنسان على إيصال رسائله إلى المحيط الخارجي، سواء عن طريق اللغة، أو عن طريق غيرها من وسائل التواصل (الإشارات الاجتماعية).
- مهارات المرونة الاجتماعية: والمقصود بها تحكم الفرد في ردّات فعله وانفعالاته في المواقف الاجتماعية، خاصة التي يغلب عليها (التفاعل العالي)، حتى يحسن اختيار السلوك المناسب، في الوقت المناسب، في

(١) منسي محمود عبد الحليم وآخرون، "الكفاءة الاجتماعية: المفهوم-المكونات-النظريات المفسرة". مجلة العلوم التربوية، كلية التربية بالغرقة، جامعة جنوب الوادي، ٢٠١٩م، ٣٤، ٣٧١.

الموقف المناسب^(١).

وقيام (الكفاءة التواصلية) على التفاعل الإيجابي بين هذه الكفاءات الفرعية المتعددة ضرورة تعود في أساسها إلى طبيعة النشاط التواصلية ذاته، وما يمتاز به من خصائص، تجعل من هذا التفاعل ضرورة وجودية، وليست صفة تحسينية، فمن خصائص هذا النشاط:

- أنه موزع بين سيورة إنتاج وسيورة فهم.
- ارتباط هاتين السيورتين بالتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد.
- أن عملية التواصل تخضع لمصير النجاح أو الفشل.
- أن مقاصد المتكلم لا تحملها اللغة فقط، بل تشارك في تبليغها عناصر من خارج اللغة.
- أن مقاصد المتكلم ليست من طبيعة واحدة، فمنها ما هو ظاهر على سطح اللغة، ومنها ما هو كامن في داخلها، يترك لاجتهاد المتلقي.
- أنه يسعى إلى إحداث تغيير في العالم الخارجي (ذهن المتلقي وسلوكه)^(٢).

ويرجع الفضل في توسع مجال التواصل ليشمل كل هذه القدرات التي تكون الكفاءة التواصلية إلى النماذج التواصلية التي قدمتها مجموعة من الاختصاصات من مثل: لسانيات الكلام، والتداوليات، وتحليل الخطاب،

(١) علي عبد الرحيم صالح، وحسام محمد مشد، "الكفاءة الاجتماعية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى طلبة الجامعة"، *المجلة العربية لعلم النفس*، جامعة القادسية، العراق، ع ١٤، (٢٠١٧م): ٢٦.

(٢) ينظر: الملاح أحمد، "التواصل أسسه اللسانية ومقتضياته المعرفية". *مجلة أنساق*، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، م ١٤، ع ٢٤، (٢٠١٧م): ١٩٢.

ونظرية التلفظ، والعلوم المعرفية، ونظرية المحادثة، ونظرية أفعال الكلام. والكفاءة التواصلية تختلف بدورها من شخص لآخر، بحسب نضج الكفاءات الفرعية عنده، فكلما قويت هذه الكفاءات اكتملت عنده الكفاءة التواصلية، وفي المقابل كلما تراجع كفاءة ما أثر ذلك على الكفاءة الأم، وظهرت آثارها في عملية التواصل، مع الإشارة هنا إلى أنني أقصد المتكلم بالدرجة الأولى، ولكن ذلك لا يعني استبعاد المتلقي من هذه النتيجة، لأن المتلقي أيضا - باعتباره العنصر الثاني الأساس في العملية التواصلية - مطالب بتوفير هذه الكفاءة بكل مكوناتها.

وثاني الكفاءات هي الكفاءة الذهنية: وهي كفاءة تتعلق بكل المؤهلات المتوارية عند الفرد من مواصفات عقلية، وسمات معرفية، وخصائص نفسية، وعليه فهي تغطي الجوانب العقلية، والجوانب النفسية عند الإنسان، فالفرد المنخرط في العملية التواصلية، لا بدّ أن يمتلك مؤهلات عقلية (منطقية) تمكنه من إجراء العمليات العقلية التي يقتضيها الفعل التواصل، كالقياس والتحليل، والاستنتاج، والتعليل، والتدليل، ولا بدّ أن يمتلك أيضا مؤهلات معرفية تتعلق بكل ما يرد في السياق التخاطبي من أفكار وأحداث وشخصيات ومفاهيم، ومن الضروري أن تكون هذه المعارف كافية من حيث الكم، ومحيط من حيث الاتساع، ومتنوعة من حيث النوع، ودقيقة من حيث القيمة، ويضاف إلى ذلك المؤهلات النفسية، التي تمثل الصفات الذاتية للفرد المنخرط في عملية التواصل، فكلما كان سمحا وهادئ الطبع، وليّن الجانب، كان تواصله مع الآخرين ناجحا، ويدخل في المؤهلات النفسية الخبرات والتجارب الموقفية التي مرّ بها الإنسان في حياته أثناء تعامله مع المحيط من حوله.

وثالث هذه الكفاءات هي الكفاءة اللسانية، والتي هي في حقيقتها

أعقد الكفاءات، ولذلك استحققت أن تحتل المركز في تكوين (الكفاءة التواصلية)، فالكفاءة اللغوية تقوم على مجموعة من العناصر هي: العناصر النطقية؛ وتتعلق بالتحصيل اللغوي الكافي، والعناصر الاجتماعية؛ باعتبار اللغة موجهة من طرف (أ) إلى طرف (ب)، قصد إخباره أو التأثير فيه، والعناصر الإقناعية التي تنفي عن عملية التواصل صفة الإكراه، والعناصر الاعتقادية وهي متعلقة بمحتوى الرسالة التي ينشئها المتكلم، فهو لا ينطق إلا بما يمثل اعتقاده وقناعاته^(١).

وهذا الحضور النسبي الذي أشرنا إليه هو الذي يجعلني أركز في بحثي هذا على الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ، والتي احتلت فيها الكفاءة اللسانية الحيز الأكبر، ثم عضدتها الكفاءات الأخرى: المعرفية، ثم الإدراكية، وبدرجة أقل الكفاءة الاجتماعية.

ثم إن الكفاءة اللسانية وحدها لا تحقق الغاية من عملية التخاطب، وإنما لا بدّ أن تنضم إليها باقي الكفاءات، حتى ترتقي بالخطاب من الكلام إلى التخاطب، وهذه الكفاءات تحضر بنسب متفاوتة، تحددها عناصر متعددة، مثل، نوع الخطاب، وهدفه، وطبيعة العلاقة بين الطرفين، وهو ما يكون في النهاية ما يسمى بـ(الإستراتيجية)، فالإستراتيجية كما يقرر الشهري خطة يضعها المتكلم للوصول إلى الغرض المنشود^(٢)، وهي في مجال

(١) ينظر: طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام". (ط٢)، الدار البيضاء:

المركز الثقافي العربي، (٢٠٠٠م)، ٣٧.

(٢) الشهري عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية". (ط١)،

بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، (٢٠٠٤م)، ٥٢.

التواصل توظيف للكفاءات/الملكات المختلفة عند المتكلم بالنسب المطلوبة والمناسبة لكل مقام تواصلي، والمقامات التواصلية تختلف فيما بينها في حاجتها لحضور كفاءة ما، من حيث الكثافة، ومن حيث النوع، ومن حيث الكيف، علما أن الكفاءة المركزية هي الكفاءة اللسانية (اللغوية) التي لا يمكن أن يستغني عنها مقام تواصلي.

المبحث الأول: البخل وتأثيراته على الفرد (سطوة البخل)

سأتكلم في هذا المبحث عن مفهوم البخل باعتباره ظاهرة نفسية لها امتداداتها المختلفة: اجتماعية، ولغوية، وعلاقتها بالكفاءة التواصلية سلباً وإيجاباً، كل ذلك من خلال بخلاء الجاحظ.

البخل لغة: البُخلُ ضدُّ الكرم والجود، وقد بَخَلَ بكذا: أي: ضَمَّ بما عنده ولم يَجِدْ، ويُقال: هو بَخِيلٌ وبَاخِلٌ، وجمعه بُخْلَاءٌ، والبَخَالُ: الشَّدِيدُ البُخْلِ، والمُبْخَلَةُ: ما يَحْمِلُكُ عليه ويدعوكُ إليه وبه^(١)، ويُعرَفُ اصطلاحاً، بعدة تعريفات منها: قول الرَّاغِبِ الأصفهانيُّ: "البُخلُ: إمساكُ المقتنياتِ عمَّا لا يَحِقُّ حَبْسُهَا عنه"^(٢)، وقول ابن حَجَرٍ: "البُخلُ هو مَنعُ ما يُطَلَّبُ ممَّا يُقْتَنَى، وشَرُّهُ ما كان طَالِبُهُ مُسْتَحِقًّا"^(٣)، وقول الفيوميُّ: "البُخلُ في الشَّرْعِ: مَنعُ الواجبِ"^(٤).

والبخل أنواع: بخل بالعلم، وبخل بالأخلاق، وبخل بالمقتنيات، فأما البخل بالعلم فقد ذكره العلماء القدماء تحت مصطلح (كتمان العلم)، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ

(١) يُنْظَرُ: الجوهري، "الصحاح"، ج ٤، ص ١٦٣٢؛ والرازي، "مختار الصحاح" ج ١، ص ٧٣؛ والزبيدي، "تاج العروس"، ج ٢٨، ص ٦٢، والمعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١-٤٢.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين (ت ٥٠٢هـ)، "المفردات في غريب القرآن"، ط ١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (د.ط، دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ)، ١: ١٠٩.

(٣) يُنْظَرُ: العسقلاني، "فتح الباري"، ١٠: ٤٥٧.

(٤) يُنْظَرُ: الفيومي، "المصباح المنير"، ١: ٣٨.

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا^(١)، قال ابن عَبَّاسٍ: "هي في أهل الكتاب يقول: يَكْتُمُونَ، ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكِتْمَانِ"^(٢)، وقال سعيد بن جُبَيْرٍ: "كان عُلَمَاءُ بني إِسْرَائِيلَ يَبْخُلُونَ بما عندهم من العلم، وَيَتَهَوَّنُ الْعُلَمَاءُ أَنْ يُعَلِّمُوا النَّاسَ شَيْئًا؛ فَعَيَّرَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ"^(٣)، وقال: "هذا في العلم، ليس للذُّنُوبِ منه شيء"^(٤)، وقال الطَّبْرِيُّ: "إِنَّ بُخْلَهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِنَّمَا كَانَ بَخْلًا بِالْعِلْمِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ آتَاهُمُوهُ، فَبَخِلُوا بِتَبْيِينِهِ لِلنَّاسِ، وَكَتَمُوهُ دُونَ الْبُخْلِ بِالْأَمْوَالِ"^(٥).

ويدررس حديثا في علم النفس التربوي تحت مصطلح (البخل المعرفي)، ويكون في المجال التعليمي، حيث تدرس العوامل المتسببة فيه، من نوع التخصص (أدبي، علمي)، ومن نوع الجنس (ذكر، أنثى)، ومن نوع الفئة العمرية (أطفال، بالغين)، وغيرها^(٦)، والمقصود بالبخل المعرفي هنا هو أن الفرد رغم أنه يمتلك موارد عقلية، وقدرات ذهنية، ولكنه يستخدم القليل منها لإنجاز المهام^(٧).

(١) سورة النساء ٣٧.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير، ٧: ٤٣٩.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في التفسير، ٣: ٩٥١، رقم ٥٣١٧.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في التفسير، ٣: ٩٥١، رقم ٥٣١٦.

(٥) ينظر: الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".

(د. ط، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د. ت)، ٨: ٣٥٥.

(٦) ينظر عمر ثامر حسن، ومظهر عبد الكريم سليم، "البخل المعرفي عند طلبة الجامعة".

مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ٩١ع، (٢٠٢٢م): ٤٣.

(٧) ينظر إيمان عوض محمد فيود، "البخل المعرفي وعلاقته بالتحيزات المعرفية وما وراء

الانفعال"، مجلة الارشاد النفسي، ١م، ١٦ع، (٢٠٢٣م): ٣٠٤.

وأما البخل بالأخلاق فيدخل فيه أبواب كثيرة غامضة كما يقول ابن المقفع قلما ينتبه إليها، منها حرص الرجل على اظهار ما عنده، وقلة وقاره في ذلك، ومنها مسابقة المتحدث في المالأ لتظهر أنك تعلم مثل الذي يعلم، فلا يذهب وحده بإعجاب المستمعين^(١)، ومن نماذجه في بخلاء الجاحظ ما رواه عن إسماعيل بن غزوان الذي دخل المسجد مسبقاً، فوجد الصف تاماً، وكره أن يصلي منفرداً خلف الصف، فجذب ثوب أحد المصلين ليقوم معه في الصف، ثم لما رأى الفرجة في الصف الأمامي أسرع إليها^(٢).

وأما البخل بالمقتنيات، فهو الذي أنا بصدد الكلام عنه في بحثي هذا، وهو المقصود بالدرجة الأولى عند إطلاق مصطلح (البخل)، وهو "إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود"^(٣)، وهو اعتقاد الإنسان أن المال الذي يُمسِكُهُ شَرَفٌ، والمال الذي يُنْفِقُهُ تَلَفٌ، وهو مذموم في كل الشرائع، وعند كل العقلاء من بني الإنسان، وهذا بدوره ينقسم إلى قسمين ذكرهما الراغب، فقال: "والبخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذماً"^(٤).

وإذا أردنا أن نفهم بعمق ظاهرة البخل، وتفسيرها التفسير اللازم الذي تمتد آثاره على مستوى الفرد، وعلى مستوى المحيط الاجتماعي، علينا أن

(١) ابن المقفع عبدالله، "الأدب الكبير والأدب الصغير". (د. ط، بيروت: دار صادر، د. ت)، ١٣١.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، "البخلاء". (ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٩هـ): ٢٥٦.

(٣) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ١٠٩.

(٤) نفسه.

نغوص في أعماق نفس الفرد، لنقف على الخلفيات النفسية والعقلية، التي تتجلى ظاهرة البخل من خلالها، وهي هنا عنصران، هما: حبّ التملك، وطبيعة نظرة الفرد للمال.

أما بالنسبة لحب التملك فهو صفة ملازمة للإنسان، بل تتعداه إلى العجماوات أيضا حسب سبنسر هيربرت^(١)، والملكية هي عماد الازدهار الشخصي كما يذهب إليه فيخته (Johann Gottlieb Fichte)، وهيكل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel)، بل هي منطلق الابداع والإعمار حسب باستيا (Pasta)، وهي في الوقت نفسه المحور الأساس لمشاكلنا^(٢)، لأن حبّ التملك لا بدّ أن تقابله قناعة حبّ الخير للغير، ومشاركة ما نملك مع الآخرين، فإذا ما غاب هذا العنصر الأخير اختل التوازن النفسي، ومن ثم الميزان الأخلاقي عند الفرد، ولذلك كان البخل في حقيقته "انحراف في غريزة المحافظة على البقاء، وهو الصورة المرضية من الرغبة في التملك والادخار"^(٣). ويمكن عرض البخل بوصفه صفة ناتجة عن خلل نفسي وتصوري في الوقت نفسه في ثلاثة أجزاء:

- التعلق المبالغ فيه بالمال.
- هوى التكديس.

(١) العوا، عادل، "أسس الأخلاق الاقتصادية". (د. ط، دمشق: منشورات جامعة دمشق، المطبعة الجديدة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٩٢.

(٢) ينظر: عزت السيد أحمد، "فلسفة الأخلاق عند الجاحظ". (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م)، ١٣٧.

(٣) أكرم زيدان، "سيكولوجية المال: هوس الثراء، وأمراض الثروة". (الكويت: عالم المعرفة، رقم ٣٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨م)، ١١٣.

— هوى الحفاظ على الغنى^(١).

ومن ثمَّ عُدَّ البخل من (أمراض المال)، إضافة إلى سلوك الرشوة، وسلوك النصب، وسلوك التهرب الضريبي، وفوبيا المال^(٢).

ولقد صور لنا الجاحظ في كتابه البخلاء شخصية البخل بأبعادها النفسية، والاجتماعية، على السواء، بل إنه عرض علينا صور البخل وهو يحاول أن يصبح سلطة مضادة للمجتمع، من خلال إيجاد رابطة تجمع البخلاء، من خلال تحويل (البخل) من ممارسة إلى مذهب فكري وأخلاقي، يمتلك خطابا موازيا لخطاب المركز (خطاب الكرم)^(٣).

ورغم أن الجاحظ لم يقدم لنا تحليلا نظريا لظاهرة البخل، ولا لشخصية البخل، إلا أننا ندرك وعيه التام بأبعاد هذه الظاهرة (الأبعاد النفسية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية)، كما ندرك كذلك وقوفه على الخصائص النفسية لشخصية البخل، سواء الخصائص النفسية المتعلقة بالذات، أو الخصائص النفسية المتعلقة بالآخر.

والبخل -عموما- نموذج إنساني، بمعنى أنه يتصف بصفات تلازمه في كل عصر ومصر، مع بعض التفصيلات الإضافية التي تفرضها عوامل البيئة،

(١) غريماس، وفونتي (Algirdas Julien Greimas and Jacques Fontanille)، "سميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس". ترجمة سعيد بن كراد، (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م)، ١٦٠.

(٢) أكرم زيدان، "سيكولوجيا المال"، ٦١.

(٣) ينظر: مالكية بلقاسم، "كلام بكلام، التداولية من منظور بخلاء الجاحظ". مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع١٢، خاص بأشغال الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، (٢٠٠٧م): ٢٨١.

وشخصية البخيل، ولكن يكاد يجمع الدارسون أن شخصية البخيل تمتاز بـ:

أ. القلق وعدم الشعور بالأمان.

ب. الأنانية.

ج. حبّ التملك.

د. القهرية.

هـ. تحمل المسؤولية لصالح الذات.

و. السلوك الاجتنابي^(١).

وعلى المستوى الاجتماعي فهي شخصية شديدة الذكاء والمكر والخداع والكتمان، تتظاهر بالفقر والحاجة، حاقدة، حسودة، تعتقد أن الناس كلهم على شاكلتها^(٢).

ولم تحد شخصية البخيل عند الجاحظ عن هذه السمات، ولكن الطريف عند الجاحظ أن البخيل لا يمكن أن يعيش بمعزل عن العلاقات الاجتماعية، التي يمقتها ويذمها، سواء كانت علاقات أسرية، أو كانت علاقات جوارية، أو كانت علاقات مهنية، وهذا ما دفعه إلى الاستعانة بالحيل والمكايد في جمع المال، أو المحافظة عليه، كما دفعه إلى استنفار مؤهلاته اللسانية، للدفاع عن مذهبه في الحياة، ونظرته للمال، وتصوير كل ذلك في صورة الحكمة وحسن التدبير.

والبخيل عند الجاحظ صنفان، صنف يبخل عن نفسه، فيحرمها اللذات وما تشتهيه، ويصل به الأمر إلى حرمانها من الضروريات، وصنف يتبع نفسه

(١) ينظر: أكرم، "سيكولوجية المال"، ١١٧؛ ورشدي محمد خليل، "الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية البخيل"، مجلة أوراق كلاسيكية، ١٨ع، (٢٠٢١م): ٦٣٣.

(٢) رشدي محمد خليل، "الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية البخيل"، ١٨: ١١٩.

هواها، ويغدق عليها كل أنواع الملذات، ولكنه في المقابل يحرم الآخرين من أقل القليل عنده، لأنه زاهد في كل ما يجلب الشكر من الناس، أو الأجر من الله تعالى، والبخيل في الحالتين إنسان موسر، غني، يملك ما يكفيه ويزيد، فليس البخيل عند الجاحظ من ضاق عيشه، وقل ماله، فلم يجد ما يكفيه^(١). وقد تنوعت مظاهر البخل في كتاب الجاحظ، وتعددت مستوياته، ويمكن حصرها في:

١. البخل على الذات، سواء في المأكل، أو المشرب، أو الملبس^(٢).
 ٢. البخل على الأهل: الأمهات، والأولاد والزوجات^(٣).
 ٣. البخل على الأقارب: الخدم وذوي الأرحام^(٤).
 ٤. البخل على الأصحاب^(٥).
 ٥. البخل على الأغيار: في المعاملات اليومية، والتعاملات التجارية^(٦).
- ومن هنا ندرك (سطوة البخل) على نفس البخيل، بحيث يجعله لا يراعي إلاّ ولا ذمة، لا في أهل من أمّ وولد وزوج، ولا في قريب من خدم وأعمام وأخوال، ولا في أصحاب وخلان وجيران، ولا مع غير هؤلاء ممن كان من عامة الناس، الذين تلجئهم الظروف للتعامل معه، فالبخل يعمي صاحبه، ويستنفر فيه كل مؤهلات النباهة، والدهاء، والحيلة، كما يستدعي عنده كل صور

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢١٠.

(٢) قصة الغزّال نموذجاً، ١٦٠.

(٣) فيلويه ص ١١٣، أبو القماقم ص ١٦٦، أحمد اليزيدي ص ٦٧، نموذجاً.

(٤) خالد بن صفوان ص ١٩٤، والمكي مع عمّ أبيه ص ١٦٤، نموذجاً.

(٥) الكندي ص ٨١، نموذجاً.

(٦) أبو سعيد المدائني ص ١٣٧، الكندي ص ٨١، إسماعيل بن غزوان ص ١٣٠، نموذجاً.

الحيلة والمغالطة، فينطلق لسانه ليحقق له كل ذلك، ومن هنا كان البخل عاملاً من عوامل تحفيز القدرات التواصلية عنده.

مع العلم أنه من مظاهر سطوة البخل على نفسية صاحبه، أنه يجعله دائم الهم، عميق الحزن، محاصراً بالخوف، مشغول البال بحساب كل موقف، والتدقيق في كل تصرف، وكل ذلك يظهر في وجهه وفي تصرفاته، ولحن قوله، فهو شخصية حوّها البخل إلى شخصية عنيفة مع من حولها، وهذا العنف يظهر في التصورات (عنف إيديولوجي ونفسي)، وفي التصرفات (عنف اجتماعي)، وفي الخطاب (عنف كلامي)^(١).

وقد بلغ من سطوة البخل على شخصية صاحبه أنه يجرمه حتى من الانبساط النفسي، ولذلك قال أحدهم حين عوتب في قلة الضحك وشدة القُطوب: "إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل إذا ضحك وطابت نفسه"^(٢).

بل إن سطوة البخل على شخصية البخيل تمتد إلى معجمه اللغوي، فتمنعه من التعامل مع كل ما يتعلق بـ(الجود) من كلمات وعبارات ومعان، وذلك مما أثار إعجاب وتعجب الجاحظ، أشد العجب من صاحب الثريدة البلقاء، الذي رغم كثرة أحاديثه، وتفننه في تصريف القول في جميع المعاني، إلا في ذكر الجود فهو لم يسمعه قط جرى على لسانه، فقد "خرج هذا الباب من لسانه، كما خرج من قلبه"^(٣)، وقد ضبط ذلك وقوي عليه، وهو ليس بالأمر الهين.

(١) ينظر: الجويلي، محمد، "نحو دراسة في سوسيولوجية البخل". (د. ط: القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٠م)، ٩٥، و١٥٣.

(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٤.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٥٣.

وقد حكم الجاحظ على البخيل أنه مغلوب، ومسخر، وقد ظهرت ملامح هيمنة البخل وسطوته على صاحبه في مجموعة من المظاهر، أوردتها الجاحظ على شكل تساؤل حول الشيء الذي خبل عقولهم، وأفسد أذهانهم، وأغشى أبصارهم، ونقض الاعتدال في شخصياتهم، ودفعهم لعداء الحق، ومخالفة الأمم، وأوقعهم في المزاج المتناقض، الذي يجمع الشيء وضده في شخصيتهم، وكل هذه المظاهر ليس وراءها إلا (آفة البخل)^(١).

ثم إن سطوة البخل من فرط قوتها قد تتعدى البخيل إلى ما يحيط به، حتى حيواناته، فهذه ديوك مرو -على خلاف ديوك الأرض- تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب^(٢)، فضلا عن ذراريه ونسائه وخدمه.

ثم إنه من مظاهر سطوة البخل على نفسية صاحبه أنه يتجاوز مخاطبة الإنسان إلى مخاطبة الحيوان والجماد، كما فعل إسماعيل بن غزوان حينما خاطب درهمه، مخاطبة مناجاة وتطمين^(٣).

كما أنه من مظاهرها استنفار قدرات البخيل الذهنية وإرهاقها في تفاصيل الحياة، التي لا تستحق كل ذلك التفكير والعناء، وذلك ما جعل أبا سعيد المدائني يفكر مدة ستة أشهر في غسل ثوبه المتسخ من عدمه^(٤).

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨.

(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ٣٨.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ١٧٤.

(٤) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨٤.

المبحث الثاني: الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ (سلطة القول)

بيّنت فيما مضى (تأثيرات البخل) على شخصية البخيل، وكيف أنّها تبسط هيمنتها على تصورات ومشاعره، بحيث يصبح عبدا لها، هذه التصورات والمشاعر المتمكنة من تفكير البخيل ومشاعره، لا يلبث أن تظهر على شكل مادي محسوس، تظهر في حياة الفرد الذاتية، كما تظهر في حياته الاجتماعية، من خلال المواقف والمعاملات والحوارات.

ولعل أوفر هذه العناصر في إظهار هذه السطوة على قنوات البخيل ورؤاه هو عنصر اللغة، إذ البخيل يعلم أنه يتبنى مذهباً إيديولوجياً مرفوضاً من المجتمع من حوله، بل ومرفوض من فطرته السليمة التي جبل عليها، يرفضه عقله، كما يرفضه العقل الجمعي، ومن ثمّ فهو مجبر على خوض صراع عنيف مع ذاته ومع الآخر، والذي يحمل في طياته بعض سمات الصراع الداخلي المتواري.

ومن أهم وسائل البخيل التي يعتمد عليها في الدفاع عن مذهبه هي اللغة، وإدراكاً منه لخطورتها ولدورها في كلّ ذلك، فقد حاول التمكن منها، والسيطرة عليها، ليسيّط - كما يتوهم - على فكر الآخر وعاطفته، ليجذبه إلى قناعاته وتصوراته، فيحقق بذلك هدفين اثنين رئيسيين هما: دفع ما يتهم به من سوء الخلق (البخل)، والثاني هو إقناع الآخر بالتزام نظريته في تصريف شؤون المال وما يملك بحكمة وتدبير.

ومن ثمّ فقد اتسمت لغة بخلاء الجاحظ بالقوة في كثير من جوانبها، وهذا ما دعاني إلى التركيز على (الكفاءة التواصلية).

وهنا قد يتبادر سؤال إلى الذهن، مفاده: أليس الكلام عن (الكفاءة التواصلية) يتعارض مع ما ألمحت إليه سابقاً من أن البخيل بطبعه إنسان انعزالي، يرى في التعامل مع الناس مغرماً، يستوجب مؤونة وتضحية، بينما

الابتعاد عنهم مغنما، يورث الراحة والسلامة؟

والإجابة عن هذا السؤال من وجوه:

- **الوجه الأول:** أن العزلة التي يعيشها البخيل هي في حقيقتها عزلة (شعورية) أو (نفسية) أكثر منها اجتماعية، ولذلك كان بخلاء الجاحظ يخالطون الناس، يغشون المساجد، والمجالس، والمناسبات، ويتخذون الأصحاب والخلان، ومثاله ما ذكره عن بعضهم أنهم "ربما ترافقوا وتزاملوا، فتناهدوا وتلازموا في شراء اللحم، فإذا اشتروا اللحم قسموه، قبل الطبخ، وأخذ كل إنسان منهم نصيبه فشكه بخوصة أو بخیط، ثم أرسله في خل القدر والتوابل"^(١)، وعن آخرين الذين يسافرون مجتمعين، فإذا جاء وقت الطعام تفرقوا.
- **الوجه الثاني:** أن شخصية البخيل شخصية (انفصامية)^(٢)، بحيث تجمع بين المتناقضات، كما وصفها الجاحظ بـ (التركيب المتضاد، والمزاج المتنافي)، غباء شديد، وفطنة عجيبة، وإدراك الجليل الغامض، مع الغفلة عن الجليل الواضح^(٣).

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ٤٤.

(٢) الفصام مرض عقلي يصنف ضمن فئة الأمراض النفسية المعروفة بالذهان، ويعد أكثرها انتشاراً، وهو مرض يصيب الشخصية بالتصدع، فيختل عندها التكامل بين الجوانب الفكرية والانفعالية والحركية والإدراكية، فيصبح كل جانب وكأنه مستقل عن غيره، وتكون بذلك ردات الفعل الانفعالية والسلوكية منفصلة عن عالم الخبرة والواقع كل الانفصال. ينظر: فرج عبد القادر طه وآخرون، "معجم علم النفس والتحليل النفسي"، (ط ١، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت)، ٣٤٨.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨.

• ومن ثم فالبخيل من جهة يحب النأي بنفسه عن الناس، لأنه - كما يتصور - لا يجني من وراء ذلك إلا الخسران، وإن كان هؤلاء الناس من ذوي القرى، ومن جهة ثانية فهو لا يمكنه أن يمارس بخله إلا في وسط اجتماعي، ولذلك نجد البخلاء في جميع طبقات المجتمع، يمارسون حياتهم بشكل عادي مع الناس، إن في الأسواق، وإن في المحافل والاجتماعات.

• **الوجه الثالث:** أن شخصية البخيل شخصية (إصلاحية) حسب تصورها، لأنها ترى أن المجتمع منحرف تصوريا وسلوكيا تجاه المقتنيات أو الممتلكات أو المال، ومن ثم فهي تعمل على إصلاح هذا المجتمع من خلال تقديم التصورات الصحيحة، والمواقف الواجبة، تجاه ما يملك الإنسان، ومن البدهي أن هذا الإصلاح يقتضي المخالطة والمعاشية.

إذن كانت سطوة البخل هي المحفز الأساس لسلطة القول عند البخيل، إذ البخل بأبعاده التصورية والنفسية ولّد لدى صاحبه قوة منقطعة النظر، للدفاع عن مذهبه، والصراع من أجل إثبات صحة وجهة نظره، بل وإثبات خطأ النظرة المغايرة التي استقرت عند عامة أفراد المجتمع تجاه المال وما في حكمه.

كل ذلك دفع البخيل إلى استخراج كل ما عنده من مؤهلات خطابية وحجاجية لتحقيق ذلك، وقد لاحظ الجاحظ كل ذلك، وعليه أبدى إعجابه بطريقة البخلاء في الدفاع عن مذهبهم، وبمستوى اللغة التي يستعملونها في محاوراتهم ومحاججاتهم للمخالفين، رغم أنه يبدى في الوقت نفسه ازدراء لما اتصفوا به من بخل وشح إلى حدّ التهكم والسخرية.

فهو يشهد لهم بأعاجيب كثيرة منها تبديل المفاهيم للمصطلحات، وبنائها على النقيض مما هي عليه عند عامة العقلاء، كتسميتهم البخل

إصلاحاً، والشح اقتصاداً، والجود سرفاً، والأثرة جهلاً، وأنهم يستعملون في محاوراتهم المعاني الشداد والألفاظ الحسان، مع جودة الاختصار، وتقريب المعنى، وإصابة الموضوع.

وفي مقابل هذه القدرات اللسانية، يثبت لهم الجاحظ أيضاً شدة العقول، واتساع المعرفة، والفتنة العجيبة، وقوة الاحتجاج، إلى درجة الوصول إلى الغايات البعيدة، والمعاني اللطيفة^(١).

ومجموع هذه المؤهلات يكون ما يسمى (الكفاءة التواصلية)، فهي تشمل القدرات اللسانية عند هذه الفئة، مع المؤهلات الذاتية المتعلقة بالنباهة واتساع المعرفة، وحسن توظيف اللغة في المقام التخاطبي، ومراعاة المتلقي إنشاء إنشاء الرسالة الكلامية.

ولا أبالغ إذا قلت إن من أهم أهداف الجاحظ في كتاب البخلاء هو عرض هذه الكفاءة التواصلية، التي اتصف بها بخلاؤه، بل وجعلها على رأس الأهداف الثلاثة التي حددها لكتابه، وهي: "تبين حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة"^(٢).

كما أنه بيّن لنا في مقدمة البخلاء الدور الكبير الذي يؤديه المقام التواصلية في التفاعل مع النادرة، فالنادرة تضعف إذا تمّ قطع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها^(٣)، وفي المقابل لو أن نادرة حارة نسبت إلى رجل مبغوض عند المتلقي لصارت فاترة، حتى إنه يعلل لبعض الحوارات التي قطعها هو عن

(١) ينظر مقدمته للبخلاء، من ١٦ إلى ١٨.

(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ٢١.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٤.

أصحابها أن القطع كان لأحد سببين هما الخوف منهم، أو إكراما لهم^(١)، وإلا فإن الأصل أن يربط كل حديث بسياقة التخاطبي، وقد علق على حكاية الطرسوسي بقوله: "وهذا وشبهه إنما يطيب جدا، إذا رأيت الحكاية بعينك، لأن الكتاب لا يصور لك كل شيء، ولا يأتي لك على كنهه، وعلى حدوده وحقائقه"^(٢)، وللعلة نفسها ترك إصلاح اللحن، أو إعراب الكلام غير المعرب، أو تصويب لفظ معدول عن جهته^(٣).

ويمكن أيضا أن نستأنس هنا بوصفه لكلام شخصيات بعينها، مثل قوله في خالد بن يزيد مولى المهالبة بأنه كان: "قاصا متكلميا بليغا داهيا"^(٤)، ويصف آخر بأنه "فخم اللفظ، فخم المعاني... مع علم جم ولسان غضب"^(٥)، وعن الكندي يقول: "فكانوا لطيبه وإفراط بخله وحسن حديثه يحتملون ذلك"^(٦)، وفي كفاءة تمام ابن جعفر في القياس والمجادلة رغم غلبة الطرب "فلم أسمع بإنسان قط يقايس وينظر في الوقت الذي إنما يشق فيه القميص من غلبة الطرب، غيره وغير مولاه محلول"^(٧)، وفي أبي سعيد المدائني يقول: "وكان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيد الروية"^(٨).

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٥.

(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ٨٧.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ٦٧.

(٤) الجاحظ، "البخلاء"، ٧٣.

(٥) الجاحظ، "البخلاء"، ٨٦.

(٦) الجاحظ، "البخلاء"، ١١٣.

(٧) الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٠.

(٨) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨٠.

ثم هو يبدي إعجابه من صاحب الثريدة البلقاء، الذي استطاع أن يغلب نفسه فلا يذكر الجود قط، على كثرة كلامه وأحاديثه^(١).

كل ذلك يثبت الكفاءة التواصلية التي كان عليها بخلاء الجاحظ، إلى درجة أنه أبدى إعجابه بهم في هذا الجانب، مع استهجانه لمذهبهم في الحياة، إلى حدّ السخرية والتهكم كما مرّ بنا، ولا عجب أن يصل هؤلاء البخلاء إلى هذه المرتبة من الكفاءة التواصلية، وهم الذين أخلصوا أنفسهم للدفاع عن البخل، الذي ملك عليهم عقولهم وقلوبهم، فباتوا لا يفكرون إلا فيه، ولا يدورون إلا في فلكه، ومنّ داوم التفكير في أمر ما، وأطال التدبر فيه، وأخلص له اهتمامه، لا شك أنه سيعدّ له كل لفظ، وكل عبارة، وكل صورة، وكل دليل، فيصبح بذلك من أهل الاختصاص في ذلك المجال، وهذا ما نلاحظه عند أصحاب الصنائع وأرباب المهن، فإن ألسنتهم تنطلق بأمر ما يكون الانطلاق إذا هم تحدثوا فيما يخص مجالهم، وكذلك الحال في صاحب البخل، الذي لا يدور بخلده في يقظته وحتى في نومه إلا ما تعلق بمذهبه في البخل، ومن ثمّ فإن المجال اللغوي المتعلق بالبخل (مفردات، وعبارات، ودلالات، وصور...) دائمة الحضور في ذهنه، مستعدة في كل لحظة أن تمتطي لسانه لتردع كل مخالف.

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٥٣.

المبحث الثالث: مظاهر (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء الجاحظ

سبقَت الإشارة فيما ما مضى إلى أن (الكفاءة التواصلية) كفاءة شاملة، تضم عدة كفاءات فرعية، هي: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية، والكفاءة اللسانية، وهذه الكفاءات مجتمعة تكوّن الكفاءة الكبرى وهي (الكفاءة التواصلية)، وتتحدد سمات هذه الكفاءة الجامعة قوة وضعفاً بحسب وضعية كل كفاءة فرعية وسمتها، وسأحاول تتبع سمات هذه الكفاءات عند بخلاء الجاحظ، وسأتناول مظاهر كل كفاءة على حدة في بخلاء الجاحظ.

أ) مظاهر الكفاءة الاجتماعية:

إن الكفاءة الاجتماعية هي مجموعة من المهارات التي تساعد الفرد على التواصل الفعال مع الآخرين، وأداء الأدوار الاجتماعية المطلوبة، وبناء العلاقات مع الآخرين، وتعزيزها، ويصورها بعض علماء الاجتماع على شكل هرمي ثلاثي الأبعاد يكون (المهارات الاجتماعية)، تضم قاعدته القدرة على ضبط الانفعالات والسلوك، كما تضم الخبرات المعرفية الاجتماعية التي تؤدي إلى الأداء الكفء في المواقف الاجتماعية (١)، يعلوها (الأداء الاجتماعي)، والذي يعني استجابة الفرد للمواقف الاجتماعية بصورة تنسجم مع المعايير الاجتماعية المشتركة، يعلوها في قمة الهرم (التكيف الاجتماعي)، والذي يتلخص في تحقيق الفرد لأهدافه المقبولة اجتماعياً.

وهذه الأبعاد متى ما توافرت بشكل متوازن نتج عنها نجاح الفرد اجتماعياً، وأي نقص فيها نتج عنه في المقابل (قصور) في المهارات الاجتماعية.

(1) Cavell, T. A. Social adjustment, social performance, and social skills: A tri-component model of social competence. (1990), Journal of Clinical Child Psychology, 19(2), 111-122

وتصنف المهارات الاجتماعية إلى:

- المهارات الاجتماعية العامة: وتمثلها السلوكات المختلفة التي لها قبول عند المجتمع، ويمارسها الفرد لفظياً أو غير لفظي، أثناء التعامل مع الآخرين.
- مهارات اجتماعية شخصية: وتظهر في التعامل الإيجابي مع المواقف والأحداث الاجتماعية.
- مهارات المبادأة التفاعلية: وتعني المبادرة بالتواصل والحوار والتفاعل.
- مهارة الاستجابة التفاعلية: والمقصود بها حسن الاستجابة لمبادرات الآخرين في الحوار، أو طلب المساعدة أو المشاركة.
- المهارات الاجتماعية المتعلقة بالبيئة الخاصة: مثل بيئة العمل أو الدراسة، بحيث يعطي الفرد للبيئة التي يكثُر وجوده بها (عمل، دراسة، سفر...) ما تحتاجه من مهارات خاصة يتحقق من خلالها التفاعل المطلوب^(١).

ونحن إذا رجعنا إلى طبيعة البيئة الاجتماعية لبخلاء الجاحظ، سواء من خلال كتابه (البخلاء)، أو من خلال الكتب الأخرى التي أرخت للمجتمع الإسلامي في تلك الحقبة، وفي تلك الرقعة الجغرافية، لوجدنا بيئة اجتماعية يمكن أن توصف بأنها حيّة ومتنوعة وثريّة، إذ انتقلت من (طور البداوة) وما يحمله من بساطة وهدوء، إلى (طور المدنيّة) وما يحمله من تعقيد وضجيج،

(١) ينظر: علي عبد الرحيم صالح وحسام محمد مشد، "الكفاية الاجتماعية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى طلبة الجامعة". *المجلة العربية لعلم النفس*، جامعة القادسية، العراق، ٣٤، (٢٠١٧م): ٢٧.

هذه المدنية التي زادت من ارتباط مصالح الفرد بمصالح المجموعة، فأصبح البعد الاجتماعي ضروريا جدا في حياة الفرد، لا يمكنه أبدا الاستغناء عنه، وإن رام ذلك، فضرورات الحياة تقتضي التشارك، وكان من سمات هذه المدنية انتاج وجهين من الحياة، حياة مترفة عند طبقة معينة من المجتمع، وحياة بئيسة عند فئات أخرى (التفاوت الطبقي)^(١).

ومن المؤكد أن الاتجاه المادي هو الغالب في حالة (المدنية)، في مقابل الجانب الأخلاقي الذي يطبع حالة (البداءة)، وهذا ما ظهر في مجتمع بخلاء الجاحظ، فالتحولات الاقتصادية والاجتماعية جعلت حياة الفرد صعبة، تقتضي منه التسلح بالعنف الاجتماعي لضمان مصالحه، التي أصبح تحقيقها ليس بالأمر الهين، بل يحتاج منه إلى جهد كبير لتأمين متطلبات الحياة، ومن ثم تعقدت علاقة الفرد بالمال، وازدادت حاجته إليه، مع تعارض مصالحه في كثير من الأحيان مع مصالح غيره من أفراد المجتمع، وهو ما جعل هذه العلاقة تتسم بالعدائية، خاصة عند فئة البخلاء، وهي الفئة التي تنطلق من عقدة تعظيم المصالح الذاتية وتقديمها على المصالح الجماعية، بل واستغلال مصالح الآخرين لتحقيق المآرب الخاصة، وذلك كله يعود إلى سقوط القيم الاجتماعية في نفس البخيل، لتعوضها زيادة الارتباط بالماديات، والخوف من المستقبل المجهول، وعدم الثقة بالله تعالى، فكان الحلّ هو تحصيل المال بكل السبل، ثم ادخاره والمحافظة عليه، فعلاقة البخيل بالمال علاقة مزدوجة، حب متطرف، وخوف شديد من تقلباته^(٢).

(١) ينظر: علاء الدين رمضان، "صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء". (د. ط،

جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣م)، ٣٦٨.

(٢) ينظر: الجويلي، "نحو دراسة في سوسيولوجية البخل"، ٥٥.

وكل تلك الظروف شكلت العلاقة بين البخيل ومجتمعه، هذه العلاقة التي يوطرها الحذر من جهة، ويغذيها الصراع الأيديولوجي الناتج عن تغير النظرة المعرفية للحياة بصورة عامة بمادياتها وقيمها من جهة أخرى، وهذا ما أنتج (العنف الاجتماعي) عند البخيل، والذي نلحظه بشكل جلي في لغته وفي حواراته.

وحتى لا يقع البخيل في فخ (العزلة الاجتماعية) التي لا تخدم قناعاته، اهتدى إلى طريقة تحقق له (الاندماج الاجتماعي) المدروس، وذلك من خلال مظهرين اثنين:

- إنشاء مجتمع مصغر منسجم الأفكار والتصورات، وهو مجتمع البخلاء، إذ أصبح البخل - كما أشار الجاحظ - مذهباً معتقاً من فئة من الناس، تتلاقى وتتدارس شؤونها، وتبلور أفكارها تجاه الممتلكات وتصريفها^(١).

- ضبط صور التواصل بالمجتمع العام، وتحقيق (السيطرة التواصلية)، لضمان التأثير دون التأثير، فالبخيل هو صاحب الهيمنة في أي حوار بينه وبين غيره، وهو صاحب الرأي السديد، والفكر الراجح، والسلوك الملتزم، والحكمة الظاهرة، وما (الوصايا) التي كثيراً ما تصدر عن البخيل، إلا مظهر من مظاهر هذه السيطرة^(٢).

ب) مظاهر الكفاءة الذهنية:

قلت فيما مضى إن الكفاءة الذهنية تتعلق بالمؤهلات العقلية والمعرفية،

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٥٣.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٣.

والنفسية لمنتج اللغة ومتلقيها، ونحن إذا عرضنا بخلاء الجاحظ على هذه المؤهلات الثلاثة التي تكوّن هذه الكفاءة، نلاحظ أنهم حازوا على نصيب وافر منها، فهم أذكاء يجيدون القياس والمقارنة، والتعليل والتدليل، كما يتقنون المغالطة والحيلة والاستدراج.

وقد تنبّه الجاحظ إلى ذلك، حتى إنه وسمهم أنهم يتوافرون على (فطنة عجيبة)، و(إدراك الغامض)، وأنهم يمتازون ب(شدة عقولهم)، و(وقوة احتجاجهم)، مع توافرهم على (علم جم)^(١)، والواحد منهم تجده "شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيد الروية"^(٢)، "ومعرفة بالغامض من العيوب، والدقيق من المحاسن"^(٣).

وما يبيّن قدرتهم الكبيرة على المقايسة والمجادلة في كل الحالات، وعلى جميع الهيئات، التي لا تسمح للإنسان العادي بذلك، قول الجاحظ في وصف أحدهم، وهو تمام بن جعفر: "فلم أسمع بإنسان قط يقايس وينظر في الوقت الذي إنما يشق فيه القميص من غلبة الطرب، غيره وغير مولاه «محلول»"^(٤)، ويقول في وصف أبي سعيد المدائني الذي كان إماما في البخل بالبصرة، إنه: "كان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيد الروية"^(٥).

ولعل من شواهد كفاءتهم الذهنية تلك المواقف والتدابير التي يهتدون إليها أثناء التعامل مع الأشياء ومع الناس، فهم يتقنون التصرف في الممتلكات،

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧-١٨-٨٦.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧٥.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٨٦.

(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٠.

(٥) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٨٠.

كما يجيدون إدارة علاقاتهم بالآخرين، بحيث يحققون ما يهدفون إليه، ومن أمثلة ذلك فعل تمار مع غلامه ليكشف جرمه وهو الأكل من التمر دون علمه، وتدمير مريم الصنّاع زواج ابنتها، وصنيع معاذة العنبرية في استغلال كل أجزاء الشاة لزمن طويل^(١).

وهم أيضا على قدر كبير من المؤهلات المعرفية، ولذلك أقر الجاحظ لهم بسعة المعرفة^(٢)، فنحن أمام ظاهرة البخيل المثقف، الذي له معرفة تامة بالشخصيات والأحداث، سواء ما تعلق منها بزمانه، أو ما تعلق منها بالتاريخ، وهو ملمّ بأقوال السابقين شعرا ونثرا، كما له معرفة عميقة بنصوص الوحي (قرآن وحديث)، وطرق توظيفهما لنصرة مذهبه في الحياة، ومما ساعد طائفة البخلاء في تحصيل هذه المعرفة الجمة والمتنوعة هو طبيعة العصر الذي وجدوا فيه، فهم ينتمون إلى العصر العباسي الذي ازدهرت فيه الثقافة العربية وتألقت، بتوافر عوامل كثيرة، منها قوة الدولة السياسية، وتنوع الأعراق والأجناس، إضافة إلى توافر مراكز العلم والمعرفة كالأسواق والمساجد، والمجالس، وكثرة العلماء، وتشجيع الحكام والوجهاء واحتفائهم بالعلم والعلماء، وغيرها، كل ذلك جعل المجتمع العباسي في هذه الفترة على قدر كبير من الثقافة والمعرفة والعلوم^(٣).

وبتوافر كل هذه المؤهلات عند بخلاء الجاحظ استطاعوا أن يصوغوا لنا ما يمكن تسميته (مبادئ التعامل مع الممتلكات)، مبادئ تغطي على حبيهم

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧٦، ٥٥، ٥٩.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦.

(٣) ينظر: علاء الدين رمضان، "صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء"، ٣٦٩.

المرضي للمال والممتلكات، وتدفع المتلقي لكلامهم إلى الإذعان لرأيهم ومذهبهم، ومن هذه المبادئ والأفكار^(١):

- المال هو المصدر الوحيد للقوة والهيبة والمكانة.
- الرغبة في المال واكتنازه هي بدافع من التدين.
- اكتناز المال حكمة لمواجهة تقلبات الزمن.
- اكتناز المال مدعاة إلى المثابرة، ومدعاة إلى العقل والحكمة.
- المنع للمال وإمسাকে ضمان لمستقبل الذرية.

ج) مظاهر الكفاءة اللسانية:

إن بخلاء الجاحظ - وهو نموذج البخلاء في كل زمان - يتمتعون بكفاءة لسانية عالية، جعلت الجاحظ، رغم ذمّه لمذهبهم في البخل، وخروجهم عما أجمع عليه الناس، حيث حسنوا القبيح، وقبحوا الحسن، يشيد بمؤهلاتهم اللغوية، في أكثر من موضع، كقوله يصف أحدهم بأنه فخم اللفظ، فخم المعاني، تربية في ظل ملك، مع علم جم، ولسان غضب^(٢)، وقال عن آخر: "فكانوا لطيبه وإفراط بخله، وحسن حديثه، يحتملون ذلك"^(٣)، وقال عن أبي عبد الرحمن: "وأبو عبد الرحمن هذا شديد البخل، شديد العارضة، غضب اللسان، وكان يحتج للبخل ويوصي به ويدعو إليه"^(٤)، وقال عن صاحب الثريدة البلقاء بأنه كان يفتن في أحاديثه^(٥)، ومما أشار إليه الجاحظ في قدرة

(١) ينظر: أكرم، "سيكولوجية المال"، ٣١.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٨٦.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١١٣.

(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٣.

(٥) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١١٣.

البخيل اللسانية أنه يمكنه أن يسيطر على معجمه اللغوي، فلا يجري على لسانه إلا ما يخدم مذهبه ونحلته، وكيف أنه يستطيع مع كثرة كلامه وتفننه في أحاديثه أن يتحاشى ذكر الجود، وما يتصل به بسبب^(١).

ولعل هذه المؤهلات اللسانية هي التي دفعته إلى تأليف كتابه البخلاء، وهي ما اصطلاح عليها الجاحظ بـ(النوادر) و(الملح) و(الأعاجيب)^(٢)، ولذلك ركز - كما صرح في مقدمة كتابه - على ما صدر منهم من خطاب، سواء أكان ملحة، أم احتجاجا، أم رسالة، أم كلاما، أم خطبة، فهذه الخطابات على تنوعها تشترك في مجموعة من الميزات الخطابية، ذكرها الجاحظ في قوله: "ثم احتج لذلك بالمعاني الشداد، وبالألفاظ الحسان، وجودة الاختصار، وتقريب المعنى، وبسهولة المخرج، وإصابة الموضع"^(٣)، وهذه الميزات تذكرنا بما أثبتته الجاحظ في البيان والتبيين لمفهوم البلاغة، حيث جعل شروطها موافقة الكلام لمقتضى الحال، ومتانة العبارة، وفصاحة اللفظة، وإصابة المعنى، والبصر بالحجة، وحسن الموقع، واختيار الألفاظ، والإيجاز، الذي هو حذف الفضول وتقريب البعيد^(٤)، من غير استعانة ولا حبسة ولا إعادة، وتخيّر اللفظ في حسن إفهام^(٥)، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه^(٦)، ومنها ما يكون في

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٣٥٣.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧.

(٤) الجاحظ عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، "البيان والتبيين". (د. ط، بيروت: دار

ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ٩١ إلى ٩٩.

(٥) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٢.

(٦) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٣.

الاحتجاج^(١)، والبلاغة إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق^(٢)، والألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد. وكل هذه العناصر مشار إليها في وصفه لمنطق البخلاء، الذي توافرت فيه سمات القوة، على مستوى اللفظ، وعلى مستوى المعنى، ومن ثم حازوا على إعجابه، وإشادته بمؤهلاتهم اللغوية، والتي يمكن أن نصنفها بحسب ما تتعلق به إلى:

- (١) مؤهلات معجمية (الألفاظ الحسان).
 - (٢) مؤهلات تركيبية: جودة الاختصار.
 - (٣) مؤهلات دلالية: تقريب المعنى.
 - (٤) مؤهلات حجاجية: الاحتجاج بالمعاني الشداد، وإصابة الموضع.
- فالنسبة للمستوى المعجمي: فإن المعجم له قدرة كبيرة في تحديد البنيات الدلالية والكشف عن الحقول الدلالية في الخطاب حيث إنه المفتاح الذي يحدد البنيات الأساسية، لهذا كان هو أول ما لفت نظر الجاحظ عند هذه الفئة، التي أوتيت القدرة على اللعب بالكلمات، بتغيير دلالاتها، وتحوير معانيها، لمراوغة المتلقي، واستدراجه حيث تسهل غلبته وحجابه، وهذا التدليس في مدلولات الألفاظ تفرضه الطبيعة البشعة للبخل، الذي ترفضه الطباع الإنسانية السوية، وعليه لم يكن أمام البخل إلا أن يداري سوءة البخل، وفظاعته، ودمامته باللغة.

(١) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٤.

(٢) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١٨٩.

ومن نماذج ذلك عندهم تسميتهم البخل اصلاحا، والشح اقتصادا، والمنع حرما، والجود سرفا، والأثرة جهلا^(١)، ثم هم بعد ذلك يتخيرون معجمهم اللغوي بعناية فائقة، مركزين على الكلمات ذات البعد الإيديولوجي في ثقافة المتلقي، مثل الكلمات التي شاع استعمالها في الحكم والأمثال، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ويعدّ هذا منهم ذكاء ونباهة، لإدراكهم تأثير الخلفية المفاهيمية لمفردات اللغة على توجيه فكر المتلقي وقناعاته.

ثم إنهم لا يعترفون بهذا التبديل، وذلك التدليس، بل إنهم يعدّون ذلك زعما واتهاما من خصومهم، الذين - في نظر البخلاء - هم الذين يجيدون هذا الحيلة (اللعب بالكلمات)، فهم الذين يسمون السرف جودا، والنفج أريحية، وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرما^(٢).

ثم إنهم بعد ذلك يتفننون في اختيار ألفاظهم، حيث كثيرا ما يلجؤون إلى الألفاظ القوية، التي تعينهم على كسب معركة الحوار مع الخصوم، فهذا أحدهم وقد كان - كما وصفه الجاحظ - في جماعة كبيرة والقوم سكوت، والمجلس كبير، يقول مخاطبا هؤلاء جميعا: "حسدت للمقتصدين تديرهم... فالتستم تحجينهم بهذا اللقب، وأدخلتم المكر عليهم بهذا النبز"^(٣)، فلاحظ هنا - وهو في مقام التشنيع على مخالفيه - كيف استعمل معجما تمكنه مفرداته من تحقيق ذلك، وهذه المفردات هي: حسدت، تحجين، المكر، النبز.

وفي مقام آخر يوصي بخيل ابنا له بما يجب أن يلتزم به أثناء الأكل، وهي

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٢٨.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٩٤.

تهديدات أقرب منها إلى الوصايا، وذلك نظرا لطبيعة الألفاظ التي اختارها هذا البخيل لتوجيه ابنه، ومما جاء فيها: "إياك ونهم الصبيان، وشره الزراع، وأخلاق النوائح، ودع عنك خبط الملاحين والفعلة، ونحش الأعراب والمهنة"^(١)، فنلاحظ أن المفردات (نهم، شره، نوائح، خبط، نحش) كلها ألفاظ قوية، فيها من القسوة ما يربو عن مقدرة الموصي (الابن)، ولكن حرص الموصي (البخيل) ونظرته إلى الموضوع أباحا له ركوب مثل هذا المعجم.

وهذا محمد بن أبي المؤمل وهو يدافع عن الجدي المشوي، الذي وُضع بين يديّ القوم، قائلا: إنه "إنما جعل كالعاقبة والخاتمة، وكالعلامة لليسر وللفرغ، وأنه لم يحضر للتمزيق والتخريب، وأن أهله لو أرادوا به السوء لقدموه قبل كل شيء لتقع الحدة به"^(٢)، وهذا ابن التوأم وهو يرافع عن البخل، ويحذر سامعه من إعطاء المساكين: "فاحذر رقاهم، وما نصبوا لك من الشرك، واحرس نعمتك وما دسوا لها من الدواهي، واعمل على أن سحرهم يسترق الذهن ويحتطف البصر"^(٣).

وبالنسبة للمستوى التركيبي: فإن التراكيب اللغوية - كما يقول الحريول - "هي نتاج التفاعل المثمر بين مكوناتها، ذلك التفاعل الذي يجري وفق تناسق تكاملي بين مستويات البناء اللغوي المختلفة"^(٤)، والنظام التركيبي في اللغة العربية يمتاز بسمتين مهمتين لهما علاقة وثيقة بإنشاء الخطاب، هما:

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٦.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٣١.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٢٩.

(٤) الحريول زكي، "قوانين التركيب النحوي وإنشاء القول". المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية، م٢٢، ع٢٤، (٢٠٢١م): ٢٩٢.

- احتواؤه لمولدات الابداع اللغوي، وتنظيمه لها، وهنا يمكن رصد مجموعة من الميزات العامة، مثل: انخفاض صرامة التقعيد لصالح الثراء الدلالي، وكذا الجمع بين سكون النظام وحركية القول، إضافة إلى ممانعة هدر العدول عن الأصول التركيبية لغير فائدة^(١).
- مراعاته لخصوصية الأنواع الخطابية المختلفة، كالشعر والمثل، والوصية، والمساجلة، والمناظرة.

وقد أفصح عبد القاهر الجرجاني بشكل فريد في بيان علاقة قوانين التركيب (النحو) بالمعنى المراد تبليغه من المتكلم، في نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز، وكيف أن مقومات الجهاز القواعدي النحوي تسعف متكلم اللغة بخيارات ثرية ومتجددة تمكّنه من التعبير عن كل أنواع المعاني التي يريدها، فما عليه إلا إحكام المعرفة بقوانين هذه المنظومة القواعدية، ولذلك فرّق بين نوعين من النظم: "ومما يجب إحكامه بعقب هذا الفصل، الفرق بين قولنا: (حروف منظومة)، و (كلم منظومة)، وذلك أن (نظم الحروف) هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ... وأما (نظم الكلم) فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتب المعاني في النفس"^(٢)، وهذه المنظومة القواعدية من الثراء بمكان، تجعل من معطيات التركيب وسيلة لمواكبة طبيعة المعاني والدلالات والمقاصد: "وإذ قد عرفت أن

(١) ينظر: الحريول، "قوانين التركيب النحوي وإنشاء القول"، ٢٩٤.

(٢) الجرجاني عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود محمد شاكر، (ط ٣)، القاهرة-جدة: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ٤٩.

مدار أمر (النظم) على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض^(١). وعليه فإن تعدد الأوجه النحوية ليس مجرد استكثار من تعبيرات لا فائدة وراءها، وإنما لكل وجه دلالة الخاصة، فلا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان مقصدا واحدا.

ونحن إذا دققنا في العبارات التي استعملها بخلاء الجاحظ نجد أنها قد استثمرت القوانين التركيبية للغة الخطاب، وأحسنّت إدارة العلاقات التركيبية المختلفة، من حذف، وتنكير وتعريف، وتقديم وتأخير، ومطابقة ومخالفة، وتتبع كل ذلك في خطاباتهم يخرجني عن هدف البحث، ولكنني سأذكر بعض الميزات التركيبية التي ظهرت لي في حوارات بخلاء الجاحظ، ومن أهمها (القصر)، و(التتالي)، و(التكرار)، كما إنها اعتمدت ما نسميه ب(أفعال الكلام)، أو (الأساليب الإنشائية)، مع استراتيجية (الاستمالة)، وذلك بالظهور بمظهر الناصح المجرب (عبارة: أي بُني).

ومن نماذج التراكم التي توافرت فيها هذه الخصائص المتعددة قول خالد بن يزيد لابنه وهو يوصيه بحفظ ماله: "قد حفظته عليك من فتنة البناء، ومن فتنة النساء، ومن فتنة الثناء، ومن فتنة الرياء، ومن أيدي الوكلاء، فإنهم الداء

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٧.

العياء"^(١)، وهو أسلوب مليء بأدوات التوكيد وصوره، من استعمال لأدوات مثل: (قد، أنّ)، ومن تكرار لفظة (الفتنة)، ومن توالي الجمل القصار.

ثمّ يمعن في الوصية، فيقدم لابنه تحليلاً نفسياً لشخصيته، ثم يلقى إليه بما يجب عليه أن يلتزم به: "وأنت غلام، لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق حزمك، لم تعجمك الضراء، ولم تنزل في السراء والمال واسع، وذرعك ضيق، وليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس، فأثمّ شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك، وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله"^(٢)، وقد اتبع هنا استراتيجية متدرجة، إذ بدأ بإثبات صفات المخاطب وإبرازها (أسلوب تبليغي)، ممهداً به لما سيحقق به الهدف الأساس (الوصية)، وهو الأسلوب الإنشائي، مستعملاً (الأمر): اثمّ، وخف.

ومن نماذجه كذلك قول محمد بن أبي المؤمل -وقد ابتلي بضيف- لخدامه رافعا صوته بالتنويه وبالتشنيع: "هات يا مبشر لفلان شيئاً يطعم منه، هات له شيئاً ينال منه، هات له شيئاً"^(٣)، حتى يوقع الضيف في الحرج فيمتنع.

ومنه أيضاً قول ابن أبي التوأم: "ومدار الصواب على طيب المكسبة، والاقتصاد في النفقة"^(٤)، فهي عبارة مختصرة وواضحة، كثيرة المعنى، بل هي قاعدة حياتية في كسب المال وتصريفه.

وعلى مستوى المعاني والدلالات: فإن الكلام عن المعاني والدلالات

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٧٥.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٧٨.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٣٤.

(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٣٦.

هنا مرتبط بقصد المتكلم (البخيل) أكثر من ارتباطه بقصد اللغة، ذاتها، وقد قال ابن سينا فيما نقله عنه الكفوي: "الإرادة شرط الدلالة، يعني أن الدلالة هي الالتفات من اللفظ إلى المعنى من حيث إنه مراد، فلولا العلم بالإرادة لمعنى من اللفظ لم يتوجه السامع من اللفظ إلى المعنى، فلم تتحقق دلالة لا على المراد ولا على الجزء منه ولا على لازمه"^(١).

وعادة ما يلتزم البخيل المباشرة في خطابه، وتبليغ مقاصده، ولا يلجأ إلى الإيحاء والإشارة إلا قليلا، وفي المواضع التي تفرض عليه ذلك، وإلا فإن حرصه على مصلحته في حفظ ما عنده، واستيساله في ذلك لا يسمحان له بالمجازفة بالتورية والتكنية عن دلالاته ومعانيه، ولذلك فإن عموم ما يجيء على لسانه من الواضح البين، وله في توضيح الفكرة وتقريب المعنى طرق عدة، منها استعماله ما سهل من الألفاظ، وماناسب المتلقي من معان (الكبير، الصغير، الند، الصديق، الغريب..)، ثم هو كثير الاستعانة بالصور التوضيحية، من تشبيه واستعارة وتمثيل، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان أبي عبد الرحمن الثوري في وصيته لولده: "ولا تنهش نهش الأفاعي ولا تحضم خضم البراذين، ولا تدم الأكل إدامة النعاج، ولا تلقم لقم الجمال"^(٢)، فهذه كلها تشبيهات الغرض منها توضيح ما يستهجن من أوصاف الأكل، وكان باستطاعته إخراج الكلام على غير التشبيه، ولكنه حينئذ سيخسر على مستوى وضوح المعنى وتأكيده.

ومن أمثلة ذلك أيضا قول أحدهم: "ولا تكن على نفسك أشأم من خوتعة، وعلى أهلك أشأم من البسوس، وعلى قومك أشأم من عطر

(١) الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، "الكليات". تحقيق عدنان درويش -

محمد المصري، (ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م)، ١٠١٥.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٧.

منشئ^(١).

ومن طرق تقريب المعنى وتثبيته في نفس المتلقي الاستعانة بنصوص ذات مرجعية أيديولوجية عند المتلقي أو تاريخية، كالأستشهاد بالآيات من القرآن الكريم، وبالأحاديث من السنة الشريفة، أو بشيء من الشعر أو الحكم، والأمثال^(٢).

هذا هو الأصل عند البخيل في منطقته وخطابه، يتحرى (المباشرة)، ولكنه في بعض الأحيان القليلة يلجأ إلى التلميح، حيث يتأكد أن المعنى يبلغ المخاطب على الوجه الأكمل، ومثال ذلك قول أحدهم لضيف طارق بعد فراغ المجتمعين من الأكل، وقد مدّ يده ليصيب منه: "أجهز على الجرحى، ولا تعرض للأصحاء"^(٣)، ويقول آخر يخاطب أصحابه الذين يشاركونه أكل تمر وضعه بين أيديهم، وقد انطفأ السراج، وسمع صوت نواتين، فقال: "من هذا الذي يلعب بالكعبين"^(٤)، والكعب فصّ النرد.

ومن مؤهلاتهم في مستوى الدلالات والمعاني (التمويه)، و(استغفال) المتلقي، ومنه قول أبي يعقوب الدقنان: "ما فاتني اللحم منذ ملكت المال"^(٥)، ولذلك فضحه الجاحظ ببيان ما وراء هذا القول، الذي يعطي صورة عكسية عن صاحبه، صورة الموسّع على نفسه، وهو على العكس من ذلك. وعلى المستوى الحجاجي فإنه ليس من العجيب أن تكون الحجة على

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٤٦.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٧، ٢٢٣، ٢٤٧.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٧٠.

(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٩٨.

(٥) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٢.

رأس المؤهلات اللسانية عند البخلاء، وذلك لتوافر دواعي المحاجة في مقاماتهم التواصلية، فالبخيل كما قلت سابقاً، صاحب مذهب غريب في التعامل مع (ممتلكاته)، مذهب يخالف به جمهور الناس، ولذلك فهو مطالب بحشد الأدلة والبراهين على مستوى اللغة قبل كل شيء ليستظهر بما على محاوره في سجاله معه، ولذلك لا نستغرب حينما يجعل الجاحظ من نفائس كتابه التي يمكن للقارئ الوقوع عليها (حجة طريفة) على رأس ما يمكن أن يفيده قارئ كتابه البخلاء، ولا عجب أيضاً أن تتردد مادة (ح، ج، ج) في متن الكتاب بصور مختلفة (احتجاج، احتجاجوا، احتج، يحتج، حجة).

والنفس الحجاجي مبثوث في كل حوارات البخلاء، لا يكاد يخلو منها خطاب، وهو أمر طبيعي، ونتيجة حتمية تفرضها (سطوة) البخل على نفس البخيل، كما تفرضها طبيعة العلاقة التي تجمع البخيل مع محيطه، وهي علاقة متوترة وعدائية، مما جعل البخيل ينهج نهج (الشراسة) مع مخالفيه، والحجاج صورة من صور هذه القساوة في المعاملة، ومن جهة أخرى طبيعة الفكر الذي يحمله البخيل، فهو فكر (مخالف) لما اعتاده الناس من حوله، ومن ثم فإن البخيل مضطر إلى اللجوء إلى المحاجة والمناظرة، والقياس، كما ذهب الجاحظ.

وبما أن الآليات الحجاجية تتجلى في أكثر من صورة، إذ قد تكون أدوات لغوية صرف كألفاظ التعليل، والأفعال اللغوية، والوصف، وقد تكون آليات شبه منطقية ومنها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، وقد تكون آليات بلاغية ويدخل فيها تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة والبديع والتمثيل^(١)، فقد تعددت صور الحجاج وتنوعت، من حجج منطقية إلى

(١) ينظر: عبد الهادي الشهري، "آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه.

حجج لغوية، ومن أمثلة الأولى ما حكاه الجاحظ عن أحمد بن خلف الزبيدي الذي ما فتى أصحابه يلومونه عن بخله، ويرأودونه لإكرامهم، فيجهز لهم طعاما خفيفا، شهيا، بلا ثمن، ودعاهم فلما أكلوا وانتهوا، أقبل عليهم يحاججهم، حجاجات منطقية، لم يستطيعوا منها فكاكا، فقال: "فأنا الساعة أقرب الى الفقر، أم تلك الساعة؟ قالوا: بل أنت الساعة أقرب الى الفقر. قال: فمن يلومني على دعوة قوم قريوني من الفقر، وبعادوني من الغنى"^(١)، فنلاحظ هنا كيف استعمل الحجاج المنطقي لاستدراج مخاطبيه إلى النتيجة التي يريد، وهي نتيجة منطقية، لا يمكن مدافعتها.

ومن أمثلة الثانية استعمال البخيل لنصوص وأسماء ذات بعد أيديولوجي، بحيث لا يستطيع المتلقي نقضها أو الاعتراض عليها، فالبخيل كثيرا ما يستدل بآيات القرآن الكريم، وبنصوص نبوية شريفة، وبأقوال الصالحين والحكماء، والشعراء، ومن في منزلتهم، وقد لخص لنا أحدهم هذا المنحى بقوله: "إني لست أمرك إلا بما أمرك به القرآن: ولست أوصيك إلا بما أوصاك به الرسول، ولا أعظك إلا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضا"^(٢)، فاستعمال البخيل لكل هذه الأنواع من النصوص والخطابات يندرج ضمن الاحتجاج اللغوي، هذا إضافة إلى التقنيات الحجاجية - اللغوية خاصة - التي كثيرا ما يقوي بها البخيل مخاطباته، مثل: ألفاظ التعليل، والفعال اللغوية، والوصف، إضافة إلى

=

ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إشراف: د. حافظ

إسماعيلي علوي، (د. ط: إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ١: ٧٩.

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٦٨.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٤٩.

الأنواع الأخرى من صور الحجاج، كالصور البيانية، والسلم الحجاجي. فمثلا فيما يتعلق بالسلم الحجاجي وهو الذي يقوم على العلاقة التراتبية بين حجج متعددة تتأزر لإثبات نتيجة ما، أو هو ما تعامل مع فئة حجاجية موجهة^(١)، تمثل بقول أبي عبد الرحمن لابنه: "أي بني! إن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق، وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير. والعشرات تفتح عليك أبواب المئين، والمئون تفتح عليك أبواب الألوف، حتى يأتي ذلك على الفرع والأصل ويطمس على العين والأثر، ويحتمل القليل والكثير"^(٢).

وكذلك من تقنيات الحجاج عند بخيل الجاحظ أنه حريص على ذكر العلل للظواهر التي يتناولها، وذكر العلة باب كبير من أبواب الاقتناع، ومن نماذجه قول أحمد بن خلف اليزيدي الذي يخاطب الجاحظ مقترحا عليه تدبير حياته: "أنظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثة، فإنها عظيمة البركة كثيرة الفوائد، وهي تنوب عن الغداء، ولها نفخة تغني عن العشاء. وكل شيء من الإحساء فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء، ومن تحسى الحار عرق، والعرق ينفض الجلد ويخرج ضرّ الجوف، وهي تملأ النفس وتمنع من التشهي، وهي أيضا تدفئ، فيقوم ذلك في أجوافهم مقام فحم الكانون من خارج. وحسو الحار يغني عن الوقود، وعن لبس الحشو، والوقود يسود كل شيء وينتنه، وهو سريع في الهضم، وصاحبه بعرض حريق، ويذهب في ثمنه المال

(١) ينظر: العزاوي أبو بكر، "الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط: إريد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ١: ٥٩.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٣.

العظيم، وشر شيء فيه أن من تعود له لم يدفنه شيء سواه، فعليك يا أبا عثمان بالمثلثة، واعلم أنها لا تكون إلا في منازل المشيخة، وأصحاب التجربة، فخذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق"^(١)، ففي هذا الحوار حاول اليزيدي أن يقنع مخاطبه بما يراه من خلال:

- تعداد الوصف.
 - التدرج فيه.
 - ذكر العلل والفوائد.
 - عضدها بحجة خارجية "واعلم أنها لا تكون إلا في منازل المشيخة وأصحاب التجربة".
 - الاستمالة العاطفية: "فخذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق".
- ولا يخفى علينا من خلال النماذج السابقة أن احتجاج البخيل كله حجاج مغالطي، يستमित فيه البخيل للدفاع عن مذهبه في الحياة، هذا المذهب الذي لا يلقي قبولا عند الأسوياء من عامة الناس، فضلا عن كبرائهم، ولذلك لا يمكن أن نتكلم عن الاقتناع هنا، بل هو حجاج من طرف واحد يسوقه صاحبه بغية تحقيق الإذعان والتسليم عند المتلقي، هذا الإذعان وذاك التسليم كثيرا ما يكون جراء قوة المغالطة، أو قوة الاحراج النفسي أو المقامي، كقوة المغالطة في خطاب اليزيدي مع ضيوفه وقد مرّ بنا، ومن أمثلة الاحراج النفسي واستغلال المقام استغلالا مأكرا، ما حكاه الجاحظ عن ابن أبي كريمة واعتراضه على الجاحظ كيف يتوضأ بكوز من خزف، فقال: "سبحان الله تتوضأ بالعذب، والبئر لك معرضة؟ قلت: ليس بعذب، إنما هو من ماء البئر،

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٦٧.

قال: فتفسد علينا كوزنا بالملوحة، فلم أدر كيف أتخلص منه" (١)، ومن أمثلته أيضا ما حكاه عمرو بن نُميوي وكان يتغدى عند الكندي، إذ دخل عليهم جار للكندي وصديق لعمرو، فاستحيا عمرو منه وعرض عليه الطعام، فأجاب الجار: قد والله فعلت، فابتدروهم الكندي، بعدما ظفر منه بهذه العبارة، قائلا: "ما بعد الله شيء"، ويعلق عمرو بعدما رأى من حال هذا الجار: "فكتفه، والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا، وتركه، ولو مد يده لكان كافرا، أو لكان قد جعل مع الله، جل ذكره، شيئا" (٢).

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٣٧.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٣٨.

الخاتمة:

بعد هذا التحليل الذي أخضعت له (الكفاءة التواصلية) في صلتها ببخلاء الجاحظ، وبعد مناقشتي للأبعاد المختلفة لظاهرة البخل باعتبارها من أهم محفزات القدرات اللغوية عند البخيل، أصل الآن إلى حصر أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. (الكفاءة التواصلية) مفهوم متعدد الجوانب، وهي أوسع من (الكفاءة اللسانية).

٢. إن (البخل) شأنه شأن باقي أخلاق الفرد الأخرى، لها أبعاد نفسية بالدرجة الأولى.

٣. إن (البخل) في المجتمع المدني، تحول إلى ظاهرة معقدة، من حيث الأسباب ومن حيث الآثار.

٤. أصبح (البخل) في زمن الجاحظ مذهباً أيديولوجياً، له أنصاره، وله فلسفته.

٥. كان (للـبـخـل) تأثير كبير على نفسية بخلاء الجاحظ، وظهر ذلك على عدة مستويات، منها المستوى التواصلية.

٦. أدت (سطوة البخل) إلى تحفيز القدرات التواصلية عند بخلاء الجاحظ.

٧. تكونت (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء الجاحظ من ثلاثة أنواع من الكفاءات الفرعية: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية، والكفاءة اللسانية.

٨. كان لكل كفاءة من الكفاءات الفرعية المذكورة مظاهر وآليات، فالكفاءة الاجتماعية مثلاً كان من مظهرها الاختلاط المادي مع

العزلة الشعورية عند البخيل، كما اتسمت بـ(العدائية، والصراع)، وكان من مظاهر الكفاءة الذهنية الذكاء الشديد، والفتنة العجيبة، والمعرفة الواسعة، والثقافة المتنوعة، وكان من مظاهر الكفاءة اللسانية براعة التصرف في مدلولات الألفاظ، وحسن انتقاء المفردات المناسبة لتحقيق المراد، واعتماد تقنيات الاختصار، وجودة المخارج، على مستوى التراكيب، والوضوح وتكثيف الدلالة على مستوى المعاني، واعتماد البعد الحجاجي في محاورة المخالفين عن طريق الوسائل اللغوية، وشبه المنطقية، ضمن استراتيجية المغالطة.

المصادر والمراجع:

أكرم زيدان، "سيكولوجية المال: هوس الثراء، وأمراض الثروة". (الكويت: عالم المعرفة، رقم ٣٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨م).

إيمان عوض محمد فيود، "البخل المعرفي وعلاقته بالتحيزات المعرفية وما وراء الانفعال"، مجلة الإرشاد النفسي، م١، ع٧٦، (٢٠٢٣م)، ٣٠٤. الجاحظ عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، "البيان والتبيين". (د. ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، "البخلاء". (ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٩هـ).

الجرجاني عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة-جدة: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

جونيز فيليب، "الكفاءات والسوسيونائية". ترجمة الحسين سحبان، (ط١، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ٢٠٠٢م). الجويلي محمد، "نحو دراسة في سوسيولوجية البخل". (د. ط، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٠م).

الحريرول زكي، "قوانين التركيب النحوي وإنشاء القول". المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية، م٢٢، ع٢٤، (٢٠٢١م)، ٢٩٢. الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين (ت ٥٠٢هـ)، "المفردات في غريب القرآن". ط١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (د. ط، دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

- رشدي محمد خليل، "الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية البخيل"، مجلة أوراق كلاسيكية، ع ١٨، (٢٠٢١م)، ٦٣٣.
- الشهري عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية". (ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).
- الشهري عبد الهادي، "آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).
- الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (د. ط، مكة المكرمة: دار الترتيب والتراث، د. ت).
- طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو النكوتر العقلي". (ط ١، المغرب الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).
- طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام". (ط ٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م).
- العزاوي أبو بكر، "الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).
- عزت السيد أحمد، "فلسفة الأخلاق عند الجاحظ". (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م).
- علاء الدين رمضان، "صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء". (د. ط، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣م).
- علي عبد الرحيم صالح، وحسام محمد مشد، "الكفاءة الاجتماعية وعلاقتها

- بفاعلية الذات لدى طلبة الجامعة"، *المجلة العربية لعلم النفس*، جامعة القادسية، العراق، ٣٤، (٢٠١٧م)، ٢٦.
- عمر ثامر حسن، ومظهر عبد الكريم سليم، "البخل المعرفي عند طلبة الجامعة". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية*، ٩١٤، (٢٠٢٢م)، ٤٣.
- أبو عمشة خالد حسين، "الكفاية التواصلية بين تعددية النماذج وتناص الدلالة"، ضمن كتاب: القدرة التواصلية وتطبيقاتها في تدريس اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها: قضايا وإشكالات، مجموعة من المؤلفين، تحرير محمد إسماعيلي علوي، (ط١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢م)، ١٧٣.
- العوا عادل، "أسس الأخلاق الاقتصادية". (د. ط، دمشق: منشورات جامعة دمشق، المطبعة الجديدة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٩٢.
- غريماس، وفونتي، "سميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس". ترجمة سعيد بن كراد، (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م).
- فرج عبد القادر طه وآخرون، "معجم علم النفس والتحليل النفسي". (ط١، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت).
- قادري محمد، "مخالفة الأنساق الثقافية العربية في رسالة (فخر السودان على البيضان) للجاحظ أفنودجاً"، *مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)*، مج ٣٧، ٧٤، (٢٠٢٣م)، ١٢٧٧.
- الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، "الكليات". تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).
- مالكية بلقاسم، "كلام بكلام، التداولية من منظور بخلاء الجاحظ". *مجلة الأثر*، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ١٢٤، خاص بأشغال

- الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، (٢٠٠٧م)، ٢٨١.
- المتوكل أحمد، "آفاق جديدة، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي". (ط١، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٣م).
- ابن المقفع عبدالله (ت ١٤٢هـ)، "الأدب الكبير والأدب الصغير". (د. ط، بيروت: دار صادر، د. ت).
- الملاخ أحمد، "التواصل أسسه اللسانية ومقتضياته المعرفية". مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، م١، ع٢، (٢٠١٧م)، ١٩٢.
- منسي محمود عبد الحليم وآخرون، "الكفاءة الاجتماعية: المفهوم- المكونات- النظريات المفسرة". مجلة العلوم التربوية، كلية التربية بالغرقة، جامعة جنوب الوادي، م٢، ع٣، (٢٠١٩م)، ٣٧١.
- النص إحسان، "إبداع الجاحظ في كتاب البخلاء". دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، مج٨٣، ع٤، (٢٠٠٨م)، ٧٥٧.
- نھاري حورية، "الكفاءة: مقاربات متعددة لمفهوم رحال". مجلة العملة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ١/٧، (٢٠٢٣م)، ٢٣٤.

Bibliography

- Akram Zidān. **The Psychology of Money: The Obsession with Wealth and the Illnesses of Affluence (in Arabic)**. Kuwait: *Ālam al-Ma'rifah*, No. 351, National Council for Culture, Arts and Literature, 2008.
- Emān 'Iwaḍ Muḥammad Fayūd. "**Cognitive Miserliness and Its Relationship to Cognitive Biases and Meta-Emotion**" (in Arabic), *Journal of Psychological Counseling*, Vol. 1, Issue 76, (2023), p. 304.
- Al-Jāḥiẓ, 'Amrū bin Baḥr. "**al-Buḫḫalā**". (2nd ed., Beirut: Al Hilal Bookstore and press, 1419 AH).
- Al-Jāḥiẓ, 'Amrū bin Baḥr. "**al-Bayān wa Tabyīn**", (2nd ed., Beirut: Al Hilal Bookstore and press, 1423 AH).
- Al-Jurjānī 'Abd al-Qāḥir. "**Dalā'il al-I'jāz**". investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir Abū Fihri. (3rd ed. Jeddah - Saudi Arabia: Printing press al-Madanī, - Dār al-Madanī, 1992).
- Jones Philip. "**Competencies and Socioconstructivism**" (in Arabic), trans. al-Husain Saḥbān, (1st ed., Casablanca: *Sharikah al-Nashr wa al-Tawzi' al-Madāris*, 2002).
- Al-Juwailī Muḥammad. *Toward a Study in the Sociology of Stinginess (in Arabic)*. (Cairo: al-Dār al-'Arabīyah lil-Kitāb, 1990).
- Zaki al-Ḥariyūl, "The Laws of Syntactic Structure and the Construction of Utterance" (in Arabic), *King Faisal University Journal: Humanities and Management Sciences*, Vol. 22, No. 2, (2021), p. 292.
- Al-Raghib Al-Asfahaani Abu al-Qasim al-Ḥusain. "**al-Mufradāt fī Gharīb al-Qura'ān**". investigated by: Ṣafwān 'Adāwdī. (1st ed., Damascus- Beirut: Dār alqalam, al-ṣhāmya-, 1412).
- Rushdī Muḥammad Khalīl, "The Psychological and Social Dimensions of the Miser's Personality" (in Arabic), *Classical Papers Journal*, Issue 18, (2021), p. 633.
- Al-Sāmūrā'ī Faḍīl. "**Ma'ānī al-Naḥw**". (1st ed., Amman, Jordan: Dār al-Fikr, 2000).
- Aṣṣehrī 'abd alḥādī bin ḍāfer. "**estrāṭijeyāt alḳeṭāb muqāraba luḡhawiya tadāwulya**". (1st ed, Beirut, Lebanon: dār

- al-*ketāb al-jadīd al-muttaḥeda*, 2004).
- al-Shahrī, ‘Abd al-Hādī. “Mechanisms and Tools of Argumentation” in *Argumentation: Its Concept and Domains — Theoretical and Applied Studies in New Rhetoric* (in Arabic), ed. Dr. Ḥāfiẓ Ismā‘īlī ‘Alawī, (Irbid: ‘Ālam al-Kutub al-Ḥadīth, 2010).
- al-Shahrī, ‘Abd al-Hādī “Discourse Strategies: A Linguistic-Pragmatic Approach (in Arabic), (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2004).
- Al-Ṭabarī: Abū Ja‘far, Muḥammad bin Jarīr. “**Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl ‘āyi al-Qura’ān**”. (Saudi Arabia, Mecca: Dār al-Tarbiyah wa Turāth).
- Taha ‘Abdurrahman. “**al-lisān wa-al-Mizān aw al-Takawthur al-‘Aqlī**”. (1st ed., Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center. 1998).
- Taha ‘Abdurrahman. “**fi ‘Uṣūl al-Ḥiwār wa Tajdīd ‘Ilm al-Kalām**”. (2nd ed., Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center, 2000).
- Al-‘Azāwī Abūbokr. *Argumentation in Language*, in *Argumentation: Its Concept and Domains — Theoretical and Applied Studies in New Rhetoric* (in Arabic). Supervised by Ḥāfiẓ Ismā‘īlī ‘Alawī. (Irbid Jordan: ‘Ālim al Kutub al Ḥadīth, 2010).
- ‘Ezat al-Sayyid Aḥmad. “**Falsfat al-Aḫlāq ‘enda al-Jāḥeiz**”. (Damascus: Arab Writers Union, 2005).
- ‘Alā’ al-Deen Ramaḍan. “**Ṣurat al-Mujtama‘ al-‘Abāsī fi Kitāb al-Buḫhalā’**”. (Jeddah - Saudi Arabia: Cultural Literary Club, 2003).
- ‘Alī ‘Abdurrahīm Sāleḥ and Ḥusām Muḥammad Mashad. “Social Competence and Its Relationship to Self-Efficacy among University Students,” *The Arab Journal of Psychology*, University of Al-Qadisiyah, Iraq, Issue 3, (2017) (in Arabic).
- ‘Omar Thāmir Ḥasan, and Maḍhar ‘Abdu lkarīm Salīm. “Cognitive Miserliness among University Students” (in Arabic). *Diyala Journal for Humanitarian Research*, Issue 91, (2022), p. 43
- Abū ‘Amsha Khāled Ḥusain, “Communicative Competence Between Model Plurality and Intertextual Meaning,” in

- Communicative Competence and Its Applications in Teaching Arabic to Native and Non-Native Speakers: Issues and Challenges (in Arabic), a collective volume, edited by Muḥammad Ismā'īl 'Alawī, 1st ed., Amman: Dār Kunūz al-Ma'rifah, 2022.
- Al-'Awa 'Ādil. "**Usus al-Aḫlāq al-Iqtisādiya**". (Damascus: publications of Damascus university, al-Maṭb'atu al-Jadīdah, 1983). 92.
- Greimas and Fontanille, "The Semiotics of Passions: From States of Things to States of Mind", trans. Sa'īd bin Krād, (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2010).
- Faraj 'Abd al-Qādir Ṭaha and others. "**Mu'jam 'Ilm al-Nafs wa-al-Taḥlīl al-Nafsī**". (1st, Beirut: Dār al-Nahḍa al-Arabiya).
- Qādrī Muḥammad. "Challenging Arab Cultural Norms in al-Jāḥiẓ's Boast of the Blacks over the Whites as a Case Study" (in Arabic). An-Najah University Journal for Research (Humanities), Vol. 37, No. 7, (2023), p. 1277 .
- Al-Kafawī Abū al-Baqā' al-Ḥanafī. "**al-Kulliyāt**". investigated by: 'Adnān Darwīsh - Muḥammad al-Maṣrī, (2nd ed., Beirut, Lebanon: Al-Risala Foundation, 1998).
- Mālīkiya Balqāsīm. "**Kalām be-Kalām, al-Tadāwuliya min Mandhūr Buḫhalā' al-Jāḥiẓ**". al-Aṭhar journal, University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria, Issue 12, Special to the Proceedings of the Fourth International Conference on Discourse Analysis, (2007), 281.
- Al-Mutawakil Aḥmad. "**Āfāqun Jadīda, fī Naḍhariyati al-Naḥw al-Waḍḥīfī**". (1st ed., Rabat: Publications of the Faculty of Arts and Humanities, 1993).
- Ibn al-Muqafa' 'Abdullah. "**al-Adab al-Kabīr wa al-Adab al-Ṣaḡhīr**". (Beirut, Lebanon: Dār Sādir).
- Al-Malākh Muḥammad. "**Communication: Its Linguistic Foundations and Cognitive Requirements**" (in Arabic). *Ansāq Journal*, College of Arts and Sciences, Qatar University, Vol. 1, No. 2, (2017), p. 192
- Mansī Maḥmūd 'Abd al-Ḥalīm and others. "Social Competence: Concept, Components, and Explanatory Theories" (in Arabic). *Journal of Educational Sciences*, Faculty of Education in Hurghada, South Valley University, Vol. 2,

No. 3, (2019), p. 371

Annaṣ Iḥsān. "'**Ibdā' al-Jāḥiẓ fī Kitāb al-Buḫhalā'**". Journal of the Arabic Language Academy Damascus: vol 83, issue 4, (2008): 757.

Nahārī Ḥuriya. "**Competence: Multiple Approaches to Raḥḥāl's Concept**" (in Arabic). *Al-'Umda Journal for Linguistics and Discourse Analysis*, Vol. 7, No. 1, (2023), p. 234

Cavell, T. A. "**Social adjustment, social performance, and social skills: A tri-component model of social competence**". Journal of Clinical Child Psychology, (1990): 19(2).

Hymes, D. **Foundations in Sociolinguistics: An ethnographic approach**. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1974. Pp. x+245. Published online by Cambridge.

Lyons John. "**Semantics**". Cambridge: Cambridge University Press, 1979.

Mounin, Georges. "**Dictionnaire de la linguistique**". (4e édition; France :Puf Quadrige, Presses universitaires de France, 1995.

Peretti Jean Marie. "**Gestion Des Ressources Humaines**". (21st edition. Paris: Vuibert. Paris. 2016.

القهوة بين الماضي والحاضر

رحلة لغوية في عالم المشروب الأكثر شعبية

Coffee Then and Now
A Linguistic Journey into the World of the Most
Popular Beverage

عبد الوهاب بن محمد الغامدي

أستاذ فقه اللغة المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة الباحة

البريد الإلكتروني: asmgmoas@gmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/05/05		استلام البحث A Research Receiving 2025/02/05
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-006		

مستخلص البحث

هذه دراسة بعنوان:

«القهوة بين الماضي والحاضر، رحلة لغوية في عالم المشروب الأكثر شعبية». تأتي أهمية هذه الدراسة من جدتها وعنايتها الشاملة بدراسة المشروب الأكثر شعبية؛ «القهوة» دراسة لغوية، حيث سلّطت الدراسة الضوء على الجوانب اللغوية المرتبطة بالقهوة، قديماً وحديثاً بشكل شامل، لفهم تطور الألفاظ واشتقاقاتها، ودلالاتها عبر العصور والثقافات.

الدراسة تتكون من مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة، وقد تمحّضت فيها المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي لغوياً وتاريخياً، حيث تتبعت المفردات المتعلقة بالقهوة، وعرضت عدداً كبيراً منها، ودرست أصولها واشتقاقاتها ودلالاتها، وذكرت تطورها في اللغات الأخرى، والمفردات الجديدة التي ارتبط ظهورها بظهور «القهوة». ومما خلص إليه البحث ما يلي:

العلاقة بين المفردات المرتبطة بالقهوة وعادات أهلها علاقة وثيقة. أسماء القهوة وأنواعها تطورت وتغيرت بتأثير التقاليد المحلية والعولمة، وهو ما أضاف أبعاداً جديدة للهوية اللغوية والثقافية. الكلمات المفتاحية: القهوة، أدوات القهوة، أنواع القهوة، رحلة لغوية.

Abstract

Coffee Then and Now: A Linguistic Journey into the World of the Most Popular Beverage. The significance of this study stems from its novelty and comprehensive approach to analyzing the world's most popular beverage from a linguistic lens. It examines the linguistic aspects of *coffee*, both past and present, tracing the evolution of terms and their meanings across time and cultures. The study consists of an introduction and three main sections, followed by the conclusion, findings, and recommendations. It employs a descriptive, analytical, and inductive approach, both linguistically and historically, to trace vocabulary related to coffee, highlight specific examples, and examine their origins, derivations, and meanings. Additionally, it explores the development of this vocabulary in other languages and highlights the emergence of new terms associated with the appearance of *coffee*. The study concludes that *coffee*-related vocabulary is closely tied to the traditions of people. The tools for making *coffee*, its serving venues and preparation methods carry cultural connotations, reflecting the characteristics of the societies that consume it. Furthermore, the evolution of coffee names and types has been shaped by local traditions and globalization, introducing new dimensions to linguistic and cultural identity.

Keywords: coffee, coffee tools, coffee types, linguistic journey.

المقدمة

القهوة ليست مجرد مشروب يومي يستمتع به الناس حول العالم، بل هي رمز ثقافي يحمل في طياته تاريخاً طويلاً من التقاليد والعادات التي تختلف من أمة إلى أخرى، فمنذ أن انتشرت القهوة من موطنها الأول إلى بقية العالم أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية للمجتمعات، والمفردات المرتبطة بالقهوة تكشف عن تنوع لغوي وثقافي كبير، بدءاً من أسماء الأدوات المستخدمة لتحضيرها، مروراً بآماكن تناولها، وصولاً إلى أنواعها المختلفة.

هذه الدراسة تحاول إظهار العلاقة بين المفردات المرتبطة بالقهوة وتاريخ انتشارها عالمياً، وتهتم بدراسة الأدوات وأماكن تقديم القهوة التي تحمل الكثير من الدلالات الثقافية، والتي تعكس طبيعة المجتمعات، حيث تطورت أسماء القهوة وأنواعها بتأثير التقاليد المحلية والعولمة، مما أضاف أبعاداً جديدة للهوية اللغوية والثقافية .

كما تؤكد الدراسة على أهمية القهوة باعتبارها إرثاً ثقافياً ولغوياً، وتؤكد على التعريف بأهميتها الثقافية والاجتماعية، وتهدف إلى ملاحظة التطور اللغوي للقهوة ومكانتها عبر العصور، وتحليل ذلك لغوياً واجتماعياً وتاريخياً.

مشكلة البحث:

هذه الدراسة تسلط الضوء على الجوانب اللغوية المرتبطة بالقهوة، قديماً وحديثاً، لفهم تطور الألفاظ ودلالاتها عبر العصور والثقافات، وكذلك اشتقاقات أسماء القهوة عموماً، والأسماء الحديثة منها خصوصاً، وتركز الدراسة على المشكلة التالية:

تأثير وتأثر اللغة العربية باللغات الأخرى قديماً وحديثاً فيما يتعلق بمصطلحات «القهوة»، ويتفرع عن ذلك دراسة القهوة في التراث العربي، ودراسة ما يتعلق بها من ألفاظ ومصطلحات لغوياً، ومدى الارتباط بين المسميات والثقافات، ونتج عن ذلك التساؤلات الآتية:

كيف تطورت كلمة «القهوة» وانتقلت إلى اللغات الأخرى؟
وكيف أثرت العولمة على مسميات القهوة؟ وما هو الارتباط بين تلك المسميات والثقافات؟

ما أصول المفردات والأسماء المتعلقة بالقهوة قديماً وحديثاً؟

أهداف البحث:

- ١- استكشاف الألفاظ اللغوية المرتبطة بالقهوة في التراث العربي والعالمي.
- ٢- جمع المسميات المتعلقة بالقهوة ومعرفة أصولها، والتعريف بها لربط الأجيال بتراثهم الثقافي واللغوي القديم والحديث.
- ٣- توثيق تطور أسماء أدوات تحضير القهوة وأماكن تقديمها.
- ٤- تحليل تلك المفردات لغوياً وثقافياً واجتماعياً وتاريخياً.

خطة البحث:

رُتبت الدراسة على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أما المقدمة؛ فتشير إلى أهمية البحث، ومشكلته، وخطة البحث، والمنهج المتبع في كتابته.
المبحث الأول: معنى القهوة والبنّ، وتطور الكلمة وانتقاله إلى اللغات الأخرى.
المبحث الثاني: القهوة في التراث العربي، واستعمال المسلمين وغيرهم لها.
المبحث الثالث: دراسة لغوية تحليلية للمصطلحات المرتبطة بـ«القهوة» في الماضي والحاضر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القهوة في الماضي.

المطلب الثاني: القهوة في الحاضر.

منهج كتابة البحث:

نُحِجُ في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي، حيث درست مُفردة القهوة لغوياً، وعرضت كثيراً من المفردات المرتبطة بها قديماً وحديثاً، ودرست جذور

وأصول الكثير منها، وقدمت نبذةً عن تاريخ القهوة وتطور دلالتها، مراعيًا آداب البحث، وأمانة النقل، بما يتوافق مع أعراف البحوث العلمية، راجيًا من الله تعالى أن يغفر لنا الخلل والزلل.

الدراسات السابقة:

وقفت على مجموعة من الدراسات تلتقي مع بعض موضوعات هذه الدراسة، وأبرزها قُربًا من الدراسة:

- دراسة «السمات الدلالية لكلمة القهوة في معانيها الرئيسة» لهدى فتحي عبدالعاطي. تحدثت عن التحولات الدلالية التي مرت بها كلمة «القهوة» منذ نشأتها، وركزت الدراسة على:

١. المعنى الأصلي: ارتباط الكلمة في البداية بمشروب يُذهب الشهية في اللغة العربية القديمة.

٢. التطور الدلالي: انتقال الكلمة للإشارة إلى مشروب البنّ الشائع في الثقافة العربية والعالمية.

٣. التحليل اللغوي: دراسة اشتقاقات كلمة «القهوة» وتغير استخدامها في السياقات المختلفة.

فدراسة الباحثة هدى عبدالعاطي تركز على لفظة «القهوة» وتطورها الدلالي من حيث استخدامها القديم بمعنى الخمر واستخدامها الحالي بمعنى قهوة البنّ، ولم تتطرق لما نحن بصدد من شمولية.

- رحلة لسانية مع دلالة القهوة بين الواقع اللغوي والموروث المعجمي لمودن إبراهيم. مقال في موقع الشرق الأوسط تحدث باختصار شديد عن القهوة وذكر تعريف (البنّ) ولم تتقاطع مع الدراسة الحالية في أيّ من الجوانب الأخرى.

المبحث الأول: معنى القهوة والبنّ، وتطور الكلمة وانتقالها إلى اللغات الأخرى

القهوة أم البنّ؟

البنّ: القهوة، شرابٌ مُتَّخَذٌ مِنَ البُنِّ.
والبنّ: حَبُّ شَجَرٍ مِنَ الفَصِيلَةِ القَوِيَّةِ^(١) يُقْلَى ثُمَّ يَطْحَنُ وَيَتَّخَذُ مِنْهُ شَرَابٌ مُنْبِّهٌ يَسْمَى القَهْوَةَ، وأهم مصادره: اليمن والحبشة والبرازيل.
وشجرة البنّ: جنس شجر من فصيلة القَوِيَّاتِ، مهددة الأصلي الحبشة، أوراقه دائمة الخضرة، أزهاره بيض، حَبُّه صغير، ينمو في المناطق الحارّة^(٢).
القَهْوَةُ: من الفعل «أَفْهَى»: دَامَ عَلَى شُرْبِ القَهْوَةِ. والقَهْوَةُ: الحَمَرُ، يُقَالُ: سَمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُقْهِي شَارِبَهَا عَنِ الطَّعَامِ، أَيْ تَذْهَبُ بِشَهْوَتِهِ؛ كَمَا فِي الصِّحَاحِ، أَيْ تُشْبِعُهُ^(٣). قال الزبيدي: «هذا هو الأصل في اللغة ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى مَا يُشْرَبُ الْآنَ مِنَ البُنِّ لثَمَرِ شَجَرٍ بِالْيَمَنِ، يُقْلَى عَلَى النَّارِ قَلِيلًا ثُمَّ يَذُقُّ، وَيُعْلَى بِالماءِ»^(٤). وقال أيضًا: «البنّ ثَمَرُ شَجَرٍ بِالْيَمَنِ يُغْرَسُ حَبُّهُ فِي أَذَارٍ وَيَنْمُو وَيُقَطَّفُ فِي

(١) هي فصيلة نباتية من رتبة الجنطيانيات من ثنائيات الفلقة. تضم الفصيلة ٦١١ جنسًا أهمّها البنّ.

(٢) د. أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط ١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٣: ١٨٦٧.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م). (قها) ٦: ٢٤٧٠.

(٤) محمد مرتضى الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: عبدالستار فراج وجماعة من المختصين، (د. ط، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٦٥-٢٠٠١م)، ٣٩: ٣٧١.

آب، وَيَطُولُ نَحْو ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ عَلَى سَاقٍ فِي غِلَظِ الإِبْهَامِ وَيُزْهِرُ أَيْضُ يَخْلَفُ حَبًّا كَالْبَنْدَقِ وَرُبَّمَا تَقَرَّطَحَ كَالْبَاقِلَا، وَإِذَا تَقَشَّرَ انْقَسَمَ نَصْفَيْنِ وَقَدْ شَاعَ الْآنَ اسْمُهُ بِالْقَهْوَةِ إِذَا حُمِّصَ وَطُبِّخَ بِالْغَا»^(١).

وقيل: إِنَّ استخدام القهوة بمعنى الخمر تحول في نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حيث أصبحت تطلق على شراب يصنع من ثمرة شجرة البن^(٢).

وربط بعضهم تسمية شراب البن بـ«القهوة» بموطن زراعة شجرة القهوة «البن»؛ كافا^(٣) Kaffa، فزعموا أن كلمة «قهوة» تعود إلى «كافا» أي أن الكلمة تعود إلى أصل أفريقي، ولكن هذا الافتراض يُدحض بأن «القهوة» كلمة عربية في الأصل كانت تُطلق على الخمر^(٤).

جاء في دائرة المعارف الإسلامية: «القهوة كلمة عربية ليس لها أصل لغوي مؤكد وتعني البن». وكانت الكلمة تطلق أساسًا على الخمر^(٥).

تطور الكلمة في اللغات الأخرى (التركية، اللاتينية، الأوروبية) تأثير الأصل العربي:

كلمة «القهوة» في اللغة العربية - كما مضى - تشير إلى أحد أنواع المشروبات

(١) الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". ٣٤: ٢٨٣.

(٢) ينظر: م. ت. هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية". إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية (ط١)، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨م)، ٢٧: ٨٣٩٠.

(٣) منطقة كافا تقع في إثيوبيا، وتنمو بها أجود أنواع القهوة.

(٤) هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٧: ٣٩٠.

(٥) المرجع السابق ٢٧: ٣٩٠.

التي كان يُعتقد أنها تساعد على تقليل الشهية، وأصل الكلمة قد يرتبط بالفعل «فَهْي» بمعنى قَلَّتْ شهيته، ومنها تطورت لتشير إلى مشروب القهوة المعروف حاليًا. لم تلبث كلمة «القهوة» أن واصلت انتقالها إلى اللغات الأوروبية من خلال الاتصال التجاري والثقافي، وأخذت مكانها في كل لغة بما وفقًا لقواعد أهل كل لغة. ويمكن تلخيص ذلك كما يلي^(١):

ففي اللغة التركية؛ تسمى «كاهفي cahve»، حيث انتقلت إلى اللغة التركية في العهد العثماني، وأصبحت جزءًا من الثقافة اليومية في الإمبراطورية العثمانية. وفي اللاتينية؛ لم يكن هناك لفظ لاتيني أصيل «للقهوة»، فاستُخدمت الكلمة كما هي تقريبًا، وقد دخلت إلى اللاتينية عن طريق اللغة التركية أو العربية في أواخر العصور الوسطى، وظهرت في النصوص اللاتينية كـ «café» أو «coffeum». أما في اللغات الأوروبية الأخرى؛ فقد انتقلت كلمة «القهوة» إلى اللغات إليها بعد اختلاط الأوروبيين بالعثمانيين والتجار العرب. ومن تلك اللغات:

- الإيطالية: ظهرت الكلمة «caffè»، وهي قريبة من النطق التركي.
- الفرنسية: تطورت الكلمة إلى «café»، وأصبحت أيضًا تشير إلى المقاهي.
- الإسبانية: أخذت الكلمة شكل «café».
- الإنجليزية: دخلت كلمة القهوة إلى الإنجليزية في أواخر القرن السادس عشر، وأصبحت تُنطق «Coffee»، متأثرة بالنطق الهولندي «Koffie».
- الألمانية: ظهرت الكلمة كـ «Kaffee»، متأثرة بالفرنسية والهولندية.

(١) ينظر: Oxford English Dictionary؛ ومعجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary، "استرجعت بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٢٥م" من موقع oed.co؛ و etymonline.com.

إذًا؛ كلمة «القهوة» كلمة عربية انتقلت إلى اللغة التركية أولاً، ثم واصلت انتقالها إلى اللغات الأوروبية من خلال الاتصال التجاري والثقافي، وأخذت مكانها في كل لغة بما يناسب نطق وقواعد أهل تلك اللغة، محافظةً على الأصل العربي، وهو ما يظهر التأثير الثقافي الكبير للغة العربية والحضارة الإسلامية في هذا المجال. وهذا ما تؤكدُه هذه الدراسة من أن كلمة القهوة عربية أصيلة انتقلت إلى جميع اللغات المذكورة آنفاً، وقد أكدته المعاجم الأجنبية المطبوعة والإلكترونية. مثل:

Oxford English Dictionary؛ ومعجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary، و oed.co ؛ و etymonline.com .

وأما من يزعم بأن الكلمة ترجع إلى أصلٍ أفريقي ويربط تسمية شراب البُن بـ«القهوة» بموطن زراعة شجرة «البُن»؛ كافا Kaffa، فربطٌ مدحوض بأن «القهوة» كلمة عربية في الأصل كانت تُطلق على الخمر كما سبق.

المبحث الثاني: القهوة في التراث العربي، واستعمال المسلمين وغيرهم لها

وردت الإشارات إلى القهوة في النصوص الأدبية والشعر العربي القديم، ووردت عند المسلمين بمعناها القديم كذلك، وعندما ظهرت القهوة المصنوعة من «البُن» اختلف العلماء حولها كثيراً بين مُحلٍّ ومحَرَّم لها، وفيما يلي عرض مختصر لما مرّت به القهوة عبر تاريخها، وكيف كان أثرها على الناس:

المطلب الأول: القهوة في التراث العربي، واستعمال المسلمين لها

ذُكرت كلمة «القهوة» في الأدب العربي القديم بمعناها المتعارف عليه قديماً، فقد كانت تشير إلى الخمر أو الشراب الذي يُذهب العقل - كما سبق - حيث وصفها الشعراء باعتبارها مصدراً للطرب واللذة.

ومن ذلك:

قول المرقش الأصغر^(١):

وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ، كَالْمِسْكِ رِيْحُهَا تُعَلُّ عَلَى النَّاجُودِ طَوْرًا وَتُنَزِّخُ

وقال الأعشى^(٢):

نَازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مُتَّكِئًا قَهْوَةً مُزَّةً رَأَوْفُهَا حَصْلُ

وقال حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في الجاهلية^(٣):

(١) محمد بن أبي الخطاب القرشي "جمهرة أشعار العرب". تحقيق: علي محمد البجادي، (د.ط، مصر: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت): ٤٣٨.

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادي، "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (ط ٤)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م)، ١١: ٣٥٤؛ وينظر: يحيى بن علي التبريزي، "شرح القصائد العشر". (د.ط، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ): ٢٩٧.

(٣) عبد الله عبد الجبار؛ محمد عبد المنعم خفاجي، "قصة الأدب في الحجاز". (د.ط، القاهرة: =

كَأَنَّ فَاهَا قَهْوَةٌ مُزَّةٌ	حَدِيثَةُ الْعَهْدِ بِقَصِّ الْخِتَامِ
شَجَتْ بِصَهْبَاءَ لَهَا سُورَةٌ	مَنْ بَيْتِ رَأْسِ عَتَقَتْ فِي الْخِيَامِ
عَتَقَهَا الْخَانُوثُ دَهْرًا فَقَدْ	مَرَّ عَلَيْهَا فَرَطٌ عَامُ فَعَامِ
نَشَرْتُهَا صَرْفًا وَمُزَوَّجَةً	ثُمَّ نُغْنِي فِي بَيْتِوتِ الرِّخَامِ

وجاء في نهاية الأرب في فنون الأدب^(١):

لما ورد كتاب أبي بكر الصديق رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد، يأمره بالمسير إلى الشام في نصف العسكر سار كما أمره، فلما انتهى إلى سور أغار على أهله، وأتاهم وهم يشربون الخمر، ومغنيهم يقول:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ	لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبَ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزَّجَاجِ وَكُرَا	عَلَى كَمِيتِ اللَّوْنِ صَافِيَةِ تَجْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ سَلَافَةِ قَهْوَةٍ	تَسْلَى هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
وَقَالَ آدَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ مِنَ الْخُلَعَاءِ الْجَّانِ ^(٢) :	

اسْقِنِي وَاسِقَ خَلِيلِي	فِي دَجَى اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
قَهْوَةً صَهْبَاءَ صَرْفًا	سُبُئْتُ مِنْ نَهْرٍ بَيْلِ

أما استعمالها بمعناها الحالي الذي يطلق على شراب البنّ أو قهوة البنّ فكان

=

مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٠م): ٣٢٨.

(١) أحمد بن عبد الوهاب النويري، "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط ١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ)، ١٩: ١١٨

(٢) إبراهيم بن القاسم القيرواني، "قطب السرور في أوصاف الأنبياء والخمور". "استرجعت بتاريخ ٢٥/١٢/٢٠٢٤م" من موقع المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/672/4>.

متأخراً^(١)، ومن ذلك قول الشاعر المبلّط القاهري^(٢):

يقول عدولي: قهوة البُنِّ مرّةً
فقلت على ما عبتها بمرارة
وشربةٌ حلّو الماء ليس لها مثلُ
قد اخترتها فاختر لنفسك ما يحلو
وقوله:

أرى قهوة البُنِّ في عصرنا
وصارت لشُرّابها عادةً
على شربها النَّاس قد أجمعوا
وليس تضرّ ولا تنفعُ
وقوله:

يا عائِبًا لسوادِ قهوتنا التي
أو ما تراها وهي في فنجانها
فيها شفاءُ النَّفسِ من أمراضها
تحكي سواد العين وسط بياضها
ومما قاله محمد بن علي الصديقي في القهوة^(٣):
أقول لمن ضاق بالهمِّ صدره
عليك بشربِ الصالحين فإنه
وأصبح من كُثر التشاغل في فكرِ
شرابٍ طهورٍ سامي الذكر والقدرِ
فمطبوحُ قشر البُنِّ قد شاع ذكره
عليك به تنجو من الهمِّ في الصدرِ
ويقال إنّ استعمال المسلمين «للقهوة» بمعناها المعروف حاليًا كان في القرن

(١) الأبيات، ينظر: عبد الحي بن أحمد العكري، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق:

محمود الأرناؤوط، (ط ١، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦م)، ١٠: ٦٢٢.

(٢) برهان الدّين إبراهيم بن المبلّط القاهري؛ شاعر القاهرة، كان فاضلاً، أدبياً، شاعراً، توفي سنة إحدى وتسعين وتسعمائة (٩٩١هـ).

(٣) من شعر الشيخ محمد بن علي بن محمد البكري الصديقي، توفي سنة ٩٩٣هـ-١٥٨٥م. ينظر: محمد بن محمد الغزي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق: خليل المنصور، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ٣: ٦٠.

الرابع عشر الميلادي^(١)، حيث انتقلت من الحبشة إلى شبه الجزيرة العربية، وقيل أيضاً: إن المسلمين استخدموها في الأصل بغية مساعدتهم على دوام اليقظة والتنبه أثناء تعبدهم كما سيأتي^(٢).

وفي مكة، وتحديدًا في «واقعة مكة»^(٣) في عام ٩١٦/٩١٧هـ^(٤)، أرسل رجال الحسبة إلى السلطان قانصوه الغوري^(٥) بشأن جماعة كانت تحتفل بالمولد ويشربون مشروبًا يديرونه بينهم كالمُسكِر، ولما سألوا عنه قيل: «إنه شراب أُتخذ في هذا الزمان وسمّي القهوة، يُطبخ من قشر حبّ يأتي من بلاد اليمن يُقال له البُنّ، وقد فشا في مكة وكثُر وصار يباع كالحقارات». ويبدو أن هذا الأمر أقلق ناظر الحسبة، فجمع العلماء والقضاة لذلك، وأجمع العلماء على أن الأحوال والمظاهر المصاحبة لشرب القهوة حرامٌ اتفاقًا، وأما الحبّ المسمّى البُنّ فحكمه حكم النبات والأصل فيه الإباحة، وتركوا الأمر للأطباء ليقرروا إن كان هناك من ضرر على البدن والعقل عند

(١) عند من يرى أن الشاذلي هو أول من شربها في اليمن، وسيأتي ذكره. (علي بن عمر الشاذلي، ٧٥٥-٨٢٨هـ / ١٣٥٤-١٤٢٥م).

(٢) ويليام جيمس ديورانت "قصة الحضارة". زكي نجيب محمود وآخرون، (د.ط، بيروت: دار الجيل، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢م)، ٢٦: ١١٨.

(٣) محمد الأرنؤوط، "من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي". (ط ١، جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)، ١٥.

(٤) ذكر صاحب المؤلف بأن الواقعة كانت في ١٩١٦/١٩١٧م، وهذا سهوٌ منه غير مقصود، فالسلطان قانصوه الغوري توفي في سنة ٩٢٢هـ. والصواب ٩١٦/٩١٧هـ.

(٥) قانصوه بن عبد الله الجركسي السلطان الملك الأشرف، المشهور بالغوري، وسماه ابن طولون جندب، وجعل قانصوه لقباً له قال: والغوري نسبة إلى طبقة الغور، كان يذكر أن مولده في حدود الخمسين وثمانمائة، توفي سنة ٩٢٢هـ. ينظر: العزّي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة"، ١: ٢٩٨.

تناول ذلك المشروب. وبناء على ذلك، قرر ناظر الحسبة أن يستدعي الأطباء الذي قرروا أن المشروب المتخذ من قشر البنّ باردٌ يابس مفسدٌ للبدن، ولما تحقق ناظر الحسبة من ذلك أمر بمنع تناول القهوة في مكة، ولم يلتفت لاعتراض الناس الذين قالوا بأن البنّ مباح، بل قال: إنه جرّ إلى معصية، وكل طاعة جرّت إلى معصية سقطت، ورُفع محضّرٌ بذلك إلى السلطان الغوري، فأصدر مرسومًا بمنع القهوة وتحريمها لما يصاحب شربها من مظاهر وأحوال. وهذه الواقعة تشير إلى أن القهوة وصلت إلى مكة في زمن متأخر، فيما أُشير في موجز دائرة المعارف الإسلامية^(١) إلى أن هناك أرجوزة تؤكّد أن عام ٨١٧ هجرية/ ١٤١٤ ميلادية هو العام الذي انتشرت فيه القهوة في مكة.

إذًا فقد انطلقت الشراة الأولى من مكة شرّفها الله، في عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، التي أدّت إلى انقسام العلماء بين مؤيد لشرب القهوة ومحرم لها، وتعمق الخلاف وانعكس ذلك على نتاجهم الأدبي والفقهية وأشار بعضهم على الحكام بإبطال بيوت القهوة^(٢)، ومن أثر ذلك الخلاف قول أحد الفقهاء وهو محمد بن علي الصديقي^(٣):

فمطبوخُ قشر البنّ قد شاع ذكره عليك به تنجو من الهمّ في الصدر
وخلّ ابن عبدالحق يفتي برأيه وخذها بفتوى من أبي الحسن البكري
وقد كان لانقسام العلماء حول القهوة في مكة أثره على دمشق، فقد انقسم العلماء هناك أيضًا بين مؤيد لشربها ومعارض، وكان ذلك في عهد والي دمشق

(١) هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٧: ٨٣٩٢..

(٢) الأرنؤوط، "من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي"، ٢٠.

(٣) مضى ذكره.

مصطفى باشا^(١) الذي كان من مؤيدي القهوة وأنصارها، وكذلك مُنع شربُ القهوة في حلب حيث منعه أحدُ قضاةِها^(٢)، فقد منع شربها بحلب على وجه التحريم^(٣)، ولكن بعد وفاة بعض علماء دمشق رجحت كفة أنصار القهوة في دمشق وعموم بلاد الشام، وانتشرت بيوت القهوة في نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وبات العلماء والشعراء يرتادونها، ويتغنّون بها في أشعارهم ولا يتخرجون من ذلك. ولما جاء السلطان مراد الرابع أحد سلاطين الدولة العثمانية^(٤) ذُكر أنه -في نشوة سلطته الملكية- منع شرب القهوة، وفرض عقوبة الإعدام على تناول التبغ أو القهوة، أو الأفيون أو الخمر^(٥).

وفي القاهرة؛ ظهرت القهوة لأول مرة في الفترة الأولى من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في رواق صوفية اليمن في حي الأزهر، وانتشرت وأصبحت مشروباً شعبياً يُباع هناك لفترة من الزمن، إلى أن قاد الشيخ أحمد بن عبدالحق السنباطي^(٦) حملته ضد القهوة وبيوت القهوة فأذعن له العلماء، فقد كان مشهوراً

(١) مصطفى باشا تولى دمشق الشام، وكان غشوما سقاًكَ للدماء، ومع ذلك كان يحترم العلماء، ويعظمهم. ينظر الأحداث في: العكري، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ٣: ١٨٤.

(٢) صالح جلبي بن جلال الدين الأماصي الجُلدي - بفتحيتين نسبة إلى جلد من أعمال أماسية- الحنفي، أعطي قضاء حلب، ثم ولي قضاء دمشق، توفي سنة ٩٩٥هـ.

(٣) العكري، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ١٠: ٤٤٠.

(٤) تولى أمر الخلافة وكان عمره آنذاك ١١ عاماً؛ بين عامي ١٠٢١ و ١٠٤٩هـ، وحكم ١٧ عاماً.

(٥) ديورانت "قصة الحضارة"، ٣٠: ١٤٧.

(٦) الإمام العالم العلامة أحمد بن عبد الحق بن محمد، المصري، الشافعي الواعظ بجامع الأزهر. توفي سنة ٩٥٠هـ. ينظر: الغزّي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة"، ٢: ١١٢..

وكان رأيه مقبولاً عند العلماء، وقد ذُكر عنه أنه قال عن القهوة: «إنها حرامٌ لأنها مُسكرَة»^(١)، واعتبرت الحكومة في ذلك الحين أن القهوة نوع من الخمر، وأغلقت القهوة، وحرقت ما فيها من البنّ، كما تفعل مصلحة خفر السواحل في حرق الحشيش^(٢).

أما ظهور القهوة في اليمن فقد كان سابقاً للحجاز والشام ومصر، فقد ذكر في ذلك أن أول من أدخلها اليمن الشيخ شهاب الدين الذبحاني^(٣) المتوفى سنة ٨٧٥هـ، ويعني ذلك أن القهوة دخلت إلى اليمن في القرن التاسع الهجري قبل الحجاز والشام ومصر.

أما طريقة دخولها؛ فإن الذبحاني كان يعمل في وظيفة تصحيح الفتاوى في عدن، وعَرَضَ له أن خرج منها إلى بَرِّ العجم^(٤) ووجد أهلها يستعملون القهوة ولا يُعلم لها خاصية، ولما رجع إلى عدن مريضاً، فتذكرها فشرّبها فنفعته بإذن الله تعالى، ووجد

(١) ينظر: هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٧: ٨٣٩٣. وينظر: الأرنؤوط، "من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي"، ٢٨.

(٢) ينظر: أحمد بن إسماعيل تيمور، "معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية". تحقيق: دكتور

حسين نصّار، (ط ٢، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٢م) ٥: ١٧٢.

(٣) مُحَمَّد بن سعيد بن أحمد الجمال الذبحاني المَذْحِجِي اليمانيّ العدني. من صلحاء اليمن هو وأبوه. مات في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثمانمائة للهجرة. ينظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م) ٧: ٢٤٩.

(٤) جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٢٧: ٨٣٩٢ أنه عرفها أثناء إقامته الجبرية على الساحل الأفريقي، وعند عودته كرس نفسه للصوفية ومن ثم فقد أصبحت القهوة مشروباً شائعاً.

فيها من الخواص ما يورث الخفة والنشاط ويذهب الكسل والنعاس، ولما سلك طريق التصوف صار هو ومن معه من المتصوفة يشربونها للاستعانة بها على الأذكار والسهر في طريقتهم التي يسلكونها، ثم تتابع الناس والفقهاء بعدن على شربها للاستعانة بها على لمطالعة العلم وغيره من الحرف والصناعات، ولم تزل في انتشار^(١).

فالمشهور أن الذبحاني هو أول من أنشأها ويُحتمل أن يكون غيره، ولكن نُسبت إليه لأنه كان السبب في ظهورها في اليمن.

وذكر غير ذلك، فقليل إنَّ أول من أنشأ القهوة كان علي بن عمر الشاذلي^(٢)، لكنها كانت من ورق القات، لا البنّ ولا قشره، فما زالت تنتقل حتى وصلت إلى عدن، ولما عُدم ورقُ القات قال الذبحاني لأتباعه بأن يمتحنوا البنّ فوجدوه يعمل عمل القات^(٣).

على أن بعض المصادر -ولعلها أكثر دقة مما سبق- تقول إن «القهوة» دخلت بلاد العرب من الحبشة على يد «أزدرم باشا»^(٤) في القرن العاشر الهجري (السادس

(١) ينظر: عبدالقادر بن محمد الجزيري، "عمدة الصفة في حل القهوة". مجلة الضياء، ٢٠،

(١٨٩٩م): ٦٢٢. استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/١ م من موقع

[/https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/AIDayaa](https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/AIDayaa)

(٢) علي بن عمر بن إبراهيم القرشي الصوفي الشاذلي: متصوّف يمني، عرّفه السخاوي بشيخ

اليمن، ولد بالقرشية السفلى من وادي رمع، في زبيد، ٧٥٥-٨٢٨ هـ / ١٣٥٤-١٤٢٥م.

ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي، "الأعلام". (ط٥)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م،

٤: ٣١٦.

(٣) ينظر: هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٧: ٨٣٩٢. وينظر أيضاً:

الجزيري، مجلة الضياء، ٦٢٥.

(٤) أزدرم باشا، صاحب الفتح العثماني الأول لليمن، اشتهر بالشجاعة والمهارة الحربية.

عشر الميلادي^(١).

ومما جاء عن نجد أن جماعة الشيخ المجدّد محمد بن عبد الوهاب حرّموا القهوة، وقد أورد المستشرق برايدجس^(٢) أن ما ذكر من أنّ «الوهابيين» يحرمون القهوة إنما هو دعاية من الأتراك لهدف معين، والحقيقة أنهم يشربون القهوة وأنّها منتشرة بينهم^(٣). وجاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية أنّه وُجد شجر البنّ في أقصى شمال اليمن في عسير، حيث يقال إنه يزدهر بكثرة، وفي منطقة غامد وزهران^(٤). وفي الحياة العامة عند العرب لا تكتمل الاحتفالات بدون القهوة، فالقهوة هي المشروب الأول الذي يقدم للزائر، وربما تعادل الدعوة لتناول القهوة الدعوة لتناول الطعام. والعرب يتناولون القهوة بدون سكر وفي جنوب الجزيرة العربية يتناولونها بالحليب بين الحين والآخر وعند الأتراك راج استخدام القهوة محلاة بالسكر^(٥).

المطلب الثاني: القهوة في الثقافة العالمية:

أصبحت القهوة رمزاً للعمل والإبداع، وارتبطت بالعادات اليومية في دول العالم أجمع، ومن تلك الدول: إيطاليا وأمريكا، والنمسا، وبريطانيا، وغيرها، لكن في

(١) ينظر: هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٩: ٩١٩٨.

(٢) السير هارتفورد جونز برايدجس Sir Hartford Jones Brydges، كان حاكمًا على البصرة من قبل بريطانيا، وقد وصل إلى البصرة عام ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م.

(٣) ناصر بن إبراهيم بن عبد الله التويم، "الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية". (ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢م). ص ١٢٥.

(٤) ينظر: هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٧: ٨٣٩٣.

(٥) ينظر: هوتسما وآخرون، "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، ٢٧: ٨٣٩٣.

الحقيقة، لم يرد للقهوة ذكرٌ على لسان أي كاتب أوروبي قبل سنة ١٥٩٢م^(١). أما عن دخول البنّ إلى إنجلترا مثلاً؛ فقد دخل إليها من تركيا حوالي ١٦٥٠م. وافتتحت لندن أول مقهى فيها في ١٦٥٢م ، وما أوفى عام ١٧٠٠م حتى كان بها ٣٠٠٠ مقهى، واتخذ كل فرد مهمًا كانت مكانته، أحد المقاهي محلاً مختاراً لمقابلاته بانتظام، ومن بعض المقاهي نشأت الأندية التي لعبت دوراً في سياسية القرن الثامن عشر^(٢)، وكانت مشارب القهوة في لندن مراكز للقراءة كما كانت منتديات للسمر^(٣)، وحتى ١٧٠٠م كان معظم البنّ يستورد من إقليم مخا في اليمن، وفي القرن الثامن عشر نقل الهولنديون زراعته إلى جاوة ونقله البرتغاليون إلى سيلان والبرازيل، والإنجليز إلى جاميكا، وساعد استخدام القهوة في التغلب على الخمول والكسل وفي شحذ الذهن، فأدّى ذلك إلى انتشارها وإقبال الناس عليها^(٤).

بدأ الفرنسيون يستعملون القهوة في النصف الأول من القرن السابع عشر تقريباً ولكنها لم تكن بعد شرباً لا غنى عنه^(٥)، وفي ١٧١٥م كان في باريس ٣٠٠ مقهى، وفي ١٧٥٠م زادت إلى ٦٠٠، كما وجد منها عدد مناسب في كل مدينة في الأقاليم، وكانت كل صيدلية تبيع البن حبوباً أو القهوة المعدّة للشراب على المنضدة الطويلة بداخلها، وقد أسهم تزايد تدفق البنّ من شبه الجزيرة العربية والهند وغيرها في انتعاش الروح الذي ميز عصر الاستنارة في فرنسا^(٦).

(١) ديورانت "قصة الحضارة"، ٢٦ : ١١٨.

(٢) ديورانت "قصة الحضارة"، ٣٢ : ١٥٣.

(٣) المرجع السابق ٣٥ : ١١٦.

(٤) المرجع السابق ٣٢ : ١٥٣.

(٥) المرجع السابق ٢٩ : ٢٦٦.

(٦) المرجع السابق ٣٦ : ٧٥.

وفي عام ١٧٩٤م وفي النمسا تحديداً، كانت فيينا وضواحيها تغصّ بالمقاهي وكان أكثر مرتاديها من الفقراء، حيث أصبح مشروب القهوة ينافس البيرة^(١). لكن جوته^(٢) في ألمانيا؛ كان له رأي آخر فقد كان يفخر بأنه اجتنب القهوة والتبغ، فكلاهما مدموم في رأيه لأنهما سمٌّ زعاف^(٣).

(١) ديورانت "قصة الحضارة"، ٢٦: ١١٨.

(٢) يوهان فولفغانغ فون جوته ١٧٨٢-١٨٣٢م، وُلد في فرانكفورت، كان عالماً طبيعياً، وواحداً من أهم مبدعي الشعر باللغة الألمانية.

(٣) ديورانت "قصة الحضارة"، ٤١: ٣٦١.

المبحث الثالث: دراسة لغوية تحليلية للمصطلحات المرتبطة بـ«القهوة» في

الماضي والحاضر

المطلب الأول: القهوة في الماضي

تعدّ القهوة جزءاً أصيلاً من الثقافات، وانتشرت بين الشعوب انتشاراً واسعاً، وارتبطت بالكرم والضيافة والألفة الاجتماعية، ومع انتشارها تنوعت الأدوات المستخدمة لتحضيرها قديماً وحديثاً، واختلفت مسمياتها وتعدّدت، وبات ذلك التعدد يعكس ثراء الإرث المرتبط بالقهوة وامتداد تأثيرها في المجتمعات، وتعدّدت أيضاً الأدوات المستخدمة في تحضيرها، مما كشف عن تباين الناس في إعدادها وشربها، وأصبحت رمزاً حضارياً جامعاً تتفاعل فيه الأصالة والابتكار. ومن أدوات وأنواع ومستّيات القهوة قديماً وحديثاً ما يلي:

أولاً: الأدوات:

• الحَمْرَة:

وهي الدلة الكبيرة التي تُعمل فيها القهوة^(١)، ولم أجد أيّاً من المعاجم القديمة يشير إلى هذا المعنى.

والذي يبدو من عادات العرب أنهم يضعون الماء أو القهوة في دلة كبيرة تُسمّى «الحَمْرَة» وتظلّ على النار مملوءة بالماء أو القهوة، كي تكون جاهزة لإعداد القهوة في أي وقت، ثم تُفرغ في دلال صغيرة ويُدار بها على الجالسين، فكأنها بمكوّثها الطويل على النار تختمر فيها القهوة فتفوح ريحها وتشتد فورتها.

(١) عبدالعزيز العويد، "أطلس اللهجات العربية على الإنترنت". "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٥ م" من موقع: atlasallhajaat.com.

• الدلة:

لفظة تركية من أصل فارسي، وقد تكون مشتقة من الدلو، وتطلق على إبريق القهوة النحاسي، وتُسمّى المصفاة، والملقمة، والمبهرة، والمبهرة هي التي لا يكون على ظهرها سواد من أثر النار كالذي يكون على ظهر المصفاة. قال الأستاذ حمد الجاسر: «وأواني القهوة ثلاثة أباريق، تسمّى دِلَالًا، واحدها دَلَّة، ويظهر أنها فارسية»^(١). وتسمى التنكة والدولة، جاء في معجم تيمور^(٢): يقال: «تَنَكَّة: للتي توضع فيها القهوة، ويقال: كَنَكَّة، لأنها تُصنَع من التَّنَك. وفي الشام يقولون عنها دولة». وقال أيضاً: «تنكة القهوة يقال لها إلى الآن في نجد وما والاها: دلة، وجمعها دلال». ولعلّ كلمة دولة محرفة عن دلة أو العكس. والرّسلان: نوع من الدّلال، وهي أباريق نحاسية تُصنع فيها القهوة، مسموعة في السعودية، وتسمّى على اسم صانعها من أهل الشام^(٣).

• المِهْرَاس:

قطعة مُجَوِّفة من نحاس أو حديد، تُستخدم في طحن القهوة ونحوها^(٤)، وقيل: الْمِهْرَاسُ بِالْكَسْرِ حَجَرٌ مَنْقُورٌ يُدْقُ فِيهِ وَيَتَوَصَّأُ مِنْهُ^(٥)، ويقال في المغرب العربي أيضاً:

(١) الجاسر، حمد. "من سوانح الذكريات". راجعه: عبدالرحمن الشبيلي، (ط ١)، الرياض: دار اليمامة للنشر، ٢٠٠٦م، ١: ٥٦.

(٢) تيمور، "معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية". ٢: ٣٥٦ و ٣٥٧.

(٣) عبدالعزيز العويد، "أطلس اللهجات العربية على الإنترنت". "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٥م من موقع: atlasalhajaat.com.

(٤) العويد، "أطلس اللهجات العربية على الإنترنت". "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٥م من موقع: atlasalhajaat.com.

(٥) محمد بن أبي بكر الرازي، "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط ٥)، بيروت -

مَهْرَس - بفتح الميم - قال ابن سيده: هَرَسْتُ أَهْرُسُ هَرَسًا: وَهُوَ الدَّقُّ فِي الْمَهْرَسِ، واسم الآلة المهراس^(١). والمهرَسُ، أَيضًا: الدَّقُّ الْعَنِيفُ وَالْكَسْرُ، يُقَالُ: هَرَسَهُ يَهْرُسُهُ هَرَسًا، إِذَا دَقَّهُ وَكَسَرَهُ، وقيل: هو دَقُّكَ الشَّيْءَ وَبَيَّنَّهُ وَبَيَّنَ الْأَرْضَ وَقَايَهُ^(٢).

ويقال له أَيضًا: التَّجَرُّ، واللفظ مستخدم عند أهل الخليج العربي والشام. وهناك المَهْبَاش: ويستعمل في بلاد الشام لهرس البنّ وغيره، ولا يشبه المهراس ذا الفوهة الكبيرة، ولكنه يقوم مقامه، وله فوهة ضيقة، شكله جميل ومزّين بالنقوش، ومصنوع من الخشب^(٣).

• الهاوون:

يد المهراس أو التَّجَرُّ الذي يُدَقُّ به، والمفردة فارسية^(٤)، ويقال: الهاوون. جاء عند أبي منصور الجواليقي: «والهاوون أعجمي معرّب مثل فاعول، ولا تقل: هاوون لأنه ليس في الكلام اسم على فاعل موضع العين منه واو»^(٥). وذكر ابن دريد أن الهاون فارسي والهاوون عربي فقال: «الهاون فارسيّ، وَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ الْهَاوُونَ إِذَا

=

صيدا: المكتبة العصرية-الدار النموذجية، ١٩٩٩م)، (هرس) ص ٣٢٦.

(١) علي بن إسماعيل بن سيده، "المخصص". خليل إبراهيم جفال، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م)، ٤: ٣٠.

(٢) الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (هرس) ١٧: ٢٧.

(٣) العويد، "أطلس اللهجات العربية على الإنترنت". "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٧م" من موقع: atlasallhajaat.com.

(٤) ينظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام، "الغريب المصنف". تحقيق: د. محمد المختار، (ط ١، القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٩٦م)، ٣: ٦٧١. ابن سيده، "المخصص"، ٤: ٢٢٢.

(٥) الجواليقي "حاشية المعرب من الكلام الأعجمي". تحقيق: د. ف. عبد الرحيم، (ط ١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٠م) ٦٣٠.

اضطروا إلى ذلك»^(١) وقال أيضاً: «والهاوون الَّذِي يُدَقُّ بِهِ: عربيّ صَحِيح لا يُقَالُ هاوَن لأنه لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ اسْمٌ عَلَى فاعِلٍ بَعْدَ الْأَلْفِ وَاوٍ»^(٢). فالذي يظهر من كلام ابن دريد أنه يفرّق بين الكلمتين، فكلمة الهاوَن في رأيه فارسية، أما الهاوون فلفظٌ عربيّ صحيح، وعليه فالهاوَن معرّب وليس بعربيّ انتقل إلى العربية عن الفارسية. وقد يطلق الهاون على المهراس، جاء عند ابن هشام اللخمي: «ويُقَالُ له: الهاوون، وهو بالفارسية الهاوَن. ويُقالُ لِيَدِهِ: الْفِهْرُ»^(٣).

والهاوَن تستخدم في وسط السعودية ودول الخليج العربي، ويُقال في الشام: هاوَن بكسر الواو، ويُسمّى أيضاً: وِدِي، ومَدَقّ، ومهوا، ويد النّيجر، ويسمّيه بعضهم: الْفِهْرُ^(٤)، والمُنْحَاز، يقال: الراكب يَنْحُزُّ بصدْرِهِ واسطَةَ الرّحْلِ، أي يدق^(٥)، وقيل: الهاوَن يَفْتَحُ الْوَاوِ مُعَرَّبٌ، وهو الَّذِي يُدَقُّ فِيهِ، وهو وَعَاءٌ مِنْ نُحَاسٍ وَنَحْوِهِ^(٦).

• الحماس:

أداة لتحميم القهوة عُرف مع انتشار عادة شرب القهوة لكنه لم يرد في النصوص القديمة من كلام العرب، ولعل السبب في ذلك أن استخدامه مرتبط بالقهوة التي لم تظهر إلا بعد القرن العاشر الهجري - كما سبق -. وقد يُطلق عليه: مُحْمَص،

(١) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ٣: ١٣٢٥.

(٢) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٢: ٩٩٦.

(٣) ابن هشام اللخمي، "المدخل إلى تقويم اللسان". تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م): ٢٣٨.

(٤) اللخمي، "المدخل إلى تقويم اللسان"، ٢٣٨.

(٥) الجوهري، "الصاح تاج اللغة وصحاح العربية". (نخز) ٣: ٨٩٨.

(٦) الرازي، "مختار الصحاح"، ٣٢٩.

وَمَحْمَصَةٌ، وَمَحْمَصَةٌ: وهو المقلَى الذي يَحْمَصُ به البَنُّ^(١). و«المحماش» مشتق من الجذر «حَمَسَ»، الذي يعني الشدة والقوة، وربما كان سبب تسميته بهذا الاسم هو أن عملية التحميص تحتاج إلى حرارة شديدة ونار قوية. جاء في المعجم^(٢) وَحَمَسَ حَمَسًا: هَاجَ غَضَبَهُ، وَحَمَسَ حَمَسًا صَلْبَ وَاشْتَدَّ، وَحَمَسَ الْحُمَصَ وَنَحَوَهُ قَلَاهُ، وَيُقَالُ: حَمَسَ الدَّوَاءَ وَضَعَهُ عَلَى النَّارِ قَلِيلًا، وَفُلَانًا أَغْضَبَهُ.

• الفنجان:

القدح المعدّ لشرب القهوة. يقال: الْفَنْجَانُ وَالْفَنْجَالُ وَالْفَنْجَانَةُ، جاء في تهذيب اللغة قوله: «الْفَنْجَانَةُ إِنَاءٌ مِنْ صُفْرٍ، وَجَمَعَهَا فَنَاجِينَ. وَمِنْهُمْ يَقُولُ فَنَاجَانُ، وَالْأَوَّلُ أَفْصَحُ»^(٣). ويقال: الْفَنْجَانَةُ وهي فصيحة. قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ^(٤): «وَالْفَنْجَانَةُ وَالْجُمُعُ فَنَاجِينَ فَارِسِي مُعَرَّبٌ وَلَا يُقَالُ فَنَاجَانُ وَلَا إِنْجَانُ»^(٥). وجاء في كتاب الجاسوس على القاموس قوله: «وهذه لغة يمانية ولم ينصّوا على أنها قديمة أو محدثة» ثم علّق صاحب الجاسوس على كلام أبي منصور بقوله: «ما أبهمه من تعريف»^(٦).

(١) ينظر: رينهارت بيتر آن دُوزي، "تكملة المعاجم العربية". نقله إلى العربية محمّد النعيمي؛ جمال الخياط، (ط ١، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م)، (حمص) ٣: ٣١٩-٣٢٠.

(٢) ينظر: ابن سيده، "المخصص"، ٤: ٧٩؛ ونخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط". (ط ٢، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٢م). (حمص) ١: ١٩٧.

(٣) محمد الأزهرى، "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض، (ط ١، بيروت: دار التراث، ٢٠٠١م)، ١١: ٧٨.

(٤) أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي.

(٥) الجواليقي "المعرب من الكلام الأعجمي"، ٤٨٣. وينظر: عبد الله بن برّي، "في التعريب والمعرب". تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، (د. ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ١٣٣.

(٦) أحمد فارس أفندي، "الجاسوس على القاموس". (د. ط، قسطنطينية: مطبعة الجوائب،

ويقال: الفلجان وهي فصيحة مهملة^(١)، وقيل: بل هي مؤلدة من الفالج المعرب عن السريانية^(٢). وجاء في تاج العروس قوله: «الْفَلْجَان: الظَّرْفُ الْمُعَدُّ لَشُرْبِ الْقَهْوَةِ وغيرها، والعامة تقول: فَنَجَان، وَفَنَجَال، وَلَا يَصْحَان»^(٣). وجاء عنده أيضًا: «الْفَيَالِجَةُ تَعْرِيبُ بِيَالِهِ بِالْفَارِسِيَّةِ، وَالْفَنَجَانَةُ: لَفْظَةٌ مُؤَلَّدَةٌ، أَصْلُهَا فَلْجَانَةُ»^(٤). وقيل الفنجان معرب من «پنگان» الفارسية^(٥) التي تنطق «بنجان panjan»^(٦)، أما فنجانة فهي الفنجان الصغير.

والذي يبدو أن هناك خللاً كبيراً في معنى هذه اللفظة، والأقرب أنها مولدة من أصل فارسي كما سبق، وقد ذكر بعضهم أن الصواب «فنجانة» أما «فنجان» فخطأ^(٧)، ولا دليل على صحة هذا القول، فهي صحيحة مستعملة لكن «فنجانة»

=

١٢٩٩هـ، ٣٩٢.

(١) الدكتور أحمد مختار عمر، "معجم الصواب اللغوي". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، (فنجان) ١: ٥٨٨.

(٢) أحمد رضا. "قاموس رد العامي إلى الفصح". (ط٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١م)، (فنجن)، ٤٣٥.

(٣) الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (فلج) ٦: ١٥٦.

(٤) الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (سمل) ٢٩: ٢٢٦.

(٥) ينظر: بطرس البستاني، "محيط المحيط". (ب. ط، لبنان: مطابع تيبو برس، ١٩٨٧م) فنجن:

٧٠٣. وينظر: طوبيا العنيسي. "تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها

بحروفه". (ط٢، مصر: دار العرب للبستاني - ١٩٣٢م)، ٥٣.

(٦) جاء في معنى پنگان: القصعة، الفنجان. ينظر: عبدالمعزم حسنين. "قاموس الفارسية".

(ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ١٤٠.

(٧) شهاب الدين الخفاجي. "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل". (د. ط، المطبعة

=

أفصح لورودها في عدد من المعاجم الأصيلية^(١).

ثانيًا: المواد المستعملة في إعداد وتحضير القهوة

• البنّ:

وقد مرّ ذكره، وهو حبّ شجرٍ من الفصيلة الفَوِّيَّة^(٢) يُقلى ثم يطحن ويُغلى في الماء، ويتخذ منه شراب مُنّب يسمّى القهوة، وأهم مصادره: اليمن والحبشة والبرازيل.

• حبّ الهال، أو الهيل:

جنس نباتات عطريّة، من فصيلة الزنجبيلات، بذورها تدعى حبّ الهال، تُستخرج منها أدهان عطريّة طيّارة، تضاف حبوئه إلى القهوة في بعض بلدان الشرق فيُضفي عليها طعمًا ورائحة، ولا يستغني عنه صانعو القهوة وشاربوها، ويعرف بالحبّهان، ويسمى أيضًا: القافلة^(٣).

• الزنجبيل:

قال ابن دريد: «زَنْجَبِيلٌ مَعْرَبٌ»^(٤)، والزنجبيل بالفارسية شنكبيلى وشنكوير

=

الوهبية، ١٢٨٢هـ)، ١٦٧.

(١) ينظر: الجوهرى، "الصحاح". (سمل)، ٥: ١٧٣٢. علي بن سيده. "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هندأوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٨: ٥١٩. الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". ١٠١٦.

(٢) هي فصيلة نباتية من رتبة الجنطيانيات من ثنائيات الفلقة. تضم الفصيلة ٦١١ جنسًا أهمّها البنّ.

(٣) عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (ق وق ل) ٣: ٣٧٦؛ نخبه من اللغويين، "المعجم الوسيط"، (قول) ٢: ٧٦٧.

(٤) ابن دريد "جمهرة اللغة"، ٢: ١٢١٨.

وشنكير^(١)، وهو أصلاً من اللغة السنسكريتية يقال: شرنكوير^(٢). وهو عُروَقُ تَسْرِي فِي الْأَرْضِ وَنَبَاتٌ جذري من الفصيلة الزنجبارية هندی الأصل، لونه أخضر مائل إلى الصفرة، وهو من التوابل المَهْضَمَة، يَنْبُثُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ بِأَرْضِ عُمَانَ، وَبِأَرْضِ الْيَمَنِ^(٣).

يتميز الزنجبيل بطعمه الحار، ويستخدم منذ آلاف السنين في الطبخ والتداوي، خاصة في الثقافات الآسيوية والعربية، ويُضِيفُ بعضهم مسحوق الزنجبيل إلى القهوة بعد تجفيفه وطحنه، فيُضْفِي عليها نكهة خاصة ذكيّة، ويمكن استخدامه مع التوابل الأخرى لصنع المخبوزات مثل الكعك والبسكويت وغيرها، ويمكن أيضاً أن يستخدم بمفرده لتحضير مشروب دافئ^(٤).

وَالْعَرَبُ تَصِفُ الزَّجْبِيلَ بِالطَّيِّبِ، وَهُوَ مُسْتَطَابٌ عِنْدَهُمْ جِدًّا، قَالَ الْأَعْشَى^(٥):

كَأَنَّ جَنْبِيًّا مِنَ الزَّجْبِيَّةِ ... لِ خَالَطَ فَاهَا وَأَزْيَا مَشُورًا

• القرنفل^(٦):

(١) ينظر: حسنين، عبد المنعم. "قاموس الفارسية". ٤٢٣.

(٢) نقله الدكتور ف. عبد الرحيم عن كتاب برهان قاطع للتبريزي. ينظر: الجواليقي "حاشية المعرب من الكلام الأعجمي". ٣٥٥.

(٣) ينظر: ابن سيده، "المخصص" ٣: ٢٦٥؛ والزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (زنجبيل) ٢٩: ١٤٤؛ ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٥م) (زنجبيل)، ١٠١١.

(٤) السابق.

(٥) الأعشى، "الديوان". (د. ط، د. ت)، ٩٣.

(٦) ينظر: ابن سيده، "المخصص" ٣: ٢٦٥؛ والبغدادي، "خزانة الأدب ولب لباب لسان

قَرَنْفُلٌ، بفتح القاف وضم الفاء، وَقَرَنْفُولٌ، بواوٍ بعد الفاء، وأما قولُ العامة: قُرْنَفُلٌ، بضم القاف والراء وفتح الفاء، فَلَحْنٌ^(١). والنون في قرنفل زائدة، قاله سيبويه^(٢). وجاء في المعجم الوسيط^(٣): «قَرَفَلُ الطعام تَبَلُهُ بالقرنفل». والقَرَنْفُل من النَّبَات الطَّيِّب الرَّيْح، ويسمَّى: عُويدي، وأيضًا: مِسْمار^(٤)، ويجعله بعض الناس على القهوة مع الهيل أو بدلًا من الهيل.

قال ابن بطوطة^(٥): «وأما أشجار القرنفل فهي ضخمة، والمجلوب منها إلى بلادنا هو العيدان، والذي يسميه أهل بلادنا نور القرنفل فهو الذي يسقط من زهره»^(٦).

=

العرب"، ٣: ٤٥٠. وينظر أيضاً: العويد، "أطلس اللهجات العربية على الإنترنت".
"استرجعت بتاريخ ١/٦/٢٠٢٥م" من موقع: atlasallhajaat.com.

(١) ينظر: اللخمي، "المدخل إلى تقويم اللسان"، ١٨٤.
(٢) سيبويه، "الكتاب". تحقيق عبدالسلام هارون، (ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)
٤: ٣٢٤. ويحكم بزيادة النون مُتَطَرِّفَةً إن كانت مسبوقه بألف مسبوقه بأكثر من أصلين، كسكران وعَضْبَان، ومتوسطة بين أربعة أحرف، إن كانت ساكنة غير مضعفة كعَضَنْفَر وقَرَنْفُل.

(٣) نخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط"، (قرفل) ٢: ٧٢٩.
(٤) سَمِّي مِسْمَارًا لتشابه القرنفل مع المسمار. ينظر: خالد عبدالقادر الرشيد "موسوعة اللهجة الكويتية". مراجعة: د. خالد جمعة، (ط ٣، دون دار نشر، ٢٠١٢م)، ٦٠٤.
(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المشهور باسم ابن بطوطة، ولد في طنجة سنة ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٤.

(٦) الدكتور شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي". (ط ١، مصر: دار المعارف، ١٩٩٥م)
١٠: ٥٣١.

وهو من بهارات الطعام، أعواده حمراء مائلة للسواد يابسة ذات رائحة قوية تستخرج من براعم أزهار القرنفل، حتى إنهم في الهند يسمّون أماكن القرنفل: «ريح الجنة»، لذلك رائحته^(١)، وقد كثر مجيء الشّعر بوصف طيبه، ومن ذلك قول امرئ القيس:

إذا قامتا تضوّع المسكُ منهما ... نسيم الصّبا جاءت برّيا القرنفل

• الزعفران^(٢):

هو أحد أندر وأغلى التوابل في العالم، يُستخرج من زهرة نبات بصلي عطريّ مُعَمَّر من الفصيلة السُّوسنيّة، منه أنواع برّيّة، والجزء المستخدم منه هو خيوط الزهرة الحمراء الدقيقة، حيث تُجفف بعناية.

يتميز الزعفران برائحته العطرية، ويستخدمه بعضهم مع القهوة فيُضفي عليها لوناً ذهبياً، ونكهةً فريدة، كما يُضاف على غير القهوة من الأطعمة والمشروبات الأخرى، ويسمّى عند أهل الجاهليّة العبير^(٣)، جزم أبو عبيدة^(٤) بذلك نقلاً عن الجاهلية، وجزم الأصمعي^(٥) وغيره من المحققين بأن العبير أخلاط من الطيب تُجمّع

(١) أحمد بن عبد الوهاب النويري، "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط ١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ)، ١٢: ٤٦.

(٢) ينظر: نخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط"، ٣: ٢٦٥، والبغدادي، "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، ٣: ٤٥٠.

(٣) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، (ط ٣، بيروت دار صادر، ١٤١٤هـ)، (زعفر) ٢: ٢٦؛ ونخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط" (زعفر) ١: ٣٩٤؛ عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (زعفر) ٢: ٩٨٤.

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ١٠٩-٢١٠ هـ.

(٥) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت ٢١٦ هـ.

بِالزَّعْفَرَانِ، وَلَيْسَ الزَّعْفَرَانُ وَحْدَهُ^(١). قال الأعشى:

وتبردُ بردَ رداءِ العُرُوسِ بالصيفِ رقرقت فيه العبيرِ
ومن أسماءِ الزَّعْفَرَانِ: الجِسَادُ، والقَيْدُ، والمَلَابُ، والجَادِي، والرَّيْهَقَانُ،
والسَّجَنْجَلُ^(٢).

• القرفة:

القَرْفُ لحاء الشَّجَرِ، وَاحِدَتُهُ قَرْفَةٌ، وَجَمْعُ القَرْفِ قُرُوفٌ، والقُرَافَةُ:
كالقَرْفِ، والقَرْفُ: القَشْرُ، والقَرْفَةُ: القَشْرَةُ، والقَرْفَةُ: الطَّائِفَةُ مِنَ القَرْفِ، وَكُلُّ
قَشْرٍ قَرْفٌ، بِالكسْرِ، والقَرْفُ قَشْرُ شَجَرَةٍ طَيِّبَةِ الرِّيحِ يُوضَعُ فِي الدَّوَاءِ وَالطَّعَامِ^(٣).
والقرفة^(٤) جنسٌ شجرٍ من الفصيلة الغاريّة، أشهر أنواعه القَرْفَةُ السَّيْلَانِيَّةُ والقَرْفَةُ
الصِّينِيَّةُ، وهي من التَّوَابِلِ، وتستخدم مشروبًا، وقد يستخدم بعضهم عيدان القرفة،
والقرفة المطحونة على القهوة بدلًا من الهيل.

وتُسمَّى أيضًا: الدارسين. جاء في موسوعة اللهجة الكويتية: «الدارسين نوع
من أنواع البهار المعروف باسم القرفة، يغليه الكويتيون ويشربونه، ويسمونه شاي

(١) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "غريب الحديث". تحقيق: د. عبد الله الجبوري، (ط ١،
بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ) ١: ٥١٣؛ ومحمد بن الطيب الفاسي "شرح كفاية
المتحفظ". تحقيق: علي حسين البواب، (ط ١، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر،
١٩٨٣م)، ٥٨٧.

(٢) ينظر: الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (زعفر) ١٢: ١٨٧.

(٣) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، (قرف) ٩: ٢٧٩.

(٤) ينظر: نخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط"، (قرف) ١: ٣٩٤؛ وعمر، "معجم اللغة العربية
المعاصرة"، (قرف) ٣: ٨٠٣.

دارسين»^(١).

• النخوة أو النانخة:

النخوة - لم أجد لها في المعاجم العربية بهذا الاسم - وهي من التوابل المعروفة، تتبع للفصيلة المظلية وهي من مجموعة الكمون واليانسون والشبث ولها استعمالات عديدة ومتميزة، وتسمى في جنوب المملكة «نخوة» و«نانخة» وكذلك في نجد تسمى «نانخة»، وفي مصر تسمى «نانخوة» وهي عبارة عن ثمار صغيرة أصغر من ثمار اليانسون أو الكمون ويسمّيها العامة بذورًا مع أنها ثمار^(٢)، وتُستعمل مع القهوة كما هي دون طحنها لما فيها من فوائد صحية، وأيضًا لنكهتها الفريدة^(٣). قال أبو حنيفة: «البسباس من التّبات الطّيب الرّيح وزعم بعض الرّواة أنه النّانخة»^(٤).

ثالثًا: أماكن شرب القهوة التي يلتقي فيه الناس:

• بيوت القهوة:

بيت القهوة مكان شعبي تقليدي، ظهر مع بدايات ظهور القهوة - كما سبق في بداية هذه الدراسة - وكان مخصصًا لتقديم القهوة العربية، وانتشرت بيوت القهوة بشكل كبير بعد القرن العاشر الهجري في الجزيرة العربية، ومصر، والشام، وبسبب تعمق الخلاف بين العلماء في حكم القهوة في ذلك الوقت فقد أشار بعضهم على

(١) الرشيد، "موسوعة اللهجة الكويتية"، ٢٣٢.

(٢)، البرفسور جابر بن سالم القحطاني، "النخوة". مقال في جريدة الرياض، العدد بتاريخ (٢٩/٧/٢٠٢٢م)، استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٦ من موقع

<https://www.alriyadh.com/1963910>

(3) Mohammad Hossein Boskabady and others, "Carum copticum L: A Herbal Medicine with Various Pharmacological Effects". *BioMed Research International*, Volume 2014, Article ID 569087,(2014): 11 pages.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، (بس) ٦: ٢٦.

الحكام بإبطال بيوت القهوة بسبب ما يصاحبها من مظاهر وأحوال^(١).

• الحانوت، والحانة والحان:

يقال للدكان حانوت وحانة وحان، وغلبت هذه الأسماء على دكاكين الخمارين. جاء في لسان العرب: «الحانُوتُ، مَعْرُوفٌ، وَقَدْ عَلَبَ عَلَى حانوتِ الحَمَارِ، وَهُوَ يُذَكِّرُ وَيُؤَنِّثُ»^(٢).

ويبدو أن تسمية مكان شرب القهوة «حوانيت» ظهر في القسم الأول من القرن العاشر الهجري، حيث جاء ما نصّه: «أشهر شرب القهوة بدمشق، وكثرت من يومئذ حوانيتها»^(٣)، وكما يظهر من النص فإن «الحوانيت» هو اسم المقاهي في ذلك الوقت. ومن ورود «الحان» في الشعر، قول أحدهم^(٤):

عَرَّجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا	فَاللِّطْفُ قَدْ حَفَّ بُنْدَامِهَا
حَانَ حَكَى الْجَنَّةَ فِي بَسْطِهَا	بَرْقَةُ الْعَيْشِ وَإِخْوَانِهَا
يَقُولُ مِنْ أَبْصَرَ كَانَوْنُهَا	أَفٍّ عَلَى الْخَمْرِ وَأَدْنَانُهَا
فَاشْرَبْ وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَ الَّذِي	بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِحَرَمَانِهَا

• القهوة، والمقهى:

القهوة والمقهى وتجمع على قهوات وقهاوٍ ومقاهٍ، والقهوة هي محلُّ شُرْبِ القهوة

(١) الأرنؤوط، "من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي"، ٢٠.

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، (حان) ٢: ٢٦.

(٣) الغزّي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة"، ٢: ١٩٦.

(٤) زين العابدين بن مُحَمَّد بن عَلِيّ الْبَكْرِيّ الصديقي القاهري. وهو يعني قهوة البَن. ينظر: محمد أمين الدمشقي، "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". (د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت)، ٢: ١٩٦.

ونحوها^(١). يقال: «المَقْهَى» اسم مكان قياسي من «قهو»، ويصح أن تضبط «المَقْهَى» من «أقهى» وقد أقرّ مجمع اللغة الاستعمال^(٢)، وتستعمل التسمية في مصر والمغرب واليمن وأيضاً في السعودية، ومنها جاءت كلمة «قهوجي» التي تطلق على صاحب المَقْهَى نحو: «قام القهوجي بعمل بعض التجديدات في قهوته»، وتطلق أيضاً على من يُقدِّم القَهْوَة للشاربين^(٣).

• المقصف والمقاصفي:

قَصِفَ قَصْفًا، فَهُوَ قَصِيفٌ وَقَصِيفٌ وَأَقَصَفَ، والقَصِف: اللّهُو واللّعب، ويُقال: إِنَّمَا مُؤَلَّدَة، والقَصِف: الجَلْبَة والإِعلان بِاللّهُو، وقَصَفَ عَلَيْنَا بِالطَّعام يَقْصِفُ قَصْفًا: تابع، والقَصِيف: هَشِيم الشَّجَر، والتَّقْصِف: التَّكْسُر، وقَصَفَة القَوْم: تَدافُعهم وَأَزْدِحامُهم^(٤)، والمقصف اسم مكان من قَصَف: وهو الحانة؛ محلٌّ للأكل والشُّرب^(٥). جاء في معجم تيمور الكبير: «المقصف والمقاصفي: بيتٌ فيه فرش ومخادد للمتزهين، أي مكان القهوة»^(٦)، وقد وردت كلمة «مقصف» في قول الشاعر الدمشقي^(٧):

أَلَمْ إِذَا هُمُ غَزَاكَ بِلُبْغَا واعطف لمقصفه تنل ما يُبتغى
فوحقّ كوثر مائه من وال في جنّات عدنٍ مثله فلقد لغا

(١) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٣: ٨٦٧.

(٢) ينظر: عمر، "معجم الصواب اللغوي"، ١: ٦١٠.

(٣) ينظر: عمر، "معجم الصواب اللغوي"، ١: ١٨٦٧.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، (قصف) ٩: ٢٨٣.

(٥) عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٢: ١٨٢٥.

(٦) تيمور، "معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية"، ٥: ١٧٧.

(٧) درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي (٩٥٠ - ١٠١٤هـ).

وكان الشاعر قد ذكر مناسبة البيتين حيث قال: «ومما دعا إليه باعثُ غرامٍ وداعية صَبوة ما نظمته في شبَّاك جامع يُلْبِغُ المِطْلَّ على النهر والقهوة، ... وذلك عام ٩٨٣هـ»^(١). فالمقصف: القهوة (المقهى).

والذي يبدو أن تلك الدلالة قد أميتت، وأصبحت كلمة «مقصف» اليوم تطلق على أماكن بيع الطعام والشراب في المدارس والنوادي وغيرها، وهي تسمية حادثة جاءت تعريباً لكلمة buffet الإنجليزية، وكلمة bufet الفرنسية، التي كانت تعني الخزانة الجانبية التي تحمل الأطباق، ثم امتد معناها لتشمل «بار المرطبات، وعبرَ بها عن طاولة البوفيه، وعربة البوفيه»^(٢).

• الديوانية، والديوان:

الديوانية مسموعة في بعض دول الخليج كالسعودية والكويت والعراق، وهي غرفة متوسطة المساحة تطلّ على الفناء الداخلي للبيت، تكون قريبةً من المدخل، وفيها مكان لإعداد القهوة وأدواتها، وقد تستعمل في بعض البلدان للمناسبات كالأفراح وغيرها، أما الديوان فيُطلق على المجلس الرئيس^(٣).

المطلب الثاني: القهوة في الحاضر

تأثير العولمة على اللغة المستخدمة في وصف القهوة

لقد كان للقهوة دورٌ كبير في ترسيخ الكثير من القيم والعادات السلوكية

(١) درويش محمد بن أحمد الدمشقي، "ساعات دُمي القصر في مطارحات بني العصر" تحقيق: د. محمد الخولي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م)، ١: ١٦٩.

(٢) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/٤/١٦م" من موقع: etymonline.com.

(٣) ينظر: العويد، "أطلس اللهجات العربية على الإنترنت". "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٧م" من موقع: atlasalhajaat.com.

والاجتماعية لدى المجتمعات العربية، حيث تغلغلت في حياة الأفراد والقبائل، وكانت -في كثير من الأوقات- عاملاً في تعزيز القيم الاجتماعية، وفضّ المنازعات، وإنهاء الخلافات، وهي رمزٌ من رموز الكرم والضيافة، ولها دورٌ فاعل في تحقيق التواصل بين الأفراد والجماعات.

ولقد أثّرت العولمة بشكل كبير على تلك القيم والعادات، بل تأثّرت أيضاً اللغة المستخدمة في وصف القهوة، فتداخلت الثقافات وتبادل الأفكار والممارسات أدّى إلى تغيير الكثير من المفردات والمصطلحات والعادات، سواءً تلك المفردات أو المصطلحات المتعلقة بمستّيات القهوة، أو النكهات، أو طرق تحضيرها، أو كيفية تقديمها.

وجدتُ بالذكر أن يُشار إلى أنه عند ظهور كلمة «قهوة» coffee العربية الأصل ضمن المعجم الإنجليزي مثلاً ظهرت معها مفردات أخرى مرتبطة بها مثل أسماء بعض الأدوات والأطعمة والمشروبات وغيرها، فيقال: «حبوب القهوة» Coffee-bean و «مطحنة القهوة» Coffee-mill و «ملعقة القهوة» Coffee-spoon، و «إبريق القهوة» Coffee-pot، و «فنجان القهوة» Coffee-cup، و «مقهى» Coffee-shop، و «كعكة القهوة» Coffee-cake، و «استراحة القهوة» Coffee-break، وطاولة القهوة Coffee table، و «بيت القهوة» Coffee house، وغير ذلك. وفيما يلي عرض لمفردات وأدوات القهوة في اللغة الحديثة.

المفردات الحديثة المرتبطة بالقهوة

مع انتشار القهوة عالمياً وتنوع طرق تحضيرها، ظهرت الكثير من المفردات الحديثة التي عكست هذا التنوع، تلك المفردات والأسماء تعبّر عن تطور ثقافة القهوة وتأثير العولمة في إثراء لغتنا اليومية. ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

أولاً: أماكن شربها وإعدادها

• الكوفي شوب Coffee shop

كلمة إنجليزية، تعني «محل بيع القهوة» وهو في الأصل الأجنبي مطعم صغير، غالباً ما يكون في متجر أو فندق أو نحو ذلك، يتم فيه تقديم القهوة والشاي والمشروبات الأخرى غير الكحولية والطعام البسيط^(١). ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة Coffee shop في اللغة الهولندية تعني أيضاً: «المكان المرخص لبيع الحشيش coffeeshop»، ولذلك يُفضّل استعمال كلمات أخرى مثل: «Koffiehuis بيت القهوة» و «Café مقهى» و «Koffiezaak محل القهوة»^(٢).

• الكافيه Cafe

كلمة Cafe جاءت من الفرنسية café أو من الإيطالية caffè، وهو بيت القهوة coffee-house، ويطلق أيضاً المطعم أو المكان الذي يمكن شراء المشروبات والوجبات البسيطة منه^(٣).

• مكيينة القهوة Coffee machine

المكيينة آلة يُسيرها البخار أو الكهرباء أو نحوهما؛ وتجمع على مكائن. ويقال لها أيضاً: «ماكينة»، و «مَكِينَة» بفتح فكسر، وتجمع هذه الأخيرة على مَكِينَات بفتح

(١) ينظر: Oxford Learners Dictionaries، oxfordlearnersdictionaries.com. "استرجعت

بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨م" من موقع: oxfordlearnersdictionaries.com.

(٢) ينظر: قاموس العربية-الهولندية على الإنترنت. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/٤/١٦م" من

موقع: <https://www.wordreference.com/arnl>.

(٣) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary. "استرجعت

بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨م" من موقع: etymonline.com.

فكسّر، وهي دخيلة من اللغة اليونانية makhana واللغة اللاتينية machina^(١). ومكينة القهوة آلة توضع فيها العملات النقدية، وتقوم بإعداد القهوة آلياً، وتُطلق أيضاً على مكينة القهوة المستخدمة داخل المقاهي لإعداد أنواع من القهوة مثل «الإسبريسو، واللاتيه، والكابتشينو وغيرها»، والفرق بينهما أن الأولى أكبر حجماً، كما تختلف في طريقة إعدادها للقهوة وأماكن تواجدها، فقد تكون في داخل المحالّ التجارية أو خارجها على الطرقات مثلاً، وتُحضّر القهوة ذاتيّاً، أما الأخرى فهي أصغر من الأولى حجماً، وتكون في داخل المقاهي، وتحتاج إلى من يقوم بتشغيلها لتحضير القهوة وإعدادها.

ثانياً: أدوات صنع وتحضير القهوة

• مطحنة القهوة Coffee-mill

المِطْحَنَة: جمعها مِطْحَنَات ومِطْحَانٌ، ومِطْحَنَة ومِطْحَن وطاحون وطاحونة اسم آلة من طَحَنَ، وهي آلة كهربائية أو يدوية لطحن التوابل وغيرها في المنزل والمقهى وغيرها^(٢)، وتكون على أنواع وأحجام عدّة؛ بحسب الحاجة^(٣). وقد ذكر جيمس هوفمان James Hoffmann في كتابه عن القهوة نوعين رئيسيين من المطاحن المستخدمة حديثاً (للاستزادة يمكن الرجوع إليها في كتابه)^(٤) هي:

(١) ينظر: د. فانيامبادي عبد الرحيم، "معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها". (ط ١، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م): ٢٠١. ونخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط"، ٢: ٨٨٢.
(٢) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (طحن) ٢: ١٣٩١؛ ونخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط"، (طحن) ٢: ٥٥٢.

(3) James Hoffman, "The world atlas of coffee: from beans to brewing-coffees explored, explained and enjoyed". (First Printing, Firefly Books Ltd, 2014): 68.
(٤) باريستا إنجليزي، رجل أعمال، ومستشار قهوة، ومؤلف.

الطواحين ذات الشفرات Blade Grinders: وتعتمد على شفرات تدور بسرعة لقطع حبوب القهوة إلى أجزاء صغيرة، مناسبة لتحضير القهوة بالتقطير أو قهوة المكبس الفرنسي French Press.

الطواحين ذات الشفرات المسطحة (Flat Burr Grinders):

تستخدم زوجًا من الشفرات المسطحة لطحن البُنّ بدقة أكثر، مناسبة أكثر لإعداد قهوة الإسبريسو والقهوة المختصة.

ومنها مطاحن الإسبريسو الاحترافية Commercial Espresso Grinders وغالبًا ما تكون مخصصة ومصممة لطحن ناعم ودقيق جدًا يناسب إعداد قهوة الإسبريسو، وأيضًا قد تكون مناسبة للمقاهي بسبب ارتفاع تكلفتها، وكبر حجمها.

• صانعة القهوة^(١) Coffee maker

الصَّانِع في اللغة من يصنع بيديهِ ومن يحترف الصَّنَاعَة، يُقال امرأة صانعة اليَدَيْنِ ماهرة حاذقة مجيدة في عمل اليَدَيْنِ^(٢).

وصانعة القهوة جهاز غير معقد، تُكون على أشكال وأنواع مختلفة، منها ما يُستخدم لتحضير القهوة بالتقطير، وهذا النوع يتكون من: «إبريق للماء الساخن، وفلتر ورقي، وكوب فلتر علوي، ووعاء سُفلي» والفلتر Filter المرشَّح: كلمة إنجليزية أُخذت عن الفرنسية القديمة feutre، وهي في الفرنسية الحديثة filtre، وأيضًا عن اللاتينية filtrum^(٣)، والمرشَّح هو ما يستخدم لتنقية وتصفية السوائل مما بها من

(١) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary؛ و Dictionaries Oxford Learners. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨ م" من موقع: etymonline.com ؛ و oxfordlearnersdictionaries.com.

(٢) ينظر: نخبة من اللغويين، "المعجم الوسيط"، (صنع) ١: ٥٢٥.

(٣) ينظر: موقع معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary. "استرجعت

شوائب^(١).

وطريقة عمل هذا النوع من الأجهزة بأن تُضاف القهوة المطحونة على المرشّح الورقي في الوعاء العلوي، ثم يُسكب الماء المُغلي من إبريق خاص على القهوة المطحونة، ثم يتم تقطيره عبر المرشّح إلى الإناء السفلي، وبذلك تكون القهوة جاهزة للشرب. ومنها صانعات القهوة التي تستخدم الضغط لدفع الماء -بعد أن يغلي- من الجزء السفلي للآلة، ثم يمرّ من خلال القهوة المطحونة وتستقر القهوة في الجزء العلوي لتُسكب بعد ذلك في كوب القهوة، وهذا النوع من الصانعات يُسمّى «إبريق الموكا» Mocha Pot.

ومنها صانعات القهوة التي تسمّى مكبس القهوة، وتُعرف باسم الإبريق الفرنسي French Press، وتسمّى أيضًا Cafetière^(٢)، وتتطلب قهوة مطحونة بدرجة أكثر خشونة -مقارنة بمرشح القهوة بالتقطير- السابق الذكر- كي لا تتسرب القهوة المطحونة عبر فلتر المكبس إلى المشروب، وهناك أيضًا غيرها من صانعات القهوة. وتُستخدم هذه الأنواع من الأجهزة عادةً في المنازل والمكاتب لتحضير القهوة بطريقة سهلة، وقد يُطلق عليها أيضًا اسم مكيّنة القهوة، لكن المعجم الإنجليزي يُفرّق بين «صانعة القهوة» Coffee maker و«مكيّنة القهوة» Coffee machine. جاء في معجم أكسفورد^(٣) Oxford Dictionaries:

=

بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨ م من موقع: etymonline.com.

(١) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (صنع) ٢: ٨٩٤.

(٢) Hoffman, "The world atlas of coffee", 88.

(٣) ينظر: Oxford Learners Dictionaries. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٩ م من موقع:

oxfordlearnersdictionaries.com

- Coffee machine: A machine that you put coins in to get a cup of coffee.
- Coffee maker: A small machine for making cups of coffee.

فمكينة القهوة تُطلق على آلة توضع فيها العملات النقدية، وتقوم بإعداد القهوة آلياً، والأخرى مكينة صغيرة -مقارنة بالأولى- تستخدم في إعداد القهوة. ومكائن القهوة المستخدمة لإعداد «الإسبريسو واللاتيه والكابتشينو... إلخ» في المقاهي تتركب من مكينة صنع القهوة والمطحنة وخزان المياه، ومجموعة أخرى من القطع المرافقة لها، ومنها:

- مقبض أو حامل القهوة **Portafilter**: وهو أداة معدنية لها ذراع تحتوي على مُرَشِّح أو سلّة القهوة المطحونة، يُثبت المقبض على آلة التحضير لاستخلاص القهوة، والكلمة مكونة من Porta وهي في الأصل لاتينية تعني البوابة أو الحامل، ومن كلمة filter وتعني المُرَشِّح، وبذلك يفهم معناها^(١).
- مُرَشِّح القهوة **Filter basket**: تُستخدم لحمل القهوة المطحونة عند تحضير الإسبريسو، تحتوي السلة أو سلّة المُرَشِّح على ثقوب صغيرة تسمح بمرور الماء المُغلي خلال القهوة المطحونة، يتم إدخال سلّة المُرَشِّح في حامل القهوة Portafilter، ويُثبت الحامل في مكان التحضير في ماكينة الإسبريسو.
- مكبس القهوة **The Coffee Tamper**: يستخدم لضغط القهوة في المُرَشِّح وسدّ الفراغات بين ذرّات القهوة، وكلمة tamper قديماً تعني «التدخل بغير حكمة» ومن معانيها حديثاً «العمل في الطين» جاءت من الهولندية tamperen ولها أيضاً علاقة بالكلمة الألمانية tamper or tampen،

(١) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨م" من موقع: etymonline.com.

وقد انتقلت إلى الإنجليزية في منتصف القرن السادس عشر الميلادي^(١)، واستخدمه بالمعنى الحالي -المذكور في السياق أعلاه- حديثاً ومنفصلاً تماماً عن المعنى الأصلي للكلمة.

ثالثاً: أسماء وأنواع القهوة

• إسبريسو Espresso

الإسبريسو كلمة إيطالية espresso (caffè)، من كلمة espresso التي تعني «مضغوط» أو «مستخرج»، وهي التصريف الماضي لكلمة esprimere، المشتقة من اللاتينية exprimere بمعنى: يضغط أو يعصر، والإسبريسو مشروب مكوّن من قهوة سوداء مركّزة تحضّر تحت ضغط البخار، وتعود بداية هذا المشروب إلى عام ١٩٤٥م^(٢).

• لاتيه Coffee Latte

اللاتيه كلمة إيطالية مشتقة من الكلمة اللاتينية lac، وتعني قهوة بالحليب milk coffee، وهو من المشروبات الشائعة. تعود بداية هذا المشروب إلى التسعينات الميلادية، ويُصنع من القهوة (الإسبريسو) والحليب، ويحتوي الكوب على ثلث من الإسبريسو وثلثين من الحليب

(١) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary؛ وDictionaries Oxford Learners. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٩م" من موقع: etymonline.com، و.oxfordlearnersdictionaries.com

(٢) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary؛ وDictionaries Oxford Learners. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٩م" من موقع: .oxfordlearnersdictionaries.com

المبخر، وطبقة من رغوة الحليب على الوجه العلوي^(١).

• كابتشينو Cappuccino

الكابتشينو كلمة غير عربية، فهي دخيلة على العربية، أما في الإنجليزية cappuccino فقد جاءت من الكلمة الإيطالية cappuccino المشتقة من capuchin التي تشير إلى لون المشروب، حيث يقال: «إنه يشبه لون العباءات البنية لرهبان Capuchins Friars Minor»^(٢). والكابتشينو نوع من القهوة يُحضّر مع رغوة الحليب الساخن وأحياناً تُضاف عليه طبقة من الشوكولاته (الكاكاو)، يحتوي الكابتشينو على نسب متساوية من الإسبريسو، والحليب المبخر، ورغوة الحليب، كلها تُقاس بالوزن.

• فلات وايت Flat white

الفلات وايت من المشروبات الشائعة في أستراليا ونيوزيلندا في بداية الثمانينات الميلادية، ثم انتقل إلى أرجاء العالم، يحتوي على القهوة والحليب ويُعدّ بالطريقة التي يُعدّ بها الكابتشينو لكن يحتوي على كمية أقل من الحليب مقارنة باللاتيه^(٣).

• موكا Mocha

كلمة «موكا» ذات أصول عربية، وتشير إلى مدينة «المُحَا» أحد أهم الموانئ

(١) ينظر: موقع معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary، etymonline.com. وموقع: Oxford Learners Dictionaries. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨ م" من موقع: oxfordlearnersdictionaries.com.

(٢) ينظر: موقع معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary، "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٩ م" من موقع: etymonline.com.

(٣) ينظر: Oxford Learners Dictionaries. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨ م" من موقع: oxfordlearnersdictionaries.com؛ وموقع: coffeeandkin.co.uk.

قديمًا، تقع جنوب غرب اليمن وتُطلّ على البحر الأحمر، وقد اشتهرت ببُنّها الذي كان يُصدّر إلى العالم^(١)، وحتى ١٧٠٠م كان معظم البُنّ يستورد من إقليم المخا في اليمن، وفي القرن الثامن عشر نقل الهولنديون زراعته إلى جاوة ونقله البرتغاليون إلى سيلان والبرازيل، والإنجليز إلى جاميكا^(٢).

كان مصطلح «موكا» في عام ١٧٧٣م يشير إلى «القهوة الفاخرة»، أما معناه اليوم فهو «القهوة والشوكولاتة»، وقد تمّ تسجيله عام ١٨٤٩م باعتباره اسمًا تجاريًا وتم توثيقه منذ عام ١٨٩٥م^(٣).

• أمريكانو Americano

«أمريكانو» هو اختصار لكلمة café Americano وهي كلمة إسبانية تعني «القهوة الأمريكية» American coffee، وكانت مصطلحًا شائعًا في أمريكا الوسطى منذ خمسينات القرن الماضي^(٤).
«والأمريكانو» مشروب يُحضّر من القهوة المخففة، يُخفّف بمزج كمية صغيرة من القهوة السوداء القوية «الإسبريسو» مع الماء الساخن.

(١) د. سيجريد هونكه، "شمس الله تشرق على الغرب؛ فضل العرب على أوروبا". ترجمه وتحقيق:

د. فؤاد حسنين علي، (ط ٢، دار العلم العربي، ١٤٣٢هـ): ٤٦٥.

(٢) ديورانت، "قصة الحضارة"، ٣٢: ١٥٣.

(٣) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary. "استرجعت

بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨م" من موقع: etymonline.com.

(٤) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary و Dictionaries

Oxford Learners. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨م" من موقع: etymonline.com ؛ و

coffeeandkin.co.uk و oxfordlearnersdictionaries.com.

• كورتادو Cortado

على غير المألوف؛ هذه القهوة تختلف عن سابقتها، فقهوة الكورتادو ليست من أصول إيطالية لأنها نشأت في إسبانيا، فكلمة Cortado مشتقة من الفعل الإسباني Cortar، الذي يعني «يقطع» والذي يشير إلى أنّ الحليب يقطع حدة ومرارة الإسبريسو^(١).

ويتميز هذا النوع من القهوة بتوازن بين الإسبريسو والحليب الساخن دون وجود رغوة، حيث يعكس الكورتادو تجربة قهوة أكثر اعتدالاً مقارنة باللاتيه أو الكابتشينو الإيطاليين، وهو المشروب المفضل لدى أولئك الذين يفضلون القهوة بلمسة خفيفة من الحليب^(٢).

• القهوة المقطرة Drip coffee

التقطير مصدر قَطَرٌ، ويعني تحويل سائل إلى بخار بالحرارة ثم تبريده بقصد تنقيته، أو تحصيل سائل آخر بجهاز التقطير، ويعني أيضاً تنقية الماء وتصفيته ممّا قد يعلق به من موادّ غريبة ضارة^(٣).

القهوة المقطرة تكون بتمرير الماء الساخن تدريجياً عبر القهوة المطحونة باستخدام الجاذبية، وقد بدأت هذه الطريقة بشكلها البدائي في القرن الثامن عشر، حيث كان الناس في أوروبا يستخدمون أكياس القماش لتصفية القهوة، وفي عام ١٩٠٨م قامت إحدى النساء الألمانيات^(٤) باختراع أول فلتر ورقي لتحضير القهوة

(١) Hoffman, "The world atlas of coffee", 115.

(٢) المرجع السابق ص ١١٥.

(٣) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (قطر) ٣: ١٨٣٢.

(٤) ميلتا بنتز (Melitta Bentz)، ربة منزل ألمانية.

بالتقطير، وسجلت براءة اختراعه، حيث يعتبر هذا الاختراع نقطة التحول التي أدت إلى انتشار القهوة المقطرة لتكون إحدى الطرق الشائعة في تحضير القهوة^(١).
وقد تطورت أجهزة وأدوات تحضير القهوة المقطرة في منتصف القرن العشرين، وانتشرت الأجهزة الكهربائية، ومنها أجهزة مثل V60 المعروفة^(٢).

• القهوة التركية Turkish coffee

جاء في لسان العرب^(٣): «التُّرك: الجيلُ المَعْرُوفُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الدَّيْلَم، والجمع أَتْرَک»، وفي تاج العروس^(٤): «التُّركُ جِيلٌ من النَّاسِ الواحدُ تُركيٌّ، كَرُومٍ وَرُوميٍّ، أَتْرَکٌ، يُقال: إِنَّهُمْ بَنُو قَنْطُوراءَ، وَهِيَ أُمَّةُ الحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمَشْهُورُ أَنَّهُم أَوْلَادُ يافِثَ بنِ نُوحٍ، وَقيل: إِنَّهُمْ الدَّيْلَمُ وَمِنْهُمْ التَّتارُ».

وجاء في أطلس تاريخ الدولة العثمانية^(٥) أن كلمة «تُرک» تعني الإنسان الجميل في الأدب الفارسي.

وورد في بعض المعاجم الأجنبية أن كلمة «تُرک Turk» مأخوذة من الفرنسية Turc عن اللاتينية الوسطى Turcus ومن اليونانية البيزنطية Tourkos والفارسية Turk، وقيل هو اسم قومي مجهول الأصل. وقيل: كلمة تركيا Türkiye مكونة من جزئين «Türk» وتعني قوم أو أمة «التُّرك» و «iye» وتعني «المكان أو الأرض» فمعناها أرض التُّرك، واستخدمت الكلمة في اللغة الإنجليزية للإشارة إلى «القوة

(١) Hoffman, "The world atlas of coffee", 78-83.

(٢) 83. Hoffman, "The world atlas of coffee",

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، (ترك) ١٠: ٤٠٦.

(٤) الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (ترك) ٢٧: ٩٣.

(٥) سامي بن عبدالله المغلوث، "أطلس تاريخ الدولة العثمانية". (ط١، الكويت: مكتبة الإمام

الذهبي، ٢٠١٤م): ١١.

العثمانية» (أواخر القرن الخامس عشر)، ومنذ القرن الرابع عشر، إلى الثامن عشر، استُخدمت كلمة «تُرْك Turk» لوصف السكان المسلمين في آسيا الصغرى^(١). هذا فيما يتعلق بلفظة «تُرْك»، أما القهوة التركية فهي قهوة سوداء قوية جدًا، وعادةً ما تكون شديدة الحلاوة بسبب السكر المضاف إليها، تُقدّم مع بقايا البنّ المطحون فيها^(٢).

• القهوة الإيرلندية Irish coffee

كلمة «Irish» تشير إلى الشعب الأيرلندي سكان أيرلندا، ووفقًا للمراجع الأجنبية^(٣) فإن أصل المفردة يعود إلى اللغة الإنجليزية القديمة **Iras** بمعنى «سكان أيرلندا»، وهو في الأصل مشتق من اللغة النوردية القديمة^(٤) **Irar**، التي تعود أصولها إلى اللغة الأيرلندية القديمة **Eriu**، والتي تعود إلى اللغة السلتية القديمة **Iveriu**^(٥). أما القهوة الإيرلندية فهي قهوة ساخنة ممزوجة بـ«الويسكي» والسكر، مع كريمة

(١) لتفاصيل أوسع؛ ينظر: موقع: Oxford English Dictionary oed.com؛ وموقع معجم

أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary، etymonline.com.

"استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/٩ م" من موقع: oed.com؛ etymonline.com.

(٢) ينظر: Oxford Learners Dictionaries. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/١٠ م" من موقع:

oxfordlearnersdictionaries.com؛ coffeeandkin.co.uk.

(٣) ينظر: Oxford English Dictionary؛ ومعجم أصول الكلمات الإنجليزية Online

Etymology Dictionary، "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/١/١٠ م" من موقع: oed.co؛ و

etymonline.com.

(٤) النوردية القديمة أو النُرمانية القديمة نسبة إلى النُرمانيين Norsemen، وهي لغة جرمانية شمالية.

(٥) فرع من عائلة اللغات الهندوأوروبية، كانت اللغات السلتية تُتحدث في معظم أنحاء أوروبا، أما

اليوم، فهي مقتصرة على الطرف الشمالي الغربي من أوروبا.

كثيفة على السطح.

ويستحسن أيضاً الإشارة إلى بعض أنواع القهوة الأخرى التي تُشرب على نطاق واسع في البلاد العربية، ومنها:

• القهوة المُرّة

المُرّة، بالضم: ضِدُّ الحُلْوِ، مَرَّ يَمُرُّ، بالفتح والضم، مَرَارَةً^(١). يقال: «قهوة مُرّة»، ويقال: «سادة». وسادة: كلمة فارسية عربتها العرب بـ«ساذج»، لكن العامة أرجعتها إلى فارسيّتها فقالوا: «سادة»^(٢). وقهوة سادة: بدون سكر^(٣).

القهوة المرة نوع من أنواع القهوة العربية التي تُحضّر غالباً من حبوب البنّ المحمصة بدرجة عالية، تكون غامقة، وتغلى مع الماء مدة طويلة قد تصل لساعات دون إضافة السكر أو الحليب، وذلك ما يجعل طعمها مُرّاً وشديد التركيز، وقبل الانتهاء من غلي القهوة يضاف إليها مسحوق الهيل وهو أفضل المطيبات والمعطرات للقهوة^(٤).

• القهوة المغربية

مَغْرِب مفرد جمعها مَغَارِب، اسم مكان من غَرِب، مقابل مَشْرِق، وبلاد المغرب:

(١) ينظر: الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". ٤٧٤.

(٢) تيمور، "معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية". ٤: ٦٥.

(٣) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (سود) ٢: ١١٣١.

(٤) ينظر: معجم المأكّل العربية على الإنترنت، وأيضاً طريقة عمل القهوة العربية المرة على صفحة: كوكباد cookpad، "استرجعت بتاريخ ١٩/٤/٢٠٢٥م" من موقع:

albukhari.com وموقع: <https://cookpad.com>.

البلاد الواقعة في شمال إفريقيا في غربي مصر وهي ليبيا وتونس والجزائر ومراكش^(١).
القهوة المغربية مشروب تقليدي في المغرب، تختلف عن القهوة الشرقية من حيث النكهة وطريقة التحضير والتوابل المضافة.
وتسمى القهوة البلدية وتُحضر غالبًا باستخدام حبوب البنّ المطحونة مع مجموعة من الأعشاب والتوابل، ومن تلك التوابل أعواد القرفة، جوزة الطيب، الهيل، القرنفل، الزنجبيل، الميرمية وتسمى السالمية، وغيرها من التوابل والأعشاب ما يمنحها نكهة غنية، وتُعرف أحيانًا باسم «قهوة الأعشاب»^(٢).
ولا شك أن القهوة انتقلت إلى المغرب عن طريق المشرق كغيرها من البلدان لكنها تأثرت أيضًا بالعادات الأندلسية والأمازيغية والطرق الصوفية. فمن أنواع القهوة هناك ما يسمى قهوة نُص نُص «Nous-nous» وتعني نصف قهوة ونصف حليب، وهي قريبة من القهوة الإسبانية المسماة كورتادو، ويتناولونها في فنجان صغير مشابه لفنجان الكورتادو. وهناك نوع آخر يسمى «قهوة كحلة qahwa kahla أو Black coffee» وهي قهوة سوداء تُصنع بالطريقة التركية^(٣).

(١) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (غرب) ٢: ١٦٠٣.

(٢) ينظر: Kurniawan Arif Maspul، Sustaining the Specialty Coffee in Morocco: Challenges and Opportunities. ULIL ALBAB: Jurnal Ilmiah Multidisiplin, Spiced Coffee، ومقال آخر بعنوان: Vol.1, No.10, September 2022, p.3495.

Hungry Recipe – How to Make Moroccan Spiced Coffee على صفحة: Traveler "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/٤/١٧ من موقع: www.thehungrytravelerblog.com /

(٣) ينظر: فن الطهي المغربي The Art of Moroccan Cuisine؛ على موقع الطبخ والثقافة في مدينة فاس Fes Cooking and Cultural Tours. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٥/٤/١٧ من

• القهوة السعودية ومكانتها الثقافية والاجتماعية

القهوة السعودية ليست مجرد عادة يومية، بل هي ثقافة متجذرة تُعبر عن قيم الكرم والأصالة، ولذلك تجاوزت حدود الارتباط بالعلاقات الاجتماعية والأسرية إلى الارتباط بالمحافل والمناسبات الدولية المنعقدة خلال المؤتمرات، فالقهوة السعودية أولى خطوات مراسم الضيافة الرسمية في استقبال الوفود الخارجية ورؤساء الدول في المملكة، كما إنها أيضًا تُقدّم على متن الرحلات الجوية السعودية احتفاءً بالضيوف القادمين لزيارة المملكة العربية السعودية مما يعكس أهمية المحافظة على التراث ونشره عالميًا، ويعزّز الفخر بالهوية الثقافية والاجتماعية للمملكة العربية السعودية.

وقد سُجّلت القهوة العربية عام ١٤٣٧ هـ/ ٢٠١٥ م بوصفها عنصرًا مشتركًا بين السعودية ودول خليجية عدّة في اللائحة التمثيلية للتراث غير المادي، المسجل في منظمة اليونسكو للتراث العالمي^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن عام ٢٠٢٢ م سُمّي بعام القهوة السعودية، باعتبارها رمزًا ثقافيًا من رموز المملكة العربية السعودية، وتدخل هذه المبادرة ضمن برنامج جودة الحياة، أحد برامج تحقيق رؤية ٢٠٣٠، وتعتبر أيضًا تعزيزًا للهوية الوطنية وكل ما يرتبط بها من عناصر ثقافية، ليتّـم إبراز التنوع الثقافي الكبير من خلال التنوع في طرق

=

موقع: <https://fescooking.wordpress.com/the-art-of-moroccan-cuisine/>.

(١) لتفاصيل أوسع؛ ينظر: موقع وزارة الثقافة السعودية: engage.moc.gov.sa، وموقع سعودبيديا saudipedia.com. "استرجعت بتاريخ ١٠/١/٢٠٢٥ م" من موقع:

engage.moc.gov.sa و saudipedia.com.

إعداد وتقديم القهوة السعودية. ولذلك خصصت وزارة الثقافة منصة إلكترونية تعرض الكثير من الأنشطة والحملات، وتُحفّز من خلالها الكثير من الأفراد، والجهات الحكومية والمحلية والعالمية من مقاهٍ وشركات وغيرها على الابتكار والمشاركة بالأفكار التي من شأنها ضمان حضور القهوة السعودية بشكل فاعل ومستمرّ ضمن قوائم ومنتجات تلك الجهات^(١).

(١) المرجع السابق.

الخاتمة

أظهرت الدراسة أن القهوة تعدُّ انعكاسًا عميقًا للهوية الثقافية واللغوية للمجتمعات، كما إن المفردات المرتبطة بالقهوة تعكس تطور الثقافات والتأثيرات المتبادلة بين الشعوب.

ف«القهوة السعودية» خصوصًا والعربية عمومًا ارتبطت بثقافة المجتمع الذي يتخذ من القهوة علامة على الكرم وحسن الضيافة، كما إنها ارتبطت بكثير من العادات والقيم المجتمعية.

وهناك أيضاً مظاهر أخرى للقهوة ترتبط بطريقة إعدادها، وتشير إلى ثقافة المجتمع فيما يتناولونه معها. فهناك القهوة التي يُستخدم معها «الهيل» أو «الرنجبل»، والقهوة التي تصنع مع «الحليب»، والقهوة التي تحتوي على الكثير من «السَّكَّر»، والقهوة التي تحتوي على «الخمر».

ف«القهوة التركية» تميزت بقوة تركيزها وشدة حلاوتها، و«القهوة الإيرلندية» تُخلط بالخمير «الويسكي»، وربما يعود ذلك لعامل ثقافي تاريخي يرتبط باللغة الإيرلندية القديمة، فكلمة Whisky تعني حرفيًا «ماء الحياة» وقد دخلت الإنجليزية عن طريق اللغة الإيرلندية القديمة من كلمة uisce وتعني «water» «ماء»^(١).

وهناك قهوة «الكورتادو» الإسبانية الأصل التي تختلف عن القهوة الإيطالية والتي يفضلها شاربوها بدون رغوة الحليب، وربما هذا يعكس ثقافة المجتمع. وفي بعض الثقافات يكون هناك قهوة خاصة للأفراح وقهوة للمآتم وهكذا.

(١) ينظر: معجم أصول الكلمات الإنجليزية Online Etymology Dictionary، etymonline.com. "استرجعت بتاريخ ١٠/١/٢٠٢٥م" من موقع: etymonline.com.

كما أظهرت الدراسة الخلاف الكبير بين العلماء في تحديد أصول الكثير من المفردات والمسميات، هل هي عربية أم معربة، مثل كلمة زنجبيل، وفنجان، وهاون وغيرها. وأشارت الدراسة أيضًا إلى أصول التسميات الغربية للقهوة الحديثة وأسباب ذلك.

نتائج البحث

- أظهرت الدراسة وجود علاقة وثيقة بين المفردات المرتبطة بالقهوة وتاريخ انتشارها عالميًا، وعادات أهلها.
- أظهرت الدراسة أصول مسميات مفردات القهوة عمومًا، والحديثة منها خصوصًا، وربطت تلك المسميات ببلدانها الأصلية كالإيطالية والإسبانية والإيرلندية وغيرها، والأسباب التي دعت إلى استخدام تلك المسميات تحديدًا.
- الأدوات وأماكن تقديم القهوة وكيفية إعدادها تحمل دلالات ثقافية، تعكس طبيعة المجتمعات التي تتناولها، وتستعملها.
- تطورت أسماء القهوة وأنواعها بتأثير التقاليد المحلية والعولمة، مما أضاف أبعادًا جديدة للهوية اللغوية والثقافية.

التوصيات

- التأكيد على أهمية القهوة، والعناية بها باعتبارها إراثًا ثقافيًا ولغويًا.
- توصي الدراسة بإعادة النظر في المصطلحات الدخيلة المتعلقة بالقهوة؛ اللاتية والكابتشينو والإسبريسو، وغيرها، لدراسة الألفاظ الممكن تعريبها منها.
- تأمل الدراسة أن تكون دافعًا لمزيد من الدراسات التي تتناول العناصر الثقافية الأخرى من منظور لغوي وحضاري.

المراجع

- ابن برّي، عبد الله بن برّي. "في التعريب والمغرب". تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
- ابن دريد، محمد بن الحسن. "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي البعلبكي، (ط ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المخصص". خليل إبراهيم جفال، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م).
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. "غريب الحديث". تحقيق: د. عبد الله الجبوري، (ط ١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". الحواشي: ليليازي وجماعة من اللغويين، (ط ٣، بيروت دار صادر، ١٤١٤هـ).
- أبو عبيد، القاسم بن سلام، "الغريب المصنف". تحقيق: د. محمد المختار، (ط ١، القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٩٦م).
- الأزهري، محمد بن أحمد. "تهديب اللغة". تحقيق محمد عوض، (ط ١، بيروت: دار التراث، ٢٠٠١م).
- أفندي، أحمد فارس. "الjasوس على القاموس". (د.ط، قسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ).
- البستاني، بطرس. "محيط المحيط". (د.ط، لبنان: مطابع تيو برس، ١٩٨٧م).
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط ٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

- التبريزي، يحيى بن علي الشيباني. "شرح القصائد العشر". (د.ط، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ).
- التويم، ناصر بن إبراهيم. "الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية". (ط ١، الرياض: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ٢٠٠٢م).
- تيمور، أحمد بن إسماعيل. "معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية". تحقيق: دكتور حسين نصار، (ط ٢، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٢م).
- الjasر، حمد. "من سوانح الذكريات". راجعه: عبدالرحمن الشبيلي، (ط ١، الرياض: دار الإمامة للنشر، ٢٠٠٦م).
- الجزيري، عبدالقادر بن محمد. "عمدة الصفة في حل القهوة". مجلة الضياء، ٢٠، (١٨٩٩م).
- الجواليقي، موهوب بن أحمد، "المعرب من الكلام الأعجمي"، تحقيق: د. ف. عبدالرحيم، (ط ١، دمشق، دار القلم، ١٩٩٠م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- حسين، عبدالمنعم. "قاموس الفارسية". (ط ١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م).
- خفاجي، محمد عبد المنعم وعبد الله عبد الجبار. "قصة الأدب في الحجاز". (د.ط، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٠م).
- الدمشقي، درويش محمد بن أحمد. "ساحات دُمي القصر في مطارحات بني العصر". تحقيق: د. محمد الخولي، (ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م).

- دُوزي، رينهارت بيتر. "تكملة المعاجم العربية". ترجمة: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، (ط١، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ٢٠٠٠م).
- ديورانت، ويليام جيمس "قصة الحضارة". زكي نجيب محمود وآخرون، (د.ط، بيروت: دار الجيل، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر. "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط ٥، بيروت-صيدا: المكتبة العصرية-الدار النموذجية، ١٩٩٩م).
- الرشيد، خالد عبدالقادر. "موسوعة اللهجة الكويتية"، جمع وشرح، مراجعة وضبط وتصويب: د.خالد عبدالكريم جمعة، (ط٣، ٢٠١٢م).
- رضا، أحمد. "قاموس رد العامي إلى الفصح". (ط٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١م).
- الزبيدي، محمد مرتضى. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: عبدالستار فراج وجماعة من المختصين، (د. ط، الكويت: وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٦٥-٢٠٠١م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م).
- سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق عبدالسلام هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م) ٤: ٣٢٤.
- شوقي ضيف "تاريخ الأدب العربي"، الدكتور ، الناشر: مصر: (ط١، دار المعارف، ١٩٩٥م).
- عبد الرحيم، فانيامبادي. "معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها". (ط ١،

- دمشق: دار القلم، ٢٠١١م).
- العكري، عبد الحي بن أحمد الحنبلي "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق: محمود الأرناؤوط. (ط ١، دمشق - بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦م).
- عمر، أحمد مختار. "معجم الصواب اللغوي". (ط ١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).
- العنيسي، طويبا. "تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه". (ط ٢، مصر: دار العرب للبستاني، ١٩٣٢م)
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق: خليل المنصور، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).
- الفاسي، محمد بن الطيب. "شرح كفاية المتحفظ". تحقيق: د علي حسين البواب، (ط ١، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٣م).
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط ٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).
- القرشي، محمد بن أبي الخطاب. "جمهرة أشعار العرب"، تحقيق: علي محمد البجادي، (د.ط، مصر: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).
- اللخمي، ابن هشام. "المدخل إلى تقويم اللسان". تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).
- المحيي، محمد أمين بن فضل الله. "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". (د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت).
- المغلوث، سامي بن عبد الله. "أطلس تاريخ الدولة العثمانية". (ط ١، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، ٢٠١٤م).

النويري، أحمد بن عبد الوهاب. "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ).

هوتسما، م. ت. وآخرون. "موجز دائرة المعارف الإسلامية". إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية (ط١، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨م).

هونكه، د. سيجريد. "شمس الله تشرق على الغرب، فضل العرب على أوروبا". ترجمه وتحقيق: د. فؤاد حسنين علي، (ط٢، القاهرة: دار العلم العربي، ١٤٣٢هـ).

المراجع الأجنبية

Boskabady, Mohammad Hossein and others, "Carum copticum L: A Herbal Medicine with Various Pharmacological Effects". BioMed Research International, Volume 2014, Article ID 569087,(2014).

Hoffman, James. "The world atlas of coffee : from beans to brewing-- coffees explored, explained and enjoyed". (First Printing, Firefly Books Ltd, 2014).

Sustaining the Specialty Coffee in Morocco: Challenges and Opportunities. ULIL ALBAB: Jurnal Ilmiah Multidisiplin, Vol.1, No.10, September 2022, p.3495.

المواقع الإلكترونية

موقع وزارة الثقافة السعودية: engage.moc.gov.sa

موقع سعودبيديا: saudipedia.com

العويد، عبدالعزيز. موقع أطلس اللهجات العربية على الإنترنت: atlasalhajaat.com

القحطاني، جابر بن سالم. موقع جريدة الرياض:

<https://www.alriyadh.com/1963910>

القيرواني، إبراهيم بن القاسم. «قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور». من موقع المكتبة الشاملة، (<https://shamela.ws/book/672/4>).

موقع البخاري: albukhari.com

موقع كوكباد: <https://cookpad.com>.

Online Etymology Dictionary: (Etymonline.com).

Dictionaries Learners Oxford:

(oxfordlearnersdictionaries.com/coffeeandkin.co.uk).

Oxford English Dictionary: (oed.com).

Hungry Traveler: www.thehungrytravelerblog.com /. Spiced Coffee
Recipe – How to Make Moroccan Spiced Coffee

Bibliography

- Ibn Barri, 'Abdullāh ibn Barri. "fī al-Ta'rīb wa-al-Mu'rrib". Investigated by: Dr. Ibrāhīm al-Sāmurrā'ī, (1st ed, Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1985).
- Ibn Duraid, Muḥammad ibn al-Ḥasan. "Jamharat al-Lugha". Investigated by: Ramzī al-Ba'labakkī, (1st ed, Beirut: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 1987).
- Ibn Sidah, 'Alī ibn Ismā'īl. "al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-A'zam". Investigated by: 'Abd-al-Ḥamīd Hindāwī, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 2000).
- Ibn Sidah, 'Alī ibn Ismā'īl. "al-Mukhaṣṣaṣ". Investigated by: Khalīl Ibrāhīm Jaffāl, (1st ed, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1996).
- Ibn Qutaibah, 'Abdullāh ibn Muslim. "Gharīb al-Ḥadīth". Investigated by: Dr. 'Abdullāh al-Jubūrī, (1st ed, Baghdad: Maṭba'at al-'Ānī, 1397).
- Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-'Arab". Footnotes by: Yāzījy et al. (3rd ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH).
- Abū 'Ubayd, al-Qāsim ibn Sallām, "al-Gharīb al-Muṣannaf". Investigated by: Dr. Muḥammad al-Mukhtār, (1st ed, Cairo: Dār Miṣr, 1996).
- al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Tahdhīb al-Lugha". Investigated by: Muḥammad 'Awaḍ, (1st ed, Beirut: Dār al-Turāth, 2001).
- Afandī, Aḥmad Fāris. "al-Jāsūs 'alā al-Qāmūs". (Constantinople: Maṭba'at al-Jawā'ib, 1299).
- al-Bustānī, Buṭrus. "Muḥīṭ al-Muḥīṭ". (Lebanon: Maṭābi' Taybū Bris, 1987).
- Al-Baghdādī, 'Abd al-Qādir ibn 'Umar. "Khizānat al-Adab wa-lubb Lubāb Lisān al-'Arab". Investigated by: 'Abd al-Salām Hārūn, (4th ed, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1997).
- Al-Tabrīzī, Yaḥyá ibn 'Alī al-Shaibānī. "Sharḥ al-Qaṣā'id al-'Asharr". (Al-Munira Printing Administration, 1352).
- Al-Tuwaim, Nāṣir ibn Ibrāhīm. "al-Shaykh Muḥammad ibn 'Abd al-Wahhāb Ḥayātuḥu wa-Da'watuhu fī al-Ru'yah al-Istishrāqīyah". (1st Riyadh: Center for Islamic Research and Studies at the Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance, 2002).
- Taymūr, Aḥmad ibn Ismā'īl. "Mu'jam Taymūr al-Kabīr fī al-Alfāz al-

- ‘Āmmīyah". Investigated by: Dr. Ḥusain Naṣṣār, (2nd ed, Cairo: Dār al-Kutub wa-al-Wathā’iq al-Qawmīyah, 2002).
- al-Jāsir, Ḥamad. "min Sawānih al-Dhikrayāt". Revised by: ‘Abd-al-Raḥmān al-Shubaylī, (1st ed, Riyadh: Dār al-Yamāmah, 2006).
- Al-Jazīrī, ‘Abd-al-Qādir ibn Muḥammad. "‘Umdat al-Ṣuffah fī Ḥall al-Qahwah". al-Diyā’ journal, 20, (1899).
- al-Jawālīqī, Mawḥūb ibn Aḥmad, "al-Mu‘arrab min al-Kalām al-A‘jamī", Investigated by: D. F. ‘Abd-al-Raḥim, (1st ed, Damascus: Dār al-Qalam, 1990).
- Al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād. "al-Ṣiḥāḥ Tāj al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah". Investigated by: Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Atṭār (4th ed., Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1987).
- Ḥusain, ‘Abd al-Mun‘im. "Qāmūs al-Fārisīyah". (1st ed, Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1982).
- Khafājī, Muḥammad ‘Abd al-Mun‘im and ‘Abdillāh ‘Abd al-Jabbār. "Qīṣṣat al-Adab fī al-Ḥijāz". (Cairo: Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah, 1980).
- Al-Dimashqī, Darwīsh Muḥammad ibn Aḥmad. "Sāniḥāt dumá al-Qaṣr fī Muṭarāḥāt Banī al-‘Aṣr". Investigated by: Dr. Muḥammad al-Khulī, (1st ed, Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1983).
- Dozy, Reinhart Pieter. "Takmilat al-Ma‘ājim al-‘Arabīyah". Translated by: Moḥammad Salim Al-Nu‘aimy, Jamāl al-Khayyāt, (1st ed, Iraq: Ministry of Culture and Information, 2000).
- Durant, William James "The Story of Civilization". (in Arabic). Zakī Najīb Maḥmūd et al., (Beirut: Dār al-Jīl, Tunisia: al-Munazzamah al-‘Arabīyah lil-Tarbiyah wa-al-Thaqāfah wa-al-‘Ulūm, 2002).
- Al-Rāzī, Muḥammad ibn Abī Bakr. "Mukhtār al-Ṣiḥāḥ". Investigated by: Yūsuf al-Shaykh Muḥammad, (5th ed, Beirut-Sidon: al-Maktabah al-‘Aṣriyah-al-Dār al-Namūdhajīyah, 1999).
- Al-Rashīd, Khālīd ‘Abd-al-Qādir. "Mawsū‘at al-Lahjah al-Kuwaytīyah", Compiled, explained, reviewed, edited and corrected by: Dr. Khaled Abdel Karim Juma, (3rd ed., 2012).
- Riḍā, Aḥmad. "Qāmūs Radd al-‘Āmmī ilá al-Faṣīḥ". (2nd ed, Beirut: Dār al-Rā’id al-‘Arabī, 1981).
- Al-Zubidī, Muḥammad Murtaḍá. "Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs". Investigated by: ‘Abd al-Satār Farrāj and a group of specialists, (Kuwait: Ministry of Guidance and Information in Kuwait, National Council for Culture, Arts and Literature, 1965-2001).

- Al-Ziriklī, Khair al-Dīn ibn Maḥmūd. "al-A'īām". (15th ed, Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 2002).
- Al-Sakhāwī, Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. "al-Ḍaw’u al-Lāmi‘ li-Ahl al-Qarn al-Tāsi’". (1st ed, Beirut : Dār al-Jīl, 1992).
- Sībawaih, ‘Amr ibn ‘Uthmān. "al-Kitāb". Investigated by: ‘Abd al-Salām Hārūn, (3rd ed, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1988). 4 : 324.
- Shawqī Ḍaif "Tārīkh al-Adab al-‘Arabī", (1st ed, Egypt: Dār al-Ma‘ārif 1995).
- ‘Abd al-Raḥīm, Fanyāmbādy. "Mu‘jam al-Dakhil fī al-Lughah al-‘Arabīyah al-Ḥadīthah wa-Lahjātuhā". (1st ed, Damascus: Dār al-Qalam, 2011).
- Al-‘Akry, ‘Abd al-Ḥayy ibn Aḥmad al-Ḥanbalī "Shadharāt al-Dhahab fī Akhbār mann Dhahab". Investigated by: Maḥmūd al-Arnā’ūt., (1st ed, Damascus – Beirut: Dār Ibn Kathīr, 1986).
- ‘Umar, Aḥmad Mukhtār. "Mu‘jam al-Ṣawāb al-Lughawī". (1st ed., Cairo: ‘Ālam al-Kutub, 2008).
- Al-Ghazzī, Najm al-Dīn Muḥammad ibn Muḥammad., "al-Kawākib al-Sā’irah be-A’yān al-Meah al-‘Āshirah". Investigated by: Khalīl al-Manṣūr, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1997).
- Al-Fāsī, Muḥammad ibn al-Tayyib. "Sharḥ Kifāyat al-Mutahaffiz". Investigated by: Dr. ‘Alī Ḥusain al-Bawwāb, (1st ed., Riyadh: Dār al-‘Ulūm, 1983).
- Al-Fairouz’ābādā, Muḥammad ibn Ya‘qūb. "al-Qāmūs al-Muḥīṭ". Investigated by: Heritage Research Office at Al-Resalah Foundation. Under the supervision of: Muḥammad Na‘īm al-‘Araqsūsy, (8th ed, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 2005).
- Al-Qurashī, Muḥammad ibn Abī al-Khiṭāb. "Jamharat Ash‘ār al-‘Arab", Investigated by: ‘Alī Muḥammad al-Bajādy, (Egypt: Nahdat Miṣr).
- Al-Lakhmī, Ibn Hishām. "al-Madkhal ilā Taqwīm al-Lisān". Investigated by: Hātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, (1st ed, Beirut: Dār al-Bashā’ir al-Islāmīyah, 2003).
- Al-Muḥibbī, Muḥammad Amīn ibn Faḍl Allāh. "Khulāṣat al-Atharr fī A’yān al-Qarn al-Ḥādī ‘Asharr". (Beirut: Dār Ṣādir)
- Al-Maghlūth, Sāmī ibn ‘Abdillāh. "Aṭlas Tārīkh al-Dawlah al-‘Uthmāniyah". (1st ed, Kuwait: Maktabat al-Imām al-Dhahabī, 2014)
- Al-Nuwayrī, Aḥmad ibn ‘Abd al-Wahhāb. "Nihāyat al-Arab fī Funūn al-Adab". (1st ed, Cairo: Dār al-Kutub wa-al-Wathā’iq al-

- Qawmīyah, 1423 AH).
- Hūtsmā, M. T. et al. "Mūjaz Dā'irat al-Ma'ārif al-Islāmīyah". Prepared and edited by: Ibrahim Zaki Khorshid and others, translated by: a group of professors from Egyptian and Arab universities (1st ed., Sharjah: Sharjah Center for Intellectual Creativity, 1998).
- Hunke, Dr. Sigrid. "Shams Allāh Tashriq alā al-Gharb, Faḍl al-'Arab alā Ūrūbbā". translated and Investigated by: Dr. Fu'ād Ḥasanain 'Alī, (2nd ed, Cairo: Dār al-'Ilm al-'Arabī, 1432 AH).

بلاغة التشكيل الصوتي في سورة النازعات

The Rhetoric of Phonetic Structuring in Sūrat al-Nāzi'āt

د. منور بن نايف الفديد الشمري

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والفنون بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: mnma4@hotmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2024/12/05		استلام البحث A Research Receiving 2024/09/25
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-007		

المستخلص

يُمثل الصوت التشكيل الأول للغة، فقد نظر البلاغيون إلى الجانب الصوتي باعتباره منطلق عدد من المباحث البلاغية، كما أن البلاغة الصوتية بتشكيلها النغمي، وتعالقها الدلالي تتجلى بوضوح في كتاب الله عز وجل. في هذا الإطار تأتي هذه الدراسة للوقوف على شيء من بلاغة التشكيل الصوتي في سورة النازعات. وقد تضمنت الدراسة تمهيداً عن البلاغة الصوتية وعلاقتها بنظم القرآن، كما جاءت في خمسة محاور وفق التقسيم الموضوعي لسورة النازعات، مُعتمدة على المنهج الوصفي التحليلي في دراستها. الكلمات الافتتاحية: بلاغة، التشكيل الصوتي، سورة النازعات، البلاغة الصوتية.

Abstract

Sound represents the first formation of language. Rhetoricians have viewed the sound aspect as the starting point for several rhetorical topics. Phonetic rhetoric with its tonal formations and semantic relations is clearly evident in the noble Qur'an.

Within this framework, the present study seeks to explore aspects of the phonetic eloquence in Sūrat al-Nāzi'āt.

The study included an introduction to phonetic rhetoric and its relationship to the structure of the Qur'an, as it came in five sections according to the thematic division of Surat al-Nāzi'āt, relying on the descriptive analytical approach in its study.

Keywords : Rhetoric, Phonetic Structuring, Surat al-Nāzi'āt, Phonetic rhetoric.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ، عليه وعلى آله أفضل صلاة وأتم تسليم.

وبعد:

فإن النظر في كتاب الله -عز وجل- من أجلّ الغايات، وأنفسِ القُرْبَات، فهو معين لا ينضب، ونور لا يخبو، على مرّ العصور، وتقادم العهد، ولا يزال الدارسون يغرفون من سيب عطائه، وفيض ثرائه، دون الإحاطة بسر إعجازه، وسبر نواحيه.

ولقد كانت دراسة كتاب الله -عز وجل- حُلماً يراودني منذ زمن لولا تهيُّب التّعثر عند الإبحار فيه وخوض غماره، فعزمتُ النظر إلى كتاب الله من خلال نافذة أراها لم تأخذ نصيبها من الدراسات البلاغية، على الرغم من تمكنها الأصيل من بلاغة العرب، وطرائق أساليبها، ألا وهي البلاغة الصوتية أو تشكيل الصوت؛ لنكتة دلالية.

وقد تحقّقت غاية هذه الدراسة في كتاب الله أيما تحقّق، فوقع الاختيار على سورة النازعات؛ لوضوح دلالة تشكّل الصوت فيها وفقاً لتحولات المعنى وتعدد غاياته.

ولا شك أن التشكيل الصوتي تبعاً لدلالة المعنى من مقتضيات الدرس البلاغي، وله دور هام في بلاغة الأسلوب، وما يستلزمه مقتضى الحال في البلاغة العربية، لذا أتت هذه الدراسة محاولة إبراز التشكيل الصوتي تبعاً لدلالة المعنى في سورة النّازعات، وأثره الأصيل في إيضاح المعنى وتأكيد.

وقد اتبعت في ذلك ذكر المقطع من السّورة، ثم الحديث عن المعنى الإجمالي للمقطع، وتوضيح دلالاته، ثم الحديث عن الجانب الصوتي وتشكيلاته النّغمية وربطها بالمعنى.

فُتسّمت محاور الدراسة وفق موضوعات السورة؛ بحيث ترتكز الدّراسة على بلاغة التشكيل الصوتي تبعاً لمقاطع السورة ومقاصدها.

بلاغَةُ التَّشكِيلِ الصَّوْتِيِّ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ، د. منور بن نايف الفديد الشمري

وقد تَضَمَّنَت الدِّراسة تمهيداً عن البلاغة الصَّوتية من حيث الأهمية والمفهوم، وعن علاقتها بنظم القرآن الكريم، ثم قُسِّمَت محاور الدِّراسة وفق التَّقْسِيم الموضوعي لسورة النَّازِعَات، فكان على النحو الآتي:

أولاً: الحديث عن نزع الرُّوح، وبعض أصول العقيدة.

ثانياً: الحديث عن قصة موسى عليه السلام وفرعون.

ثالثاً: الحديث عن مشركي مكة ومن شاكلهم.

رابعاً: الحديث عن يوم القيامة.

خامساً: الحديث عن تساؤل المشركين عن يوم القيامة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على تتبع المستوى الصَّوتي لمقاطع السورة، ومحاولة الربط بين المستوى الصَّوتي، ودلالة المعنى في كل مقطع، وكذلك الرابط الصَّوتي بين موضوعات السورة من خلال النفاذة الصَّوتية، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الدِّراسة. والله نسأل العون والتسديد.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

البلاغة الصوتية وعلاقتها بنظم القرآن

يُعَدُّ الصوتُ التشكيلَ الأوَّلَ للغة، كما أنه يُعتبر من أهم ركائز الدلالة، فقد عرَّف ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) اللغة بأنها "أصوات يُعَبَّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم"^(١). واللغة العربية لغة موسيقية بطبيعتها، تهم بالأداء النغمي، كما أنها تراعي أبعاد الجرس الإيقاعي في دلالة المعنى والتأثير في المتلقي.

وقد نظر البلاغيون إلى الجانب الصوتي باعتباره المنطلق الذي تنطلق منه بعض المباحث في البلاغة العربية، كالحديث عن الفصاحة والبلاغة، وشروط فصاحة الكلمة والكلام، وكذلك في عدد من أبواب البديع، كالجناس والطباق والمقابلة وغيرها. كما أنَّ كثيراً من الأوصاف التي أطلقها البلاغيون في مجال فصاحة الكلمة والكلام في التأليف، كالحلاوة والرشاقة والطلاوة والجزالة والعدوية إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقيمة صوتية في أداء اللفظ منفرداً، أو أدائه من خلال التأليف والسياق^(٢). ومن ذلك قول الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ): "... وكذلك حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر.. تراها سهلة لينة، ورطبة مواتية، سلسلة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"^(٣).

ويقول أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ): "وشهدت قوماً يذهبون إلى أن

(١) ابن جني، "الخصائص". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ١: ٨٧.

(٢) ينظر: محمد إبراهيم شادي، "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم". (ط١)، دار الرسالة، ١٤٠٩هـ، ٩.

(٣) الجاحظ، "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ٧٥.

بلاغة التشكيل الصوتي في سورة النازعات، د. منور بن نايف الفديد الشمري

الكلام لا يُسمَّى فصيحاً حتى يجمع هذه النعوت فخامة وشدة جزالة^(١). كما يؤكّد على ذلك عبد الله الطيب بقوله: "الفصاحة بالمعنى الاصطلاحي القديم كان يراد بها رنين الألفاظ... وكثيراً ما كان الأوائل يستعملون لفظة الجزالة يعنون بها رنين اللفظ"^(٢).

فالبلاغة الصوتية هي: كل ما يُحدثه الصوت من جرس وإيقاع، ويكون له أثر في الكلام أو في الكلمة أو جزء منها مع مطابقتها لمقتضى الحال.

وعلى هذا، فيلاحظ أمران: "الأول: أن نتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيقاعه وإيقاعه واعتداله إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده وتسلسله وانتظامه. والثاني: أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال... ومتى لاحظنا صلة ما بين الجرس والإيقاع وبين حال المتكلم أو المخاطب، فلا ينبغي حينئذ أن نتردد في اعتبار هذا من البلاغة الصوتية"^(٣). فالألفاظ تكتسب دلالتها من جرس ألفاظها^(٤).

وقد تنبّه ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) إلى العلاقة بين الصوت وأثره الدلالي، وأكّد عليه من خلال باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني^(٥)، وباب إمساس الألفاظ

(١) أبو هلال العسكري، "كتاب الصناعتين". تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ)، ٨.

(٢) عبد الله الطيب، "المُرشد إلى فهم أشعار العرب". (ط٢، الكويت: دار الآثار الإسلامية - مطبوعات وزارة الإعلام الكويتية، ١٤٠٩هـ)، ٢: ١٣.

(٣) محمد إبراهيم شادي، "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم". (ط١، دار الرسالة، ١٤٠٩هـ)، ١١.

(٤) ينظر: محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي". (مصر: دار المعارف، ١٩٦٢م)، ١٣٣.

(٥) ابن جني، "الخصائص". تحقيق: عبد الحميد هندواوي، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ١: ٤٩٩.

أشبه المعاني^(١)، فقال: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهَجٌ مُتَلَبِّبٌ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتدون عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"^(٢).

ولقد لامس الدرس البلاغي القديم الجانب الصوتي من خلال إشارات جزئية تُفضي إلى ضمورٍ في العناية بالقيَم الصوتية، وأنعامها الإيحائية، والتي تُعدُّ من مرتكزات الحكم على النص.

وقد أشار الرُّماني (ت: ٣٨٤هـ) إلى شيء من الجانب الصوتي في (باب التلاؤم) و(باب الفواصل)^(٣).

كما ذكر ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ): "أن الألفاظ داخلية في حيز الأصوات؛ لأنها مركبة من مخارج الحروف؛ فما استلذه السمع منها فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح"^(٤).

وقد اعتنى المحدثون ببلاغة الصوت، ويتضح ذلك جلياً عند مصطفى صادق الرافعي حيث يقول: "وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرج فيه مداً أو غنة، أو

(١) المرجع السابق، ١: ٥٠٥.

(٢) المرجع السابق، ١: ٥٠٩.

(٣) ينظر: الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول، (ط٣، مصر: دار المعارف)، ٩٤، ٩٧. وينظر: سلامي العماري، "الإعجاز البياني والحداثة". (تونس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م)، ٤٧.

(٤) ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)، ١: ١٦٩.

ليناً أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها... مما هو بلاغة الصوت^(١).

وأما علاقة البلاغة الصوتية بالقرآن الكريم فيمكن القول بأن النظر في بلاغة نظم القرآن، وبديع تفرد، وسير مناط إعجازه، هو ما دعا الدارسين إلى بحث بلاغة الصوت القرآني، وتفرّد إيقاعه.

فقد ورد الترتيل في القرآن الكريم في موضعين:

الأول: وهو إخبار من الله تعالى عن إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^(٢).

والموضع الثاني: وهو أمر من الله - عز و جل - للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٣).

وفي الحديث: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن)^(٤).

ولا شك أن الترتيل والتغني بالقرآن متعلق بأداء الصوت، وتفجير الطاقات الصوتية في أداء المعنى وتحقيقه، ولعله يلوح من قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ

(١) مصطفى صادق الرافعي، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٤٩.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣٢.

(٣) سورة المزمل، آيات: ١-٤.

(٤) مسلم، "الجامع الصحيح (صحيح مسلم)". تحقيق مجموعة من المحققين، (تركيا: دار الطباعة العامة، ١٣٢٤هـ)، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ٢: ١٩٢.

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١﴾ أُنَّ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ هَذَا التَّيْسِيرِ ذَلِكَ الانْسِجَامُ الْإِيقَاعِيُّ الْمُنَظَّمُ فِي تَرَكَيبِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَأَلْفَاظِهِ.

ولقد علّل بعض مؤرخي الأدب العربي كثرة ما رُوي لنا من أشعار القدماء، إذ قيسَت بما رُوي من نثرهم؛ بأن السر في هذا يرجع إلى ما في الشعر من انسجام نغمي في المقاطع وتواليها^(٢).

لذا لا يبعد أن يقال: إن من ملامح التيسير في الكتاب العزيز ذلك الانسجام النغمي الفريد، أو بالأحرى: قدسية النغم القرآني الذي أحدث قيماً صوتية تتغلغل في مكونات الدلالة.

وهو ما عبّر عنها تمام حسان (ت: ١٤٣٢ هـ) بقوله: "نعني بالقيم الصوتية تلك الخصائص التي تمتاز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعاني يُسمى المعاني الطبيعية التي لا تُوصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية؛ لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وضع على الوجدان تُدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة"^(٣).

كما أن تنزيه الحق جل شأنه كتابه بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤) يقتضي أن إعجازه البياني شامل لكل مناحي القول لفظاً ونظماً، صوتاً وتصويراً، فكما أنه معجز بلفظة ونظمه، وتراكيبه، فكذلك معجز بأنغامه وإيقاعاته.

(١) سورة القمر، الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢) إبراهيم أنيس، "موسيقى الشعر"، (ط٢)، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، (١٩٥٢م)، ١٠-١١.

(٣) تمام حسان، "البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني". (ط٢)، مصر: عالم الكتب، (١٤١٣هـ)، ٢٥٧.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٢.

ولا يبعد - أيضا - أن تكون التوقيعات الصوتية في الكتاب العزيز جزءاً من ذلك التحدي الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١). وهذا ما جعل العرب في الجاهلية يصفونه - حال عجزهم عن الإتيان بمثله - مرّة بالشعر، ومرّة بالسحر، ومرّة بالكهانة، كما وصفه الوليد بن المغيرة بقوله: "...ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة... إلخ"^(٢).

قال عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) في سياق حديثه عن موطن إعجاز القرآن: "أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها... بل وجدوا اتساقاً بھر العقول، وأعجز الجمهور، نظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، فلم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حكّ بيافوخه السماء - موضع طمع، حتى خرس الألسن عن أن تدعي وتقول"^(٣).

إن حسّهم الفطري استشعر قيمة هذا البناء البياني المتين، والنغم الصوتي الفريد، فلم يجدوا غاية يصفونه بها إلا ما وصفوه به^(٤)، وهذا ما أكده عبد الله دراز بقوله: "إن أول شيء أحسّته تلك الأذن العربية في نظم القرآن، هو ذلك النظام الصوتي البديع"^(٥).

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣.

(٢) الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي". تحقيق مجموعة من الباحثين (ط٤)، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ)، ٨: ٢٦٨.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٣)، مصر، جدة: دار المدني، (١٤١٣هـ)، ٣٩.

(٤) ينظر: أحمد ياسوف، "جماليات المفردة القرآنية"، (ط٢)، دمشق، (١٤١٩هـ)، ٨٢.

(٥) محمد عبد الله دراز، "النبا العظيم، نظرات جديدة في القرآن". (الدوحة: دار الثقافة،

كما ذكر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) هذا اللون من الإعجاز القرآني، وهو الإيقاع الصوتي، فقال: "فلما قُرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة أَلحاناً لغوية رائعة، كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقعها، فلم يَفْتَهُم هذا المعنى، وإنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم، حتى إنَّ من عارضه كمسيلمة، جَنَحَ في خرافاته إلى حسبه نظماً موسيقياً، أو باباً منه، وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها"^(١).

بل ذهب دراز (ت: ١٣٧٧هـ) إلى أن "أَوَّلَ ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصيةُ تأليفه الصوتي في شكله وجوهره"^(٢). وعلى هذا، يمكن القول بأن النظر إلى بلاغة الصوت القرآني يكون من خلال مستويين:

الأوّل: هو ذلك النظام الصوتي الفريد، والميزان النغمي المحكم، وهو ما يوازي بحور الشعر - أعني بذلك - الذي يُدرّكه ذو الحس، حتى وإن لم يعرف العربية، وهو ما

=

١٤٠٥هـ)، ١٠٣، وينظر: مصطفى صادق الرافعي، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٤٧ وما بعدها، وينظر: محمد محمد أبو موسى "الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم". (ط٥، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ)، ن وما بعدها.

(١) مصطفى صادق الرافعي، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٤٨.

(٢) محمد عبد الله دراز، "النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن". (الدوحة: دار الثقافة، ١٤٠٥هـ)، ١٠١.

بلاغَةُ التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ، د. منور بن نايف الفديد الشمري

عبر عنه دراز بـ "الجمال التوقيعي في لغة القرآن"^(١)، فهذا المستوى لم يستطع أحد أن يحصيه أو أن يحصي نظامه.

والثاني: هو ذلك البُعد البلاغي الذي يربط الصوت بالمعنى، وهو ما يُعبر عنه بمطابقته مقتضى الحال، الذي يفيض فيه الدرس البلاغي بحثًا ودراسة.

وهذا ما تحدف إليه هذه الدراسة من خلال استظهار شيء من مكونات التعبير القرآني من خلال القيم الصوتية، وارتباطها الوثيق بمقتضى الحال، وعلاقتها بموضوعات السورة ومقاصدها، وتشكلها وفقاً لتحولات الدلالة لأداء المعنى.

بل إن النغم الصوتي يُعد عتبة من عتبات النص القرآني ومفتاحاً من مفاتيحه^(٢)؛ "لأن الإيقاع يوحي بجوّ السُورة، والمعنى العام لها، ويصح أن نقول العكس -أيضاً- في أن محتوى السورة وجوّها يوحي بتنوع الإيقاع"^(٣).

ولا يخفي على المدرك البصير وذو الحسّ اللطيف أنّ الإيقاع في العصر المكي يتميز عن الإيقاع في العصر المدني بشكل عام، وذلك من حيث الحِدّة والتهويل والكثافة في الأوّل، والهدوء واللين والرّصانة في الثاني^(٤).

(١) المرجع السابق، ١٠٢.

(٢) ينظر: سلامي العماري، "الإعجاز البياني والحداثة". (تونس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م)، ١٥١.

(٣) عمر السلامي، "الإعجاز الفني في القرآن". (تونس: مؤسسات عبد الكريم عبد الله، ١٩٨٠م)، ٢٥٧.

(٤) ينظر: بكري شيخ أمين، "التعبير الفني في القرآن". (ط٣، بيروت: دار الشروق، ١٣٩٩هـ)، ٢٩٥، وينظر: عبد الكريم الخطيب، "إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسات السابقين"، (ط١، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م)، ٤٠٥، وينظر: سلامي العماري "الإعجاز البياني والحداثة". (تونس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م)، ١٥٢.

وسورة النازعات من السور المكية، آياتها ست وأربعون آية تشكلت موضوعاتها من خلال الآتي:

الآيات (١٤-١) الحديث عن نزع الروح وعن بعض أصول العقيدة من موت وبعث.

الآيات (٢٦-١٥) الحديث عن قصة موسى عليه السلام والطاغية فرعون. الآيات (٣٣ - ٢٧) الحديث عن مشركي مكة، وعصيانهم النبي ﷺ، ووصفهم بالضعف أمام كثير من مخلوقات الله تعالى.

الآيات (٤١ - ٣٤) الحديث عن مجيء الطامة الكبرى، وتذكر الإنسان سعيه في الحياة الدنيا.

الآيات (٤٦ - ٤٢) الحديث عن سؤال تحديد وقت الساعة، والحال عند رؤيتها.

وعليه، فإنّ النظر إلى سورة النازعات في هذه الدراسة ينطلق من حيث التقسيمات الموضوعية لهذه المقاطع، وتشكيلاتها النغمية.

الحديث عن نزع الروح، وبعض أصول العقيدة:

لقد وردت سورة النازعات بعد سورة النبأ التي ذكر الله في آخرها: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ...﴾ إلخ الآيات^(١)، فتختتم سورة النبأ بالحديث عن ذلك اليوم الحق الذي لا يتكلم فيه إلا من أذن له الرحمن، وعن ذلك الإنذار ليوم ينظر فيه المرء إلى ما قدمت يده من عمل، ويتمنى فيه الكافر لو كان عدماً. ثم يأتي مطلع سورة النازعات امتداداً لهذا المعنى، فيفجأك بهذا المطالع الغامض

(١) سورة النبأ، الآيات: ٣٨-٤٠.

المرزّل، وبهذا النغم الراجفِ الواجفِ المفاجئ، حيث يقول -جلّ وعزّ - في الآيات (١٤-١): ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ ٢ ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ ٣ ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ ٤ ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٥ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ ٧ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ ٨ ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ٩ ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَفَرَةِ﴾ ١٠ ﴿أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ ١١ ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ١٢ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ وقد اختلف أهل التأويل في المراد بمطلع هذه السورة الكريمة، وتعددت أقوالهم في دلالات القسم، فورد أن المراد بالنازعات هي الملائكة تنزع أرواح الكفار، فمن أخذت روحه بعنف، وإغراق في نزعها، فهي النازعات، ومن أخذت روحه بسهولة وكأنها حُلّت من عقال، فهي الناشطات. وقيل: النازعات هي أنفس الكفار، تنزع، ثم تنشط، ثم تغرق في النار. وقيل: (النازعات) هي النجوم، وقيل: غير ذلك.

وكذلك باقي ألفاظ القسم، فقد قيل: إن المراد بها الملائكة، فالنازعات، والناشطات، والسابحات والسابقات، والمدبرات، هي أوصاف للملائكة في حالات مخصوصة، فأقسم الله تعالى بـ (النازعات، والناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبرات)، ثم أعقب كل قسم بما يبين كنهه، أو يؤكّده، فقال (غرقًا، نشطًا، سبحًا، سبقًا، أمرًا)^(١).

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (تفسير الطبري). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢هـ)، ٢٤: ٥٧، وينظر: جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ)، ٦: ٣٠٤، وينظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ)، ١٩٥٦، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار

وأياً كان المراد، فإن النغم الإيقاعي لهذا المطلع الذي يكتنفه شيء من الغموض، يأخذك إلى هول الأمر، وضخامته، وشدة وقعه.

فهو مطلع منزلل يقع بين دلالة الآيات في نهايات سورة النبأ، وما تتحدث عنه من أهوال يوم القيامة، وبين رجفة الراجفة، وما يتبعها من رادفة.

فأتى النغم الموسيقي لهذا المطلع مشحوناً بقدر من الذعر والمفاجأة؛ اتساقاً مع حال المشركين في العصر المكي من إعراض وتكذيب، كما أن إيقاع الصوت في هذه المقدمة يوحي بدلالة التخويف والتحذير، حتى لو أن المتلقي نحى جانب دلالة هذه الألفاظ عن مخيلته لوجد هذا النغم يقوده إلى دلالتها رغماً عنه.

فأتى التكتيف النغمي في هذه الآيات اتساقاً مع اتساع توجيه المراد بالمقسم به؛ ولربما ذلك مقصود في الدلالة، فلو اتضحت معاني دلالات القسم لربما انحصرت الدلالة فيها، ولكن هذا الإجمال يفضي إلى توارد المعاني، والنتيجة واحدة؛ يشعرونا بها النغم من تحذير ووعيد، كما أن جواب القسم محذوف يدل عليه ما بعده من أحوال يوم القيامة، والتقدير (لتبعثن)^(١).

وبالنظر إلى النغم الصوتي في الآيات الخمس الأولى يتبين اتحادها صوتياً مع بعضها البعض من عدة وجوه:

أولاً: أن كل آية منها أتت قصيرة جداً، مكونة من لفظتين، متواليتين بشكل سريع، فأتى النغم في هذه الآيات على وقع سريع لاهث يوحي بشيء من ومضات تحذيرية لقلوب لاهية معرضة عن حقيقة البعث، فقصر الآيات أعطى النغم زيادة في

=

التأويل، للبيضاوي: ٤٩٣/٣.

(١) ينظر: محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: محمد معتز كريم، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ)، ٢٨: ٢٥١.

بلاغَةُ التَّشكِيلِ الصَّوْتِيِّ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ، د. منور بن نايف الفديد الشمري

التسارع^(١)؛ ليتسق بهذا مع عمق المراد في تحقيق جواب القسم، وهو تأكيد البعث. **ثانياً:** أنها أتت في جمل اسمية، حيث انتظمت على صيغة اسم الفاعل في (النَّازِعَاتِ، النَّاشِطَاتِ، السَّابِحَاتِ، السَّابِقَاتِ، المَدْبِرَاتِ)، وهو ما يعطي ألفاظ هذه الآيات اتساقاً في الميزان الصرفي، وتماثلاً في النغم الصوتي، وما يوحيه إطلاق الألف في صياغات هذه الألفاظ من إعلاء للمهمة التي تؤديها، فكما أن الصوت يمتد بهذه الصياغات، فكذلك المعنى يمتد إلى سياقات أوسع، ودلالات أعمق، إضافة إلى تحقيق الدلالة الاسمية التي تقتضي الثبوت والاستمرار.

ثالثاً: أنها أتت بصيغة التَّضْعِيفِ من خلال حركة التَّشْدِيدِ التي تحقَّقت في كل لفظة منها (النَّازِعَاتِ، النَّاشِطَاتِ، السَّابِحَاتِ، السَّابِقَاتِ، المَدْبِرَاتِ)، مما يوحي بنغم صوتيٍّ فريدٍ يُحوِّلُ حاسَّةَ السَّمْعِ إلى حاسَّةِ البصر، من خلال تصوير حال الشِّدَّةِ، والقوة التي تدل عليها هذه الألفاظ، فالشِّدَّةُ في الصوت يصحبها شِدَّةٌ في دلالة النَّزْعِ، والنَّشْطِ، والسَّبْحِ، والسَّبْقِ، والتَّدْبِيرِ، وهذا اتِّساقٌ بارعٌ في تشكيل النغم وفقاً لمقتضى دلالة المعنى.

رابعاً: أن هذه الآيات الخمس، أتت الفاصلة فيها متحدة بألف ممدودة، وهذا الإطلاق في النغم يتسق مع إطلاق في المعنى، وتأكيد لوقوعه، وعلو شأنه. **خامساً:** تعاقب هذه الآيات من خلال حرفي العطف (الواو، والفاء)، وفي هذا تقسيم للنغم الصوتي بين هذه المتعاطفات بشكل رتيب ومنظمٍّ، ومتساوٍ في المقدار والكيفية، إضافة إلى جمال التقسيم في الانتقال من حرف (الواو) إلى حرف (الفاء) الذي يتطلبه المعنى من خلال دلالات معاني حروف العطف. ثم يأتي بعد هذه الآيات الخمس ما يُكْمِلُ المقدِّمة الموضوعية للسورة بتشكيل

(١) ينظر: محمد الحسناوي، "الفاصلة في القرآن". (ط٢، عَمَّان: دار عمار، ١٤٢١هـ)، ٢٢٧.

صوتي يتمايز عن التشكيل في الآيات الخمس الأولى، وذلك في المقطع من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ﴿٦﴾ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ ﴿٨﴾ ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ﴿٩﴾ ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ ﴿١١﴾ ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ وبهذا يتشكل الصوت في هذا المقطع بنغم مختلف، فبعد أن ابتدأت السورة الكرمة بنغم سريع، ووقع قصير متقارب يشدّ الذهن ويفاجئ السمع من خلال قصر الآية وحدة أدائها، ينتقل الصوت إلى تشكيل آخر، ومقام مختلف، على الرغم من أن هذه الآيات تندرج ضمن مقدمة السورة، إلا أنها أتت بسياق صوتي تحولت فيه حدة الصوت التي شددت الانتباه في ألفاظ مطلع السورة إلى عمق المعنى، وتصوير المشهد.

وقد صوّرت الآيات من (٦) إلى الآية رقم (١٤) مشهد النفخ في الصور، وحال البعث عندما ترجف الرجفة الأولى، وتتبعها الثانية، عندما يقوم الناس من قبورهم، كما صورت حال القلوب الخائفة الوجلة، والأبصار الخاشعة الخاضعة، كما يذكر الله سبحانه إنكار المشركين للبعث بسؤالهم عن حقيقة بعثهم بعد أن انتقلوا من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ، وتحول عظامهم إلى فتات، ويذكر سبحانه ادعاءهم بعودتهم إلى البعث بعد الموت بأن هذه كرة خاسرة، ثم يؤكد -جل وعز- أنما هي زجرة واحدة، فإذا جميع الخلق ساهرة^(١) مستيقظة تنتظر ما يحكم الله -جل وعلا- فيها.

فيأتي هذا المقطع امتداداً للآيات الخمس الأولى، تسير معانيها وفقاً لإطارها العام، ولكنها تتمايز عنها بلون إيقاعي صادم آخر، وبذا تتعاقب على المتلقي أنغام

(١) ينظر: أحمد بن محمد بن عماد، المعروف بـ(ابن الهائم)، "التبيان في تفسير غريب القرآن". تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، (ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م)، ٣٣٥.

تسير كلها في مسلك التخويف والإنذار، ولكنها بألوان مختلفة، وأنغام متميزة.
وبهذا فإن كانت الآيات الخمس الأولى تتحدث عن حالة نزع الروح، وما يصاحبها من تدبير لأمرها، فإن الآيات التسع التي تليها تتحدث عن مرحلة البعث، وما يعترئها من تكذيب المكذبين من العودة للحياة بعد الموت.

وعلى هذا، فقد تشكل النغم الصوتي في المقطعين تبعاً لتشكيل المعنى في كل منهما، فبقدر ما شحذ رنينُ الألفاظِ الأذهانَ في مقطع المطلع؛ لتصوير مشاهد نزع الروح، وتدبير أمرها بقدر ما تأملت الأذهان مفاجأة المعنى، وتصوير المشهد عند رجفة الراجفة، وما يتبعها من رادفة.

هذا، وقد اتسقت آيات هذا المقطع مع ما قبلها من حيث تسارع دقات قلوب الخائفين، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، فأتى بالمسمى مشتقاً من الفعل، مما يوحي بضخامة الحدث، ومفاجأته، فلم يذكر الحق -جل شأنه- في هذا السياق يوم تقوم القيامة، أو يوم تُسمع الصيحة... إلخ، وإنما عبّر عنها برجفة الراجفة، وهذا يزيد على دلالة المعنى دلالة الصوت، وإيحاء النغم؛ لمناسبة هذا المسمى مع حال الفرع والخوف الذي يعترئ القلوب في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، فالنغم الصوتي يتسارع في هذه الآيات تبعاً لمقتضى دلالتها.

ثم يذكر -جل وعلا- قول المكذبين: ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ﴿١٠﴾ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَحِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، وعلى الرغم من خروج هذه الآيات عن وصف حال الخوف والوجل، من رجفة الراجفة إلى قول المكذبين إلا أن هذه الآيات الثلاث لم تخرج عن النغم الصوتي المتسارع المزجج برجفة الراجفة؛ لأن الحقيقة التي تبدد أقوال المكذبين قريبة جداً في الآيتين الخاتمتين لهذا المقطع، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، ولذا فإن التشكيل الصوتي لهذا المقطع لم يخرج عن نسق الفرع والخوف، وكأن في هذا

إيحاءً بأن ذكر أقوال المكذّبين لا يخرج عن سياق التخويف والوعيد لأصحابها، فيأتي القول الفصل، والحقيقة التي لا مناص عنها: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ.﴾

فانظر إلى التقابل بين ضميري الغائب (هي) في الآية الأولى، و(هم) في الآية الثانية، وأن الأمر لا يتطلب زمناً، وإنما بمجرد وقوع الزجرة الواحدة تأتي (إذا) الفجائية؛ لتحليل الأرض ومن عليها إلى قيام لرب العالمين، فبرز من خلال ذلك التناسق في التشكيلات الصوتية من حيث التسارع المفاجئ في تراكيب المقطع. وعليه، يمكن أن يقال: إن مطلع السورة من أولها إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يسير وفق تشكيل صوتي متناغم مع دلالة المعنى من حيث التسارع في الأداء، والتشديد في تحقيق الأصوات، إلا أن الآيات الخمس الأولى اتخذت شكلاً لتحقيق هذا من حيث قصر الآية، وتأكيد كل آية منها بمصدر كما في (غرقا، نشطا، سبحا، سيقا، أمراً)، بينما الآيات التالية لها وإن كانت تسير وفق النغم المتسارع اللاهث إلا أنها تشكلت بفاصلة أخرى كما في (الراجفة، الرادفة، واجفة، خاشعة)، وهذا يتناسب مع مفاجأة المعنى، وتصويره في النفس، وتمكّنه منها أيما تمكين.

الحديث عن قصّة موسى -عليه السلام- وفرعون:

لقد وردت قصة موسى -عليه السلام- وفرعون كثيراً في القرآن الكريم بسياقات متنوعة، تبعاً لسياق السورة التي ترد فيها.

وأما ورودها في سورة النازعات ففي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ

فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

وقد انتظمت قصة موسى -عليه السلام- وفرعون مع سياق سورة النازعات فأنت مختصرة، توقفت عند ذكر محطات على سبيل الإجمال دون الدخول في بعض التفاصيل؛ لتعطي نموذجًا عن أولئك المكذبين الذين أنكروا البعث والذين سبق ذكر بعض أقوالهم في الآيات (١٠، ١١، ١٢).

فابتدأت القصة بسؤال للنبي -صلى الله عليه وسلم- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى...﴾ الآيات، عندما ناداه ربه -جل جلاله- بذلك الوادي المقدس، وكلفه بالذهاب إلى فرعون الطاغية، ويلتمس منه أن يهتدي ويتزكى، وعرض عليه الآية الكبرى؛ لتقوم عليه الحجة، ولكنه كذب وعصى، ثم ازداد طغيانه، وادعى الربوبية، فأخذه الله بذنبيه، وجعله عبرة لمن يخشى. فابتدأت القصة بنداء الله -جل وعز- لموسى -عليه السلام-، وانتهت بإهلاك فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى، هذا ما يمكن إجماله من قصة موسى وفرعون في سورة النازعات.

وقد وردت هذه القصة في مواضع أخرى من القرآن الكريم بتفصيلات لأحداثها، وحواراتها، ولكنها هنا اتّسمت بالإجمال والإيجاز. وعليه، فقد اتسق النغم الصوتي أيما اتساق مع مقتضى المقام الذي وردت فيه، وذلك من خلال مراعاة جانبيين:

الأول: هو الإيقاع السريع، والنغم الحادّ الذي تمثّل في مطلع سورة النازعات من أولّها إلى آية رقم (١٤).

والثاني: وهو الإيقاع الهادئ الممتدّ الذي يعتمد على سرد الأحداث والوقائع، والذي يتسم به النسق القصصي^(١)، فأنتى هذا المقطع منسجماً صوتيًا مع الجانبين،

(١) ينظر: محمد الحسنائي، "الفاصلة في القرآن". (ط٢، عمّان: دار عمار، ١٤٢١هـ)، ٢٢٨.

فلم يخرج عن نغم التحذير والوعيد المتمثل في حدة الصوت وإيجاز العبارة، وفي الوقت نفسه لم يخرج -أيضاً- عن نغم الهدوء القصصي في سرد الأحداث وتتابعها، وهذا تناسق عجيب، أن تجتمع المتناقضات النغمية في آن واحد، من حدة وسرعة في جانب، ومن هدوء وبسط في جانب آخر، ولعلّ هذا الانسجام الصوتي، والالتئام النغمي يتبين من خلال الآتي:

أولاً: أن النغم الصوتي لهذا المقطع أتى مشاكلاً لمقام المعنى، وذلك من خلال إطلاق الفاصلة بألف مقصورة، توحى بشيء من الهدوء والترث في السرد، فكأنّ هذا الصوت ينطلق به النَّفَس بعد مقدّمة مُجْلِجِلَةٍ في حدة زواجرها، وصرامة جرسها. وقد قال الرّماني (ت: ٣٨٤هـ) عن الفواصل: "حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"^(١).

ثانياً: أن طبيعة الاستفهام في بداية هذا المقطع: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، يوحي بشيء من الدفء على قلب نبينا محمد -صل الله عليه وسلم-، وذلك من خلال توجيه الاستفهام من الخالق -جل جلاله-، وهذه ملاطفة وتوطئة؛ لاستخلاص العبرة من سرد حديث موسى -عليه السلام-. وهذا التلطف من الله سبحانه للنبي -صلى الله عليه وسلم- يصحبه تلطفٌ نغميٌّ، يتمثّل في بسط الصوت، والتخفيف من حدة النغم في آيات هذا المقطع، خلافاً لما يسبقها من آيات، وهذا واضحٌ وجليٌّ.

ثالثاً: كثرة ورود الأفعال في هذا المقطع، كما في: (أتاك، ناداه، اذهب، طغى،

(١) الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، "النكت في إعجاز القرآن للرماني، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)". تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول، (ط٣، مصر: دار المعارف)، ٩٧.

فقل، تركي، أهديك، تخشى، أراه، كذب، عصي، أدبر، يسعى، حشر، نادي، فقال، أخذه، يخشى)، تدل في الغالب على التجدد والحدوث، وهذا يتوافق مع تجدد الأحداث في قصة موسى -عليه السلام- وفرعون، كما أن الرتم الصوتي لهذه الأفعال ينسجم مع سرد الأحداث وتتابعها في هذه القصة.

رابعاً: أن الصوت الحلقى المتمثل في حرف (الهمزة) في قوله: (أتاك، إذ، اذهب، إنه، إلی، أن، أهديك، أراه، أدبر، أنا، الأعلى، أخذه، الآخرة، الأولى، إنَّ) يضيفي دلالة التحقيق والتأكيد على المعنى، من خلال وضع إشارات نغمية في أثناء سرد الحدث، وهذا التشكيل الصوتي ينتقل بك؛ لتحقيق المعنى في كل مرحلة من مراحل السرد.

خامساً: أن العدول عن لفظة (جاءك) إلى (أتاك) في مطلع هذا المقطع فيه مزية لفظية، وأخرى معنوية، فاللفظية: تتمثل في طاقات الصوت الحلقى من ابتداء الفعل بالهمزة، وما يحققه من زيادة في توثيق الخبر في نفس المتلقي، وهو ما ينسجم مع أمر التكليف الإلهي لموسى عليه السلام.

وأما المزية المعنوية: فهي متحققة في التمايز بين مدلول الإتيان، ومدلول المجيء، ولعل ذلك يتضح من حوار موسى -عليه السلام- مع قومه في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) ﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

وعلى هذا، فقد أفهم السياق بأن لفظة (أتى) تدل على الزمن البعيد، وأن

(١) سورة الأعراف، آيات ١٢٨-١٢٩.

لفظة (جاء) تدل على الزمن القريب، فكأنه هنا - في سورة النازعات - إفادة بتفضل الله - سبحانه - وملاطفته للنبي - صلى الله عليه وسلم - بأننا يا محمد اصطفيناك، وأوحينا إليك تفاصيل الأحداث التي لا تعرفها أنت ولا قومك من قبل هذا، والتي جرت أحداثها في أزمان بعيدة عنك وعن قومك^(١).

ولقد وردت قصة موسى وفرعون في سورة النازعات منسجمة صوتيًا مع مقصد السورة الذي يتمحور حول قضية البعث بعد الموت، فيما أنه ذكر - جل وعلا - من يقول: ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ﴿١٠﴾ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾، فهناك - أيضاً - من يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وإذا كان هناك من ينكر البعث منكم يا كفار قريش، فهناك من هو أعتى طغياناً منكم، وأشدّ ضللاً واستكباراً، وهو الذي ادعى الربوبية بكل صلف وطغيان، وكانت عاقبته أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى، وجعله عبرة لمن يعتبر.

كما يلاحظ في هذا المقطع قصر الآيات التي تتحدث عن تلقي فرعون دعوة موسى - عليه السلام -، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾؛ حيث برز التدرج في العصيان، من خلال التدرج في الشنائيات في كل آية، ففي الأولى تكذيب وعصيان، وفي الآية التي تليها إدبار وسعي للإفساد، وفي الآية الأخرى جمع الناس ونداؤه لهم، وفي الآية الأخيرة ادعاء منه بأنه (هو) الرب الأعلى.

فتبين من هذا كله سرعة وتقارب الأداء الصوتي لهذه الآيات، بخلاف ما يسبقها من آيات، وما يعقبها من وقوع العقوبة عليه في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾.

(١) ينظر: حسن محمد باجودة، "تأملات في سورة النازعات"، (دار الاعتصام)، ٥٩.

وبهذا الإيجاز في العبارة التي تصف ردة فعل فرعون لدعوة موسى -عليه السلام-، وبهذا النغم السريع المتقارب تُختصر لك أحداثٌ ومشاهدٌ فُصِّلَتْ أحداثُها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

ولكنَّ السِّياق هنا في سورة النازعات يدور حول قضية أساسية، وهي تقرير حقيقة البعث، فأتى سرد أحداث هذه القضية؛ لاستخلاص ما ينسجم مع قضية السورة التي ابتدأت بها أوَّل آية من مطلعها، واختتمت بها آخر آية منها.

كما يتبيَّن في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أن الله -جل وعلا- قدَّم الآخرة على الأولى، مع أنَّ الذي يتبادر إلى الذِّهن هو تقديم الأولى على الآخرة وفق الترتيب الزمني.

ولكن في تقديم الآخرة على الأولى تحقيق غايتين:

الأولى: أن في تقديم نكال الآخرة على الأولى يأتي في سياق التأكيد على أن نكال الآخرة هو الأشد والأعظم، وأنه هو الباقي، إضافة إلى مناسبة سياق الآيات التي تتحدث عن الآخرة، وحقيقة البعث بعد الموت.

وأما الغاية **الثانية** من تقديم نكال الآخرة على نكال الأولى فيمكن أن يُقال: أنه بعد أن تحققت الغاية السياقية لهذا التقديم، هناك غاية إيقاعية ودلالة صوتية، مقتضاها أن تتوافق فاصلة الآية مع الآيات التي وردت ضمن سياقها دلاليًا وصوتيًا.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنه يتبيَّن أن التشكيل الصوتي لهذا المقطع أتى في مجمله هادئًا وممتدًا انكسرت فيه حدَّة النغم الذي كان طاغياً في مطلع السورة إلى أسلوب يتناسب مع سرد القصص وتتابع الأحداث.

ولكنه -أيضاً- بقي متَّسقاً مع ما قبله من حيث الاختصار، وتكثيف المعاني بقليل من الألفاظ، متلائماً مع السِّياق من حيث عدم الاسترسال في ذكر الأحداث والوقائع، وتكثيف الجانِب النغمي -خصوصاً- من آية (٢١) إلى آية (٢٤) التي

تتحدّث عن ردة فعل فرعون بعد دعوة موسى -عليه السلام- له.

الحديث عن مشركي مكة، ومن شاكلهم:

إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ تَوْجِيهِ الْخَطَابِ لِمَشْرِكِي مَكَّةَ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ اعْتِقَادِهِمْ مِنَ الْآيَةِ (٢٧) إِلَى الْآيَةِ (٣٣). وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

فبعد أن ذكر الله -جل وعلا- في سياق قضية البعث ادعاء المكذّبين بقولهم: ﴿أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾، وبعد أن ضرب مثلاً للطغاة الذين ادعوا الرُّبُوبية كما هي حال فرعون الذي جعله الله عبرة للمعتبرين، ومن جاء بعدهم، فقال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.

فكأنَّ سياق العِظة والعِبرة لم يقف عند هذا الحد من ذكر أخبار العصاة، ورؤوس الطغيان ومآلهم، كما هي الحال لدى فرعون وجنوده؛ بل الانتقال إلى مشاهد أعظم في الخلق، وأقرب للمشاهدة، وهي السماوات والأرض التي يقر كفار مكة بأن خالقها الله -جل في علاه- كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١).

كما أن الله -عز وجل- يذكر الحقيقة التي تراها البصائر السليمة من حيث عِظم خلق السماوات والأرض بقوله تعالى: ﴿خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ

(١) سورة لقمان، آية: ٢٥.

خَلَقَ النَّاسَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

ويأتي هذا المقطع في سورة النازعات، لإقامة الحجّة العقلية على المكذّبين، بأن خلقكم أيها الناس وبعثكم أقلّ شأنًا من خلق هذه المخلوقات العظيمة التي تشاهدونها بأعينكم، لإعادة بعثكم أهون من خلق هذه المخلوقات، فلماذا التكذيب بالبعث؟! وفي الجانب الصوتي يتبين أنّ ابتداءه بحرف حلقي شديد، وهو (الهمزة)، وتكرارها في قوله: (أَنْتُمْ، أَشَدُّ، أَمْ، السَّمَاءُ) أضفت على دلالة الألفاظ مزيدًا من التحقيق والتقدير لحقيقة قطعية الثبوت، وكأنه فاجأ أذن المتلقي بهذا النغم الصوتي الشديد.

وهذا يتناسب مع تقرير هذه الحقيقة، بل إن هذا الصوت تكرر وروده في هذا المقطع كما في (أَشَدُّ، أَعْطَشَ، أَخْرَجَ) وكأن هذا الصوت متلازمٌ مع ما يقتضي الشدة والقوة، فانظر إلى: (أَشَدُّ خَلْقًا.. أَعْطَشَ لَيْلَهَا.. أَخْرَجَ ضُحَاهَا.. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا.. أَرْسَاهَا) وتتبع تلازم حرف الهمزة مع دلالات القوّة والشدة، لا سيّما إن كان في أوّل الكلمة، كما أن وجود الألفاظ ذات الجرس الموحى بارز في هذا المقطع، ويتمثل ذلك في الفواصل التي يُطلق فيها الصوت ويُمدّ بـ (الألف) التي تسبقها (الهاء).

وعليه، فيما أن هذا المقطع من السورة يتحدّث عن مخلوقات وأفعال عالية الشأن، عظيمة الخلق والإحكام في تصور المخلوقين؛ ناسب أن تتلازم هذه الدلالة المعنوية مع دلالة صوتية تتمثّل في مدّ الصوت في فواصل هذا المقطع.

فانظر إلى: (بَنَاهَا، فَسَوَّاهَا، ضُحَاهَا، دَحَاهَا، مَرَعَاهَا، أَرْسَاهَا)، وما ينطبع في الأسماع من دلالات الاتساع، والارتفاع، والقوة في الخلق، وهذا بناء صوتي فريد، تتناغم فيه دلالة المبنى مع دلالة المعنى.

وأما الآية الأخيرة في هذا المقطع فقد أنت بفاصلة مغايرة عن الفواصل التي

تسبقها، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾، وفي هذا إحياء بتمام المعنى، والتمهيد إلى موضوع آخر، فكأنه بهذا الجرس الصوتي المخالف يهيب المتلقي صوتيًا إلى الانتقال إلى حديث آخر، ومشهد مختلف، ينتظم وفق مقصد من مقاصد هذه السورة.

كما أن هذه الآية تتفرد عن الآيات التي سبقتها من حيث أن خلق السماء وبناءها، وإغطاش الليل، وإخراج النهار، ودحي الأرض، وإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال، كلّه يندرج في قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾، فكأن النعم الصوتي المتمثل في فاصلة هذه الآية يشحذ الأذهان إلى التفكير في ابتداء خلق هذه المخلوقات العظيمة التي هي أشد من قضية خلق الإنسان وبعثه.

كما أن التشكيل الصوتي لهذا المقطع يأخذ منحى آخر من الأداء، ويتمثل ذلك في براعة التقسيم الصوتي للثنائيات.

فانظر إلى براعة التلاؤم في التشكيل الصوتي للسماء وللأرض، فقال عن السماء: ﴿السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾، ويقابلها: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، وقال عن السماء: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾، ويقابلها في الأرض: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وقال عن السماء: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، ويقابلها في الأرض: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.

ثم انظر ثانيًا إلى براعة تلاؤم الثنائيات في كل آية على حدة؛ ففي الآية الأولى: خلق للسماء وبناء لها، وفي الثانية: رفع سمكها وتسويتها، وفي الثالثة: إغطاش الليل وإخراج الضحى، وفي الآية الرابعة: دحي الأرض والترتيب الزمني لهذا الدحي، وذلك في قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، وفي الآية الخامسة: إخراج الماء والمرعى، وفي الآية السادسة: ذكر الجبال وإرسائها، ثم في الآية السابعة: ربط بين مقومات الحياة للإنسان ولأنعامه بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، فالماء متاع للإنسان بالدرجة الأولى، والمرعى

متاع للأُنعم بالدرجة الأولى^(١).

ويتبين من خلال هذه الثنائيات شدة التحام وتأزر المعنى والمبنى في اكتمال البيان القرآني في هذا المقطع، ولعله يتبين -أيضاً- أن الإعجاز البياني لا يتوقف عند هذا الحد، بل يتجاوز ذلك إلى آفاق أبعد تمتلئ بها النفس، ولكنها لا تفيها حقها من التعبير والبيان!!

ومن ذلك لو أنعمنا النظر في الآية: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ على افتراض ذكر النهار بدلاً من الضحى، فتستبدل (ضحاهها) بـ(نهارها)، ولربما يتبادر إلى الذهن أنه ما دام دُكر الليل فالذي يقابله ذكر النهار، وليس (الضحى) الذي هو جزء من النهار، ولكن السمع ينبو عن هذا البناء، لذا فإن ذكر الضحى أدّى الدلالة المعنوية للآية على أتم وجه، وأجمل مبنى من حيث الاتساق النغمي وفق السياق. إضافة إلى الكمال النغمي والدلالي في لفظتي (أَغْطَشَ، وَأَخْرَجَ)، وكذلك الإشعار النغمي في خاتمة هذا المقطع بالانتقال إلى موضوع آخر^(٢) من موضوعات هذه السورة ومقاصدها.

الحديث عن يوم القيامة:

وأما المقطع الذي يتحدّث عن يوم القيامة، ومجيئ الطامة الكبرى، فهو يبتدئ بالآية (٣٤)، وينتهي بالآية (٤١)، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ

(١) حسن محمد باجودة، "تأملات في سورة النازعات"، (دار الاعتصام)، ٩٠.

(٢) ينظر: محمد الحسنائوي، "الفاصلة في القرآن". (ط٢، عمّان: دار عمار، ١٤٢١هـ)، ٢١٠.

الجنة هي المأوى.

فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض، وما فيهما من تسخير للإنسان ومتاع له، ينتقل المشهد إلى مقام آخر، وهو مجيء الطامة الكبرى الذي يتذكر الإنسان فيها مسعاه من خير أو شر، ثم يذكر -جل وعز- أن الجحيم تبرز للناظرين، فأما الطغاة الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فإن الجحيم هي مأواهم. وأما الذين خافوا من يوم يقفون فيه بين يدي الله -عز وجل- ومنعوا أنفسهم من اتباع الهوى، فإن الجنة هي مأواهم.

وقد أتى مطلع هذا المقطع بذكر مجيء الطامة الكبرى بعد أن مهّد للانتقال إلى هذا المعنى بقوله في خاتمة المقطع السابق: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾، فنأتي الطامة الكبرى، وهي من أسماء يوم القيامة^(١) عندها تتلاشى السماوات والأرض والجبال ومتاعكم ومتاع أنعامكم التي سبق ذكرها في المقطع السابق، كل هذا يزول عند مجيء الطامة الكبرى ولا يبقى منها للإنسان إلا تذكر ما عمل في حياته من خير أو شر.

وبالنظر إلى التشكيل الصوتي لهذا المقطع فإنه يتبين التماثل في الفاصلة بين آيات هذا المقطع والمقطع الثاني الذي يبتدئ بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، من خلال إطلاق الفاصلة للمقطعين بألف مقصورة، وهذا التماثل يصل خيوط المعنى بعضهما ببعض؛ حتى تنسج مشهداً من مقاصد هذه السورة الكريمة.

ولعلنا نتحسس الرابط بين المقطعين من نافذة البناء الصوتي لفاصلة الآيات، ويتضح ذلك في أن المقطعين يلتقيان في أن كل واحد منهما يتضمن سرد أحداث ووقائع. ففي مقطع قصة موسى مع فرعون تتحدث الآيات عن أحداث وقعت منذ

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)". تحقيق:

عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط ١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢هـ)، ٢٤: ٩٧.

نداء الله -جل وعلا- لموسى إلى تكليفه بالذهاب إلى فرعون الطاغية، ودعوته للهداية بعد أن أراه الآية الكبرى، هذا ما يخص موسى عليه السلام. أما ما يخص استجابة فرعون له فكانت النتيجة أن كذَّب وعصى، وأسرف في الطغيان، وادعى الربوبية إلى أن أخذه نكال الآخرة والأولى.

فالأيات في هذا المقطع اتسمت بسرد الأحداث والوقائع منذ نداء الله -جل وعلا- موسى إلى نهاية فرعون، بينما الآيات في المقطع الذي يتندى بمجىء الطامة الكبرى؛ فإنها تسرد أحداثاً ووقائع لمشاهد القيامة من خلال الصيحة التي يقوم فيها الناس لربِّ العالمين، والتي عبَّر عنها -جل وعلا- بـ (الطامة الكبرى) التي يتلاشى عن الإنسان عند وقوعها كلُّ معاني الحياة الدنيا إلا ما سعى فيه من خير أو شر.

ثم يذكر الله -سبحانه وتعالى- إبراز الجحيم للناظرين، وأنها تكون في مرأى الجميع، ثم يسرد أحوال الناس يوم القيامة، وأنهم أحد فريقين: إما طغاة آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، فالجحيم مأواهم. وإما مؤمنون خافوا وقوفهم بين يدي الله، ونهوا أنفسهم عن اتباع الهوى، فالجنة مأواهم.

كما أن التماثل الصوتي المتمثل في (الألف المقصورة) في فواصل الآيات في المقطعين يوحى برابط دلالي وثيق يتمثل في أن موسى -عليه السلام- والطاغية فرعون في المقطع السابق، يندرج كل واحد منهما في صنف من الأصناف التي ذكرت في هذا المقطع.

فأما ما يمثل فرعون وغيره من الطغاة فهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى...﴾ إلى آخر الآيات. وأما ما يمثل موسى -عليه السلام- وغيره من المؤمنين فهو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ...﴾ إلى آخر الآيات.

وعلى هذا، فإنَّ التماثل الصوتي بين فواصل الآيات في المقطعين لم يأت اعتباطاً -وحاشاه-، بل ليوحي إلى المتلقي بتلاحم المشهد بعضهما مع بعض من خلال

تشكيل صوتي؛ كي تحقّق مقصداً من مقاصد سورة النازعات، هذا من حيث الربط الدلالي بين المقطعين.

وأما بالنظر إلى الجانب الصوتي في هذا المقطع فإنه يتبين هول أمر صحيحة البعث؛ إذ سماها الله -جلا وعلا- بالطامة الكبرى، فيأتي التشكيل الصوتي متوائماً مع دلالة المعنى، وذلك من خلال إطلاق الصوت في حروف المد في (جَاءَتْ)، وفي (الطَّامَّةُ)، وفي إطلاق الصوت في فاصلة (الْكُبْرَى).

فكأن إطلاق الصوت في هذه المدود الثلاثة يوحي بعظم شأن المجيء، وعظم شأن هذه الطامة، وعظم شأن وصفها بـ(الْكُبْرَى)، أضف إلى ذلك النغم الصوتي المتمثل في اجتماع التشديد مع المد، فحرف المد في (الطَّامَّةُ) يسبقه حرفٌ مشدّد، وبعقبه حرف مشدّد -أيضاً-؛ حيث يعطي هذا نمطاً طويلاً في مد الصوت، فعندما يتشكل الصوت بفخامة حرف الطاء المشدّد، يرتفع بعد ذلك بالمد الطويل، ثم ينقض الصوت انقضاضاً على حرف الميم المشدّد، وهذا توافق فريد في تشكيل المبني وفقاً لدلالة المعنى.

إضافة إلى تبين بلاغة الدلالة الصوتية في قوله: ﴿وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾، فلم يذكر أنها أظهرت، وإنما قال: (بُرَزَّتِ)؛ ليدل على شدّة في المعنى والجرس؛ وللتوافق دلالة المعنى مع دلالة الصوت المتمثلة في حدّة الصوت وتشديده مما يصطبغ بتجانس بديع بين أداء الصوت ودلالته، وينطبق ذلك -تماماً- على لفظة (الْجَحِيمُ) التي تعني النار، وما يتسم به هذا اللفظ من شدّة وتخويف.

إضافة إلى ما بين الآية: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، والآية: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ من تقابل صوتي، وتعانق نغمي بين لفظة (الْجَحِيمُ) التي تمثل المأوى للطغاة، ولفظة (الْجَنَّةُ) التي تمثل مأوى المؤمنين، بالإضافة إلى تعانق تركيب في التشكيل الصوتي للآيتين.

كما تبرز نبرة الهدوء والسكينة في الحديث عن المؤمنين الذين خافوا مقام ربهم ونَحَوُوا أنفسهم عن اتباع الهوى، تتَحَسَّسُ النَّفْسُ رَاسِيسَهَا في ثنايا التركيب، وإن لم يتبين مصدرها، ولعل الباعث لها هو تكرار حرف (هاء) في عدّة مواضع، فانظر إلى الألفاظ: (رَبِّهِ، هَمَّى، الهَوَى، هِيَ)، تجد حرفَ (هاء) مهموسًا يتصف بالرخاوة؛ وربما كان لتكراره في هذه الآية أثر في تصوير صفة السكينة والطمأنينة والهدوء في نفس من يخاف مقام ربه، وينهى نفسه عن اتباع الهوى.

الحديث عن سؤال تحديد يوم القيامة:

لقد اختتمت سورة النازعات بالحديث عن سؤال الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم عن تحديد موعد قيام الساعة، وذلك من الآية (٤٢) إلى آية (٤٦)، وذلك في قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يُخْشَاهَا﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

فبعد أن مرّ ذكر مجيء الطامة الكبرى في المقطع السابق وذكر مصير أهل الهداية والطغيان، يأتي هذا المقطع بذكر سؤال كفار مكة للنبي -صلى الله عليه وسلم- عن تحديد قيام الساعة، فقد كانوا يُلْحِثُونَ على النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن موعد قيام الساعة، كما في قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، ثم يتوجه بالخطاب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنك لا تملك شيئاً من علم الساعة حتى تذكر لهم موعدها، وإنما مهمتك الإنذار والتبليغ، ثم يذكر الله -جل وعلا- حال هؤلاء المكذبين عندما يرونها بأنهم من هول المفاجأة، وشدة الصدمة، وصعوبة ذلك اليوم يُخَيِّلُ إليهم أن مكثهم في الحياة

(١) سورة يونس، آية: ٤٨.

الدنيا لم يكن إلا بمقدار عشية أو ضحى، فأنت محاور هذا المقطع على النحو الآتي:
أولاً: ذكر سؤال كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم عن تحديد وقت قيام الساعة.
ثانياً: ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئاً من علم الساعة.
ثالثاً: إثبات أن منتهى أمر الساعة هو بيد الله وحده جلّ شأنه.

رابعاً: إثبات أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي الإنذار والتبليغ لمن يخشى
أمر الساعة، ويريد أن ينجو من عذابها.

خامساً: إثبات هول أمر الساعة، وضآلة لبثهم في الحياة الدنيا.
وبالنظر إلى الجانب الصوتي لهذا المقطع فإنه أول ما يستحوذ على انتباه المتلقي
هي أصوات الصفيّر المتمثلة في تكرار حرف السين في قوله (يَسْأَلُونَكَ، السَّاعَةَ،
مُرْسَاهَا)، مما أعطى زيادةً في التنبيه، وكسراً لرم الصوت عن المقطع السابق له، وانحناء
التشكيل الصوتي تبعاً لاتجاه المعنى.

كما أن هذا المقطع تتماثل فيه فواصل الآيات مع المقطع الثالث الذي يتدئ
بقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾. وهذا إيجاء برابط نغمي بين
الآيات تبعاً للمعنى والسياق، فكما أن هناك رابطاً بين المقطعين الرابع والثاني،
فكذلك هناك رابط بين المقطعين الخامس والثالث، وكأنّ هذا التزاوج النغمي، والتلاؤم
الصوتي بين المقاطع يأتي استجابة للرابط المعنوي الذي تتشكل من خلاله الدلالة
الصوتية؛ لتحقيق مقاصد السورة أجمعها.

قال أحمد أحمد بدوي: "وتأتي الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها، مطمئنة في
موضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلّق معناها بمعنى الآية كلّها تعلّقاً تامّاً، بحيث لو
طرحنا لاختلّ المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدّي في مكانها جزءاً من معنى الآية،

ينقص ويحتلّ بنقصانها^(١).

وكان الرابط الصوتي بين فواصل المقطعين (الخامس والثالث) يأتي لتحقيق الربط في أن كلا المقطعين ورد فيهما ذكر لمخلوقات عظيمة في الخلق يقابلها مخلوقات ضئيلة لا يذكر لها شأن عند مقارنتها بهذه المخلوقات.

ففي المقطع الأول ذكر خلق السماء، ورفع سماكها، وإغطاش الليل، وإخراج الضحى، ثم ذكر دحي الأرض، وإخراج مائها ومرعاها، ثم إرساء الجبال.

فيأتي سرد هذه المخلوقات بعود على ما ابتدأه المقطع: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا...﴾ فكل هذه المخلوقات العظيمة لا تقارن عظمتها بخلق الإنسان الضعيف، وهذا السياق ورد عند ذكر طغيان فرعون، وادعائه بأنه الرب الأعلى.

وأما المقطع الأخير فقد ورد فيه ذكر أمر الساعة، وحقارة الدنيا التي تتكشف عند رؤيتهم الساعة، فيدركون أنهم لم يلبثوا في الحياة الدنيا إلا عشية أو ضحاها، وهذا -والعلم عند الله- من أوضح الروابط المعنوية بين المقطعين، والذي من خلاله اتحد الصوت من خلال فواصل المقطعين.

إضافة إلى ذلك فإنه يلمح هدوء الإيقاع في المقطع الأخير، وعمق الدلالة من خلال امتداد الصوت في حرف الهاء الممدودة الذي يصوّر عمق الأسى، وشديد التحسر للكفار عند رؤيتهم أهوال الساعة.

(١) أحمد أحمد بدوي، "من بلاغة القرآن". (نخضة مصر، ٢٠٠٥م)، ٦٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاةً وسلاماً على خاتم المرسلين.
وبعد؛

فإن موضوع البلاغة الصوتية باب دقيق المسلك، عميق الأثر، يفضي بالنص إلى تناسق نغمي، وتعالق دلالي، ويبرز ذلك في القرآن الكريم بشكل جلي. ولا شك أن العناية بكتاب الله من خلال تدبر أساليبه، ومحاولة فهم سر إعجازه الذي أفحم معارضيه؛ من ألطف الأبواب وأعمقها. ومعلوم -قطعاً- أن حصر إعجازه والإحاطة به غير وارد، ولكن من خلال النظر في زوايا من لطائفه، ونزير من شذرات إعجازه.

وهذه الدراسة رُسمت حدودها من خلال تتبع بلاغة التشكيل الصوتي في سورة النازعات، فتمخضت عن بعض النتائج، وهي كالآتي:

أولاً: يُعدّ التشكيل الصوتي من أهم الركائز الدلالية في إبراز المعنى وتأكيده، إذا رُوِيَ في ذلك مطابقتها مقتضى الحال.

ثانياً: إن الدرس البلاغي القديم لم يعتنِ بالدلالة الصوتية، ولطائفها البيانية وقيمها الدلالية عنايته بدلالة الألفاظ والتراكيب.

ثالثاً: إن أول ما لفت انتباه الأذن العربية في القرآن الكريم، وأدركه حسُّهم الفطري، هو البناء البياني المتين، والنغم الصوتي المتفرد.

رابعاً: إن أي تحول في البناء الصوتي يقتضي تحولاً للمعنى، والعكس صحيح، بما يتواءم مع مقتضى الحال.

خامساً: إن التشكيل الصوتي في سورة النازعات واضح وجلي، وذلك من خلال مطابقتها لدلالة كل مقطع من مقاطع السورة الكريمة.

سادساً: إن النغم الصوتي في مطلع سورة النازعات أتى على وقع سريع لاهث،

يوحي بشيء من ومضات تحذيرية؛ لقلوب لاهية عن حقيقة البعث.

سابعًا: إن النغم الصوتي في المقطع الثاني لانت حدة وقعه، فأتى بإيقاع هادئ ممتد، يتسق مع النسق القصصي في سرد الأحداث والوقائع، دون الخروج عن الإطار الصوتي للسورة بوجه خاص، والسور المكية بوجه عام.

ثامنًا: إن النغم الصوتي في المقطع الثالث تشكل وفقًا لدلالة المقطع من إثبات حقيقة قطعية الثبوت تقتضي الشدة، والقوة، والاتساع، وذلك عند ذكر مخلوقات تفوق عظمتها خلق الإنسان وإعادة بعثه.

تاسعًا: اتساق التشكيل الصوتي في المقطع الرابع مع دلالة المعنى التي تقتضي ضخامة أمر الطامة الكبرى، وهول أحداثها، إضافة إلى التماثل في الجانب الصوتي بين هذا المقطع والمقطع الثاني الذي يتبدئ بحديث موسى وفرعون؛ استجابة لرابط دلالي بين المقطعين.

عاشرًا: إن الإيقاع الصوتي في المقطع الأخير من السورة صوّر عمق الأسى، وشديد التحسر للكفار عند رؤيتهم أهوال يوم القيامة، بالإضافة إلى التماثل الصوتي بين هذا المقطع والمقطع الثالث الذي يتبدئ بقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾؛ استجابة لرابط دلالي بين المقطعين.

هذا ما تيسر بيانه في هذا البحث، والله نسأل العصمة من الزلل، والعفو عن التقصير والخلل.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أ- الكتب:

- ابن الأثير، ضياء الدين. "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، (القاهرة، دار نُهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).
- ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد. "التبيان في تفسير غريب القرآن". تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص"، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. "تفسير القرآن العظيم"، (ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ).
- أبو موسى، محمد محمد. "الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم)"، (ط٥، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ).
- أمين، بكري شيخ. "التعبير الفني في القرآن"، (ط٣، بيروت: دار الشروق، ١٣٩٩هـ).
- أنيس، إبراهيم. "موسيقى الشعر"، (ط٢، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٢م).
- باجودة، حسن محمد. "تأملات في سورة النازعات"، (دار الاعتصام).
- بدوي، أحمد أحمد. "من بلاغة القرآن"، (دار نُهضة مصر، ٢٠٠٥م).
- البغدادي، محمود بن عبد الله الألوسي. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: محمد معتز كريم، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ).
- البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)"، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ).

بلاغَةُ التَّشكِيلِ الصَّوْتِيِّ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ، د. منور بن نايف الفديد الشمري

البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)". تحقيق: محمد صبحي، ومحمود الأطرش، (ط ١)، دمشق-بيروت، دار الرشيد، ١٤٢١هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين"، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ). الجرجاني، عبد القاهر. "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط ٣)، مصر، دار المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٤١٣هـ).

حسان، تمام. "البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)"، (ط ٢)، مصر، عالم الكتب، ١٤١٣هـ).

الحسنائي، محمد. "الفاصلة في القرآن"، (ط ٢)، عمان، دار عمار، ١٤٢١هـ). الخطيب، عبد الكريم. "إعجاز القرآن (الإعجاز في دراسات السابقين)"، (ط ١)، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م).

دراز، محمد عبد الله. "النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)"، (الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٥هـ).

الرافعي، مصطفى صادق. "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط ٨)، بيروت، دار الكتاب العربي).

الرماني، والخطابي، والجرجاني، علي بن عيسى، وحمد بن محمد بن إبراهيم، وعبد القاهر بن عبد الرحمن. "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول، (ط ٣)، مصر، دار المعارف).

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (ط ١)، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ).

السعدان، محمود. "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، (مصر، دار المعارف،

١٩٦٢م).

السلامي، عمر. "الإعجاز الفني في القرآن"، (تونس، مؤسسات عبد الكريم عبد الله، ١٩٨٠م).

شادي، محمد إبراهيم. "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم"، (ط١، دار الرسالة، ١٤٠٩هـ).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)". تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، مصر، دار هجر، ١٤٢٢هـ).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. "كتاب الصناعتين"، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ).
العماري، سلامي. "الإعجاز البياني والحدائث" (سوسة - تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م).

القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم. "الجامع الصحيح (صحيح مسلم)". تحقيق: محمد ذهني أفندي، إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي، أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصار، محمد عزت بن عثمان الزعفرانبوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، (تركيا، دار الطباعة العامة، ١٣٣٤هـ).
المجنوب، عبد الله بن الطيب. "المرشد إلى فهم أشعار العرب"، (ط٢، الكويت، دار الآثار الإسلامية، مطبوعات وزارة الإعلام الكويتية، ١٤٠٩هـ).
ياسوف، أحمد. "جماليات المفردة القرآنية"، (ط٢، دمشق، دار المكتبي، ١٤١٩هـ).

ب- الدوريات:

جلال، ماهر مهدي. "الأسلوبية الصوتية بين النظرية والتطبيق"، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني عشر، كانون الثاني، ١٩٩٢م.

Bibliography

A. Books:

- Ibn al-Athir, Diyā al-Din. "Al Mathal al-Sā'ir fi Adab al Katib wa al-Shā'ir", investigated by: Ahmad al-Houfi and Badawi Ṭabanah, (Cairo: Dar Nahdh for printing publishing and distribution).
- Ibn Al Ha'im, Ahmad bin Muhammad bin 'Imad. "A-Tibyan fi Tafsīr Ghareeb Al Qur'an". investigated by: Dhahi 'Abd al-Baqi Muhammad. (1st edition, Beirut: Dar al Gharb al islami, 2003).
- Ibn Jinni, 'Abu al-Fath Usman. "Al Khaṣā'is", investigated by: 'Abd al-Hamid Hindawi, (2nd edition, Beirut: Dār al Kutub al-'Ilmiyyah, 1424 AH).
- Ibn Kathīr, Abu al-Fida Ismail." Tafsīr al-Qur'an al-'Azīm", (1st edition, Beirut: Dar Ibn Hazm, 1420 AH).
- Abu Musa, Muhammad Muhammad. "al-I'jāz al-Balāghi (Dirāsah Tahliliyya li-Thurāth Ahl al-'Ilm)," (5th edition, Cairo: Maktaba Wahba, 1438 AH).
- Ameen Bakri Shaikh. "al-Ta'bīr al-Fanni fi al-Qur'an", (3rd edition, Beirut: Dar Al Shorouk, 1399 AH).
- Anīs, Ibrahim. "Mousiqā al-She'r", (2nd edition, Egypt: The Anglo Egyptian book shop Cairo. Matba'at Lajnate al-Bayān al-'Arabi, 1952).
- Bajouda, Hasan Muhammad. "Ta'ammulāt fi Sourat al-Nāzi'āt," (Dar Al-I'tisam).
- Badawi, Ahmad Ahmad. "Min Balāghat Al-Qur'ān," (Dar Nahdah Miṣr, 2005).
- Al Baghdadi, Mahmud bin 'Abdullah al-Alousi. "Rouhu al-Ma'ānī fi Tafsīr al-Qur'an al-'Azīm wa-al-Sab' al-Mathānī". Investigated by: Muhammad Mu'taz Kareem, (1st edition, Beirut: Muassasa al-Risalah, 1431 AH) .
- Al-Baghawi, Al-Husain bin Mas'oud". "Ma'ālim al-Tanzīl fi Tafsīr Al Qur'an (Tafsīr Al-Baghawi)", Investigated by: a group of researchers, (4th edition, Dar Taiba for publishing and distribution 1417 AH).
- Al-Baiḍāawi, 'Abdullah bin 'Umar al-Shirāzi. "Anwār al-Tanzīl wa Asrar al-Ta'weel. (Tafsīr Al-Baiḍāawi)". Investigated by: Muhammad Subhi, Mahmud Al-Atrash, (1st edition, Damascus – Beirut: Dār Al Rashid, 1421 AH).
- Al-Jahiz, 'Amr bin Bahr. "Al-Bayān wa al-Tabyīn". (Beirut, Daru wa-

- Maktabatu Al-Hilal, 1423 AH).
- Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir. "Dalā'il al-I'jāz". Investigated by: Mahmud Muhammad Shakir, (3rd edition, Egypt: Dār al-Madni, al-Muassasat Al Saudiyya, 1413 AH).
- Hasan, Tammam. "Al-Bayān fi Rawā'i' Al-Qur'an (Dirāsāt Lugwiyya wa-'Usloubiyyah li-al-Naṣṣ Al-Qur'āni)", (2nd edition, Egypt: 'Ālam al Kutub, 1413 AH).
- Al Hasnawi, Muhammad. "Al-Faṣilah fi Al-Qur'an", (2nd edition, Amman: Dar Ammar, 1421 AH).
- Al-Khatīb, 'Abd al-Karīm. "I'jāz Al-Qur'an (Al-I'jāz fi Dirāsāt al-Ṣabiqīn)", (1st edition, Dar al-Fikr al Arabi, 1974).
- Darraz, Muhammad 'Abdullah. "al-Naba' Al-'Aẓīm (Nazariyat Jadeeda fi Al-Qur'an)", (Doha: Dar al-Thaqafa, 1405 AH).
- Al-Rāfi'ī, Mustafa Sadiq. "I'jāz Al-Qur'an wa al-Balāghat al-Nabawiyyah", (8th edition, Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi).
- Al-Rummāni, 'Ali bin Esa et al. "Thalātha Rasā'il fi I'jāz Al-Qur'ān". Investigated by: Muhammad Khalaf Allah and Muhammad Zaghloul, (3rd edition, Egypt: Dar al Ma'arif)
- Al-Zamakhshari, Jarullah Abu al-Qasim Mahmud. "Al-Kshāf 'an Haqā'iq Ghawāmid al-Tanzīl wa-'Uyoun al-Aqawīl". Investigated by: 'Ādil Ahmad 'Abd al-Mawjoud and 'Ali Muhammad Mu'awwid, (1st edition, Riyadh: Maktabah Al-Obaikan, 1418 AH).
- Al-Sa'dān, Mahmud. "'Ilm al-Lugha Muqaddimatun lil-Qāri al-'Arabi", (Egypt: Dar al Ma'arif, 1962).
- Al-Salāmi, 'Umar. "Al-I'jāz al-Fanni fi Al-Qur'an", (Tunisia: Muassasat Abd al-Kareem Abdullah, 1980).
- Shadi, Muhammad Ibrahim. "Al-Balāgha al-Ṣawtiyyah fi Al-Qur'an al-Karīm", (1st edition, Dar al-Risalah, 1409 AH).
- Al-Ṭabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jareer. "Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āyi Al-Qur'an (Tafsīr al-Ṭabari)". Investigated by: 'Abdullah bin Abdul Muhsin Al-Turki, (1st edition, Egypt: Dar Hajar, 1422 AH).
- Al-'Askari, Abu Hilal Al-Hasan bin 'Abdillah. "Kitāb Al-Ṣanā'atāin". Investigated by: Ali Al-Bajawi and Muhammad Abu al-Faḍl, (Beirut: al-Maktaba al-'Asriyyah, 1419 AH).
- Al-'Amāri, Salami. "Al-I'jāz al-Bayāni wa al-Ḥadāthah" (Sousse – Tunisia: College of Arts and Humanities, 2007).
- Al-Qushairi, Muslim bin Al-Hajjaj bin Muslim. "Al-Jāmi' al-Ṣahih

(Sahih Muslim)". Investigated by: Muhammad Zehni Afandi et al. (Turkey: Public Printing House, 1334 AH).

Al-Majdhoub, 'Abdullah bin Al-Ṭaiyyib. "Al-Murshid ilā Fahm al-Ashār Al-ʿArab", (2nd edition, Kuwait: Dar al-Athār al-Islamiyyah, Publications of the Kuwaiti Ministry of Information, 1409 AH).

Yasouf, Ahmad. "Jamāliyat al-Mufradah al-Qurʿaniyyah", (2nd edition, Damascus: Dar al-Maktabi, 1419 AH).

B. Periodicals:

Jalal, Mahir Mahdi. " al-Usloubiyyah, al-Ṣawtiyyah baina al-Nazariyyah wa-al-Taṭbeeq". Arab Horizons Journal, Issue 12, January, 1992.

علاقة التوافق في أسلوب المقابلة ولطائفها في الأوصاف القرآنية دراسة بلاغية تأصيلية

The Relationship of Correspondence in the
Style of Antithesis and Its Rhetorical Nuances
in Qur'anic Descriptions: A Foundational
Rhetorical Study

د. منى بنت فهد أحمد النصر

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإمام

عبدالرحمن بن فيصل

البريد الإلكتروني: mfalnasser@iau.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2023/08/15		استلام البحث A Research Receiving 2023/05/31
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-008		

المستخلص باللغة العربية

التقابل سنة من سنن العربية في التعبير، اعتمد على مبدأ التضاد - كما هو الشائع عند جمهور البلاغيين -؛ سواء بين الألفاظ، أو المعاني، أو الصور؛ لتحقيق غايات بلاغية، وهو أيضًا صورة من صور التناسب في الكلام يسعى المبدع من خلاله إلى إحكام أجزاء الكلام، وتحقيق التلاؤم والتناسب بين أطرافه، ومن صور المقابلة التي لم تحظَ بعناية الباحثين، مع كونها ظاهرة جديدة بالبحث المعمق والتطبيق: (مقابلة التوافق)، وهو المصطلح الذي تهدف هذه الدراسة إلى تأصيله أولاً، ثم تحليل بعض شواهد في القرآن، وتذوق جمالياته.

وقد كانت جدة الموضوع سبباً في اختياره، بالإضافة إلى كون مقابلة التوافق ظاهرة بارزة في الأوصاف القرآنية، وكان التوافق مرتكزاً بنائياً في مكونات المقابلة وعلائقها، وكان لها أثرها الفني في إحكام حركة المعنى القرآني، وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المعني بتتبع تعريف العلماء لفن المقابلة ومعنى التوافق؛ لتأصيل المصطلح أولاً، ثم تحليل بعض شواهد في القرآن تحليلاً فنياً وفق الأصول البلاغية.

وقد خلصتُ إلى أن أسلوب المقابلة يمكن أن يُبنى على التوافق مع التضاد كما يبنى على التضاد وحده، وأن مقابلة التوافق وسيلة من وسائل إحكام المعاني، والتناسب بين معاني الآيات، ومن طرائقه لكمال الوصف القرآني، وأنه ضربان: ضرب تركيبى بين مكوناته قدرٌ من الترتيب، وتعادل الأجزاء، وضرب سياقي، ليس بين مكونات طرفيه المتقابلين تنسيق تركيبى، أو تعادل، وأنه يرمي إلى لطائف بلاغية، منها: عناية الدين بجمال الظاهر والباطن، والدلالة على ارتباط الظاهر بالباطن، والحسي بالمعنوي، وغيرها من نُكات مرتبطة بسياقاتها وردت في ثنايا الدراسة.

كلمات مفتاحية : مقابلة - تقابل - بلاغة - قرآن - توافق - أوصاف.

Abstract

Antithesis is one of the established rhetorical principles in Arabic expression. It is based on the principle of opposition—as widely recognized by the majority of rhetoricians—whether between words, meanings, or images, to achieve rhetorical purposes. It also represents a form of harmony in speech, through which the creative writer seeks to structure the components of discourse with precision and to establish coherence and congruity among its parts. One of the forms of *muqābalah* (antithesis) that has not received sufficient scholarly attention—despite being a phenomenon worthy of in-depth investigation and application—is what may be termed “corresponding antithesis” (*muqābalat al-tawāfuq*). This study aims first to establish and define this term, then to analyze selected examples of it in the Qur’an, and finally to explore its aesthetic dimensions.

The novelty of the topic was a key reason for its selection, in addition to the fact that corresponding antithesis (*muqābalat al-tawāfuq*) is a prominent phenomenon in Qur’anic descriptions. This type of correspondence functions as a structural foundation within the components and interrelations of antithesis, contributing artistically to the precision and fluidity of Qur’anic meaning. The study adopts a descriptive-analytical approach, focusing on tracing scholars’ definitions of *muqābalah* and the concept of *tawāfuq* in order to establish the term theoretically, followed by a stylistic analysis of selected Qur’anic examples in accordance with rhetorical principles.

The study concluded that the stylistic device of *muqābalah* (antithesis) can be constructed not only upon contrast (*taḍādd*) alone but also upon correspondence (*tawāfuq*) in conjunction with contrast. It found that *muqābalat al-tawāfuq* serves as an effective means of refining meanings, ensuring coherence between the meanings of verses, and contributing to the completeness and perfection of Qur’anic description. The study also found that *muqābalat al-tawāfuq* takes two distinct forms: one is structural, characterized by a degree of ordering and balance between its components; the other is contextual, where the opposing elements lack structural symmetry or balance. Nevertheless, both forms aim at achieving subtle rhetorical effects,

such as emphasizing the Islamic concern for the beauty of both the outward and inward aspects of the human being, illustrating the connection between the external and the internal, and between the sensory and the abstract—along with other rhetorical insights tied to their specific contexts, as revealed throughout the study.

Keywords: Antithesis – Contrast – Rhetoric – Qur'an – Correspondence – Descriptions.

المقدمة

المقابلة بين الأشياء سنة من سنن الله في الكون والحياة قبل أن يكون سنة من سنن العربية في التعبير، وهو ظاهرة تنتظم الوجود بأسره، فالليل يقابل النهار، والأرض تقابل السماء، والكفر يقابل الإيمان، والشر يقابل الخير، وهكذا يمتد مع جولان الفكر في مظاهر الكون من حولنا، والحياة بأسرها قائمة على هذه الثنائية الضدية^(١)، والمقابلة أسلوب تعبري يقوم على مبدأ التضاد بين المعاني والأفكار والصور من أجل غايات بلاغية ولطائف بيانية، يحسن بالبلاغي المتذوق النفاذ إليها؛ وللمقابلة معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الأضداد في منظومة واحد - ككل خصوصية في هذه اللغة الشريفة - لئلا يكون هذا الجمع عبثاً^(٢)؛ فالله عَلَّمَ حين يجمع بين الأضداد في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [سورة الليل: ٥-١١] لا لأجل حلية لفظية أو زخرف ظاهر، وإنما جاء هذا الجمع بهذا النظام لنكتة بلاغية هي الغرض من السورة، وهو توضيح البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا ثم في الآخرة، وكذا المقابلة في بيت كثير عزة:

فيا عجباً كيف اتَّفَقنا؟ فناصحٌ وفيٍّ ومطويٍّ على الغلِّ غادرٌ^(٣)

(١) كمال إبراهيم، "أسلوب المقابلة في القرآن الكريم - دراسة فنية بلاغية مقارنة"، (ط١)،

القاهرة: الدار الثقافية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ص ٤.

(٢) بسيوني فيود، "علم البديع - دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع"، (ط٤)،

القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ص ١٢٦.

(٣) البيت منسوب لكثير عزة في الديوان، ينظر: "ديوان كثير عزة" جمع وشرح: إحسان عباس،

(ط١)، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، ص ٥٢٩.

لا يفهم منها إلا محض التعجب من اتفاق هذين المتقابلين المتضادين: الناصح الوفي، والخائن الغادر المطوي على الغل! ولا تقف وظيفته وجمالياته على مجرد الجمع بين معاني متضادة أو ألفاظ متضادة، أو محلية شكلية وتحسين، فهذه لا تقاس بها جودة الأسلوب ولا تقدر بها قيمته.

والمقابلة من الفنون التي نالت اهتمام الشعراء حتى جعله النقاد من محاسن الشعر، يقول أسامة بن منقذ: «واعلم أن محاسن الشعر ثلاثة: التطبيق والتجنيس والمقابلة»^(١) وهي مبالغة ولاشك، ولكنها تكشف عن أثره الفني في إضفاء الجمال على التعبير، وعلى الرغم من عناية العلماء بهذا اللون من ألوان التعبير البلاغي في تأدية المعاني فما زال أرضاً خصبة للدراسة وللكشف عن جوانب جمالية متصلة به، لم تنل حظها من اهتمام الباحثين، جاءت هذه الدراسة لتحدد معالمها، وهي علاقة التوافق في هذه البنية البديعية القائمة على التضاد عند جمهور البلاغيين.

أهداف الدراسة :

- تأصيل مصطلح (مقابلة التوافق) الذي وسمت به الدراسة.
- تذوق صور (مقابلة التوافق) في البيان العالي وتأمل جمالياتها؛ كونه لوناً من ألوان التناسب، يسعى المبدع إليه؛ ليحكم أجزاء كلامه، ويحقق التلاؤم والتناسب بين أطرافه الذي من أعلى مزاياه: «جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التآلف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»^(٢).

(١) أسامة بن منقذ، "البديع في نقد الشعر" تحقيق: أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، (ط١)،

الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د:ت)، ص ٢٩٨.

(٢) الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، (ط١)، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ٣٦/١.

- كشف اللثام عن جهد علماء البلاغة التطبيقية من المفسرين وغيرهم في تلمس الأثر الفني والبلاغي لهذا اللون من ألوان المقابلة ، ولاسيما مقابلة التوافق في القرآن الكريم.
- الرد عن من اتهم البلاغة العربية بمحدودية تناول، وطغيان الجانب الوصفي في تتبع هذا الأسلوب وغيره من أساليب البديع؛ مما أدى إلى إغفال أثره الجمالي والفني في النص كاملاً، وأن علماء البلاغة المتقدمين توقفوا عند البعد التحسيني في تذوقه دون البعد الدلالي كما يذهب عبدالله بن صفية من المحدثين^(١).

أسباب اختيار الموضوع :

- ١- أن مقابلة التوافق ظاهرة أسلوبية قرآنية، لم تنل عناية معمقة من الباحثين مع إشارات العلماء إلى هذه العلاقة، والنص عليها في تعريفاتهم للمقابلة.
- ٢- كونها خصيصة بارزة من خصائص القرآن في الوصف، أعني مقابلة التوافق.
- ٣- كون الدراسة باباً من أبواب البلاغة التطبيقية؛ لعنايتها بالتطبيق على القرآن الكريم، والتطبيق روح البلاغة وحياتها.

أهمية الدراسة :

العناية بالجانب التطبيقي لعلم البلاغة؛ ذلك أن دراسة أساليب علم البديع في سياقها البياني- أعني النظم المعجز، أو لغة الحديث النبوي والشعر العالي- هو السبيل الأوضح إلى حسن دراستها وتذوقها؛ فإن طالب البلاغة لو أحاط بكل ما أودعته كتب البلاغة من علم ولم يكن معتكفاً في محراب بيانها العالي، ولا مخادناً للإبداع شعراً ونثراً؛

(١) عبدالله بن صفية، "التقابل من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص"، مجلة تمثلات (العدد الأول)، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، (٢٠١٥م)، ص ٦٧-٦٨.

يستطعمه ويتذوقه لما كان من فقهاء البيان أبداً، والدراسة اتجهت للنظم القرآني، تتذوق هذه الصورة من صور المقابلة بلاغياً، وتلمس جمالياته في البيان المعجز.

منهج الدراسة :

المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على تتبع آراء العلماء والشواهد القرآنية، وتحليلها وفق الأصول البلاغية.

الدراسات السابقة :

على الرغم من كثرة الدراسات حول أسلوب المقابلة عامة، والتقابل الدلالي عند أهل اللغة خاصة، لم يلتفت الباحثون إلى مبدأ التوافق في أسلوب المقابلة، وتلمس شواهد في النظم المعجز، وتذوق جمالياته، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال :

- **بنية التوازن والتقابل قراءة في البلاغة العربية**، محمد العمري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد التاسع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس المغرب، ١٩٨٧م، وهذه دراسة اعتنت بالجانب الصوتي للتقابل وليست العلاقات المعنوية، مع التطبيق على أبيات مختارة وليس القرآن.
- **فن المقابلة في القرآن الكريم**، بن عيسى با طاهر، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. وهذه دراسة تعتمد على المقابلة وفق رأي الجمهور المبني على علاقة التضاد فقط.
- **أسلوب المقابلة في القرآن الكريم - دراسة فنية بلاغية مقارنة**، كمال إبراهيم، الدار الثقافية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. وهذه كسابقتها، لم تخرج عن مفهوم المقابلة عند الجمهور، وإن توسعت في الاستشهاد لصور متنوعة من المقابلة في القرآن، ودعت لتوسيع فن المقابلة لتشمل صوراً متعددة، لا تقف عن الصور التي ذكرها جمهور البلاغة.
- **التقابل والتمثيل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية**، فايز قرعان، عالم الكتب

الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، وهي دراسة تقوم على تبني وجهة نظر جديدة مستمدة من الدراسات الأسلوبية، استقصت أنواع المقابلة وأنماطها التي لا تقف عند حد التضاد، كما تركز على البنية التركيبية للمقابلة وعناصرها اللغوية، ولذلك قرنها بالتمائل، لكنها لم تُعَنَّ بعلاقة التوافق كما تعني هذه الدراسة. وبهذا يظهر الفرق عن هذه الدراسة منها وتناولاً.

• **التقابل الدلالي دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء**، نوال الحلوة، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الثاني، مصر، ٢٠٠٦م.

وهي دراسة كان منطلقها التضاد وإن جعلت بعض سور القرآن ميداناً للتطبيق، كغيرها من الدراسات التي طبقت (التقابل الدلالي) على سور من القرآن؛ لأنها تحصي أنواعه من التقابل الحاد، والمتعكس، والمتدرج، وتقابل المفردات، ثم الجمل، ثم الموقف، مع الاستشهاد من السورة لهذه الأنواع، وفق منظور لغوي حسب الدراسات الحديثة، والإشارة للجانب الكمي لكل نوع من هذه الأنواع من دون تحليل بلاغي للآيات.

• **تقابل المعاني في سورة محمد**، عبدالعزيز العمار، مجلة العلوم العربية، العدد (٣٥)، ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م، وهي دراسة بلاغية، تقف عند المعنى الذي عليه الجمهور للمقابلة، وهو تقابل الأضداد، لكن يخصه بالمعاني المتضادة من دون اعتبار للألفاظ، أو عدد الأضداد.

وغيرها من الدراسات التي تعالج المقابلة وفق علاقة التضاد وما يدور في فلكه من دون أن تُعنى بعلاقة التوافق في بنية المقابلة أو مقابلة التوافق، كما تُعنى هذه الدراسة.

من هنا حرصت هذه الدراسة على تتبع تعريف العلماء لفن المقابلة ومفهومهم لمبدأ التوافق حسب التسلسل التاريخي؛ بهدف تأصيل المصطلح أولاً، ثم الاستشهاد له من القرآن؛ لتذوق مزاياه ثانياً، وقد انتظم في مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول - مفهوم المقابلة والتوافق بين المتقدمين والمحدثين.
المبحث الثاني - بلاغة مقابلة التوافق في النظم القرآني.
الخاتمة - وفيها أهم النتائج.
هذا، وأسأل الله أن يحقق الغاية، هو ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: مفهومَا المقابلة والتوافق بين المتقدمين والمحدثين.

أولاً - معنى المقابلة والتقابل لغة:

المقابلة في اللغة مصدر قَابَلَ، والتقابل: مصدر تقابل، وأصلهما واحد، يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): «القاف والباء واللام أصل واحد صحيح، تدلّ كلمة كلّها على مواجهة الشيء للشيء»^(١)، وعلى هذا المعنى تدور في المعاجم العربية، يقول الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): «المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله»^(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وقال الخليل (ت: ١٧٥هـ): «والقَبْل: الطاقة، تقول: لا قَبْلَ لهم، وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قَبْلاً أي مواجهة»^(٣).

وقابل الشيء الشيء عند ابن سيدة (ت: ٤٥٨هـ) مقابلة وقبالاً: عارضه، وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً^(٤).

وليست المقابلة عند ابن فارس وابن سيدة مقتصرة على الطاقة المُواجهة، وإنما هي مواجهة عامة؛ فكل شيء يواجه شيئاً آخر فهو يقابله ويعارضه، وقد ورد مصطلح المقابلة عند عبد القاهر في (الأسرار) بهذا المعنى عندما تحدث عن فضل

(١) أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط ٢)، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مادة (ق ب ل).

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٤)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، مادة (ق ب ل).

(٣) الخليل بن أحمد، "كتاب العين". تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د: ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د: ت)، ٥ / ١٦٦.

(٤) الجوهري، "الحكم والمحيط الأعظم في اللغة". تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (ط: ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ٦ / ٢٦٣.

التمثيل، وأن الشعر يستحق التفضيل؛ لما فيه من التمثيل والتصوير، يقول: « وإن أردت اعتبارَ ذلك في الفن الذي هو أكرم وأشرف، فقَابِلْ بين أن تقول: إن الذي يعظ ولا يَتَّعِظُ يُضِرُّ بنفسه من حيث ينفع غيره، وتقتصر عليه، وبين أن تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من أن النبي ﷺ قال: (مثل الذي يَعْلَمُ الخيرَ ولا يعملُ به مثلُ السِّراج الذي يضيءُ للناسِ ويحرقُ نفسه)»^(١).

والشاهد قوله: (قابل) فإنه قصد به: ضع هذا القول إزاء حديث النبي وقباله. وكذا في قوله: «إن المعاني الشريفة اللطيفة لا بُدَّ فيها من بناءٍ ثانٍ على أول، وردَّ تالٍ على سابق، أفلستَ تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله: (كالبدر أفرط في الغُلُو) إلى أن تعرف البيت الأول، فتتصوّر حقيقة المراد منه، ووجه المجاز في كونه دانياً شاسعاً، وترقم ذلك في قلبك، ثم تعود إلى ما يعرضُ البيت الثاني عليك من حالِ البدر، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى، وتردّ البَصَر من هذه إلى تلك»^(٢) فلاحظ أنه استخدم المقابلة في المعاني المتوافقة، وقَصَدَ المواجهة.

ويزيد الليث على المعنى المتقدم معنى الضم حيث ورد عنه قوله: « إذا ضمنت شيئاً إلى شيء قلت قابلته به»^(٣) فضم الشيء إلى الشيء مقابلة له. نفهم من ذلك أن معنى (تقابل) يركز على معنى الطاقة المقابلة لطاقة أخرى، وذلك من خلال معنى المواجهة.

(١) عبدالقاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة". تحقيق: محمود شاكر، (ط١)، جدة : دار المدني ١٤١٢هـ)، ص ١١٩.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، ص ١٤٤.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، تحقيق: عبدالله الكبير وآخرون، (د. ط، مصر : دار المعارف، د. ت)، مادة (قبل).

والمقابلة المواجهة بشكل عام، ومن معانيها: التعادل والتوازن بين الشيئين، يقال: «عادله ووافقه وحاذاه» ويقال: «وازنه: عادله وقابله»^(١).

وبهذا علل د. فايز قرعان دخول مصطلحات أخرى في معنى المقابلة، فقال: «إن مفهوم التقابل يتيح لنا أن نضع تحته عددا من المفردات اللغوية التي يشير معناها إلى المواجهة، وهي المطابقة، التكافؤ، التضاد، والتناقض، المخالفة؛ وذلك لأن هذه المفردات تتضمن معنى المقابلة بين طرفي التقابل سواء كان التقابل بالتضاد أو بالمخالفة أو بالمماثلة»^(٢) وهذا ما يساعد في توسيع هذا المفهوم - كما سنرى -.

وصيغة التفاعل تدل على التشارك بين جهتين، وكذلك المقابلة تكون بين طرفين سواء لفظاً أو تركيباً.

ثانياً - معنى المقابلة اصطلاحاً:

المعنى الذي استقر عليه في تعريف المقابلة عند الخطيب وجمهور البلاغيين وشرح التلخيص: «أن يأتي المتكلم بمعنيين متوافقين من المعاني أو أكثر، ومن ثم يُؤتى بما يقابلهما أو يقابلها من المعاني على الترتيب»^(٣).

وهذا التعريف - كما نرى - لا ينص على التضاد، لكنه جاء عنده ملحقا بالطباق، ومبنى الطباق التضاد - كما نعلم، يقول القزويني بعد أن عرّف الطباق،

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة (قبل).

(٢) ينظر: فايز قرعان، "التقابل والتماثل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية". (ط١)، الأردن: دار الكتب الحديثة، ٢٠٠٦م)، ص ١٠. وينظر: عبدالله بن صفية، "التقابل من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص"، ص ٦٦.

(٣) الخطيب القزويني، الخطيب، "الإيضاح في علوم البلاغة". شرح خفاجي، (ط٣)، القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ١٦/٤.

وذكر أنواعه، وساق شواهد: ودخل في المطابقة ما يختص باسم المقابلة^(١). كما أن شواهد مبنية على علاقة التضاد بين المعاني المتقابلة. والملاحظ أنه مع شيوع هذا المفهوم للمقابلة واتكائه على التضاد، فإنه - وبالعودة إلى مفهومه عند القدماء - سنجد اتساعاً في تعريفه يدعوننا لمتابعة تاريخ هذا المصطلح قبل أن يُحصر في علاقة التضاد عند الخطيب ومن تابعه، كما يدعوننا لعرض جمالياته في المبحث الثاني.

ثالثاً - مفهوم المقابلة عند المتقدمين :

أول من عرّف المقابلة ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، وجعلها النوع الثالث من البديع، ولكنها ملحقة عنده بالطباق، ومن يتأمل الشواهد التي ساقها للطباق يجد أنه يضع فرقاً بين المطابقة والمقابلة، وما يهمننا أن أمثلته تدل على أنها مبنية على التوفيق بين المعاني المتضادة^(٢).

أما قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ) فيجعل المقابلة من الصفات التي إذا اجتمعت في الشعر كانت المعاني في غاية الجودة، وسماها صحة المقابلات، وهي: «أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة بين بعضها وبعض؛ فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك»^(٣) وساق أمثلته من القرآن والشعر للاستشهاد على صحة المقابلات بين المعاني، ويمكن أن يعد هذا التعريف الأصل في التعريف المشهور

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) ينظر: "البديع". (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٣٦ وما بعدها.

(٣) "نقد الشعر". (ط ١، القاهرة: المكتبات الأزهرية، ١٩٩٧م)، ص ٤٧.

عند جمهور البلاغيين، وعلى رأسهم القزويني - كما سبق -؛ فهذا **بو هلال العسكري** (ت: ٣٩٥هـ) يعرف المقابلة بأنها: «إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»^(١). وقوله: (مقابلته بمثله) اشتراط المقدار، لكن قوله على جهة الموافقة أو المخالفة تؤكد أنه لا يشترط التضاد، وإنما **جعل التعريف يتسع للمقابلة بالموافقة كما هي للمخالفة أو التضاد**، ويقصدون بالموافقة المناسبة والموازاة ومثله **ابن سنان الخفاجي** (ت: ٤٦٦هـ) الذي يجعل المقابلة مقابلة معاني وينقل تعريف قدامة، ويشترط المناسبة في هذا التوفيق، يقول بعد تعريفه للمقابلة: «والأصل في هذه المناسبة فإن لها تأثيراً قوياً في الحسن»^(٢)، وإذا انتقلنا للمغرب العربي يقابلنا **ابن رشيق القيرواني** (ت: ٤٦٣هـ) الذي يعقد فصلاً واسعاً للمقابلة، ويمثل لها بأمثلة متنوعة، ويرى أن أصلها: «ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخرًا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء مقابلة الأضداد»^(٣).

وهو أول من أشار إشارة واضحة إلى التلازم بين التضاد والمقابلة؛ لقوله: (أكثر ما تجيء مقابلة الأضداد)، لكنه لم يمنع غيرها كما دلت عبارته؛ بمعنى أن المقابلة ليست خاصة بالأضداد، وإنما تبني على غير التضاد، وأنها تجيء في المتوافقات أيضاً، ولكنها قليلة، كما نص على شرط التنسيق والترتيب، وأن أصلها ترتيب الكلام على

(١) "كتاب الصنائع". (د: ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د: ت)، ص ٣٧؛ ومثله الباقلائي

الذي قال في تعريف المقابلة: هي أن يوفق بين معان ونظائرها، والمضاد بضده. ينظر:

"إعجاز القرآن". تحقيق: السيد صقر، (ط ٥، مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م)، ص ٨٧.

(٢) "سر الفصاحة". (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص ٢٦٧.

(٣) "العمدة في محاسن الشعر ونقده". تحقيق محيي الدين عبد الحميد، (ط ٥، بيروت، دار

الجيل، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م)، ١٥/٢.

ما يجب، وهذه إشارة لها قيمتها في الأخذ بمفهوم المقابلة إلى تعادل الأطراف.

وخصصه السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) بالجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما^(١)، ثم إذا اشترطت هنا شرطاً شرطته هناك، فيكون هو أول من خصّ المقابلة بالتضاد فقط كما نلاحظ، ومضى على نهجه أكثر العلماء كابن الأثير كما سيأتي، والطبي^(٢)، والبغدادى^(٣)، وغيرهم.

ومن أهم البلاغيين عناية بهذا الفن وأقسامه ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، ذلك أنه أدرجه تحت عنوان (التناسب بين المعاني)^(٤) مؤكداً ما بدأت به كلامي في هذه الدراسة عن المقابلة، وأنها صورة من صورة التناسب بين المعاني وإحكام الكلام وسبكه، وأن الله وَجَّلَ إذا رَكَّب في الإنسان طبعاً قابلاً لإنشاء البيان، فيفتقر حينئذ إلى أنواع من الآلات، ومن ضمنها تناسب المعاني، ومنه المقابلة.

وما يهمنا هنا هو مفهوم المقابلة عنده، وقد ألحقها بالطباق؛ ورأى أن الطباق والمقابلة: الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار جريا على تعريف العلماء قبله، وفضل تسمية الطباق مقابلة، ورأى أنه سمي طباقاً لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه، فأعرض عن مصطلح الطباق تماماً؛ «لما رأى فيه من

(١) السكاكي، "مفتاح العلوم". تعليق : نعيم زرزور، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص ٣٦٩.

(٢) ينظر: "التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان". تحقيق: هادي الهلالي، (ط ١)، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص ٣٤٦.

(٣) ينظر: "قانون البلاغة في نقد النثر والشعر"، ص ٣٥، وقد سماه التكافؤ، وفسرها بالتعاند وأنه إذا قال في شيء بأنه أسود قيل في الآخر أنه أبيض وهكذا.

(٤) "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: الحوفي، (ط ٢)، الرياض : دار الرفاعي، بدوي طبانة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ١٧١/٣.

التباس وغموض بأن عمم مصطلح المقابلة على كل ما تضاد فيه المدلولان»^(١) ويرى أن الحال لا يخلو من وجهين: «إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس ضده»^(٢).

وعبارته صريحة بأن المقابلة نوعان: مقابلة بالضد، ومقابلة بما ليس ضد. أما **الضرب الأول** فقسمان: أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ.

وأما **الضرب الثاني**: فمقابلة الشيء بمثله، وهو عنده قسمان: مقابلة مفرد بمفرد، وجملة بجملة، ومن أمثلة المفرد بالمفرد قوله تعالى في شأن المنافقين: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧] ومن أمثلة مقابلة الجملة بالجملة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَجِيَئًا إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سَبَأ: ٥٠] ويرى أن هذا الضرب مقابلة من جهة المعنى، ولو كان من جهة اللفظ لقال: وإن اهتديت فإنما اهتدي لها^(٣)، وإذا تأملنا أمثلته في هذا الضرب فسنجد أنها مختلفة عما تقصده هذه الدراسة لكنها تفتح الباب لها، ويمكن أن تكون توسيعا لهذا النوع من المقابلة الذي يكون فيه بين طرفي المقابلة نوع من التماثل؛ لأنه يقصد بالتماثل إعادة اللفظ نفسه بصيغة أو بأخرى.

ويصرح في ختام حديثه الموسع عن المقابلة بالتضاد بإشادة بلطائف هذا الفن بقوله: « وهذه الرموز التي هي أسرار الكلام لا يتفطن لاستعمالها إلا أحد رجلين:

(١) محمد الطرابلسي، "خصائص الأسلوب في الشوقيات". (د: ط، تونس: منشورات الجامعة

التونسية، ١٩٩١م)، ص ٩٦.

(٢) ابن الأثير، "المثل السائر"، ١٧٢/٣.

(٣) المصدر السابق: ١٩٠/٣.

إما فقيه في علم البيان قد مارسه، وإما مشقوق اللسان في الفصاحة قد خلق عارفا بلطائفها، مستغنيا عن مطالعة صحائفها، وهذا لا يكون إلا عربيّ الفطرة ، يقول ما يقوله طبعاً ، على أنه لا يسدد في جميع أقواله، ما لم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية»^(١).

وهناك إشارة بالغة الأهمية لابن الأثير في باب المقابلة هي أنه جعل من المقابلة بالأضداد ما سماه المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني، الذي تناوله العلماء بعده تحت مسمى التناسب أيضاً، يقول بعد أن تحدث عن أنواع المقابلة: «ومما يتصل بهذا الضرب ضرب من الكلام يسمى المؤاخاة بين المعاني، والمؤاخاة بين المباني، وكان ينبغي أن نعقد له باباً مفرداً لكننا لما رأيناه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به»^(٢). «أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبي؛ مثاله أن تذكر وصفاً من الأوصاف، وتقرنه بما يقرب منه ويلائمه، وإلا كان قدحا في الصناعة، وإن كان جائزاً، وساق له الشواهد، وأما المؤاخاة بين المباني فإنه يتعلق بمباني الألفاظ...»^(٣).

وحديثه وشواهد فيما يخص المؤاخاة بين مباني الألفاظ يلفت الدارسين إلى ضرورة مراعاة التنسيق المتعلق باللفظ والتركيب في بنية المقابلة، وهذا لفظة لها وزنها في دراسة هذا الفن، وتدبر أسرار.

ولما عرف ابن أبي الاصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) المقابلة جرياً على ما سبق، وأن الكاتب إذا أراد المقابلة فإنه يأتي بأشياء في صدر كلامه، ثم بأضدادها في عجزه على الترتيب، ختم بعبارة صريحة فيما نحن بصدد، وهي قوله: «وقد تكون المقابلة

(١) المصدر السابق: ١٩٠/٣

(٢) المصدر السابق: ١٨٢/٣

(٣) ابن الأثير، "المثل السائر"، ١٨٢/٣.

بغير الأضداد»^(١) ومثله **حازم القرطاجني** (ت: ٦٨٤هـ) الذي أطلق المقابلة على ما سُمّاه (التوفيق بين المعاني)، وهذه من محامد القرطاجني في هذا الباب؛ إذ عرف المقابلة بأنها: «التوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب»^(٢) وهي لفظة لم يسبق إليها؛ إذ الارتكاز على التوافق كما هو على التضاد على صفة من الوضع، تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه، فضلاً على أنه جاء في سياق الحديث عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات الثامها، وبناء بعضها على بعض، وهذا يدل على أنه يعتبرها جزءاً جوهرياً في بناء المعاني وليست زينة لفظية، أو تحسینا وحلية بديعية، بل مقصد من مقاصد البلاغة^(٣).

وما يهمننا أنه نص على أن أكثر ما يعرف الناس من المقابلة ما كان بالتضاد والتخالف، كأنه يشير إلى أن علاقة التوافق لم تنل حظها عند البلاغيين تعريفاً واستشهاداً، كما ينص على أن «أنواع المقابلات تتشعب، وقل من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام»^(٤).

(١) "تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن". تحقيق: حفي شرف، (د. ط، الكويت: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ت)، ص ١٧٩. وينظر: أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية". (د. ط، بغداد: مطبعة المجمع العراقي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٢٨٨/١.

(٢) ينظر: "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، ص ٥٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ١٦، وكمال إبراهيم، "أسلوب المقابلة في القرآن الكريم - دراسة فنية بلاغية مقارنة"، ٤٧.

(٤) ينظر: حازم القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، ص ٥٢.

والجديد عنده أنه لا يشترط الترتيب بين أطراف المقابلة، يقول: «ليس شرطاً تحاذي عبارتي المعنيين المتقابلين في طرفي الكلام في الرتبة»^(١) كما أنه جعل منه العكس والتبديل، وهذا يؤكد ماسبق من اتساع نظرة علماء البلاغة لمصطلح المقابلة وأنه صالح لاستيعاب اشكال وألوان كثيرة، فضلاً على استيعاب فنون أخرى، دُرست مستقلة كالمشاكلة والعكس والتبديل ونحوها.

ويحدد **يحيى بن حمزة العلوي** (ت: ٧٤٩هـ) أنواعه وأقسامه؛ فيقول: «إن الشيء ربما قوبل بضده لفظاً، وربما قوبل بضده من جهة المعنى، وتارة يقابل بمخالفه، ومرة يقابل بما يماثله، فهذه ضروب أربعة»^(٢) والضرب الرابع، وهو: «مقابلة الشيء بما يماثله»^(٣) فإنه وإن جعله قسماً مستقلاً، وكانت أمثلته وشواهد تدل على ما يسمى عند البلاغيين بالمشاكلة، لكنه يدل على أن المقابلة بالتماثل أو التوافق بغير تضاد هي من أقسام المقابلة عنده.

وبذلك نخلص إلى أن:

- تعريف قدامة للمقابلة كان أصلاً للعلماء من بعده، بما فيه من توفيق في التعريف وتأصيل للمفهوم.
- وأن المقابلة صورة من صور التناسب بين المعاني، والتلاؤم والتشاكل بين اللفظ والمعنى.

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز"، ١٩٧/٢. وقد رأى تسمية الطباق مقابلة كابن الأثير، وعلته: «أن الضدين يتقابلان، كالسواد والبياض، والحركة والسكون، وغير ذلك من الأضداد من غير حاجة إلى تلقيبه بالطباق والمطابقة؛ لأنهما يشعران بالتماثل بدليل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ سَمَواتٍ طِباقاً﴾».

(٣) "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز"، ٢٠٢/٢.

- أن المقابلة لا تختص بالأضداد وغيرها كالمخالفة، بل بالمماثلة أيضاً.
 - الاتفاق على أن أكثر المقابلة هو في الأضداد.
 - مال بعض العلماء لتوسيع المصطلح؛ ليشمل الألفاظ كما شمل الجمل، والعلة أنه أجدى وأقرب إلى القصد في التعبير؛ تفادياً لتعدد مصطلحات المفهوم الواحد، وهو رأيي معتبر؛ ذلك أنهما حالة أسلوبية واحدة، إحداها خاصة بالألفاظ، والأخرى بالجمل كما ذهب ابن الأثير ومن وافقه، وقد مالت أسماء الخطاب إلى هذا الرأي؛ لتكون الغاية حسن توظيف المقابلة في حركة المعنى داخل النص، ويصبح مرتكزاً بنائياً في مكونات النص وعلاقته^(١).
- وبعد هذا العرض لتاريخ المفهوم يجدر بي الوقوف عند مراد هذه الدراسة من مصطلح (التوافق) الذي جاء في عنونها، والوقوف عند بعض المصطلحات التي قد تقترب من مفهوم التوافق أو يُظن أنها تتقاطع معه.

١ - مفهوم التوافق عند البلاغيين :

قال القزويني: والمراد خلاف التقابل، ويقصد خلاف التضاد؛ لأنه جعل المقابلة تضاداً مركباً^(٢). ويدور عند البلاغيين حول: الائتلاف، والتناسب، والمؤاخاة بين المعاني^(٣).

ومن يتتبع شواهدهم للتوافق سيجد أنهم يقصدون بالموافق أو التوافق: الموازنة، وأن يكون الفعل المقابل موافقاً ومناسباً للأول كما استشهد أبو هلال العسكري

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) القزويني، "الإيضاح"، ١٦/٦.

(٣) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة (وفق)، القزويني، "الإيضاح"، ١٩/٦، أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية"، ص ٣٩٣.

لمقابلة الموافقة بقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل : ٥٢] ؛ لأن العذاب الذي خرب بيوتهم فأصبحت خاوية هو مقابلٌ لظلمهم، وكقوله ﴿وَمَكْرُؤٌ مَّكْرًا وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا﴾ [النمل : ٥٠] ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة : ٦٧]

أما التوافق الذي انتظمت شواهد هذه الدراسة في سلوكه فلمراد به الاتفاق، أي: يتفق أمران متقابلان متضادان في الصفة ذاتها، ويشتركان في الانتصاف بها، سواء كان باللفظ أو بالمعنى، وسواء روعي الترتيب والتماثل التركيبي أو لا. وهو نوع من التوفيق بين المعاني يدخل في باب التناسب، قال النويري: والتناسب ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر^(١).

٢ - مراعاة النظر:

وقد تشبه علاقة التوافق بـ (مراعاة النظر)؛ لأن كلاً منهما يُعد نوعاً من الائتلاف والتناسب والمؤاخاة، كما يعتمدان على التوفيق بين المعاني^(٢)، ولذلك وجب التفريق بين التوافق الذي تُعنى به هذه الدراسة و(مراعاة النظر) عند البلاغيين، ذلك أن مراعاة النظر: الجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، نحو الشمس والقمر^(٣)، وهو يعتمد على استدعاء اللفظ لنظيره، فإذا حدثنا عن السماء لا ينتقل إلى الأرض، وإنما إلى النجم والقمر، والسحاب، وإذا حدثنا عن البحر لا ينقلنا إلى البر، وإنما يذكر أمواجه، ودرره، وصدفه، وجواهره ... وهكذا.

(١) ينظر: "نهاية الأرب في فنون الأدب"، (ط١)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٤٢٣هـ)

١٠٧/١؛ أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية"، ٣٥٦/٢.

(٢) ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص٤٢٤؛ "الإيضاح"، ٢١/٦؛ أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية"، ٢٤٣/٣.

(٣) ينظر: القزويني، "الإيضاح"، ٢١/٦.

أما التوافق هنا فالمقصود به الاتفاق على الصفة ذاتها بين الأمرين المتقابلين المتضادين كالاتفاق على صفة الصدق بين المدخل والمخرج المتضادين في قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] فهذا المبدأ لا يستدعي لفظاً مقارباً أو مناظراً بل الصفة ذاتها؛ سواء كانت لفظية كما في الآية، أو معنوية كقوله تعالى: ﴿فَوَقَّلَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] فالاتفاق في صفة الجمال التي تفهم ضمناً من الآية؛ جمال الظاهر بالنضرة وإشراقه الوجه، وجمال الباطن بالفرح والسرور.

رابعاً- الدعوة الى توسيع مفهوم المقابلة:

إذا تتبع الباحث كلام العلماء عن المقابلة سيجد دعوات كثيرة مالت إلى توسيع المقابلة، ورأت إمكانية تنوع صورها، ومن هؤلاء:

أولاً- من العلماء المتقدمين:

١- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت: ٣٩٢):

الذي يقرر أن المطابقة «لها شعب خفية، ومنها مكانن تغمض، أو ربما التبتت بها أشياء لا تتميز إلا بالنظر الثاقب، والذهن اللطيف»^(١) فإن تقريره بأنها شعب خفية، يحفز الأذهان لتأمل صورٍ جديدة للمقابلة في البيان العالي، وأنها لا تحصر في صور المقابلة المحدودة بعدد الألفاظ وترتيبها، كما لا تحصر بالتضاد فقط؛ لأن هذه الأنواع مدركة ظاهرة، ليست غامضة ولا ملتبسة!

٢- حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤):

ونصه: « وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها

(١) "الوساطة بين المتبني وخصومه"، ص ٤٤.

بعضاً، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب على صفة من الوضع، تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم أحد المعنيين في ذلك صاحبه... وأنواع المقابلات تتشعب، وقل من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام»^(١)

وهو نص يعضد سياق هذه الدراسة، وهو أن المقابلة ليست في التضاد وحسب؛ لأنها (من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب)، وأن هناك ارتباطاً بين معنيين وتوافق بينهما يسوغ اقتراحهما (سماه مقابلة) ولم يشترط أن يكون تضاداً، كما قرر أن للمقابلات صور كثيرة في قوله (وأنواع المقابلات تتشعب) كما يلفت الأنظار إلى دقة أثرها وحسن مواقعها في النفوس في قوله (وقل من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام)؛ ذلك أن مواقعها في الكلام أوسع من أن يراد به الموقع المكاني، بل هو أشمل للموقع التأثيري في القلوب، والأثر الغائر في المعنى، وفي النفوس المتلقية.

وإن امتدح مقابلة التضاد فقال - لما تحدث عن التشبيه - : «وكذلك مثول الحسن إزاء القبيح، أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد، وتحلياً عن الآخر؛ لتبين حال الضد بالمثل إزاء ضده، فلذلك كان موقع المعاني المتقابلة من النفس عجيباً»^(٢).

٣- ابن الأثير:

وهو من أكثر البلاغيين توسعاً في الحديث عن أسلوب المقابلة - كما مر سابقاً -، وله فيه إسهامات وإشارات سخية؛ إذ جعله نوعاً من أنواع التناسب بين المعاني، يقول تعليقا على شواهد مقابلة الشيء بمثله من القرآن: «إذا كانت اللفظة في معنى

(١) "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، ص ١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤.

أختها جاز استعمالها في المقابلة بينهما، وهذه الرموز هي أسرار الكلام، لا يتفطن لاستعمالها إلا أحد رجلين: إما فقيه في علم البيان قد مارسه، وإما مشقوق اللسان من الفصاحة، قد خلق عارفاً بلطائفها»^(١) وما يهمنا عبارته الدالة على أن أسلوب المقابلة باب يمكن أن يوسع فيتسع: «واعلم أن في تقابل المعاني باباً عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر»^(٢).

ثانياً - جهود المحدثين:

دعا عدد من الباحثين إلى توسيع فن المقابلة وأنواعه على نحو مباشر أو ضمني، ومن هؤلاء:

١- د. محمد أحمد علي الذي قال بعد بيان الفضاء الرحب لأسلوب المقابلة: «إن القضية في المقابلات قضية معنى، وليست قضية عدد، ولا قضية تضاد حقيقي»^(٣).

٢- د. كمال عبدالعزيز إبراهيم الذي رأى أن المقابلة تتسع لفنون أخرى، دُرست مستقلة في علم البديع، وهي أنواع قابلة للإنضواء تحت راية أسلوب المقابلة، وهي المشاكلة والمزاوجة والعكس والتبديل، متكئاً على نظرة أبي هلال العسكري الذي استشهد للمقابلة بشواهد صالحة لما عرف عند البلاغيين بالمشاكلة والعكس والتبديل، وذلك لأنه يرى أن هذه الفنون تعتمد على نوع من الترتيب والمواجهة كالمقابلة تماماً، ودعا في ختام دراسته إلى مزيد من الدراسات التي تستجلي هذا الفن، مقررًا أن دراسة أسلوب المقابلة

(١) "المثل السائر"، ٣/ ٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) "دراسات في علم البديع"، ص ٩٦.

في القرآن يُظهر مقدار التفاوت بين تعقيد البلاغيين والأدباء لها، وبين واقعها الرحب في النظم المعجز^(١).

٣- ويسير د. عبد العزيز العمار على هذا النهج في بحثه (تقابل المعاني في سورة محمد) من جهة عدم التقيد بعدد الألفاظ المتقابلة بالتضاد، وقدم رؤية جديدة لمفهوم المقابلة نص عليه في مقدمته، حيث يقول:

«وأهمية هذا الموضوع أنه يقدم رؤية جديدة لمفهوم المقابلة، ويوسع من دلالاته ليبين أن التقابل ليس محصوراً بين الألفاظ، بل يتعدى ذلك إلى التقابل بين المعاني، وهو أوسع بكثير من أن يحصر بين الألفاظ كما هو في مصطلح المقابلة في علم البديع... كما أن في هذا الموضوع بياناً لموقف العلماء من مصطلح التقابل، والإشارة إلى دعوتهم إلى إعادة النظر في كثير من فنون البديع، وأنه بحاجة إلى معاودة النظر والإضافة فيه»^(٢).

وبذلك تكون دراستي امتداداً لهذا الجهد، ومحاولة تطبيقية لتوسيع المفهوم، وهو وإن كان غني بتوسيع المقابلة المبنية على التضاد، وطبقها على المعاني، فإن هذه الدراسة تسعى إلى العودة بالمقابلة إلى العلاقة المسكوت عنها أو المهملة في الدرس البلاغي (علاقة التوافق) المنظور فيها إلى الأصل الذي بني عليه مصطلح المقابلة في أصل نشأته، وهو مواجهة الشيء بمثله أو بضده.

٤- وينعى د. عبد الواحد علام على من حصر البديع بالأمور الشكلية التي لا علاقة لها بقيمتها الفنية ولا بوظيفتها التعبيرية، ويدعو إلى توسيع نطاقها؛ لتشمل المواقف ولا تقتصر على المعنى وحسب، ونصه: «إن البعد بالمقابلة

(١) ينظر: كمال إبراهيم، "أسلوب المقابلة في القرآن الكريم دراسة فنية بلاغية مقارنة"، ص ٣٧٦.

(٢) عبد العزيز العمار، "تقابل المعاني في سورة محمد"، ص ١٣.

عن مجرد المقابلة بين الألفاظ إلى المقابلة بين المواقف تحقيق بأن يتبناه البلاغيون العرب الحريصون على تطور البلاغة تطوراً مستمداً من التراث ومتمكناً على القديم»^(١).

وذلك أن شأن المقابلة شأن جميع الفنون البلاغية التي تتعدد صورها، وتتعدد أشكالها، كتعدد أنواع التشبيه أو الاستعارة؛ فكلٌّ منها أسلوب عربي وصورة من صور جماليات الكلام، تتعدد أشكاله وصوره وتتعدد. وأسلوب المقابلة من فنون البلاغة، كما إنه من أسباب الشعرية؛ لأنه يخلق تناقضا بين طرفين أو صورتين؛ إذ هو أحد تجسّدات الفجوة^(٢)، يقول شبلمر: «أن الأسس الأسلوبية (التطابق والتقابل) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجنسين من الجمال، وهما الانسجام والاختلاف»^(٣) وقد أكّد عبد القاهر في سياق حديثه عن الجمع بين المتباعدات في التشبيه، أو التأليف بين المختلفات أن مبنى الطباع وموضوع الجبلّة على أن الشيء إذا ظهر من مكانٍ لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدنٍ له كانت صباغة النفوس به أكثر، وكان بالشغف منها أجدر، فسواء في إثارة العجب، وإخراجك إلى روعة المستغرب وجودك الشيء في مكانٍ ليس من أمكنته، ووجود شيء لم يوجد، ولم يعرف من أصله!^(٤).

«وهذا نص جليل، ينتهي إلى أن الدهشة والمفاجأة، وروعة المستغرب، وإثارة التعجب من أبرز عناصر الجودة في بناء الأسلوب»^(٥).

والرائع أن الشيخ كان يرى أن استحسانه مما بنيت عليه الطباع ومما غرس في

(١) "البديع المصطلح والقيمة"، ص ١٥٢.

(٢) "في الشعرية"، ص ١٠.

(٣) مسعود بو دوحة، "الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية"، ص ٤٨.

(٤) ينظر: "أسرار البلاغة"، ص ١٣٠-١٣١.

(٥) محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي"، ص ١٧٥.

الفطرة، ويراهما أفضل ضروب الصنعة، وأدلهما على الحذق وعلى دقة النظر، وحسن التأني، وأن «الصنعة والحذق والنظر الذي يلطف ويدق في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربة، وتعدد الأجنبيةات معاهد نسب وشركة»^(١).

إنه يرى الملاءمة بين المختلفات تقتضي حذقاً، ولطفاً، ودقةً، والتعبير بلفظ (الحذق) يشير إلى الأستاذية والتفوق في الباب، كل هذا يوجب علينا أن ندقق في المعاني ومكوناتها، وكيف كانت متنافرة، ثم كيف تأنست وتجاورت، وسكنت في ربة واحدة متألّفة ومتأنسة^(٢).

فالبحت عن هذا الائتلاف وهذا النوع من الارتباط بين الكلم هو جوهر العمل البلاغي والصناعات التي تنسب إلى الدقة، «كلما كان التلاؤم بينها أتم، والائتلاف أبين كان شأنها أعجب والحذق لمصورها أوجب»^(٣).

أي إنك تحدد ببصيرتك لتقف على روح الائتلاف الساكنة في قلب هذا الاختلاف أو التضاد، وحين تقع على ذلك تشعر بالحدة والمفاجأة والدهشة التي تأنس إليها النفس عند هذا الكشف^(٤).

وأن ذلك «بيّن لك فيما تراه من الصناعات التي تنسب إلى الدقة؛ فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم، والائتلاف أبين كان شأنها أعجب، والحذق لمصورها أوجب»^(٥) وهذا ما تذهب إليه الدراسات الحديثة عموماً.

(١) "أسرار البلاغة"، ص ١٤٨.

(٢) ينظر : محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي"، ص ١٧٨.

(٣) "أسرار البلاغة"، ص ١٤٨.

(٤) ينظر : محمد أبو موسى، "المدخل إلى كتابي عبد القاهر"، ص ٣٩٢.

(٥) "أسرار البلاغة"، ص ١٣٦.

٥- ويتتبع د. الشحات أبو ستيت توسع مفهوم المقابلة عند البلاغيين، ويؤكد ضرورة العناية بصور المقابلات في القرآن تحديداً؛ لأن السكاكي ومن لفَّ لفَّه حصره بمقابلة الأضداد، وما ألحقوا بها سواها، وأخرجوا كثيراً من الصور والأساليب التي يمكن أن تكون داخلة في المقابلة، وأنه ينبغي أن يدرس بإتقان، فالنظم القرآني مشحون بالمشاهد المتقابلة، والصور التي تقوم على المقارنة والموازنة^(١).

وهذا يقوي ما ترمي إليه هذه الدراسة، وأن هذا من صميم المقابلة دون النظر إلى اعتبارات متأخري علماء البلاغة وقيودهم على المصطلح، ومن غير اعتبار التضاد أو الترتيب أو العدد، مع الإشارة المهمة إلى ضيق القواعد البلاغية العربية التي وضعها العلماء عن بلاغة القرآن المشحون بصور من فن المقابلة، وإن لم تنضبط بقواعد علماء البلاغة.

ولا يفهم من توسيع المفهوم مخالفة البلاغيين، بل هي لبنة تضاف إلى لبناتهم في هذا العلم، فإذا كان النبي ﷺ عدَّ رسالته لبنة في بناء الرسالات النبوية^(٢)، فكيف لا تكون إسهامات هؤلاء العلماء والدارسين لبنة في صرح بناء البلاغة العربية؟ ولا سيما أنها صور متجددة ومنضبطة في الوقت نفسه، تنطوي تحت راية فن المقابلة، وتزيده ثراءً وغنى، وهي صور - كما يقول د. الشحات أبو ستيت - تدخل في باب المقابلة وتثريها، كما جعله باباً يمكن أن يتسع لدراسة متأنية، تكشف أسرار البلاغية

(١) ينظر: "دراسات منهجية في علم البديع"، ص ٦٣.

(٢) كما في الصحيح عن أبي هريرة ؓ: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ.... فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ.

بالوقوف على شواهده المختلفة^(١).

ومن المحدثين الذين دعوا إلى توسيع مصطلح المقابلة:

٦- د. عبد الفتاح عثمان حيث نصَّ على أن «المقابلة في التعبير قد ترقى عن هذا المستوى اللفظي الذي يقوم فيه التضاد بين المعاني اللغوية للكلمات والجمل إلى مستوى أرحب من المفارقة التصويرية التي يبرز فيها التناقض من المواقف والأفكار والأحداث»^(٢).

وقد أيد الشحات أبو ستيت هذا الرأي؛ إذ يقول: «وإن كنا نميل إلى التوسع في مفهوم المقابلة بما لا يؤدي إلى تداخل الفنون وخلطها، لنرى المقابلة تضم المشاهد التي تنهض على الموازنات والمقارنات بين أنماط مختلفة، وأصناف متباينة، وأن لم تكن أطرافها متساوية العدد متضادة المعاني، منظومة على الترتيب. وعلى هذا فالمشاهد القرآنية في وصف المؤمنين والكافرين، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والمشاهد التي تصف الآيات الكونية وغيرها مما يرد على نمط المقارنة والموازنة ينبغي أن تنطوي تحت لواء المقابلة، فقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٢] كل هذا وما يشبهه يدخل في باب المقابلة دون نظر إلى التضاد أو الترتيب أو العدد»^(٣).

وهو ما سعى عبدالعزيز العمار إلى تطبيقه على سورة محمد، أعني تقابل المعاني غير المقيدة بترتيب أو عدد.

(١) ينظر: "دراسات منهجية في علم البديع"، ص ٦٣.

(٢) "دراسات في علم المعاني والبديع"، ص ٢١٣.

(٣) "دراسات منهجية في علم البديع"، ص ٦٣.

وبذلك نصل إلى أن مفهومه أوسع من المقابلة عند متأخري البلاغة كالقزويني ومن تابعه، وأن العلماء كانوا على وعي بصور لفن المقابلة غير منحصرة في علاقة التضاد بين عدد من المتقابلات وحسب، ومن عجب أن تجد بن عيسى با طاهر، وهو من المعاصرين الذين تذوقوا مزايا المقابلة في القرآن يستنكر ربط المقابلة بالتوافق، ويرى ضرورة الوقوف عند المقابلة بالجمع بين الأمور المتضادة أو المتخالفة دون المتوافقة، ونصه: « ولعلّ ما يشين هذه الآراء هو اشتراط الموافقة في المقابلة، وهي ضد المخالفة أو التضاد: أي تقابل المعاني ونظائرها، ولم يذكر بعضهم شرط الموافقة في حين تفتنّ البعض الآخر إلى أن المقابلة أكثر ما تجيء في الأضداد»^(١).

أما هذه الدراسة فتقوم على النظر في أسلوب المقابلة بمفهومه الواسع، وميدانه الرحب سواء تقابل المعاني غير المحددة بعدد، أو التقابل الذي يكون للتوافق أثره في بنية هذه العلاقة التقابلية القائمة على التضاد، وذلك من خلال الشواهد التطبيقية؛ لتلمس مواقعه، وتذوق جمالياته في النظم المعجز؛ حيث ستعرض هذه الدراسة في المبحث الآتي شواهد مختلفة لهذا الفن البديعي المبني على التوافق الذي يمكن تسميته (مقابلة التوافق) المبني على الاتفاق بين المتقابلين في جهة، والتضاد في الجهة الأخرى، مع العناية ببيان جهد علماء التفسير الذين هم أهل البلاغة التطبيقية - إن صح التعبير - في التنبيه لهذا المسلك البديعي في القرآن، وأثره في إحكام تناسب المعاني.

(١) بن عيسى با طاهر، "المقابلة في القرآن الكريم"، ص ١٧.

المبحث الثاني : بلاغة مقابلة التوافق في النظم القرآني

من يتأمل الأوصاف القرآنية سيجد أن القرآن اعتمد على هذا اللون من المقابلة؛ مقابلة التوافق فيما يسوق من أوصاف، سواء كانت في سياق المدح أو في سياقات الذم، بحيث إنه إذا قصد وصف شيء بالجمال، فإنه يصف الظاهر والباطن؛ ليظهر حسن الموصوف وجماله، ومثله في الذم، وإذا قصد مدح الجانب الحسي ألحقه بمدح الجانب المعنوي، وإذا ذكر ثواب عمل الدنيا، أتبعه بثواب الآخرة ... إلى آخر تلك الأوصاف التي صيغت في بنية متقابلة فريدة، جاءت مبنية على علاقة التضاد من جهة، وعلاقة التوافق من جهة أخرى.

وبهذا نعود بالمقابلة إلى مفهومها الواسع في أصل النشأة الذي سبق أن وضحت أنه يشمل التوفيق بين المعاني المتضادة والمتوافقة المتماثلة على حد سواء كما ذهب ابن الأثير الذي جعل من أقسامها: مقابلة الشيء بما يماثله، وكذا العلوي بعده^(١) الذي أطلق المماثلة دون قيد، قبل أن يضيق عند الجمهور بعد السكاكي ويُحصر في التضاد فقط. وتجتهد هذه الدراسة في إبراز لطائف هذا المسلك الدقيق، وتذوق جمالياته في القرآن الكريم، ومن صوره:

أولاً- مقابلة جمال الظاهر بجمال الباطن:

وهذا اللون من أكثر الشواهد على مقابلة التوافق في القرآن الذي اعتنى المفسرون بإبرازه في النظم المعجز، وأكثر ما يجيء في بيان حال المؤمنين والكافرين ومشاهد يوم القيامة، ووصف نعيم هؤلاء وبؤس أولئك، ومنه قوله تعالى:

١- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥].

(١) ينظر: "الطراز": ٣٧٧/٢، "كتاب الصناعتين"، ٣٧١؛ "إعجاز القرآن"، ص ٨٧.

الآيات - كما نرى - قائمة على نوعين من المقابلة:

الأول - مقابلة التضاد بين أهل السعادة وجزائهم، وأهل الشقاء وجزائهم، فالمؤمنون امتلأت قلوبهم سعادة ونعيمًا وغبطةً؛ لرؤية خالقهم، فظهرت النضرة^(١)، وظهر الجمال على وجوههم، وأهل الشقاء امتلأت قلوبهم خوفًا ورعبًا، وظهر على وجوههم؛ فهي باسرة، أي عابسة مسودة كالحة^(٢)؛ لما سيلقاها من العذاب الشديد؛ لأن الفاقة هي الداهية^(٣).

وهذه مقابلة التضاد على رأي الجمهور: (الوجوه الناضرة المسرورة برؤية الرب، والوجوه الباسرة المنتظرة للعذاب) وقد روعي التنسيق في ترتيب مكوناته، وحذا^(٤) النظم في تركيب العبارة الثانية حذو الأولى؛ حيث بُنيت الأولى على: مبتدأ نكرة

(١) الناضرة: الحسنة الجميلة من النعيم، يقال: نضر الله وجهه، أي: حسَّنه. الطبري، "جامع البيان"، ٥٠٥/٢٣.

(٢) يقال: بسر وجهه فهو باسر، أي: بَيَّن البسور، والمعنى مسودة كالحة من السواد. الطبري، "جامع البيان"، ٥١٠/٢٣.

(٣) وأصل الفقر: الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم أو ما يقرب منه، سميت الداهية العظيمة الفاقة، كأنها لشدتها تقصم فقار الظهر. القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١١٠/١٩.

(٤) مصطلح الحذو مصطلح جديد في الدرس البلاغي الحديث، ومؤداه: أن يقتدي الشاعر بصياغة شاعر آخر في صياغة بيته وبماثله في طريقة البناء، أو يحذو الشاعر بناء نفسه في القصيدة الواحدة، فيحاذي التركيب التركيب وإن اختلف المعنى، وله جذوره عند العلماء، قال عنه ابن منقذ في كتابه (البديع في الشعر): «اعلم أن الحذو أن يكون البيت على صياغة البيت الآخر». ص ٢١٢، وينظر: بلاغة الحذو في تحليل النصِّ الشعريِّ عند الشيخ محمد أبو موسى مفهومه ومستوياته، يوسف الدعدي، ص ٢٦٤ - ٢٧١.

(وجوه)^(١)، ثم الظرف وما دخل عليه (يومئذٍ)، ثم الخبر (ناصرة)، ثم جار ومجرور (إلى ربها)، وخبر ثان (ناظرة)، وبنيت الثانية البناء نفسه : مبتدأ نكرة (وجوه)، يليه الظرف وما دخل عليه (يومئذٍ)، ثم خبر (باسرة)، وعلى الرغم من تغير التركيب في ختامها إلى جملة فعلية (تظن أن يفعل بها فاقرة)، لكنها حافظت على الفاصلة والرنين الصوتي بين ناضرة، وناظرة، وباسرة، وفاقرة . ولا يخفى ما للجناس في (ناصرة وناظرة) من أثر في هذا الرنين، ولا شك أن هذا ضرب من تعادل النسق وتوازنه، له أثره البالغ في إحكام النظم القرآني وتأثيره في المتلقي^(٢).

وقد امتدح الشيخ عبد القاهر الجرجاني هذا المسلك في نظم الكلام، وسماه النمط العالي، ورأى أن المعاني الشريفة هي من تكتسي مثل هذا البناء التركيبي وما فيه من جهد التنسيق والترتيب يليق بهذه المعاني، يقول:

« هذا وليس إذا كان الكلام في غاية البيان وعلى أبلغ ما يكون من الوُضوح، أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفاً، فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بُدَّ فيها من بناءٍ ثانٍ على أوّل، وردّ تالٍ على سابق^(٣) ».

كما لا يخفى الغرض من هذه المقابلة في الموضعين، وهو الترغيب في حال أهل الإيمان والتنفير من حال أهل الكفر، وبهذا ندرك بلاغة هذا المقابلة التي على المؤمن أن يعتكف في محرابها إذا أدرك مغزاها، وهو تبصر الفرق بين المصيرين والجزاءين؛ فإنها تحقق مقصود السورة؛ لأن أهم مقاصد سورة القيامة التي جاءت هذه الآيات ضمن سياقها إثبات البعث، والتذكير بيوم القيامة وأشراطه، وبيان جزاء أهل الإيمان وأهل الكفر، واختلاف أحوالهم في ذلك اليوم بدليل تكراره في السورة ست مرات، بلفظها

(١) وتنكيره للتنويع والتقسيم، وهو من مسوغات الابتداء بالنكرة.

(٢) بلاغة الحذو في تحليل النص الشعري، ٢٩٤.

(٣) دلائل الإعجاز، ١٤٤.

مرتين: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ، ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾ ولفظ (يومئذ) خمس مرات: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ ...إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ...وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [الْقِيَمَةِ: ٢٢ - ٢٥] والتقدير: يوم القيامة.

الثاني - مقابلة التوافق، وهو شاهد الدراسة في الآيتين الأوليين، ثم الآخرين؛ كلٌّ على حدة؛ لأن كلا منهما تمثل بناءً تركيبياً لأسلوب مقابلة، تضمنت تضاداً من جهة، وتوافقاً من جهة أخرى؛ فأما التوافق في الأولى ففي صفة الجمال: جمال الظاهر بنضرة الوجه، وجمال الباطن برؤية الله ﷻ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ وأما التضاد فيبين الظاهر والباطن، والغرض البلاغي من هذا الأسلوب البلاغي كمال التكريم والجزاء، يقول ابن القيم: «ومن أسرار هذه السورة أنه سبحانه جمع فيها لأوليائه بين جمال الظاهر والباطن، فزين وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالنظر إليه، فلا أجمل لبواطنهم ولا أنعم، ولا أحلى من النظر إليه، ولا أجمل لظواهرهم من نضرة الوجه، وهي إشراقه وتحسينه وبهجته»^(١).

وفي الموضوع الثاني: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ التوافق في القبح والسوء: سوء الظاهر بسواد الوجه، وسوء الباطن بالخوف والفرع من العذاب، والتضاد بين الظاهر والباطن، والغرض البلاغي شدة التنفير من حالهم؛ إذ جمع لهم بين قبح الظاهر، وقبح الباطن.

وقد اعتنى ابن القيم بهذا الوسيلة البلاغية ووتوقف عندها، وتذوق جمالياتها في القرآن، ودل على شواهد منه في بعض مصنفاته:

- الأول كتابه القيم (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) وهو الذي لفتني إلى هذا

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص ٩٨.

الفن؛ لتتبع شواهد في القرآن، وودلَّ على كثرتها في وصف الجنة ونعيم أهلها ومساكنهم ونسائهم...؛ لأنه قال بعد أن تذوق بعض شواهد: « وهذا كثيرٌ لمن تأمله»^(١).

- والثاني كتابه (البيان في أقسام القرآن)، وبعض المواضع في (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة) وتتبع مبدأ التوافق في أسلوب المقابلة في القرآن، التوافق الذي هو الخيط الناظم للوصفين المتضادين المتقابلين في أوصاف الجنة ونعيمها.

إن هذه الوقفة من الإمام ابن القيم وغيره من المفسرين عند هذا النوع من المقابلة يدلنا على أن المناسبة القائمة على التضاد في عالم البيان، مرجعها أن الضد يستدعي إلى الوعي ضده كاستدعاء النظر نظيره، كما تدلنا على أن «الأضداد تتكامل في إبلاغ الرسالة البيانية، وتحقيق المغزى الخطابي، ومن ثم لم تكن المواجهة في البيان بين الكلمة وضدها والمعنى وضده، والصورة وضدها مواجهة إقصاء ومطاردة، بل هما شريكان في هذه المواجهة في تحقيق الرسالة ... العلاقة بينهما في عالم البيان كالعلاقة بين الذكر والأنثى، فهما ضدان لكن العلاقة بينهما تكاملية، لا يستغني الأول عن الثاني»^(٢).

ومثلها في المقصود وفي بناء الآيات على المقابلة بنوعيتها: التضاد في حال السعداء والأشقياء، ومقابلة التوافق في وصف الظاهر والباطن لكل فريق قوله تعالى:

٢- ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢]
وشاهدنا: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ ﴾ والمعنى: وجوه مشرقة

(١) "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) محمد أبو موسى، "علم البديع عند الشيخ"، تعليق: محمود توفيق سعد، هامش ص ١٣٦ (بتصرف).

مضيئة فرحة، وهي وجوه المؤمنين؛ لعلمهم بمآلهم من الثواب الجزيل والنعيم المقيم، والكرامة في الجنة، يقال: أسفر الصبح إذا أضاء، وعن الضحاك أنه قال: مسفرة من آثار الضوء، وقيل: من قيام الليل^(١).

علاقة التوافق في صفة الجمال، وعلاقة التضاد بين الظاهر والباطن، فأما جمال الظاهر، وهو إشراقه الوجوه وإضاءتها، ففي قوله (وجوه يومئذ مسفرة) وأما جمال الباطن، وهو السرور والفرح، ففي قوله: (ضاحكة مستبشرة)؛ لأن الضحك كناية عن السرور، ومستبشرة: فرحة، والسين والتاء للمبالغة مثل استجاب، وإسناد الضحك والاستبشار للوجوه مجاز عقلي؛ لأن الوجوه محل ظهور الضحك والاستبشار، فهو من إسناد الفعل إلى مكانه^(٢).

وهذه المقابلة من النوع الذي روعي فيه التنسيق التركيبي في بناء طرفيها كالأول، لقد بنى القرآن هذه الآيات على فن المقابلة التي تقيم مناظرة بين المصيرين، ثم تركز بالتوافق لتحبيب المؤمن في هذا الجمال الظاهر والباطن في مقابلة ذل الظاهر والباطن، فإذا قام هذا المعنى في نفسه وتمكن منه سيأخذ بخطام نفسه؛ لتحقيق له هذه السعادة الأخروية، فإذا تدبرها تسلل إلى قلبه ما يحفزه إلى الثبات على الدين، وعلى الصراط المستقيم في زمن تلاطمت فيه أمواج الفتن والشهوات عن دين الله.

٣- وقوله: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]

والمعنى: فوَقَّاهم الله شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم^(٣)، وهذه أيضًا في تقرير حال أهل الإيمان يوم القيامة،

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ١٢٦/٢٤؛ الشوكاني، "فتح القدير"، ٤٦٧/٥.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "تفسير التحرير والتنوير"، ١٣٨/٣٠.

(٣) ينظر: السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ٣٤٧/٥.

تضمنت مقابلة توافق، والمراد أنه جمع لهم بين النضرة التي جمال الظاهر، والسرور جمال الباطن، ورأى السعدي أنه من الجمع بين النعيم الظاهر والنعيم الباطن^(١)، أما ابن القيم فرأى أن الله جمع لهم في هذا السياق بين النضرة والسرور؛ لأن الأولى جمال ظواهرهم، والأخرى حال بواطنهم. تأمل تعليله الدقيق: « وهذا كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان »^(٢).

والملاحظ أن المقابلة في هذه الشواهد كانت سياقية، وليست في البناء التركيبي كما في الشاهدين السابقين من سورتي (القيامة، وعبس)، والمقابلة السياقية كما عرفها الطرابلسي هي: « كل مقابلة كانت علاقة المتقابلين فيها توزيعية؛ فتقابل الشقين ليس مرجعه إلى الوضع اللغوي، وإنما أسلوب الشاعر نفسه »^(٣) أي: دون الاعتماد على بنية متعادلة الأطراف في بنائها اللفظي.

ومن فضل الله على أهل الجنة أن جمع لهم بين النعيم الظاهر والباطن، تأمل البشارة في قوله:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥] لقد جمع - سبحانه - في هذه البشارة بين نعيم البدن ونعيم القلب أو الروح أو يمكن أن نقول: بين النعيم الحسي والنعيم المعنوي؛ فأما نعيم البدن الحسي فهي الجنات وما فيها من الأنهار والثمار، وأما نعيم النفس والقلب وقرّة العين فبالأزواج المطهرة، وبمعرفة دوام

(١) المصدر السابق.

(٢) "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، ص ١٨٥. وينظر: "الفوائد"، ص ١٨٤.

(٣) "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، ص ١٠٢.

هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه^(١).

وهي لفظة قرآنية، وهداية ربانية إلى أن النعيم المادي ليس بنعيم إن لم يصاحبه نعيم الروح وسعادة القلب، وهو الأمر الذي يقرره الدين الإسلامي في كل تشريعاته، ويسري في كل تعاليمه، وأن الكمال في النعيم هو بشموله الجانبين: المادي والروحي أو الحسي والمعنوي، ويخلص بنا إلى أن مقابلة التوافق ليس فنا بديعاً وحسب، وإنما وسيلة من وسائل القرآن لإحكام المعاني، والدلالة على كمال الأوصاف القرآنية؛ ترغيباً وترهيباً.

ومنه أن جمع لأهل الجنة بين أمن المكان وأمن الطعام في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^(٢) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ [الدُّخَان: ٥١ - ٥٣]^(٢). ومنه الجمع بين مدخل الصدق ومخرج الصدق في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإِسْرَاء: ٨٠] الصدق هو الجامع بين المتضادين : المدخل والمخرج، والمقصود بالمُدخل الصدق، والمخرج الصدق الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله، وهو دخول بالله ولله وخروج له وبه، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد؛ فإنه لا يزال داخلاً في أمر، وخارجاً من أمر، فمتى كان دخوله لله وبالله، وخروجه كذلك كان قد أُدخل مُدخل صدق، وأُخرج مخرج صدق^(٣).

ومن مقابلة التوافق بين جمال الظاهر والباطن أو زينة الظاهر والباطن ما جاء في سورة الأعراف - بعد قصة آدم، وما أوجب كشف سواته الطَّيِّبَاتِ وخروجه من الجنة

(١) ينظر: ابن القيم، "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، ص ٢١٧.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٠١.

(٣) ينظر: المصدر السابق.

وهو المعصية ومخالفة أمر الله، وهو قوله تعالى:

٤- ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ
التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]

وهذه منة عظيمة امتن الله بها على عباده ، وهي ستر العورة باللباس ، يدل على عظمتها تفخيم الفعل بضمير الجمع (أنزلنا عليكم)، والمعنى: يسرنا لكم لباساً يستر عوراتكم^(١)، وليباساً تترتبون به وهو الريش، ولباس التقوى هو الإيمان والحياء والورع^(٢)، قال الشوكاني: «وهو يصدق على كل ما فيه تقوى لله، فيندرج فيه كل ما ذكر من الأقوال»^(٣).

وقد استعار اللباس للتقوى من باب المشاكلة؛ وهي ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقدير^(٤)؛ لوقوع التقوى في سياق لباس البدن، أو للقصد إلى تشبيه التقوى وملازمتها بملازمة اللباس لباسه^(٥)، وعلى كل فهذه الاستعارة كثيرة الوقوع في كلام العرب^(٦).

وفي المشاكلة لفت نظر السامع إلى اللباس المحبب إلى الله الذي هو مصدر محبة الخلق، وليس اللباس الظاهر، كما إن فيها إضفاء عنصر المفاجأة على دلالة لفظها

(١) سوءات جمع سوءة. وقد سمي القرآن العورات سوءات على طريقة العرب في الكناية عنها بالسوءة؛ لأنه كان يسوء صاحبها انكشافها. ينظر: "معالم التنزيل"، ٢٢٢/٣.

(٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٢٣١/١٠، والبغوي، "معالم التنزيل"، ٢٢٣/٣؛ والشوكاني، "فتح القدير"، ٢٢٤/٢.

(٣) "فتح القدير"، ٢٢٤/٢.

(٤) ينظر: القزويني، "الإيضاح"، ٢٦/٦.

(٥) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٧٥/٨.

(٦) ينظر: الشوكاني، "فتح القدير"، ٢٢٤/٢.

الذي يتميز عن اللفظ الأول بمعناه الذي يُدرك بالتأمل والتفكير؛ ليستقر في الذهن. ونلاحظ أن التوافق من جهة أن كلا منهما لباس وزينة، أما التضاد فهو بين الظاهر والباطن، وجعله البقاعي من تضاد الحسي والمعنوي، فاللباس الذي يستر العورات حسي ظاهر، ولباس التقوى معنوي باطن. يقول مبینا شیئا من بلاغة مقابلة التوافق في الآية وما وراء هذا التنسيق من لطائف: «وما ذكر اللباس الحسِّي، وقسّمه على ساتر ومُزَيَّن، أتبعه المعنوي، فقال مشيراً إلى كمال تعظيمه؛ حثّاً عليه وندباً إليه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ فَعُلِمَ أن ساتر العورات حسي ومعنوي؛ فالحسي لباس الثياب، والمعنوي التحلي بما يبعث على المناب»^(١)، ويقصد الورع والإيمان، واتقاء معاصي الله. ومن بلاغة مقابلة التوافق في هذه الآية وأمثالها بيان عناية الدين بالجمال الحسي إلى جانب الجمال المعنوي، ومنة الله وفضله على عباده بتيسير ما يسترون به سوءاتهم الحسية والمعنوية، قال الزمخشري: «هذه الآية واردة عقيب ذكر بدو السوءات؛ إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى»^(٢)، بل تعظيم التقوى بدلالة التعبير باسم الإشارة للبعيد (ذلك خير) ليس للمؤمنين وحدهم، بل لعموم الخلق، يدل عليه نداء العموم (يا بني آدم)، ثم الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ وما فيه من الدلالة على هذا العموم. والمقابلة هنا سياقية أيضاً، وليست في البناء التركيبي، اختار النظم القطع عن

(١) "نظم الدرر"، ٧٩/٧.

(٢) "الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل"، ٩٧/٢. ونص في هذا الموضع على نظائر هذا التقابل، وأن منه قوله تعالى: ﴿الْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لِيَتَرَكِبُوهَا وَزِينَةً﴾ [التخل: ٨]، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [التخل: ٦]

السابق برفع (ولباسُ التقوى) مع إمكان عطفها على (لباسًا) بالنصب، لما في هذا العدول من معنى جليل، وهو لفت الانتباه إلى أهمية التقوى والإيمان والحياء من الله، ثم زاد في هذا التعظيم بالفصل باسم الإشارة المقترن بلام البعد (ذلك خير) للإيماء إلى علو رتبة التقوى، وحسن عاقبتها، وكونها أهم اللباسين^(١).

كل هذا يدل على أن هذا المسلك وهذا الفن الأسلوبي ودلالته على ارتباط الظاهر بالباطن، وعلاقة جمال الظاهر بجمال الباطن يشي بأن الجمال المطلوب من المؤمن هو الجمال الباطن وليس الظاهر وحسب، وأنه من أعظم النعم على العبد في الدنيا، وإن هذا الارتباط إنما هو انسجام مع الجمال الكوني الذي عبر عنه وَجَّكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السَّجْدَة: ٧] ، وأن الجزء من جنس العمل، وأنه وَجَّكَ يحبُّ هذا الكمال في كل شيء، يقول ابن القيم تعليقاً على حديث النبي (إن الله جميل يحب الجمال) وقوله لأبي الأحوص الجشمي: (إذا آتاك الله مَالاً فَلْيُرْ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ وَكَرَامَتُهُ عَلَيْكَ) : « فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها، ولحبه سُبْحَانَهُ للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم، فقال: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ وقال في أهل الجنة: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ فجعل وجوههم بالنظرة، وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير، وهو سُبْحَانَهُ كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، ويغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة»^(٢).

(١) ينظر: ابن القيم، "الفوائد"، ص ١٨٤.

(٢) "الفوائد"، ص ١٨٤.

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى أن الله يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليهما: « ولحبته سُبْحَانَهُ للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تحمّل ظواهرهم ، وتقوى تحمّل بواطنهم»^(١).

وبهذا تظهر النكتة البديعة لمقابلة التوافق في هذا الموضع، وهو ارتباط التقوى بالستر» وأن نزعه يكون بكشف العورة الحسية والمعنوية، فلو تحمل الإنسان بأحسن الملابس، وهو غير متقي كان كله سوءات، ولو كان متقياً وليس عليه إلا خريقة تواري عورته كان في غاية الجمال والستر»^(٢).

هذه الغاية التي جعلت النظم القرآني يربط بين هذين المتخالفين نظاماً، والمتضادين ظاهراً وباطناً، حساً ومعنى، وهي الغاية التي أراد القرآن منا تعقلها؛ لأن القرآن ليس معجزاً وحسب، بل كتاب هداية للخلق. والهدف من إدراك أسرار القرآن هو استطعام المعنى القرآني، ومن ثم تمكنه في القلب، وتفعيله لنخضع لهديه الأمثل الأكمل في رحلتنا الدنيوية لعمارة الأرض، ولتكون نورا نستضيء به في طريقنا إلى الله^(٣).

وقد أضفت كل من الكناية والاستعارة في الآية حسناً لا يخفى؛ الكناية عن العورات بالسوءات، والاستعارة استعارة اللباس للتقوى.

٥- ﴿ إِنَّا زَيْنًا أَلَسَّمَاءَ أَلْدُنْيَا بِزِينَةِ أَلْكَوَكِبِ ۖ وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ ﴾ [الصافات: ٦- ٧] ومثلها :

(١) المصدر نفسه، وينظر: منى النصر ، "بلاغة النظم القرآني عند ابن القيم"، ٥٢٦، وما بعدها.

(٢) "نظم الدرر"، ٧٩/٧.

(٣) ينظر: محمود توفيق سعد، "المعنى القرآني - معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة"، ٤٥.

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(١) وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٧]

سيقت كلٌّ من الآيتين للاستدلال على وحدانية الله والتنبيه إلى عجيب مخلوقاته ومصنوعاته ^(٢)، وأعظمها خلق السماء بغير عمد وسعتها وامتدادها وما فيها من العوالم، والمعنى: جَمَّلْنَا السماء الدنيا، أي أقرب السماوات إلى الأرض بزينة جميلة هي الكواكب التي هي في النظر كالجواهر المتألّفة، وحفظناها بالنجوم من كل شيطان متمرد خارج عن الطاعة، وزينة السماء بهذه النجوم النيرة البراقة المتوقدة الثابتة في محالها، المرصعة في السماء كزهر النور في الرياض الخضرة، وبانتظامها وارتسامها البديع في أشكال متنوعة، وصور مختلفة ما بين صغار وكبار وثوابت وسيارة، وشوارق وغوارب إلى غير ذلك من الهيئات التي لا تحصى ^(٣).

يقول ابن عاشور: «وَأُدْمَجَ فِيهَا مَنَّةٌ عَلَى النَّاسِ بِأَنْ جَعَلَ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ زِينَةَ الْكَوَاكِبِ تَرُوقُ أَنْظَارَهُمْ، وَمَنَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ جَعَلَ فِي تِلْكَ الْكَوَاكِبِ حِفْظًا مِنْ تَلْقَى الشَّيَاطِينُ ... إِشَارَةً إِلَى أَنَّ فِيهَا مَنَفْعَةً عَظِيمَةً دِينِيَّةً، وَهِيَ قَطْعُ دَابِرِ الشَّكِّ فِي الْوَحْيِ، كَمَا أَنَّ فِيهَا مَنَفْعَةً دُنْيَوِيَّةً وَهِيَ الزَّيْنَةُ وَالْاهْتِدَاءُ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» ^(٤).

وفي نظم كل منهما ما يدل على عظمة هذا الامتنان؛ لمكان ضمير الجمع (إننا) في كل منهما، وتفخيم التعبير عن الزينة بالتضعيف (زينا) في الأولى، مع ضمير

(١) أي : مَنَازِلَ لِلْقَمَرِ؛ مَع (بُرُج)؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْقَصْرُ الْعَالِي.

(٢) ينظر : البقاعي، "نظم الدرر"، ٢٩/١١.

(٣) ينظر : المصدر السابق، ١٦/١٩٤.

(٤) "التحرير والتنوير"، ٨٧/٢٣.

التفخيم^(١).

وقد يُسأل: أين مقابلة التوافق هنا؟ والحق أنه قد لا يظهر التقابل للوهلة الأولى؛ لأن البنية التركيبية للمقابلة هنا سياقية وليست تركيبية لفظية، فإننا إذا تأملنا الآيات سنجد أن الله جَمَّلَ ظاهر السماء بالكواكب التي هي في النظر كالجواهر المتألئة، وجَمَّلَ باطنها بالحراسة من الشياطين^(٢)، وذلك على قراءة جر الكواكب على أنها بدل من (زينة).

وهذا يفضي بنا إلى الحقيقة التي نبه إليها محمد عبدالله درّاز في تحليله لدقة الملاءمة البلاغية بين المعاني المختلفة في القرآن؛ إذ يقول: « وهذا التأليف بين المختلفات مازال هو العقدة التي يطلب حلها كل فن، وصنعة جميلة، وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة، ودقة الذوق في تلك الفنون والصناعات، فإن تقويم النسق، وتعديل المزاج بين الألوان والعناصر الكثيرة أصعب مراسا، وأشدّ عنادا في أجزاء اللون الواحد، والعنصر الواحد»^(٣).

ومثله وصف يوسف على لسان النسوة في قوله تعالى:

٦- ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۝ [يوسف: ٣١ - ٣٢] فَإِنْ قَوْلُهُنَّ: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ هو وصف لجماله الظاهر أو الحسي، وأما جماله

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٢) ينظر: ابن القيم، "البيان في أقسام القرآن"، ٩٨، ١٢٥؛ "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، ص ٢٢٥.

(٣) النبأ العظيم، ص ١٥٦.

الباطن أو المعنوي، فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها، وذلك في قولها: ﴿وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ﴾ والعفة جمال الباطن.

والبنية التركيبية لهذه المقابلة في الآيات تضم توافقاً من جهة الجمال، وتضاداً من جهة الظاهر والباطن كما سبق في الأمثلة، دون مراعاة للتنسيق والترتيب في البناء التركيبي، بل جاء على نمط المقابلة المعنوية السياقية.

وبذلك يظهر للمتأمل أن علاقة التوافق في هذه البناء التركيبي للمقابلة وسيلة من وسائل إحكام الكلام، وتلاحم معاني الآيات، وهي التي استدعت امرأة العزيز لتقول (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)؛ لأن هذا - كما يقول ابن القيم - من تمام وصفها لمحاسنه، فانتهى الوصف إلى أنه في غاية الجمال ظاهراً وباطناً^(١)، فكأنها قالت: هذا ظاهره، وباطنه أحسن من ظاهره^(٢).

وهذه لفظة قرآنية لطيفة؛ تؤكد أن الجمال الحقيقي هو الجمال المعنوي، أما الجمال الحسي فمآله إلى الزوال طال الزمان أو قصر، والجمال المعنوي، وهو هنا العفة والطهارة دائم ما تمسك به صاحبه، هذا أمر، والأمر الآخر هو أن الجمال الحسي أو الظاهر وإن كسا صاحبه منظرًا جميلاً، فإنه لا يكسبه المحبة في قلوب ناظره، بخلاف الجمال المعنوي الذي يُرزق صاحبه به محبة في أعين الناس جميعاً، فضلاً على أن الجمال الظاهر قد يصيب صاحبه بالزهو والغرور، أما جمال الباطن فإنه يفضي به إلى التواضع.

ومنه جمال الإراحة والسرحة في قوله :

٧- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٦]

(١) ينظر: "التبيان في أقسام القرآن"، ص ٩٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٢٦.

التوافق - كما نرى - في الجمال، ورأى الزمخشري أن التوافق في الزينة^(١)، والتضاد بين السرح الذي هو خروجها الغداة، والإراحة الذي هو وقت عودتها عشاء، وليس الظاهر والباطن كما سبق، إنما ألحقته به للاتفاق مع الشواهد السابقة في ابتنائها على علاقة الجمال، وهذه الآية جاءت في مطلع (سورة النعم: سورة النحل) في سياق تعداد نعمه على عباده؛ تنبيهها على وجوب شكرها، وبدأ بأهم هذه النعم وهي خلق الإنسان، ثم شرع في تعداد النعم، وأهمها خلق الأنعام وتسخيرها للعباد. قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] قال الزمخشري: «امتّن الله بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها»^(٢) والتجمل يكون وقت الخروج للمرعى، والعودة منه مساء حين الغروب؛ فإنها تعود مملأى البطون والضروع، فيتهيج بها الرعاة، وتلتذ نواظرهم، ولذلك قدم الإراحة على السرح؛ لأن الجمال بها أقوى^(٣)، وبهذه المقابلة اللطيفة برزت نعمة الله على عباده أهل المراعي في سورة النعم.

٨- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ... وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ رَحْمَةً اللَّهُ لَهُمْ فِيهَا خَلِيدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]

فتبييض الوجوه جمال الظاهر، والتنعم في الجنة جمال الباطن، فضلا عن اللف والنشر، وأثره في إحكام البناء، وتهيئة المتلقي للنشر المتوقع، فإذا وقع تَمَّت الفائدة، وتحقق الغرض.

ثانياً- التقابل بين ذل الظاهر وذل الباطن :

(١) ينظر: "الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل"، ٥٩٤/٢.

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق .

والأمثلة التي ترد هنا يتحقق التوافق بين طريفي المقابلة في صفة الذل، والتضاد في الظاهر والباطن، وقد مرّت بنا بعض هذه الشواهد ، ومما قبل فيه بين ذل الظاهر والباطن قوله تعالى:

١- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَتَّظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الْقِيَامَةُ: ٢٤ - ٢٥]

فإن القبح ذل، وقد سبق أن الله جمع لهم بين ذل الظاهر بالوجه الباسرة، أي العابسة الحالكة، وبين ذل الباطن وهو الخوف من العذاب الشديد، ومثله :

٢- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٧٦ - ١٧٧] .

فجمع للمؤمنين بين جمال الظاهر والباطن، وللکفار بين تسويد الظاهر والباطن^(١). وقد جاء بطريق اللف والنشر غير المرتب، ولفظ الذل غير مذكور كما نلاحظ، وإنما هو مفهوم من السياق، والمقابلة الكلية بين حال السعداء والأشقياء كالسابق مقابلة تضاد، لكن الذي يعني هذه الدراسة كل طرف من الطرفين المتقابلين؛ فأما الأول فقد سبق، وأما الثاني فقد قبل فيه بين ذل الظاهر(اسوداد الوجوه) في قوله: ﴿أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وذل الباطن (ذوق العذاب) في قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وهي كما نرى تحتاج إلى فضل تأمل وتدبر؛ لأنها ليست مقابلة لفظية ظاهرة.

ومما صرح فيه بلفظ الذلة قوله تعالى:

٣- ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

[المَعَارِج: ٤٤].

(١) ينظر: ابن القيم، "التبيان في أقسام القرآن"، ص ٩٨.

إذ قابل بين ذل الظاهر، وذل الباطن في وصف أولئك الكفار؛ ذل الظاهر هو خشوع الأبصار، وذل الباطن ما يرهقهم من الذل، وأكثر المفسرين أن معنى (ترهقهم ذلة) تعشاهم ذلة^(١).

ومنه قوله تعالى :

٤- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عَبَسَ: ٣٨ - ٤١]

يقول البقاعي: « وَلَمَّا ذَكَرَ أَهْلُ السَّعَادَةِ الْمَقْبُولُونَ عَلَى الْخَيْرِ ذَكَرَ أَضْدَادَهُمْ »^(٢) حتى ندرك أن مقابلة التضاد منهج من مناهج الإبانة في القرآن، وهو قريب مما كان يسميه الباقلاني شريف النظم، أو تأليف المختلف، وذكر أن فائدته البلاغية التأليف بين المختلف حتى يصير متلائماً مؤتلفاً^(٣).

يقول الشوكاني: « لَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذِكْرِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ ذَكَرَ حَالَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار وكدورة لما تراه مما أعد لها من العذاب ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي: يغشاها ويعلوها سواد وكسوف، وقيل: ذلة، وقيل: شدة »^(٤).

٥- ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يُونُس: ٢٧] وقد نص على الذل في هذا الموضع، فقال: (ترهقهم ذلة)، فهذه ذلة الباطن، أما ذلة الظاهر ففي سواد الوجوه في قوله تعالى: (كأنما أغشيت

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٣٨٧/٢٣؛ البغوي، "معالم التنزيل"، ٢٠٠/٨؛ البقاعي، "نظم الدرر"، ٣٢٥/٢٠.

(٢) "نظم الدرر"، ٢٧٢/٢١. (بتصرف).

(٣) ينظر: الباقلاني، "إعجاز القرآن"، ١٧٧؛ أبو موسى، "الإعجاز البلاغي"، ٢١٢؛ والشعر الجاهلي - دراسة في منازع الشعراء، ص ٢٨٣.

(٤) "فتح القدير"، ٤٦٧/٥.

وجوههم قطعاً من الليل مظلمًا)، دون مراعاة الترتيب والتنسيق. ومنه قوله تعالى:

٦- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾

[طه: ١١٨ - ١١٩] يقول ابن القيم: «وقابل - سبحانه - بين الجوع والظمأ، والعري والضحى؛ فإن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر؛ فنفي عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعري والضحى»^(١) مبدأ التوافق في الذل، وهي علاقة بين المتقابلين تُستنبط استنباطاً، وليست مذكورة لفظاً كما نرى.

ثالثاً- التقابل بين الوصف الحسي والمعنوي:

ومنه قوله في شأن الحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] فقد ذكر الزاد الحسي، ثم أتبعه ذكر الزاد المعنوي، يقول ابن القيم أن هذه الآية: «في ذكر الزاد الظاهر الحسي، والزاد الباطن المعنوي، فهذا زاد سفر الدنيا، وهذا زاد سفر الآخرة»^(٢) علاقة التوافق في أن كلا منهما زاد، واختلفا في الحسي والمعنوي، أو الدنيا والآخرة.

رابعاً- التقابل بين القوة الظاهرة المنفصلة والقوة الباطنة المتصلة:

وشاهده قول هود عليه السلام لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود

(١) "التيبان في أقسام القرآن"، ص ٩٨. وينظر: منى النصر، "بلاغة النظم القرآني عند ابن

القيم"، ص ٥٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

٥٢: فالأول القوة من الله الظاهرة المنفصلة عنهم، والقوة الثانية الباطنة المتصلة بهم^(١).
ويشبهه قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطَّارِق: ١٠] فنفى عنهم الدافعين
أو القوتين: القوة المتصلة بهم من أنفسهم ، والدافع أو القوة المنفصلة عنهم من
خارجهم وهو الناصر^(٢).

(١) ينظر: المصدر نفسه .

(٢) ينظر : المصدر نفسه .

الخاتمة

حاول البحث في الصفحات السابقة تتبع جهد علمائنا المتقدمين في دراسة مصطلح المقابلة ومرادفاته، وتحديد مفهومه، كما سعى إلى تبين إلى أي مدى ذهبوا في توسيع مفهومه وتحديد صوره، هذا في المحور الأول من الدراسة، وتبين أن تعريف قدامة بن جعفر للمقابلة كان أصلاً للعلماء من بعده، وأنهم حين حصروا المقابلة في التضاد كان هذا في الأكثر، لكنهم لم يمنعوا غيره، وهو التوافق، كما ظهر أن أوعب من تحدث عن المقابلة ورآها باباً يوسع، فيتسع لصور كثيرة هو ابن الأثير، بعد أن أشار القاضي الجرجاني قبله إلى أنها شعب خفية، وقرر حازم القرطاجني أنها توفيق بين المعاني باعتبار نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب، كما تتبع البحث من دعا إلى توسيع مفهوم هذا الفن البلاغي من المحدثين، نحو: محمد أحمد علي، عبد الواحد علام، الشحات أبو ستيت، عبد الفتاح عثمان، عبدالعزيز العمار الذين أشاروا إلى أن المقابلة فن، يمكنه استيعاب صور كثيرة، لتشمل مقابلة المعنى بالمعنى دون التقييد بعدد، ومقابلة التوافق الذي ارتكزت عليه هذه الدراسة، وفي الجانب التطبيقي وبعد استشفاف بعض أسرارها المتعلقة بعلاقة التوافق في القرآن الكريم تصل الدراسة إلى تحديد النتائج، وأهمها :

- ١- أن اصطلاح العلماء على أن المقابلة في التضاد كان على اعتبار الأكثر، وإلا فإن تعريفها لا يمنع غيره، بل يتسع للتوافق فيكون به كما يكون بالتضاد؛ لأن اعتماده على المواجهة، والمواجهة تكون بين أمرين متضادين أو متوافقين، وقد تكون بالتضاد مع مشاركة علاقة التوافق للبنية التركيبية للمقابلة كما تذهب هذه الدراسة.
- ٢- أن فن المقابلة باب يتسع لأشكال كثيرة من أنواع ، ومنها (مقابلة التوافق).

٣- أن مقابلة التوافق وسيلة من وسائل إحكام التضاد، والتلاحم بين معاني الآيات، وليست علاقة شكلية وحسب، وهو أسلوب بديعي، ومظهر جمالي جعله يترقى، لأن يكون من المحاسن الظاهر أثرها في وجوه تحسين الكلام، ودقة المعنى.

٤- يعتمد القرآن مقابلة التوافق في الأوصاف كثيرًا، ولا سيما وصف السعداء أو الأشقياء: ظاهرًا وباطنًا، حسا ومعنى: ترغيبًا في حال الأولين وسلوك مسلكهم، وتنفيرًا من أولئك ومن اتباع خطاهم وتقليد صفاتهم، وأن صفات الكمال لا تتم إلا باجتماعها في المرء ظاهرًا وباطنًا، حسا ومعنى.

٥- إن النفوس مفطورة على حبّ الجمال، ولكنه إذا دُكِرَ انصرفت الأذهانُ إلى جمال الصورة الظاهر وحسب، ولهذا تَبَّه القرآن بهذا الأسلوب البديعي الطريف إلى أن الكمال في الظفرِ بجمال الظاهر والباطن معاً، وكل الشواهد المسوقة في هذه الدراسة تشي بهذا المعنى.

٦- أن تقابل التوافق ضربان:

الضرب الأول - بين مكونات كل طرف قدر من الترتيب والتنسيق.

الضرب الثاني - ليس بين مكونات طرفيه المتقابلين تنسيق لفظي تركيبى.

٧- أن تلمس مبدأ التوافق في أسلوب المقابلة يحتاج إلى دقة نظر، وبصر نافذ؛ لأن تلاؤم المعاني وتوافقها التي نريد التعرف عليها ليست خيوطاً بارزة وألواناً فاقعة، وإنما هي رقائق شفيفة تلمحها القلوب، يفتح بها الله على أهل التقوى والإخلاص والبصيرة، فإذا أدركوها شعروا باللذة العميقة لهذا التوافق بين الأشياء.

٨- أن علماء التفسير هم أهل البلاغة التطبيقية الذين تنبهوا لهذا المسلك في القرآن وتذوقوا مزاياه، وإن دَلَّ على شيء فإنما يدل على علو شأنهم في تذوق البيان؛

لأن إدراك مستوى التأخي بين المعاني الذي يجعلها مؤتلفة متلاحمة مع تضادها في الظاهر مما يدق حتى يلطف على المتمرسين بهذا الشأن.

٩- أن مقابلة التوافق باب مفتوح للتذوق في النظم المعجز، بل وفي الشعر العربي ، ولهذا توصي الدراسة بمتابعة تذوق جمالياته ولطائفه في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي الأصيل، وتذوق أسرارهِ.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: الحوفي، (ط٢، الرياض: دار الرفاعي، بدوي طبانة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ابن المعتز، عبدالله، البديع، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ - ١٩٩٩م).
- ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (د:ط، تونس: الدار التونسية، د:ت).
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٢، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: التبيان في أقسام القرآن، (د:ط، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (د:ط، القاهرة: مطبعة المدني، د:ت).
- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي الدخيل الله. (ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ).
- الفوائد، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبدالله الكبير وآخرون، (د:ط، مصر: دار المعارف، د:ت).
- أبو ستيت، الشحات، دراسات منهجية في علم البديع، (ط١، القليوبية: دار خفاجي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- أبو موسى، محمد محمد،

- الإعجاز البلاغي، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).
- الشعر الجاهلي - دراسة في منازع الشعراء، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٨هـ).
- مراجعات في أصول الدرس البلاغي، (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- باطاهر، بن عيسى، فن المقابلة في القرآن الكريم، (ط١، عمان: دار عمار، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- الباقلائي، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر (ط٥، مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م).
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (د: ط١، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د: ت).
- بودوخة، مسعود، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- بن جعفر، قدامة، نقد الشعر، (ط١، القاهرة: المكتبات الأزهرية، ١٩٩٧م).
- بن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم واخيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عبد الحميد هندراوي (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- بن صفية، عبدالله، التقابل من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص، مجلة ثملات (العدد الأول)، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (٢٠١٥م).
- بن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، (د: ط١، الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د: ت).
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، (ط١، جدة: دار المدني، ١٤١٢هـ).

الجرجاني، علي بن عبدالعزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د:ط، مطبعة البابي الحلبي، د:ت).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

الحلوة، نوال، التقابل الدلالي دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء، مجلة علوم اللغة بمصر، العدد الثاني، المجلد التاسع، ٢٠٠٦ م.

خطاب، أسماء، بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف دراسة أسلوبية، (ط١)، القاهرة: دار النابغة، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).

دراز، محمد عبدالله، "النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم"، تقديم عبد العظيم المطعني، (ط١)، القاهرة: دار القلم، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

الدعدي، يوسف، بلاغة الحذو في تحليل النص الشعري عند الشيخ محمد أبو موسى مفهومه ومستوياته. مجلة علوم اللغات وآدابها، (جامعة أم القرى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م).

الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، (ط١)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م).

سعد، محمود توفيق، المعنى القرآني (معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة - رؤية منهجية ومقاربات تأويلية)، (ط١)، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م).

علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى، (ط١)، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م).

- السعدي، عبدالرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق (ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، (ط ١، القاهرة: شركة القدس، ت: د).
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (د: ط، بيروت: دار ابن كثير، دمشق: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبدالله التركي، (ط ١، الجيزة: دار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- الطرابلسي، محمد، خصائص الأسلوب في الشوقيات، (د: ط، تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٩١م).
- الطبي، حسين بن محمد، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تحقيق: هادي الهلالي (ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- عثمان، عبد الفتاح، دراسات في علم المعاني والبديع، (ط ١، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٤٠٢هـ).
- عز الدين، عماري، أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، رسالة تخصص (ماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م).
- العدواني، ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفي شرف، (د: ط، الكويت: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د: ت).
- العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، (د: ط، بيروت: دار الكتب العلمية،

د:ت).

علاًّم، عبدالواحد، البديع المصطلح والقيمة، (ط١)، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٩٢م).

العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، (ط١)، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).

علي، أحمد محمد، دراسات في علم البديع، (ط١)، مصر: مطبعة الأمانة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٣م).

العمار، عبدالعزيز، تقابل المعاني في سورة محمد، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٥، (١٤٣٣هـ).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (د:ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د:ت).

فيود، بسيوني، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، (ط٤)، القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق البردوني وأطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (د:ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م).

قرعان، فايز، التقابل والتماثل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية، (ط١)، الأردن: دار الكتب الحديثة، ٢٠٠٦م).

القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح خفاجي (ط٣)، القاهرة: المكتبة

الأزهرية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

القيرواني، ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد

الحميد (ط٥، بيروت: دار الجيل، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية، (د: ط ، بغداد: مطبعة المجمع العراقي،

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

النصر، منى، بلاغة النظم القرآني عند ابن القيم، (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيلية،

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م).

الهدهد، إبراهيم، اللف والنشر في الذكر الحكيم، (د: ط ، القاهرة، دار ركايب،

د: ت).

Bibliography

- Ibn al-Athīr, Naṣr Allāh ibn Muḥammad. "*al-Mathal al-sā'ir fī adab al-kātib wa-al-shā'ir*". investigated by: al-Hūfī and Badawī Ṭabānah. (2nd ed. Riyadh: Dār al-Rifā'ī, 1403 AH / 1983).
- Ibn al-Mu'tazz, 'Abdullāh. "*al-Badī'*". (1st ed. Beirut: Dār al-Jīl, 1410 AH / 1999).
- Ibn 'Ashūr, al-Ṭāhir. "*Tafsīr al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr*". (Tūnis: al-Dār al-Tūnisīyah).
- Ibn Fāris, Aḥmad. "*Ma'jam maqāyīs al-Lughah*". investigated by 'Abd al-Salām Hārūn. (2nd ed. Egypt: Maṭba'at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1399 AH / 1979).
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muḥammad ibn Abī Bakr.
- "*al-Tibyān fī aqṣām al-Qur'ān*". (Cairo: Dār al-Ṭibā'ah al-Muḥammadiyyah, 1388 AH / 1968).
 - "*Hādī al-arwāḥ ilā bilād al-afrāḥ*". (Cairo: Maṭba'at al-Madanī).
 - "*al-Ṣawā'iq al-murṣalah 'alā al-jahmīyah wa-al-mu'aṭṭilah*". investigated by 'Alī al-Dukhayl Allāh. (1st ed. Riyadh: Dār al-'Aṣimah, 1408 AH).
 - "*al-Fawā'id*". (2nd ed. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1393 AH / 1973).
- Ibn Kathīr. "*Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm*". (2nd ed. Beirut: Dār al-Ma'rifah, 1407 AH / 1987).
- Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. "*Lisān al-'Arab*". Investigated by 'Abd Allāh al-Kabīr et al. (Egypt: Dār al-Ma'ārif).
- Abū Sittī, al-Shihḥāt. "*Dirāsāt manhajīyah fī 'ilm al-Badī'*". (1st ed. al-Qalyoubiyah: Dār Khafājī, 1414 AH / 1994).
- Abū Mūsā, Muḥammad Muḥammad.
- "*al-I'jāz al-balāghī*". (1st ed. Cairo: Maktabat Wahbah, 1405 AH / 1984).
 - "*al-Shi'r al-jāhilī - dirāsah fī manāzi' al-shu'arā'*". (1st ed. Cairo: Maktabat Wahbah, 1428 AH).
 - "*Murāja'āt fī uṣūl al-dars al-balāghī*". (2nd ed. Cairo: Maktabat Wahbah, 1429 AH / 2008).
- Bā Ṭāhir, ibn 'Īsā. "*Fann al-muqābalah fī al-Qur'ān al-karīm*". (1st ed. Amman: Dār 'Ammār, 1420 AH / 2000).
- al-Bāqillānī, Muḥammad ibn al-Ṭayyib. "*I'jāz al-Qur'ān*".

- Investigated by al-Sayyid Ṣaqr. (5th ed. Egypt: Dār al-Ma‘ārif, 1997).
- al-Biqā‘ī, Burhān al-Dīn Ibrāhīm. “*Naẓm al-durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar*”. (Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī).
- Būdūkhah, Mas‘ūd. “*al-Uslūbīyah wa-khaṣā’iṣ al-lughah al-shi‘rīyah*”. (1st ed. Jordan: Ālam al-Kutub al-Ḥadīth, 1432 AH / 2011).
- Ibn Ja‘far, Qudāmah. “*Naqd al-shi‘r*”. (1st ed. Cairo: al-Maktabāt al-Azharīyah, 1997).
- Ibn Sīddah, ‘Alī ibn Ismā‘īl. “*al-Muḥkam wa-al-muḥīt al-a‘zam fī al-lughah*”. Investigated by ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1421 AH / 2000).
- Ibn Ṣafīyyah, ‘Abdullāh. “*al-Taqābul min balāghat al-jumlah ilā balāghat al-naṣṣ*”. *Tamathulāt journal*, issue 1, Muḥammad al-Bashīr al-Ibrāhīmī university, 2015.
- Ibn Munqidh, Usāmah. “*al-Badī‘ fī naqd al-shi‘r*”. Investigated by Aḥmad Badawī and Ḥāmid ‘Abd al-Majīd. (United Arab Republic: Ministry of Culture and National Guidance).
- al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir. “*Asrār al-balāghah*”. Investigated by Maḥmūd Shākir. (1st ed. Jeddah: Dār al-Madanī, 1412 AH).
- al-Jurjānī, ‘Alī ibn ‘Abd al-‘Azīz. “*al-Wasāṭah bayn al-Mutanabbī wa-khuṣūmih*”. Investigated by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (Maṭba‘at al-Bābī al-Ḥalabī).
- al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād. “*Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah*”. Investigated by Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār. (4th ed. Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1407 AH / 1987).
- al-Ḥulwah, Nawāl. “*al-Taqābul al-dilālī – dirāsah naẓarīyah taṭbīqīyah fī Sūrat al-Nisā’*”. *Journal of Linguistics*, Egypt, vol. 9, issue 2, 2006.
- Khiṭāb, Asmā’. “*Balāghat al-taqābul fī al-ḥadīth al-nabawī al-sharīf – dirāsah uslūbīyah*”. (1st ed. Cairo: Dār al-Nābiḡah, 1435 AH / 2014).
- Darāz, Muḥammad ‘Abdullāh. “*al-Naba’ al-‘Azīm – naẓarāt jadīdah fī al-Qur’ān al-Karīm*”. Foreward by ‘Abd al-‘Azīm al-Muṭ‘anī. (1st ed. Cairo: Dār al-Qalam, 1426 AH / 2005).
- al-Da’dā’ī, Yūsuf. “*Balāghat al-ḥadhw fī taḥlīl al-naṣṣ al-shi‘rī ‘inda al-shaykh Muḥammad Abū Mūsā – mafhūmuḥ wa-mustawayātuh*”. *Journal of Linguistics and Literature*, (Umm Al-Qura University, 1442 AH – 2021).

- al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muḥammad. “*al-Burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān*”. (1st ed. Cairo: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, ‘Isā al-Bābī al-Ḥalabī, 1376 AH / 1957).
- Sa’d, Maḥmūd Tawfīq.
- “*al-Ma‘nā al-Qur’ānī (ma‘ālim al-ṭarīq ilā fiqhīhi fī siyāq al-sūrah – ru’yah manhajīyah wa-muqārabāt ta’wīliyah)*”. (1st ed. Cairo: Maktabat Wahbah, 1442 AH / 2021).
 - “*‘Ilm al-badī‘ ‘inda al-shaykh Muḥammad Muḥammad Abū Mūsá*”. (1st ed. Cairo: Maktabat Wahbah, 1440 AH / 2019).
- al-Sa’dī, ‘Abd al-Raḥmān. “*Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Manān*”. Investigated by ‘Abd al-Raḥmān al-Luwayḥīq. (1st ed. Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1420 AH / 2000).
- al-Sakkākī, Abū Ya’qūb. “*Miftāḥ al-‘ulūm*”. (1st ed. Cairo: Sharikat al-Quds).
- al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. “*Fath al-Qadīr*”. (Beirut: Dār Ibn Kathīr; Damascus: Dār al-Kalim al-Ṭayyib, 1414 AH).
- al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. “*Jāmi‘ al-bayān fī tafsīr al-Qur’ān*”. Investigated by ‘Abdullāh al-Turkī. (1st ed. Jeezah: Dār Hajr, 1422 AH / 2001).
- al-Ṭarābulusī, Muḥammad. “*Khaṣā’iṣ al-uslūb fī al-Shawqiyyāt*”. (Tunisia: Manshūrāt al-Jāmi‘ah al-Tūnisīyah, 1991).
- al-Ṭayyibī, Ḥusayn ibn Muḥammad. “*al-Tibyān fī ‘ilm al-ma‘ānī wa-al-badī‘ wa-al-bayān*”. Investigated by Hādī al-Hilālī. (1st ed. Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1407 AH / 1987).
- ‘Uthmān, ‘Abd al-Fattāḥ. “*Dirāsāt fī ‘ilm al-ma‘ānī wa-al-badī‘*”. (1st ed. Cairo: Maktabat al-Shabāb, 1402 AH).
- ‘Izz al-Dīn, ‘Umārī. “*Uslūb al-taqābul fī al-rub‘ al-‘ākhīr min al-Qur’ān al-Karīm – dirāsah uslūbīyah*”. Master’s thesis, Hadj Lakhdar University of Batna, Faculty of Arts and Humanities, 1430 AH / 2010.
- Ibn Abī al-Iṣba‘ al-‘Adawānī. “*Tahrīr al-taḥbīr fī ṣinā‘at al-shi‘r wa-al-nathr wa-bayān i’jāz al-Qur’ān*”. Investigated by Ḥafnī Sharaf. (Kuwait: Lajnat Iḥyā’ al-Turāth al-Islāmī).
- al-‘Askarī, Abū Hilāl. “*Kitāb al-Ṣinā‘atayn*”. (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah).
- ‘Allām, ‘Abd al-Wāḥid. “*al-Badī‘ – al-muṣṭalaḥ wa-al-qīmah*”. (1st ed. Cairo: Maktabat al-Shabāb, 1992).

- al-‘Alawī, Yaḥyá ibn Ḥamzah. “*al-Ṭirāz al-mutaḍamman li-asrār al-balāghah wa-ḥaqā’iq al-i’jāz*”. (1st ed. Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 1423 AH).
- ‘Alī, Aḥmad Muḥammad. “*Dirāsāt fī ‘ilm al-badī’*”. (1st ed. Egypt: Maṭba‘at al-Amānah, 1406 AH / 1983).
- al-‘Ammār, ‘Abd al-‘Azīz. “*Taqābul al-ma‘ānī fī Sūrat Muḥammad*”. *Majallat al-‘Ulūm al-‘Arabīyah*, Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah, issue 25, 1433 AH.
- al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad. “*Kitāb al-‘Ain*”. Investigated by Maḥdī al-Makhzūmī and Ibrāhīm al-Sāmarā’ī. (Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl).
- Fayūd, Basyūnī. “*‘Ilm al-badī’ – dirāsah tārīkhīyah wa-fannīyah li-uṣūl al-balāghah wa-masā’il al-badī’*”. (4th ed. Cairo: Mu’assasat al-Mukhtār, 1436 AH / 2015).
- al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. “*al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān*”. Investigated by al-Baradūnī and Aṭfīsh. (2nd ed. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1384 AH / 1964).
- al-Qartājannī, Ḥāzim. “*Minhāj al-bulagha’ wa-sirāj al-udabā’*”. Investigated by Muḥammad al-Ḥabīb ibn al-Khūjjah. (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1981).
- Qur’ān, Fāyiz. “*al-Taḳābul wa-al-tamāthul fī al-Qur’ān al-karīm – dirāsah uslūbīyah*”. (1st ed. Jordan: Dār al-Kutub al-Ḥadīthah, 2006).
- al-Qazwīnī, al-Khaṭīb. “*al-Īdāḥ fī ‘ulūm al-balāghah*”. commentary of Khafājī. (3rd ed. Cairo: al-Maktabah al-Azharīyah, 1413 AH / 1993).
- Ibn Rashīq al-Qairawānī. “*al-‘Umdah fī maḥāsin al-shi‘r wa-naqdih*”. Investigated by Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd. (5th ed. Beirut: Dār al-Jīl, 1401 AH / 1981).
- Maṭlūb, Aḥmad. “*Mu‘jam al-muṣṭalahāt al-balāghīyah*”. (Baghdad: Maṭba‘at al-Majma‘ al-‘Irāqī, 1403 AH / 1983).
- al-Naṣr, Muná. “*Balāghat al-naẓm al-Qur’ānī ‘inda Ibn al-Qayyim*”. (1st ed. Riyadh: Dār Kunūz Ishbīliyah, 1442 AH / 2020).
- al-Hudhud, Ibrāhīm. “*al-Laff wa-al-nashr fī al-dhikr al-ḥakīm*”. (Cairo: Dār Rukābī).

حجاج الجائحة في الخطاب الديني مقاربة تداولية في خطب الحرمين الشريفين

Argumentation of the Pandemic in Religious
Discourse
A Pragmatic Approach in the Sermons of the Two
Holy Mosques

د. فوزي علي صويلح

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Fawziali2000@yahoo.com

اعتماد البحث A Research Approving		استلام البحث A Research Receiving
2025/03/23		2025/01/21
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-009		

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تقديم هذه المقاربة طبقاً لآراء شايم بيرلمان التي بشر بها مع لوسي تتيكا في مصنف الحجاج، واختصها باستراتيجية إقناعية، لها ما يسوغ فعلها التداولي وآفاقها البلاغية، غير أن الرهان الإشكالي الذي حفز هذا المسلك البحثي والمضي في دروبه هو التقنيات الحجاجية المؤثرة التي أسهمت في بناء خطب الحرمين الشريفين؛ بما يقنع الجمهور المسلم بالخطر في مشارق الأرض ومغاربها. وفي هذا السياق فإن السؤال الجوهرى الذي يخامر البحث من لوعة الحدث ومقامات الدهشة منوط بالصيغة الآتية: (ما الاستراتيجية الحجاجية التي حملتها خطب الحرمين لإقناع الجمهور المسلم بخطر الجائحة والوقاية منها؟ وما الأثر الذي تكشف عن فعالية هذه الاستراتيجية على مستوى الواقع المعيشي للإنسان ونظامه القيمي؟)

إن إثارة هذا التساؤل يزيد من حظ المدونة التي اختصت الجمهور بالخطاب على تنوعه واختلاف مشاربه واتساع الأرض التي يبلغها في أرجاء المعمورة، كما يعكس الأثر التواصلى ووسائله الإقناعية التي مدت أسبابها من خلال ثلاثة حجج جوهرية، (حجة العقبة، حجة السلطة، وحجة الصورة)، بوصفها الحجج المهيمنة، وتعكس خاصيات الحجاج ومقتضياته في خطب الحرمين، وبها كانت نتائجه التي ارتضاها البحث في الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: حجاج الجائحة، خطب الحرمين، الخطاب الديني، حجة السلطة، حجة القدوة.

Abstract

The study aims to present this analysis based on the perspectives of Chaim Perelman, as outlined in his work on argumentation, focusing on a persuasive strategy that has a justified pragmatic approach and rhetorical dimensions. The critical challenge that motivated this research path lies in the effective argumentative techniques that contributed to shaping the sermons of the Two Holy Mosques, which were employed by the preachers during and after the pandemic. These sermons aimed to clarify the religious perspective on the pandemic and the necessary actions to be taken in response to it, thereby persuading the global Muslim audience about the severity of the situation.

In this context, the core research question that arises from the intensity of the event and the moments of astonishment is formulated as follows: What argumentative strategy did the sermons of the Two Holy Mosques use to convince the Muslim audience of the dangers of the pandemic and the need for precautions? And what impact does the effectiveness of this strategy reveal on the lived reality and value system of individuals?

Raising this question enhances the relevance of the material targeted at a diverse audience across different backgrounds and regions of the world. It also reflects the communicative impact and persuasive methods used in the sermons of the Two Holy Mosques, and the results that the study finds acceptable in the conclusion.

Keywords: pandemic argumentation, sermons of the Two Holy Mosques, religious discourse, argument from authority, role model argument.

المقدمة

فرضت جائحة كورونا COVID-19 منذ انتشارها في مارس ٢٠٢٠م^(١) تحولات خطيرة في مسارات الحياة الإنسانية المختلفة، صحياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً، وعلمياً، إذ جعلت العالم بأسره في حالة ارتباك عظيم، مما عمت به البلوى وضجت به الشكوى من أمر هذا الوباء الذي أفسد الحياة الاجتماعية، وطعن رثته الاقتصادية، الأمر الذي استحق النظر والمقاربة في الخطاب الديني بوصفه الخطاب الموجه نحو المسلمين على سبيل الوعظ، وهو خطاب مركزي في الثقافة العربية والإسلامية، إذ يستمد حججته من الخطاب القرآني المؤسّس، ونصوص الحديث النبوي الشريف وأقوال العلماء . ومثلما يسعى الخطيب إلى سرد العبر من وراء الأحداث وبيان المسائل الشرعية والأحكام الفقهية؛ فإن الإنسان المسلم يدعن لهذا الخطاب؛ لأنه معني بسلامته ووجوده، إذ يستقيم به حاله، وتزداد بصيرته معرفة بما ينفعه ويضره.

ومن الرهانات التي آمن بها البحث واستوفى مقادير النظر في أبعادها ومناحيها البلاغية أن الاحتفاء بخطب الحرمين الشريفين هو احتفاء بالخطاب الديني النوعي

(١) فيروس كورونا COVID-19 أو فيروس كورونا ٢ يرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة، واكتشف في ديسمبر ٢٠١٩م في مدينة ووهان وسط الصين، وأطلق عليه اسم COVID-19 اختصاراً لـ (Coronavirus Disease 2019)، وقد صنفته منظمة الصحة العالمية في ١١ مارس ٢٠٢٠م جائحة عمت العالم، وتشير الدراسات المخبرية إلى أن مدة الحضانة تتراوح من ٥ إلى ١٤ يوماً أو أكثر، وأظهرت أنه يتناقل العدوى قبل ظهور الأعراض التي تشمل الحمى والسعال وضيق التنفس. ينظر: موقع منظمة الصحة العالمية، (مدينة جنيف/Geneva)، سويسرا، (<https://www.who.int/>)

الذي يحمل في طياته الكفايات الإقناعية اللازمة لإقناع الجمهور الكوني المسلم بخطر الجائحة، وما يتعلق بحياة البشر في أرجاء المعمورة. كما أن هذا الاحتفاء يعكس قدرة الوعظ على حماية البشر في هذه الأرض العربية والإسلامية، من التدهور الوجودي إنسانياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ومعرفياً. ومن المفيد في خطاب الوعظ الإشارة إلى أن فعله الحجاجي ينتصر للوعي الإنساني بمقاصده الشرعية نحو السلامة والاستقرار البشري الذي تتجلى أشكاله في الخطاب القرآني بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا﴾ النساء: ٦٦.

إن خطاب الوعظ - كما نصت عليه الآية الكريمة - يحمل في جوهره الخير في النتائج والتثبت في الأسباب؛ بوصفه خطاباً حجاجياً، يتوخى الإقناع، وينشد الأمن والسلامة الفكرية والبدنية، فضلاً عن حوار المعق وجهازه المعرفي البليغ، ومن لا يتفاعل مع هذا الخطاب يجد نفسه منبوذاً عن الحجاج، إذ لا يتحقق لهذه الفئة المنبوذة ما تنذر به من الشائعات، ولا يضمن لها النجاة من العقوبة، كما لا يكفل لها الوقاية من خطر الوباء، وعلى شاكلتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ النساء: ٦٣.

وعلى هذا المنوال فإن خطاب الوعظ يخلق سياقه العام لتمرير خطابه ويرفع منسوب نشاطه السياقي، باعتباره جزءاً من بلاغته الإقناعية، ولا يمكن إنجاز الفعل الإقناعي ما لم ينشأ التوافق الضمني بين الخطيب والجمهور، إذ "يتأسس الإقناع في خطاب الوعظ على علاقة تفاعلية تربط أطراف التواصل المختلفة فلا يمكن الحديث عن تواصل ناجح في هذا النمط من الخطابات بالاقتصاد فقط على المكونات النبوية النسقية لخطاب الرسالة الموجهة للمتلقي يرتكز نجاح العملية وفعاليتها بطبيعة

الانسجام الذي يربط المرسل الواعظ بالمتلقي الجمهور^(١)

وبناء عليه؛ أخذت الصورة المرضية لفيروس كورونا COVID-19 منذ انتشاره في ١١ مارس ٢٠٢٠م تتسع في مداها وتزيد رقعتها في أنحاء العالم، مما فرض تحولات خطيرة في الحياة الإنسانية، إذ مست الحاجة لإجراءات استثنائية تحمي الناس؛ فمضت المملكة العربية السعودية كغيرها من دول العالم بتطبيق إجراءات السلامة الصحية، ومنها إلزام المواطنين والمقيمين بلبس الكمامة، ومنع المصافحة، والصلاة في البيوت، والالتزام بالحجر المنزلي في حالة الإصابة، والتطعيم، وتحويل التعليم من القاعات الدراسية في المدارس والجامعات عن بعد، وغيرها من القيود التي تضمن للإنسان عافيته، وكل ذلك كان له الأثر البالغ في الحد من الإصابة وسرعة الانتشار، إذ وضع حدًا نسبيًا للصعود المتسارع في عدد الإصابات والوفيات.

وبالطبع لم تكن الإجراءات الاستثنائية وحدها كافية لولا الخطاب الوقائي الذي أخذ مساره في خطب الجمعة من الحرمين الشريفين؛ إذ واكبت الخطب الحالة النفسية للمصابين، وتضامنت في موجهاتها الإقناعية الثرية مع حالات الفقد التي عظمت آثارها لذوي المفقودين، مما يعزز فرضيتنا بأن الحجاج كان جزءًا أساسيًا في بنيتها اللغوية، و عنصرًا جوهريًا في تكوين خطابها الإقناعي، وبأسبابها تنبه خطباء الحرمين لهذا الخطر، فتقاربت لديهم صورة الجائحة بخطرها، والدور التاريخي الذي قامت به المملكة تجاه شعبها^(٢)، يقول الشيخ صالح بن حميد: "فإذا كانت الدولة -رعاها

(١) جبار، سعيد، بلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني إعداد وتنسيق محمد مشبال، (ط١)، الرباط - المغرب، دار الأمان، ١٤٣٠-٢٠١٥م)، ص ٢٢٢.

(٢) منذ أعلنت وزارة الصحة السعودية أول إصابة بفيروس كورونا في ٢ مارس ٢٠٢٠م اتخذت

=

المملكة التدابير الصحية الوقائية والنفسية اللازمة لمواجهة تفشي الفيروس والحد من انتشاره، إذ تشكلت الفرق الطبية والأمنية واللجان اللازمة، وظلت في انعقاد دائم، مثل مركز القيادة والتحكم، واللجنة الوطنية الاستشارية للأمراض المعدية، اللجنة الوطنية لمكافحة عدوى المنشآت الصحية، ولجان التموين الطبي، ولجان الطوارئ في المستشفيات والمراكز الصحية، وبدأ العمل الأمني في مراقبة القادمين من الخارج في منافذ الدخول، واتخذت القرارات الاستثنائية، مثل إغلاق المدارس في ٩ مارس ٢٠٢٠م، وتعليق السفريات الخارجية ذهاباً وإياباً في ١٥ مارس ٢٠٢٠م، وتعليق السفريات الداخلية في ٢٠ مارس ٢٠٢٠م، وتعليق الصلوات في المساجد، بما فيها الصلاة في الحرمين الشريفين في ٢٠ مارس ٢٠٢٠م، ومنع التجوال الجزئي ثم الكامل في جميع مناطق المملكة في نهاية مارس ثم بداية أبريل كل ذلك بالتعاون والتزامن مع الجهات الحكومية ذات العلاقة. استخدمت المملكة التكنولوجيا لتتبع الحالات وتوفير الرعاية الصحية عبر تطبيقات مثل "توكلنا"، الذي ساهم في مراقبة الوضع الصحي للأفراد وتنظيم الحصول على اللقاحات، كما أدركت المملكة الأثر النفسي الكبير الذي تسببت به الجائحة، ولذلك قامت بإطلاق مبادرات لدعم الصحة النفسية، من بينها توفير خدمات "الرعاية النفسية عن بُعد (TeleMental Health)" هذا النظام مكن الأفراد من الحصول على استشارات نفسية عبر الهاتف أو الفيديو للتعامل مع القلق والاكتئاب الناتجين عن الجائحة، أطلقت وزارة الصحة مبادرات مثل برنامج "معكم" الذي ساعد في تقديم الدعم النفسي للأشخاص الذين يعانون من تأثيرات الجائحة، خصوصاً في فترات العزل والحجر الصحي، مما ساهم في تقليل الضغط النفسي وتعزيز قدرة المجتمع على التأقلم مع التحديات. كما رافق هذه التدابير خطاباً توعوياً عبر الرسائل النصية التي أرسلتها وزارة الصحة عبر الجوال وشبكات التواصل الاجتماعي، إذ بلغ عدد رسائل التوعية بفايروس كورونا قرابة ١٨٥ رسالة في المدة من ١٣ فبراير ٢٠٢٠م حتى ٢٦ أبريل ٢٠٢١م. ينظر: الحقوي، أحمد بن محمد، وآخرون، التدابير الصحية في مواجهة جائحة كورونا (COVID-19 د.ط. الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، جامعة نايف

=

الله- تقوم بكل هذه الإجراءات والاحترازمات والاحتياطات، فلماذا يأتي مَنْ يتهاون ويفتح بيته مُشرعاً ليجمع الناس في مناسبة وفي غير مناسبة، وكيف يتساهل بمن يشعر بأعراض المرض، ثم يُخالط الناس من غير مبالاة ولا إحساس؟ فالأمرُ جدٌ وليس بهزل، وكُلُّنا مسؤولٌ؛ فيجب العملُ والتعاملُ بوعي ونُصح، والأخذُ على يد الجاهل والسفيه، في تعاون من غير تهاون، وهل يَهُونُ على المرء أن يرى المسجد الحرام من غير مُعتمِرِينَ، والكعبة المشرفة من غير طائفين، والصفاء والمروة من غير ساعين، والروضة الشريفة من غير مُصلين، والقبر الشريف من غير زائرين ولا مُسلمين، أم يهون عليه أن تُعلّق الجمُوع والجماعات، وأن تُعلّق المدارس والجامعات، وتطفأ البهجة والأفراح بإقفال القاعات، وتتعطل وتتعلل مصالح الناس؛ ومن ثم تكون الخسائر الفادحة في الأموال وفي المكاسب، بل لقد رأيتم كيف تغلق الدول حدودها، فلا عائدون ولا مغادرون"^(١)

إن ارتقاء الخطاب الديني بهذا المستوى من الوعظ وإدراج صورة الدولة في هذا الرهان يلبي حاجة الإنسان ويعزز ثقته بدولته في الظروف الاستثنائية، للإجابة عن

=

العربية للعلوم الأمنية، مج ٣٦، ع ٢٤، يوليو ٢٠٢٠م، الصفحات ٣٣٨-٣٤٣)؛ ينظر: القحيز، د.ريم بنت زيد بن عبد الرحمن، بلاغة الاستفهام في خطاب التوعية بجائحة كورونا، الرسائل النصية القصيرة لوزارة الصحة السعودية أمودجًا، (د.ط. الرياض، المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، مج ٧، ع ٢٤، مايو ٢٠٢٢م، الصفحات: ٥٨٧-٦٢١)

(١) حميد، الشيخ صالح، التوبة والالتجاء إلى الله في زمن البلاء، (د. ط. خطبة الجمعة في المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ الموافق: ٢٦ / ٢ / ٢٠٢١م)

الأسئلة القلقة التي تساوره، والبحث عن العلل التي تختمر في ذهنه، ذلك لأن الإنسان معني بالسؤال وقادر على تقديم الإجابات المرضية التي تعالج واقعه، فضلاً عن قدرته على تشخيص واقعه، وتحديد العلل التي تصيبه، إيماناً بما يصلح بدنه وما يفسد روحه، فهو على هذا الحال ينظر على المال، فيتحرى بذلك الصلاح والرشاد؛ جلباً للمصالح ودرءاً للمفاسد، على أن "التأثير نتيجة طبيعية للوعظ المسترشد بالوحي، ينتج عن المضامين الشرعية القائمة على الترغيب والترهيب، وعن البيان البلاغي المتميز وما عدا ذاك من الأساليب والمضامين غير المشروعة فهو خروج بالوعظ عن سبيله القويم"^(١)

من أجل ذلك؛ سينشغل البحث بمقاربة أربع خطب متفرقة، أُلقيت من الحرمين في أزمنة متفرقة من حصول الجائحة، وفيها ما يكفي لإنجاز البحث وتحقيق نتائجه، وهي:

١. طرق الوقاية من كورونا: الشيخ صلاح البدير من المسجد النبوي، خطبة الجمعة في المسجد النبوي، بتاريخ: ١١ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠ م.
٢. نصائح وإرشادات لاتقاء الوباء، الشيخ د. عبد الله عواد الجهني، خطبة الجمعة من المسجد الحرام، ١١ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠ م.
٣. التوبة والالتجاء إلى الله في زمن البلاء، الشيخ صالح بن حميد، خطبة الجمعة في المسجد الحرام بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ الموافق: ٢٦ / ٢ / ٢٠٢١ م.
٤. بشارة وتحذير لنتجو من بإذن الله تعالى من الجائحة، الشيخ سعود بن إبراهيم

(١) السفياي، عبد الله بن رفود، الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، (ط ١، بيروت - لبنان، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٤ م)، ص ٩٣.

الشريم، المسجد الحرام، بتاريخ: ١٢ / ١ / ١٤٤٣ هـ الموافق: ٢٠ / ٨ / ٢٠٢١ م.

إن ما سبق ذكره، يقرب الصورة المنهجية ويرسم تحدياتها للمضي في هذا البحث، الذي يجرنا الحديث فيه إلى استكشاف ملامح الوعي الحجاجي للجائحة في خطب الحرمين بوصفها خطاباً دينياً، يتسم بطابع الوعظ، وهذا الطابع هو المناسب كما يبدو لمعالجة الظاهرة الطارئة، والوقوف بتأمل عميق على خارطة الداء في الخطاب الديني، وهي طبيعة المقاصد وطرق القول التي تحسم الخلاف وتحل الإشكالات حول إدراك الخطر والارتقاء بحياتنا في ضوء تعاليم الدين وأدبيات العلم الحديث. ذلك أن المخابر العلمية التي اكتشفت الوباء وتكفلت بتشخيصه قد أسعفتنا في تشخيص طبيعة التفكير العلمي، وتحديد مسارات التفاعل مع الحدث، وبأسبابه التي تفاعلت معه الشعوب والبلدان، ومنها المملكة العربية السعودية التي حملت الهم الكبير وبسطت كل إمكاناتها للخروج من مأزق الإصابة والموت المحقق.

وعلى أية حال فإن ردود أفعال الناس تجاه الجائحة كانت متباينة بين مصدق ومرتاب، وبين مفزوع وساخر، إذ لم تكن كورونا منذ ظهورها موضوعاً علمياً خالصاً، بل كانت موضوع جدل واسع بين الحكومات وشعوبها، وكذلك بين أفراد الشعب نفسه، بل في داخل الأسرة، وفي مواقع التواصل الاجتماعي، وفي الإعلام، وفي غيرها من المؤسسات؛ لذلك "استخدم الإنسان المفزوع بالجائحة، السخرية أداة بلاغية حجاجية لمساءلة عدة أوضاع غريبة أحدثتها كورونا، مساءلة تبرز احتجاجه، وارتياحه، واتهامه، وعدم رضاه عن الواقع الذي يجري أمام عينيه"^(١)، بمعنى أن الريبة

(١) مشبال، محمد، خطاب الجائحة شاهداً حجاجياً، (د. د. ط. الرياض - المملكة العربية السعودية، المجلد السابع، العدد ٢، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، رجب ١٤٤٣ هـ - فبراير ٢٠٢٢ م، ٢٤٧-٢٦٦)، ص ٢٦١.

حاصلة في طبيعة التشخيص والدهشة التي أصابت العالم من هذا المتغير الصحي، ومن ثم فقد أفرزت الجائحة ثلاثة اتجاهات في الحكم عليها، الأول يرى جائحة كورونا حاصلة وواقعة بفعل الظروف التي عاشها الناس والإصابات التي تزيد والإحصاءات التي تتعاضد كل يوم؛ لكنه خائف أو يخشى من المستقبل، ومن التدهور الصحي الذي قد ينذر بكارثة مع زيادة الانتشار، ولعله "يتعلق بالسؤال عن قدرة بلداننا العربية الهشة على التصدي لهذا الوباء؟ وعن جدوى الإجراءات الصحية المتخذة في بلدان ضعيفة غير قادرة على تعويض مواطنيها مما يترتب عليها من أضرار اقتصادية تنذر بكارثة اجتماعية؟"^(١) وآخر مراتب، يشكك في حصولها، أو يراها مفتعلة، ولا أسباب لها غير ذلك، إذ "يتعلق بالسؤال عن مصدر الوباء؟ هل هو طبيعي انتقل من الحيوان؟ أم صناعي تسرب من أحد المختبرات؟ وهل انتشاره في العالم ظاهرة طبيعية؟ أم إنه فعل مقصود ينطوي على أغراض تجارية واقتصادية ومرتبطة بالصراع حول الهيمنة على هذا العالم؟"^(٢) وثالث لا يفقه من أمرها شيئاً وهم العامة من الناس، سوى الموافقة تارة والتشكيك تارة أخرى، والرأي في هذا الاتجاه "يتعلق برفض اللقاح والتشكيك في جدواه؟ حيث تعمل السخرية على إظهار اللقاح بشكل هزلي وكاريكاتوري"^(٣)

وخلافاً لما ذكره محمد مشبال وتقاربت الصورة لديه بشأن هشاشة الخدمة الصحية أو ضعف الاستجابة لدرء الخطر في بعض دول العالم الثالث إلا أن الواقع في المملكة العربية السعودية كان مختلفاً جداً، إذ استحققت الشهادة من منظمة الصحة

(١) المرجع نفسه، ص ٢٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٦١.

العالمية وغيرها من المنظمات الدولية بأن إجراءاتها وقوانينها سدت الفجوة وقوضت مساحة الانتشار، وقللت العدوى وخففت من وطأة الفيروس، وصارت بذلك من أهم الدول في العالم التي هيأت كل الظروف الملائمة لاستقرار الوضع الصحي ومكافحة الفيروس.

تلك هي المشكلة المتخصصة في الخطاب الصحي الوقائي غير أن البحث يحاول الكشف عن تفاصيلها في ضوء استراتيجية الخطاب الحجاجي عسى أن نتبين أمرها بأسئلة قادرة على فحص الخطب وتقريب المسافة بين الخطيب والجمهور المسلم، وحالة الإقناع النوعية التي استحدثت النظر في منطقيتها وموجهاتها التداولية. من ثم، فإن ما يعيننا هو الإجابة عن هذا السؤال المركب:

(ما الاستراتيجية الحجاجية التي حملتها خطب الحرمين لإقناع الجمهور المسلم بخطر الجائحة والوقاية منها؟ أو ما الأثر الديني أو البلاغي الذي تكشف عنه فعالية هذه الاستراتيجية على مستوى الواقع المعيشي للإنسان ونظامه القيمي؟).

إن بناء السؤال بهذه الصيغة يعزز أهمية البحث، ويفتح المقاربة على هدفها من حيث منطوق السؤال نفسه، كما يزيد من حظ المنهج التداولي في معالجة الظاهرة، وإيجاد المنافذ الناجعة لذلك، الأمر الذي يجعل التفكير العلمي بالمشكلة والأهمية والأهداف تفكيراً منظماً، واعياً بالمقاصد والآثار، ذلك أن مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين قد أسهم في تلقي الخطاب الديني بوعي، وحقق الاستجابة الفاعلة بين المتابعين والمشاهدين عبر القنوات الفضائية، وشبكات التواصل الاجتماعي بشغف.

وعلى هذا الأساس انتهى الباحث إلى قناعة بأن البحث في حجاجية الجائحة له ما يسوغ فعله، إذ يمنح القارئ فرصة أخرى للتعرف عليها من زاوية جديدة طبقاً لاستراتيجية إقناعية، يستضيء فيها البلاغي بالفكري، ويذهب في منتهاه إلى نتائج ترشد طرقي الخطاب إلى القيمة الراسخة لعلاقة اللغة بالمجتمع ومستواها الوظيفي لإغناء الفكري

- البشري بما يلزم من المعرفة أو يؤثر في أحاسيسه وعواطفه ورغباته الإنسانية.
- ولا تغب عنا الإشارة إلى أن البحث يخطط مساره بمنأى عن الدراسات السابقة، التي مدت أسبابها لتعزيز قبوله، إذ لم تشتغل بخطب الحرمين، ولم تتبين ملامح الخطاب الديني عامة، وظلت في دائرة خارجة عن اهتمامنا، وأهمها على سبيل المثال لا الحصر:
١. عادل، دعاء، وآخرون، اتجاهات الجمهور نحو جهود التوعية بفيروس كورونا COVID-19 في منطقة جازان، مجلة البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، يوليو ٢٠٢٠م، الصفحات: ٢٧١٣-٢٧٥٤.
٢. الحقوى، أحمد بن محمد، وآخرون، التدابير الصحية في مواجهة جائحة كورونا COVID-19 المملكة العربية السعودية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مج ٣٦، ٢٤، يوليو ٢٠٢٠م، الصفحات ٣٣٨-٣٤٣.
٣. ابن جنيد، محمد بن يحيى بن محمود، وآخرون، كورونا: التأثيرات النفسية والاجتماعية، مركز البحوث التواصل المعرفي، المجلد ٢/ العدد ٢، ٣، سبتمبر ٢٠٢٠م، الصفحات: ١٠٨-١١٧.
٤. كردي، د. زينب بنت عبد اللطيف، خطاب الإقناع في تغريدات وزارة الصحة السعودية في جائحة كورونا، مؤتمر البلاغة وخطابات الحياة اليومية، مراكش، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
٥. مشبال، محمد، خطاب الجائحة شاهداً حجاجياً، مجلة العلوم الشرعية واللغوية، مج ٧، ٢٢٤، ٢٠٢٢م، ٢٤٧-٢٦٦.
٦. القحيز، د. ريم بنت زيد بن عبد الرحمن، بلاغة الاستفهام في خطاب التوعية بجائحة كورونا، الرسائل النصية القصيرة لوزارة الصحة السعودية أنموذجاً، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد

- الرحمن، مج ٧، ع ٢٤، مايو ٢٠٢٢م، الصفحات: ٥٨٧ - ٦٢١.
٧. الرفاعي، د. نور بنت عويض، بلاغة التشكيل اللساني والبصري في أزمة كورونا نماذج مختارة من الشعارات والصور التوعوية لوزارة الصحة السعودية، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة دمار، مج ٥، ع ٣، ٢٠٢٣م.
٨. المطيري، لطيفة عواضة، التطور الدلالي للألفاظ خلال جائحة كورونا: تغريدات وزارة الصحة السعودية أمودجًا، مجلة اللغة العربية وآدابها، المركز القومي للبحوث غزة، فلسطين، مج ٢، ع ٤، سبتمبر ٢٠٢٣م، الصفحات ٤٢ - ٥٣.

ومع إجلالنا لهذه الدراسات، وما حملت من معرفة، إلا أنها سلكت سبيلاً مغايراً لهذا البحث من حيث المدونة والإجراء، إذ خطت مسارها باتجاهات مختلفة، في موضوعاتها ومسالكها المنهجية، بينما اتخذ بحثنا من نظرية الحجاج وخطب الحرمين الشريفين استراتيجية بلاغية، لها أسبابها التداولية وحججها الإقناعية.

التمهيد

إن ما تقدم يمنحنا النظر في المصطلح المركب (حجاج الجائحة) طبقاً لهذا البعد التداولي، إذ يعطينا صيغة جامعة لمفهوم الجائحة أولاً، التي تُعرف بأنها انتشار غير محدود لمرض معدٍ بين السكان في عدة دول أو قارات، ويتسم هذا الانتشار بالسرعة في التفشي، وانتقال الداء والإصابة به بما يفوق قدرة النظام الصحي المحلي على احتواء المرض في لحظته؛ مما يستدعي التدخل العاجل من المنظومات الصحية في الحكومات للحد من تفشيه وتقليل الخسائر في الأرواح والأموال الاقتصادية^(١)

أما الحجاج الذي يهمننا فهو استراتيجية بلاغية تتجاوز الصيغة الاصطلاحية للجهاز المفاهيمي لأي مصطلح إذ تتداخل فيها مجموعة من التقنيات الأسلوبية

(١) ينظر: لاست، جون إم. مبادئ علم الأوبئة، (ط٧، بريطانيا، مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠١٢م)، ط٧، مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠١٢، ص١٠٥؛ وللجائحة أنواع ومتحورات، أهمها: الجائحات الفيروسية، ومنها: جائحة الأنفلونزا الإسبانية ١٩١٨م، التي تسببت في وفاة ما يقدر بـ ٥٠ مليون نسمة في العالم، وجائحة فيروس نقص المناعة البشرية (HIV/AIDS) التي أصابت الملايين في أوائل الثمانينات ولا يزال، وجائحة (COVID-19 (2020 التي أعلنت عنها منظمة الصحة العالمية وصنفتها كأشوأ جائحة في القرن الحادي والعشرين، وكانت سبباً أيضاً في وفاة الملايين، وعطلت الحياة في بلدان العالم، وأربكت اقتصاده. والجائحات البكتيرية، وأهمها: جائحة الطاعون الأسود التي اجتاحت أوروبا في القرن الرابع عشر وتسببت في وفاة ٧٥-٢٠٠ مليون شخص، وجائحة الكوليرا التي ظهرت في القرن التاسع عشر، والجائحات الطفيلية التي ظهرت هنا أو هناك وأرهقت الشعوب وقتئذٍ، وكانت سبباً في وفاة الملايين من البشر. ينظر: (2006)، Cohen، J. ، The ، Slack، P. (1988). ؛ Global HIV/AIDS Pandemic. The Lancet، 368(9534)، 89. The Impact of Plague in Tudor and Stuart England. Oxford University Press، Sachs، J.، & Malaney، P. (2002). The Economic and Social Burden of ؛ ٤٥ ص. Malaria. Nature، 415، 673-674.

وتتخرج في إطار سردي يحمل المتلقي على التفاعل والتواصل، وكأن "الحجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة. والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يعتدها إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالاته"^(١).

والتسليم بهذا التصور الوظيفي للحجاج لدى شايم بيرلمان وتيتكا يمنحه القبول، ويجعل منه مقارنة بلاغية في الخطابة لتصحيح مسار العلاقة الإنسانية بين المتخاطبين، إذ تكمن قيمته العلمية في "دراسة الأدوات الخطابية التي تسمح ببعث أو زيادة استمالة الأذهان إلى الدعاوي التي تقدّم للموافقة عليها"^(٢)؛ بمعنى أن "الخطابة تلتبس الإقناع بواسطة الخطاب"^(٣) وإن أي حجاج بهذا المنطق الإقناعي يستهدف استمالة الأذهان، واختبار سلامة التلقي وصحة الفهم، وبفعل هذا يقتضي وجود اتصال ذهني، ولا يتحقق الاتصال الذهني إلا بوجود لغة مشتركة، أي تقنية تسمح بالتواصل^(٤) ودليل ذلك "أن الإنسان لا يفكر أو يتفلسف أو يكتب أدبًا أو غيره بمعزل عن العالم. إنه في تواصل مستمر وفعل مع محيطه الخارجي. وما يحتويه من مؤثرات ومحفزات وإكراهات، أو ما يطرحه من أسئلة وإشكالات وافتراضات"^(٥).

(١) ينظر: صولة، د. عبد الله، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، (ط١)، تونس، مسكيلاني للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ص ١٨.

(٢) بيرلمان، شايم، تيتكا، لوسي أولبريت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ترجمه عن الفرنسية وقدم له د. محمد الولي، (ط١)، بيروت - لبنان، دار الكتاب الجديد، ٢٠٢٣م)، ص ٤٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٥) الولي، د. محمد، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، (ط١)، الكويت، عالم

كما أن هذا التصور يفتح المجال حول علاقات كثيرة، تعكس في جوهرها طبيعة التفكير المنظم والمسؤول عن حل المشكلة مع الآخر، خاصة حين يكون المستمع أو الجمهور مخاطبًا كونيًا، يتجاوز القطر الواحد، وليس الأمر أقل من هذه الوظيفة، إذ "إن حجاجًا يتوجه إلى مستمع كوني ينبغي أن يحدث اقتناع القارئ بالطابع القسري للدلائل المقدمة، وبدهتها وصلاحياتها غير الزمنية والمطلقة المستقلة عن العوارض المحلية والتاريخية"^(١)

ومما يتمم الفكرة ويضعها في نصابها الصحيح، ويعكس نجاعة المصطلح ويقرب أبعاده أن "الخطابة هي فن الإقناع بشأن أمور تخص الإنسان، وتقع في دائرة كفاءته للإدلاء بحكم ما أو تقويم أو باقتراح سلوك أو فعل؛ وهي الكفاءة التي لا يتسنى للعلم أو التقنية أن ينوبا عنها في هذه الأمور الإنسانية. الأمر لا يتعلق بخطاب صادق لإحداث الإقناع، بل يتعلق بالإقناع اعتمادًا على حجج تقوم على مقدمات مقبولة؛ صحيح أن المقدمات الصادقة يمكن أن تستخدم في الحجاج إلا أن ما يجعلها فعالة في الحجاج هو كونها مقبولة عند المخاطبين"^(٢).

بهذا المعطى؛ يتنزل مفهوم حجاج الجائحة في هذا البحث ضمن بلاغة الحجاج، ونعني به مجموعة الحجج البلاغية التي تجعل من حجاج الجائحة في خطب الحرمين خطابًا إقناعيًا، يؤدي بالجمهور المسلم إلى التسليم بالأحكام والإجراءات الوقائية التي تحمي الإنسان من الإصابة والعدوى. وانطلاقًا من هذا التصور الإجرائي ألفينا ثلاث حجج تهيمن على خطاب الجائحة، وتعكس صورتها التداولية

=

الفكر، العدد (٢) المجلد (٤٠) أكتوبر - ديسمبر ٢٠١١ م، ص ٣٤.

(١) بيرلمان، شايم، تيتكا، لوسي أولبريت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة، ص ١٢١).

(٢) المرجع نفسه، ص ٩.

في الخطب، وهي: (حجة العقابة، حجة السلطة، وحجة الصورة)، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

أولاً: حجة العقابة:

العقابة نتيجة طبيعية لتقدير العمل أو تقييم الفعل الإنساني ونشاطه في الحياة، إذ لكل عمل منجز بواعثه التي سوغت فعله وعواقبه التي أثمرت هذا الفعل سلبيًا أم إيجابًا، كما أن النواميس الكونية في مسيرة الأفعال الإنسانية تقضي بأن من يتبع سبيل الصواب تحسن خاتمته وتحمد عاقبته، ومن يخالف نصائح العلماء والعقلاء وما يجري في تجاربهم من سنن التعايش السلمي تسوء خاتمته ولا تحمد عاقبته. من هنا فإن مصير الإنسان وما تقول إليه أفعاله مرهونة بصلاح العمل أو فساد: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾﴾^(١) فصلت: ٤٦، ذلك أن المصير الذي يؤول إليه حال المكلفين، والفعل الذي يستحيل في التفكير إلى صيرورة حجاجية يجعل الإنسان في رهان عظيم أمام الأحداث، ويضعه أمام حزمة من الغايات والأهداف التي تتحقق في إطار المكاسب والخسائر.

والنظر إلى العقابة بوصفها حجة بلاغية يقوي شوكة ما نتناوله في إطار نظريات الحجاج المعاصرة، إذ تندرج هذه الحجة ضمن (حجج التعاقب)^(١)، التي أخذت لدى بيرلمان طابعًا منطقيًا، تقوم على الربط السببي بين أسباب الظواهر ونتائجها، أي "وصل ظاهرة ما بنتائجها أو بأسبابها؛ فالحجاج قد يعتمد في حجاجه على ذكر السبب الذي كان وراء الفعل أو الموقف أو الدعوى التي يروم إيقاع التصديق بها، وقد يعتمد على ذكر النتيجة التي آلت أو قد تؤول إليها هذه الدعوى أو الموقف أو

(١) ينظر: مشبال، د. محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، (ط١)، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)، ص ١٥٨.

الفعل؛ فربط الفعل موضوع الحجاج بسبب ما، ينطوي من جهة على إضفاء المعقولية على الأفعال الإنسانية وإثبات أن الإنسان لا يرتكب فعلاً من دون سبب يفسره^(١)، وتمثل (حجة الاتجاه) بطرفيها (الانتشار) و(العدوى) إحدى المرجعيات السببية التي تترابط بأسباب الأدلة وسلسلة الشواهد الواقعية التي تثير في النفوس لواعج الوجدان ومسالك الرضا بطبيعة الحجة، وأساليب إقناعها، على أن المقصود بالاتجاه -بحسب بيرلمان- هو إثارة الانتباه والتحذير من المضي أو المسلك في اتجاه يفضي إلى نتيجة سيئة، لذلك تنزع بواسطة تحليلات طبيعية واجتماعية إلى الانتقال بالتدرج وإلى التكاثر حتى لكأن سبل هذا النمو نفسه مؤذية، فهي حجة تقوم على الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، أو تجمع بينهما في آن، فيتوخى بها المتكلم حالة الانزلاق التي قد تؤدي بالمستمع إلى الهلاك، وبمقتضى مبدأ السلامة والتطرف في اتخاذ القرارات، تنشأ حالة الوعي بالحجاج وأسبابه^(٢). وتظل هذه الحجة وغيرها موجهة إلى "جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة، والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات"^(٣)، وجوهر الأمر في هذا السياق أن "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدى السامعين بشكل سعتهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهئين للقيام بذلك في

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٢) بيرلمان، شايم، تيتكا، لوسي أولبريت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ص ٤٣٦ - ٤٣٨.

(٣) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، (ط٢)، بيروت - لبنان، دار لفارابي، ٢٠٠٧م، ص ١٨.

إن هذه الأدلة أو ما يتصل بحجة الاتجاه والعاقبة تكتسب خاصياتها الإقناعية من حالة الاستقراء المنطقي التي تخضع لها في مواقيت معينة من التمثيل الحجاجي، وبالتأكيد فإن مناقشة مثل هذه الحجج أو التفطن لها في خطب الحرمين الشريفين يلقي بظلاله على الخطاب الشرعي الذي يزداد بالمنطق قوة وتأثيراً، ذلك أن خطر الجائحة التي أصابت الناس بالفرع في بقاع الدنيا وأفسدت حياتهم ومعاشهم تستحق هذا الاستنفار من المؤسسة الدينية، والمؤسسات الوطنية الأخرى سواء في المملكة العربية السعودية أو في دول أخرى من العالم الإسلامي، لذلك حملت الخطب منطقتها المؤيد بالشواهد والأدلة الشرعية كما هو بادٍ في خطبة الشيخ صلاح البدير في المسجد النبوي، إذ وجه نصائحه للجُمهور الكوني المسلم في الأقطار الإسلامية على سبيل التحذير من التنازل عن الإجراءات الاحترازية التي فرضتها المؤسسات الحكومية واستلهمتها من وصايا العلم، وما نصت عليها الأحاديث الشريفة بقوله: "أيها المسلمون: اتقوا مضارَّ العلل ومواطن الوباء، فقد قال رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم-: "ومن يتق الشر يُوقه" (أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-)، وله شواهد، وخَمَرُوا الوجه عند العطاس والسعال، وغطُّوه بالمناديل ونحوها؛ لئلا يؤذي أحدكم جليسه بالتَّفَاثَة التي تخرُج من فمه أو أنفه، أو بالميكروبات التي تنتشر في محيط العطسة أو السُّعْلَة؛ لأن العدوى قد تنتقل - بأمر الله - تعالى - بواسطة استنشاق الرذاذ الملوَّث في الهواء، والفضلة المنتشرة للشخص المصاب، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا عطَسَ أحدكم فليضع كَفَّيه على وجهه، وليخَفَضْ

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧.

صوته" (أخرجه الحاكم)، واغسلوا الأيدي قبل الطعام وبعده، وبعد قضاء الحاجة، وبعد ملامسة مَنْ تُخشى العدوى بملامسته، وكلما أصاب اليدين أذى من عرق أو وسخ أو قدر، فعن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يأكل أو يشرب -أي: وهو جُنُب- غسل يديه ثم يأكل أو يشرب" (أخرجه النسائي)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ بات وفي يده غَمَرٌ ولم يغسله فأصابه شيءٌ فلا يلومنَّ إلا نفسه" (أخرجه أحمد)، والغَمَر: هو ريح الطعام وأثر زهومته، فرمما قصدته الهوام وذوات السموم وهو نائم فأذته بسبب ذلك. أيها المسلمون: والاحتجاب عَمَّنْ داؤه يُعدي -عادةً- لا حرج فيه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "وَفَرَّ من المجذوم كما تَفَرُّ من الأسد" (أخرجه البخاري)، وعن الشريد بن سويد الثقفي -رضي الله عنه- قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنا قد بايعناك فارجع" (أخرجه مسلم)، فلم يبايعه -صلى الله عليه وسلم- مصافحةً ولا مُواجهةً؛ لأنَّ مخالطة المجذوم من أسباب العدوى عادةً، وذهب المحققون من أهل العلم أن الجذمي إذا كثروا فإنهم يَمْنَعُونَ من المساجد والجامع؛ حتى لا تسري العدوى وتنتشر، قال بعض أهل العلم في الجذمي: "فإذا كَثُرُوا رأيتُ أن يتخذوا لأنفسهم موضعًا، كما صُنِعَ بمرضى مكة"، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يُورَدَنَّ مُمْرَضٌ على مُصْحٍ"، والمُمرَضُ هو الذي له إِبِلٌ مريض، والمصح مَنْ له إِبِلٌ صحاح؛ فهى صاحب الإبل المَرِيضة أن يوردها على الإبل الصحيحة؛ اتقاء للعدوى واحترازا من الأدواء والوباء، وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- من وقَعَ الطاعون ببلدٍ وليس فيه ألاَّ يَقْدَم عليه، وإن كان فيه ألاَّ يخرج فرارًا منه، عن

أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على مَنْ كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدّموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" (متفق عليه) ^(١)

هذا السرد للنصوص والشواهد التي استلهمها الشيخ البدير من الوصايا النبوية تعكس الحجج البالغة من أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقياساتها الحجاجية بأمراض أخرى كالجدام وغيره وما حمله الخطاب النبوي من مقاصد وما ساقه من الحماية وسبل التحصين الصحي يجعلها فرائض شرعية في زمن الجائحة، ذلك أن كورونا غداً شراً ماحقاً يؤذي المجتمع المسلم، وأي تساهل أو تنازل عن هذه الإجراءات الاحترازية يصيب الكل، ولا يبرأ أحد من المسؤولية في المجتمع المسلم، مما يؤكد بأن الطابع الشرعي في نفوس المسلمين يقوي حجة العقابة في عقولهم، كما أن اجتماع هذه المتواليات من الوصايا في خطبة واحدة يوثق التمثيل الحجاجي في بنية الخطبة ويزيد من حظ الإقناع، ولا سيما أن فيها من التناسق والانسجام والقبول والإذعان ما يبرر حجيتها، على النحو الآتي:

- ومن يتق الشر يُوقه.
- وخمّروا الوجه عند العطاس والسعال.
- لئلا يؤذي أحدكم جلسته بالأنفاس التي تخرج من فمه أو أنفه.
- العدوى قد تنتقل بواسطة استنشاق الرذاذ الملوث في الهواء.

(١) البدير، الشيخ صلاح محمد، خطبة طرق الوقاية من وباء كورونا، (د. ط، خطبة الجمعة في المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١١ / ٧ / ١٤٤١هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠م)

- إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ كَفَّيْهِ عَلَى وَجْهِهِ، وَلْيُخَفِّضْ صَوْتَهُ.
- اغسلوا الأيدي قبل الطعام وبعده، وبعد قضاء الحاجة،
- مَنْ بَاتَ فِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.
- والاحتجاب عَمَّنْ دَاوَاهُ يُعَدِي -عادةً- لَا حَرَجَ فِيهِ.
- وَفَرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَقَرُّ مِنَ الْأَسَدِ.
- فلم يبايعه -صلى الله عليه وسلم- مصافحةً ولا مُواجهَةً؛ لَأَن مَخَالَطَةَ الْمَجْدُومِ مِنْ أَسْبَابِ الْعُدْوَى عَادَةٌ.
- لَا يُورَدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ.
- أَمَرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مَنْ وَقَعَ الطَّاعُونَ بِبَلَدٍ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا يَقْدَمُ عَلَيْهِ.
- إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ.

لقد بنى الخطيب خطبته ونصائحه -طبقاً لهذه المتواليات- على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف عامة، إذ اعتمد خطاطة نبوية في الهدى إلى الصواب لمواجهة الأوبئة، وكلها شاهدة على سلامة الإنسان عامة وعلى عافية المجتمع المسلم خاصة، بل إنها في الوقت ذاته صورة، لها ما يقابلها من الشر إذا لم يلتزم المرء بهذه الوصايا، فمن لا يعمل بها ولا يتبع سبيل المهتدين لصوابها يهدد السلم المجتمعي ويعين على تفاقم المعاناة وزيادة منسوب الشر، والنتيجة أن ينتشر الوباء ويطعن العالم في رثيته ويسلب الأجفان راحتها، ويسلب الأبدان قواها، ويفسد الهواء ويبعث بالأرواح، وتزيد الوفيات في المجتمع. كما أن النجاعة بادية من الحجج التي حملتها إلى السامعين لزيادة الفهم وتحقيق الإقناع، "فالحجة تؤدي إلى زيادة فهم العقول فتعجل باقتناعها،

وتؤدي إلى التأثير في النفوس؛ فينجذب السامع إلى الخطيب، ويصرف انتباهه إليه^(١) هذه الإرشادات ليست مجرد متوالية ملفوظات تتشكل في خطاب وعظي فحسب، بل إنها محملة بمقاصد حجاجية واعية، ينبغي تداركها والعمل بمقتضاها، وبحسب الشيخ البعيجان خطيب المسجد النبوي فإن "الوباء حليف المآسي والأزمات، والتطهر والاضطرابات، وقد اجتاحت أرجاء المعمورة في أيام معدودات، فساعدوا على اجتثاثه ومحاصرته"^(٢)، "حتى لا يزيد الخطر، وتحتفي البهجة من وجوه الصغار والكبار في المملكة وفي خارجها وتسوء الخاتمة، وقد تقول الأحوال إلى ما لا يحمد عقباه. ومن هذه النقطة الفارقة اكتسبت حجة العاقبة خاصيتها الحجاجية وزاد الضغط على الجمهور بضرورة تجاوز عواقب انتشار الوباء وعدوى الجائحة التي لا تبقي ولا تذر. يتكامل هذا البعد بتحذير الشيخ أسامة خياط، حين أكد أن: "صروف الليالي وتقلب الأيام يعقبان المرء تبدل أحوال، ونزول شدائد، وحلول كرب، يتخللها الغموم والهموم ما ستحوز على صاحبها، ويسوؤه في نفسه أو ولده أو جسمه أو صحته أو عافيته"^(٣)

ومن المفيد التأكيد في هذا السياق أن "هذا المقام التواصل لا يقوم على الإقناع بدعوى الخطيب، مادام المخاطب غير منكر لهذه الدعوى؛ ولكنه يقوم على

(١) ينظر: كحولي، د. محمد ناصر، الحجاج الخطابي، أسسه وتقنياته في ثمرات الأوراق لابن

حجة الحموي، (ط١)، تونس، دار زينب للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)، ص ٩٢.

(٢) البعيجان، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، خطبة التضرع والرجاء حين نزول البلاء، (د. ط.

المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٩ / ٥ / ١٤٤١هـ

الموافق: ٢٤ / ١ / ٢٠٢٠م)

(٣) خياط، الشيخ أسامة، خطبة الفرج بعد الشدة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة،

المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٥ / ٧ / ١٤٤١هـ الموافق: ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٠م)

تذكيره بها؛ لأنه غفل عنها وقصر في العمل بها؛ لأجل ذلك كان على الخطيب أن يحمل مخاطبه على الانتقال من موضع الغفلة والتقصير إلى موضع العمل بالواجبات الملقاة على عاتقه^(١). على نحو يحمل المسؤولية كل من يتراخى عن التجاوب مع الإجراءات التي اتخذتها المملكة العربية السعودية وضبط علاقة الذات البشرية بالأوبئة. ذلك أن حماية الإنسان من مهام الدولة ومسؤولياتها الكبرى، ومن لا يتفاعل معها في إجراءاتها يعرض نفسه للعقاب، الأمر الذي يجعل من التفاعل مسؤولية مشتركة بين الشعوب وحكوماتها. هذا هو الميثاق الذي ينبغي التفكير به في الخطاب الديني لتجاوز الآلام ومحاوله فهم الأوجاع والانفتاح على كل ما يقدم وصفًا ناجعًا لخطاب الجائحة وبخاصة في خطب الحرمين الشريفين .

ثانيًا: حجة السلطة:

تمثل حجة السلطة إحدى الحجج البلاغية التي أخذت في بعدها الإقناعي مساحة من التفاهم والتخاطب بين الخطيب والجمهور، إذ تنشأ في سياق هذا الوعي لتقريب وجهات النظر بين الطرفين بمقتضى المقاصد والمطالب التي يقتضيها مقام الخطاب، لذلك نراها تتحول من خاصية بلاغية إلى مقصد ديني أو مطلب اجتماعي أو شعور أخلاقي أو ما يتدرج به الخطيب في سياقات الحياة الإنسانية المختلفة. وقد استحسناها بيرلمان بقوله: "إن حجة السلطة هي نموذج الاستدلال الخطابي الذي كان الأكثر تعرضًا لهجوم قوي؛ لأنها في الأوساط المناهضة للبحث العلمي الحر كانت الأكثر استعمالاً، وهذه بطريقة متسلطة وجازمة، أي بتخصيصها قيمة ملزمة"^(٢) هذا

(١) مشبال، محمد، في بلاغة الموعظة الدينية، ضمن كتاب (البلاغة وأنواع الخطاب)، (ط١،

القاهرة- مصر، دار رؤية للنشر والتوزيع ٢٠١٧م)

(٢) بيرلمان، شايم، تيتكا، لوسي أولبريت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ص ٤٦٤.

الإلزام هو جوهر هذه الحجة باعتبارها فكرة قوية، وقيمة تتربص بالعقول والعواطف، وبينهما تنشأ فعالية الإقناع، وتتقارب ظنونها في صورة المنطق الصوري على هيئة شخص أو مجموعة أشخاص، ومنها الخطيب وعالم الدين وغيره من الفئات التي تتمتع بالتأثير وتفرض سلطتها على المخاطب.

وطبقاً لهذا المسوغ المعرفي؛ فإن حجة السلطة تبني على مسلمة مظاهها "أن الأقوال والأفعال المسندة إلى مصدر ذي حظوة يلزم عنها بالضرورة نقل الخطوة إليها؛ أي إننا نقوم بنقل القيمة المتفق عليها من المصدر إلى أقواله وأفعاله"^(١) وتتنوع أشكالها من صورة إلى أخرى بحسب الموقع وتعدد الأصوات، فقد "تكون هذه السلطة شخصية وقد تكون لا شخصية، أي إننا قد نستند في حجاجنا إلى أشخاص معينين بأسمائهم وهوياتهم؛ كأن نشير بالاسم إلى شاعر أو نبي أو عالم أو فيلسوف أو حكيم أو سياسي أو فقيه أو خبير، وكأن الخطيب يشير إلى ذاته من خلال عرض منجزاته ووضعه الاجتماعي، أو قد نعتمد الإشارة إلى الشعراء والخبراء والعلماء والفقهاء والأنبياء وعلماء المسلمين، وقد تكون هذه السلطة لا شخصية كأن تستند إلى سلطة الإجماع والرأي العام والعلم والفلسفة والدين والفقه والمذاهب، أو تستند إلى عصر ذهبي أو فترة تاريخية عظيمة أو مؤسسة إعلامية. على أن تكون شخصياه السلطة أو لا شخصياتهما جميعاً معترفاً بها من قبل جمهور السامعين في المجال الذي ذُكرت فيه"^(٢)

هذا الفضاء الذي يتشكل فيه الحجاج يتسع كذلك مع أشكال السلطة، كما

(١) ينظر: مشبال، د. محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، ص ١٣٥.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٣٥؛ ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (ط ١، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، طباعة كلية الآداب منوبة، ١٩٩٩م)، ص ٣٣٥.

تتسع الحقول المعرفية ويزيد الوعي بمفاهيمها على النحو الذي يرفع حظ المعرفة ومصادر سلطتها؛ "فقد تحيل السلطة إلى الكفاءة في حقل من الحقول التي يجري فيها التخاطب مثل حقل الدين والأدب أو الطب أو الرياضة أو السياسة وغير ذلك. كما قد تحيل إلى التجربة أو الخبرة، وهي المعرفة التي راكمها شخص ما في أحد الحقول، كما قد تحيل إلى الشهادة؛ إذ يكون المقصود بالسلطة في هذه الحال، شاهد عيان على واقعة أو موقف أو رأي. وكما أن الكفاءات والتجارب أنماط ومستويات متعددة، فإن الشهادة مستويات؛ فشهادة طفل برئ قد تكون في مقام ما أقوى حجاجاً من شهادة راشد"^(١)

وعلى هذا الأساس؛ اغتنت خطب الحرمين بطاقة حجاجية من مسالك السلطة ومصادرها، وتعمق الشعور بأن حياة المرء المسلم محكومة بتعاليم الدين الإسلامي الخفيف، باعتبار أن الخطاب الديني خطاب مقدس لا يتجاوزه العقل ولا تضطرب به العاطفة، ويتحول الدين بمقاصده السامية إلى سلطة ذات خطاب فعال، وأحكام مؤثرة، غايتها حماية الإنسان من الأوبئة، وتعزيز العلاقة بين الخالق والمخلوق، وتوجيه المصير الإنساني بما ينبغي أن يكون عليه من الوعي بالخطر والتجاوب الراشد مع الأحكام الدينية؛ فيدعن له العقل وتستجيب له العاطفة، ومن ثم فإن العلاقة بين الإنسان المسلم ودينه علاقة لغة والتزام بما تنص اللغة، وما ينتصر له الخطاب المقدس، إذ ينبغي الإصغاء له، والإذعان لأحكامه كسلطة ضمنية يقر بها الجمهور ويعمل بمقتضاها، قال جل شأنه: **شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَٰهٌ مُّخْشَرُونَ﴾**

(١) ينظر: مشبال، د. محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات ،

﴿١١﴾ الأنفال: ٢٤.

على هذا النحو من التصور الحجاجي؛ وجه خطباء الحرمين خطبهم بطريقة إقناعية نحو الأحكام الدينية وأثرها في تأييد الإجراءات الوطنية التي أقرتها المملكة ومعظم البلدان الإسلامية، إذ الخطاب من المركز - ونقصد الحرمين الشريفين - له فعاليته وتأثيره في الأمة الإسلامية جمعاء. وبهذا اختص الخطباء جمهورهم الواسع ببناء الهوية الإسلامية (يا عباد الله، يا عبد الله)، و(أيها المسلمون)، و (معاشر المسلمين) و (أيها المؤمنون)، (أيها الأحبة)، (أيها الأخوة)، (أيها الناس). فكلها مبنية على الوعي بالدين وسلطته الحجاجية، ومؤيد بالمقاربة الرشيدة لتعاليم الدين وإقامة الحواجز النفسية والمادية من موبقات الدنيا وجوانحها.

لذلك فإن حمولة الخطب من الملفوظات يعكس نحو المعرفة الدينية تجاهها. ومن ذلك ما نصت عليه خطبة الشيخ أسامة خياط بقوله: "إن مما يعزي النفوس عند نزول الشدائد، وحلول المحن، ويصرف عنها موجة الألم لفواجعها ونكباتها، الأمل في فرج الله القريب، والثقة في رحمته وعدله؛ إذ هو - سبحانه - أرحم الراحمين، ومن رحمته لعباده أنه لا يتابع عليهم الشدائد، ولا يُكرّثهم بكثرة النوائب، بل يعقب الشدة بالسعة، والابتلاء بالرحمة وسابغ النعماء، كما قال عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ الشرح: ٥-٦، فقد تكرر اليسر بعد العسر مرتين، ولن يغلب عسر يسرين" (١).

ومثلما تسعى الخطبة لوصف الواقع وبيان خطر الداء فإن لكل حجة نتيجة، وهي ثمرتها التي تعزز موقع الخطب في نفوس الجمهور المسلم، على أن الأمل في فرج

(١) خياط، الشيخ أسامة، خطبة الفرج بعد الشدة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٥ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٠ م). ص ٤

الله والملاذ الإلهي محكوم بالتأمل العميق في سنن الله وآياته في الآفاق، أو بحسب ما نصت عليه خطبة الشيخ سعود الشريم: "أيها الناس: إن من سنن الله على عباده أفرادًا وجماعات، أن يُريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، ويبتليهم بالمحن والإحْن، وشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات؛ تمحيصًا منه وامتحانًا، لِيُمَيِّزَ الصَّابِرَ من السَّاخِطِ، والعاملَ من القاعد، فَمَنْ صَبَرَ فيها رَيْحٌ، وَعَلِمَ أن كَلًّا من عند الله، وأنه رُبُّ ضارَةٍ نافعَةٌ، ورُبُّ مَنَحٍ في طياتِ مَحْنٍ، وَمَنْ سَخِطَ فيها فله السَّخَطُ والخِيبَةُ في الحال والمآل، فَإِنَّ من علامات التوفيق في المحن الخروج منها بحالٍ أحسنَ مِنَ التي قبلَها، من الإيمان بالله، والوعي والإدراك والاتعاظ، وإن من تلکم الابتلاءات -عبادَ الله- ما حلَّ بعالمنا اليوم من هذه الجائحة الصحية، التي جرحت بمخالها جسدَ العالم أجمع، فكان لها خلالَ عامين متتاليين انعكاساتٌ سلبيةٌ في الصحة والاقتصاد، والتعليم وسير الحياة العام، لقد أربكت تلکم الجائحة العالم بأسره، على ما فيه من قوة ومنعة وتمكين"^(١)

ولا تعني قدرة السلطة على التأثير في الجمهور كيفما اتفق أو قدرتها على الإقناع بخطابها المقدس فحسب بل إن سلطة الدين خطاب واع، ومنظم يحفز المسلم على التفاعل مع أديباته وتعاليمه، ويرتب حياته على أسباب الصحة التي تمده بالنشاط وتبعث فيه الطاقة والحيوية الكافية لعبادة الله وفعل الخيرات، ثم إن الأخذ بالأسباب من لوازم العيش الكريم في هذه الحياة؛ عملاً بما يقتضيه الواقع في الدنيا والتزاماً بما يمليه النص الديني، بل إن العمل والانخراط في مسالك الحياة من صميم الالتزام بالدين

(١) الشريم، الشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم، بشارة وتحذير لننجو بإذن الله تعالى من الجائحة، المسجد الحرام، بتاريخ: ١٢ / ١ / ١٤٤٣ هـ الموافق: ٢٠ / ٨ / ٢٠٢١ م

الإسلامي، إذ يربح الأجر من الفعل الخلاق ويؤخذ بالذنب على الممارسة الخاطئة، وبمقتضاه تركزت عليه خطبة الشيخ سعود الشريم في سياق الحث على التوكل على الله، فقد ذكر عن ابن أبي الدنيا عن معاوية بن قرّة قوله: "لقي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله - عز وجل -" (١).

إن الانشغال بالجمهور المسلم في خطب الحرمين ناشئ من المسؤولية الدينية التي حملتها، والمهمة المركزية لبيان الظروف والملابسات التي يقع فيها كثير من الناس، يغفلون عنها أو يجهلون أسبابها، ويندرج ضمن هذا المبدأ ويجري بمقتضاه الصحي أن شكر الله عز وجل، والثناء عليه والدعاء بدوام النعم من أسباب السلامة في الحياة، ومن شروط الاستقرار الذي ينشده الناس في المجتمع، فضلاً عن أسباب الرحمة التي تنزل على العباد في الصحة والمعاش، ومن لا يشكر الناس لم يشكر الله، ومعنى ذلك - كما يذهب الشيخ صالح بن حميد - أن "مما يُذكر ويُشكر في هذا السياق وفي هذا السباق، تجلت فضائل هذه البلاد المباركة، بقادتها وولاة أمرها ومسؤوليها، وبجزمها وعزمها، ترعى كلّ مَنْ على أرضها؛ من مواطن ومقيم وزائر، إنهم الجنود المجنّدة في كل ميدان، في الحدود، وفي الثغور، وفي الصحة، وفي الحرمين الشريفين، وفي التجارة، وفي كل مرفق، فله الحمد والمنة" (٢).

لقد اختص خطباء الحرمين الدين بوصفه سلطة قويمّة، فيها ما يحقق السلامة

(١) المصدر نفسه.

(٢) حميد، د. صالح بن عبد الله، خطبة التوبة إلى الله والالتجاء زمن البلاء، (د. ط. خطبة الجمعة في المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ الموافق: ٢٦ / ٢ / ٢٠٢١ م)

للفرد والمجتمع، وإن الالتزام بالإجراءات الاحترازية هو التزام بالدين، وما دام ولي الأمر يأمر وينهى في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية والمصلحة العامة، فإن على الشعب أن يذعن لما يقول ويصغي لما يسمع، من أجل تحقيق الحياة الآمنة للإنسان، وحماية مكتسباته من الهلاك، من ثم فإن الخطب تقدم نفسها لتغيير وضع أو حل معضلة واستجابة لسؤال أمة، وتعزيز إجراءات الدولة في سياق تغيير الوضع الذهني من النظر إلى فيروس كورونا بوصفه داءً عابراً إلى عدوٍ جائحة تتسع رقعتها وتنتشر في الآفاق، فتأتي على الأخضر واليابس، وهو فعل الحجاج الذي طبع خطب الحرمين الشريفين بهذا الوعي وسجل فيها هموم الجمهور، إذ إنه "عمل غرضه دائماً أن يغيّر وضعاً قائماً"^(١) وهذا ما جعل الخطب مؤهلة لحمل المسؤولية تجاه المسلمين.

وأياً كان الأمر مما يمكن فعله من حيث الاستجابة أو التجاهل إلا أنه أقام الحجة على السامعين، وناداهم ببدء السبب والنتيجة، والسلطة المرجعية للدين الخفيف، بقوله: "يا عبد الله: كن مع الله ولا تبال، ومُدَّ إليه يديك في ظلم الليالي، اصفح وسامح واتق الله حيثما كنت، وافعل الخير، ولا تحقرن من المعروف شيئاً، مَنْ صَفَا قَلْبُهُ سَمَتْ أَخْلَاقُهُ، وَمَنْ جَمَلَ قَوْلُهُ صَدَقَ ظَنُّهُ، وَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ حَسَنَ صَنِيعُهُ، وَاعْلَمْ -حَفِظَكَ اللَّهُ- أَنْ مَا كُتِبَ لَكَ سَيَأْتِيكَ مَعَ ضَعْفِكَ، وَمَا لَيْسَ لَكَ لَنْ تَنَالَهُ بِقَوْتِكَ، وَأَنْ مِنْ ظُلْمٍ حَقِّ الْأُخُوَّةِ، أَنْ تَذْكُرَ أَسْوَأَ مَا تَعْلَمُ، وَتَكْتُمَ خَيْرَ مَا تَعْلَمُ، يَقُولُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: "إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِي غِلاً عَلَى مُسْلِمٍ"، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

(١) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، (ط٢)، بيروت - لبنان، دار لفارابي، (٢٠٠٧م)، ص ٣٤.

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ الْحَشْرِ: ١٠ (١)

في هذا المسار المترابط لاستكشاف خطاب الجائحة في التصور البلاغي المعاصر والتنوع في التقنيات الحجاجية تطالعنا في خطب الحرمين سلطة العلم بوصفها تقنية أخرى، لا تقل أهمية عن سلطة الدين بل هما وجهان متكاملان وظيفتهما مترابطة على نحو خاص، إذ إن الخطيب وهو يتكلم عن كورونا COVID-19 للبرهنة على خطره يستند ضمناً إلى العلم ونتائجه الراهنة، أي إن الحديث عن حجاج الجائحة في هذا المسار ينقلنا إلى مساحة الحجة والأدلة المقنعة في الخطاب في مقابل الخطاب غير الحجاجي الذي لا تسنده حجة ولا تؤيده واقعة، وقد بدت ملامحه في خطبة الشيخ الشريم الذي حث السامعين على التداوي وأخذ اللقاح، بوصفه من أسباب الشفاء قائلاً: "وإنَّ من أنجع الأسبابِ لذلكم الرفع فعل سبب التداوي؛ بأخذ اللقاح المختص بها، كيف لا وقد أقرّه خبراءُ العالمِ المختصُّون، وتبنَّته المنظماتُ الصحيَّةُ العالميَّةُ والمحليَّةُ، واعتمدته الدولُ والحكوماتُ التي يتعذَّرُ أمامها الترددُ أو التشكيكُ فيها؛ فلأجل ذلكم يتعيَّن على الناس جميعاً في هذه المرحلة رفعُ سقف الوعي، وإحسانُ التعامل مع الأزمة، والخروج منها بأقلِّ الأضرار" (٢) محذراً في الوقت نفسه من الانجرار وراء الشائعات؛ لأن الشائعة خطاب مضلل يفضي إلى

(١) حميد، د. صالح بن عبد الله، خطبة التوبة إلى الله والالتجاء زمن البلاء، (د. ط. خطبة الجمعة في المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ الموافق: ٢٦ / ٢ / ٢٠٢١ م)

(٢) الشريم، الشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم، خطبة بشارة وتحذير لننجو من بإذن الله تعالى من الجائحة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٢ / ١ / ١٤٤٣ هـ الموافق: ٢٠ / ٨ / ٢٠٢١ م)

عواقب وخيمة إن لم نحترم العلم والعلماء ونقدر جهودهم في هذا الشأن، وبحسب قوله فإن "الانقياد وراء الشائعات يضر ولا ينفع، ويؤخر ولا يُقدّم، ويفرط منظومة الوعي فيتطير خرزها، ولات ساعة نظم مُحكم؛ فإنه ما دخلت الشائعات في مجتمع إلا شائته، ولا نُرعت منه إلا زائته، ولو لم يكن من أضرارها إلا التشكيك في الجهود والدراسات المعتمدة لكفى، وإن تعجبوا -عباد الله- فعجب أولئك المشككون في اللقاحات، كيف يقدحون في إجماع عالمي على نفعها، ويزداد العجب حين لا نرى لأولئك المشككين تحوُّطات في لقاحات الأدوية الأخرى، كما نراه لهم في التحوُّط للقاحات هذه الجائحة، فإننا نجدُهم يأخذون من الأدوية ذات الآثار السلبية دون سؤال أو احتياط، وربما أخذوا ولا يبالون لقاحات ليست في درجة لقاحات الجائحة من حيث المصدقية والاعتماد؛ فهُمْ يَعْموُن عن كثيرٍ من إهمالهم وممارساتهم الخاطئة في الغذاء والصحة وغيرها، ويتنطعون في لقاح الجائحة، لا يُبصرون الجبل المائل أمام أعينهم، ويُحدِقون بأبصارهم للقذاة في العين، فحالٌ مثل هؤلاء كحالٍ مَنْ يتساهل في الدماء، ويسأل عن قتل البعوض في الحرم، عافانا الله وإياكم من العجز والكسل والأهواء والأدواء"^(١).

وعمقتى ما سبق؛ فإن سلطة العلم تمثل نقاشاً منظماً يطمئن المتلقي إلى نتائجه وآثاره، لأنها محملة بأفكار ورؤى علمية خالصة، لا تفسدها الآراء ولا تقلل من شأنها الانطباعات العفوية، إيماناً بأن نتائج المختبرات والبحوث العلمية هي التي كشفت تفاصيل دقيقة عن خطر الفيروس وأسباب انتشاره، فضلاً عن سبل الحماية والتحصين منه، ولا شك في أن الأمر موصول في الخطبة السابقة برؤى أو مواقف، لها فاعليتها في إثبات القضايا وتصويرها في سياقها على سبيل الدعم والتأييد أو الرفض

(١) المصدر نفسه.

والتقويض والهدم، بمعنى أن الخطبة في هذا السياق تحمل مجموعة حجج واستدلالات، لها منطقيتها التي تقنع ولا تضلل وتبين ولا تلغز. والأمر كذلك يجري ضمن مسارات الارتباطات الذهنية القوية لنظام الوصف والتحليل، وفي هذا المنوال تصبح "الحجاجية بالمعنى الدقيق هي تبرير رأي ما، والحديث عن هذا التبرير ووضعه في مساوقة مع التداول والتشاور أي أنها تفتح ما يغلقه المنطق حسب العبارة المقلوبة لميشال مايير الذي يرى أن الحجاجية هي تقديم إجابة لسؤال معطى، في انتظار إبعائه، فالاتفاق ينتج عن هذا الإلغاء^(١). على أن الأسئلة قد أخذت حظها من التفاؤل والخوف في آن، وأورثت الحديث بعداً قلفاً إيجابياً وسلبياً حول طبيعة الجائحة وآثارها الاجتماعية والاقتصادية، كما نبه إليها خطباء الحرمين، ومنهم المشائخ: صالح بن حميد وسعود الشريم وعبد الله الجهنى، وصالح البدير، إذ أجمعوا في خطبهم على أن "الأخذ بالأسباب الحسية، من أجل حفظ النفس، وحفظ الناس؛ من: النظافة، والتباعد الاجتماعي، ولُبس الكِمَامات، وأخذ اللقاحات، والتزام التعليمات الصادرة من جهات الاختصاص، حسب توجيهات ولاية الأمر"^(٢)، إذ "جاءت الإجراءات التي اتخذتها حكومة المملكة العربية السعودية، بقيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين -أيدهما الله بتأييده- بتعليق العمرة والزيارة مؤقتاً للحد من انتشار هذا الوباء القاتل متوافقة مع نصوص الشريعة، فحفظ الأرواح من

(١) ناصر، د. عمار، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، (ط ١)، الجزائر،

منشورات الاختلاف، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ٨٨.

(٢) حميد، الشيخ صالح، التوبة والالتجاء إلى الله في زمن البلاء، (د. ط. خطبة الجمعة في

المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢هـ الموافق:

٢٦ / ٢ / ٢٠٢١م).

مسئوليات الحاكم الكبرى، وله تقديرٌ ذلك بعد سؤال أهل العلم والاختصاص^(١) كما أن "المعانقة والتقبيل جائزة، ولكن حذر منها الأطباء في زمن كورونا؛ احترازاً من تفشي الوباء، والالتزام بذلك من الحكمة والعقل والفقه، وقد أخذ الفقهاء بقول الأطباء الثقة في كثير من الأحكام؛ كقول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في الماء المشمس: "لا أكره المشمس، إلا أن يُكره من جهة الطب"^(٢). هذه الوتيرة المتلازمة في الخطب والتركيز عليها جعلت سؤال العلم فرصة مناسبة لتقرير النقطة التي تشكل تصورات الجمهور، إذ خلقت قنوات بأن النقاش الشفوي والتصريحات الإعلامية لا يؤمل عليها مالم يتدخل العلم، ويكشف الأمور المطوية عن الحدث ومواقفه؛ لذلك تسارعت الأبحاث العلمية في المملكة العربية السعودية وغيرها من بلدان العالم، وانتهت إلى أن فيروس كورونا يؤثر تأثيراً بالغاً في المناعة ويهدد صحة الإنسان، ولذلك كانت حصيلة هذا الوباء ما يقارب 774 مليون حالة مؤكدة إصابتها بالفيروس عالمياً، وأكثر من سبعة ملايين حالة وفاة منذ بداية الجائحة^(٣).

(١) الجهني، الشيخ الدكتور عبد الله بن عواد، خطبة نصائح وإرشادات لاتقاء الوباء، (د. ط. خطبة الجمعة من المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١١ / ٧ / ١٤٤١هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠م)؛ البدير، الشيخ صالح محمد، خطبة طرق الوقاية من وباء كورونا، (د. ط، خطبة الجمعة في المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١١ / ٧ / ١٤٤١هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠م)

(٢) المصدر نفسه.

(٣) حتى أكتوبر ٢٠٢٤م، بلغ إجمالي عدد الإصابات المؤكدة بفيروس كورونا (كوفيد-١٩) على مستوى العالم حوالي 774 مليون حالة، أما بالنسبة للوفيات، فقد تجاوزت سبعة ملايين حالة وفاة، بينما سجلت المملكة العربية السعودية في تقاريرها الصحية (841,469) حالة إصابة، و(9,646) حالة وفاة منذ بداية انتشار الجائحة، وهذه الأرقام تشمل جميع

كما زاد حظ العلم وسلطته من جهة التقنيات المخبرية الجديدة التي حددت بدقة أنواع الفيروسات ورصد خطرها والتنبؤ بمصيرها وآثارها المستقبلية، فضلاً عن استكشاف التسلسل الجيني المتقدم، وغير ذلك من الآثار العلمية التي سجلها العلماء والمختصون في الصحة النفسية والسلوكيات المجتمعية^(١)؛ الأمر الذي أسهم إلى حد كبير في توزيع اللقاحات وشملت معظم أفراد المجتمع من المواطنين والمقيمين. ومن جهة أخرى أدى فيروس كورونا COVID-19 إلى تعزيز التعاون الدولي على مستوى

=

الإصابات والوفيات المعلنة رسمياً من قبل وزارة الصحة السعودية، وتعكس التطور المستمر للوضع الوبائي في المملكة منذ بدء انتشار الفيروس في عام ٢٠٢٠م. ينظر: <https://ourworldindata.org/coronavirus/country/saudi-arabia> ومن المهم الإشارة إلى أن طرق الإبلاغ قد تغيرت في العديد من الدول، حيث انتقلت من التقارير اليومية إلى الأسبوعية، مما يجعل البيانات أقل تفصيلاً، مقارنةً بالسنوات السابقة. تواصل بعض الدول تقديم تقارير حول الحالات الجديدة والوفيات، ولكن بتواتر أقل مقارنة بالفترة الأولى من الجائحة، هذه الأرقام تأتي من تقارير منظمة الصحة العالمية ومنصات متابعة مثل "Our World in Data"، والتي تستمر في تحديث البيانات بانتظام لتعكس الوضع الوبائي

العالمي الحالي. ينظر: <https://data.who.int/dashboards/covid19/deaths?n=o>

(١) يتكون الجينوم الخاص بـ SARS-CoV-2 من حوالي ٣٠,٠٠٠ قاعدة نيروجينية، وهو يعد من الفيروسات ذات الجينوم RNA، أي يعتمد على الحمض النووي الريبي في تركيبته الجينية. ويشمل جينوم الفيروس عدة جينات مسؤولة عن تصنيع البروتينات الأساسية، مثل بروتين السنبلة (Spike protein) الذي يلعب دوراً أساسياً في ارتباط الفيروس بخلايا الإنسان، ومع مرور الوقت، ظهرت طفرات عديدة في جينوم SARS-CoV-2، مما أدى إلى ظهور سلالات جديدة مثل ألفا، بيتا، جاما، دلتا، وأوميكرون. هذه السلالات تختلف فيما بينها بناءً على التغيرات في مناطق معينة من الجينوم، خاصةً في بروتين السنبلة؛ مما زاد من قدرتها على الانتقال أو التهرب من المناعة الناتجة عن اللقاحات. ينظر:

<https://news.mit.edu/2021/map-sars-cov-2-genome-0511>

المؤتمرات واللقاءات العلمية وإنجاز الأبحاث المشتركة بين العرب والغرب، وارتفع منسوب البحث العلمي في هذا الشأن بشكل متسارع ولا يزال.

لقد كان لسردية العلم وقصة اللقاح ونجاعة الأمصال الطبية أثرها في بناء خطب الحرمين، إذ مدت أسبابها كسلطة فاعلة لإقناع الجمهور المسلم بنجاعة الإجراءات التي أقرتها وزارة الصحة السعودية وسلامتها من الأعراض التي يتداولها الناس بلا دراية، الأمر الذي فتح باباً واسعاً من الثقافة الصحية مدة كورونا، كما أسهمت الخطب في رفع مستوى الوعي بالظاهرة المرضية ومخاطرها، وخلقت قناة لديهم بأن أي تساهل أو تراخي في التطعيم سيجلب الوباء ويوسع دائرة انتشاره وتفشيه في المجتمع، ومن ثم تأخذ الآفة مساراً حرجاً في المعالجة.

على هذا النحو؛ أخذت الإجراءات الوقائية حقها من التفاعل بين الدولة والناس، ونالت الخطب حظها من سلطة العلم لمواكبة الحدث، وتدبير البعد السياقي الذي يتوخى استقامة الأخلاق في الواقع، وتوجيه العلاقات الإنسانية طبقاً للمتغيرات الحاصلة في ميدانه، بمعنى أن الأخلاق الإنسانية تخدم العقل وتجري وراء منطوقه، خاصة أن المعايير الواقعية تفقد هيبتها حين تكون سبباً في تخريب العالم وإفساد مقدراته، وإن كل تطور أو متغير في الواقع كالجائحة وغيرها يتوقف على الظروف المادية والمصلحة الاقتصادية للبلدان، من حيث علاقات الإنتاج أو أدوات الإنجاز.

ومن هذا المنطلق؛ فإن استكشاف الخاصية البلاغية في خطب الحرمين - كما أسلفنا - في سلطة العقاب أو سلطة العلم قد اقترن بسلطة القانون، وهي سلطة أخرى أسهمت - إلى حد كبير - في التحول الخلاق نحو زوال الجائحة ومعالجة أضرارها، إذ صادقت الحكومة السعودية في تدابيرها الأمنية على مجموعة من الإجراءات الأمنية والاحترازية الوقائية الرادعة لمن يخالف ما نصت عليه اللوائح والأنظمة الحكومية، مثل فرض الغرامات على المخالفين وملاحقة من تثبت إدانته في ترويج الشائعات،

وغيرها من الخطوات الوقائية التي نهضت بها وزارة الصحة، والتعاون الإيجابي مع منظمة الصحة العالمية^(١).

ومن المعلوم بداهة أن العقاب جزء من التدابير التي تحمي الإنسان وتحافظ على مكتسبات البلد، إذ لا يمكن حماية الشعب من الشائعات والآراء التي لا تكتثر بالصحة ولا يههما عافية الناس، ولا تسلم بضرورات الواقع. ومعنى ذلك أن الوعي بالحدث وإعادة صياغة الواقع والأخذ بأسباب العلم وتوجيهات الدين، سرعان ما انعكست مظهره في تصميم خطب الحرمين الشريفين بوعي مقاصدي حجاجي يتوخى السلامة وينشد التأثير والإقناع.

ثالثاً: حجة الصورة وبلاغتها:

ستظل الصورة في الخطاب البشري مشغلاً بلاغياً مهماً لفهم الأفكار وتمثيل المعاني، ذلك أن استكشاف طبيعة العلاقة بين الإنسان والأشياء وتقريب صورة الواقع من خلال الخطاب البشري يجعلنا أمام مقارنة، لها فاعليتها من المنظور الجمالي والحجاجي. وباعتبار الاستثمار الوظيفي للصورة فإنها - لدى النقاد - تعبير استبدالي ينشأ "بديلاً عن الفكرة أو المعنى أو المفهوم، سواء جاء هذا التعبير بالصورة للكشف عن كوامن نفس المتكلم أو لمجرد الإمتاع أو للتأثير والمحاكاة والإقناع"^(٢)، وهي على هذا النحو بحسب الجرجاني: "تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"^(٣)، بمعنى أن العلم بمعاقد النظر الذي يستجمعه العقل والبصر يسلمنا إلى

(١) ينظر التدابير الأمنية والوقائية لوزارة الصحة الداخلية السعودية: <https://saudi-arabia.un.org/en/39436-who-saudi-arabia-join-forces-fight-covid-19-nationally-regionally-and-globally>

(٢) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص ٤٨١.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمود محمد شاكر أبو فهر، (ط ٣)، جدة - المملكة العربية السعودية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، مطبعة المدني بالقاهرة - دار

حالة من المقاربة الذهنية والتعويض الحسي للمعاني، وهذا التعويض يسهم في تعدد أساليب التصوير، ويفتح مسالكه؛ فمنها التشبيه والاستعارة والتمثيل حتى الكناية و المجاز المرسل.

كما أن منزع هذه الأساليب وقوامها في التواصل والتفاعل بين طرفي الخطاب، غير أن الاستبدال وإن كان هو المفهوم الذي انعقدت عليه معظمها واستحسنها العرب قديماً وحديثاً، ونالت من عمدة البلاغة الجديدة عدوها النسقي إلا أن المجال الذي تنتمي إليه في الحجاج يكتسب نجاعته بتناسبه مع الموضوع، مما يفيد اختلافه وتنوعه وفق اختلاف الموضوعات وتنوعها، على نحو ما يكتسبها أيضاً بتوافقه مع المتلقي^(١)، وهذا التوافق لا يتحصل إلا حين تكون الصورة البلاغية معتمدة بالوظيفة الحجاجية، التي اختصها عبد القاهر الجرجاني في معرض الاختصاص الوظيفي للتمثيل، ومنه ينسحب بالقياس على وسائله البيانية الأخرى، إذ يؤكد "أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفتدة صباة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا، فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وإن كان ذما، كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشده، وحده أحد، وإن كان حجاجا، كان برهانه

=

المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ص ٥٠٨.

(١) ينظر: مشبال، د. محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص ٣٠٣.

أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أهر، وإن كان افتخارا، كان شأوه أمد، وشرفه أجد"^(١). هذا التصور الذي قدمه عبد القاهر للتمثيل وأسراره البلاغية، ويعكس حالة الانبهار والدهشة بقوة التمثيل من منظوره يجري على أساليب البيان الأخرى، ومنها الاستعارة، مع فارق الخصوصية المجازية، لذلك يسعى الخطيب لبناء عالمه الافتراضي بحثًا عن المختلف، جاهدًا في تقريب الواقع بما ينبغي أن يكون عليه لا بما هو ناشئ فيه، مسكونًا بقلق اللحظة، وهموم الواقع الراهن، ومن هذا السبيل فإن الخطيب كائن قادر من خلال الخطاب على تطوير منظومته المعرفية والأخلاقية التي ينبغي أن يبثها في المجتمع ويقدر أسبابها بمقتضى المناسبات الحاكمة لفعل الإنسان ونشاطه في الواقع، ومنه تأخذ المعاني صورتها وتجري رموز الاشتغال بالقضايا على هذا الوصف، بل إن الصورة الحجاجية التي تتحكم بالخطب يترأى الإنسان فيها كائنًا قادرًا على تطويع الفكرة لصالح الإقناع، ومن ثمَّ فإن الصورة الاستعارية على سبيل المثال لقيت عند بيرلمان حظها في الدهشة؛ بوصفها الضفيرة القادرة على تحقيق التناسب بين الشبيه والموضوع، ومنه تسهم في سد ثغرة مهمة لتقريب الشبه وتوحيد المجالات بين الخطيب والجمهور، وهذا يكفي لتفسير قوة التصوير في الوسط الثقافي وقوة الاستعارة في الحجاج، فهي عظيمة -بحسب تعبير بيرلمان- بسبب قوتها الإقناعية النوعية التي تمتلكها في تقريب الشبيه من الموضوع وتقدير التناسب الجامع بين طرفي الخطاب، وبها يتحصل المعنى الداخلي واستلهام الرموز التي يدرك من خلالها الواقع"^(٢) وطبقًا لما تيسر من المادة النظرية فإن الصورة في مواضعها الاصطلاحية "تعبير لغوي عن تجربة جمالية جديدة، ورؤية خيالية فريدة للعالم والأشياء"^(٣)، على أن هذه

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١١٥.

(٢) بيرلمان، شايم، تيتكا، لوسي أولبريت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ص ٥٩١.

(٣) (الإدريسي، مولاي يوسف، الخيال والمتخيّل في الفلسفة والنقد الحديثين، (ط ١)، الدار

المواضعة موصولة بالحجاج ومسوغات الإقناع في الخطاب الديني، بمعنى أن الصورة لم تعد زخرفاً أسلوبياً يختص بتحسين شكل الخطاب، ووظيفتها إثارة النفس وتحقيق المتعة الجمالية فحسب؛ وإنما باتت صورة حجاجية جامعة "تستدعي تحولاً في المنظور وتقتضي إذعان المتلقي للخطاب"^(١) مما يعني أن هذه التجربة تتسع في جمالياتها ورؤيتها الخيالية لتشمل كل ما يغذي المتلقي بالتأثير النفسي والإقناع العقلي، وهذا ما يؤكده الدرس البلاغي الجديد الذي يرى أن الصورة "هي المتعة الأسلوبية لتمرير الحجة"^(٢) لذلك نتصور أن العلاقة الشبهية في الصورة البيانية تتجاوز البناء النصي إلى التواصل، وبمقتضاها تصبح خطب الحرمين الشريفين قادرة على تحويل المؤلف إلى حالة من الدهشة والإقناع بالحياة وتحولاتها .

والحاصل مما تقدم؛ أن التصور الحجاجي للصورة البلاغية يظل مرتبطاً بفكرة الاستبدال والانزياح الأسلوبي المؤيد بالأسباب والعلل لا المؤيد بالجمال فحسب، إذ تنزاح الصورة عن مستواها الجمالي الذي يحقق المتعة إلى مستواها الحجاجي الذي يتوخى الإقناع، أو يجمع بين الخاصيتين معاً، الأمر الذي يسلمنا في هذا التصور إلى بعض النماذج التي رصدناها من خطب الحرمين على النحو الآتي:

- صروف الليالي وتقلب الأيام يُعقبانِ المرءَ تبدُّلَ أحوال^(٣)

البيضاء - المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٥م)، ص ١٨٢.

(١) ينظر: مشبال، د. محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص ٣٠٦.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

(٣) خياط، الشيخ أسامة، خطبة الفرج بعد الشدة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٥ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٠م)

- الدنيا دار مصائب وابتلاء، دار مَوَاجِع وفَوَاجِع، دار آلام ونَقَم، وصحة وسَقَم، ومَرَض^(١) وعافية، وشفاء وبلاء، دار أقراح وأتراح، وهموم وأحزان، ويأس وبؤس^(٢)
- الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر^(٣).

- إن الوباء حليف المآسي والأزمات، والتطهر والاضطرابات، وقد اجتاحت أرجاء المعمورة في أيام معدودات، فساعدوا على اجتثاثه ومحاصرته^(٤).

إن مجازية العبارة (تقلب الأيام، والدنيا دار مصائب، ودار مَوَاجِع وفَوَاجِع، وسجن المؤمن وجنة الكافر، والوباء حليف المآسي) وتحولها من التعبير المباشر إلى الصورة الاستعارية يعكس النشاط الوظيفي للخطاب الديني والإطار المتجاوز الذي ارتسمت في سياقه خطب الحرمين، على نحو يحرز مكانته في الوعي بنجاعة الخطاب وقدرة الصورة البلاغية التي ينتقل بها الخطيب من التقرير إلى التصوير لإثارة الدوافع والمثيرات الفاعلة التي يتجاوب لها الفعل الإنساني، ويقتضيه العقل السردى للخطبة ومتطلباتها وشروطها الإقناعية.

إن الاقتران النظمي في مجازية العبارات السابقة وما سيلحق في النماذج الماثلة بين المحسوس والمعنوي من المفردات وتعالقها بهذا المستوى يمد أسبابه بين المادي والذهني المعقول، الأمر الذي يخلق حالة من الوعي الفريد بمقتضيات الخطب

(١) البعيجان، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، خطبة التضرع والرجاء حين نزول البلاء، (د. ط.

المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٩ / ٥ / ١٤٤١هـ

الموافق: ٢٤ / ١ / ٢٠٢٠م)

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وسياقاتها الاستثنائية، إذ إن مقتضى النظم الذي فرضه العقل والواقع الاستثنائي للجائحة والرغبة النفسية في تحقيق المآرب المؤثرة لدى المتلقي قد ألقى بظلاله على سلطة الصورة التي تتحكم في توجيه السامع لحماية نفسه من فيروس كورونا وبناء تصورات جديدة تحرس عافيته؛ بناءً على معطيات العقل الحجاجي، الذي يتوخى الطابع الإقناعي في سياق ما ينشأ بين المتكلم والسامع من الواقع والحالات الخاصة، ومن ذلك وقائع الأحداث المرتبطة بالأوبئة والمخاطر المختلفة. ذلك أن إدراك الخطر والقلق على الإنسان عمومًا لارتباط مصيره في الكون، ويتساوى في ذلك جميع البشر خاصة أن الصحة والمكتسبات المادية لرخاء الإنسان وازدهاره تعد من الأساسيات المشتركة بينهم. على أن المساواة مفهوم أخلاقي/ ديني تفرضه المرجعية المتجاوزة للأدوية واللقاحات التي يتقاسمها الجميع دون استثناء.

وبناءً على هذا الإدراك؛ يتقوى دور الخطاب الديني الإقناعي في تسوية العلاقة بين الإنسان المسلم والإجراءات الوقائية لتحصينه وحماية صحته واقتصاده من التدهور. وبذا يصبح كل إنسان دون استثناء "كائنًا حرًا مسؤولًا عن أفعاله، له هوية مستقلة، وإرادة مستقلة، ومقدرة على إدراك الخير والشر وما ينفع وما يضر، ولا يمكن تفكيكه أو تقويضه"^(١)، وإنما يتحمل المسؤولية ويجري عليه العقاب والثواب طبقًا لمدى التزامه ومسؤوليته تجاه كل الأوامر والنواهي التي تفرضها الجهات ذات العلاقة.

وطبقًا لهذا التصور الحجاجي لبلاغة الصورة؛ تغدو مجازيتها متوافقة مع أسلوب خطب الحرمين، ومنه تستمد فاعليتها في البيان وما يتطلبه الواقع من شروط السلامة لمواجهة هشاشة الأبدان ورخاوة الحياة؛ وهي بلا شك تبدو متطابقة مع مقتضى الحال التي يفهمها المتلقي عن بلاغة الخطبة ويقدر شراسة الوباء من خلال لغتها ومن

(١) المرجع نفسه، ص ٦٠.

خلال انتشاره في الواقع. الأمر الذي يجعل البلاغة في جوهرها خاصية متجاوزة للزينة الأسلوبية إلى خاصية لغوية حجاجية، لإنجاز خاصيات الفعل الإنساني في مواجهة الجائحة وبناء تصورات واعية تمثل قوانين أخلاقية، وأنظمة صحية، مؤيدة بالحاجة الملحة لمتطلبات الواقع في مواجهة الجائحة.

وبناء على ما سلف؛ نجد نماذج أخرى يمكن من خلالها إتمام النظر في قدرة الصورة البلاغية على إنجاز الفعل الحجاجي وتثوير المسألة الإقناعية في خطب الحرمين، وأهمها:

- وأما من ضعف عقله ويقينه وقل صبره واحتسابه؛ فالمصائب لا تزيده إلا ريباً وشكاً، وإساءة ظنِّ برِّه، واتِّهاماً لمولاه، فيرجع بأخسر الصفتين، وينقلب صُفْرَ اليدين^(١)
- هذه الجائحة أَقْصَتْ مضاجعَ الخلائق، وهزَّت أركانَ الدول، وأهَمَّتِ الأمم، وأرعَبَتِ البشرَ، وغيَّرت طرقَ الحياة، ومناهجها ومباهجها^(٢)
- حيثما وُجِدَ العسر... وُجِدَ إلى جانبه يسرٌ يُنْقِصُ الكربةَ، ويَجْبِرُ القلبَ، ويواسي الجراحَ، ويُسيي الآلامَ، ويُذهبُ الأحزانَ^(٣)
- لقد طُعِنَ العالمُ في رثتيه بداء "كُورُونَا"، ذلك الوباء الذي سَلَبَ الأَجفانَ كَراها، والأبدانَ قُواها، وغزا البلدانَ وغشَّاهَا، وفَتَقَ الأجواءَ، وشقَّ

(١) حميد، د. صالح بن عبد الله، خطبة التوبة إلى الله والالتجاء زمن البلاء، (د. ط. خطبة الجمعة في المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢هـ الموافق: ٢٦ / ٢ / ٢٠٢١م).

(٢) المصدر نفسه

(٣) خياط، الشيخ أسامة، خطبة الفرج بعد الشدة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٥ / ٧ / ١٤٤١هـ الموافق: ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٠م).

الأرجاء، وأفسد الهواء، فسبحان مَنْ يُنزلِ الداء، ويأذن بالعدوى إذا شاء؛ امتحاناً واختباراً، وتذكيراً وتخويفاً، فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره، والتجئوا إليه واطلبوا الحماية والوقاية منه، وحافظوا على الأذكار والأدعية الماثورة، فليس أنفع للوباء من الدعاء وصدق الالتجاء^(١)

- التقوى زمام: فلا وصية أعظم في البذل، من الوصية بتقوى الله - جل شأنه-؛ فهي للمؤمن زمام، وعن الهوى خطام^(٢)

- ما حلَّ بعالمنا اليومَ من هذه الجائحة الصحية، التي جرحت بمخالبها جسدَ العالم أجمع، فكان لها خلالَ عامين متتاليين انعكاساتٌ سلبيةٌ في الصحة والاقتصاد، والتعليم وسير الحياة العام، لقد أربكت تلكم الجائحة العالمَ بأسره، على ما فيه من قوة ومنعة وتمكين^(٣)

إن ما استوت عليه الصور الاستعارية السابقة في تعاضدها الأسلوبية وطاقاتها الإقناعية يقربنا من تفسيرات حجاجية لطبيعة الاقتران الاستعاري المصور، وأسس كفايتها للوعي الراسخ في ذهن المتلقي تجاه الجائحة وآثارها القاهرة، ومنها إضعاف

(١) البدير، الشيخ صلاح محمد، خطبة طرق الوقاية من وباء كورونا، (د.ط. المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١١ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠ م).

(٢) الشريم، الشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم، خطبة بشارة وتحذير لنجوى بإذن الله تعالى من الجائحة، (د.ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٢ / ١ / ١٤٤٣ هـ الموافق: ٢٠ / ٨ / ٢٠٢١ م)

(٣) المصدر نفسه.

العقل الإنساني، ونفاد صبره على حبسه وحظر حركته والحد من نشاطه الاجتماعي، إذ لم تكن الجائحة داء مربكاً للحركة والذهن فحسب، بل لقد أقضت مضاجع الخلائق، وأنهكت أجساد الآدميين، وأرعبت الأمم وتحولت البلدان من حالة الرخاء والهدوء إلى الرعب والقلق، استفحل فيها الوباء وتبدلت مباحج الإنسان ومناهجه في الحياة.

إن عودة لتدبر ما سبق؛ يمنحنا القول بأن الصورة الاستعارية السابقة ليست مجرد زينة أسلوبية بل إن لها مراكز ثقل شعوري وحجاجي، وكلها وظائف فرضتها الجائحة وتسببت في ظهورها على النحو التي بدت عليه، إذ أضعفت العقل ومست الصبر؛ فانفرط وحولت المرء إلى صفر اليدين وأقضت مضاجع الخلائق، وهزّت أركان الدول، وأهمت الأمم، وأرعبت البشر، وغيّرت طرق الحياة، ومناهجها ومباحجها، بل لقد طعن هذا الوباء العالم في رثيته، وغزا البلدان وسلب الأجناف كراها والأبدان عافيتها؛ امتحاناً واختباراً، وتذكيراً وتخويفاً، ولم يكن للمسلم في أرجاء الأرض أنفع له من الالتزام بالتعليمات الصحية والدعاء وصدق الالتجاء إلى الله عز وجل. والانغماس في التقوى فهي للمؤمن زمام، وعن الهوى خطام.

بهذه الصيغ المتلاحقة التي تداولها خطباء الحرمين؛ تغدو البلاغة وحجاجية الصورة الاستعارية وغيرها فضاء لصراع الإنسان مع الكوارث والأوبئة، إذ تجمع وتستدعي الأشياء المتباعدة وتؤلف بين المتباينات في صعيد واحد طبقاً لقانون التباين بين المتناقضات، وهو قانون التشخيص والتجسيم بحسب عبد القاهر الجرجاني، إذ "يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبيهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك الثمام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، كما يقال في الممدوح هو حياة لأوليائه، موت

لأعدائه، ويجعل الشيء من جهة ماء، ومن أخرى نارا"^(١)
ومعنى ذلك أن الخطيب الذي يسعى للبرهنة على شيء أو إقامة الدليل على أمر يلجأ إلى التصوير وحمل اللغة على غير ما يغير قانونها المباشر، فيعطينا من البلاغة مفاتيح استعارية أو تمثيلية قادرة على استكشاف مغاليق التواصل والتفاعل مع الجمهور. كل ذلك يجري ضمن تفاعل الخطيب مع الأحداث والمتغيرات على الواقع؛ "إنتاج واقع متعال، أو نموذج مثالي لواقع آخر مستشرف"^(٢). ومن ثم فليست الصورة البلاغية ذات المرجع الواقعي أو التوظيف الاستعاري وغيرها من صور البلاغة إلا نسخة متطورة من الإدراك للأمور الحسية، وإنتاجها بإمكانيات اللغة، والتمثلات الجديدة للخطاب الديني.

وإذا سلمنا بهذا التصور تغدو خطب الحرمين أثرًا فاعلاً في حجاج الجائحة ونشاطها التواصلية، المحكوم بقدره الخطيب على الجمع والاستدعاء بدقة ومنطقية تفتح أمام المتلقي مساحة واسعة للاقتناع بما تحمل الملفوظات وما تبني عليه من أحكام.

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١٢٣.

(٢) خالفي، حسين، البلاغة وتحليل الخطاب، (ط ١، بيروت - لبنان، دار الفاربي، ٢٠١١م)، ص ١٠٩.

نتائج البحث وتوصياته:

من النتائج التي حققها البحث:

أولاً: يتنزل مفهوم حجاج الجائحة في هذا البحث ضمن بلاغة الحجاج، ونعني به: "مجموعة الحجج البلاغية التي تجعل من حجاج الجائحة في خطب الحرمين خطاباً إقناعياً، يؤدي بالجمهور المسلم إلى التسليم بالأحكام والإجراءات الوقائية التي تحمي الإنسان من الإصابة والعدوى".

ثانياً: انتهى الباحث إلى قناعة بأن البحث في حجاج الجائحة من خلال خطب الحرمين له ما يسوغ فعله، إذ الحجاج موجهاً إلى جمهور استثنائي في ظرف استثنائي، ولهذا السبب فإن مقارنة حجاج الجائحة تمنح القارئ فرصة أخرى للتعرف عليها من زاوية جديدة طبقاً لاستراتيجية إقناعية، يستضيء فيها البلاغي بالفكري، وغايتها إغناء الفكري البشري بما يلزم من المعرفة المؤثرة في أحاسيسه وعواطفه ورغباته الإنسانية.

ثالثاً: لم تكن الإجراءات الاستثنائية وحدها كافية لولا الخطاب الوقائي الذي أخذ مساره في خطب الجمعة من الحرمين الشريفين؛ إذ واكبت الخطب الحالة النفسية للمصابين، وتضامنت في موجهاتها الإقناعية الثرية مع حالات الفقد التي عظمت آثارها لذوي المفقودين، مما يعزز فرضيتنا بأن الحجاج كان جزءاً أساسياً في بنيتها اللغوية، وعنصراً جوهرياً في تكوين خطابها الإقناعي.

رابعاً: كشف البحث عن هيمنة ثلاث حجج أساسية، كان لها القوة الضاغطة في بناء خطب الحرمين وتوجيه مسارها الحجاجي، وهي: (حجة العقبة، حجة السلطة، وحجة الصورة)، ألفيناها تمتد في البحث وتتسع في أشكالها وسياقاتها التي يفضي بعضها إلى بعض، بما يعكس صراع الإنسان مع الكوارث والأوبئة، ومنه يتشكل خطابه الراسخ لحماية نفسه ومكتسباته.

خامساً: حملت خطب الحرمين في سياق المقاربة الحجاجية حالة التفاعل والمسؤولية المشتركة بين الحكومة والشعب السعودي. باعتبار أن الحجاج هو الميثاق الذي ينبغي التفكير به في الخطاب الديني لتجاوز الآلام ومحاولة فهم الأوجاع والانفتاح على كل ما يقدم وصفاً ناجعاً لخطاب الجائحة وبخاصة في خطب الحرمين الشريفين.

أما التوصيات، فيمكن توسيع مساحة البحث في استكشاف ما يختص بالجائحة من الدراسات البلاغية السيميائية للتطبيقات الإلكترونية البصرية في المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان العربية والغربية، وكذلك يمكن دراسة الطابع الكاريكاتوري في الصحف اليومية في المملكة وخارجها، فضلاً عن طبيعة التفكير بالجائحة طبقاً للمنهج الإدراكي، ونقصد ردود الفعل الجماهيري في البيانات والخطابات الإعلامية للمتحدث الرسمي في المملكة وخارجها كذلك.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

البدير، الشيخ صلاح، طرق الوقاية من كورونا، (د. ط، خطبة الجمعة في المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١١ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠ م).

البيجان، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، خطبة التضرع والرجاء حين نزول البلاء، (د. ط. المسجد النبوي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٩ / ٥ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٢٤ / ١ / ٢٠٢٠ م)

الجهني، د. عبد الله، نصائح وإرشادات لاتقاء الوباء، (د. ط. خطبة الجمعة من المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١١ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ / ٣ / ٢٠٢٠ م).

حميد، الشيخ صالح، التوبة والالتجاء إلى الله في زمن البلاء، (د. ط. خطبة الجمعة في المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ الموافق: ٢٦ / ٢ / ٢٠٢١ م).

خياط، الشيخ أسامة، خطبة الفرج بعد الشدة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٥ / ٧ / ١٤٤١ هـ الموافق: ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٠ م).

الشريم، الشيخ سعود، بشارة وتحذير لنعجو من بإذن الله تعالى من الجائحة، (د. ط. المسجد الحرام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بتاريخ: ١٢ / ١ / ١٤٤٣ هـ الموافق: ٢٠ / ٨ / ٢٠٢١ م).

ثانياً: المراجع:

الإدريسي، مولاي يوسف، الخيال والمنتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، (ط ١، الدار البيضاء - المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٥ م).

بيرلمان، شايم، تيتكا، لوسي أولبريت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ترجمه عن الفرنسية وقدم له د. محمد الوي، (ط١)، بيروت - لبنان، دار الكتاب الجديد، (٢٠٢٣م).

جبار، سعيد، بلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني إعداد وتنسيق محمد مشبال، (ط١)، الرباط - المغرب، دار الأمان، ١٤٣٠هـ - (٢٠١٥م).

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمود محمد شاكر أبو فهر، (ط٣)، جدة - المملكة العربية السعودية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بمكة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

الحقوي، أحمد بن محمد، وآخرون، التدابير الصحية في مواجهة جائحة كورونا COVID-19 د. ط. الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مح٣٦، ٢٤، يوليو ٢٠٢٠م، الصفحات ٣٣٨-٣٤٣).

السفياني، عبد الله بن رفود، الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، (ط١)، بيروت - لبنان، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٤م).
خالفي، حسين، البلاغة وتحليل الخطاب، (ط١)، بيروت - لبنان، دار الفاربي، (٢٠١١م).

صولة، د. عبد الله:

الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (ط١)، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، طباعة كلية الآداب منوبة، ١٩٩٩م).

الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار لفاربي، بيروت، لبنان،

ط ٢، ٢٠٠٧م، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، (ط ١)، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، (٢٠١١م).

القحيز، د. ريم بنت زيد بن عبد الرحمن، بلاغة الاستفهام في خطاب التوعية بجائحة كورونا، الرسائل النصية القصيرة لوزارة الصحة السعودية أمودجًا، (د. ط. الرياض، المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، مج ٧، ع ٢٤، مايو ٢٠٢٢م، الصفحات: ٥٨٧-٦٢١).

كحولي، د. محمد ناصر، الحجاج الخطابي، أسسه وتقنياته في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، (ط ١)، تونس، دار زينب للنشر والتوزيع، (٢٠١٧م).

لاست، جون إم. مبادئ علم الأوبئة، (ط ٧)، بريطانيا، مطبعة جامعة أكسفورد، (٢٠١٢م).

مشبال، د. محمد،

خطاب الجائحة شاهدًا حجاجيًا، مجلة العلوم الشرعية واللغوية، (د. ط. الرياض - المملكة العربية السعودية، المجلد السابع، العدد ٢، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، رجب ١٤٤٣هـ - فبراير ٢٠٢٢م، ٢٤٧-٢٦٦).

في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، (ط ١)، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، (٢٠١٧م).

في بلاغة الموعظة الدينية، ضمن كتاب البلاغة وأنواع الخطاب، (ط ١)، القاهرة - مصر، دار رؤية للنشر والتوزيع، (٢٠١٧م).

موقع منظمة الصحة العالمية، (مدينة جنيف (Geneva) سويسرا،

<https://www.who.int/>

ناصر، د. عمارة، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، (ط ١)، الجزائر، منشورات الاختلاف، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

الولي، د. محمد، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، (ط ١)،

الكويت، عالم الفكر، العدد (٢) المجلد (٤٠) أكتوبر - ديسمبر ٢٠١١ م

Cohen, J. (2006). *The Global HIV/AIDS Pandemic*. The Lancet, 368(9534), 89.؛ Slack, P. (1988). *The Impact of Plague in Tudor and Stuart England*. Oxford University Press,

<https://ourworldindata.org/coronavirus/country/saudi-arabia>

<https://data.who.int/dashboards/covid19/deaths?n=o>

<https://news.mit.edu/2021/map-sars-cov-2-genome-0511>

<https://saudiarabia.un.org/en/39436-who-saudi-arabia-join-forces-fight-covid-19-nationally-regionally-and-globally>

Sachs, J., & Malaney, P. (2002). *The Economic and Social Burden of Malaria*. Nature, 415, 673-674.

Bibliography

(Primary Sources)

- Al-Budair, Salāh. "Preventive Measures Against Coronavirus" (in Arabic). Friday sermon, Al-Masjid al-Nabawi, March 6, 2020 (7 Rajab 1441 AH).
- Al-Juhani, 'Abdullah. "Naṣā'ih wa Irshādāt li-Ittiqā' al-Wabā'". Friday sermon, Al-Masjid al-Ḥarām, March 6, 2020 (7 Rajab 1441 AH).
- Ḥumaid, Ṣāliḥ. "Al-Tawba wa al-Iltijā' ilā Allāh fī Zaman al-Balā'". Friday sermon, Al-Masjid al-Ḥarām, February 26, 2021 (14 Rajab 1442 AH).
- Al-Shuraim, Sa'ūd. "Bishāra wa Taḥdhīr linañjū be-Idhni Allāh Ta'ālā min al-Jā'iha. Friday sermon, Al-Masjid al-Ḥarām, August 20, 2021 (12 Muḥarram 1443 AH).

(Secondary Sources)

- Al-Idrisi, Mawlāy Yūsuf. "Al-Khayāl wa al-Mutakhayyil fī al-Falsafa wa al-Naqd al-Ḥadīthain". Casablanca: Maṭba'at al-Najāḥ al-Jadīda, 2005.
- Perelman, Chaim, and Lucie Olbrechts-Tyteca. "Al-Muṣannaf fī al-Hijāj (al-Khiṭāba al-Jadīda)". Translated and Foreword by Muḥammad al-'Alwī. (Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd, 2023).
- Jabbār, Sa'īd. "Balāghat al-Iqnā' fī Khiṭāb al-Wa'z." Ḍimna Balāghat al-Khiṭāb al-Dīnī, prepared by Muḥammad Mishbāl, (1st ed., 201-225. Rabat: Dār al-Amān, 2015).
- Al-Jurjānī, 'Abd al-Qāḥir. "Dalā'il al-I'jāz". Investigated by Maḥmūd Muḥammad Shākir. (Cairo: Maṭba'at al-Madānī; Jeddah: Dār al-Madānī).
- Al-Ḥaqwī, Aḥmad ibn Muḥammad, et al. "Health Measures in Confronting the COVID-19 Pandemic (in Arabic), (Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, Arab Journal of Security Studies, Naif Arab University for Security Sciences, Vol. 36, Issue 2, July 2020, pp. 338-343).
- Al-Sufyānī, 'Abdullāh ibn Rafūd. "Preaching Discourse: A Critical Review of Discourse Methods and Content". (1st ed. Riyadh: Namaa Center for Research and Studies, 2014).
- Khalafī, Ḥusain. "Al-Balāgha wa Taḥlīl al-Khiṭāb". (1st ed. Beirut: Dār al-Fārābī, 2011.
- Ṣūla), 'Abd Allāh. "Hajjaj, its frameworks, starting points and

- techniques, in the book *The Most Important Theories of Argumentation in Western Traditions from Aristotle to the Present Day* (in Arabic), (1st ed., Tunis, University of Arts, Humanities and Social Sciences, printed by the Faculty of Arts, Manouba, 1999). "Argumentation in the Qur'an through its most important stylistic characteristics (in Arabic), (Dar Al-Farabi, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 2007).
- In the theory of argumentation, studies and applications, (in Arabic), (1st ed., Tunis, Maskilani Publishing and Distribution, 2011).
- Al-Quḥayz, Reem bint Zayd ibn 'Abd al-Raḥmān. "The rhetoric of interrogation in the awareness speech about the Corona pandemic, the text messages of the Saudi Ministry of Health as a case study (in Arabic), (Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, Journal of Sharia Sciences and Arabic Language, Princess Nourah bint Abdulrahman University, Vol. 7, Iss. 2, May 2022, pp. 587-621).
- Kahūlī, Muḥammad Nāṣir. "Argumentation Discourse: Its Foundations and Techniques in *Thamarāt al-Awrāq* by Ibn Ḥijjah al-Ḥamawī" (in Arabic). (1st ed., Tunis: Zainab Publishing and Distribution House, 2017).
- Last, John M. "Mabādi' 'Ilm al-Awbiyā' [Principles of Epidemiology]" (in Arabic). (7th ed. Oxford: Oxford University Press, 2012).
- Mishbāl, Muḥammad. "Pandemic Discourse as an Argumentative Witness" (in Arabic), *Journal of Sharia and Linguistic Sciences*, (Riyadh - Kingdom of Saudi Arabia, Volume 7, Issue 2, Princess Noura bint Abdulrahman University, Rajab 1443 AH February 2022, pp. 247-266). "In the Rhetoric of Argumentation: Towards an Argumentative Rhetorical Approach to Discourse Analysis" (in Arabic). (1st ed., Amman, Jordan, Kunuz Al-Ma'rifa Publishing and Distribution House, 2017). "In the Rhetoric of Religious Sermons, in the book *Rhetoric and Types of Discourse*" (in Arabic), (1st ed., Cairo, Egypt, Ru'ya Publishing and Distribution House, 2017).
- World Health Organization. Accessed March 2025: <https://www.who.int/>
- Nāṣir, 'Imāra. "Philosophy and Rhetoric, an Argumentative Approach to Philosophical Discourse" (in Arabic). (1st ed., Algeria, Ikhtilaf Publications, 1430 AH - 2009).

- Al-Walī, Muḥammad. Introduction to the Arguments of Plato, Aristotle and Chaim Perelman, (1st ed., Kuwait, Alam Al-Fikr, Issue (2), Volume (40), October-December 2011).
- Cohen, J. "The Global HIV/AIDS Pandemic." The Lancet 368, no. 9534 (2006): 89.
- Slack, Paul. The Impact of Plague in Tudor and Stuart England. Oxford: Oxford University Press, 1988.
- Our World in Data. "Coronavirus: Saudi Arabia." Accessed March 2025:
<https://ourworldindata.org/coronavirus/country/saudi-arabia>
- WHO COVID-19 Dashboard. Accessed March 2025:
<https://data.who.int/dashboards/covid19/deaths>
- MIT News. "MIT Maps SARS-CoV-2 Genome." May 11, 2021.
<https://news.mit.edu/2021/map-sars-cov-2-genome-0511>
- United Nations Saudi Arabia. "WHO and Saudi Arabia Join Forces." Accessed March 2025. <https://saudiarabia.un.org/en/39436-who-saudi-arabia-join-forces-fight-covid-19-nationally-regionally-and-globally>
- Sachs, Jeffrey, and Pia Malaney. "The Economic and Social Burden of Malaria." Nature 415 (2002): 673–674.

جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي رواية "أوراق المورينجا" أنموذجا

The Aesthetics of Place and Its Relationships
in Narrative Discourse:
"The Novel Leaves of Moringa" as a Case Study

د. محمد بن مشخص المطيري

البريد الإلكتروني: mmalmutairi@mu.edu.sa

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة المجمعة

اعتماد البحث A Research Approving 2025/03/10		استلام البحث A Research Receiving 2025/01/21
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-010		

المستخلص:

للمكان حضور فاعل في حياة الإنسان، ليس من خلال معماريته وبنائه الهندسي، ولكن بوصفه بنية ذات أثر وتأثير، فهو يمثل بُعداً ذهنياً وتصوراً علائقياً، يحمله الإنسان في وجدانه منذ ولادته وحتى رحيله؛ لذلك يتناول هذا البحث: جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي: رواية "أوراق المورينجا" أنموذجا؛ من خلال الحديث عن مفاهيمه النظرية والإجرائية؛ ليتجلى ذلك الحديث: في مقدمة ومهاد ومبحثين وخاتمة، فتحدث البحث عن الجمالية والمكان والمفاهيم المجاورة، ثم عن أهمية المكان وأقسامه...، ليمتد البحث؛ فيتناول أنواع المكان في هذه الرواية، وعلاقاته مع عناصر السرد الأخرى فيها، متخذا المنهج الوصفي التحليلي منهجا في هذه الدراسة، ليصل البحث في خاتمته إلى نتائج منها، تعددية الأمكنة في هذه الرواية، مع الإضافة الفنية التي تميزت بها؛ بتوظيف السرد بين الواقع الحقيقي والمنتخيل الروائي، ليوصي البحث في نهايته بأهمية الإجراء التطبيقي؛ ليسهم في حركية البحث العلمي وتطوره. الكلمات المفتاحية: الرواية، عنصر المكان، عناصر السرد، الجمالية، المستنير.

Abstract

The Place holds a dynamic presence in human life, not merely through its architecture and structural design, but as a construct with influence and impact. It represents a mental dimension and a relational perception carried by a human in his consciousness from birth to death. Therefore, this research addresses the aesthetics of place and its relationships in narrative discourse: The novel "Awraq al Moringa" Leaves of Maringa as a Case Study, by discussing its theoretical and procedural concepts. This discussion unfolds through an introduction, two main chapters, and a conclusion. The research examines aesthetics, place, and related concepts, followed by the significance of place and its classifications. Then it goes on to analyze the types of places in the novel and their relationships with other narrative elements, employing a descriptive analytical method in the study. The research concludes with findings, including the multiplicity of places in the novel and the artistic contribution that distinguishes it by utilizing narration to blend real-life and fictionalized reality. In conclusion, the study emphasizes the importance of practical application to contribute to the dynamism and development of scientific research.

Keywords: Novel, Element of Place, Narrative Elements, Aesthetics, Enlightened.

المقدمة:

الرواية من الأجناس الأدبية؛ التي هي شكل من أشكال التعبير الإنساني عن الذاتية والحياة الثقافية والاجتماعية...، وقد نجحت بسبب ما تملك من مقومات التماسك بين عناصرها، ولتقريبها المتخيّل الروائي من الواقعية الحقيقية، ويمثل المكان العمود الفقري الذي يربط بين أجزاء العمل الروائي؛ من أحداث وشخصيات وزمان وسرد، ويسهم تجسيده في رسم أبعاد الجمالية المكانية، وقد تنامت العلاقة بين الإنسان وبين المكان؛ حتى أصبح المكان من القضايا التي يوجّه لها البحث؛ بقصدية التعمق في هذه العلاقة والكشف عن دلالات التأثير والتأثير...؛ ومن هنا ينطلق هذا البحث الموسوم بـ "جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي: رواية "أوراق المورينجا" أنموذجا؛ للكشف عن جماليات المكان وعلاقاته في عالم السرد الروائي، وتخيّرت هذه الرواية؛ للتطبيق والدراسة.

ويهدف هذا البحث إلى:

- بيان أنواع المكان وعلاقاته في العمل الروائي.
- الكشف عن الجمالية المكانية ومدى ترابطها مع العناصر الأخرى في هذه الرواية.
- توضيح بعض الدلالات التي تؤديها الأمكنة المختلفة في هذه الرواية.

ومن أسباب الكتابة عن هذا الموضوع:

- الكتابة عن أديب، له كتاباته القصصية والروائية؛ ومن حق المبدع التعريف به والكتابة عن إنتاجه.
- تعدد الأمكنة في هذه الرواية؛ مما جعلها مطلباً للنظر في جماليات المكان فيها.
- الرغبة في تقديم دراسة تطبيقية عن المكان، وهذه الرواية كوّن المكان فيها

دورا بارزا.

ويبحث البحث عن هذه الأسئلة.

- كيف تعامل الروائي مع المكان؟ وما أنواع الأمكنة في هذه الرواية؟

- كيف ظهرت العلاقة بين المكان وبين العناصر الروائية الأخرى؟

وقد فرضت طبيعة البحث؛ تقسيمه بهذا الترتيب، فتكون من مقدمة فمهاد ثم مبحثين فخاتمة ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعته. تحدث البحث في التقديم عن: أهمية الموضوع وأهدافه وأسباب اختياره ومنهجه...، وفي المهاد حديث عن: مقارنة مفاهيمية؛ تناولت فيها مفهومية الجمال، مع الإشارة إلى الفروق بين دلالة الجمال والجميل والجمالية، ثم الحديث عن المكان والمفاهيم المجاورة؛ الحيز والفضاء...، مع الإشارة إلى أهمية المكان وأقسامه، ثم مفهوم الرواية. وفي المبحث الأول: تحدثت عن أنواع المكان في هذه الرواية؛ من حيث الانغلاق والانفتاح؛ أشرت فيه إلى مضمونية هذه الرواية، فجاء المطلب الأول عن الأماكن المفتوحة؛ ذكرت فيه هذه الأماكن مع الأمثلة عليها من الرواية. وكذلك فعلت في المطلب الثاني عن الأمكنة المغلقة. وفي المبحث الثاني: تحدثت عن العلاقة بين المكان والعناصر الروائية الأخرى؛ من خلال ثلاثة مطالب: المطلب الأول: المكان والشخصيات. والمطلب الثاني: المكان والوصف. والمطلب الثالث: المكان والزمان. ثم جاءت خاتمة البحث؛ وفيها أبرز النتائج. لتأتي في نهاية البحث؛ قائمة بمصادر البحث ومراجعته. وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لكونه يناسب وصف الأمكنة الواردة في الرواية، فيقوم باستقراء نصوص الرواية ثم توظيفها تحت عنصر المكان، وثمة يقوم البحث بتحليل تلك النصوص؛ وفق السردية التي تستخدم المكان وأنواعه وتسير أغوار دلالاته. وبالنظر

إلى الدراسات السابقة؛ فإنني لم أجد أيّ دراسة لهذه الرواية؛ هناك دراسات كثيرة عنيت بدراسة المكان؛ ولكن هذه الرواية -في حدود علمي- لم تدرس من قبل. وفي إطار هذا التقديم؛ سيتناول البحث جماليات المكان وعلاقاته في هذه الرواية؛ وقد اعتمدت في الدراسة على مراجع لصيقة بالموضوع ومتخصصة فيه؛ لأشهر الكُتاب والدارسين والناقدين؛ لتكوّن منطلقات استفدت منها في الاستنتاج والقول بعد ذلك. والحمد لله رب العالمين.

مهاده: مقارنة مفاهيمية

١ - مفهوم الجمال:

لللملة دلالاتها التي تحيل إليها، وعند الحديث عن الجمالية؛ ستحيلنا إلى علم الجمال الذي اهتم به الدارسون والفلاسفة بداية من أفلاطون وأرسطو؛ ليميزوا فيه بين الجميل والقيبح أو الحسن والرديء، فالجمال في مفهومية الفلاسفة "صفة الأشياء التي تبعث في النفس السرور والرضا والقبول، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم؛ أعني الجمال والحق والخير، والمفهوم الفلسفي للجمال لا يختص في ميدان القيم الفنية، وهذا ما يجعله يختلف عن مفهوم الأخلاق الذي يبحث في السلوك القويم..."^(١). ويتضح من خلال هذا المفهوم تصوّر عن فكرة الجمال وريطه بالخير والقيم دون أن يتخذ نظرية فنية لها تصورها الواضح، بل قد اختلف الفلاسفة في رؤيتهم لعلاقة الجمال بالفن، وقد كانت هذه الآراء في مرحلة مبكرة^(٢). ويكمن الجمال في الجوهر، ومن هنا يختلف الناس، فبعضهم يفضلون الجمال الظاهري/الخارجي، الذي يبهرهم مباشرة دون عناء أو جهد، بخلاف الجمال الداخلي الذي يرتبط بالتجارب والواقع؛ فلا يكتشف إلا من خلالها، وبذلك يكون سرّ الجمال في الأدب ما يمنحه الأديب لعمله من ذاته وشخصيته وإنسانيته وتجاربه. وهناك من يعرف علم الجمال؛ بأنه "علم يدرس طبيعة الإحساس الفني وما

(١) حمادة تركي زعيتر، "جماليات المكان في الشعر العباسي". (ط١، عمان: الأردن: دار الرضوان

للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م)، ص ٢٥.

(٢) ينظر: عز الدين إسماعيل، "الأسس الجمالية في النقد العربي". (د. ط، بيروت: دار الفكر

العربي، ١٤١٢هـ)، ص ١٤.

يبحث الجمال في شكل من أشكال الفن أو التعبير^(١). ولعلّ الجمالية أوسع من علم الجمال؛ لأن الجمالية تظهر من خلال تظاهرات وصفات تصف شيئا ما/مقاربة نقدية، تحدد وتصف الجميل، بينما يقتصر الجمال على الشعور بالرضا والسرور؛ لأنه يتخذ مفهوم الفكرة/الجمال، دون تصور لهذه الصفات، يعضد ذلك خضوع الجمال للجانب الذوقي، واختلافه في تصورات الناس، ولذلك هناك من يفرق بين الجمال والجميل والجمالية^(٢). -وهي قراءة جيدة في بابها-. فالجمال: مفهوم فلسفي أبدي متعال عن التجليات والواقع، يرتبط بالعالم المثالي، ويعد مصدرا لكل جميل. والجميل: هو ذلك الشيء المدرك حسيا، فهو الصفة التي تقبل التحديد والتعيين، ويمكن تفسيرها ووصفها. أما الجمالية: فهي مجموعة الأفكار والأحكام والإجراءات المنهجية التي يحددها النقد ويسخرها لعملية اكتشاف الجمال في النص الأدبي، إذن الجمالية بهذا التصور؛ مجموعة من الإجراءات النقدية التي تُستخدم؛ لاقتناص الجمال في النص. وبذلك نستطيع القول: إن مفهوم الجمالية من خصائص الأدب؛ ينظر إليه بوصفه تجربة إنسانية ذات حمولات دلالية لها أبعادها المتعددة. ف"الأدب مما ينتهي إلى الأشياء الجميلة، ويحسن تصويره للأشياء...، حتى يميز الجميل من الكلام من غير الجميل"^(٣).

٢- المكان والمفاهيم المجاورة:

أ- المكان:

شغل المكان اهتمام الفلاسفة، فتصوره أفلاطون بأن المكان هو "الحاوي

-
- (١) جبور عبد النور، "المعجم الأدبي". (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص٨٦.
(٢) ينظر: مثنى محمد، "مفهوم القيمة بين الجمال والجميل والجمالية". (رسالة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد، د.ت)، ص١٠.
(٣) عبد الملك مرتاض، "نظرية النص الأدبي". (ط٢، الجزائر: دار هومة، ٢٠١٠م)، ص٢٠٠.

للأشياء"^(١). وتوسع في تعريفه أرسطو، ليرى أن "المكان موجود ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، ويمكن إدراكه عن طريق الحركة، التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر"^(٢). وقد اهتم به الفلاسفة، مثل: الكندي والرازي وغيرهما، فلم يختلف مفهومه عندهم عن المفهوم الفلسفي، وفي الفلسفة الحديثة؛ يرى "ديكارت" أن المكان هو ماهية الأشياء وجوهرها^(٣). وهذا يدل على تصور الفلاسفة للمكان، ومدى العلاقة بين المكان وبين الإنسان والأشياء، فهذه الفلسفة أعطت التصورات في بناء جماليات المكان؛ فلا يمكن تصور حكاية بلا مكان، فهو المؤثر في العناصر المكونة للخطاب الروائي، ولذلك يعرفه بعضهم بأنه "الجغرافية الخالقة في العمل الفني"^(٤). والمكان هو الذي يؤسس المحكي في العمل الروائي؛ لأن الأحداث تحتاج إلى الأمكنة، وقد أشار لحمداني إلى هذا، فالمكان: "هو الذي يؤسس المحكي في معظم الأحيان؛ لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"^(٥). وهنا إشارة إلى المكان التخيلي الذي يختلف عن الواقع، فالمكان الروائي؛ هو فضاء تخيلي مصنوع من الراوي، تجري فيه الأحداث، ويتخذ المكان أهميته؛ كلما قام بدوره في العمل الروائي وحسن توظيفه من قبل الراوي؛ ليشترك العناصر الأخرى، مثل: الزمن والشخصيات...، ومن أهم من أعطى المكان دلالة في الخطاب الروائي؛ "غاستون باشلار"، وبخاصة المكان

(١) حمادة تركي زعيتر، "جماليات المكان في الشعر العباسي"، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) مهدي عبيدي، "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة". (د. ط، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م). ص ٢٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٤) ياسين النصير، "الرواية والمكان". (د. ط، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦م)، ص ١٧.

(٥) حميد لحمداني، "بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي". (ط ١، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م)، ص ٦٥.

الأليف الذي ولدنا فيه، ومن هنا ساهم في تطور مفهومية المكان وجمالياته^(١). وقد صاحبه إشكالية في توظيف مصطلح المكان في الخطاب الروائي عند النقاد العرب؛ سأشير إليه بعد حين.

ب- الحيز:

من المصطلحات المجاورة للمكان؛ الحيز: وهو يشير إلى الأمكنة المحدودة في العمل الروائي بخلاف الفضاء، فيطلق الحيز على "التضاريس المكانية المحدودة بحدود معينة في النص الأدبي سواء أكانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية، واقعية أو فنية، وتتمثل هذه التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النص الروائي"^(٢). ولعل دلالة الحيز انطلقت من المفهوم اللغوي؛ فمن حاز شيئاً، شملت حيازته كل الموجودات التي في داخله، فهو محدد ومعين^(٣).

ج-الفضاء:

من المفاهيم المجاورة للمكان؛ الفضاء وهو المكان الواسع، ويرتبط الفضاء والأدب بعلاقتين: "الأولى: تكوينية قائمة في تكوين النص الأدبي، والثانية: مضمونية قائمة في موضوعه"^(٤). ويرى محمد القاضي أن المقصود بالفضاء في القصص؛ الفضاء

(١) ينظر: غاستون باشلار، "جماليات المكان". ترجمة: غالب هلسا، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م). ص ٣١.

(٢) مبروك مراد عبد الرحمن، "جيوبوليتكا، النص الأدبي". (ط١)، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م)، ص ٨.

(٣) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط١)، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ١٣ / ١٧٦.

(٤) لطيف زيتوني، "معجم مصطلحات نقد الرواية". (ط١)، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ٢٠٠٢م)، ص ١٢٧.

التخيلي والمعطيات التي لها صلة بالأعمال المتخيلة^(١).

ومن هنا فقد اختلف النقاد في المصطلحات التي تطلق على المكان؛ فظهر مجاورا لعنصر المكان؛ الحيز والفضاء والموقع، فأعطى سعيد يقطين للفضاء ميزة الاتساع والمدى المفتوح والخيال الواسع، فيقول: "إن الفضاء أعم من المكان؛ لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي وإن كان أساسيا إنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمجسد لمعانقة التخيلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء"^(٢). كما يرى عبد الملك مرتاض أن الفضاء؛ هو المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب، جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر، فلا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كُتبت منذ ثلاثين عاما، وقد جاء استعماله نتيجة المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة وخصوصا الفرنسية والإنجليزية^(٣). وربما جاء هذا الرأي؛ نتيجة للكتابة الروائية؛ التي شكّل فيها الفضاء الروائي الجوهر والأساس. وذهبت سيزا قاسم إلى أن مصطلح المكان كان أكثر استعمالا في الدراسات النقدية العربية؛ لاتباعه مع لغة النقد العربي^(٤). بينما يرى لحمداني أن المكان يتخذ أربعة أشكال: الفضاء كمعادل للمكان والفضاء النصي والفضاء الدلالي والفضاء كمنظور، وبذلك يكون الفضاء "أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء،

(١) ينظر: محمد القاضي، مجموعة مؤلفين، "معجم السرديات". (ط١)، تونس: الرابطة الدولية

للناشرين، (٢٠١٠م)، ص ٣٠٦.

(٢) سعيد يقطين، "قال الراوي البنائيات الحكائية في السيرة الشعبية". (ط١)، المغرب: المركز

الثقافي العربي، (١٩٩٧م)، ص ٢٤٠.

(٣) ينظر: عبد الملك مرتاض، "نظرية النص الأدبي". مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٤) ينظر: يوري لوتمان، "مشكلة المكان الفني". ترجمة: سيزا قاسم، (ط١)، بيروت: دار إحياء

التراث للنشر، (٢٠٠٠م)، ص ٧٦.

وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة؛ فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، فهو العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية... فهو شمولي إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي^(١). هذه بعض الآراء التي تشكلت حول مصطلح المكان؛ وهي تصورات لها قيمتها العلمية، وإن كنا نحتاج إلى رؤية نظيرية توحد المفهوم، لتنتقل منها المصطلحات النقدية، ولعل مصطلح المكان؛ هو الأقرب لتحديد هوية العمل الأدبي، ولا مانع أن يكون المكان هو مكون الفضاء الذي تجري فيه الأحداث والأزمنة والشخصيات...، كما أن المكان يرتبط بالحالة النفسية، ومنها تتنوع الأمكنة؛ فتعكس حالتها على الذات، كما يقوم على التشخيص في العمل الروائي والتعيين؛ ومن هنا تبرز دلالة وصفه بالمكان، فلا يمكن تصور أي حدث إلا ضمن إطار مكاني محدد. وقد أصبح المكان مع الذات في علاقة تلازمية؛ وهذا ما يدل على أهميته لفظا ومعنى.

٣- أهمية المكان وأقسامه:

للمكان أهميته في حياة الإنسان، ولا يقتصر النظر إليه بوصفه مكانا هندسيا، بل يتجاوز ذلك إلى البعد الذهني؛ لتتحدد العلاقة بينه وبين الإنسان في إطار التأثير والتأثير، فيصبح المكان بعضا من الذات والذات بعضا من المكان، فهو الذاكرة والحلم، هو "كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"^(٢). ثم العلاقة بالمكان لا تقتصر على مجرد الانتماء الجغرافي أو الإطار المكاني الذي نعيش فيه، بل تتسع لتشمل البعد الإنساني في كل مكان، فالإنسان ترتاح نفسه في المكان المناسب، ويكتسب المكان قيمته لديه، وإذا فُقدت هذه الراحة فيه؛ أصبح المكان دون قيمة،

(١) حميد الحمداني، "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

(٢) غاستون باشلار، "جماليات المكان". مرجع سابق، ص ٣٦.

وينجذب الإنسان نحو المكان -حتى ولو كان مكانا خياليا- عندما يمنحه الشعور بالأمان، ويترك أثره على ذاته؛ ليحدث التفاعل بين المكان وصاحبه.

وعن أهميته في العمل الروائي؛ فيعد المكان مكونا أساسيا في العمل الروائي، ولا ينظر إليه بوصفه مسرحا للأحداث أو الشخصيات فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الفنية العالية التي تصور الأحداث والسلوكيات بكل أبعادها الذاتية والاجتماعية والتاريخية، وتجسد صراع الإنسان مع الأمكنة، ودلالات رمزية التآلف معها أو التنافر عنها، والمكان في العمل الروائي مُهما بفضل بنيته والعلائق مع العناصر الأخرى، ليصبح مؤسس الحكيم أو المادة الحكائية، فيتحول من مفهوم إلى مكون جوهري في الوظيفة الحكائية؛ ليقوم بالتشخيص الذي يجعل القارئ؛ يكتشف أبعاد المكان، ودلالاته وانعكاسه على الشخصيات، ويفرق بين الواقعي والخيالي من خلال البناء اللغوي الذي يصنعه الروائي؛ لأغراض التخيل. فالمكان الروائي؛ "علامة مفتوحة على العالم الخارجي، والعالم الدلالي والثقافي، على أن هذه الدلالة مرهونة بالسياقات التي تقرأ فيها والقارئ الذي يقوم بفعاليات القراءة النصية"^(١).

-أقسام المكان:

يقسم المكان الروائي؛ نظرا إلى عوامل متعددة، وسوف أشير إلى هذه التقاسيم، ثم أحدد النوع الذي سرت عليه في هذه الرواية:

أ- تقسيمه من حيث طبيعة تكوينه:

يقسم بهذا المنظور إلى المكان الطبيعي: ويقصد به الذي لم تتدخل يد الإنسان في تشكيله، فهو المكان المتشكل أزليا، مثل: البحار والأنهار والحدائق والبساتين...

(١) خالد حسين، "شؤون العلامات: من التشفير إلى التأويل"، (د. ط، د. م، التكوين للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م)، ص ١٦٧.

والمكان الصناعي: وهو الذي تدخلت يد الإنسان في تشكيله، مثل: البيوت والغرف، وكل ما تشكل هندسيا وساهم الإنسان في معماريته...

ب- تقسيمه من حيث الإحساس به:

ويقسم بهذا المنظور إلى المكان الأليف: الذي تتفاعل فيه الشخصية وتألفه وتحميه، وهو يخضع للشعور والدواخل والعاطفة، وتختلف فيه الشخصيات، كما تؤثر فيه التجربة المكانية التي رافقت الشخصية، مثل: المكان الذي ولد فيه الإنسان، وترعرع فيه بكل أبعاده؛ البيت، الغرفة، الزوايا، أي: كل مكان عشنا فيه وارتبط بالذاكرة، بيت الطفولة والذكريات والأحلام، فهو أكثر الأمكنة ألفة ومحبة...، ونحن نعود بالذاكرة إلى ذلك المكان؛ "نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه وبينما نحن في أحضان الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي، هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله، سوف نعود إلى الملامح الأمومية للبيت"^(١). والقسم الثاني: المكان المعادي: وهو المكان الذي لا يشعر فيه الإنسان بالألفة، فهو مناقض للمكان الأليف؛ وهي أماكن قد يقيم فيه الإنسان لسبب ما، كالسجن والمنفى، أو يشعر فيها بالخطر والخوف؛ مثل: الصحراء والبحر...، وهذه الأماكن مع تجربة الإنسان لها تولد لديه شعورا معاديا، فيظهر على الشخصية عدم الطمأنينة؛ ليزداد شعور الكراهية نحو هذه الأمكنة.

ج- تقسيمه من حيث المساحة:

وينطلق هذا التقسيم من المساحة؛ وهو نوعان: المكان المفتوح: وهو الواسع المشاع للجميع، فحدوده متسعة، ومساحته مفتوحة، مثل الشوارع والمدن والقرى والصحراء، وسيأتي أن الاتساع هنا قد ينتقل إلى الذات أو العكس، أي: يكون

(١) غاستون باشلار، "جماليات المكان"، مرجع سابق، ص ٣٦.

المكان مرتبط بالذهن، فيشعر بالضيق حتى ولو كان المكان متسعا مفتوحا، والنوع الثاني: المكان المغلق: وهو المكان المحدد في مساحته، مثل: البيت والمشفى والفندق والسيارة...، أو الذي يخص الإنسان، مثل: غرفة نومه أو مجلسه الخاص ونحو ذلك، وهنا تتجلى تلازمة الإنسان مع المكان وعلاقته. وهذا التقسيم هو الذي سرت عليه في هذه الرواية؛ لأن هذه الثنائية هي التي غلبت على العمل الروائي؛ فالصراع بين الشخصيات وبين هذه الأمكنة أبان عن الدلالات النفسية والاجتماعية...، وكشف عن نوع الشخصيات وتشظيها في علاقتها بالمكان، فالشخصية تنتقل بين هذه الأمكنة من اتساع إلى ضيق والعكس، وهنا ثمة صراع نفسي وواقعي، وتفاعل مع الحياة يتناوب بين هذه الأمكنة، وهذه الأمكنة هي مسرح الأحداث؛ فالبيت مكون من مكونات العلاقة الأسرية أو الجماعة المصغرة، لتعكس هذه العلاقة مع مسرحية المكان صراعا في الأفكار والقيم. وأشار هنا إلى أن هذه التقسيمات قد تتداخل؛ فالألفة والمعاداة للمكان تظهر في المكان المفتوح والمغلق، وكذلك من حيث طبيعة المكان؛ فالطبيعي والصناعي، منظور في هذا التقسيم؛ بالنظر لمكونه الأصلي، وإنما أشرت لهذه التقسيمات لتداولها وأنواعها في المكان الروائي.

٤- مفهوم الرواية:

تعد الرواية من الفنون الأدبية التي أخذت حقها من الأهمية والنظر والتأمل والاهتمام من النقاد، ومن هذه التعاريف، هي: "نص نثري تحليلي سردي واقعي - غالبا- يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة"^(١). ويعرفها مرتاض بـ: "نقل الراوي لحديث محكي تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول، كاللغة والشخصيات

(١) لطيف زيتوني، "معجم مصطلحات نقد الرواية"، مرجع سابق، ص ٩٩.

والزمان والمكان والحدث، يربط بينها طائفة من التقنيات، كالسرد والوصف والحبكة والصراع^(١). وأغلب الأوصاف قريبة من هذا التعريف، وتدور حول هذا المفهوم، والرواية تعكس عالما من الأحداث والوقائع المتداخلة والمتشابكة، وتقوم على عنصري الزمن والأمكنة...، وبمازجها شيء من الغموض والإثارة...، فهي جنس أدبي له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية، فتختلف الرواية عن الأسطورة؛ لأن كاتبها معروف غير مجهول، وتختلف عن الخبر التاريخي؛ لأنها وحي من الخيال، وتختلف عن الملحمة؛ لأنها من الأجناس النثرية، وتختلف عن الحكاية والأقصوصة؛ لأنها عمل أطول منهما، وتختلف عن الخبر؛ لأنها بنية سردية معقدة^(٢). وربما يقال: إن الرواية تتخذ في كل عصر مضامين وخصائص تختلف عن خصائصها في عصر سابق^(٣). ولعل في هذا القول إشارة إلى الرواية الحديثة.

(١) عبد الملك مرتاض، "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟"، (ط٢)، بيروت: دار الجيل، ١٩٦٦م)، ص ٢٦.

(٢) ينظر: عبد الحميد قسومة، "تجليات الزمن الروائي"، (ط١)، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ٢٠٠٨م)، ص ٥.

(٣) ينظر: عبد الملك مرتاض، "في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد". (د. ط، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٨م)، ص ٣٧.

المبحث الأول: أنواع المكان في رواية: أوراق المورينجا

- مضمونية رواية: "أوراق المورينجا":

رواية "أوراق المورينجا"^(١) للقاص: محمد المستنير^(٢). تدور أحداث هذه الرواية بين الهند "كيرلا" وبين السعودية، "الرياض"، حيث كثرة الأمكنة وصراعتها مع الذات مما جعلها مسرحاً للأحداث المتعددة بأسلوب تسلسلي، لتناقش بعض الظواهر الاجتماعية بأسلوب القصة؛ لتحلق في سماء الخيال وشيء من الواقعية، وقد أحسن القاص في تشخيص الأمكنة؛ ليجعل من أحداثها ما يحتمل الوقوع...، بطل هذه القصة (روشان الهندي)، شخص مكافح ذكي، أجبرته ظروفه المادية على ترك مقعده الدراسي في جامعة (كوتشين في كيرلا)، ليحدث الصراع الذاتي مع النفس...، التقى

(١) محمد المستنير، رواية "أوراق المورينجا". (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٧م).

(٢) محمد بن علي المستنير، كاتب وقاص سعودي، ولد ونشأ في منطقة نجران. حاصل على الماجستير في الإدارة المالية من جامعة "وينثروب" بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠١٢م، وبكالوريوس في الإدارة المالية من جامعة ولاية "آيداهو" بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠١٠م. شغل منصب رئيس نادي الطلبة الدوليين في الجامعة نفسها عام ٢٠١٠م. مؤلفاته: "بعثرات مبتعث"، ٢٠١٤م، قصة واقعية تدور أحداثها في بلاد الغربة. و"بالقلوب"، كتاب يناقش بعض الظواهر الاجتماعية بأسلوب قصصي. ورواية "أوراق المورينجا"، ٢٠١٧م. من رسالة وصلتني من الكاتب، بعنوان: السيرة الذاتية، مؤرخة بـ ٢٠٢٤/٩/١م.

روشان بصديقه إبراهيم الذي يعمل في مطعم، وله علاقاته ومعارفه، ليتعرف "روشان" على شاب يدعى ناصر...، ومن هنا انتقلت أحداث الرواية إلى السعودية؛ ليوافق البطل محطات مختلفة تتشابه فيها الأحداث مع العلاقات والأصدقاء...، وتتنوع فيها الأمكنة بين البيت والجامعة والمطارات والسجن...، ليصل في نهاية القصة؛ طلب المساعدة من صديقه إبراهيم الذي أصبح من أكبر تجار المدينة...، وقد اتخذت القصة الرمزية العنوانية؛ لتدل على المكان، فـ "المورينجا" شجرة يكثر وجودها في تلك البلاد، بل قد تكون هي موطنها الأساس، ولنبات هذه الشجرة فوائد كثيرة، تشير إليها كتب الطب، كما أن شجرة "المورينجا" تتخذ رمزا حضاريا قديما لديهم، وقد وجدت في البلاد العربية وغيرها، وقد تتخذ مسميات متعددة. وكلمة "أوراق المورينجا" أضافت دلالة تعددية؛ ساهمت في المستوى الدلالي على التسلسل الروائي؛ فكأن كل ورقة تأتي بعدها الأخرى، لتؤدي دورها بهذا الترتيب.

المطلب الأول: الأماكن المفتوحة

تسمح الأماكن المفتوحة للشخصيات أن تنتقل بحرية وحركة واسعة، فهي تشكل فضاء رحبا، ومسرحا لحركة الشخصيات عندما تغادر مكانها الثابت أو المغلق، وتتخذ هذه الأماكن المفتوحة مظهرات متنوعة، تختلف في شكلها وأنواعها، وتبرز أماكن على حساب أخرى، كما أن المكان المفتوح يلتقي فيه أنواع من البشر، يختلفون في طباعهم وأشكالهم وأعمارهم؛ ومن هنا يتميز المكان بالحركة الدائمة، والتشاركية المجتمعية، وتكمن أهميته في كونه ملتقى الشخصيات الروائية، ومسرحا للأحداث، فترتبط الشخصية بالمكان بتأثيراته المتعددة؛ ليدل على حال هذه الشخصية وعلاقتها بهذا المكان، ويرتبط المكان بتصورات ذهنية؛ تدل على الحالة

الداخلية التي قد تكون هي المحدد لنوع المكان. ومن أبرز الأماكن المفتوحة التي وردت في هذه الرواية:

١ - المدينة:

وهي فضاء جغرافي مفتوح، يضم تجمعات سكانية متعددة، وتجمع شخصيات لا رابط بينها، وفيها اتصال بالعالم الخارجي، وهي: "مجموعة من المسافات، لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية..."^(١). وقد تعددت المدن في هذه الرواية:

- كوتشي: منطلق البطل وبداية حياته وتكوناتها، ومسقط رأسه، "تقع مدينة كوتشي" بولاية كيرلا في المنطقة الاستوائية على الساحل الجنوبي لشبه القارة الهندية..."^(٢). وتحضر هذه المدينة في الرواية؛ رمزا للتسامح والتقارب، فهي مدينة متنوعة في سكانها ومذاهبهم وأشكالهم..."، كانت مدينتنا ولا تزال رمزا للتسامح والأخوة، فيها ديانات الأقلية المسلمة والمسيحية... مع الأغلبية لسكان كوتشي من الديانة الهندوسية..."^(٣)، وقد اتخذ الراوي الوصف لهذه المدينة؛ ليعزز ارتباط الشخصيات بهذه المدينة، وبخاصة في المناسبات التي يجتمع فيها الناس، "ففي شهر رمضان المبارك تجد المسلمين يعيشون الأجواء الروحانية دون مضايقات، في النهار ينشغل الجميع بكسب الرزق، بينما النساء يحضرن الإفطار الجماعي...، تُزين الفوانيس الرمضانية المحلات والمطاعم؛ لمشاركة المسلمين أفراحهم بقدوم الشهر

(١) الشريف حبيلة، "بنية الخطاب الروائي". (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ص ٢٥٧.

(٢) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١١.

(٣) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١٤.

الفضيل...، وفي أيام العيد؛ يلبس الجميع أفضل الملابس..."^(١). كما حضر وداع هذه المدينة "كوتشي"، قبل الذهاب إلى السعودية؛ لتظهر ملامح الفراق على وجه البطل، "في الأيام الأخيرة لي في مسقط رأسي، "كوتشي"...، بدا واضحا للجميع الحزن الذي ظهر على ملامح وجهي؛ لمفارقتهم..."^(٢). ولكون هذه المدينة منطلق الأحداث؛ فكان من الطبيعي هذا الوصف العام لهذه المدينة وعلاقة البطل ببيئته، وسيأتي تفصيل لهذا الوصف.

- بومباي: وردت لكونها مدينة كبيرة، مدينة عمل بعيدة، يمثل المجيء منها فرحة للأهل بعد اغتراب، وقد عاشت فيها أخت البطل؛ "فتحت أُمي الباب لأختي القادمة من بومباي، كانت ملابسه مبتلة بالماء، فلم تسعفها مظلة المطر لحمايتها أو حماية حقيبتها...، بدت أسنان أُمي بارزة وابتسامتها تشق وجهها لرؤية ابنتها...، دخل الجميع غرفة الجلوس، تبادلت النساء الأحاديث قبل أن يأتي والدي..."^(٣). وهنا أخذت الشخصيات في الحديث عن تلك المدينة؛ لمنتصف الليل، وهذا الوصف يدل على كمية الأحداث والمواقف التي تحتزنها الذاكرة من حياة المدينة، "لم يمكنني أبي طويلا حتى استأذن للنوم، بينما عادت النساء لمواصلة حديثهن..."^(٤).

- الرياض: حضرت مدينة الرياض بعد انتقال البطل إليها، لتمثل مفارقة له في الحياة، حيث البيئة العمرانية والحضارية والمعالم التراثية...، ومن هنا اختلف المكان

(١) المصدر السابق، ص ١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٥.

على الشخصية، وحدث الصراع مع الذات، وقد جاء البطل في الرواية "روشان" للعمل فيها، "الأيام تمضي سريعا وكأنها على عجلة من أمرها؛ لتفضي بما لديها من أسرار وتجارب جديدة، سأخوض تفاصيلها المثيرة حين قدومي إلى السعودية...، في الهند كنت أعيش حالة غير مستقرة حيث تختلط مشاعر الفرح بقدوم ابنتي الأولى بمشاعر حزنٍ على مفارقتها..."^(١). وقد جرت أحداث البطل في مدينة الرياض؛ بعد قدومه للعمل سائقا خاصا، "بعد مشوار قصير المسافة، طويل المدة في زحمة شوارع الرياض، وصل عامر...، أخبر عامر عائلته بقدوم السائق الجديد..."^(٢).

٢- القرية:

تخضر القرية في الرواية من منطلق الصراع القائم بينها وبين المدينة؛ حيث تمثل القرية الهدوء والراحة وذكريات الصبا والطفولة وملتقى الفسحة للخروج من المدينة؛ كلما سمح الوقت، وقد كان "روشان" يخرج للقرى بتوجيه من أبيه؛ ليلتقي بالأقارب والأصدقاء، وتصف الأحداث الأمكنة حسب وضعها، فالشخصيات في القرية ذات متطلبات يسيرة، تهتم بما يسد الحاجة، "تقدمت بضع خطوات إلى أن وصلت إلى والدي.

- نعم يا أبي ما الخطب؟

لقد وصلني أن تاجر المدينة سيأتي غدا، وسيتم توزيع بعض المؤونة والمواد الغذائية على فقراء قريتنا والقرى المجاورة.

- يجب أن تذهب في الصباح الباكر.

(١) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١.

سمعا وطاعة يا أبي.

كان سكان القرية يترقبون وصول ذلك الرجل...^(١).

٣- الحي:

يشكل الحي مكانا مهما في العمل الروائي؛ وهو أكثر حيوية من حيث الترابط المجتمعي، وهو مكان تتناسل منه الذكريات؛ لأنه غالبا أطول مدة يقضي فيها الإنسان وجوده، قبل الانتقال لمكان آخر، وقد حضر الحي في الرواية من منطلق المكان، الذي سكن فيه البطل، وجرت فيه بعض الأحداث، وشكل منطلقا للتعرف على الأحياء الأخرى، "إنه اليوم الأول لوجودي كجسد في السعودية وبالتحديد في حي الروضة القابع في شرق العاصمة، أما روحي فقد غمرني إحساس غريب وشعور مثير؛ يشدني إلى هذه الأرض الطيبة، وكأنني قد عشت هنا في حياة سابقة...، طلب عامر بأن أجهز لجولة في أحياء الرياض..."^(٢). وهنا بدأ التعارف مع الشخصيات: "أنا ناصر، أسكن في الحي نفسه، ولقد رأيتك بضع مرات بالجوار؛ يبدو أنك عامل جديد..."^(٣). ونلاحظ في هذه الأمثلة؛ أن شخصية البطل أخذت في التحوار مع بقية الشخصيات، وهذا يدل على البحث عن الأصدقاء والتعارف، كما عبرت الشخصية عن شعور الارتياح للمكان.

٤- الشوارع والطرق:

الشوارع أماكن مفتوحة، وهي من أبرز علامات المدينة التي تتحرك فيها

(١) المصدر السابق، ص ٢٣.

(١) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.

الشخصيات وتجري فيها الأحداث، وهي أمكنة مرور وتوقف وانطلاق، تنتقل فيها الشخصيات وتقوم على أنظمة ينبغي مراعاتها، وهي من العلامات التي تتشكل في الخطاب الروائي؛ لتمثل طريقة التعاطي مع المواقف؛ حيث الزحام والتفاعل مع الآخرين، وقد وظّف الكاتب هذه الطرق؛ لتكون مسرحاً للأحداث والوصف؛ "انعطفت السيارة يمينا إلى طريق "خريص" المزدحم...، وعامر يشير بيده تارة إلى اليمين وتارة إلى اليسار؛ ليعرّفني على الأماكن والمباني؛ آملا في أن أتذكر كل تلك المعلومات أو شيئا منها..."^(١). "على رأس الشارع، سيارة حمراء تنعطف يمينا، شباب مراهقون، يرهقون السيارة الصغيرة بإزعاجهم وصوت المسجل العالي...، تقترب السيارة مني أكثر فأكثر..."^(٢).

٥- السوق:

هو مكان عام للشراء والتسوق، وأصبح السوق مكانا للقاء وتبادل الأحاديث، فهو يفتح على العالم الخارجي، فحركته مستمرة، وتبرز فيه ظاهرة الزحام، وتشكل الأسواق ظواهر حضارية، استثمرتها الرواية؛ لتصف لنا هذا المكان وعلاقته بالشخصيات، وقد جاء مكانا مكرورا في هذه الرواية؛ حيث عمل البطل يتطلب التنقل بين كثير من الأمكنة، ومنها السوق، "خارج المجمع التجاري...، وأنا واقف أمام السيارة، تبادلت الحديث مع أحد السواقين الأجانب، ولكن الوقت طال حتى نفذت كل المواضيع التي يمكن لشخص أن يشاركها مع غريب، جمعنا هم الغربة

(١) المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٦.

والحنين إلى الوطن، ولكنني كنت أفضل حالا من المقيم الآخر من حيث معاملة الكفيل وأهله...، ومن أمام بوابة المجمع، سيارات الأجرة تسد المكان...، ومن بين الزحام، خرجت هند وأمها وأسرعتُ نحوهما لأحمل الأكياس الكثيرة"^(١).

٦- المزرعة:

تخضر المزرعة في الرواية هنا مسرحا متنفسا للشخصيات؛ لما تمثله من بيئة ريفية تسر الناظرين، وتمنحهم سكونا يريحهم من ضجيج المدينة، وهي ملتقى لشخصيات الرواية، كما أنها تمثل إحدى الأمكنة التي عملت فيها الشخصية، "أمام بوابة المزرعة، يضع الحارس كرسيًا خشبيا يجلس عليه حين يرهقه الوقوف...، تعرفت إلى عملي الجديد بعد أن أخذني الرجل الذي لا يتحدث كثيرا بجولة حول المزرعة ثم غادر المكان..."^(٢). وترتبط المزرعة بالذاكرة؛ ولذلك يكثر التعالق المكاني مع النفسي، كما أظهرت الشخصية حبها للمكان، فتخيّرت من الألفاظ ما يدل على ذلك؛ فجاء على لسان الشخصية؛ "... مشينا بين أشجار كثيفة...، أصوات الطيور تتشابه في الهواء، فتتهطل أنغاما تطرب لها الآذان"^(٣).

المطلب الثاني: الأماكن المغلقة

تنطلق هذه الأمكنة من الإطار المحدد أو المساحة التي حُددت مكوناتها، وهذا يعني أنه يتصف بالتحديد، لكن لا ينفي انفتاحه على أمكنة أخرى، ويغلب على هذه الأمكنة؛ أنها أمكنة سكن؛ يقضي فيها الإنسان أوقاتا طويلة، سواء بإرادته أم

(١) المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠.

بإرادة الآخرين، فهو مكان مؤطر بحدود جغرافية^(١). ومن الأمكنة التي توصف بذلك في هذه الرواية:

١ - البيت:

يعد البيت مكانا مهما في حياة الإنسان؛ فيأوي إليه من العالم الخارجي بعد خروجه؛ ليجد راحته وأهله وذاته، وله تسمياته؛ التي منها: المنزل والمسكن والدار والقصر، ومفاهيمه؛ التي منها: الاستقرار والراحة والسلام والهدوء، ودون البيت "يصبح الإنسان كائنا مفتتا"^(٢). وقد جاء البيت في الرواية قائما على الوصف؛ لتعدد الأدوار التي تقوم بها الشخصيات، كما وصفت أحواله ومداخله، "بيت صغير تقدّم به الزمن فأصيّبت جدرانه بشروخ وتشققات بارزة وأبواب خشبية بعضها بلغ من العمر عتياً ولم تعد أقفاله صالحة للاستخدام سوى مفتاح الباب الخارجي، الذي لا يزال صامدا..."^(٣). "تقوم أمي بكل أعمال المنزل من طهو وتنظيف وترتيب"^(٤). كما يقوم المكان/البيت بتوظيف عنصر الاجتماع الذي هو من أهم مفاهيمه، "مساء ذلك اليوم وبينما كل أفراد عائليتي في المنزل، فـ"أليشا" لا يكف لسانها عن الثثرة، وهي تواصل حديثها لوالدي..."^(٥). "عدتُ إلى المنزل، كان والدي قد عاد من جولته اليومية، بينما كانت أمي بانتظاري؛ لمعرفة إن كنت قد فعلت ما يرضيها، أختي

(١) ينظر: مهدي عبيدي، "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة". مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) غاستون باشلار، "جماليات المكان"، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٣) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧.

وزوجتي يقتلهما الفضول بسبب قلق والدتي..."^(١).

٢- الغرفة:

الغرفة جزء من البيت، تكون لشخص أو أكثر، وهي مكان تأوي إليه الشخصيات؛ للراحة والنوم ولقضاء بعض الوقت مع الذات، وقد شكّلت الغرفة في الرواية مكانا للذكريات، وتذكر الأهل والأصدقاء، والتأمل في الحال والذات وأيام الماضي، واتخذت حيزا مميزا لنوعية الأكل والطعام...، "شعرت أنني بحاجة إلى استنشاق هواء جديد يختلف عن هواء الغرفة الممزوج برائحة الكاري والبهارات الهندية، نظرت إلى الأعلى والنجوم؛ تتلألأ في السماء الصافية لترشد الضال...، رحلت بأفكاري بعيدا بينما جسدي ظل ثابتا في مكانه، كوتد خيمة بدوي، يا ترى ما هي أحوال عائلتي؟..."^(٢). ويتجلى من خلال هذا المثال أثر المكان على الشخصية؛ فالغرفة تمثل الخصوصية؛ ولذلك جاء التعبير بهذه الألفاظ؛ "شعرتُ، رحلتُ بأفكاري، جسدي".

٣- المقهى:

يعد المقهى مكانا مغلقا؛ لأنه يتموقع في داخل مبنى، وربما من نظر إلى كونه مفتوحا؛ نظر إلى اللقاءات العامة التي تكون فيه، أو إلى الفناء الذي يكون خارجا عن المبنى، فيكون مكانا مفتوحا، وقد أصبح المقهى مكانا بارزا يأوي إليه الناس؛ للجلوس والاجتماع وتبادلية الأحاديث، وقد ورد المقهى في الرواية على لسان البطل؛

(١) المصدر السابق، ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

منطلقا للاجتماعات ومجالا للمؤانسة، كما تأثر المكان بالشخصيات، فهناك مقهى لكبار الشخصيات وآخر لغيرهم، "خرجنا ومشينا بعيدا حتى وصلنا إلى مقهى قديم في نهاية الطريق...، كان هذا المقهى الوحيد في وسط المدينة، لم يكن مجرد مكان للمشروبات، بل كانت تعقد فيه اجتماعات كبار الشخصيات قبل أن ينتقل أثرياء المدينة إلى المناطق المزدهرة المجاورة، ويتكون المقهى لذوي الدخل المحدود...، اخترت الزاوية البعيدة لنكون بمنأى..."^(١). ويأتي المقهى على لسان الشخصيات موحشا عندما يفتقد الصديق صديقه؛ "حيث المقهى الذي كان يجمعنا سويا، إلا أنه لم يجد صديقا ينصت لشكواه كما كنت أفعل...، جلس على أحد طرفي الطاولة، وحال الكرسي الفارغ المقابل؛ يسأل عن الصديق، وإبراهيم يشكو الحال: أين أنت يا روشان؟"^(٢). وهذا يدل على أن بعض الأمكنة تحتاج إلى الشخصيات جميعا؛ فلا يستأنس بها إلا من خلال أحاديث الحاضرين فيها.

٤ - الجامعة:

تعد الجامعة منارة العلم والمعرفة وملتقى المثقفين والمهتمين بالعلوم، وتتكون من قاعات للمحاضرات ومكاتب ومكتبات؛ تمثل حياة، يشارك أهل العلم في الملتقيات، ويجتمعون في الندوات، وقد وردت الجامعة في الرواية أمنية وحلما تراود البطل؛ "روشان"، الذي ترك الدراسة بسبب ظروفه، "عشت في ظروف مادية قاهرة، أُجبرت على ترك مقعدي الدراسي في جامعة "كوشين" للعلوم والتكنولوجيا...، تعتمد عائلتي

(١) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥.

على ما أجنيه من الأعمال اليومية التي أقوم بها بين الحين والآخر..."^(١). وهذا يدل على ارتباط بعض الأمكنة بذاكرة الإنسان؛ فقد بقيت الجامعة تراود البطل في الرواية؛ كلما تذكرها.

٥- المسجد:

يعد المسجد مكانا مريحا، يمثل حياة روحية، وهو مكان للعبادة والصلاة، وقد مثلت شخصية البطل؛ "روشان" الشعور الذي يحس به الإنسان عندما يذهب إلى المسجد، "اصطحبني عامر إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة...، انتابني خشوع وشعرت بالجو الروحاني، ثريا عملاقة معلقة في سقف المسجد والدخان المتصاعد من البخور يخلق عاليا، الأطفال ملتزمون الصمت بالقرب من آبائهم...، جلست بجوار كفيلي عامر..."^(٢).

٦- المستشفى:

يمثل المستشفى مكانا لطلب الشفاء والدواء، وقد ورد في الرواية هنا مكانا لأحد شخصيات الرواية، فجاء توظيف عنصر التعاطف والاهتمام لهذه الشخصية؛ وهو العم صالح الذي عمل لديه روشان في المزرعة، وأصبح بينهما تواصل وصداقة، "سقط العم صالح بعد أن ارتشف فنجان قهوة تفوح رائحة الهيل منه، هرع الجميع لانتشاله إلى المستوصف الصغير، حمله محمد على كتفه اليمنى...، قاد محمد السيارة بسرعة، حتى وصلوا إلى طوارئ المستوصف الصغير...، وبعد ساعتين في غرفة

(١) المصدر السابق، ص ١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣.

الملاحظة، ملأ الدكتور ورقة الوصفة الطبية بقائمة من الأدوية مع نصيحة شفوية بحجز موعد في إحدى عيادات القلب في المستشفيات الكبرى في الرياض^(١).

٧- السجن:

يمثل السجن مساحة مكانية يقيم فيها السجناء، وهو يتخذ معنى الإقامة التي قد تطول أو تقصر، وقد دخل البطل في الرواية السجن؛ بسبب قضية، وكونت له هذه التجربة المكانية ميلادا جديدا، وقد اتضح من هذا التوظيف تأثير المكان على الشخصية؛ "خرجت من السجن وكأني ولدتُ من جديد... انهمرت دموعي بين يديّ عامر؛ طالبا منه مساحتي...، هاتفت أهلي وأخبرتهم بأنني كنت في السجن..."^(٢).

٨- المطعم:

يمثل المطعم مكانا للأكل والشرب، إلا أنه يتخذ دلالة الاجتماع واللقاء، فيصبح مكانا محببا؛ يجمع بين الأحاديث وبين أداء الطعام، وقد كثر ذكر المكان في الرواية؛ لتوافقه مع طبيعة عمل بعض الشخصيات، ولكونه مكانا يلتقي فيه الراوي ببعض الشخصيات، "مررت بجانب المطعم الذي يعمل فيه إبراهيم منذ سنوات، ويحلم بأن يصبح مالكا لأحد المطاعم بدلا عن العمل..."^(٣).

٩- السيارة والطائرة:

هما وسيلتا تنقل، وقد كثر ذكر السيارة في الرواية؛ لطبيعة عمل البطل الذي

(١) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥.

يستخدمها؛ لكونه سائقا خاصا، ويرتبط السائق بسيارته؛ لتصبح مكانا محببا لديه، يُكثر فيه الجلوس أحيانا، ويهتم به، "خرجت إلى السيارة ما إن فتحت باب السائق حتى اتسعت عيناى إلى أقصاهما وأنا أرى أوراقا مبعثرة في السيارة؛ دليلا على عبث أيد غريبة بداخلها..."^(١). وقد ساهمت السيارة في تعدد الأحداث؛ من خلال التنقل المتعدد؛ الذي تمارسه شخصية البطل، كما مثلت الطائرة مكانا مخيفا في الرواية؛ لبعد المسافة بين المكانين، وربما لتجربة البطل الأولى لها، فكانت صراعا مع الذات؛ حتى وصف المكان، بـ"ما بين السماء والأرض، مضى ذلك الوقت الكثيب بسبب فراق عائلي، واستبدّ بي الرعب لكثرة تأرجح الطائرة في السماء، بدا الهلع عليّ وأنا ألتفت بمنة ويسرة، بعدما أيقظتني المطبات الجوية، ماذا لو سقطت الطائرة!..."^(٢). وهذا الوصف ساعد في نمو الحدث الذي كشف عن جوانب من شخصية البطل؛ تمثل في هذا الحديث مع النفس.

هذه أنواع المكان المتجلية في هذه الرواية؛ من حيث الانغلاق والانفتاح، ونلاحظ كثرة الأمكنة المغلقة؛ وذلك لطبيعة التماس معها وعلاقة القرب التي تربط بين الشخصية وبين هذه الأمكنة، لتكوّن حاجيات ضرورية في العلاقة والتواصل، وسيوضح ذلك أكثر في علاقة المكان بالعناصر الروائية الأخرى.

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨.

المبحث الثاني: المكان والعناصر الروائية الأخرى

سيتحدث البحث في هذا المبحث عن هذه العلاقة؛ التي ستنتقل من هذه المكونات:

المطلب الأول: المكان والشخصيات

تنطلق هذه التلازمة من كون الشخصية عنصر ينتمي إلى مكان، يتحرك فيه، ويؤثر في سير الأحداث، وهذا الترابط يساعد في الكشف عن حالة الشخصية، "فالمكان هو لسان لصاحبه"^(١). وهذا يدل على "أن هناك تأثيراً متبادلاً بين الشخصية والمكان"^(٢). فهو مسرح مفتوح؛ تعرض الشخصية من خلاله مواقفها وعواطفها وآمالها وآلامها، وتتأثر به، وتؤثر فيه، فالموجودات في المكان وأشياءه؛ هي تعبير عن أصحابها، فالبيت جزء من حياة الإنسان، بل إن للأشياء تاريخاً يرتبط بالشخصيات، والمكان في يد الراوي المؤثر؛ يتحول إلى كواشف لمكونات الشخصية النفسية والاجتماعية... ليكون مركزية دلالية تسهم في البناء الفني للرواية، وقد قامت الشخصية الرئيسة في الرواية "روشان" بدور محوري يقوم عليه مجرى الحكى، وهي شخصية عاشت صراعاً ذاتياً وأحداثاً متعددة، تمثلت في بلدها الأول الهند/كيرلا، قبل أن تنتقل إلى الرياض، وكان حضورها من خلال الأمكنة التي ذكرت، مثل: "كوتشي، القرية، البيت، الغرفة، المزرعة..."؛ لتتنوع الأمكنة في التجربة؛ مما ساعد

(١) حميد الحمداني، "بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي". مرجع سابق، ص ٧٠. وينظر: محمد عزام، "شعرية الخطاب السردى"، (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م)، ص ٦٨.

(٢) حسن مجراوى، "بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)". (ط ١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م)، ص ٣٠.

الكاتب على تقديمها بما يكشف عن حالها مع المكان، فكشف عن تعلق شخصية البطل بالمكان، فتناسلت ذكريات الطفولة؛ عندما قال: "حين كنت طفلا أَلعب في باحة المنزل، وكانت والدتي تحذرنني من اللعب بالقرب من أشجار المورينجا خوفا عليها من شقاوتي..."^(١). كما حضر المكان على لسان الشخصية مكانا للذكريات؛ التي تحتضن الأهل والأصدقاء والمواقف التي جرت معهم؛ ومثلت الغرفة التي يسكن فيها البطل أحاديث هذه التأملات والذكريات...، وللمكان تأثيره على الشخصية؛ يكشف عن حالها، مثل: "خرج من المكان غاضبا وعروق جبهته قد برزت ووجنتاه اشتد احمرارها..."^(٢). وقوله: "بدأت الطيور تهاجر إلى المناطق المعتدلة هروبا من حرارة طقس الرياض..."^(٣). ومثلت الشخصية المحورية هنا علاقة طيبة مع الأمكنة وبقية الشخصيات الأخرى؛ يدل على ذلك أحاديث الاجتماع في المقهى، "أين أنت يا روشان؟ افتقدك يا عزيزي في حالة الحزن وفي حالة الفرح وفي كل الأحوال..."^(٤). "حيث المقهى الذي كان يجمعنا سويا..."^(٥). كما عبرت الشخصية عن إعجابها ببعض الأمكنة، وبخاصة معمارية البناء، فجاء هذا الوصف على لسان الشخصية في سياق التجول والتنقل؛ "ثرى عملاقة في سقف المسجد، والدخان المتصاعد من البخور يخلق عاليا..."^(٦). ومثل: "شاطئ نظيف، كأن لم تطأه قدم من قبل..."^(٧). ومن

(١) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٦) المصدر السابق، ص ٨٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٣٠.

الشخصيات في هذه الرواية، وهي شخصيات مؤثرة في علاقتها مع الشخصية المحورية؛ ومن أبرزها:

- إبراهيم: الشخصية التي ساعدت البطل في الانتقال إلى العمل في الرياض، وهي شخصية كثر وجودها في العمل؛ لتسببها في نقل الأحداث من مكان إلى مكان آخر؛ ولأنها الأقرب إلى شخصية البطل، "إبراهيم الصديق الأقرب قلبا إلي" (١).

- عامر: صاحب العمل الذي عمل لديه البطل، وحدثت بينهما صداقة ومواقف كثيرة، ساعدت في نمو الأحداث وتطورها.

- العم صالح: صاحب المزرعة، عمل لديه البطل، ومثل جانب التجربة الإنسانية التي استفادت منها الشخصية المحورية.

- شخصيات عائلة عامر: وهي شخصيات قريبة إلى الشخصية المحورية؛ لكونه يعمل سائقًا خاصًا، ولها دور في نمو الأحداث والأفعال. "سحر، هند، فاطمة..."

- شخصيات الأصدقاء: الذين جمعهم العمل واللقاء في المقهى.

- شخصيات عائلة البطل: ودورهم تمثل غالبًا في المواقف المفصليّة التي ساهمت في نمو الأحداث، وفي جانب التذكر والذكريات؛ لبعد الأمكنة.

وهذه الشخصيات تتفاعل مع بعضها؛ لتساعد في إنتاج الأحداث، وتشكل البناء المكاني، وقد تعددت أدوار الشخصيات حسب الثقافات والأفكار والحضارات والتجارب الذاتية...؛ لتؤدي كل شخصية وظيفتها في العمل.

(١) المصدر السابق، ص ٢٤.

المطلب الثاني: المكان والوصف

الوصف من أهم أساليب تصوير المكان؛ فهو الأداة التي تجسد الأمكنة، وهو يعني: "نظاما أو نسقا من الرموز يستعمل لتمثيل العبارات وتصوير الشخصيات أو مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية"^(١). فالوصف تقنية فعالة في الخطاب الروائي وغيره؛ يقوم به الراوي تفصيلا وتوضيحا؛ للكشف عن حالة الموصوف، ويتخذ عنصري الموضوعية والذاتية؛ ففي الأول؛ يصف الراوي الإطار المكاني، وصفات الشخصيات وأحوالها...، وفي السرد الذاتي؛ يندمج مع الذات في أحوالها النفسية، ويتفاعل مع رؤيتها...، وربما يهتم الوصف بالمكان والشخصيات أكثر من الزمنية؛ بتقديم التفاصيل الجزئية والدقيقة التي ترتبط بالمكان أو الشخصية؛ متجاوزا بذلك زمنهما، فهو يقوم بتشخيص المكان؛ لجعل أحداثه محتملة الوقوع؛ ومن هنا يشارك المتلقي في هذا التصور، أي: احتمالية واقعيتها. ف"يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي، ويشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطبعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع"^(٢). ووصف المكان يعطي تصورات عن طبيعة الشخصيات، فعندما يصف الراوي المكان الضيق؛ فكأنه يصف صاحبه...، وإذا وصف الفخامة والأثاث والأشياء المتعلقة بالمكان، فكأنها نوع من وصف الشخصية، أي: لكل وصف انعكاسه على الشخصية، فيعطي دلالة عن المستوى الذاتي والنفسي والاجتماعي والثقافي والفكري...، وقد تجلّى الوصف في هذه الرواية على مستويات متعددة، وبخاصة وصف الأمكنة التي

(١) إبراهيم جنداري، "الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا"، (ط١)، بيروت: دار تموز، ٢٠١٣م)، ص ١٧٥.

(٢) سيزا قاسم، "بناء الرواية...". (د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م)، ص ٨٢.

ارتبطت بها الشخصية، وسوف أشير إلى مثالين فقط؛ كمثالين لتوضيح العلاقة بين الوصف وبين المكان، المثال الأول: وصفه لمدينته وبيت أسرته...، وهنا يتجلى الوصف الدقيق لحالة المكان وانعكاسه على الشخصيات، "تقع مدينة كوتشي بولاية كيرلا، في المنطقة الاستوائية على الساحل الجنوبي لشبه القارة الهندية...، بيت صغير تقدّم به الزمن؛ فأصيبت جدرانها بشروخ وتشققات بارزة وأبواب خشبية بعضها بلغ من العمر عتياً...، ساحة أمامية صغيرة، زرعت أُمّي عند أطرافها أشجار المورينجا، أزهار مختلفة وحشائش أخرى، تغطي بقعا متفرقة أمام المنزل، تظهر حين تكرمها السحب بمطول الأمطار وتزهو ألوانها..."^(١).

والمثال الثاني: وصفه لذاته وحالة المكان، "في إحدى ليالي الصيف الممطرة، وبعد أن عدتُ بشيء من قوت يومي، دخلت المنزل منهكا، أعدتُ لي زوجتي "ناريان" عشاء، فالتهمته كحصان جائع ثم قمت بصعوبة وحملت جسدي...، لأعط في نوم عميق، قطرات المطر تنهمر على الأرض بغزارة، والغيوم تصطدم بعضها ببعض؛ ليضيء برقها، وصوت هزيم الرعد يزيد المكان رعبا، الباب الخارجي يطرق بقوة...، فتحت أُمّي الباب لأختي القادمة من بومباي...، دخل الجميع غرفة الجلوس...، مضى الوقت سريعا حتى منتصف الليل وهدأت العاصفة الرعدية..."^(٢). فهذا الوصف يعطي تصورا عن المكان، وعن حال الشخصية، كما أسهم الخيال في رسم جمالية الوصف. ومن خلال قراءة الرواية؛ فالوصف نوعان:

- وصف عام/ إجمالي: وهو الوصف الذي يذكر الراوي فيه الأوصاف العامة للمكان، دون ذكر تفاصيل المكان وجزئياته؛ وهو الغالب. وثمة سيختزل الكشف عن

(١) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥.

ملامح الشخصية؛ بسبب هذا الوصف العام للمكان.

- وصف خاص / تفصيلي: وهو الوصف الذي يذكر فيه أغلب تفاصيل المكان وجزئياته، أو يتوسع في وصف مظاهره وأحواله، ومن هنا ستتضح أبعاد الشخصية في علاقاتها بمكونات المكان، اتضح ذلك في المثال السابق؛ الذي ظهر فيه وصف الذات وصراعها مع المكان، وقد لا يتصور الذهن وجود نص سردي يخلو من الوصف تماما؛ لأن الفعل أحيانا يحمل الدلالة الوصفية، وهذا يدل على أن الوصف يُشكل المكان. ويتخذ الوصف الروائي؛ ثلاث وظائف:

- الوظيفة التحسينية: التي يهتم فيها الراوي بالمحسنات اللفظية والمجازية من علم البلاغة، وهدفها تحقيق الجمالية النصية وجذب المتلقي. وقد أشرت إلى شيء منها، ومنها قوله: "ما بين السماء والأرض، مضى ذلك الوقت الكئيب بسبب فراق عائلي، واستبدّ بي الرعب..."، "تتسابق الأيام..."^(١).

- الوظيفة التفسيرية: وهي التي تهدف إلى الكشف عن البعد النفسي والاجتماعي للشخصيات، فهي تقوم بوظيفة دلالية، فنكتشف من النص؛ ما يوحي بهذه الأوصاف عن الشخصية، مثل: "انبسطت أسارير عامر وانقبضت عضلات الوجه، فتشكّلت تجاعيد حول العينين وأعلى الوجنتين..."، فرسمت ابتسامة حقيقية دلالة على الفرح والشعور بالبهجة؛ لكل مجتهد نصيب..."^(٢).

- وظيفة الإيهام بالواقعية: فيقوم الوصف بذلك من خلال إقناع المتلقي بواقعية الأحداث؛ ليشعر أنه في عالم الحقيقة لا عالم الخيال، وهذه من أبرز دلالات تجسيد المكان؛ فيعمل الوصف بهذه الوظيفة؛ فيحدث تأثيرا مباشرا بالواقع^(٣). وقد ساهمت

(١) المصدر السابق، ص ٦٨، ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٣) ينظر: ص ٢٦، من هذا البحث.

هذه الوظائف في تشكيل المكان من جوانبه المتعددة.

المطلب الثالث: المكان والزمان:

المكان والزمان عنصران متلازمان؛ فالمكان الروائي؛ لا ينعزل عن بقية عناصر السرد، فالشخصيات التي تتأثر بمكان ما، لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمان في ذلك المكان^(١). وقد ارتبطت هذه العلاقة وتداخلت حتى وصفت بالزمكانية، لكن المكان مادي مجسد يرى في عالم الواقع، بينما الزمان عكس ذلك، فلا يرى واقعياً أو يُشخص، لكننا نشعر به ونرى أثره في الإنسان وفي مَنْ حولنا، فهو قوة خفية وشبه مرئية أيضاً^(٢). و"المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني، ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية...، كما لها ذاتيتها التاريخية"^(٣). وهذا يدل على أن المكان والزمان يتفاعلا ويتبادلان التأثير فيما بينهما ومع العناصر السردية الأخرى، وتظهر علاقة الزمان بالمكان في هذه الرواية متداخلة في مواضع؛ لتعكس أثر هذا الترابط الزمني مع المكان، ودلالاته على الشخصيات، فعندما يوصف المكان تظهر آثار الزمن عليه، مثل: "بيت صغير تقدم به الزمن...، وأبواب خشبية بعضها بلغ من العمر عتياً..."^(٤)، أما الغرفة الأخرى، "بها صندوق كبير يحتوي على أوراق كثيرة، تغطيه طبقة من التراب، تشير إلى مرور فترة طويلة من الزمن، لم تفتح

(١) ينظر: حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي"، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) ينظر: أحمد حمد النعيمي، "إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة"، (١ط)، بيروت-الأردن:

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م)، ص ٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٤) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١١.

فيها ألقاه...^(١). "استيقظت باكرا، ارتديت ملابسها وهمت بالخروج من الملحق...^(٢). "بدأت يومي كسائر الأيام، وصلت إلى الساحة الكبيرة بوسط المدينة...^(٣). "ذات مساء دامس غطى السواد أنحاء المدينة، ودفع ظلمة الليل السكان إلى الهجوع...^(٤). فأينما اتجهت بالقراءة؛ ستجد هذا التلازم الزمكاني في هذه الرواية؛ لطبيعة هذه العلاقة، ولأن الراوي استخدم تقنية الاسترجاع، "عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد"^(٥). مثل: "عدت إلى حقيقتي فوجدت صورة قديمة كتب عليها اسمي ولكن وجهي كان منيرا، فذهبت إلى المرأة لأتفحص وجهي، ولكنني لم أر سوى شبح لا يشابه تلك الصورة، ووجها متلونا بأنواع الهموم وجسدا تتصارع أجزأؤه بعضها مع بعض، فالقلب أخذه الشوق إلى بلاد الهند والقرب من الأحباب...^(٦). "ارتشفت مذاق الشاي السيلاني الذي قدمه لي صديقي الجديد على أنغام أغنية هندية، سحبت روحي إلى الوراء؛ لأتذكر أيام الحب الجميلة...^(٧). فالعلاقة تجلت في استعادة الذكريات، وقيمة هذه التقنية في تغيير زمن الراوي؛ لينتقل إلى زمن ماضٍ، يتذكر فيه الأمكنة التي بقيت في ذاكرته مع الزمن. وقد يستخدم الكاتب: التلخيص؛ الذي يسرد فيه أوقاتا من حياة الشخصية،

(١) المصدر السابق، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٥) سيزا قاسم، "بناء الرواية". مرجع سابق، ص ٤٠.

(٦) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص ١٥٤.

(٧) المصدر السابق، ص ١٥٥.

دون ذكر تفاصيل لها أو تحديده؛ ليدل عليه بألفاظ قليلة، مثل: "إنها مجرد ساعات قليلة قبل أن تحلق طائرتي عالياً"^(١). ومثل: "بعد بضعة أيام..."، و"مضت أسابيع أخرى..."^(٢). فالعلاقة بين المكان والعناصر السردية الأخرى قائمة، لكنها أكثر ارتباطاً مع الزمن؛ فذكر أحدهما يستلزم الآخر، وبخاصة في العمل الروائي؛ لارتباط المكان بزمن الرواية.

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٦.

الخاتمة:

- لما كان للمكان أهميته في الخطاب الروائي؛ من حيث الجمالية والعلاقات مع العناصر السردية الأخرى؛ جاءت هذه الدراسة؛ لتسهم في الكشف عن جماليات المكان وعلاقاته في هذه الرواية؛ فتكونت من مقدمة ومهاد ومبحثين ثم خاتمة، فقامت بمصادر البحث ومراجعته، وخلص البحث إلى هذه النتائج:
- أبانت الرواية عن تعددية الأمكنة فيها، وهذه التعددية أتت بها الجغرافيا الواسعة التي تضمنتها أحداث الرواية، وتعدد الأمكنة فيها أدى لتعدد الأحداث.
 - كون عنصر المكان في هذه الرواية العمود الفقري الذي يربط بين أجزائها وبخاصة مع عنصر الشخصيات وصراعها معه، ربما بسبب تأثير عنصر الغرفة.
 - هذه الرواية إضافة فنية تميزت بتوظيف السرد بين الواقع الحقيقي والمتخيل الروائي، فجاءت أحداثها بين الواقعية والخيال؛ لتكشف عن الإنسان وأحلامه وآماله... في هذه الحياة.
 - اعتبر هذه الرواية؛ رواية مكان تتفوق؛ لأن الراوي نوع في عنصر الأمكنة وعدد في ذكرها، فلم ينغلق على مكان محدد؛ يتضح ذلك من كثرة تنقلات الشخصيات من مكان لآخر.
 - غلبت الأمكنة الواقعية على هذه الرواية؛ مما أوهم بواقعية أحداثها كثيرا، مثل: الرياض، بومباي، الهند، المنزل، الغرفة، حي الروضة...
 - أحسن الراوي في الوصف، فجسد بعض الأمكنة من خلال تفاصيلها الدقيقة وتفاعل الشخصيات معها.
 - تنوع المكان في هذه الرواية بين المكان المفتوح والمكان المغلق، وكثرت الأمكنة المغلقة؛ لأنها أماكن كونت ذاتية الشخصية وخصوصيتها، مثل: البيت، الغرفة، السيارة، المطبخ، المقهى...

- خدمة اللغة سرديّة المكان؛ لاستعمال الراوي لأسلوب سهل واضح؛ يناسب الوصف لبعض الشخصيات والعادات والصفات والأمكنة.
- ساهمت البيئة المكانية في إظهار بعض الدلائل الثقافية والاجتماعية، مثل: أسماء بعض الشخصيات، وأنواع الطعام ومكوناته.
- ويوصي البحث بالإجراء التطبيقي؛ ليسهم في حركيّة البحث وتطوره. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

المستنير، محمد. رواية: "أوراق المورينجا". (ط ١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٧م).

ب- المراجع:

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).
إسماعيل، عز الدين. "الأسس الجمالية في النقد العربي". (د. ط، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ).

باشلار، غاستون. "جماليات المكان". ترجمة: غالب هلسا. (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).

بحراوي، حسن. "بنية الشكل الروائي". (الفضاء، الزمن، الشخصية)، (ط ١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).

جنداري، إبراهيم. "الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا". (ط ١، بيروت: دار تموز، ٢٠١٣م).

حبيلة، الشريف. "بنية الخطاب الروائي". (ط ١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).

حسين، خالد. "شؤون العلامات: من التشفير إلى التأويل". (د. ط، د. م، التكوين للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).

زعتر، حمادة تركي. "جماليات المكان في الشعر العباسي". (ط ١، عمان: الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

زيتوني، لطيف. "معجم مصطلحات نقد الرواية". (ط ١، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ٢٠٠٢م).

عبد الرحمن، مبروك مراد. "جيوبوليتكا، النص الأدبي". (ط١، د. م، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م).

عبد النور، جبور. "المعجم الأدبي". (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).
عبيدي، مهدي. "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة". (د. ط، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م).

عزام، محمد. "شعرية الخطاب السردى". (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م).

قاسم، سيزا. "بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ". (د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م).

القاضي، محمد. مجموعة مؤلفين. "معجم السرديات". (ط١، تونس: الرابطة الدولية للنashرين، ٢٠١٠م).

قسومة، عبد الحميد. "تجليات الزمن الروائي". (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ٢٠٠٨م).

لحمداني، حميد. "بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م).

لوتمان، يوري. "مشكلة المكان الفني". ترجمة: سيزا قاسم. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث للنشر، ٢٠٠٠م).

محمد، مثنى. "مفهوم القيمة بين الجمال والجميل والجمالية". (رسالة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد، د. ت).

مرتاض، عبد الملك. "في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد". (د. ط، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٨م).

مرتاض، عبد الملك. "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟". (ط٢، بيروت: دار الجيل،

١٩٦٦م).

- مرتاض، عبد الملك. "نظرية النص الأدبي". (ط٢، الجزائر: دار هومة، ٢٠١٠م).
- النصير، ياسين. "الرواية والمكان". (د. ط، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦م).
- النعمي، أحمد حمد. "إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة". (ط١، بيروت-الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م).
- يقطين، سعيد. "قال الراوي البناءات الحكائية في السيرة الشعبية". (ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م).

Bibliography

Sources:

Al-Mustaneer, Muhammad. "Leaves of Moringa Novel" (in Arabic) (1st ed., Beirut: Al-Dar Al-Arabiyyah, 2017).

References:

Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. "Lisān Al-‘Arab". (1st ed., Beirut: Dār Sadir, 1997).

Ismail, ‘Izz al-Din. "Al-Asās Al-Jamāliyyah fi Al-Naqd Al-‘Arabi". (Beirut: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1412 AH).

Bachelard, Gaston. "The Aesthetics of Place". Translated by: Ghalib Halasa. (1st ed., Beirut: Mu’assasat Al-Risalah, 2001).

Bahrawi, Hasan. "The Structure of the Narrative Form" (in Arabic). (Al-Fada’, Al-Zaman, Al-Shakhsiya). (1st ed., Beirut: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-‘Arabi, 1990).

Jandari, Ibrahim. "The Structure of the Narrative Form" (Space, Time, Character) (in Arabic). (1st ed., Beirut: Dar Tamuz, 2013).

Hobailh, Al-Shareef. "The Structure of Narrative Discourse" (in Arabic). (1st ed., Jordan: Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2010).

Husain, Khalid. "Shu’oun Al-Alamat: Min Al-Tashfir Ila Al-Ta’weel". (Al-Takween, 2008).

Zu‘aitarr, Hamadah Turrki. "Jamāliyyāt Al-Makān fi Al-Shi‘r Al-Abbasi". (1st ed., Amman: Dar Al-Radwan, 2013).

Zaytouni, Latif. "Mu‘jam Mustalahāt Naqd Al-Riwāyah". (1st ed., Lebanon: Maktabat Lubnan Nashiroun, Dar Al-Nahar, 2002).

Abd Al-Rahman, Mabrouk Murad. "Geopolitics, literary text" (in Arabic). (1st ed., n.p., Dar Al-Wafā, 2002).

Abd Al-Nour, Jabbour. "Al-Mu‘jam Al-Adabi". (1st ed., Beirut: Dar Al-‘Ilm, 1979).

‘Ubaidi, Mahdi. "Jamāliyyāt Al-Makān fi Thulathiyyāt Hanna Mina". (Damascus: Munshurat Al-Hay’ah Al-Ammah Al-Suriyyah, 2011).

‘Azam, Muhammad. "Poetics of Narrative Discourse". (in Arabic). (Damascus: Ittihad Al-Kuttab Al-‘Arab, 2005).

Qasim, Siza. "Structuring the Novel: A Comparative Study of Naguib Mahfouz's Trilogy" (in Arabic). (Cairo: Al-Hay’ah Al-Misriyyah Al-Ammah Lil-Kitab, 1984).

Al-Qāḍī, Muhammad. Group of Authors. "Mu‘jam Al-Sarrdiyāt". (1st ed., Tunis: Al-Rabita Al-Duwaliyyah, 2010).

- Qassoumah, 'Abd al-Hameed. "Manifestations of the novelistic time" (in Arabic). (1st ed., Beirut: Munshurat Muhammad Ali Baidoun, 2008).
- Lahamdāni, Hameed. "The structure of the narrative text from the perspective of literary criticism" (in Arabic). (1st ed., Beirut: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi, 1991).
- Lotman, Youri. "The problem of artistic space". Translated by: Siza Qasim. (1st ed., Beirut: Dar Ihya' Al-Turath, 2000).
- Muhammad, Muthana. "The concept of value between beauty, the beautiful and aesthetics" (in Arabic). (Thesis, Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Baghdad).
- Murtāḍ, 'Abdul Malik. "In the Theory of the Novel: A Study of Narrative Techniques" (in Arabic). (Kuwait: Alam Al-Ma'rifah, 1998).
- Mortadh, Abdul Malik. "Al-Nass Al-Adabi Min Ain? Wa-Ilā Ain?". (2nd ed., Beirut: Dar Al-Jeel, 1966).
- Murtāḍ, 'Abdul Malik. "Nazariyyat Al-Nass Al-Adabi". (2nd ed., Algeria: Dar Houmah, 2010).
- Al-Naseer, Yaseen. "Al-Riwāyah wa Al-Makān". (Baghdad: Dar Al-Hurriyah, 1986).
- Al-Nu'aime, Ahmad Hamad. "The Rhythm of Time in the Contemporary Arabic Novel" (in Arabic). (1st ed., Beirut-Jordan: Al-Mu'assasah Al-Arabiyyah, 2004).
- Yaqtin, Sa'eed. "The narrator said: The narrative structures in the popular biography" (in Arabic). (1st ed., Morocco: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi, 1997).

الرمز، دلالاته وحضوره في ديوان
(طيور تحلق في المصيدة)
مقاربة في ضوء رؤية أسلوبية

The Symbol, Its Significations, and Presence in
the Poetry Collection "Birds Flying into the Trap"
An Approach in Light of a Stylistic Vision

د. شيهانة بنت سعيد بن عبد الله الشهراني

أستاذ مساعد بكلية الآداب والفنون بجامعة بيشة

البريد الإلكتروني: shyahnh.com@gmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/05/19		استلام البحث A Research Receiving 2025/02/21
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ١٤٤٦ هـ ذو الحجة ١٤٤٦ هـ DOI:10.36046/2356-000-016-011		

ملخص البحث باللغة العربية

يدرس البحث الصورة الرمزية في نصوص ديوان (طيورٌ تَحْلُقُ في المصيدة)، ويتناول أسلوبه التعبيري الشعري، وذلك بارتكازه على تشبيهات واستعارات ومدلولات حسية، كان لها الأثر الكبير في لفت انتباه القارئ إلى البعد التأثيري والوجداني الذي عمل عليه الشاعر في قصائده، إضافة إلى الشحن العاطفي المتخلل في ثنايا نصوصه، وقد جنح البحث إلى سطوة ذاتية المتكلم على أسلوبه في تفضيل كلمة على أخرى، واختيار مفردة دون غيرها، لتصبح العلاقة بين المفردة والسياق مجموعة اختيارات مقصودة في تكوين منظومة نصية تصل إلى مستوى جمالي يعبر عن الوجدانيات، والانفعالات، والعواطف، وحشد كثيرٍ من الرموز الدالة على الصراع النفسي الذي يربو على واقعه، إذ تراوده الصراعات بين الأمل وواقعه الذي يأسف عليه من قبله، واستند في ذلك على عدة رموز تصف هذا الصراع، وتكوّن رؤية خاصة تتلخص في اتجاه الشاعر للصراع مع الحياة من خلال الصور الفنية، التي جاءت فيها الاستعارة كشكل من أشكال الانزياح البعيد عن المؤلف.

الكلمات المفتاحية: الرمز، دلالة، أسلوب، الصور، الصراع.

Abstract

This study examines the symbolic imagery in the texts of the collection "Birds Flying into the Trap", focusing on its poetic expressive style, which relies on similes, metaphors, and sensory connotations. These elements significantly attract the reader's attention to the emotional and impactful dimension that the poet works on in his poems, in addition to the emotional charge throughout his texts.

The study leans towards the subjective dominance of the speaker in his style by favoring one word over another and choosing certain terms intentionally. This creates a relationship between the word and context, forming a deliberate choice set that leads to a textual system reaching a level of beauty that expresses emotions, feelings, and the accumulation of many symbols indicating the psychological conflict that exceeds his reality.

The poet is torn by inner conflicts between hope and the lamented reality, relying on several symbols that describe this struggle, and forming a unique vision that summarizes the poet's struggle with life through the artistic images presented, where metaphor serves as a form of deviation from the ordinary.

Keywords: symbol, connotation, style, aspects, conflict

مقدمة

الشعر شعور يتدفق من وجدان قائله، بوساطة ألفاظه ومعانيه، وقوافيه، فتتنظم فيها أفكاره، وتبرز مشاعره، وتتسق إيقاعاته؛ ليتلقاها الجمهور بأحاسيسهم، ويتلقفها النقاد بدراساتهم.

وانطلاقاً من هذا التفاعل المفعم ما بين الفكر والعاطفة تأتي هذا الدراسة بوصفها مقارنة نقدية، وتحليلاً أسلوبياً للنصوص التي احتضنها الديوان، وكوّنت تجربة فريدة للشاعر بإجرائها النقدي، وتحليلها النصي معتمدة المنهج الأسلوبي لتجربة الشاعر جاسم الصحيح، في ديوانه المعنون بـ(طيور تحلق في المصيد).

وقد لمسنا في المجموعة الشعرية للشاعر شيوع الرمز فيها؛ بدءاً من عتبة العنوان (طيور تحلق في المصيد)، الذي يحيل إلى التحليق في مصيدة الحياة، وهذا التحليق يمثل للشاعر موسيقية العيش على إيقاع يرمز لحياة الإنسان، وحرية في خضم صيرورة ظروفه المسيرة لحياته، مروراً بمعجمه الشعري في قصائده المحملة بدلالات رمزية مختلفة المآرب، ومتنوعة المنابع، ومن هنا تحضر أهمية الدراسة في التنقيب عن دلالية الرمز في الديوان، ومنحه حقه النقدي من خلال تسليط الضوء على أسلوب تناوله، واستنباط ما فيه من إشارات، ومضمرات أسهمت في تشكيله.

وتلجأ كثيرٌ من الأعمال الأدبية إلى الرمز بوصفه وسيلة لغوية إيحائية تستطيع أن تبوح بما في النفس البشرية من تعابير وصور، ومن خلاله يستطيع المبدع أن يختزل أفكاره، ووجدانياته في رموز تبوح بها دلالاتها وإشاراتها، تاريخية كانت أم أيديولوجية، وطبيعية كانت أم فكرية، وأسطورية كانت أم دينية.

وأياً كان شكل التوظيف للرمز، ونوعه، ولونه، فقد أغنى الشعراء والكتاب بهذا التوظيف اللغة الرمزية، وأكسبوها قدرة على التلون، والتشكل دلالة وكيفية، وذلك من خلال أسلوب توظيفه، فتشكّل له بعدٌ جماليّ، ولغويّ ظاهرين.

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أسلوب الرمز، والكشف عن أبعاده وعلاماته الدلالية التي آلت لهذا التشكيل، والوقوف على ما وراءه من رؤى مهيمنة متنوعة، جمع بينها وبين هذه الرموز في إبداع شعري.

وتنوعت الدراسات السابقة لهذا الديوان، وكان لها السبق في إضافة قيم معرفية له، ولها الفضل في الوقت ذاته في تحديد مشكلة دراستنا، وآلياتها وفجواتها، وقد كان من أبرزها، وأوثقها صلة ببحثنا، وأقربها منه، دراسة حديثة عنوانها "تجليات الثقافة في ديوان طيور تحلق في المصيدة لجاسم الصحيح للدكتورة حصة السبيعي"^(١).

توزعت دراستها على أربعة مباحث، المبحث الأول في الموروث الديني، والمبحث الثاني في الموروث الأدبي، والمبحث الثالث في الموروث الأسطوري، والمبحث الرابع موروث المصطلحات العلمية والثقافة المعاصرة، وخلصت الدراسة إلى رصد المرجعيات الثقافية في الديوان، وبروز تأثير الشاعر الواضح بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه والشعر القديم، ومن هنا يمكن أن يتضح موقع الدراسة الحالية، حيث ستتناول بالدرس والتحليل ما وراء هذه الدوال بوساطة دلالية الرمز.

واقترضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الأسلوبي في قراءته للمجموعة الشعرية؛ بوصفه المنهج الذي يبحث في الظواهر الأسلوبية، وكل ما يتصل بمظاهر العدول والانزياح، والخروج عن المألوف في الخطاب الأدبي، إضافة إلى الكشف عن تفضيلات الشاعر، واقتضاره على رموز معينة، وإعراضه عن رموز أخرى، وقد جاء

(١) حصة فهد السبيعي، "تجليات الثقافة في ديوان طيور تحلق في المصيدة لجاسم الصحيح للدكتورة حصة السبيعي". *المجلة العلمية*، ٤٢، (٢٠٢٣م): ٣٨٧٧-٣٨٣٥.

ذلك في إشارة الدكتور: رحمن غركان في قوله: "أما المنبع التراثي للمعجم عنده فيتركز على الترميز غالباً، ولا سيما أن الرموز التراثية محملة بدلالة شبه مباشرة غالباً، بما يجعل الانزياح عليها في خلال الترميز هو الأقرب إلى ذاكرة التلقي؛ لأن النص - هنا - يستعيد الذاكرة التي كان عليها الرمز؛ تعبيراً أو إيجاء، استعادة يبت فيها المعنى الشعري الذي يختص به الكلام، فهو معنيّ بالإضافة في هذا. وعلى تعدد أنواع الرمز، بحسب الأزمنة، أو الثقافات، أو المعتقدات، أو غير ذلك"^(١).

ووظف الشاعر الكلمة بوصفها علامة تدل على معانٍ، ورؤى شعرية بكيفيات مختلفة، ومن هنا يأتي دور الكلمة في الشعر، أو الكلمة الشعرية، فالكلمة ليست مجرد صوت له دلالة، بل هي تومئ، وتوحي بوساطة الرمز، وقد لحظنا استعمال الرمز بوصفه سمة كَلِيةً للأسلوب عند الشاعر، اعتمد فيه على تراسل الحواس^(٢)، واتخاذ الأشخاص، والحوار والقصص رموزاً لأفكاره، وبث فيها روح الصراع مع الحياة في قالب يجمع بين صياغة الرؤى، وصناعة البنى. وقد توجه عديد من الأدباء العرب إلى عديد من الرموز؛ لتتويع الأحداث، والوقائع والشخصيات.

واقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى: تمهيد يتحدث عن مفهومي الرمز والأسلوب في النقد الأدبي، يليه المبحث الأول في الأنساق الدلالية، ويتناول هذا المبحث

(١) رحمن غركان، "إنتاجية الشعر ممكنات القصيدة وإفاضات التأويل". (العراق: دار نيبور للطباعة والنشر، ٢٠٢٣م)، ٥٣.

(٢) امتزاج الحواس لغة، وأما في الاصطلاح هو نظرية تعني إلغاء الفروق الوظيفية بين الحواس الإنسانية عن طريق تكوين علائق حوار بين حاستين منفصلتين أو أكثر. ينظر: حميد عبد الله أمجد، "نظرية تراسل الحواس". (بيروت: دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٠م)، ٢٢.

العلامات والإشارات، والأيقونات، والدوال في ديوان (طيور تحلق في المصيدة). وينصب المبحث الثاني في المقاربة الأسلوبية الدلالية، ويختص الحديث في هذا المبحث بتعدد الأساليب السردية، واكتشاف الحقل الأسلوبي؛ من خلال التوقف عند مجموعة من الرموز، وتحليلها في ضوء البنية والدلالة. وعوّلت الدراسة على المنهج الأسلوبي الذي لا يقتصر على الشكل فقط، بل يتجاوزه ليلبغ الفهم والتفسير والشرح والتأويل، في جمع متسقٍ وظاهر بين المعنى والمبنى.

التمهيد

• التعريف بالشاعر

• جاسم محمد أحمد الصحيح:

شاعر سعودي ولد بمدينة (الجفر) في محافظة (الأحساء)، وأكمل فيها تعليمه الأولي، ثم حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من (جامعة بورتلاند) بأمريكا عام ١٩٩٠م، ثم عمل في شركة أرامكو السعودية إلى أن تقاعد منها قبل بضعة أعوام.

بدأ (الصحيح) كتابة الشعر في منتصف الثمانينات من القرن العشرين، وكان ظهوره الأول على الساحة عبر الاحتفالات الدينية، والوطنية والاجتماعية، ونُشرت قصائده في عديد من وسائل الإعلام المحليّة، والعربية، وهو رئيس منتدى خيمة المتنبّي، وعضو جمعية الثقافة والفنون، وعضو نادي الأحساء الأدبي، وكذلك عضو منتدى الينابيع الهجرية في الأحساء.

أصدر (الصحيح) أربعة عشر ديواناً شعريّاً، منها على سبيل المثال: (نحيب الأبدية، ما وراء حنجرة المعني، رقصة عرفانيّة، قريبٌ من البحر بعيدٌ عن الزُرقة، تضاريس الهذيان، طيورٌ تُحَلِّقُ في المصيدة). وقد حظي شعره باهتمام بالغ من النقاد والدارسين داخل المملكة وخارجها، وقُدِّمت حوله مجموعة من الدراسات الأكاديمية، والأوراق العلمية في جامعات ومناسبات ثقافية متنوّعة.

الدراسات التي تناولت تجربته الشعرية:

١. تجليات الثقافة في ديوان طيور تَحْلُقُ في المصيدة لجاسم الصحيح

د. حصة فهد السبيعي. دراسة بحثية نشرت في مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط في جامعة الأزهر، العدد الثاني والأربعون، ٢٠٢٣م.

٢. صورة المرأة (بين الحقيقة والرمز) في الشعر السعودي الجديد جاسم

الصحيح مثالا

د. محمد حسين علي. دراسة بحثية نشرت في مجلة الباحث العدد الثامن والعشرون، ٢٠١٨م.

٣. شعرية السؤال في شعر جاسم الصحيح

د. فارس سعود القثامي. دراسة بحثية نشرت في مجلة العلوم العربية والإنسانية، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢٣م.

٤. أنماط الصورة البيانية في ديوان تضاريس الهذيان لجاسم الصحيح دراسة

بلاغية

دراسة نشرت في مجلة جذور، العدد ٦٣، ٢٠٢١م. د. زياد علي الحارثي. اتسم شعر جاسم الصحيح بسمات شعر مجاليه من المزاجية بين نمطي التفعيلة والعمودي، كما اتسم بصفات تميزه عن غيره، منها شيوع روح التصوف في قصائده، وميله لتوظيف المفردة العذبة في موضوعات الغزل والحياة اليومية، وذلك منح شعره شعبية واسعة في الأوساط الثقافية^(١).

• نبذة عن مفهومي الرمز والأسلوبية.

حظي الشعر العربي بكثير من الدراسات حول فنون الرمز ومظاهره، حيث أضحى ظاهرة يلجأ إليها كثير من الشعراء؛ للأثر الجمالي الذي يطبعه في العمل الشعري، ومن ثم تتعقبه الدراسات الأدبية معالجة وتحليلاً.

وقد جاء الرمز عند أرسطو مقصوراً على الإشارة اللغوية في قوله: الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة، بينما هو

(١) التواصل مع الشاعر جاسم الصحيح وإرسال السيرة الذاتية عن طريق الواتساب في تاريخ ٢٢/أغسطس/٢٠٢٤م.

(١)

عند فرويد دلالة على الرغبات المكبوتة في اللاشعور .

أما الرمز الأدبي فتتميز بمحاولات رائدة للتعريف عنه عند كانت (Kant) ، وجوته (Goethe) وكولردج (Cooleridge)، وغيرهم. وما يهمنا معرفته هو معنى الرمز في الشعر، وهو موضوع بحثنا وثيمة دائرته، حيث جاء في معجم اللغة الفرنسية أن الرمز يعيد الشعر إلى ينابيعه الأولى، لأن الشعر في أصول أغراضه لا ينوه عن الأشياء الواقعية مباشرة، بل يعبر عنها بطريقة صورية إشارية، فيكون الرمز جسماً لآخر تطور بلغته الصورة، ومن شروطه أن يتحقق في قالب .^(٢)

وعليه أصبح الرمز في معناه الدقيق يتميز بأمرين:

أولاً: أنه يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تؤخذ قالباً للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز.

ثانياً: أنه لا بد من وجود علاقة بين هذين المستويين، هذه العلاقة التي تهب الرمز قوة التمثيل الباطنة فيه، نعني علاقة المشابهة التي لا يقصد بها التماثل في الملامح الحسية، بل يقصد بها تلك العلاقات الداخلية بين الرمز والمرموز من مثل النظام، والانسجام، والتناسب .^(٣)

واستناداً إلى ما سبق يمكن القول: إن الرمز لا يباشر، ولا يصرح؛ وإنما يوحي ويومئ بصورة ما، ولا يمثل واقعاً، وإنما فكرة مجردة يلقي الضوء عليها عن طريق الحواس، فالرمز محاكاة تصويرية خيالية تفتقد التقرير، والدقة؛ بيد أنك تجد أثرها يتحرك في مشاعرك وأحاسيسك.

(١) محمد فتوح، "الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر". (ط٣)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م)، ٣٦-٣٥.

(٢) أنطون كرم، "الرمزية والأدب العربي الحديث". (بيروت: دار الكشف، ١٩٤٩م)، ٩.

(٣) كرم، "الرمزية والأدب العربي الحديث"، ٩.

ويشير محمد غنيمي هلال للرمز بالإيحاء، أي: التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة، التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية، ومن وسائل الرمزيين الفنية في ذلك تراسل الحواس، فتعطى المسموعات ألواناً، وتصير المسمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة؛ لتوليد إحساسات تغنى به اللغة الشعرية، ولا تستطيع اللغة الوضعية التعبير عنها^(١).

أما الأسلوب، أو الأسلوبية فقد حَقَلَ هذا القرن بـ "تراكم أدبي"^(٢)، وذلك بعد ظهور سلسلة من التغيرات النقدية، والمفاهيم التحليلية، والمعالجات التفكيكية، تبلورت في اتجاهات نقدية، أبرزها الاتجاه البنيوي الشكلي.

ومن أهم الفوارق بين علم اللغة وعلم الأسلوب أن الدراسات اللسانية تُعنى أساساً بالجملة، والأسلوبية تُعنى بالإنتاج الكلي للكلام، وأن اللسانيات تُعنى بالتنظير إلى اللغة بوصفها شكلاً من أشكال الحدوث المفترضة، وأن الأسلوبية تتجه إلى المحدث فعلاً، وأن اللسانيات تعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها، وأن الأسلوبية تُعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر.

ويشكل المضمون الوجداني للغة موضوع الأسلوبية عند شارل بالي (Charles Bally) حيث يقول: تدرس الأسلوبية اللغة من ناحية مضامينها الوجدانية، أي: إنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغوياً، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على

(٤) محمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن". (ط٩، القاهرة: نخضة مصر، ٢٠٠٨م)، ٣١٦-٣١٥.

(٢) نعني بالتراكم الأدبي: إضافة جزء من الأجزاء النظرية الخاصة بالقيم أو المعايير النقدية عن طريق فئة أو جماعة من النقاد أو الأدباء في مرحلة تاريخية محددة. ينظر: سمير حجازي، "قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر". (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م)، ١٦.

الحساسية" (١).

وبناء على مسلمات الباحثين والمنظرين، فالأسلوبية وليدة البلاغة وورثتها المباشر، بيد أن المفارقات بين المنظورين البلاغي والأسلوبي هي أن البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية، بينما تمتع الأسلوبية نفسها عن كل معيارية، وتعزف عن إرسال الأحكام، كما أن البلاغة تعتمد إلى فصل الشكل عن المضمون في الخطاب اللساني، بينما ترفض الأسلوبية مبدأ الفصل بين الدال والمدلول؛ إذ لا وجود لكليهما إلا متقاطعين، ومكونين للدلالة (٢).

نستنتج من التعريفات الواردة أن الأسلوبية هي: الانزياح عن النمط التعبيري المتعارف عليه من صور، ورموز، وأدوات تعبير، لذلك نجد أن الظاهرة الأسلوبية في نص ما تعول على هذه المستويات من الانزياح؛ بوصفها لمظهر الفني الذي يتميز به الأثر الأدبي.

ويرى اللسانيون أنه توجد طريقتان للدخول في الدراسة الأسلوبية: إما أن ندرس التعبير، أو ندرس الآثار، ويرى البعض أنه يجب دراسة الأمرين، ووفقاً لذلك فإن التحليل الأسلوبي يجب على الأسئلة التالية (٣):

- ما الخصائص الفردية التي تسم النص؟
- ما الذي يريد النصّ والمؤلف إرساله؟ ووفق أي صيغة يُرسل؟

(٣) بيير جيرو، "الأسلوبية". ترجمة منذر عياشي. (ط٢)، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤م)، ٥٤.

(٢) جيرو، الأسلوبية، ٢: ٥٢-٥٣.

(١) صابر محمود الحباشة، "الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب". (إريد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م)، ٣٠-٣٤.

• ما وسائل كل كاتب للتعبير عن الرسائل الأدبية؟

وبناء على ذلك؛ اتجه النقاد الجدد، والشكلاونيون الروس^(١) إلى استخدام الفارق بين اللغة العلمية واللغة الشعرية، وقد ذهب ريتشارد (Richard) إلى أن لغة الشعر تنحو إلى المقولات غير الحقيقة وغير الإحالية، أما جاكسون فيرى أن علم الدراسات الأدبية بحاجة إلى الخصائص اللغوية التي تميز الأدب عن أنواع الخطاب الأخرى، وموضوع البحث الأساس هنا هو الأدبية، وأدت هذه الثنائية بين اللغة العادية، واللغة الشعرية إلى تركيز البحث الشكلي على الأعمال الداخلية في الأعمال الأدبية، وإهمال البحث فيما خارج النص.

(٢) تكونت الحلقة الشكلية الروسية من مجموعتين: حلقة موسكو اللغوية، وكان من أبرز أعضائها رومان جاكسون، وأوسيب بريك، وتوماشيفكي، والتي نشطت من عام ١٩١٥م إلى ١٩٢٠م، وجمعية بطرسبرج لدراسة اللغة الشعرية، ومن كبار أفرادها شكلوفسكي، ويوري تنياموف، ونشطت من عام ١٩١٦م إلى ١٩٣٠م، وقامت حلقة براغ اللغوية بعد رحيل جاكسون على مواصلة الأعمال المبكرة للشكليين الروس؛ إذ وضعوا برنامجاً جديداً لنظرية وصفية للشعر تقوم على الإيمان بالمنهجية العلمية وعلم الأدب. ينظر: فنسنت ب. ليتش، "النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات" ترجمة محمد يحيى، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م)، ٧٢.

المبحث الأول: أنساق العلامات

العلامات الرمزية

يبث الشاعر في هذا الديوان كثيرًا من العلامات الرمزية التي تفجرت كالبركان ثائرة في أبيات منظومة، واستفهامات مبهوثة، وغربة مسلوبة، مفصحة في الوقت ذاته عن مشاعر ذاتية ومعانٍ وجدانية وصورٍ أيقونية عن الحياة وأسرارها، والذات وصراعاتها، فيأتي الرمز في الشعر ليطرح قضايا حياتية كمدلول علاماتي عليها، بدءًا من عنوان الديوان (طيورٌ تَحْلُقُ في المصيدة) الذي تجاوز به الشاعر من التصوير النمطي إلى التصوير الرمزي المفعم بالثقافة والتخيل والإيحاء، مكونًا صورةً إيحائية لطلب الحرية في أشد الظروف، والتوق للانعتاق في خضم الصروف، مع ما يحمله رمز الطير في الموروث الأدبي من دلالات عديدة، فقد ظهر جليًا عبر توظيف الطير لضعفه، إذ اتخذ من خلاله مجالًا ليسقط عليه مشاعره وهمومه، وجعل منه شريكًا في معاناته وآلامه، وعبر عنها باللغة الإيحائية، فحينما عجز الطير عن التحليق في الفضاء الفسيح اتخذ من المصيدة فضاءً رحبًا رغم التضيق للتحليق فيها، وهي رؤية واقعية جديدة تغلب عليها الرومانسية؛ حيث أقام علاقةً بينه وبين الطير لينقل من خلاله أحاسيسه وأفانيه، ونجد ذلك في نصوص الديوان واستدعائه لشخصيات يرمز بها إلى ذاته وصراعاتها بين حلمه وواقعه، وقد أفضى به ذلك إلى القول شعرًا:

تُرَاوِدُنِي	حَرْبٌ	خُلِقْتُ	لَأَجْلِهَا	تَدَوَّرُ	رَحَاها	بَيْنَ	خُلْمِي	وَوَاقِعِي		
مَعِي	أَوْلِيَاءُ	الْحَرْفِ	مِنْ	كُلِّ	مِلَّةٍ	أَخُوضُ	بِهِمْ	(طَرَاوِدَةً) مِنْ	وَقَائِعِي	
مَعِي	هَبُّ	الْأَسْمَاءِ...	أَسْمَاءٍ	فَتِيَّةٍ	مِنْ	النَّارِ،	قَدْ	عَبَّأْتَهُمْ	فِي	مَدَافِعِي
مَعِي	(عُرُوَّةٌ)	مُسْتَوْحِدًا	عَبْرَ	عُرْلَةٍ	تَبَرَّأَ	فِيهَا	مِنْ	إِلِهِ	الْمَنَافِعِ	

معي (ابن أبي سلمى) وروح سلامه ولكنني من قوم (من لم يُصانع)
معي (الشنفرى) في التيه يقتادني على طريق إلى لحم المسافات، جائع
معي (المتني) نائراً ضد ذاته يقاتلها حتى يعيها.. ولا يعي^(١)

نلاحظ في هذه المقطوعة الشعرية حشد كثير من الرموز الدالة على الصراع النفسي الذي يطغى على واقعه، وتراوده الصراعات بين الأمل وواقعه الذي يأسف عليه وقد ارتكز على عدة رموز تصف هذا الصراع في قوله: (معي أولياء الحرف - معي لُهب الأسماء)، وهي علامات دلالية لحالات الذات النفسية، يرمز بهم إلى حدث معين مكبوت لدى الشاعر، فاستحضر ألفاظ موحية تشير إلى الحالة النفسية التي يمر بها، فاستنجد بجهاذة الشعر عروة وابن أبي سلمى والشنفرى والمتني، وهم الذين رمز إليهم بأولياء الحرف ولُهب الأسماء، في دلالة على إخلاصهم للشعر واشتعال أسماءهم من خلاله، فصور معركته بمعيتهم مع واقعه كتجربة حرب (طراودة)^(٢) وهي الحرب التي قامت بين الإغريق، وأهالي مدينة طراودة؛ بسبب خلافات أساسها الحب للمرأة هيليني، واعتمد في خوض حربه على أولياء الحرف، ويرمز بهم للأدباء من كل طائفة، فلجأ إلى معية عروة في عزلته ووحدته، ووظف رمزية الشنفرى الصعلوك؛ لما لها من دلالات في خروجه على المجتمع وتقاليده، فعروة والشنفرى الصعاليك تمردا على مجتمعهم من أجل العدالة الاجتماعية، والتوازن الاقتصادي بين طبقتي الأغنياء

(١) جاسم الصحيح، "ديوان: طيورٌ تحلّق في المصيدة".

(الكويت: دار صوفيا، ٢٠٢١م)، ٢١-٢٠.

(٢) أمين سلامة، "حصار طراودة من الإلياذة لهوميروس". (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣م).

والفقراء، وقادا صراعاً يشارك فيه الفقراء الأغنياء ما لهم، وقد سمي بعروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنم^(١).

كما نجد استدعاءه رمزية زهير بن أبي سلمى بوصفه شاعراً فحلاً من شعراء الجاهلية، وأحد كبار قصائده من الحوليات، وقد عُرف بأنه لا يمدح في شعره إلا مستحقاً.

وأشار في نصه -أيضاً- إلى الشنفرى^(٢) متصعلكاً في صحرائه (معي) (الشنفرى) في التيه يقتادني) موظفاً رمزيته؛ لمنح قصيدته فضاءً فياضاً بالدلالات.

نجد من خلال ذلك أن الشاعر لم يكن وحيداً في وصف تجربته، بل كان بمعيته شعراء الصعاليك يرمز بهم إلى دلالات، وأحداث مستمدة من واقعه مجموعين في قصيدته من كل مذهب، وعني الشاعر بتصوير تجربته تصويراً موحياً عن حالته النفسية المستترة خلف اللغة ورموزها، واستطاع إيصالها للقارئ مولدة فيه مشاعر، وأحاسيس عن طريق تراسل الحواس، فدماء العاشق الحلاج تتلو أحاديث الحكيم، وذات المتنبي ثائرة ضده، وقاتلها من أجل الوعي، فأصبحت المسموعات (الأحاديث تحكي وتتلو) ألواناً من الدم، وأنغام المتنبي ثائرة يقتلها وعيها من غير وعي، وفي ظل تلك الصراعات التي أوجدتها المحسوسات محولة العالم

(٣) يوسف خليف، "الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي". (ط٤)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م، ٢٢-٨.

(٤) هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يمني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائهم. وهو أحد الخلاء الذين تبرأت منهم عشائهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفراته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة. وفي الأمثال: "أعدى من الشنفرى" وهو صاحب "لامية العرب" التي مطلعها: "أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فأني إلى قوم سواكم لأميل".

الخارجي إلى صراعات داخلية قادت بمعية الشاعر حروبه وصراعاته، "وهكذا كان يلجأ الرمزيون إل نقل صور العالم الخارجي من مواطنها المعهودة في شبه تهويش فكري، ليوحوا بمشاعر غريب لا تبين عنها دلالات اللغة وضعاً"^(١)، وقد زخر الديوان بالعلامات الرمزية بلغة مكثفة باستعماله مفردات مشحونة تعبر عن ألم العشق وما يحمله من ألم البعد والخيبة، فيقول:

يا جنةً فَرَدْتُ جميعَ غصونه دُوني، فأغرَني بكُلِّ طيوري
ما زال (موسى) العاشقينَ محاذياً (بئر) الهوى، يسقي بدُونِ أجورِ
وأرى الحياةَ هَدَلْتُ بشمارها كي نجتني تُفّاحها الأسطوري
لست الحصور لأثَقيلُك، فحاذري أن أنثني عن عاشقٍ محصورٍ^(٢)

ويوجه الشاعر خطابه في قصيدته لمعشوقته، والتي أشار إليها برمز (جنة)، واستعار قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم، حين سقى للفتاتين دون أجر ثم توجه إلى الظل، فتلمس رمزية الجنة وموسى وبئر الهوى والتفاحة حيث شكلت علامات الإلهام لدى الشاعر حين منحها رؤيته الشعورية الخاصة في البعد الوجودي للمرأة، فهذه الرؤية مكبوتة في عقله اللاواعي، واستحضار هذه الرموز محاولة من الشاعر لإفراغها في قالب حسي إيحائي عن حال الشاعر مع معشوقته، فما موسى والبئر الذي سقى للفتاتين منها دون أجر، وأسطورة التفاحة حين أغوت حواء آدم في أكل التفاحة، إلا رموز دالة تعبر عن معاناته النفسية، وما

(١) هلال، "الأدب المقارن"، ٣١٦.

(٢) الصحيح، "طيورٌ تُحَلِّقُ في المصيدة"، ١٨٧-١٨٨.

يدور فيها من إغراء وضياح.

العلامات الأيقونة:

وترصد لنا كثير من القصائد الصور الشعرية، والعلامات الأيقونة التي لجأ إليها الشاعر ليعبر عن البعد النفسي الذي يفتقده تجاه المرأة، فترجم هذا الفقد ليكون ملمحاً علاماتيّاً يسبح بعيداً عن التأويلات المباشرة، فالمرأة لديه لغز يجمع بين الحيرة والقلق والشك والحب، ومن النصوص التي تشير إلى ذلك قول الشاعر في قصيدة "حسب توقيت القلب":

الساعةُ الآنَ:	اثنتانِ	وحيرةٌ	كبرى،	أكاذُ	إزاءها	أَتَصَنَّمُ!
يا رحلةَ المعنى	ببحرِ قصيدي	أغوى	سفينتنا	الجزائرُ	المبهمُ	
لا تُسَلِّمِني	للضبابِ؛	فلهفي	بنتُ	الحقيقةِ،	وانتظارُك	طَلَسَمُ!
إنْ خاني فيكِ	الكلامُ،	وأجهضْتُ	لغتي،	فإنَّ	مشاعري	تتكلمُ!
فأراكِ في أحلى	القصائدِ مَتْنِها	وأرى	سواكِ	(لـزوم ما لا يلزم)		
في الحب... لا يخشى	لسانُ أبكمٍ	لكنَّما	يُخشى	الشعور	الأبكمُ	(^١)

توج الشاعر المقطوعة بعدد من الرموز التي تترجم الحالة الشعورية عند ولادة هذا النص، فرمز إلى الدقائق بالحيرة الكبرى، ورحلة معاني قصيدته مجاز مبهم أكثر رهبة وتأثيراً، كما نلاحظ أن النص الشعري أضحى صورة أيقونية محوراً المجهول، فرمز المرأة لديه هو الحياة بحيرتها، ووجوديتها، وغوايتها، ورموزها، والالتزام اتجاهها ما لا يلزم، وتكتنفها مشاعر مختلطة تثير الخوف والوحشة، حيث اتكأ النص على ألفاظ موحية

(١) الصحيح، "طيورٌ تَحْلُقُ في المصيدة"، ١٦٤-١٦٥.

مغمورة بالقلق نحو: (حيرة، طلسم، المبهم، للضباب، أبكم)، ورمز للغة بالمرأة التي تجهض، وتبقى المشاعر تفصح وتبين، وبراعة النص تنطلق من البيت الأخير ورمزية الشعور الأبكم:

فِي الْحَبِّ.. لَا يُخْشَى لِسَانُ أَبْكَمٍ لَكِنَّمَا يُخْشَى الشُّعُورُ الْأَبْكَمُ

ويرى في هذا الحب جمال متن القصائد، وسواه التضيق، والإعنائات، والتشديد، فهو حب يسوده التوق واللهفة إلى الحبيب، وحظي الرمز في تفسيره بقدر أكبر من التشبيهات والاستعارات والقصص الأسطورية والملحمية من خلال دلالات ما وراء المعنى الظاهري، حيث كان الرمز رهن المشاعر والأحاسيس المعبرة عن واقع الشاعر وانفعالاته، كما في قوله:

لَا تُسْلِمِينِي لِلضَّبَابِ؛ فَلَهْفَتِي بِنْتُ الْحَقِيقَةِ، وَانْتَظَارُكَ طَلَسَمٌ!

فأيقونة الضباب والطلسم هنا توحى عن طريق تداعي المعاني إلى المجهول وانعدام الوضوح والفهم، وذلك من اهتمامات الرمزيين في جنوحهم إلى "الولع بأسرار الكون وبالسحر وبما وراء الطبيعة وبذلك العالم من الأفكار والمشاعر الغامضة التي تختلج بها النفوس"^(١).

وحينما يغترب الشاعر عن ذاته تزداد آلامه ضعفاً، فنجد بهماوعاته لها يأوي إلى البحث عن آخرين؛ لعله يجد ذاته بينهم، ونكتشف من خلال نصوص الديوان الذي بين أيدينا عن مدى صلة الشاعر الغربية النفسية المتجسدة في هيئة عبارات

(٢) مجدي وهبة، وكامل المهندس، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (ط٢)، بيروت:

مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ١٨٢.

شعرية؛ رغبة في الحب والتحرر والانطلاق، يقول في قصيدة بعنوان "رماد المقهى":

هذا هو المقهى شتاء قارس	يطغى، وإحساس الزوايا بارد
عيناي شاردتان عبر فضائه	مقدار ما قلبي خلالك شارد
والذكريات (غنائم) وهمية	وأنا وذاكرة الزمان (نجاهد)
فهنأ جمعت مشاعري ونظمتها	ووزنتها، فإذا بهن قصائد
وهنأ تعبّد في قصائد الهوى	حيث القصائد في هواك معابد
وهنأ دخلنا في جنان عناقنا	فإذا مفاتيح الجنان سواعد
وهنأ التقينا في ضيافة قبلية	لرحيقها بين الشفاه موائد ^(١)

نجد أن طبيعة الرمز ودلالته عند الشاعر تحوم حول الذات؛ لتصل إلى ما وراء الظاهر، التي لا تستطيع أن تعبر عنها اللغة المألوفة، كما في عنوان النص (رماد المقهى) حيث إن أول ما لفت انتباهنا قوة الحس المكتنزة فيه، إذ أصبح المقهى رماداً بعد الحبيبة، والرماد له دلالات عدة منها: الرماد الذي يجيء بعد الحرارة العالية، والرماد الذي يخلفه الانتظار الحارق، كما يشير الرماد إلى الكرم عند العرب، أما دلالة الرماد الوارد في النص يستنتقه قوله:

هذا هو المقهى شتاء قارس يطغى، وإحساس الزوايا بارد

وتبدو ذاته مقترنة بدلالات الشتاء القارس، والزوايا الباردة كإيحاء نفسي بغلبة الحزن عليه من أجل تجمد مشاعر الطرف الآخر وبرودتها مقابل ثورة مشاعره وفورتها، متشبهاً بغنائم الذكريات في قوله:

(١) الصحيح، "طيورٌ تُحلقُ في المصيدة"، ١٤٣-١٤٤.

والذكريات (غنائم) وهمية وأنا وذكرة المكان (مجاهد)

وكأنما هو ووهم الذكريات في جهاد استدعائها، هذه الأشياء الغائبة من الأحاسيس التي يتعذر أن تُرى، وتُشعر، ويُعبر عنها بوضوح، مما جعله يرمزها بأوصاف نحو: (شتاء قارس، وزوايا باردة، ووهم الذكريات، وشرود القلب، وتُظم المشاعر..)، واستحضار هذه الصور الرمزية غير المرئية المتأصلة في أحلامنا ومشاعرنا وسيرتنا بواسطة الدوال والمدلول (إحساس يطغى، مقدار قلبي، ذكرة المكان، جنان العناق)، إذ إن الرمز غالبًا ما يجمع بين متباعدين أو متعارضين في صورة واحدة، ولذلك استحضره الشاعر لموافقته للحالة الآنية لمعاناته.

كما نلاحظ الحس الصوفي في البيت الذي يقول فيه:

وهنا التقينا في ضيافة قبلةٍ لرحيقها بين الشِّفاهِ موائدٍ

والإيحاء الرمزي الخيالي في (ضيافة قبلة)، أشبه بموسيقى منبعثة من عالم الحواس لرسم عالم مثالي ما وراء الواقع يتوق إليه الشاعر، ويحاول أن يعيشه بواسطة عالمه الشعري التخيلي الصوفي، ومرادفاتهما الحسية من شتاء وقارس وبارد، والذكريات، والذاكرة، والقبلة، والرحيق، والشِّفاه. كما نجد ذلك في قوله في قصيدة (فلسفة في الحب):

ألقى لنا (الفلَكُ) العظيم عنانَهُ
اليومَ نَمسَحُ بقعة الخوفِ التي
ونمُدُّ مائدةَ الإلهِ على مدى
ونغوصُ في رئةِ الحداثِ شُهقةً
ونشدُّ آصرةَ الخلائقِ كلِّما
واختارنا لنؤمِّنَ (السُّكَّانَ)
تكسو الحياةَ، ونشطُفُ الأحزانَ
وجـدداننا ونؤخِّدُ الأديانَ
تطفو على أغصانها ألوانا
نسجِ الهوى ما بيننا شرياناً^(١)

يكشف النص من خلال رمزية الأيقونة العوالم والرؤى العميقة في الأفكار والعواطف، فكان هذا النوع من التصوير العلاماتي يشكل إيماءات إلى المعاني المكتنفة بشيء من الخيال والإضلال، والتي تولد حالة من جو المتعة والتمتع بها وإن كانت متعة لحظية ومؤقتة نحو، (اليومَ نَمسَحُ بقعةَ الخوفِ، ونشطُفُ الأحزانَ، ونؤخِّدُ الأديانَ، ونغوصُ في رئةِ الحداثِ، ونشدُّ آصرةَ الخلائقِ)، إذ نلاحظ أن جميع هذه الأفكار من فن التصوير الإيحائي والتأثيري، الذي يُغذي أحلام الشاعر، ويستعين بالدوال والمدلولات لتحقيقها ولو بالحلم والتأمل في مثل قوله من القصيدة نفسها:

سنطوفُ من جُزرِ الخيالِ عوالمًا شقى، وندخلُ في الرؤى خلجانا

فالشاعر كما نرى يحاول أن يعم السلام أرجاء الكون من خلال الحب، بيد أن الحقيقة المؤلمة تعترض أمامه، من حروب ومعارك، وقتل ونهب، وما بين أمل مبهج، وواقع مضطرب يُدرك الحلم مبعث الخيال، ونشوته معتمدًا على الموسيقى والإيحاء، وتوحد المعاني والألفاظ، وفي هذا النص ولدت جواً من الحاجة إلى الحب في مثل قوله

(١) الصحيح، "طيورٌ تَحْلُقُ في المصيدة"، ٧٠-٧١.

من القصيدة نفسها:

وَإِذَا نُحِبُّ نُحْسُ كُلَّ صَبَابَةٍ عِيدًا وَكُلَّ مُتَمِّمٍ قُـرْبَانَا
وَإِذَا نُحِبُّ نُحْسُ كُلَّ كِتَابَةٍ وَحَيًّا، وَكُلَّ صَحِيفَةٍ (قِرْآنَا)
وَإِذَا نُحِبُّ فَكُلُّ (قَيْسٍ) (قَيْسُنَا) وَجَمِيعُ (لَيْلَاتِ) الْهَوَى (لَيْلَانَا)

ونلاحظ الإيقاع الصوتي المستعمل في هذه الفلسفة الحسية، وقد كان بودليير العالم الفرنسي يعي إلى حدٍ بعيد أهمية الإيقاع الصوتي؛ لأنه أدرك أن الإيقاع يولد الحلم، ويدخل إلى أعماق النفس الإنسانية، ويضيف إلى ما تثيره هذه الأنغام الموقعة في الحروف والكلم من شعور بالمرارة، والخوف والاضطراب، وبالسعادة، وبالطمأنينة، والارتياح^(١)، ويأتي الرمز والإيقاع ليشكل إيقاعًا متناسقًا ومجاليًا رحبًا ليؤلف أيقونات تشير إلى دلالات صوفية، نعثر فيه مثلاً على المتيم القربان، الحب الحسي، مزج معها الإيقاع الموسيقي في صباغة، كتابة- عيدًا، وحياً- قربانًا، قرآنًا، ليلانًا- قيس، قيسنا؛ ليوحد بين الحس والدلالة والإيقاع الصوتي، واستنطاق طاقات هذه الأيقونات الرمزية بإيجاءات شعورية مكثفة.

(٢) كرم، "الرمزية والأدب العربي الحديث"، ٤٢.

المبحث الثاني: المقاربة الأسلوبية الدلالية

يقدم لنا الشاعر الصحيح الصورة الرمزية في أسلوب تعبيرى شاعري، وذلك بارتكازه على تشبيهات واستعارات ومدلولات حسية، إذ لفت انتباه القارئ البعد التأثيرى والوجداني الذي عمل عليه الشاعر في قصائده، والشحن العاطفي المتخلل في ثانيا نصوصه، كما نلاحظ سطوة ذاتية المتكلم على أسلوبه في تفضيل كلمة على أخرى، واختيار مفردة دون غيرها، فتصبح العلاقة بين المفردة والسياق مجموعة اختيارات مقصودة، لتكوين منظومة نصية تصل إلى مستوى جمالي يعبر عن الوجدانيات، والانفعالات، والعواطف.

تتمثل العلاقة بين عمليتي الاختيار والانحراف في الأسلوب إلى القصيدة، التي يرمي إليها الشاعر وينبني عليها أسلوبه، فيفضي تأثير هذه العلاقة إلى بعد عاطفي ووجداني، وذلك يصنع صورة أدبية تسمو في فضاء التمايز عن الكلام العادي، ونصل إلى اكتشاف ذلك بوساطة تقنيات تعبيرية عن البنى المهيمنة على النسيج اللغوي للنص، واتساقاً مع ذلك استخدم الشاعر البنى الصوتية كظاهرة شائعة في قصائده، وذلك جعل من نصوصه مقطوعات موسيقية متناغمة، تمثل الأسلوبية التعبيرية وروابطها بين الفكر والبنى اللغوية، مثل نص الشاعر من قصيدته (البحيرة):

كلُّ الذين وعوا -ياصاحبي- وقعوا	لا نُقلت الفَحَّ إلا حين نَنَحْدُعُ
كُنْ أنت في موكبٍ لا يفتفِكُ بهِ	إلا خطاياك والأهواء والبدعُ
لا تختَرُ ندماً؛ ما الأرضُ في عَوَزٍ	إلى مزيدٍ من البارود يُخْتَرُ
لنا (الحياة) وأحلامٌ تحرّضنا	ألا يَزُرُّ علينا جيبهُ الهلعُ
هذي (البحيرة) لا تبكي على أحـدٍ	سيّان يسكنها أو يرحلُ (البجعُ)

فخذ مكانك منها مثلما سمك^(١) فيها يعيش كما يهوى، ويُتجمع

يظهر الشاعر في أسلوب أبياته صورًا تحمل عواطفه وأحاسيسه، كما تكتنز مجموعة من الرموز والمفارقات الشعرية، وقد جسدت تجربته الشعرية العواقب التي يخلفها (الوعي)، وأسهمت الدوال الصوتية في الكشف عما يعانيه الشاعر من انفعالات ومشاعر تجاه معاني الوعي لديه، فعمد في نصه إلى إيقاعات موسيقية من مثل، (وعوا- وقعوا- ننخدغ- بدغ- يخرغ- هلغ- بجغ)، لضمان لفت انتباه القارئ، وتأجيج عاطفته لهذه الوقائع التعبيرية؛ حيث وظف المبدع بنية النص بوصفها انزياحًا صوتيًا ومعجميًا وصرفيًا ودلاليًا في مثل (وعوا، وقعوا- ننخدغ، البدغ، يُخرغ، الهلع، البجع، ينتجع).

ولا يزال البجع في الأساطير والفلكلور يرمز إلى دلالة التغيير والأناقة كمخلوق جميل وغامض، كما هو الحال مع البحيرة، المعادل الموضوعي للحياة التي لا تلقي اهتمامًا لأحد، ولا تأبه بمن مر أو استقر، فالبحيرة ترمز إلى الدنيا التي لا تقف عند أحد ولا تجزع لفقد أحد، كما يقول الشاعر في لغة ذات جرسٍ خاصٍ مرتبطٍ بالإيقاع الداخلي لأحاسيسه في نص آخر عنوانه (الدُّب):

(١) الصحيح، "طيورٌ تُخلقُ في المصيدة"، ٤٧-٤٨.

الوعوي ذئبٌ في جماجمكم فعوا عووووا
لا تُنزلوه من الرُّؤوس، فإنما
وحىً سماويُّ الكتاب، وإن يكنْ
مُؤدوا بصائرُكم إليه، وشاهدوا
هذا النشيدُ العبقريُّ أعدهُ
لا تستقيل من العواطف ريمه
طاوٍ كذئبٍ (البحترى)، ونابه
عوووووووا.. ويرتفع العواء المبدعُ
هو في الأعالي رائدٌ يتطلّعُ
وحياً يفيض من التراب وينبعُ
قمرًا من الطين المعذب يطلعُ
ذئبٌ، على أنيابه يتوزّعُ
من فرط ما هو بالهواجس زعزعُ
أبدًا على لحم الحقيقة مُشرعُ^(١)

جاءت مفردة (الوعوي) في القصيدة بوصفها مفردة محورية تدور حولها مجموعة من الرموز، فرمز للوعوي بالذئب لصلة الشبه بين الإنسان الواعي الفطن وهذا الحيوان (الذئب) الذي طالما قارن المجتمع أفرادَه اليقظين به، وقد قال العكلي في صدق شَم الذئب وفي شدة حسه واسترواحه:

يستخبر الرِّيح إذا لم يسمع
بمثل مقراع الصفا الموقّع^(٢)

ولجأ إليه الشاعر كرمز واسع الدلالة، حيث وجد فيه رصيذاً ضخماً من الصفات، فهو يجمع بين الغدر، والخيانة، والخبث، والظلم، والمراوغة، والتلصص، والتربص، كما يجد فيه رمزاً للإنسان الجاني، الغليظ، الجلف، ثم هو الحذر اليقظ، الذي ينام بإحدى مقلتيه، ويتقي بأخرى المنايا، فهو يقظان هاجع^(٣)، فقد رمز في صدر البيت الأول للوعوي بالذئب، وصور في الشطر الثاني من نفس البيت مشهد صوته وهو يرتفع بالعواء (عووووووا..عوووووووا..ويرتفعُ العواءُ المبدعُ)، والعواء: صوت

(١) الصحيح، "طيورٌ تَحْلُقُ في المصيدة"، ٨٥-٨٦.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، "الحيوان". (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ١: ٢٩.

(٣) زكريا عبد المجيد النوتي، "الذئب في الأدب القديم". (القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع،

٢٠٠٤م)، ب.

الذئب، وقد تجلت ملامحه على امتداد النص في أسلوبٍ فني نابع من حس عاطفي، وقد أكثر الشاعر الأساليب الخيرية على المستوى التركيبي منها، (هُوَ فِي الْأَعَالِي رَائِدٌ يَتَطَلَّعُ، وَحَيًّا يَفِيضُ مِنَ التَّرَابِ وَيَنْبُعُ، قَمَرًا مِنَ الطِّينِ الْمُعَذَّبِ يَطْلُعُ) وهو أسلوب يقصد به الإخبار عن أثر الوعي في العقول، ومن ثم فإن النص يحمل رؤية خاصة تتلخص في اتجاه الشاعر للصراع مع الحياة، كما نلاحظ أسلوب النص في ارتكازه على الصور الفنية التي جاءت فيها الاستعارة كشكل من أشكال الانزياح البعيد عن المألوف، كما في (قمرًا من الطين)، وعلى المستوى الدلالي، صور الشاعر الوعي بأنه وحيٌّ سماويٌّ وفي الأعالي رائدٌ يتطلع، فكان كذئب البحري الجائع المشرع بأنياه على لحم الحقيقة، ويضرب المثل بجوع الذئب عند العرب فيقال "أجوع من ذئب"^(١)، واعتمد على وصف البحري للذئب في إطار صراعه مع البشر، وتناقضاتهم من خلال خصال هذا الحيوان، إذ قال البحري في وصف جوع الذئب:

سَمَا لِي وَيِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ بِيْدَاءَ لَمْ تُحْسِنْ بِهَا عَيْشَةً رَغْدُ
كَأَنَّا بِهَا ذئْبٌ يَحْدُثُ نَفْسُهُ بِصَاحِبِهِ، وَالْجُدُّ يُتَعَسَّهُ الْجُدُّ^(٢)

وقد حفل الوعي في النص بمجموعة من أوجه للصراع الإنساني وتقلباته، ودلالات تحمل معاني تبدل القيم وانحسارها، ووظف رمز الذئب ليمثل شكل هذا الصراع، ثم دعم بنية نصه بدلالة أسلوبية إيقاعية تأتلف في جمالية التكرار، والدلالة النفسية الباعثة لهذه السمة الأسلوبية وأثرها على معجمه الشعري،

(١) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، "جمهرة الأمثال". (بيروت، دار الفكر، د. ت)، ١:

(٢) أبو عبادة الوليد بن عبيد البحري، "ديوان البحري". تحقيق حسن كامل الصيرفي، (ط٣،

ونقف مع هذه السمة في المقطع التالي من قصيدة (الوعي) ذاتها:

الوعي ذنبٌ لا يتوبُ، وإنْ غدا ببذاءٍ لم تُحسِّنْ بها عيشةً رغدُ
الوعي منطقةُ الحروبِ على الرؤى حيث العقولُ سلاحُها لا يُنزعُ
الوعي عرَّافُ التَّأوُلِ حينما نصُّ على تفسيره يتمنّعُ!
الوعي مصيدةُ السؤالِ بحيلةٍ خِيطانها من حوله تتجمّعُ
الوعي مرآةٌ يشفُ زجاجها عمّا هناك من الخواطرِ يلمعُ
الوعي رأسٌ لا يُقيم به الرضى فيظلُّ يمشي عكس ماتتوقعُ^(١)

يرتكز الشاعر على القيمة التعبيرية الرمزية للمستوى الصوتي في صدر النص (فعُوا عُوووووا.. عُووووووووا.. ويرتفعُ العواءُ المُبدعُ)، ووازن بين تقارب دال (وعي) والمدلول الصوتي للذنب (وعوووو وعوووو)، فنجد هنا يحاول تبليغ الرسالة عن طريق التكرار والإعادة، وكان التكرار على مستوى الأصوات والكلمات والصيغ، وظهرت سمة التكرار لمفردة (الوعي) حاضرة في صدر الأبيات، وهذا التكرار إيقاع صوتي له قيمته في الخطاب الشعري.

ولجوء الشاعر إلى هذه السمة الأسلوبية يعكس ما في نفسه من توجس، وخيفة مما هو مقبل عليه، فجعله يتشبث بالوعي لمجابهته ومقاومته (الوعي مرآةٌ يشفُ زجاجُها عمّا هناك من الخواطرِ يلمعُ)، وتكراره يوحي بضرورة التيقظ والحذر.

ويعدُّ مدلول (الوعي) بنية محورية متحركة في نمو المعاني وتوليدها، فهو (ذنب لا يتوب، منطقة حروب، عراف تأويل، مصيدة للسؤال، مرآة تشف الخواطر، ورأس

(٣) الصحيح، "طيورٌ تَحْلُقُ في المصيدة"، ٩٠-٩١.

لا يرضى إلا بالتفرد)، وقد اغتنم الشاعر هذه المدلولات لتعزيز معنى (الوعي) وتقويته، وترداده في النص منحه النغم الإيقاعي، فضلاً عن التنامي والامتداد من الناحية الإيحائية، وهي من المعاني القصصية التي تفيد السلطة والصلابة، فهي تصور الوعي بسلاح العقل، المرأة التي يشف زجاجها الخواطر، والسير بتدبير يخالف المؤلف، والمقصدية تكون لغوية، وغير لغوية، وقد عرفها سيرل (Searle) بأنها "خاصة عدة حالات عقلية، وأحداث، وبسبب تلك الخاصة تتوجه تلك الحالات العقلية، والأحداث إلى أو نحو الأشياء والحالات الواقعية في العالم"^(١)، واللجوء إلى المقصدية ضروري عند محمد مفتاح؛ ولكنه ليس كافياً، ولا بد أن يعزز بالمعجم والتركيب.

والشاعر الحديث يحاول أن يجعل الشعر خصباً غنياً، ويحمله أقصى درجات الحقيقة والتأثير الشعري، ويقدم التجربة بكل ما فيها من تراكم وتعقيد، والكلمات - كما هو معروف - رموز لأصوات دالة، وهذه الأصوات تعبر عن قصيدة تراجيدية تحاكي فعل جاد في لغة ممتعة؛ لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزين الفني^(٢)، كما في نص (الشعر كائن الدهشة):

يضيء لنا من فرط ما هو مدهش فيُنْعِشُنَا من سَكْرِ الضوء مُنْعَشُ
يُضِيءُ، ولكن من زُجاجةِ رُوحه ويخشى بنياتِ المحاجر يُخْدَشُ
فمن هو؟! قيل: ابن النبوءاتِ كُلِّها ف(طَرْفُهُ) من أسلافه، و(المَرْقَشُ)
ومنْ فلسفوا الدنيا فصارتْ حضارةً تُخْطُّ على جيدِ العصورِ وتُنْقَشُ

(١) محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)". (ط٣)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م، ١٦٥.

(٢) أرسطو طاليس، "فن الشعر". ترجمة إبراهيم حمادة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، ٩٥.

ومن طَبَّيوا نَهرَ اللَّيالي بِحِكمَةٍ فطوفاًها من قَبْلُ أَعْمى وأطرشُ
ولولاهُ لم يُحيي النَّيَّونَ غَرسُهُم ولا هُم بأشجارِ القُداسَةِ عَشَّشوا^(١)

يميل النص من أسلوبه إلى الشعر وضوئه، الذي ينعش الروح بدهشته، وهذه اللغة الفردية الخاصة في النص التي نثر فيها الكاتب روحه وعقله، تبرزها الأسلوبية الذاتية في قوله: (يضيء لنا، فينعشنا من) وهذا الملمح الأسلوبي يقودنا إلى انزياح النص، وإلى أثر الشعر على الشعراء (طرفة، والمرقش) وعلى الفلاسفة في العصر، وحضارة النبيين وما خطه الشعر على مر العصور من قصائد منقوشة على آثاره، وفي ظلال هذه الصور الشعرية، وانتقاء الألفاظ الموحية التي تفصح عن قدرة الشعر على احتضان الحضارة، والعصر حيث يشكل هنا أداة اتصال وتواصل بينهما وبين الشاعر الإنسان.

وينزاح النص في أسلوبه إلى حالة من التصوف الوجداني تجاه الشعر وبوحه في قوله: (يُضيء، ولكن من زجاجة رُوحه، ويخشى بنيات المهاجر يُخَدشُ)، وهي لغة منتقاة تحمل القارئ في أسلوبها إلى طاقة جمالية دالة، تحمل من المعاني والأخيلة؛ لتثير عقل السامع وفكره في تصوير يفيض منه الفخر على مدى ليالي وعصور لفلاسفة الشعر، فالحكمة قبلهم عمياء، إنه تحول وبعث جديد للشعر.

(٣) الصحيح، "طيورٌ تُحُلُقُ في المصيدة"، ٣٧-٣٨.

الختام

قدم الشاعر تجربته في ديوانه (طيور تخلق في المصيدة) من خلال مجموعة من الدلالات المنطوية على مضامين، ورموز، ومعانٍ تخيلية، نقلت تجربته الإنسانية صوراً واعية، وبأسلوب جمع فيه بين البعد الذاتي والبعد التاريخي والاجتماعي والنفسي، مما شكل ثنائيات بارزة أشار إليها في صور متناقضة تارة، ومتناغمة تارة أخرى، وحظي الرمز في تفسيره بقدر أكبر من التشبيهات والاستعارات، والقصص الأسطورية، والملحمية، من خلال دلالات ما وراء المعنى الظاهري، حيث كان الرمز رهن المشاعر، والأحاسيس المعبرة عن واقع الشاعر وانفعالاته.

ورصدت لنا كثير من القصائد الصور الشعرية والألفاظ الإيحائية التي لجأ إليها الشاعر ليعبر عن جو الغموض، الذي يسبح بعيداً عن الألغاز، هذا الغموض الذي يثير في نفس القارئ مشاعر وأحاسيس لها دلالاته العميقة في المعاني الشعرية، كما لحظنا الحس الصوفي في النص والإيحاء الرمزي الخيالي في إيقاع قصائده، وهذه الموسيقى المنبعثة من عالم الحواس لرسم عالم مثالي غير واقعي يتوق إليه، ويحققه بشعره من خلال رموز، وكيفيات، وبأسلوب دال استعان فيه كثيراً بالرمز، ويشير إلى فكرة أو ارتباط ذهني، وهو (المدلول)، وهذه العلاقة بين الدال والمدلول هي الكيفية التي نقصدها في عنوان البحث، وهي وصف الاتصال اللغوي انطلاقاً من تجربة الشاعر في نصوصه.

وخلص البحث إلى نتائج أبرزها:

- دلالة الرمز التي تخفي ما ورائها من توجس، وخوف الشاعر من التصريح بما في ذاته من مشاعر ووجدان، فضلاً عن الصراع معها ومع العالم الخارجي، مستنداً في صراعاته الداخلية والخارجية على الوعي.
- المقاربة الأسلوبية التي توزعت على بنية النص من إيقاع وصورة ورمز

- وعلامات تشكّلت وفق الدلالة العامة للنص.
- استعمل الشاعر المرأة كرمز وجداني ووجودي في الوقت ذاته، نفث فيه همومه ومعاناته النفسية؛ هروبًا من الحياة والواقع.
 - زخرت نصوص الديوان ببراء من التأويلات حملت دلالات جديدة تحتاج المزيد من التوقف والتأمل.
 - الثراء اللغوي والمعجمي في النصوص الشعرية متأثرًا بمرجعيات ثقافية وتاريخية وأسطورية.

المصادر والمراجع

- أحمد، حميد عبد الله، "نظرية تراسل الخواس". (بيروت: دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٠م).
- البحثري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، "ديوان البحثري". تحقيق حسن كامل الصيرفي، (ط٣، القاهرة: دار المعارف).
- الجاحظ، عمرو بن بحر، "الحيوان". (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- جيرو، بيير، "الأسلوبية". ترجمة منذر عياشي. (ط٢، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤م).
- الحباشة، صابر محمود، "الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب". (إريد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م).
- حجازي، سمير، "قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر". (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م).
- خليف، يوسف، "الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي". (ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م).
- السبيعي، حصة فهد، "تجليات الثقافة في ديوان طيور تخلق في المصيدة لجاسم الصحيح للدكتورة حصة السبيعي". *المجلة العلمية*، ٤٢، (٢٠٢٣م)، ٣٨٧٧-٣٨٣٥.
- سلامة، أمين، "حصار طراودة من الإلياذة لهوميروس". (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣م).
- الصحيح، جاسم، "ديوان: طيورٌ تُخلَق في المصيدة". (الكويت: دار صوفيا، ٢٠٢١م).
- طاليس، أرسطو، "فن الشعر". ترجمة إبراهيم حمادة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، "جمهرة الأمثال". (بيروت، دار الفكر، د. ت).

غركان، رحمن، "إنتاجية الشعر ممكنات القصيدة وإفادات التأويل". (العراق: دار نيبور للطباعة والنشر، ٢٠٢٣م).

فتوح، محمد، "الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر". (ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م).

كرم، أنطون، "الرمزية والأدب العربي الحديث". (بيروت: دار الكشاف، ١٩٤٩م).
ليتش، فنسنت ب، "النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات" ترجمة محمد يحيى، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م).

مفتاح، محمد، "تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)". (ط٣، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م).

النوتي، زكريا عبد المجيد، "الذئب في الأدب القديم". (القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م).

هلال، محمد غنيمي، "الأدب المقارن". (ط٩، القاهرة: نخضة مصر، ٢٠٠٨م).
وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

Bibliography

- Amjad, Hamid Abdullah, "The Theory of Senses Correspondence" (in Arabic). (Beirut: Dar and Library of Al-Basa'ir, 2010).
- Al-Buhturi, Abu Ubadah al-Walid ibn Ubayd, "Diwan al-Buhturi". Investigated by Hasan Kamil al-Sairafi, (3rd ed, Cairo: Dar al-Ma'arif).
- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr, "Al-Hayawān". (2nd ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1424 AH).
- Girou, Pierre, "Stylistics". Translated by Munther Ayyashi. (2nd ed., Aleppo: Center for Civilizational Development, 1994).
- Al-Habasha, Sabir Mahmoud, "Stylistics and Pragmatics: Approaches to Discourse Analysis" (in Arabic). (Irbid: Alam al-Kutub al-Hadith, 2011).
- Hijazi, Samir, "A Dictionary of Contemporary Literary Criticism Terms" (in Arabic). (Cairo: Dar al-Afaq al-Arabiyyah, 2001).
- Khalif, Yousuf. "al-Shu‘arā’ al-ṣa‘ālīk fī al-Shi‘r al-Jāhili”. (4th ed, Cairo: Dar Al-Maaref, 1986).
- Al-Subaie, Hessa Fahd, "Manifestations of Culture in the Collection of Birds Flying in the Trap by Jassim Al-Sahih, by Dr. Hessa Al-Subaie" (in Arabic) *Scientific Journal*, 42, (2023), 3835-3877.
- Salama, Amin. "The Siege of Troy from Homer's Iliad" (in Arabic). (United Kingdom: Hindawi Foundation, 2023).
- Al-Sahih, Jasim, "Collection: Birds Flying in the Trap." (Kuwait: Dar Sophia, 2021).
- Thales, Aristotle. "The Art of Poetry". Translated by Ibrahim Hamada (Cairo: Anglo-Egyptian Library).
- Al-Askari, Abu Hilal Al-Hasan bin Abdullah, "Jamharat al-Amthāl". (Beirut, Dar Al-Fikr, n.d.).
- Gharkan, Rahman, "The Productivity of Poetry: The Poem's Possibilities and the Outpourings of Interpretation" (in Arabic). (Iraq: Niebuhr Printing and Publishing House, 2023).
- Fattouh, Muhammad, "Symbol and Symbolism in Contemporary

- Arabic Poetry" (in Arabic). (3rd ed, Cairo: Dar Al-Ma'arif, 1984).
- Karm, Anton, "Symbolism and Modern Arabic Literature" (in Arabic). (Beirut: Dar Al-Kashaf, 1949).
- Leach, Vincent. B, "American Literary Criticism from the 1930s to the 1980s," translated by Muhammad Yahya (Cairo: Supreme Council of Culture, 2000).
- Miftah, Muhammad, "Analysis of Poetic Discourse (Intertextuality Strategy)" (in Arabic). (3rd ed., Beirut: Arab Cultural Center, 1992).
- Al-Nuti, Zakaria Abdul Majeed, "The Wolf in Classical Literature" (in Arabic). (Cairo: Etrak Printing, Publishing, and Distribution, 2004).
- Hilal, Muhammad Ghanimi, "Comparative Literature" (in Arabic). (9th ed, Cairo: Nahdet Misr, 2008).
- Wahba, Majdi, and Al-Muhandis, Kamel. "Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature" (in Arabic). (2nd ed, Beirut: Lebanon Library, 1984).

تحليل الأخطاء الصوتية لدى غير الناطقين بالعربية: مقاربة منهجية وفق نظرية كوردنر

Phonetic Error Analysis Among Non-Native Arabic Speakers: A Methodological Approach Based on Corder's Theory

ماهر بن دخیل الله الصاعدي

أستاذ مشارك في علم اللغة التعليمي بقسم الإعداد اللغوي بمعهد تعليم اللغة العربية
لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
البريد الإلكتروني: Maher987@hotmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/08		استلام البحث A Research Receiving 2025/01/22
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-012		

المستخلص

هدفت هذه الدراسة المعنونة بـ: "تحليل الأخطاء الصوتية لدى غير الناطقين بالعربية: مقارنة منهجية وفق نظرية كوردور" إلى تحليل الأخطاء الصوتية الشائعة التي يقع فيها طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومعرفة الأسباب الأساسية لوقوعهم في هذه الأخطاء، مع اقتراح بعض الحلول التي من الممكن أن تساعد في التقليل من الوقوع فيها. لتحقيق أهداف الدراسة استُخدم منهج كوردور (Corder) لتحليل الأخطاء، الذي يشتمل على جمع البيانات، ثم تصنيف الأخطاء، وشرح أسبابها المحتملة، ثم تقييمها واقتراح الحلول المناسبة للحد منها. أظهرت النتائج أن أخطاء الطلاب انحصرت في أربع فئات رئيسية، وهي: الإبدال، والزيادة، والحذف، والتقديم والتأخير؛ وكانت أخطاء الإبدال الأكثر شيوعاً بنسبة ٩٦٪. كما توصلت إلى أن الأصوات الحلقية، واللسانية، والتي تتصف بصفة التفخيم كانت من أكثر الأصوات صعوبة لدى الطلاب، وبينت أن هذه الأخطاء ترجع إلى سببين أساسيين، هما: التداخل اللغوي بين لغة الطالب الأم واللغة العربية، والتداخل داخل النظام الصوتي للغة العربية نفسها.

بناءً على هذه النتائج، أوصت الدراسة بعدة توصيات، من أهمها: تطوير إستراتيجيات تعليمية تسهم في مساعدة الطلاب على اكتساب الأصوات العربية، كإستراتيجية تعزيز التدريب الصوتي المنتظم، مع إعداد تدريبات صوتية مركزة تعتمد على المحاكاة والتكرار الموجه. إضافة إلى تقديم تدريبات تفاعلية في سياقات صوتية متنوعة مستندة على الشائبة الصغرى، مع ضرورة ترتيب الأصوات العربية في مجموعات حسب مخارجها وصفاتها عند تقديمها للطلاب، ووصف آلية نطقها. فضلاً عن

ضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة في تدريس الأصوات العربية وتقديم التدريبات الصوتية للطلاب. كما أوصت الدراسة بعدم إغفال دور المعلم في عملية تدريس الأصوات العربية، وأهمية تدريبيه وتطوير مهاراته.

الكلمات المفتاحية: نظرية تحليل الأخطاء، الأخطاء الصوتية، الناطقون بغير العربية.

Abstract

This study, entitled "An Analysis of Phonetic Errors among Non-Native Speakers of Arabic: A Methodological Approach Based on Corder's Theory," aims to analyze the common phonetic errors made by students at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers at the Islamic University of Madinah, and to identify the underlying causes of these errors. In addition, the study proposes several possible solutions that may help reduce the frequency of these errors. To achieve its objectives, the study employed Corder's Error Analysis Method, which involves collecting data, classifying the errors, identifying their possible causes, evaluating them, and finally proposing appropriate solutions to minimize them. The results revealed that the students' errors fell into four main categories: substitution, insertion, deletion, and disordering. Among these, substitution errors were the most prevalent, accounting for 96% of all recorded errors. The study also has shown that guttural, lingual, and emphatic sounds were among the most challenging for students. This was attributed to two main factors: linguistic interference between learner's native language and Arabic, and interference within the phonological system of Arabic language itself.

Based on these findings, the study has provided several recommendations, including developing educational strategies to assist students in acquiring Arabic sounds, such as enhancing regular phonetic training through focused exercises based on guided simulation and repetition. It also has emphasized providing interactive training in various phonetic contexts, utilizing minimal pairs, and organizing Arabic sounds into groups based on their articulation points and characteristics when introducing them to students, alongside detailed descriptions of their pronunciation mechanisms. Furthermore, the study has highlighted the importance of leveraging modern technologies to teach Arabic sounds and deliver phonetic training. Additionally, it stressed the importance of training and developing teachers' skills of teaching Arabic sounds.

Keywords: Error Analysis Theory, Phonetic Errors, Non-Native Arabic Speakers.

المقدمة

اللغة الإنسانية ظاهرة ميّز الله تعالى بها البشر دون غيرهم من سائر المخلوقات، وقد عرفها ابن جني بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(١)، فهي وعاء من أوعية النقل الثقافي والتاريخي للمجتمعات الإنسانية، ووسيلة من وسائل التواصل والتعبير عن الأفكار والمشاعر بين البشر. فعن طريقها تُبنى الروابط الاجتماعية بين البشر، ويُعزز التعاون والتفاهم بينهم. كما أن اللغات الإنسانية تتميز بتنوعها وتعددتها، إذ يُقدر عددها بآلاف اللغات، وكل منها يتميز بنظام لغوي خاص، له خصائصه الفريدة دون غيره.

واللغة العربية إحدى هذه اللغات الإنسانية، وتمتد جذورها إلى العصور القديمة، وهي جزء أساسي من التراث الثقافي والحضاري للعالم الإسلامي العربي. كما أن لها مكانة خاصة لدى المسلمين عمومًا؛ إذ ميزها الله تعالى دون غيرها من اللغات باختصاصها بأن تكون لغة القرآن الكريم. وكان لها إسهام واضح في تطور البشرية، من خلال نقل العديد من العلوم والمعارف العلمية والأدبية والفلسفية خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

وللغة العربية مجموعة واسعة من الأصوات الفونيمية ومخارج الحروف المتنوعة التي تميزها فونيتيكيًا، وتجعلها أكثر تنوعًا وتعقيدًا من بين سائر اللغات الإنسانية. هذه الأصوات الفونيمية تُصنّف وفق مخارجها الصوتية، فتشمل: الأصوات الحلقية، واللسانية، والشفهية. وكل صوت من هذه الأصوات يميّزه خصائص فريدة قد لا تتوفر في بعض اللغات الأخرى، مثل: الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاستعلاء والاستفال والتفخيم.

(١) ابن جني، "الخصائص"، تحقيق محمد علي النجار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)،

كما أن الأصوات العربية تُعد عنصرًا أساسيًا من العناصر اللغوية التي ينبغي تعلمها واكتسابها من قبل متعلمي اللغات الأجنبية من أجل بلوغ الكفاية التواصلية؛ إذ لا يمكن بلوغها دون نطق صحيح للأصوات، وفهم سليم للكلمات والجمل.

هذا النظام الصوتي المتنوع والمعقد للغة العربية جعلها إحدى اللغات الإنسانية التي يواجه متعلموها صعوبة في اكتسابها، لا سيما غير الناطقين بها. هذا ما تؤكد بعض الدراسات اللغوية الحديثة التي أجريت في هذا المجال، فعلى سبيل المثال، أشارت دراسة الهذلول (٢٠٢٣) أن دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها عادة ما يواجهون صعوبة عند نطق الأصوات العربية التي تفتقر إليها لغاتهم الأصلية، ما يجعلهم يستبدلوها بأصوات مشابهة من لغاتهم الأصلية^(١). كما أظهرت دراسة الموسوي (٢٠١٨) أن غير الناطقين بالعربية يجدون صعوبة في التمييز بين الأصوات العربية المتشابهة، ومخارج حروفها الدقيقة، وهذا بدوره يؤثر سلبًا على اكتسابهم لهذه الأصوات^(٢). علاوة على ذلك، أكدت دراسة البلوشي (٢٠٢١) أن دارسي اللغة العربية غير الناطقين بها يواجهون صعوبة واضحة عند نطق الأصوات الحلقية واللسانية اللثوية، ما يؤخرهم في تعلم اللغة واكتسابها، وغيرها من الدراسات كالتی عُرِضَتْ في الدراسات السابقة^(٣).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في انتشار الأخطاء الصوتية بين متعلمي اللغة العربية

(١) علي بن هذلول علي الهذلول، "أخطاء التلاوة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها ٨، (٢٠٢٣م): ٦٠١-٦٥٠.

(2) Ahmed Al-Mousawi, "Challenges in Teaching Arabic Phonetics to Non-Native Speakers," *Journal of Arabic Linguistics and Education* 5, no. 1 (2018): 45-60.

(3) Ahmed Al-Balushi, "Phonetic Challenges in Learning Arabic for Non-Native Speakers," *Journal of Language and Linguistics* 10, no. 2 (2021): 78-95.

الناطقين بغيرها، حيث إن العديد من الدراسات اللغوية السابقة، كالدراسات التي سبق عرضها، ودراسة البطري، وبوشقفي (٢٠٢٠)، ودراسة صيني، والأمين (١٩٨٢)، وغيرها من الدراسات التي تناولها الباحث في الدراسة الحالية، أكدت بأن متعلمي العربية الناطقين بغيرها يجدون صعوبة في اكتساب بعض الأصوات العربية ونطقها، وهذا بدوره يؤثر سلباً على اكتسابهم للغة المستهدفة وتحقيقهم للكفاية التواصلية^(١). فضلاً عن أن الباحث من خلال خبراته في تعليم العربية للطلاب الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية لاحظ معاناة بعض الطلاب من جنسيات مختلفة في نطق بعض الأصوات العربية واكتسابها.

وعلى الرغم من تناول بعض الدراسات السابقة للأخطاء الصوتية لدى المتعلمين غير الناطقين بالعربية، إلا أن الباحث لم يقف على أي دراسة تناولت الأخطاء الصوتية لدى طلبة معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بصورة خاصة. وهذا بدوره دفع الباحث إلى التعمق في دراسة هذه الظاهرة، وتحليل الأخطاء الصوتية لدى هؤلاء الطلاب، بهدف معرفة الأخطاء الشائعة لديهم، وفهم الأسباب الكامنة وراء هذه الأخطاء، واقتراح بعض الحلول العلمية التي يمكن أن تساعد في الحد من هذه الأخطاء.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن الأسئلة الآتية:

(١) حميد البطري، وعبد الرحمن بوشقفي، "إستراتيجيات تيسير تعليم وتعلم الأصوات العربية للناطق بغيرها - المستوى التمهيدي أنموذجاً"، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، العدد الخاص الأول، (٢٠٢٠م): ٢٠٢-٢١٥؛ ومحمود إسماعيل صيني، وإسحاق محمد الأمين، "التقابل اللغوي وتحليل الخطاب"، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م).

١. ما هي أبرز الأخطاء الصوتية الشائعة عند طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟
٢. ما هي الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى وقوع طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الأخطاء الصوتية؟
٣. ما هي الحلول الممكنة التي قد تساعد في الحد من انتشار الأخطاء الصوتية بين طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الآتي:

١. الكشف عن الأخطاء الصوتية الشائعة التي يقع فيها طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢. تحليل الأسباب الكامنة وراء الوقوع في هذه الأخطاء الصوتية، سواء كانت ناتجة عن الفروق اللغوية بين اللغة الأم واللغة المستهدفة، أو أسباب تعليمية أخرى.
٣. اقتراح بعض الحلول المناسبة التي قد تسهم في الحد من الوقوع في هذه الأخطاء الصوتية.

أهمية الدراسة:

- تظهر أهمية هذه الدراسة من زوايا متعددة، من أبرزها:
- استجابة الدراسة الحالية للاتجاهات العالمية والمحلية التي تسعى إلى تحسين جودة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والاهتمام بتطوير المهارات الصوتية للمتعلمين، حيث إن هذه الدراسة تهدف إلى دعم هذه الجهود من خلال تسليط الضوء على الأخطاء الصوتية وتحليلها بطرق علمية دقيقة.
 - معرفة الأخطاء الصوتية الشائعة لدى الطلاب غير الناطقين بالعربية، وتحليل

- الأسباب التي تؤدي إلى وقوعها يسهم في إفادة معلمي اللغة العربية، ما يساعدهم في تحسين أساليبهم التعليمية في تدريس الأصوات لطلابهم.
- معرفة الأصوات الصعبة التي يجد الطلاب غير الناطقين بالعربية صعوبة في نطقها بصورة صحيحة، وتدريبهم على اكتسابها عادة ما يسهم في تعزيز الكفاية التواصلية لديهم.
- قد تفتح الدراسة الحالية آفاقاً جديدة لمزيد من الدراسات الحديثة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، لا سيما مجال تعليم الأصوات العربية وتعلمها.
- تقديم توصيات علمية قد تسهم في تطوير مناهج اللغة العربية، بما يتناسب مع احتياجات المتعلمين غير الناطقين بالعربية.

حدود الدراسة:

- الحدود البشرية: اقتصرَت الدراسة الحالية على مجموعة من طلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الحدود المكانية: نُفذت الدراسة الحالية في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الحدود الزمانية: نُفذت الدراسة الحالية فور الانتهاء من الإجراءات اللازمة للتطبيق في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٤٥ هـ.
- الحدود الموضوعية: اقتصرَت الدراسة الحالية على تحليل الأخطاء الصوتية الشائعة عند دارسي اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتقديم حلول علاجية مناسبة لهذه الأخطاء.

مصطلحات الدراسة:

يكتفي الباحث هنا بعرض التعريفات الإجرائية لمصطلحات الدراسة:

- الأخطاء الصوتية (Phonetic Errors)

تُعرف الأخطاء الصوتية بأنها تلك الأخطاء التي يقع فيها متعلمو اللغة الأجنبية نتيجة للصعوبات التي تواجههم عند إنتاج الأصوات غير المألوفة في لغاتهم الأصلية. ويقصد بها هنا الأخطاء الصوتية التي يرتكبها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها عند النطق بالأصوات العربية.

- الناطقون بغير العربية (Non-Native Speakers of Arabic)

يُشير مصطلح الناطقين بغير العربية إلى الأشخاص الذين لا تعد اللغة العربية لغتهم الأم، بل اكتسبوها كلغة ثانية أو أجنبية. ويقصد بهم هنا متعلمو اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- نظرية تحليل الأخطاء لكوردنر (Error Analysis Theory)

هي نظرية لغوية لها أهمية كبيرة في مجال تعليم اللغات الأجنبية نشأت على يد العالم اللغوي ستيفن بيت كوردنر (Stephen Pit Corder) كنظرية بديلة لنظرية التحليل التقابلي التي اعتمدت على التنبؤ النظري بالأخطاء اللغوية من خلال المقارنة بين اللغات المسبق. وتقوم فكرة هذه النظرية على دراسة الأخطاء المرحلية الفعلية التي يرتكبها متعلمو اللغة الثانية عند تعلمهم لها وتحليلها.

الإطار النظري:

- الأصوات العربية:

تعد الأصوات من أبرز الخصائص اللغوية التي تمتاز بها اللغة العربية، وعنصر من عناصرها الأساسية، ولها دور حيوي في فهم الجملة العربية وتحديد بنية الكلمة ومعناها. فهي وسيلة من الوسائل التي يمكن من خلالها التعبير عن المعاني المختلفة التي تنقل الأفكار والمشاعر بدقة ووضوح. وتُعرف الأصوات بأنها: "الأثر السمعي الذي

يحدث نتيجة للتموجات الصوتية^(١)، كما تُعرّف أيضًا بأنها: "عرض يخرج من النفس ممتدًا متصلًا إلى أن يصل إلى الحلق، أو الفم، أو الشفتين فيعترضه عارض في هذه الأماكن فيثنيه عن امتداده، ما يكون سببًا في إنتاج الحروف"^(٢). وتشمل الأصوات العربية نوعين من الفونيمات، هما: الفونيمات القطعية، والفونيمات فوق القطعية. تمثل الفونيمات القطعية كلاً من الصوامت، والصوائت، في حين أن الفونيمات فوق القطعية فتشمل الظواهر الصوتية الأخرى، كالنبر، والتنغيم، والإدغام.

والنظام الصوتي العربي يتكون من (٣٤) فونيمًا قطعياً، شاملاً الحروف الصامتة (الساكنة)، والصوائت (الحركات القصيرة والطويلة). فالصوائت هي الأصوات التي عند نطقها لا يعترض فيها هواء الزفير أي عارض عن خروجه من الرئتين. ويبلغ عددها (٦)، مقسمة إلى (٣) أصوات طويلة، تتضمن: أصوات المد (الألف، والواو، والياء)، و (٣) أصوات قصيرة، وتتضمن: (الفتحة، والضمة، والكسرة)^(٣). وللأصوات القصيرة دور محوري في تحديد زمن الفعل ونوعه، في حين أن الأصوات الطويلة يكمن دورها في مد الصوت وجعله أكثر وضوحاً^(٤).

أما الأصوات الصامتة، فيبلغ عددها (٢٨) صوتاً، متضمنة الأصوات التي يعترض فيها هواء الزفير عند مروره عارض ما، كالحبس أو الاحتكاك. تشمل هذه الأصوات جميع حروف اللغة العربية باستثناء الحركات القصيرة، والطويلة. هذه

(١) مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، (الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م)، ٥١٤.

(٢) ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، (الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م)، ٦.

(٣) كمال بشر، "علم الأصوات"، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م)، ١.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م)، ٢١٠.

الصوامت، هي: (همزة القطع، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والذال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، والياء غير المدية)، حيث يعدان (الواو، والياء غير المدية) صوتين صامتين يشبهان الصوائت، وذلك بسبب أنه عند النطق بهما يضيق مجرى الهواء إلى مستوى يكون قريباً من الاحتكاك، دون أن يحدث احتكاكاً كاملاً.

ويمكن تصنيف الصوامت وفقاً لمخرجها وأحيازها، فتقسم إلى مجموعات متنوعة، منها مجموعة الأصوات الحلقية، وهي: (الهمزة، والعين، والهاء، والحاء، والخاء، والغين)، ومجموعة الأصوات اللسانية، وهي: (الذال، والتاء، والطاء، والذال، والثاء، والظاء، والراء، والزاي، والشين، والسين، والصاد، والضاد، والنون، واللام، والجيم، والكاف، والقاف، والياء غير المدية)، ومجموعة الأصوات الشفهية، مثل: (الباء، والميم، والفاء، والواو غير المدية). وكل صوت من هذه الأصوات يتميز بصفات معينة، كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاستعلاء والاستفال، ما يؤثر في طريقة نطقه ودوره في تحديد بنية الكلمة ومعناها^(١).

- اكتساب اللغة الثانية، وتعلمها:

لا شك أن التأثير المستمر للعولمة، والحاجة الملحة للتواصل والانفتاح على الثقافات المختلفة أثر كثيراً في مجال تعليم اللغة الثانية وتعلمها، حيث جعله أمراً لا غنى عنه في عصرنا الحاضر. ولا يخفى أن عملية اكتساب اللغة، تختلف عن عملية تعلمها، فعملية اكتساب اللغة كما يراها كراشن (١٩٨٢)، هي عملية تحدث عادة

(١) ابن جني، "الخصائص"، تحقيق محمد علي النجار، (بيروت: دار الكتب العلمية،

١٩٩٣م)، ٢٥.

بصورة تلقائية وبدون وعي، ولا يشكل التدريس المباشر للقواعد وتصحيح الأخطاء فيها أهمية أولوية، في حين أن عملية تعلم اللغة تحدث بصورة واعية ومدروسة ومخطط لها، عادة ما يركز المتعلمون فيها على الأشكال والبنى اللغوية الأساسية، فضلاً عن استخدامهم لإستراتيجيتي تصحيح الخطأ والعرض المباشر للقواعد^(١). ولا شك أن عملية تعلم اللغة الثانية واكتسابها عادة ما تحدث بعد عملية اكتساب اللغة الأم، وهي تشبه إلى حد كبير عملية اكتساب اللغة الأم وتعلمها؛ إذ إنه يحصل التركيز في العمليتين (اكتساب اللغة الأم، والثانية) على فهم الرسائل اللغوية دون التركيز على البنى التركيبية النحوية.

ولا شك أن عملية اكتساب اللغة الثانية وتعلمها تتأثر ببعض العوامل الرئيسة، من أبرزها: التداخل اللغوي (تأثير اللغة الأم)، وعمر المتعلم، ودوافعه للتعلم، والأساليب التعليمية والتعلمية، والبيئة اللغوية المحيطة بالمتعلم، والثقافة سواء ثقافة المتعلم أو ثقافة اللغة الهدف، وغيرها من العوامل. فعامل التداخل اللغوي يحدث عادة نتيجة لتأثير لغة المتعلم الأم على عملية اكتساب اللغة الثانية، ويحصل ذلك نتيجة الاختلافات أو التشابهات بين الأنظمة اللغوية للغة الأم واللغة الثانية، ونتيجة لما يتصوره المتعلم حول ما يمكنه نقله من لغته الأم إلى لغته الثانية^(٢). وهناك نوعان لهذا التداخل اللغوي، هما: التداخل الإيجابي، والتداخل السلبي، فالتداخل الإيجابي يحدث عندما تكون أبنية أو عناصر اللغتين متشابهة، حيث يستخدم المتعلمون لغاتهم الأم

(1) Stephen Krashen، Principles and Practice in Second Language Acquisition، (Oxford: Pergamon Press، 1982).

(2) David Lott، "Analysing and Counteracting Interference Errors"، ELT Journal 37، no. 3 (1983): 256-261.

من أجل تيسير إنتاجهم لعناصر وأصوات اللغة الثانية، في حين أن التداخل السلبي يحدث عندما يكون هناك اختلاف بين أنماط كلتا اللغتين (الأم، والثانية)، ما يؤدي عادة إلى حصول بعض الأخطاء اللغوية لدى المتعلمين عند محاولتهم تعلم اللغة الثانية^(١).

كما أن عمر المتعلم أحد هذه العوامل الأساسية التي لها تأثير كبير في عملية اكتساب اللغة الثانية وتعلمها، حيث تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الأطفال يمتلكون قدرة فطرية على اكتساب اللغات بصورة أسرع وأكثر فعالية مقارنة بالبالغين، وهو ما يعزى إلى فرضية الفترة الحرجة (Critical Period Hypothesis) التي اقترحها لينبيرج (Lenneberg) والتي تنص على أنه توجد فترة زمنية في مرحلة الطفولة يكون فيها الدماغ أكثر استعدادًا وقابلية لاكتساب اللغات وتعلمها، في حين أن هذه المرونة والقابلية تقل تدريجيًا مع تقدم العمر^(٢). ويرى كارول (Carroll) أن المتعلمين الأطفال أقل عرضة للتداخل اللغوي مقارنة بنظرائهم البالغين، وذلك نتيجة لعدم تجذر لغاتهم الأم بما فيه الكفاية في أدمغتهم^(٣).

إلى جانب ما سبق، لا شك أن عاملي الدافعية، والأساليب التعليمية يؤدان دورًا مهمًا في عملية الاكتساب اللغوي، ويقصد بالدافعية مجموعة الظروف الداخلية والخارجية التي تقوم بتحفيز المتعلم رغبة في وصوله إلى تحقيق التوازن، وتحقيق الأهداف التي تلبي حاجاته ورغباته الداخلية. وهذه الدافعية قد تكون نابعة من رغبة المتعلم في

(1) Susan Marquardt Gass and Larry Selinker, Second Language Acquisition: An Introductory Course, (1st ed., Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1994); and David Arthur Wilkins, Linguistics in Language Teaching, (1st ed., London: Edward Arnold, 1972).

(2) Eric Heinz Lenneberg, Biological Foundations of Language, (1st ed., New York: John Wiley & Sons, 1967).

(3) John Bissell Carroll, The Psychology of Language Testing, (1st ed., Oxford: Pergamon Press, 1968).

التعلم (داخلية)، أو مرتبطة بالخوافز الخارجية كالاحتياجات المهنية أو الأكاديمية (خارجية). وتختلف الدافعية من متعلم إلى متعلم آخر، حيث ثبت علمياً أن المتعلمين ذوي الدوافع الداخلية عادة ما يكونون أفضل أداءً وتحصيلاً في عملية الاكتساب اللغوي للغة الثانية مقارنة بنظرائهم ذوي الدوافع الخارجية^(١). فضلاً عن أن الأساليب التعليمية لا تختلف كثيراً عن تأثير الدافعية في عملية الاكتساب اللغوي. فقد أشارت بعض الدراسات التربوية أن المتعلمين الذين ينغمسون ويتعرضون لمواقف تعليمية تفاعلية عادة ما يكونون أفضل أداءً واكتساباً لمهارات اللغة الثانية مقارنة بنظرائهم الذين يتعلمون بالطرق التقليدية^(٢).

كما أن البيئة اللغوية المحيطة بالمتعلم وثقافتها لها تأثير واضح في عملية اكتساب اللغة الثانية وتعلمها، سواءً كانت هذه البيئة يتحدث أهلها اللغة المستهدفة لغة أصلية، أو بيئة تعليمية افتراضية غامرة. ولا شك أن غمر المتعلم في بيئة لغوية مناسبة عادة ما يسهم في تحسين الاكتساب اللغوي وتحفيز المتعلم لاستخدام اللغة المستهدفة^(٣). كما أن فهم السياق الثقافي اللغوي والتعرض لثقافة اللغة المستهدفة يساعد على فهم الاستخدامات النمطية والمجازية للغة، ما يعزز من قدرة المتعلم على اكتساب اللغة واستخدامها في مواقف حياتية مختلفة بفعالية^(٤).

-
- (1) Robert C. Gardner and Wallace E. Lambert, Attitudes and Motivation in Second Language Learning, (1st ed., Rowley, MA: Newbury House Publishers, 1972).
 - (2) Michael Riek, et al., "The Effectiveness of Communicative Language Teaching Methods in Second Language Acquisition: A Case Study," Language Learning Journal 26, no. 2 (2002): 45-56.
 - (3) Stephen David Krashen, Principles and Practice in Second Language Acquisition, (1st ed., Oxford: Pergamon Press, 1982).
 - (4) Kevin Krogan, "The Role of Culture in Language Learning: A Case Study of a Second Language Classroom," Journal of Language and Cultural Education 1, no. 1 (2013): 45-54.

- نظرية التحليل التقابلي (Contrastive Analysis Theory)

تُعد نظرية التحليل التقابلي إحدى النظريات الأساسية في مجال اكتساب اللغة الثانية وتعلمها. وقد نشأت في أواسط القرن العشرين على يد العالم اللغوي روبرت لادو (Robert Lado) وتقوم فكرتها على مبدأ رئيس يتمثل في مقارنة الأنظمة اللغوية بين لغتين أو أكثر (اللغة الأصلية للمتعلم، واللغة المستهدفة) مقارنة علمية، حيث تفترض أنه من خلال هذه المقارنة يمكن التنبؤ بالصعوبات التي قد يواجهها المتعلم أثناء تعلمه للغة الهدف. وتكون المقارنة من خلال دراسة الفروقات والتشابهات بين اللغتين، إذ إن التشابهات بين اللغتين عادة ما تسهم في تسهيل عملية الاكتساب اللغوي، في حين أن الاختلاف بينهما عادة ما يؤدي إلى ظهور الأخطاء اللغوية أثناء عملية الاكتساب اللغوي⁽¹⁾.

وقد تعرضت هذه النظرية لبعض النقد لاحقاً على الرغم من أهميتها في مجال تعليم اللغات الأجنبية، بسبب تركيزها فقط على التباين بين اللغتين فقط، وتجاهلها للعوامل الأخرى التي قد تؤثر على عملية الاكتساب اللغوي، كالعوامل الاجتماعية، والنفسية، والثقافية، وغيرها من العوامل التي سبق الحديث عنها، ولا شك أن الأخطاء اللغوية لا تنتج فقط نتيجة للتداخل اللغوي بين اللغتين، بل هناك عوامل أخرى (كما وضحت نظرية تحليل الأخطاء لاحقاً). ومهما يكن، تقدم هذه النظرية جهوداً عظيمة في مجال تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها، حيث إن دراسة الفوارق بين لغات المتعلمين الأصلية واللغة العربية يوضح للمعلمين مناطق الصعوبة التي قد يواجهها المتعلمون أثناء تعلمهم للغة العربية، ما يسهم في جعل عملية الاكتساب اللغوي أكثر فعالية.

(1) Robert Lado, *Linguistics Across Cultures: Applied Linguistics for Language Teachers*, (1st ed., Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1957).

- نظرية تحليل الأخطاء (Error Analysis Theory)

هي نظرية لغوية أكثر شمولية لها أهمية كبيرة في مجال تعليم اللغات الأجنبية نشأت على يد العالم اللغوي ستيفن بيت كوردن (Stephen Pit Corder) كنظرية بديلة لنظرية التحليل التقابلي التي اعتمدت على التنبؤ النظري بالأخطاء اللغوية من خلال مقارنة اللغات المسبق. وقد ظهرت هذه النظرية نتيجة للانتقادات التي وجهت إلى نظرية التحليل التقابلي. وتقوم فكرة هذه النظرية على دراسة الأخطاء المرحلية الفعلية التي يرتكبها متعلمو اللغة الثانية عند تعلمهم لها وتحليلها، حيث تفترض هذه النظرية أن الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون ليست مجرد نتائج لفشلهم في عملية التعلم اللغوي، بل هي مؤشرات مفيدة لفهم مراحل التعلم، وتعكس جزءاً أساسياً من عملية التعلم اللغوي، حيث إن تحليل هذه الأخطاء يساهم في تحديد المناطق اللغوية التي تحتاج إلى تركيز وتحسين^(١)، وتقديم رؤى مهمة حول التحديات التي قد يواجهها متعلمو اللغة الثانية، وهذا بدوره قد يساعد معلمي اللغة الثانية في معرفة النقاط اللغوية التي تحتاج إلى تركيز إضافي، ومصممي البرامج التعليمية في تصميم إستراتيجيات تعليمية موجهة لتلبية احتياجات متعلمي اللغة الثانية، وتطوير المناهج التعليمية الخاصة بهم^(٢).

وهذه الأخطاء اللغوية المرحلية يمكن تقسيمها وفقاً لنظرية تحليل الأخطاء إلى عدة أنواع، وهي: أخطاء الإبدال، وأخطاء التحويل (التقديم والتأخير)، وأخطاء الإضافة، وأخطاء الحذف. أما الأخطاء الاستبدالية فتحصل عند استبدال المتعلم أثناء استعمال اللغة الهدف عنصراً لغوياً بعنصر آخر من لغته الأصلية، بينما الأخطاء

(1) Stephen Pit Corder, "The Significance of Learners' Errors," International Review of Applied Linguistics 5, no. 4 (1967): 161-170.

(2) Rod Ellis, The Study of Second Language Acquisition, (2nd ed., Oxford: Oxford University Press, 2008).

التحويلية فتكون عند تغيير الترتيب الصحيح للعناصر اللغوية، أما أخطاء الإضافة فتحدث عند إضافة المتعلم لعناصر لغوية غير صحيح ذكرها، في حين أن أخطاء الحذف تكون العكس، وذلك بحذف المتعلم لعناصر لغوية مطلوب ذكرها.

وترجع هذه الأخطاء إلى مصدرين أساسين، هما: التداخل بين اللغات (interlingual interference)، والتداخل اللغوي داخل اللغة نفسها (intralingual interference). أما التداخل بين اللغات أو ما يسمى بالنقل بين اللغات فيحدث نتيجة لتأثير لغة المتعلم الأصلية على تعلم اللغة الثانية، وذلك عندما يحاول المتعلم نقل قواعد أو أنماط لغوية من لغته الأصلية إلى اللغة الثانية، مما يؤدي إلى أخطاء لغوية؛ في حين أن التداخل اللغوي داخل اللغة أو ما يسمى بالنقل داخل اللغة فيشير إلى الأخطاء التي تحدث نتيجة لتطبيق المتعلم لإستراتيجيات تعلم اللغة الثانية، كالإفراط في التعميم (overgeneralization)، والتفادي (Avoiding)، والتبسيط (simplification)، والإفراط في التصحيح (Hypercorrection)، والافتراضات الخاطئة (false concepts hypothesized)، وليس بسبب تأثير لغة المتعلم الأصلية (١). ومعظم الأخطاء التي يقع فيها متعلمو اللغة الثانية كما تشير معظم الدراسات اللغوية هي أخطاء بين لغوية (interlanguages) أي ناتجة بسبب التداخل بين اللغات (٢)، حيث إن متعلم اللغة الثانية عادة ما تكون لديه خلفية لغوية سابقة قبل تعلمه للغة الثانية يعتمد عليها كثيراً عند تعلمه للغة الثانية، ما يسبب تداخل بينهما أثناء عملية تعلم اللغة الثانية، وهذا التداخل قد يكون إيجابياً، أو سلبياً، وذلك بحسب تأثيره على عملية التعلم. فالتداخل الإيجابي يحدث عندما تكون الأنظمة اللغوية للغتين متشابهة،

(1) Pouran Heydari and Mohammad Sadegh Bagheri, "Error Analysis: Sources of L2 Learners' Errors," Theory and Practice in Language Studies 2, no. 8 (2012): 1583-1589.

(2) Harold Douglas Brown, Principles of Language Learning and Teaching, (4th ed., White Plains, NY: Longman, 2000).

فيكون تعلم اللغة الثانية أكثر سهولة لدى المتعلم عند اعتماده على لغته الأصلية؛ أما التداخل السلبي فيحدث عندما تكون الأنظمة اللغوية للغتين مختلفة، مما يؤدي إلى حدوث أخطاء عندما يحاول المتعلمون إنتاج اللغة الثانية باستخدام خبراتهم اللغوية السابقة من لغتهم الأصلية^(١).

الدراسات السابقة:

اطلع الباحث على عدد من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة الحالية، ولم يعثر على أي دراسات تناولت تحليل الأخطاء الصوتية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، بيد أنه عثر على بعض الدراسات التي تناولت جوانب ذات صلة بالموضوع، ومن هذه الدراسات:

● دراسة السعدي، ورمضان (٢٠٢٣)^(٢):

قام الباحثان السعدي، ورمضان (٢٠٢٣) بدراسة بعنوان: "اكتساب الناطقين بغير اللغة العربية الأصوات اللغوية وظيفياً: دراسة ميدانية"، وهدفت الدراسة إلى معرفة المهام اللغوية الوظيفية التواصلية المناسبة لتحسين اكتساب الأصوات اللغوية لدى الناطقين بغير اللغة العربية، وقياس مدى فاعليتها. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي لتصميم وبناء المهام اللغوية الوظيفية التواصلية المناسبة، والمنهج التجريبي لتطبيق تلك المهام اللغوية الوظيفية وقياس مدى فاعليتها. اشتملت عينة الدراسة من ٤٠ طالباً

(1) Susan Marquardt Gass and Larry Selinker, Second Language Acquisition: An Introductory Course, (1st ed., Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1994); and David Arthur Wilkins, Linguistics in Language Teaching, (1st ed., London: Edward Arnold, 1972).

(٢) عبد القادر عبد الرحمن السعدي، ومحمد عبد الحليم رمضان، "اكتساب الناطقين بغير اللغة العربية الأصوات اللغوية وظيفياً: دراسة ميدانية"، مجلة جامعة الوصل ٦٧، (٢٠٢٣م):

وطالبة من (٥) جنسيات مختلفة، وزعوا عشوائيًا إلى مجموعتين متساويتين: مجموعة تجريبية خضعت لتدريبات تعتمد على المهام اللغوية الوظيفية التواصلية التي تحاكي مواقف الحياة اليومية وتتيح للمتعلمين تطبيق الأصوات في سياقات حقيقية كالتطبيقات الحاسوبية التفاعلية، والمواد السمعية البصرية، والنصوص اللغوية الأصيلة، ومجموعة ضابطة تلقت التدريب التقليدي القائم على الحفظ والتكرار، ولتحقيق أهداف الدراسة طُبقت عليهم اختبارات قبلية وبعديّة.

توصلت الدراسة إلى أن المجموعة التجريبية أظهرت تقدمًا ملحوظًا في تحصيل الأصوات اللغوية وتوظيفها مقارنة بالمجموعة الضابطة. كما أظهرت الدراسة أن المنهج القائم على المهام اللغوية الوظيفية التواصلية ساهم في تعزيز ديمومة التعلم، حيث استمرت المجموعة التجريبية في تحسين أدائها بعد انتهاء فترة التجربة، مما يشير إلى أن هذا المنهج أسهم كثيرًا في تعزيز تعلم الأصوات اللغوية وجعلها أكثر رسوخًا لدى المتعلمين. ونتيجة لذلك أوصت الدراسة بضرورة تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية في بناء الأنشطة والمواد اللغوية التعليمية، وضرورة عقد دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية لتطوير مهاراتهم في بناء المناهج الدراسية والمواد التعليمية التي تعتمد على مدخل المهام اللغوية الوظيفية.

● دراسة الهذلول (٢٠٢٣)^(١):

أجرى الهذلول دراسة بعنوان: "أخطاء التلاوة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، وهدفت الدراسة إلى تحليل الأخطاء النطقية وأخطاء التجويد أثناء التلاوة لدى الناطقين بلغات غير العربية. ولتحقيق أهداف الدراسة،

(١) علي بن هذلول علي الهذلول، "أخطاء التلاوة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ٨، (٢٠٢٣ م): ٦٥٠-٦٠١.

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال استخدام بطاقة ملاحظة بعد التأكد من صدقها لجمع البيانات من (٣٠) متعلماً من المستوى الثالث بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أظهرت نتائج الدراسة أن ٨٠٪ من الأخطاء النطقية كانت بسبب استبدال الأصوات أثناء التلاوة، و ٣٠٪ كانت بسبب زيادة الأصوات، في حين أنه كانت ١٠٪ بسبب حذف الأصوات، و ٢٦٪ بسبب تشويه الأصوات ومزجها مع بعض. أما ما يتعلق بأخطاء التجويد، أظهرت النتائج أن الأخطاء في أحكام الراء كانت الأكثر شيوعاً، وجاءت بنسبة ٨٠٪، يليها الأخطاء في المدود بنسبة ٦٣٪، ثم القلقل بنسبة ٦٠٪، ثم الأخطاء في أحكام النون الساكنة والتنوين بنسبة ٤٠٪، وأخيراً أخطاء الغنة بنسبة ٢٣٪. في ضوء هذه النتائج، أوصت الدراسة بأهمية إعداد برامج تدريبية لتنمية مهارات التلاوة ومعالجة الأخطاء النطقية والتجويدية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وتوفير معامل صوتية تحقق للمتعلمين اكتساب الأصوات بطرق متنوعة، كما أوصت بتقديم دورات تدريبية متخصصة لمعلمي اللغة العربية والقرآن الكريم لتنمية مهاراتهم في اكتشاف الأخطاء النطقية لدى المتعلمين وتصحيحها.

● دراسة علي (٢٠٢٣)^(١):

قامت أمل علي (٢٠٢٣) بدراسة بعنوان: "فاعلية تدريبات الأصوات اللغوية في تنمية بعض مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها"، وهدفت فيها إلى التعرف على أثر إستراتيجية تدريبات الأصوات اللغوية في تنمية مهارات اللغة العربية للناطقين

(١) أمل إسماعيل محمد علي، "فاعلية تدريبات الأصوات اللغوية في تنمية بعض مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها"، مجلة القراءة والمعرفة ٢٦٤، (٢٠٢٣م): ٤٩-١٥.

بغيرها، وإبراز أهمية الأصوات اللغوية لحروف الهجاء وأهميتها في عملية القراءة، فضلاً عن تحديد المعوقات التي تواجه معلمي العربية ومتعلميها من الناطقين بغيرها. ولتحقيق هذه الأهداف، استخدمت الدراسة المنهج شبه التجريبي من خلال تطبيق اختبارات قبلية وبعديّة لقياس مدى تحسن الأداء اللغوي واكتساب الأصوات الصحيحة لدى الطلاب. كما استخدمت الدراسة مجموعة من الأدوات البحثية المتنوعة لمعرفة مدى تأثير التدريبات الصوتية على تحسين مهارات اللغة العربية لدى الناطقين بغيرها، واستبانة التقييم الذاتي لقياس مدى رضى المتعلمين عن استخدام الأدوات التعليمية، وتحديد العقبات التي تواجههم عند تعلمهم اللغة العربية، واستبانة أيضاً لجمع آراء المعلمين حول فعالية الأدوات المستخدمة في تحسين مهارات النطق لدى المتعلمين، وتحديد التحديات التي تواجههم عند تطبيق هذه الأدوات. كما أُسْتُخْدِم اختبار تحصيلي شامل لقياس مستوى الأداء اللغوي للمتعلمين في المهارات الأساسية، مثل: القراءة، والتحدث، والاستماع، حيث استند الاختبار على ملاحظات الخبراء وتقييماتهم. ووزعت عينة الدراسة من الطلاب في مجموعتين: مجموعة تجريبية خضعت لتدريبات مكثفة للأصوات اللغوية باستخدام وسائل سمعية وبصرية حديثة، ومجموعة ضابطة تلقت التدريس التقليدي دون الاعتماد على تدريبات الأصوات المكثفة.

أظهرت نتائج الدراسة أن التدريبات الصوتية المقترحة كان لها تأثير إيجابي واضح في الحد من الصعوبات التي يواجهها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها. كما أظهرت نتائج الاستبانات، رضى المعلمين والمتعلمين عن فعالية هذه التدريبات في تحسين الأداء اللغوي. إضافة إلى أن النتائج بينت أن هذه التدريبات الصوتية لها دور كبير في تنمية المهارات اللغوية الأساسية، لا سيما في مجالي القراءة والتحدث، حيث حسّنت من قدرات المتعلمين على نطق الأصوات العربية بدقة أكبر. ونتيجة لذلك،

أوصت الدراسة بأهمية استخدام تدريبات الأصوات اللغوية المقترحة بصورة فاعلة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وضرورة تطبيقها في بيئات تعليمية متنوعة لتحقيق أفضل النتائج.

● دراسة معوزن (٢٠٢١)^(١):

هدفت هذه الدراسة المعنونة بـ: "التحجر الصوتي في لغة متعلم اللغة العربية الناطق باللغة الأمازيغية (القبائلية): عينة من بجاية" إلى معرفة مظاهر التحجر اللغوي الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين باللغة الأمازيغية القبائلية، وتحديد مدى تأثير هذه الظاهرة على اكتساب النطق الصحيح للأصوات العربية. ولتحقيق أهداف الدراسة اعتمدت الدراسة على منهج تحليل الأخطاء، وذلك عن طريق جمع تسجيلات صوتية لعينة مكونة من (٤٠) طالبًا وطالبة من المتعلمين للغة العربية من الناطقين بالأمازيغية في المرحلة الابتدائية في منطقة بجاية.

أظهرت نتائج الدراسة أن الأخطاء الصوتية الشائعة لدى المتعلمين انحصرت في (الاستبدال، والإهمال أو الحذف، والزيادة)، حيث قاموا باستبدال بعض الأصوات العربية بأصوات من لغتهم الأم الأمازيغية، كاستبدال حروف (الباء، والتاء، والهاء)، بـ (الفاء، والتاء، والحاء) على التوالي، وبإهمال بعض الأصوات، كإهمال نطق الحروف المفخمة أو الأصوات الرقيقة، وزيادة بعض الأصوات غير الموجودة في الكلمات الأصلية؛ وذلك نتيجة لتأثرهم بالنظام الصوتي للغتهم الأم. وقد أوصت الدراسة بأهمية تعليم اللغة العربية في بيئة تعليمية واقعية، وعدم الاكتفاء على تعليمها في قاعات الدراسة، وضرورة تطوير إستراتيجيات تعليمية حديثة قادرة على تلبية حاجات

(١) سمير معوزن، "التحجر الصوتي في لغة متعلم اللغة العربية الناطق باللغة الأمازيغية (القبائلية):

عينة من بجاية"، مجلة لغة-كلام ١٠٧. ١ (٢٠٢١م): ٨٦-٩٩.

الدارسين أثناء تعلمهم للغة العربية.

● دراسة رمضان (٢٠٢١)^(١) :

هدفت دراسة رمضان المعنونة بـ: "صعوبات الأصوات العربية للطلاب الأتراك: دراسة تقابلية" إلى معرفة الصعوبات الصوتية التي تواجه الطلاب الأتراك عند تعلمهم اللغة العربية، وتصنيف هذه الصعوبات، واتبعت الدراسة المنهج التقابلي الذي يقارن بين اللغتين التركية والعربية من أجل توضيح الفروق الصوتية بين النظامين، والمنهج الوصفي التحليلي من أجل بناء استبانة لقياس صعوبات النطق لأصوات العربية من وجهة نظر الطلاب الأتراك. وجمعت البيانات من خلال تسجيلات صوتية وملاحظات لـ ١٣٠ طالبًا وطالبة اختبروا عشوائيًا من مستويات دراسية مختلفة في جامعة غيرسون.

توصلت الدراسة إلى أن الأصوات العربية الحلقية والإطباقية، مثل: (ض)، و(ع)، و(ص)، و(خ)، و(غ)، و(ظ)، و(ط)، و(ح) كانت الأكثر صعوبة من وجهة نظر الطلاب، وجاء صوت (ض) في المرتبة الأولى، بنسبة ٥١٪، يليه صوت (ع) بنسبة ٣٢,٣٪، ثم صوت (ص) بنسبة ٢٥٪، في حين جاء صوت (غ) في المرتبة الرابعة بنسبة صعوبة ٢٣٪. وأظهرت الأصوات (خ)، و(ظ)، و(ط)، و(ح) مستويات متقاربة في الصعوبة، تتراوح بين ١٦٪ إلى ٢٢٪. وأكدت الدراسة أن غياب النظائر المباشرة لهذه الأصوات في اللغة التركية هو السبب الرئيس في صعوبتها، حيث لا تميز اللغة التركية بين الأصوات الإطباقية، مثل: (ص)، و(ض)، و(ط)، و(ظ)، وكذلك الأصوات الحلقية مثل: (ح) و(خ)، و(ع)، مما يؤدي إلى صعوبة

(١) هاني إسماعيل رمضان، "صعوبات الأصوات العربية للطلاب الأتراك: دراسة تقابلية"، مجلة تعليم اللغات الأجنبية، (٢٠٢١م).

تميزها ونطقها بصورة صحيحة لدى الطلاب الأتراك. كما أظهرت الدراسة أن الأصوات (ث)، و(ذ)، و(ق) حصلت على نسب أعلى من باقي الأصوات من حيث متوسط الصعوبة، حيث حصل الصوتان (ث) و(ذ) على نسبة ٢٨٪، و(ق) على نسبة ٢٤٪. في المقابل، على الرغم من أن الأصوات الصائتة الطويلة لا توجد في اللغة التركية إلا في الكلمات الدخيلة، إلا أنها لم تمثل صعوبة تذكر؛ إذ يعود ذلك إلى أن الفارق بين الأصوات الطويلة والقصيرة هو فارق في الكم وليس في الكيف، مما يقلل من تعقيدها. أوصت الدراسة بأهمية الإكثار من تدريبات المحاكاة، وتقديم نماذج فصيحة من الكلمات التي تحتوي على الأصوات الصعبة، مع ضرورة توظيف التدريبات الثنائية الصغرى ليدرك الطالب الفارق بين الصوتين المتشابهين، وتقديم نصوص تحتوي على الأصوات الصعبة في تدريبات فهم المسموع.

● دراسة الحمد ومحمد (٢٠٢٠)^(١):

أجرى الحمد ومحمد دراسة بعنوان: "تحليل الأخطاء الصوتية المستندة إلى الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بالإنجليزية"، وهدفت دراستهما إلى معرفة الأخطاء الصوتية الشائعة التي يقع فيها متعلمو اللغة العربية الناطقون بالإنجليزية؛ وذلك من أجل فهم كيفية تأثير الاختلافات بين الأنظمة الصوتية للغتين العربية والإنجليزية على تعلم الطلاب. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحديد الأنماط الشائعة للأخطاء الصوتية، وفهم كيفية تأثير تلك الأخطاء على الأداء الكتابي لدى المتعلمين. ولتحقيق أهداف الدراسة حُلِّل الإنتاج الكتابي المكون من ٢٥٠ صفحة لـ ٦١ طالبًا للغة العربية من الناطقين بالإنجليزية في المستوى ١A وفقًا للإطار

(١) محمد الحمد، ويحيى محمد، "تحليل الأخطاء الصوتية في العربية لدى متعلميها الناطقين بغيرها"، مجلة العلوم اللغوية التطبيقية، العدد الخاص، (٢٠٢٠م).

الأوروبي المرجعي العام للغات (CEFR) في جامعة مانشستر متروبوليتان. أظهرت نتائج الدراسة أن الأصوات التي لا توجد نظائر لها في اللغة الإنجليزية كانت أكثر الأصوات صعوبة لدى الطلاب، ومن هذه الأصوات: صوت (ع) الذي استُبدل بصوت (أ) بنسبة ٢٣,٦٪، أو بصوت (ي) بنسبة ٢٠٪، وصوت (ح) الذي استُبدل بصوت (هـ) بنسبة ٨,٣٪، أو بصوت (خ) بنسبة ٣,٣٪. كما كشفت الدراسة أن الأصوات المفخمة، مثل صوتي (ص) و(ط) كانتا تُستبدلان غالبًا بحروف رقيقة مثل (س) و(ت)، بنسبة بلغت ٢٣,٣٪ و ٢٨,٣٪ على التوالي. وكذلك الأصوات اللهوية، مثل صوت (ك) الذي استُبدل بدلاً من (ق) بنسبة ١٨,٣٪. كما أظهرت الدراسة أن هذه الأخطاء الصوتية تعكس عدم قدرة الطلاب على التفريق بين الأصوات المماثلة في لغتهم الأم وتلك الموجودة في العربية؛ لذلك، أوصت الدراسة بأهمية مراعاة هذه الفروقات عند بناء مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مع ضرورة التركيز على التدريب المكثف لنطق الأصوات العربية بصورة صحيحة من خلال تمارين علمية متكررة.

● دراسة عموري (٢٠١٨)^(١):

أجرت عموري دراسة بعنوان: "صعوبات نطق الأصوات العربية عند متعلمي العربية لغة ثانية: دراسة حالة"، هدفت فيها إلى تحليل الأخطاء الصوتية الشائعة لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها، مع التركيز على الأصوات الحلقية والمفخمة. ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد جُمعت البيانات من خلال ملاحظات مباشرة وتسجيلات صوتية لعينة من المتعلمين

(١) رانية أحمد عموري، "صعوبات نطق الأصوات العربية عند متعلمي العربية كلغة ثانية: دراسة حالة"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ٢، ٥ (٢٠١٨م): ١٢٨-١٤١.

من مستويات مختلفة في جامعة الجوف.

كشفت الدراسة أن الأصوات الحلقية الأصعب على المتعلمين كانت: (خ)، و(غ)، و(ح)، و(ع)، حيث سُجِّلَت نسب عالية من استبدال هذه الأصوات بأصوات مشابهة في لغات المتعلمين الأم. على سبيل المثال، استُبدِل صوت (خ) بصوت (ك)، وصوت (ح) بصوت (هـ)، كما وجدت أخطاء أخرى، شملت حذف الأصوات وتشويهها. بناء على نتائج الدراسة، أوصت الدراسة بأهمية وصف آلية نطق الأصوات العربية بداية وتقديمها في مجموعات حسب المخرج والصفات، ومراعاة الأصوات التي تشترك مع اللغة الأم، مع تقديمها في سياقات صوتية مختلفة قبل البدء بتعليم اللغة.

● دراسة سيف (٢٠١٦)^(١):

هدفت هذه الدراسة الموسومة بـ: "تحليل أخطاء الكلام المتضمنة في المدونة اللغوية لتعليمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في ضوء النظرية التحويلية" إلى تحليل الأخطاء النطقية الشائعة بين متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها. ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة، استخدمت المنهج التحليلي التحويلي، وتكونت عينة الدراسة من (٥٢) ملفاً صوتياً لـ (٢٦) طالباً وطالبة من الناطقين بغير العربية ممن أخذوا برنامج الإعداد اللغوي الذي يمتد على مدار عامين دراسيين في معاهد تعليم اللغة العربية بجامعات (الملك سعود، وأم القرى، والأميرة نورة)، حيث استخدمت المدونة اللغوية كأداة أساسية لجمع البيانات، مع تحليل الأخطاء الصوتية على مستويات متعددة،

(١) نايل يوسف سيف، "تحليل أخطاء الكلام المتضمنة في المدونة اللغوية لتعليمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في ضوء النظرية التحويلية"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد

شملت: الصوتيات، والمفردات، والتراكيب اللغوية.

أظهرت نتائج الدراسة أن الطلاب وقعوا في (٢٩٥) خطأً موزعة على المستويات التحليلية الثلاثة. بالنسبة لأخطاء النطق، احتلت أخطاء الاستبدال المرتبة الأولى، حيث جاءت بنسبة ٩١,٥٪، في حين أن أخطاء الزيادة جاءت في المرتبة الثانية بنسبة ٤,٦٪، أما أخطاء الإهمال أو الحذف فجاءت في المرتبة الثالثة بنسبة ٣,١٪، كما جاءت أخطاء التقديم والتأخير للأصوات في المرتبة الأخيرة بنسبة ٠,٨٪. كما بينت الدراسة أن من أكثر الأخطاء التي سُجّلت كانت استبدال صوت (ح) بصوت (أ)، وإضافة أصوات غير ضرورية، وإهمال المدود الصوتية.

أما فيما يتعلق بأخطاء المفردات، فقد كشفت الدراسة أن أخطاء استخدام كلمات لا تناسب السياق جاءت في المرتبة الأولى بنسبة بلغت ٣٦,٦٪، في حين أن أخطاء استخدام كلمات عامية وأجنبية جاءت بنسبة بلغت ٩٪. وبالنسبة للأخطاء التي في مستوى التراكيب، أظهرت الدراسة أن أبرز الأخطاء كانت في تنكير المضاف إليه وتعريفه، حيث بلغت الأخطاء في تنكيره بنسبة ١٦,٤٪، في حين بلغت الأخطاء في تعريفه بنسبة ١١,٦٪. كما أظهرت الدراسة أخطاء أخرى، كإضافة حرف جر غير صحيح قبل المفعول به بنسبة ١١,٦٪، وإضافة اللام بشكل غير دقيق قبل كلمة "كل" بنسبة ٩,٣٪.

بناءً على النتائج السابقة، أوصت الدراسة بأهمية بناء قوائم تحويلية لأخطاء الكلام في اللغة العربية يمكن معالجتها إلكترونياً، لتسهيل توظيفها في تطوير عمليات تعليم اللغة العربية باستخدام التقنيات الحديثة. كما أوصت بتطوير جداول وصفية لأخطاء الكلام لدى متعلمي اللغة العربية، سواء من الناطقين بها أو الناطقين بغيرها، بهدف دعم برامج التدريب على التواصل الآلي. وأوصت أيضاً بضرورة الإفادة من قوائم القوانين التحويلية للغة العربية المستنبطة من المدونات اللغوية، لاسيما تلك

الخاصة بمتعلمي العربية من خلفيات لغوية مختلفة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة تبين أنه يوجد بعض الاختلاف والاتفاق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة، من أهمها:

- من حيث الأهداف:

هدفت الدراسة الحالية إلى تحليل جميع الأخطاء الصوتية التي يقع فيها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها من خلفيات لغوية متنوعة، بينما معظم الدراسات السابقة ركزت على أهداف أكثر تخصيصاً، كدراسة السعدي ورمضان (٢٠٢٣) التي لم تركز على تحليل الأخطاء، بل تناولت تحسين اكتساب الأصوات اللغوية عن طريق المهام الوظيفية التواصلية لدى غير الناطقين بالعربية، ودراسة الهذلول (٢٠٢٣) التي تناولت تحليل الأخطاء النطقية والتجويدية في تلاوة القرآن الكريم فقط دون غيرها من الأخطاء الصوتية، ودراسة الحمد ومحمد (٢٠٢٠) التي تناولت الأخطاء الصوتية الكتابية، بينما ركزت الدراسة الحالية على الأخطاء الصوتية الشفوية. من جهة أخرى، تناولت دراسة أمل علي (٢٠٢٣) فاعلية تدريبات الأصوات اللغوية في تنمية بعض المهارات اللغوية، بينما اقتصرت دراسة رمضان (٢٠٢١) على تحليل الصعوبات الصوتية التي تواجه الطلاب الأتراك في تعلم اللغة العربية، في حين ركزت دراسة عموري (٢٠١٨) على صعوبات نطق الأصوات الحلقية والمفخمة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

- من حيث المنهج:

اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة معززون (٢٠٢١)، ودراسة الهذلول (٢٠٢٣) في استخدامها لمنهج تحليل الأخطاء، حيث تهتم الدراسة الحالية بجمع وتحليل الأخطاء الصوتية التي يقع في متعلمو اللغة العربية، في حين أنها اختلفت في ذلك مع

بعض الدراسات السابقة، كدراسة السعدي ورمضان (٢٠٢٣)، التي استخدمت المنهج الوصفي، والمنهج التجريبي، ودراسة أمل علي (٢٠٢٣) التي استخدمت المنهج شبه التجريبي، ودراسة سيف (٢٠١٦) التي استخدمت المنهج التحليلي التحويلي، ودراسة رمضان (٢٠٢١) التي اعتمدت على المنهج التقابلي مع المنهج الوصفي التحليلي.

- من حيث العينة:

ركزت بعض الدراسات السابقة على جنسيات لغوية محددة، كدراسة رمضان (٢٠٢١) التي ركزت على عينة من الطلبة الأتراك فقط، ودراسة معززون (٢٠٢١) التي ركزت على متعلمين ناطقين بالأمازيغية، ودراسة الحمد ومحمد (٢٠٢٠) التي ركزت على الطلبة الناطقين باللغة الإنجليزية دون غيرهم، ما يجعل النتائج محصورة ولا يمكن تعميمها، نتيجة لاعتمادها على عينة من خلفيات لغوية محددة. بينما تميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة باعتمادها على عينة متنوعة مكونة من ٦٦ طالباً من خلفيات لغوية متعددة، (٣٨) جنسية مختلفة، مما يعزز الدراسة الحالية ويعطي نتائج وحلول أوسع تراعي تنوع الأخطاء الصوتية التي قد تنشأ من اختلاف الأنظمة الصوتية بين اللغات المختلفة. كما أن دراسة سيف (٢٠١٦) اعتمدت على عينة من الطلاب الذين أنهوا برنامج الإعداد اللغوي في معاهد تعليم اللغة العربية.

- من حيث الأداة:

اتفقت الدراسة الحالية مع معظم الدراسات السابقة، كدراسة الهذلول (٢٠٢٣)، ودراسة السعدي ورمضان (٢٠٢٣)، ودراسة رمضان (٢٠٢١)، ودراسة معززون (٢٠٢١)، ودراسة عموري (٢٠١٨) في استخدامها للتسجيلات الصوتية كأداة أساسية لتحقيق أهداف الدراسة، ومع دراسة الحمد ومحمد (٢٠٢٠)، ودراسة سيف (٢٠١٦) في اعتمادها على كتابات الطلاب، إلا أن الدراسة الحالية تميزت

باعتتمادها على نص مقروء، إضافة إلى التسجيلات الصوتية والكتابية، لتغطي مجموعة واسعة من الأصوات والسياقات اللغوية.

على الرغم من أن الدراسات السابقة قدمت مساهمات قيمة في تحليل الأخطاء الصوتية وفهمها لدى غير الناطقين باللغة العربية، إلا أنه تبرز الحاجة للدراسة الحالية لاستخدامها لمنهج تحليل الأخطاء وتطبيقه على عينة متنوعة من جنسيات مختلفة من غير الناطقين بالعربية، واعتمادها على أكثر من أداة لتحقيق أهداف الدراسة، مما يعطي فهماً أشمل لصعوبات اكتساب الأصوات العربية وتعلمها.

إجراءات الدراسة وأدواتها:

- منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة الحالية منهج كوردنر (١٩٧٤) لتحليل الأخطاء، الذي يتكون من خمس مراحل، وهي: جمع البيانات اللغوية ← تحديد الأخطاء ← تصنيف الأخطاء المحددة ← شرح الأسباب المحتملة للأخطاء ← تقييم الأخطاء^(١). بعد جمع البيانات، حُلِّلت بالصورتين الكمية والنوعية، فحُلِّلت كمياً لمعرفة أنواع الأخطاء الصوتية التي ارتكبها الطلاب، ومعرفة تكرار حدوثها، وذلك باستخدام الجداول وبرنامج اكسل؛ وحُلِّلت نوعياً لغرض تصنيف هذه الأخطاء، والكشف عن الأسباب الرئيسة لوقوعها.

وفي مثل هذه الدراسات التي تختص بتحليل الأخطاء المرحلية التي ينتجها متعلمو اللغات الأجنبية أثناء مرحلة الاكتساب اللغوي والتعلم، لابد من التفريق بين بعض المصطلحات، كمصطلحي (الغلط)، (والخطأ)؛ فالغلط أو زلة اللسان هي

(1) Stephen Pit Corder, "Error Analysis," in *The Edinburgh Course in Applied Linguistics Volume 3: Techniques in Applied Linguistics*, edited by Jack Allen and Stephen Pit Corder, (Oxford: Oxford University Press, 1974), 122-154.

الأخطاء التي تنتج بسبب تردد المتحدث وما شابه ذلك، والناجمة من التعب أو عدم الانتباه؛ في حين أن الخطأ فهو نوع من الأخطاء التي تنتج بسبب ضعف الكفاءة اللغوية لدى الطلاب^(١). ويعرف الخطأ أيضاً بأنه أي استعمال خاطئ للقواعد، سواء بسبب سوء استعمال القواعد الصحيحة، أو بسبب الجهل بشواذ القواعد، ما ينتج عنه الوقوع في أخطاء كالإضافة، أو الإبدال، أو الحذف، أو التقديم والتأخير^(٢). وقد عرف براون (٢٠٠٠) الخطأ، بأنه: انحراف عن القواعد اللغوية التي يستخدمها الناطقون باللغة الأصلية بصورة صحيحة^(٣). ولصعوبة التمييز بين الخطأ والغلط؛ في هذه الدراسة استُخدم الخطأ للإشارة إلى أي انحراف عن قواعد اللغة العربية الفصحى بغض النظر عن سبب الانحراف. ومن أجل تصنيف هذه الأخطاء اعتمدت الدراسة الحالية نظام كوردنر (١٩٧٤) الذي يصنف الأخطاء وفقاً لأربعة أنواع رئيسية، وهي: حذف بعض العناصر المطلوبة، وإضافة بعض العناصر غير الضرورية، والإبدال، والتقديم والتأخير^(٤).

- مجتمع الدراسة:

مجتمع الدراسة يعني جميع الأفراد الذين يمثلون موضوع الدراسة، وهو جميع العناصر التي لها علاقة بمشكلة الدراسة التي يسعى الباحث إلى تعميم نتائج دراسته

(1) Stephen David Krashen, *Second Language Acquisition and Second Language Learning*, (1st ed., Oxford: Pergamon Press, 1981); & Heidi C. Dulay, Marina K. Burt, and Stephen D. Krashen, *Language Two*, (1st ed., New York: Oxford University Press, 1982).

(2) Samuel K. Sahakian, *Analysis of Common Spelling Errors Committed in Written Composition by the Students of the English Department, Faculty of Education*, (Unpublished Master's Thesis, Mansoura University, Cairo, 1978).

(3) Harold Douglas Brown, *Principles of Language Learning and Teaching*, (4th ed., White Plains, NY: Longman, 2000).

(4) Stephen Pit Corder, "Error Analysis," in *The Edinburgh Course in Applied Linguistics Volume 3: Techniques in Applied Linguistics*, edited by Jack Allen and Stephen Pit Corder, (Oxford: Oxford University Press, 1974), 122–154.

عليها^(١). وتكون مجتمع الدراسة هنا من جميع طلبة المستوى الأول بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي (١٤٤٥هـ).

- عينة الدراسة:

يُقصد بها مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة، التي تمثل عناصر المجتمع أفضل تمثيل، بحيث يمكن تعميم نتائجها على المجتمع، مع عمل استدلالات حول معالم المجتمع^(٢). وتكونت العينة هنا من (٦٦) طالبًا من طلبة المستوى الأول، وقد أختيروا قصديًا؛ وذلك لتوافر الإمكانيات، وتدرّس الباحث لهذه الشعبتين، جدول رقم (١) يعرض مجموع عينة الدراسة، وجنسياتهم المختلفة، ونسبهم المئوية.

(١) أحمد سليمان عودة، وفتحي حسن ملكاوي، "أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية"، (ط ١، إريد: مكتبة الكناي، ١٩٩٢م).

(٢) موسى النبهان، "أساسيات الإحصاء في التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية"، (ط ١، العين: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).

تحليل الأخطاء الصوتية لدى غير الناطقين بالعربية: مقارنة منهجية وفق نظرية كوردنر، ماهر بن دخيل الله الصاعدي

جدول رقم (١) التكرارات والنسب المئوية لجنسيات عينة الدراسة

النسبة المئوية	عدد الطلاب	الجنسية	النسبة المئوية	عدد الطلاب	الجنسية
1.52%	1	بولندي	12.12%	8	صيني
1.52%	1	تنزاني	9.09%	6	روسي
1.52%	1	جزر القمر	6.06%	4	فرنسي
1.52%	1	زيمبابوي	6.06%	4	فلبيني
1.52%	1	سنغافوري	4.55%	3	اندونيسي
1.52%	1	سيراليوني	4.55%	3	نيجيري
1.52%	1	صربي	3.03%	2	باكستاني
1.52%	1	غابوني	3.03%	2	بنجلاديشي
1.52%	1	غاني	3.03%	2	تركي
1.52%	1	فيتنامي	3.03%	2	جنوب أفريقي
1.52%	1	كازاخستاني	3.03%	2	غيني بيساو
1.52%	1	كردستاني	3.03%	2	هولندي
1.52%	1	كمبودي	1.52%	1	أثيوبي
1.52%	1	كندي	1.52%	1	أسترالي
1.52%	1	كوري	1.52%	1	ألباني
1.52%	1	ليبيرتي	1.52%	1	ألماني
1.52%	1	مدغشقر	1.52%	1	بنيني

برتغالي	1	1.52%	هندي	1	1.52%
بوسني	1	1.52%	غيني	1	1.52%
المجموع		66	النسبة المئوية الكلية		100%

يعرض جدول رقم (١) توزيع عينة الدراسة بحسب جنسيات الطلاب المختلفة، وقد تكونت عينة الدراسة من (٦٦) طالبًا من (٣٨) جنسية مختلفة. يظهر من الجدول السابق أن النسبة الأكبر من الطلاب كانت من الجنسية الصينية بنسبة ١٢,١٢٪، بواقع (٨ طلاب)، تلتها في المرتبة الثانية الجنسية الروسية بنسبة ٩,٠٩٪، بواقع (٦ طلاب)، تلتها في المرتبة الثالثة الجنسيين الفرنسية، والفلبينية بنسبة ٦,٠٦٪، بواقع (٤ طلاب لكل جنسية منهما)، ثم تلتها في المرتبة الرابعة الجنسيين الاندونيسية، والنيجيرية بنسبة ٤,٥٥٪، بواقع (٣ طلاب لكل جنسية منهما)، ثم تلتها في المرتبة الخامسة الجنسيات التالية: الباكستانية، والبنجلادشية، والتركية، والجنوب أفريقية، والغينية بيساو، والهولندية بنسبة ٣,٠٣٪، بواقع (طالبين لكل جنسية منها). في حين أن الجنسيات المتبقية والمكونة من (٢٦) جنسية جاءت بواقع طالب واحد من كل جنسية، بنسبة بلغت ١,٥٢٪، وهذه الجنسيات تشمل: بولندا، وتنزانيا، وجزر القمر، وزيمبابو، وسنغافورة، وسيراليون، وصربيا، وغابون، وغانا، وفيتنام، وكازاخستان، وكرديستان، وأثيوبيا، وكمبوديا، وأستراليا، وكندا، وألبانيا، وكوريا، وألمانيا، وليبيريا، وبنين، ومدغشقر، والبرتغال، والهند، والبوسنة، وغينيا.

يظهر من خلال هذا التوزيع أن عينة الدراسة تنتمي إلى أسر لغوية مختلفة، ما يظهر تنوعًا كبيرًا في الخلفيات اللغوية للطلاب، إذ إن التنوع الكبير في الخلفيات اللغوية عادة ما يؤدي إلى تنوع في نوعية الأخطاء التي يقع فيها الطلاب، وهذا بدوره ينعكس في نتائج الدراسة، حيث إن الخلفيات اللغوية المختلفة للمتعلمين عادة ما تسبب صعوبات مختلفة لديهم في اكتساب اللغة الثانية وتعلمها.

- أدوات الدراسة:

تكونت أدوات الدراسة من ثلاث أدوات، وهي: نص قرائي مكون من ٢٠٠ كلمة تقريباً من النصوص القرائية من كتاب القراءة المقرر على المستوى الأول بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفقاً لنسخة عام ١٤٤٥ هـ الصادر عن مطابع الجامعة الإسلامية.، ونص موجه مكتوب من قبل الطلاب، إضافة إلى قائمة بكلمات عربية ثلاثية مشتملة على جميع الأصوات العربية من إعداد الباحث، وقد أختيرت لضمان تنوع المواقع الصوتية (مثل: بداية الكلمة، ووسطها، ونهايتها)، مما يساعد في تحديد الأخطاء الصوتية في سياقات مختلفة، وبالتالي توفير فهم شامل لقدرات النطق لدى المتعلمين.

- صدق الأدوات:

صدق الأداة يُقصد به التأكد من قياسها لما صممت لقياسه^(١)، كما أنه يعني شمول الأداة لجميع عناصر التحليل من ناحية، ووضوح مفرداتها وفقراتها من ناحية أخرى^(٢). وللتحقق من صدق أداتي الدراسة الظاهري، قام الباحث بعرض النص القرائي، وقائمة الكلمات بعد الانتهاء منها في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين والمختصين بمجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وعددهم (٦) محكمين، وأخذت ملحوظاتهم حول مناسبتها، وملاءمتها للطلاب، ووضوحها، وحذف وإضافة ما يروونه مناسباً؛ وبناء على ذلك أُجريت التعديلات.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

(١) صالح حمد العساف، "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية"، (ط١)، جدة: مكتبة العبيكان، (٢٠٠٤م).

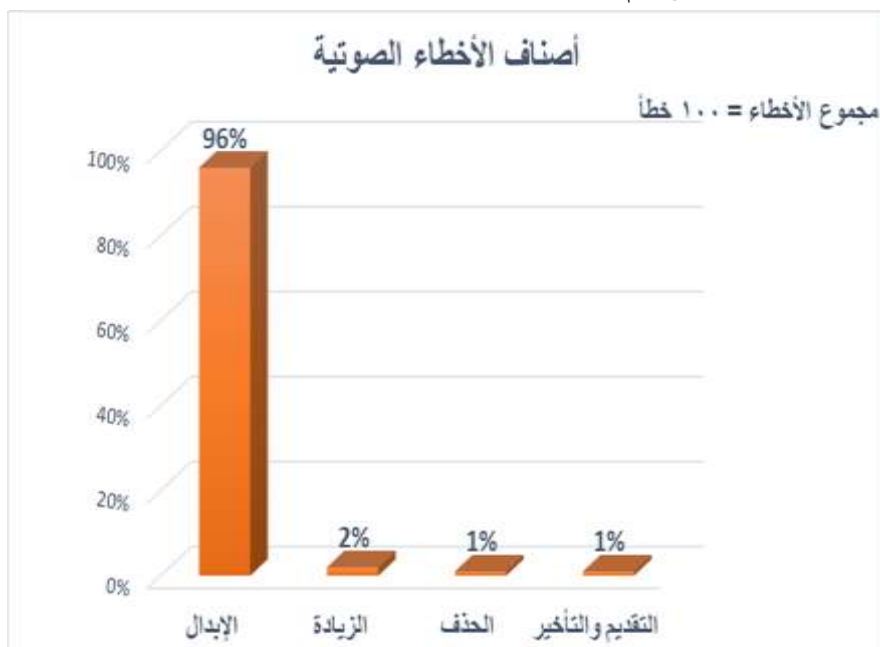
(٢) ذوقان عبيدات، وعبد الرحمن عدس، وكايد عبد الحق، "البحث العلمي: مفهومه، وأدواته، وأساليبه"، (ط١)، عمان: دار الفكر، (٢٠١٣م).

● مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

السؤال الأول: ما هي أبرز الأخطاء الصوتية الشائعة لدى طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

للإجابة عن السؤال الأول، قام الباحث بجمع البيانات المتعلقة بالأخطاء الصوتية التي يقع فيها الطلاب، وتصنيفها، وفقاً لأنواعها، وتكراراتها. الشكل التالي يوضح تصنيف الأخطاء الصوتية ونسبها المئوية، والتي صُنِّفت إلى أربعة أنواع رئيسة، وهي: الإبدال، والحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير.

شكل رقم (١) تصنيف الأخطاء الصوتية، ونسبها المئوية



يبين الشكل رقم (١) تصنيف الأخطاء الصوتية لدى الطلاب، حيث بلغ إجمالي عدد الأخطاء الصوتية لدى الطلاب ١٠٠ خطأ، موزعة على أربع فئات رئيسية، هي: الإبدال، والزيادة، والحذف، والتقديم، والتأخير. احتلت فئة الإبدال المرتبة الأولى، حيث بلغ عدد أخطاء الطلاب بسبب الإبدال (٩٦) خطأً، بنسبة ٩٦٪، تليها في المرتبة الثانية الأخطاء بسبب الزيادة بواقع خطئين فقط بنسبة ٢٪، ثم في المرتبة الثالثة أخطاء الحذف، والتقديم والتأخير بواقع خطأ واحد فقط لكل منهما بنسبة ١٪، وهذا بدوره يوضح أن أخطاء الطلاب الصوتية غالباً ما تكون بسبب التبديل بين الأصوات وليس بسبب حذف أو زيادة صوت، ويعود السبب في ذلك إلى افتقار اللغة الأصلية للطلاب لهذه الأصوات المستبدلة، حيث يلجأ الطلاب بسبب ذلك إلى تعويض الصوت المفقود بصوت آخر مألوف من لغاتهم الأصلية.

وهذا يتماشى مع دراسة الهذلول (٢٠٢٣) التي أكدت أن ٨٠٪ من الطلاب يعانون من أخطاء في إبدال الأصوات غير المألوفة بأصوات مألوفة في لغتهم الأم أثناء التلاوة. يحصل الإبدال عادة عندما يستبدل المتعلم صوتاً عربياً بصوت آخر موجود في لغته الأم أو مشابه له من حيث المخارج أو الصفات، بينما تحدث الزيادة عندما يقوم المتعلم بإضافة أصوات غير ضرورية للكلمة، في حين أن الحذف يحدث عند حذف المتعلم لأصوات مطلوبة، فضلاً عن أن التقديم والتأخير يكون عند قلب أماكن الأصوات مع بعضها.

ولمعرفة أبرز هذه الأخطاء التي وقع فيها الطلاب، حلّل الباحث الأداء الصوتي للطلاب، وصنّفه وفقاً لأنواع الأخطاء وتكرارها، يوضح الجدول رقم (٢) تفصيل هذه الأخطاء الشائعة في فئة الإبدال، وتكراراتها حسب جنسيات الطلاب.

جدول رقم (٢): الأخطاء الصوتية الشائعة في فئة الإبدال لدى الطلاب حسب جنسياتهم

جنسيات الطلاب الذين وقعوا في هذا الخطأ	تكرار الخطأ	توصيف الخطأ	جنسيات الطلاب الذين وقعوا في هذا الخطأ	تكرار الخطأ	توصيف الخطأ
تنزاني، تركي، جنوب أفريقي	5	نطق الثاء شيئاً	كمبودي، هندي، صيني، فيتنامي	5	نطق الثاء شيئاً
باكستاني (لغته الأم البنجابية)، سنغافوري، صيني، روسي، بولندي، فيتنامي، غيني بيساوي	9	نطق الحاء هاء	تركي	2	نطق الحاء خاء
صيني	1	نطق الخاء غيناً	كازاخستاني	1	نطق الخاء جيماً
أثيوبي، غابوني، كازاخستاني، تركي، كمبودي، هندي، نيجيري (لغته الأصل اليوروبا)	9	نطق الذال زائاً	نيجيري (لغته الأصل اليوروبا)، غيني	3	نطق الدال زائاً
صيني	4	نطق اللام راء	صيني	4	نطق الراء لاماً
صيني	4	نطق السين شيئاً	كمبودي، صيني	5	نطق الشين شيئاً
صيني، كوري، روسي (لغته الأم التتارية)	6	نطق الغين خاء	بولندي	1	نطق الصاد شيئاً
صيني، اندونيسي، نيجيري (لغته الأم الهوسا)، جنوب أفريقي، بنجلاديشي، فيتنامي	10	نطق الضاد دالاً	باكستاني - روسي (لغته الأم الشيشانية)	3	نطق الضاد زائاً
باكستاني، نيجيري، سنغافوري، هندي،	8	نطق الظاء زائاً	صيني، ليبيري	2	نطق الطاء تاء

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ١

جنوب أفريقي					
نيجيري	2	نطق الهاء همزة	صيني، فيتنامي، ليبيري، نيجيري (لغته الأم اليوروبا)، ألباني	7	نطق العين همزة
زيمبابوي، روسي (لغته الأم التتارية)	5		نطق القاف كافاً		

يظهر من الجدول رقم (٢) أن طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يواجهون صعوبات في نطق بعض الأصوات العربية بصورة صحيحة، ومن أهم هذه الأصوات التي يواجهون صعوبة كبيرة في اكتسابها الأصوات الحلقية، كصوت (ح)، الذي يخرج من وسط الحلق، ويُعد فريداً في اللغة العربية وغير موجود في العديد من اللغات الأخرى. ويُلاحظ من الجدول السابق أن هذا الصوت من أصعب الأصوات اكتساباً من قبل كثير من الطلاب، حيث استُبدِل بصوت (خ) وهو صوت يخرج من أدنى الحلق من قبل طالب تركي، وبصوت (هـ) من قبل بعض الطلاب الباكستانيين، والسنغافوريين، والصينيين، والروسيين، والبولنديين، والفيتناميين، والغينيين بيساو، وذلك بسبب أن صوت (هـ) صوت أسهل في النطق. كما يُلاحظ من الجدول السابق أن الأصوات الحلقية الأخرى، مثل (خ)، و(ع)، و(غ)، و(هـ) استُبدِلت بأصوات أخرى قريبة. فعلى سبيل المثال، استُبدِل طالب كازاخستاني حرف (خ) بحرف (ج)، في حين استبدله بعض الطلاب الصينيين بصوت (غ)، بينما صوت (غ)، الذي يخرج من أدنى الحلق، فقد استُبدِل بصوت (خ) من قبل بعض الطلاب الصينيين، والكوريين، والروسيين. ويظهر من الجدول السابق أيضاً استبدال صوت (ع)، الذي يخرج من وسط الحلق بصوت (أ) من قبل بعض الطلاب الصينيين، والفيتناميين، والليبيريين، والنيجيريين، والألبانيين، واستبدال صوت (هـ)، الذي يخرج من أقصى الحلق، بصوت (أ) لدى بعض الطلاب

النيجيريين. هذا الاستبدال بدوره يعكس صعوبة اكتساب هذه الأصوات الحلقية وتأثير اختلاف مخارجها.

ويواجه غير الناطقين بالعربية أيضًا صعوبة في اكتساب الأصوات اللسانية، كصوت (ث)، الذي يخرج من حافة اللسان مع أطراف الثنايا العليا. فمن الجدول يمكن ملاحظة ذلك حيث استُبدل هذا الصوت بصوتي (س، ش)، إذ استُبدل بصوت (س) من قبل الطلاب الكمبوديين، والهنديين والصينيين، والفيتناميين، وبصوت (ش) من قبل الطلاب التيزانيين، والأتراك، والجنوب أفريقيين. كذلك صوتي (د، ذ)، حيث استُبدل طالب نيجيري لغته الأم اليوربا، وطالب غيني صوت (د) بصوت (ز)، في حين أن صوت (ذ) استُبدل بصوت (ز) من قبل بعض الطلاب الإثيوبيين، والغابونيين، والكازاخستانيين، والتركين، والكمبوديين، والهنديين، والنيجيريين، ويرجع ذلك لافتقار لغاتهم الأصلية لصوتي (د، ذ)، ما يؤدي إلى استبدالهما بأصوات قريبة في مخارجها. كما يلاحظ من الجدول السابق استبدال صوت (س) بصوت (ش) والعكس، وصوت (ر) بصوت (ل) والعكس من قبل بعض الطلاب الصينيين، وذلك نتيجة للتداخل الصوتي في لغتهم الأصلية بين هذه الأصوات الاحتكاكية.

إلى جانب ذلك، يواجه غير الناطقين بالعربية صعوبة في اكتساب الأصوات المفخمة، فعلى سبيل المثال، من الجدول السابق يمكن ملاحظة أن صوت (ض) وهو من الأصوات المفخمة التي تخرج من إحدى حافتي اللسان مع الأضراس العليا استُبدل بصوتين غير مفخمين، هما صوتي (ز، د)، حيث استُبدل بصوت (ز) من قبل الطلاب الباكستانيين، والروسيين، بينما استُبدل بصوت (د) وهو صوت قريب من حيث المخرج، لكنه يفتقر إلى صفة التفخيم اللازم من قبل الطلاب الصينيين، والنيجيريين (الذين لغاتهم الأصلية هي الهوسا)، والاندونيسيين، والبنجلاديشيين،

والجنوب أفريقيين، والفيتناميين.

كذلك، يلاحظ أن صوت (ظ) استبدله الطلاب النيجيريون، والباكستانيون، والهنديون، والسنغافوريون، والجنوب أفريقيين بصوت (ز)، وأيضاً صوت (ص)، الذي يخرج من حافة اللسان مع أصول الثنايا العليا استبدله الطالب البولندي بصوت (س). بالإضافة إلى ذلك، صوت (ق) الذي يخرج من أقصى اللسان، استبدل بصوت (ك) من قبل بعض الطلاب الزيمبابويين، والروسيين الذي لغتهم الأصلية هي التتارية، وذلك نتيجة لافتقار لغاتهم الأصلية لصوت (ق)، وشيوع حرف (ك) فيها وقربهما مخرجاً. هذه الأخطاء تظهر عدم قدرة غير الناطقين بالعربية على التعامل مع الأصوات المفخمة التي تتطلب تقنيات نطق معقدة، خاصة في غياب هذه الأصوات في لغاتهم الأم.

وقد اتفقت النتائج السابقة مع دراسة الحمد ومحمد (٢٠٢٠) التي أظهرت أن الأصوات الحلقية والمفخمة كانت من بين الأصوات الأكثر صعوبة للمتعلمين، ومع دراسة عبد الحميد (٢٠١٦) التي توصلت إلى أن الأصوات العربية مثل (ط، ص، ض، ظ) تشكل تحدياً كبيراً لغير الناطقين بالعربية بسبب اختلاف مخارج الحروف هذه عن مخارج الحروف المشابهة في لغاتهم الأصلية^(١)، ومع دراسة رمضان (٢٠٢١) التي وجدت أن الأصوات العربية الحلقية والإطباقية كانت من بين الأصوات الأكثر صعوبة لدى الطلاب الأتراك.

(١) عبد الحميد، عبد الغني اكوردي. "تحديات تدريس الأصوات العربية للناطقين بغيرها وطرق علاجها". في أبحاث المؤتمر السنوي العاشر: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعات والمعاهد العالمية، مج ٥ (باريس: معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٦م): ١١-٣٣.

جدول رقم (٣): الأخطاء الصوتية الشائعة في فئات (الزيادة، الحذف، والتقديم والتأخير) لدى الطلاب حسب جنسياتهم

جنسيات الطلاب الذين وقعوا في هذا الخطأ	تكرار الخطأ	توصيف الخطأ
فرنسي	2	زيادة حركة طويلة
نيجيري	1	حذف اللام (لامان متتالية: ملل)
فيتنامي	1	قلب الفاء بدل الحاء (فحص)

من خلال الجدول رقم (٣) يظهر أن غير الناطقين بالعربية قد يواجهون صعوبة في التمييز بين الحركات القصيرة والطويلة، كما حدث مع الطالبين الفرنسيين. وغالبًا ما يرتبط ذلك بمحاولة الطالب التكيف مع نظام صوتي يختلف عن نظام لغته الأم، ففي هذه الحالة، يقوم الطالب بزيادة طول الصوت أو الحركة بسبب عدم توافر أدوات صوتية مشابهة في لغته الأم، أو عدم قدرته على التحكم الدقيق في طول الحركات كما هو مطلوب في اللغة المستهدفة (العربية). حيث أضاف الطالبان الفرنسيان حركات طويلة بين الأصوات، في حين أن الصحيح هو عدم إضافة هذه الحركات الطويلة. وهذه الصعوبة في إضافة بعض الأصوات غير الصحيحة تتماشى مع ما توصلت إليه دراسة معزوز (٢٠٢١) من أن الطلاب الأمازيغ يميلون إلى إضافة أصوات غير موجودة في الكلمات الأصلية بسبب التأثير بلغتهم الأم.

كذلك يظهر من الجدول السابق صعوبة نطق الأصوات المتكررة المتتالية، حيث إنه في مثل هذه الحالات يسعى الطالب إلى تبسيط الكلمة من خلال حذف أحد الأصوات لتسهيل النطق، كما حدث مع الطالب النيجيري عند حذفه أحد اللامين المتتالية في كلمة (ملل)، وذلك بسبب أن النظام الصوتي للغة الطالب الأصلية لا يتضمن تراكيب صوتية متشابهة متتالية. كما يظهر من الجدول السابق أن بعض

الطلاب يخطئون في ترتيب الأصوات في الكلمة وفق ترتيبها الصحيح، كما حدث مع الطالب الفيتنامي الذي أخطأ في نطق كلمة (فحص) بصورة صحيحة.

● مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

السؤال الثاني: ما هي الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى وقوع طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الأخطاء الصوتية؟
للإجابة عن هذا السؤال، اعتمد الباحث على نظرية تحليل الأخطاء التي قدمها كوردر (Corder)، والتي تصنف الأخطاء اللغوية إلى نوعين رئيسين، هما: الأخطاء الناتجة عن التداخل اللغوي (Interlingual Interference) والأخطاء الناتجة عن التداخل داخل اللغة نفسها (Intralingual Interference)، حيث يفسر كل من القسمين الأسباب المختلفة التي تؤدي إلى ارتكاب الطلاب للأخطاء الصوتية عند تعلمهم اللغة العربية.

١. الأخطاء الصوتية الناتجة عن التداخل اللغوي (Interlingual

Interference)

عندما يقوم المتعلم بنقل أنماط صوتية من لغته الأم إلى اللغة المستهدفة (العربية) عادة ما تحدث هذه الأخطاء الصوتية؛ نتيجة للتداخل اللغوي بين اللغتين، لا سيما عندما لا يكون هناك تشابه بين الأنظمة الصوتية للعتين، وهذا بدوره يؤدي إلى صعوبة اكتساب الأصوات غير المألوفة للمتعل الذي تفتقر إليها لغته الأم. ولذا نجد من خلال نتائج الدراسة الحالية صعوبة اكتساب بعض الطلاب لبعض الأصوات العربية؛ نتيجة لافتقار لغاتهم الأصلية لهذه الأصوات العربية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، اللغات (الهندية، والصينية، والكمبودية، والفيتنامية) تفتقر إلى صوت (ث)، ما نتج عنه استبدال هذا الصوت من قبل طلاب هذه الجنسيات بصوت (س) وهو صوت مشابه ومألوف في لغاتهم الأصلية. كذلك نجد اللغات التالية: (الباكستانية البنجابية،

والروسية، والصينية الماندرينية، والبولندية، والفيتنامية، والغينية) تفتقر إلى صوت (ح)، ما نتج عنه استبدال الطلاب الناطقين بهذه اللغات هذا الصوت بصوت (ه)؛ كما نجد أن الطلاب الأثيوبيين، والغابونيين، والكازاخستانيين، والأتراك، والكمبوديين، والنيجيريين استبدلوا صوت (ذ) بصوت (ز)؛ نتيجة لافتقار لغاتهم الأم لصوت (ذ)، ولسهولة نطق صوت (ز) بالنسبة لهم.

وهذا التداخل اللغوي يحدث نتيجة لاختلاف الأنظمة الصوتية بين اللغتين (لغة الطالب الأصلية، واللغة العربية)، حيث إن الطلاب عادة ما يعتمدون على لغاتهم الأصلية عند تعلم لغة جديدة، فيعتمدون على الأنماط الصوتية المألوفة في لغاتهم الأصلية لتعويض الأصوات المفقودة في اللغة المستهدفة. وقد أكدت العديد من الدراسات هذه الفكرة، كدراسة الهذلول (٢٠٢٣) التي توصلت إلى أن ٨٠٪ من الطلاب الناطقين بغير العربية يستبدلون الأصوات العربية أثناء التلاوة بسبب غياب هذه الأصوات في لغاتهم الأصلية، ودراسة رمضان (٢٠٢١) التي أكدت أن غياب النظائر المباشرة لبعض الأصوات العربية في اللغة التركية هو السبب الرئيس في صعوبة اكتساب هذه الأصوات.

إلى جانب افتقار بعض لغات الطلاب الأصلية لبعض الأصوات العربية، نجد أن اختلاف مخارج الحروف أحد الأسباب التي أدت إلى صعوبة اكتساب بعض الأصوات العربية، فعلى سبيل المثال، الطلاب الصينيين يجدون صعوبة في التمييز بين الأصوات التالية (ل، ر)، و(ش، س)؛ نتيجة لاختلاف مخارج هذه الأصوات في اللغة العربية عنها في اللغة الصينية الماندرينية، كما يجد الطلاب الكمبوديين صعوبة في اكتساب صوت (ش)؛ نتيجة لاختلاف مخرجه في لغتهم الأصلية عن مخرجه في اللغة العربية. ومما يتماشى مع ذلك ما توصلت إليه دراسة عبد الحميد (٢٠١٦) التي أظهرت أن بعض الأصوات العربية تشكل تحديًا كبيرًا لدى الطلاب؛ وذلك بسبب

اختلاف مخارج هذه الحروف في لغات الطلاب الأصلية عنها في اللغة العربية.

٢. الأخطاء الصوتية الناتجة عن التداخل داخل اللغة نفسها (Intralingual Interference)

هذا النوع من الأخطاء عادة لا يحدث بسبب تأثير اللغة الأم للطلاب، بل يحدث نتيجة لعدم فهم الطالب للنظام الصوتي للغة المستهدفة بصورة كاملة، واستعماله لإستراتيجيات تعلم غير دقيقة؛ كالتميم الزائد، أو الإفراط في تطبيق القواعد الصوتية. ومن خلال الجدول رقم (٣) نجد مثلاً مثل هذه الأخطاء، كزيادة الطالبين الفرنسيين للحركات الطويلة في حين أن الموضع يتطلب حركات قصيرة، وذلك بسبب عدم فهم الطالبين لكيفية استخدام الحركات في اللغة العربية بصورة كاملة، وكحذف الطالب النيجيري لإحدى اللامين في كلمة مثل "ملل" لتسهيل النطق؛ حيث إن هذا الخطأ يعكس محاولة الطالب لتبسيط التراكيب الصوتية التي يجدها صعبة أو غير مألوفة.

● مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث:

السؤال الثالث: ما هي الحلول الممكنة التي قد تساعد في الحد من انتشار الأخطاء الصوتية بين طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

للإجابة عن هذا السؤال، يمكن الاستناد إلى نتائج الدراسة الحالية وتوصيات الدراسات ذات الصلة لاقتراح بعض الحلول العلمية المناسبة لتحسين اكتساب الأصوات العربية، والحد من الوقوع في هذه الأخطاء الصوتية. وفقاً لنتائج الدراسة الحالية، يلاحظ أن معظم الأخطاء الصوتية لدى الطلاب كانت من فئة الإبدال، حيث بلغت ٩٦٪ مقارنة بالأخطاء الأخرى. وهذا بدوره يشير إلى ضرورة تطوير إستراتيجيات تعليمية تساهم في مساعدة الطلاب على اكتساب الأصوات العربية

بصورة فعالة، والحد من هذه الأخطاء. من هذه الإستراتيجيات التعليمية التي من الممكن تبنيها مع الطلاب لمساعدتهم على تمييز الأصوات العربية واكتسابها بصورة فعالة ما أشارت إليه كل من دراسة رمضان (٢٠٢١)، ودراسة الحمد ومحمد (٢٠٢٠) إستراتيجية تعزيز التدريب الصوتي المنتظم، حيث من خلال هذه الإستراتيجية يمكن تحديد الأصوات الصعبة التي أخطأ فيها الطلاب، ومن ثم إعداد تدريبات مركزة لهذه الأصوات تعتمد على المحاكاة والتكرار الموجه، مع تقديم نماذج فصيحة لكلمات تتضمن الأصوات الصعبة. كما ينبغي تقديم تدريبات تفاعلية تعتمد على الثنائية الصغرى وإدراك الفروق الدقيقة بين الأصوات المتشابهة، مع تقديم هذه الأصوات في سياقات صوتية متنوعة؛ إذ إن ذلك عادة ما ينمي القدرة على التعرف على الأصوات والتمييز بينها واكتسابها بصورة صحيحة^(١).

إضافة إلى ذلك، وصف آلية نطق الأصوات العربية للمتعلمين، وترتيبها في مجموعات حسب مخارجها وصفاتها، مع مقارنة الأصوات التي تشترك وتختلف مع لغات المتعلمين الأم عادة ما يسهم في بناء معرفة لغوية متكاملة عن الأصوات لدى المتعلم، وهذا بدوره يساعد المتعلم في التمييز بين الأصوات واكتسابها بصورة أكثر فعالية^(٢). فضلاً عن أن تقنيات الذكاء الاصطناعي، ومعالجة اللغة الطبيعية (NLP)، كتطبيقات: Duolingo، و Rosetta Stone، وترجمة جوجل عادة ما تتيح للطلاب فرصة مناسبة لممارسة الأصوات والتدريب على نطقها واكتسابها من خلال محاكاة النطق الصحيح لها، ومقارنته بنطقهم، حيث إن هذه التطبيقات تقدم دورات

(١) محمد الحمد، ويحيى محمد، "تحليل الأخطاء الصوتية في العربية لدى متعلميها الناطقين بغيرها"، مجلة العلوم اللغوية التطبيقية، العدد الخاص، (٢٠٢٠م).

(٢) رانية أحمد عموري، "صعوبات نطق الأصوات العربية عند متعلمي العربية كلغة ثانية: دراسة حالة"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب 2، no. ٥ (٢٠١٨م): ١٢٨-١٤١.

وتدريبات تفاعلية متكاملة ثقافيًا في سياقات حياتية واقعية وفقًا لميول الطالب واحتياجاته، وهذا بدوره عادة ما يسهم في تعزيز المهارات اللغوية والنطق الصحيح لدى الطالب، إضافة إلى تقديمها التغذية الراجعة الفورية، ما يجعل عملية التعلم أكثر تفاعلية وشمولية، مما يسهم في تحسين الكفاءة اللغوية والكفاءة الثقافية التواصلية^(١). كما أن توظيف تقنيات الواقع المعزز (AR) والواقع الافتراضي (VR) عادة ما تمكن المتعلمين من ممارسة اللغة ضمن سياقات حقيقية وواقعية، ما يساعد المتعلمين في اكتساب الأصوات العربية ونطقها بشكل صحيح^(٢).

أخيرًا، تشير نتائج الدراسة الحالية إلى أن المعلم له دور كبير في عملية تعليم الأصوات العربية وتصحيح الأخطاء الصوتية، خاصة من خلال تقديم التغذية الراجعة المستمرة والدقيقة؛ ولذا ينبغي تقديم دورات تدريبية للمعلمين لتنمية قدراتهم على التعامل مع الأخطاء الصوتية وتصحيحها مع تقديم التغذية الراجعة التي من شأنها مساعدة الطلاب على تحسين أدائهم الصوتي والتغلب على الصعوبات التي تواجههم عند تعلمهم للأصوات العربية^(٣).

(1) Abdelhakim Kassimi and Soumia Essayad, "Bilingualism Study: A Comparative Analysis of Language Acquisition and Usage," *Journal of Language Studies and Linguistics* 15, no. 3 (2023): 45–68; and Khurram B. Asim, "Enhancing Second Language Acquisition through Artificial Intelligence (AI): Current Insights and Future Directions," *Journal of Research Scholars and Professional English Language Teachers* (2023): 1–8.

(2) Yuxiang Wang, Yawen Cheng, Yuan-Fang Yang, Zhengkai Yang, and Nian-Shing Chen, "Designing an Authoring System of Robots and IoT-Based Toys for EFL Teaching and Learning," *Computer Assisted Language Learning* 33, no. 5 (2020): 567–591.

(٣) علي بن هذلول علي الهذلول، "أخطاء التلاوة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ٨، (٢٠٢٣م): ٦٠١–٦٥٠.

ملخص النتائج:

- توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:
 - أن النسبة الأكبر في أخطاء الطلاب الصوتية كانت في فئة الإبدال حيث بلغت ٩٦ خطأ، بنسبة ٩٦٪، تليها في المرتبة الثانية الأخطاء بسبب الزيادة بواقع خطأين فقط، بنسبة ٢٪، ثم في المرتبة الثالثة أخطاء الحذف، والتقديم والتأخير بواقع خطأ واحد فقط لكل منهما.
 - أن أكثر الأصوات صعوبة لدى غير الناطقين بالعربية هي الأصوات الحلقية، والأصوات الاحتكاكية، والأصوات التي تتصف بصفة التفخيم.
 - أن الأصوات التي واجه الطلاب غير الناطقين بالعربية صعوبة في نطقها هي: (ث، ح، د، ذ، خ، ر، ل، ش، س، ص، غ، ض، ظ، ط، ع، أ، ق).
 - أن وقوع الطلاب غير الناطقين بالعربية في هذه الأخطاء الصوتية كان لسببين رئيسيين، هما: التداخل اللغوي بين اللغة العربية وبين لغة الطالب الأم، والتداخل داخل اللغة العربية نفسها، ومن أهم التداخل اللغوي بين اللغتين افتقار لغة الطالب الأم لهذه الأصوات، واختلاف مخارج الأصوات بين اللغة العربية ولغة الطالب الأم، أما التداخل داخل اللغة العربية فكان من أهمها: عدم فهم الطالب للنظام الصوتي للغة العربية بصورة كاملة، واستعماله لإستراتيجيات تعلم غير دقيقة؛ كالتعميم الزائد، أو الإفراط في تطبيق القواعد الصوتية.

التوصيات:

توصي الدراسة الحالية بمجموعة من التوصيات التي من شأنها تنمية القدرة على اكتساب الأصوات العربية والحد من الوقوع في الأخطاء الصوتية، من أهمها: استخدام إستراتيجية التدريب الصوتي المنتظم، وتدريبات المحاكاة والتكرار الموجه،

وتقديم تدريبات تفاعلية تعتمد على الثنائية الصغرى وإدراك الفروق الدقيقة بين الأصوات المتشابهة، وترتيب الأصوات العربية حسب مخارجها وصفاتها، ووصف آلية نطقها للمتعلمين، فضلا عن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، ومعالجة اللغة الطبيعية (NLP)، وتقنيات الواقع الافتراضي (VR) والواقع المعزز (AR)، وكذلك تدريب المعلمين على تعليم الأصوات والتعامل مع أخطاء المتعلمين الصوتية وتقديم التغذية الراجعة.

المراجع:

المراجع العربية:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. "سر صناعة الإعراب". (الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).
- بشر، كمال. "علم الأصوات". (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م).
- البطري، حميد، وبوشقفي، عبد الرحمن. "إستراتيجيات تيسير تعليم وتعلم الأصوات العربية للناطقين بغيرها - المستوى التمهيدي أنموذجاً". المؤتمر الدولي الافتراضي: مقررات اللغة العربية في التعليم الجامعي، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، العدد الخاص الأول، (نوفمبر ٢٠٢٠م).
- رمضان، هاني إسماعيل. "صعوبات الأصوات العربية للطلاب الأتراك: دراسة تقابلية". مجلة تعليم اللغات الأجنبية، (٢٠٢١م).
- السعدي، عبد القادر عبد الرحمن أسعد، ورمضان، محمد عبد الحليم حمزة. "اكتساب الناطقين بغير اللغة العربية الأصوات اللغوية وظيفياً: دراسة ميدانية". مجلة جامعة الوصل، ٦٧، (٢٠٢٣م): ٧٥-١٠٢. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1434171>.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م).
- سيف، نايل يوسف. "تحليل أخطاء الكلام المتضمنة في المدونة اللغوية لمتعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في ضوء النظرية التحويلية". مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٧٠، الجزء ٣، (٢٠١٦م): ٤١٧-٤٦٤.
- صيني، محمود إسماعيل، والأمين، إسحاق محمد. "التقابل اللغوي وتحليل الخطاب".

(الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م).

عبد الحميد، عبد الغني أكوريدي. "تحديات تدريس الأصوات العربية للناطقين بغيرها وطرق علاجها." في أبحاث المؤتمر السنوي العاشر: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعات والمعاهد العالمية، مج ٥ (باريس: معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية ومركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٦): ١١-٣٣. مسترجع من

<http://search.mandumah.com/Record/917331>.

عبيدات، ذوقان، وعدس، عبد الرحمن، وعبد الحق، كايد. "البحث العلمي: مفهومه، وأدواته، وأساليبه." (عمان: دار الفكر، ٢٠١٣م).
العساف، صالح حمد. "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية." (جدة: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٤م).

علي، أمل إسماعيل محمد. "فاعلية تدريبات الأصوات اللغوية في تنمية بعض مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها." مجلة القراءة والمعرفة، ٢٦٤، (٢٠٢٣م): ١٥-٤٩. مسترجع من

<http://search.mandumah.com/Record/1418532>.

عموري، رانية أحمد. "صعوبات نطق الأصوات العربية عند متعلمي العربية كلغة ثانية: دراسة حالة." العملة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ٢(٥)، (٢٠١٨م): ١٢٨-١٤١.

عودة، أحمد سليمان، وملكوي، فتحي حسن. "أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية." (إربد: مكتبة الكناني، ١٩٩٢م).
مجمع اللغة العربية. "المعجم الوسيط." (الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م).

معزوزن، سمير. "التحجر الصوتي في لغة متعلم اللغة العربية الناطق باللغة الأمازيغية

"القبائلية": عينة من بجاية". مجلة لغة-كلام، ٧(١)، (٢٠٢١م): ٨٦-٩٩.
النبهان، موسى. "أساسيات الإحصاء في التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية".
(العين: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).

الهدلول، علي بن هدلول علي. "أخطاء التلاوة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين
بلغات أخرى". مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ٨، (٢٠٢٣م):

٦٠١-٦٥٠. مسترجع من

<http://search.mandumah.com/Record/1400797>.

Bibliography

- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Uthman. "Sir Sina'at Al-I'rab." (1st Edition. Damascus: Dar Al-Qalam, 1985).
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Uthman. "Al-Khasa'is." Investigated by Muhammad Ali Al-Najjar. (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1993).
- Bishr, Kamal. "'Ilm al-Aṣwāt". (Cairo: Dar Gharib, 2000).
- Al-Batri, Hamid, and Bouchaqfa, Abdulrahman. "Strategies of Facilitating Teaching and Learning of Arabic Sounds for Non-Native Speakers – Preparatory Level as a case study" (in Arabic). *International Virtual Conference: Curricula of Arabic Language in University Education, Al-Miyadin Journal for Humanities Studies (Special Issue 1)*, November 2020.
- Ramadan, Hani Ismail. "Difficulties of Arabic Sounds for Turkish Students: A Comparative Study"(in Arabic). *Journal of Teaching Foreign Languages*, 2021.
- Al-Sa'adi, Abdulqadir Abd al-Rahman Asad, and Ramadan, Muhammad Abdulhalim Hamza. "The Acquisition of Linguistic Phonemes by Non-Native Arabic Speakers: A Field Study" (in Arabic). *Journal of Al-Wasul University* 67 (2023): 75–102. Accessed from <http://search.mandumah.com/Record/1434171>.
- Sibawaih, Amr ibn Uthman. "Al-Kitāb." Investigated by Abdul Salam Muhammad Harun. (Cairo: General Egyptian Book Organization, 1988).
- Saif, Nayel Yusuf. "Speech Errors Analysis in the Corpus of Arabic Learners as Non-Native Speakers in Light of the Transformational Theory" (in Arabic). *Journal of the Faculty of Education, Al-Azhar University*, Issue 170, Part 3 (2016): 417–464.
- Sini, Mahmoud Ismail, and Al-Amin, Ishaq Muhammad. "Linguistic Contrast and Discourse Analysis" (in Arabic). (Riyadh: King Saud University, 1982).
- Abdelhamid, Abdelghani Akouridi. "Challenges in Teaching Arabic Phonetics to Non-Native Speakers and Ways to Address Them" (in Arabic). In *Proceedings of the 10th Annual Conference: Teaching Arabic to Non-Native Speakers in Global Universities and Institutes*, Vol. 5 (Paris: Ibn Sina Institute for Humanities and King Abdullah Bin Abdulaziz International Center for Arabic Language, 2016): 11-33. Retrieved from

<http://search.mandumah.com/Record/917331>.

Ubaidat, Dhouqan, Addas, Abdulrahman, and Abdulhaq, Kaid. "Scientific Research: Its Concept, Tools, and Methods" (in Arabic). (Amman: Dar Al-Fikr, 2013).

Al-Assaf, Saleh Hamad. "Introduction to Research in Behavioral Sciences" (in Arabic). (Jeddah: Obeikan Bookstore, 2004).

Ali, Amal Ismail Muhammad. "The Effectiveness of Phonological Training in Developing Some Arabic Language Skills for Non-Native Speakers" (in Arabic). *Journal of Reading and Knowledge* 264 (2023): 15–49. Accessed from <http://search.mandumah.com/Record/1418532>.

Amouri, Rania Ahmed. "The Difficulties of Pronouncing Arabic Sounds Among Learners of Arabic as a Second Language: A Case Study" (in Arabic). *Al-'Umda in Linguistics and Discourse Analysis* 2, issue. 5 (2018): 128–141.

Uda, Ahmad Suleiman, and Malkawi, Fathi Hassan. "Basics of Scientific Research in Education and Humanities" (in Arabic). (Irbid: Al-Kanani Bookstore, 1992).

Academy of Arabic Language. "Al-Mu'jam Al-Wasit". (4th Edition. Cairo: International Shorouk Bookstore, 2004).

Ma'zouzoun, Samir. "Phonetic Fossilization in the Language of Arabic Learners Whose Mother Tongue is Amazigh (Kabyle): A Sample from Bejaia" (in Arabic). *Lughah-Kalam Journal* 7, issue. 1 (2021): 86–99.

Al-Nabhani, Mousa. "Basics of Statistics in Education and Human and Social Sciences" (in Arabic). (Al Ain: Al-Falah Library for Publishing and Distribution, 2001).

Al-Hadhloul, Ali bin Hadhloul Ali. "Reading Errors Among Learners of Arabic as a Foreign Language" (in Arabic). *Islamic University Journal for Arabic Language and Literature* 8 (2023): 601–650. Accessed from <http://search.mandumah.com/Record/1400797>.

Foreign References

Al-Balushi, A. "Phonetic Challenges in Learning Arabic for Non-Native Speakers." *Journal of Language and Linguistics* 10, no. 2 (2021): 78–95.

Al-Hamad, M., and Mohamed, Y. A. "An Orthographic Phonological-Based Error Analysis of the Arabic of English-Speaking Learners." *Papers: Arabic for Non-Native Speakers Center, Qatar University; Arabic Program, Georgetown University*

- Qatar, February 24, 2020.
- Al-Mousawi, A. "Challenges in Teaching Arabic Phonetics to Non-Native Speakers." *Journal of Arabic Linguistics and Education* 5, no. 1 (2018): 45–60.
- Asim, K. B. "Enhancing Second Language Acquisition through Artificial Intelligence (AI): Current Insights and Future Directions." *Journal of Research Scholars and Professional English Language Teachers* (2023): 1–8.
- Brown, H. D. *Principles of Language Learning and Teaching*. White Plains, NY: Longman, 2000.
- Carroll, J. B. *The Psychology of Language Testing*. Oxford: Pergamon Press, 1968.
- Corder, S. P. "The Significance of Learners' Errors." *International Review of Applied Linguistics* 5, no. 4 (1967): 161–170.
- Corder, S. P. "Error Analysis." In *The Edinburgh Course in Applied Linguistics Volume 3: Techniques in Applied Linguistics*, Investigated by J. Allen and S. Corder, 122–154. Oxford: Oxford University Press, 1974.
- Dulay, H. C., Burt, M. K., and Krashen, S. D. *Language Two*. New York: Oxford University Press, 1982.
- Ellis, R. *The Study of Second Language Acquisition*. Oxford: Oxford University Press, 2008.
- Gardner, R. C., and Lambert, W. E. *Attitudes and Motivation in Second Language Learning*. Newbury House Publishers, 1972.
- Gass, S. M., and Selinker, L. *Second Language Acquisition: An Introductory Course*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1994.
- Heydari, P., and Bagheri, M. S. "Error Analysis: Sources of L2 Learners' Errors." *Theory and Practice in Language Studies* 2, no. 8 (2012): 1583–1589. <https://doi.org/10.4303/tpls.2.8.1583-1589>.
- Kassimi, A., and Essayad, S. "Bilingualism Study: A Comparative Analysis of Language Acquisition and Usage." *Journal of Language Studies and Linguistics* 15, no. 3 (2023): 45–68.
- Krashen, S. D. *Principles and Practice in Second Language Acquisition*. Pergamon Press, 1982.
- Krogan, K. "The Role of Culture in Language Learning: A Case Study of a Second Language Classroom." *Journal of Language and Cultural Education* 1, no. 1 (2013): 45–54.

- Lado, R. *Linguistics Across Cultures: Applied Linguistics for Language Teachers*. University of Michigan Press, 1957.
- Lott, D. "Analysing and Counteracting Interference Errors." *ELT Journal* 37, no. 3 (1983): 256–261.
- Riek, M., et al. "The Effectiveness of Communicative Language Teaching Methods in Second Language Acquisition: A Case Study." *Language Learning Journal* 26, no. 2 (2002): 45–56.
- Sahakian, S. K. *Analysis of Common Spelling Errors Committed in Written Composition by the Students of the English Department, Faculty of Education*. Unpublished thesis, Mansoura University, Cairo, 1978.
- Wang, Y., Cheng, Y. W., Yang, Y. F., Yang, Z. K., and Chen, N. S. "Designing an Authoring System of Robots and IoT-Based Toys for EFL Teaching and Learning." *Computer Assisted Language Learning* 33, no. 5 (2020): 567–591. <https://doi.org/10.1080/09588221.2020.1799823>.
- Wilkins, D. A. *Linguistics in Language Teaching*. London: Edward Arnold, 1972.





The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature



Issue : 16

Apr - Jun 2025

part 1



مجلة الجامعة الإسلامية لغة العربيّة وآدابها

مجلة علميّة دُوريّة مُحكمة



الجزء 2

العدد : 16

أبريل - يونيو 2025م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع
في مكتبة الملك فهد الوطنية
النسخة الورقية :

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٧٦-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية :

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٨٤-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدى

(رئيس هيئة التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضى

(مدير التحرير)

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك

بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن ظافر الحازمي

أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان البتيمي

أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان

أستاذ اللغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان - بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة - مصر

أ.د. سعيد العوادي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض - المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك

(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش

أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية

المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية

بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستقلاً من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالميّة - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	موقف أبي البركات الأنباري من الأعراب التي حكم عليها بفساد للمعنى في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن دراسة وتقويم	٩
(٢)	د. أحمد بن محمد يحيى الفقيه الزهراني أنماط الإحالة الإشارية ودلالاتها عند الجاحظ في كتابه "البرصان والعرجان والعميان والحولان" - دراسة نحوية دلالية	٧٥
(٣)	د. سامية بنت معمر بن يحيى عسيري الأبعاد التداولية عند ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في تفسيره للوسع الطوال - دراسة في ضوء نظرية التلقي	١٢٧
(٤)	د. طلال بن خلف الحساني خلاصة الزبدة وزبدة العمدة، تأليف الإمام مهذب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري - دراسة وتحقيقا	١٩١
(٥)	د. سامي بن صالح يحيى الغامدي المعايير المنهجية عند مُحَمَّد شَاكِر في قراءة النصوص الشعرية في ضوء تعدد روايتها	٢٥١
(٦)	د. حمد بن عبدالله بن سعد العوفي بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي	٣١٣
	د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزى	

م	البحث	الصفحة
(٧)	الكناية التصويرية - مقارنة عرفانية د. النوراني عبد الكريم كبور جبير	٣٧١
(٨)	الخطاب الرمزي في مجموعة معارج البوح للقاص صالح أحمد السهمي - قراءة فنية تحليلية د. إبراهيم بن عامر بن محمد عسيري	٤٠٩
(٩)	تجليات السير ذاتي وهوية النص في رواية مفارق العتمة لمحمد المزني - دراسة وصفية تحليلية د. سامية مسفر فالح الهاجري	٤٥٧
(١٠)	أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة د. فهد بن فريح الرشيد	٥١٤
(١١)	استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية من وجهة نظر طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية د. تركي عبدالعزيز عبدالله الملحم	٥٥٣
(١٢)	فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات الطلاب المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير العربية د. عبد الرحمن بن عبد الله مقبل القرني	٦٣٥

موقف أبي البركات الأنباري من الأعراب التي حكم
عليها بفساد للمعنى في كتابه
(البيان في غريب إعراب القرآن)
"دراسة وتقويم"

Abū al-Barakāt al-Anbārī's Critical Evaluation
of Grammatical Analyses He Deemed to
Involve Semantic Distortion in His Work Al-
Bayān fī Gharīb I'arāb al-Qur'ān.
A Study and Evaluation

د. أحمد بن محمد بن يحيى الفقيه الزهراني

أستاذ النحو والصرف المشارك في جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: amyahya@bu.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving		استلام البحث A Research Receiving
2025/04/13		2025/01/22
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-013		

المستخلص

يدرس هذا البحث موقف أبي البركات الأنباري من الأعراب التي حكم عليها بفساد المعنى في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن؛ وذلك للوقوف على أثر هذا الفساد في توجيه إعراب المفردات والجملة وشبه الجملة، ومعرفة آراء النحاة وغيرهم فيه، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وينقسم البحث إلى مبحثين: مبحث متعلق بموقفه من فساد المعنى في إعراب المفردات، ومبحث متعلق بموقفه من فساد المعنى في إعراب الجمل وأشباه الجمل. وانتهى البحث إلى نتائج منها: حرص أبي البركات الأنباري على بيان فساد المعنى في التوجيه الإعرابي، وتأثره الضمني بالعلماء السابقين، وأنّ علل فساد المعنى عنده هي: مخالفة المعنى للسياق، واستحالة عقلا، وإيهامه والتباسه بغيره، ومخالفته للعقيدة. **الكلمات المفتاحية:** فساد - المعنى - الأنباري - البيان - إعراب - القرآن.

Abstract

This research examines the stance of Abu al-Barakat al-Anbari regarding the grammatical interpretations (i'rāb) he deemed to result in a semantic distortion of meaning, as presented in his book *Al-Bayān fī Gharīb I'rāb al-Qur'ān*. This is in order to examine the impact of such semantic distortion on the interpretation of the syntax of individual words, sentences, and prepositional phrases, as well as to explore the views of grammarians and other scholars on the matter. In conducting this study, the researcher adopted the descriptive-analytical method.

The research is divided into two sections: one focused on his stance regarding semantic distortion in the syntax of individual words, and the other on his stance concerning semantic distortion in the syntax of sentences and semi-sentences. The research concluded with several findings, including: Abu al-Barakat al-Anbari's keen concern for identifying cases of semantic distortion resulting from certain grammatical interpretations; his implicit influence by earlier scholars; and that the reasons he identified for the corruption of meaning include: contradiction of the contextual meaning, logical impossibility, ambiguity or confusion with other meanings, and contradiction of Islamic creed.

Keywords: Distortion – Meaning – Al-Anbari – Al-Bayān – Syntax parsing – Qur'an.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، ومن أعظم الأشياء المعينة على تدبر كتاب الله الكريم حق تدبره فهم معناه الفهم الصحيح لا الفاسد، ومن ذلك اجتناب النحويين المعاني الفاسدة في التوجيهات الإعرابية لآيات القرآن الكريم ومنهم أبو البركات الأنباري.

مشكلة البحث:

حرص أبو البركات الأنباري في كتابه (البيان في غريب إعراب القرآن) على مراعاة صحة المعنى واستقامته في التوجيه الإعرابي، وردّ أيّ توجيه إعرابي يفضي إلى فساد المعنى وعدم استقامته، ولكنّ هذا الردّ لأجل فساد المعنى لا يُعد من الأمور المسلمة عند أهل العلم؛ فهو بحاجة إلى دراسة وتقييم. ومن هنا نشأت فكرة موضوع هذا البحث: "موقف أبي البركات الأنباري من الأعراب التي حكم عليها بفساد المعنى في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن. دراسة وتقييم".

أسئلة البحث:

- ١- ما المراد بفساد المعنى؟
- ٢- ما أثر فساد المعنى في إعراب المفردات والجملة وشبهها عند أبي البركات الأنباري في كتابه (البيان في غريب إعراب القرآن)؟
- ٣- ما علل فساد المعنى في الإعراب عند أبي البركات الأنباري في كتابه (البيان في غريب إعراب القرآن)؟

٤- ما موقف النحاة وغيرهم من مسائل فساد المعنى في إعراب المفردات والجملة وشبهها عند أبي البركات الأنباري؟

أهمية البحث:

- ١- أنه متعلّق بأفصح كلام وأقدس وهو القرآن الكريم.
- ٢- أنه يبرز مكانة المعنى عند النحاة في التوجيه الإعرابي ولا سيما عند أبي البركات الأنباري.

أسباب اختيار البحث:

- ١- أنّ هذا الموضوع لم يفرد بالبحث والدراسة فيما وقف عليه الباحث.
- ٢- الرغبة في إظهار جهود أبي البركات الأنباري المتعلقة بدراسة فساد المعنى في التوجيه الإعرابي.

أهداف البحث:

- ١- تحديد المراد بفساد المعنى.
- ٢- الكشف عن أثر فساد المعنى في إعراب المفردات والجملة وشبهها عند أبي البركات الأنباري في كتابه (البيان في غريب إعراب القرآن).
- ٣- استنباط علل فساد المعنى في الإعراب لدى أبي البركات الأنباري.
- ٤- معرفة موقف النحاة وغيرهم من مسائل فساد المعنى في إعراب المفردات، والجملة وشبهها عند أبي البركات الأنباري.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث -فيما يعلم- على دراسة عنيت بإبراز هذا الموضوع عند أبي البركات الأنباري في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن على وجه الخصوص، وما وقف عليه الباحث من الدراسات السابقة ليس لها علاقة بأبي البركات الأنباري وكتابه، ومن هذه الدراسات:

١. (فساد المعنى وأثره في توجيه الإعراب)، للدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، مجلة كلية الآداب، العدد الثلاثون، جامعة الموصل، ١٩٩٧م.
٢. (أثر فساد المعنى في التوجيه النحوي في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري رحمه الله)، مريم عابد الهذلي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ٢٠١٠م.
٣. (توجيه الإعراب وأثره في فساد المعنى: الحروف نموذجاً)، رباب إبراهيم عبد الفضيل، مجلة كلية اللغة العربية، العدد (٣٧)، الجزء (٢)، جامعة الأزهر، المنصورة، ٢٠١٩م.
٤. (دواعي الحكم بفساد المعنى في رد الوجه الإعرابي: دراسة نحوية في الدر المصون للسمين الحلبي)، د. عبد الحميد سيف النصر عبد الحميد، مجلة كلية اللغة العربية، العدد (٣٨)، الجزء (٣)، أسيوط، ٢٠١٩م.
٥. (الاحتراز من فساد المعنى وأثره في الضوابط والإجراءات النحوية)، د. أحمد جمال الدين، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد (٢٠)، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠١٩م.
٦. (فساد المعنى وأثره في توجيهات ابن فلاح من خلال شرحه على الكافية)، د. خالد عمر الدسوقي، مجلة كلية اللغة العربية، العدد (٤١) جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٢٢م.
٧. (ما ردّه ابن عطية من الإعراب لفساده معنًى. عرض ومناقشة)، د. عبد الله ماجد مهنا، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد (٢٧)، العدد (٢)، الرياض، ٢٠٢٤م.

منهج البحث:

اعتمد البحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بوصف الظاهرة -موضوع الدراسة- ومحاولة تفسيرها وتحليلها، ثم استخلاص النتائج متبّعاً في

ذلك الخطوات الآتية:

١. أبدأ بوضع عنوان للمسألة المراد دراستها.
٢. أذكر الآية القرآنية التي حكم عليها أبو البركات الأنباري بفساد معنى الإعراب فيها.
٣. أذكر رأي أبي البركات الأنباري وتوجيهه الإعرابي للكلمة المرادة.
٤. أذكر آراء العلماء في إعراب الآية وأناقشها وأحللها.
٥. أختتم المسألة بما أراه راجحاً فيها.

حدود البحث:

حدود زمنية: النحلة القدامى إلى الأساتذة المحدثين.
حدود موضوعية: كتب النحو وإعراب القرآن والتفسير.

مصطلحات البحث:

فساد المعنى: عدم دلالة المعنى على مقصود المتكلم ومراده فيما يغلب على الظن.

التأسيس: "إفادة معنى آخر لم يكن حاصلًا من قبل". [التعريفات للجرجاني ١/٧١].

دلالة الاقتضاء: "ما لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقًا، ولكن يكون من ضرورة اللفظ، إما من حيث لا يكون المتكلم صادقًا إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعًا إلا به، أو من حيث يمتنع ثبوته عقلاً إلا به". [المستصفى ٢٦٣].

خطة البحث:

يقوم البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين على النحو الآتي:
المبحث الأول: موقف أبي البركات الأنباري من فساد المعنى في إعراب

المفردات، وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: موقفه من إعراب ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ مفعولا به للفعل (يستطيع) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

المسألة الثانية: موقفه من إعراب (رزقاً) مفعولا مطلقاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾.

المسألة الثالثة: موقفه من إعراب (يَوْمًا) مفعولا فيه في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

المسألة الرابعة: موقفه من إعراب (صد) معطوفا على (كبير) أو أنه مبتدأ وخبره محذوف في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

المسألة الخامسة: موقفه من إعراب المصدر المؤول ﴿أو يرسل﴾ معطوفا على المصدر المؤول ﴿أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ﴾ في قراءة لنصب في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

المبحث الثاني: موقف أبي البركات الأنباري من فساد المعنى في إعراب الجمل وأشباه الجمل، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: موقفه من إعراب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صفة في قراءة من قرأ برفع (كل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

المسألة الثانية: موقفه من إعراب جملة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا﴾ بالنصب معطوفة

على الجملة التي قبلها في قراءة يعقوب.

المسألة الثالثة: موقفه من تعلق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ﴿مَقْتِكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

المسألة الرابعة: موقفه من تعلق ﴿يَوْمَ﴾ بـ﴿لِقَادِرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

وينتهي البحث بخاتمة فيها أهم النتائج، والله الموفق.

التمهيد

العلاقة بين المعنى والإعراب عند النحويين علاقة وطيدة، فكلاهما مكمل للآخر، فلا معنى من غير إعراب ولا إعراب من غير معنى إلا أن أكثر زلل المعربين في التوجيهات الإعرابية تقديمهم جانب الصناعة على جانب المعنى؛ لذلك اعتنى أهل العلم بالمعنى عناية خاصة، فجعلوه المقدم في الإعراب، وأول ما يجب على المعرب أن يفهمه، وعليه المعول وهو الأساس في الاختيار والترجيح بين الوجوه الإعرابية؛ وفي ذلك يقول ابن هشام في الجهات التي يدخل الاعتراض من جهتها على المعرب: "الجهة الأولى أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وكثيرا ما نزل الاقدام بسبب ذلك. وأول واجب عن المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا أو مركبا"^(١)، ويقول ابن جني: "وذلك أنك تجد في كثير من المنشور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"^(٢).

ويعدّ سيبويه أول من تحدّث عن المعنى الفاسد في الإعراب، وبيّن بعض أسباب فساده نصّا أو إيماءً على النحو الآتي:

١/ استحالة المعنى عقلا، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فقد قال سيبويه: "فارتفعت [فيتعلمون]؛ لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالوا: لا تكفر فيتعلمون، ليجعلا كفره سببا لتعليم غيره، ولكنه على كفروا فيتعلمون"^(٣)، فالفعل (يتعلمون) لم يأت جوابا ل(فلا تكفر)؛ لأنّ

(١) عبد الله بن يوسف بن هشام. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م). ٦٨٤.

(٢) عثمان بن جني. "الخصائص". تحقيق محمد النجار، (دار الكتب المصرية). ٢٥٨:٣.

(٣) عمرو بن عثمان سيبويه. "الكتاب". تحقيق عبدالسلام هارون. (ط٣، القاهرة: ١٤٠٨هـ -

معنى الآية يفسد عقلا ولا يصح، فليس (يتعلمون) سببا عن (فلا تكفر)، فارتفع؛ وكذلك في (لا تأكل السمك وتشرب اللبن)، فقد قال فيها سيبويه: "فلو أدخلت الفاء ههنا فسد المعنى"^(١)؛ لأنّ عدم أكل السمك ليس هو السبب في شرب اللبن، وهذا مستحيل عقلا.

٢/ انقلاب المعنى وانعكاسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُنْهُمْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، فقد قال سيبويه: "ولو قلت: أو لا تطع كفورا، انقلب المعنى"^(٢)، فمجيء (أو) بمعنى الإضراب يفسد معنى الآية، فيجعله معكوسا؛ لأنّ الإضراب يفيد النهي عن إطاعة الآثم في الأول، والأمر بطاعة الكفور في الثاني، وهو مخالف لمقصود الآية.

٣/ تناقض المعنى، وذلك في قول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَّانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
فقد قال سيبويه: "فإنما رفع [قليل]" لأنه لم يجعل القليل مطلوباً، وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً، ولو لم يرد ونصب فسد المعنى"^(٣)؛ لأنّ المعنى يصير كفاني قليلٌ ولم أطلب قليلاً من المال، وهذا تناقض في المعنى.

٤/ مخالفة المعنى للعقيدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فقد قال سيبويه: "باب ما يكون فيه إلا وما بعده وصفا بمنزلة مثل وغير، وذلك قولك: لو كان معنا رجل إلا زيد لغلبنّا؛

=

١٩٨٨م). ٣: ٣٨.

(١) السابق، "الكتاب"، ٣: ٤٢.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ١٨٨.

(٣) السابق، "الكتاب"، ١: ٧٩.

والدليل على أنه وصف أنك لو قلت: لو كان معنا إلا زيد لهلكنا وأنت تريد الاستثناء لكنت قد أحلت؛ ونظير ذلك قوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)، فلا يصح أن يكون الاسم الشريف (الله) مستثنى؛ لأنّ المعنى يصير: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لم تفسدا؛ فيلزم منه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وهذا معنى فاسد مخالف للعقيدة.

وقد حرص النحاة بعد ذلك على اجتناب الأعراب المفسدة للمعنى، ولا سيما في كتب إعراب القرآن الكريم وتوجيهه؛ ولكنّ فساد المعنى وصحته في إعراب القرآن الكريم يختلف القول فيه من عالم إلى آخر بناء على المعنى الذي يظهر له في الآية، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فقد ذهب أبو علي الفارسي إلى إعراب (حيث) في الآية الكريمة مفعولا به لا ظرفا؛ لأنّ إعرابها ظرفا يلزم منه تقييد علم الله بمكان معين وبوقت محدد، وهذا معنى فاسد مخالف للعقيدة، يقول أبو علي: "لأنّ المعنى يصير: أعلم في هذا الموضع أو هذا الوقت، ولا يوصف الله بأنّه أعلم في مواضع أو أوقات، كما تقول: زيد أعلم في مكان كذا منه في مكان كذا أو زمان كذا"^(٢) في حين يرى أبو حيان أنّ إعراب (حيث) ظرفا لا يفسد فيها معنى الآية؛ لأنّ الظرف فيها مجاز، و(أعلم) بمعنى (أنفذ)؛ فيكون المعنى مستقيماً وصحيحاً في الآية، وليس فيه مخالفة للعقيدة، يقول أبو حيان: "والذي يظهر لي إقرار حيث على الظرفية المجازية على أن تُضَمَّن (أعلم) معنى ما يتعدى إلى الظرف فيكون التقدير: الله أنفذ علما حيث يجعل رسالته أي: هو نافذ العلم في الموضع الذي يجعل

(١) السابق، "الكتاب"، ٣: ٣٣١.

(٢) الحسن بن أحمد الفارسي. "الحجة للقراء السبعة". تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني.

(ط٢، دمشق/ بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م). ٣: ٢٤٤.

فيه رسالته، والظرفية هنا مجاز^(١).

وبناء على هذا فليس كل إعراب فاسد معناه في آية قرآنية قاله بعض النحويين مسلّمًا به عند جميعهم؛ إلا أنّ هذا الاختلاف يدل دلالة واضحة على حرص النحاة على اجتناب الأعراب المفسدة للمعنى، ولا سيما في إعراب القرآن الكريم وتوجيهه.

(١) محمد بن يوسف. "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل. (ط ١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م). ٦٣٨:٤.

المبحث الأول: موقف أبي البركات الأنباري من فساد المعنى في إعراب

المفردات، وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: موقفه من إعراب ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ مفعولاً للفعل (يستطيع) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]

يُحتمل في إعراب ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ وجهان:

الوجه الأول: أنه في محل نصب مفعول به للمصدر (طَوْلاً)، و(طَوْلاً) مفعول به للفعل (يستطيع)، والمعنى: ومن لم يستطع أن يطال نكاح الحرائر.

والوجه الثاني: أنه في محل نصب مفعول به للفعل (يستطيع)، و(طَوْلاً) مفعول من أجله، والمعنى: ومن لم يستطع نكاح الحرائر للطول^(١).

ورد أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثاني؛ لفساد معناه؛ إذ إنّ

(١) ينظر: محمود بن حمزة تاج القراء. "غرائب التفسير وعجائب التأويل". (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية- بيروت: مؤسسة علوم القرآن). ٢٩٢:١؛ وعبد الحق بن غالب بن عطية. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ). ٣٧:٢؛ وعبد الله بن الحسين العكبري. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه). ٣٤٨:١؛ والمُنتَجَب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني. "الفريد في إعراب القرآن المجيد". تحقيق محمد نظام الدين الفتيح. (ط١، المدينة المنورة: دار الزمان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). ٢٤٥:٢؛ وأبو حيان، "البحر"، ٥٩٣:٣؛ وأحمد بن يوسف السمين الحلبي. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق د. أحمد الخراط. (ط١، دمشق: دار القلم). ٦٥٤:٣؛ ومحمد بن مصطفى أبو السعود العمادي. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي). ١٦٦:٢؛ ومحمود بن عبد الله الألوسي، "روح المعاني"، تحقيق علي عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م). ٩:٣.

الطَّوْل يصير علّة في عدم نكاح الحرائر، وهذا فيه إحالة للمعنى الذي تدل عليه الآية من أنّ الطَّوْل هو الذي يستطيع به نكاح الحرائر، وهو ما يوافق الوجه الأول^(١).

المناقشة والترجيح:

١. إنّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في توجيه إعراب ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ في محل نصب مفعول به للفعل (يستطيع)، و(طوًلاً) مفعولاً من أجله وجيه؛ لمخالفته سياق الآية التي تتحدث عن المسلم الحر الذي لا يستطيع إعطاء الحرائر مهرًا لا أنّ المهر هو المانع من نكاح الحرائر، ثم لو كان المهر مانعًا من نكاحهن، لما أمر الله بدفعه للإماء، فقال: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ولكن إن قُدِّر محذوف صحّ معنى المفعول من أجله في الآية؛ فيصير: ومن لم يستطيع نكاح الحرائر لعدم الطول^(٢)، وليس للطول؛ وبهذا التقدير لا يفسد المعنى إلا أنّ فيه من حيث الصناعة النحوية ما يخذشه من الحذف والتطويل^(٣)، والأصل في الكلام عدم الحذف والتقدير^(٤).

٢. إنّ توجيه إعراب ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ في محل نصب مفعول به للمصدر (طوًلاً)، و(طوًلاً) مفعولاً به للفعل (يستطيع)، صحيح من حيث المعنى إلا أنّ فيه

(١) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري. "البيان في غريب إعراب القرآن". تحقيق د. طه عبد

الحميد، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). ١: ٢٥٠-٢٥١.

(٢) ينظر: ابن عطية، "المحرر"، ٣٧:٢؛ والعكبري، "التبيان"، ٣٤٨:١؛ وأبو حيان، "البحر

المحيط"، ٥٩٣:٣؛ والسمين، "الدر"، ٦٥٤:٣.

(٣) ينظر: تاج القراء، "غرائب التفسير"، ٢٩٢:١؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٩:٣.

(٤) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري، "أسرار العربية"، (ط١)، دار الأرقم بن أبي الأرقم،

١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م). ١٢٤؛ وحسين بن علي بن حسين. الحربي، "قواعد الترجيح"،

(ط٢)، السعودية: دار القاسم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م). ٧٣:٢.

إشكالا من حيث الصناعة النحوية؛ إذ إنّ مسألة إعمال المصدر المنون عمل فعله مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين، فالبصريون يجيزون إعماله، والكوفيون يمتنعون ذلك، وما وردّ منه في الكلام، فيقدرون له فعلا يدلّ عليه المصدر^(١)، ويصير المعنى في هذه الآية: ومن لم يستطع طولاً يطال نكاح الحرائر، والأولى في توجيه إعراب القرآن الكريم توجيهه على ما لا خلاف فيه^(٢).

٣. لو قيل بأنّ توجيه إعراب ﴿أَنْ يَنْكَحَ﴾ مفعول به للفعل (يستطيع)، و(طولاً) مفعول مطلق مؤكد لعامله (يستطيع) معنى لا لفظاً، لصحّ هذا التوجيه معنى وصناعة^(٣)، فمن حيث المعنى يصير: من لم يستطع نكاح الحرائر قدرة -أي: استطاعة-؛ إذ إن الاستطاعة بمعنى القدرة، والطول بمعنى القدرة على المهر في هذه الآية^(٤)، ومن حيث الصناعة النحوية، فالمصدر المؤكد لعامله كما يؤكد عامله لفظاً يؤكد معنًى، كقعدت جلوساً، وهذا التوجيه لا خلاف فيه، وهو أولى من توجيه إعراب ﴿أَنْ يَنْكَحَ﴾ بدل كل من (طولاً)، و(طولاً) مفعول به للفعل (يستطيع)؛ لأنّه وإن كان صحيحاً صناعة إلا أنّ فيه فساداً في المعنى عند من يرى بلزوم حلول البدل محل المبدل منه^(٥)، فيصير المعنى: ومن لم يستطع

(١) ينظر: محمد بن يوسف، "التذليل"، تحقيق د. حسن هندراوي. (ط١، دمشق: دار القلم-الرياض: كنوز إشبيلية، ١٤١٨هـ - ١٤٤٠هـ، ١٩٩٧م - ٢٠١٩م). ٩: ١١؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. "معجم الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق عبد الحميد هندراوي. (مصر: المكتبة التوفيقية). ٥٨: ٣.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر"، ٥٢١: ٢، ٤؛ ١٣٦، ٨٨؛ والسمين، "الدر"، ٢٧٨: ١٠.

(٣) ينظر: ابن عطية، "المحرر"، ٣٧: ٢.

(٤) ينظر: محمد بن أحمد القرطبي. "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م). ١٣٦: ٥.

(٥) ينظر: أبو حيان، "البحر"، ٦٠٢: ٤؛ والسمين، "الدر"، ٥١٧: ٤.

نكاح الحرائر فمما ملكت أيمانكم، وهذا يُفهم منه أن عدم الاستطاعة قد تكون من جهة الطبيعة والمزاج لا من جهة الغنى، وأما عند من يرى عدم لزوم الإحلال، فالمعنى صحيح مراعاة للمقام، فيكون المراد بالاستطاعة استطاعة الغنى من القدرة على المهر لا استطاعة الطبيعة والمزاج^(١).
وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في توجيه إعراب (أَنْ يَنْكَحَ) مفعولا للفعل (يستطيع) في هذه المسألة.

المسألة الثانية: موقفه من إعراب ﴿رَزَقًا﴾ مفعولا مطلقاً في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: ٧٥]

يُحتمل في إعراب ﴿رَزَقًا﴾ وجهان:

الوجه الأول: أنه مفعول ثانٍ لـ (رَزَقَ)، فيكون (الرَّزَقَ) اسماً لا مصدرًا من باب الرعي والذبح أي: مرزوقًا حسنًا.

والوجه الثاني: أنه مفعول مطلق، فيكون (الرزق) مصدرًا لا اسمًا^(٢).

ورد أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثاني؛ لفساد معناه، إذ إنَّ سياق الآية لا يدل عليه؛ لأنَّه جاء بعدها: ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، والإنفاق يكون من الأعيان والأموال لا من الأحداث^(٣)، وهذا التعليل ذكره تاج القراء

(١) ينظر: العمادي أبو السعود، "إرشاد العقل"، ١٦٦: ٢.

(٢) ينظر: تاج القراء، "غرائب التفسير"، ٦١٤: ١؛ وعلي بن الحسن الباقولي، "كشف

المشكلات وإيضاح المضللات". تحقيق د. محمد الدالي. (ط١)، دمشق: مطبوعات مجمع

اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٥م). ٦٩٣: ٢؛ والعكبري، "البيان"، ٩٤٦: ٢؛ والسمين،

"الدر"، ٢٩٦: ٨؛ والعمادي أبو السعود، "إرشاد العقل"، ١١٦: ٦.

(٣) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٨٢: ٢.

والباقولي^(١).

المناقشة والترجيح:

١. إنَّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في توجيه إعراب (رزقاً) مفعولاً مطلقاً اعتماداً على سياق الآية وجيه؛ وقد اعتمد عليه أبو حيان والسمين أيضاً في إعراب نظير هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] حيث رُدَّ إعراب ﴿رزقاً﴾ مفعولاً مطلقاً؛ لأنَّ سياق الآية لا يدل عليه، فقد جاء بعدها ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، والمصدر لا يؤتى به متشابهاً^(٢)، والاعتماد على السياق في رد الوجه الإعرابي أو قبوله من قواعد الترجيح عند أهل العلم^(٣).

٢. لا يصح إطلاق فساد معنى إعراب المفعول المطلق (رزقاً) ونحوه على جميع نظائر هذه الآية في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: ٨٨]، و﴿لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨]، و﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦]؛ لأنَّه ليس في سياق تلك الآيات ما يدل على فساد معنى إعراب المفعول المطلق فيها؛ ولهذا أجاز أبو البركات الأنباري في إعراب ﴿وعداً﴾ الوجهين السابقين على السواء^(٤).

٣. يحتتمل أنَّ السبب في فساد المعنى في إعراب المفعول المطلق في جميع الآيات السابقة سبب عقدي، لأنَّه قد يُفهم من المفعول المطلق المبين للنوع أنَّ يكون لله رزق

(١) ينظر: تاج القراء، "غرائب التفسير"، ١: ٦١٤؛ والباقولي، "الكشف"، ٢: ٦٩٣.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر"، ١: ١٨٥؛ والسمين، "الدر"، ١: ٢١٦.

(٣) ينظر: الحربي، "قواعد الترجيح"، ١: ١٠٩.

(٤) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٢: ١٥٢.

غير حسن، والله جلّ وعزّ لا يُحدث في خلقه من حدثٍ -من رزق وغيره- إلا كلّ حسن، ولكن هذا الاحتمال بعيد؛ لأنّ (الحسن) صفة لازمة في أفعال الله عز وجل، ويظهر أنّ هذا الاحتمال العقدي جعل بعضهم نوع المفعول المطلق في تلك الآيات مؤكّداً لعامله^(١)؛ لأنّ رزق الله هو حسن أصلاً، إلا أنّ هذا الاحتمال فاسد من حيث الصناعة النحوية؛ لأنّ المصدر المؤكد لعامله لا يوصف^(٢)، فضلاً عن أنّه لو قيل في غير القرآن: "ليرزقنهم الله حسناً" -والحسن بمعنى الرزق- على ذلك الاحتمال، لما صحّ أيضاً من حيث الصناعة؛ لأنّ "حسناً" أعم من الفعل "ليرزقنهم"، والمصدر المؤكد عند النحاة لا يزيد معناه على معنى عامله^(٣)؛ فلا يأتي إلا مرادفاً له، أو نوعاً منه، ولم يخالف في هذه المسألة فيما أعلم إلا ابن عاشور الذي أجاز أن يكون المصدر أعم من الفعل^(٤).

٤. أنّ توجيه إعراب (رزقاً) مفعولاً ثانياً صحيح معنى وصناعة، فمن حيث المعنى يصير: ومن رزقناه مرزوقاً حسناً، وهذا فيه معنى جديد، وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد، فحمله على التأسيس أولى^(٥)، ومن حيث الصناعة النحوية، فإنّ الفعل (رَزَقَ) ينصب مفعولين، ومصدره قياساً (رَزَقاً) بالفتح لا (رِزْقاً).

(١) ينظر: العكبري، "التبيان"، ٩٤٦:٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر"، ١٦٤:٢؛ والسمين، "الدر"، ٢٦٢:٢.

(٣) ينظر: الشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٣٥:٣؛ والسمين، "الدر"، ٥٧٨:٢.

(٤) ينظر: محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

١٧٢:٧.

(٥) ينظر: الحربي، "قواعد الترجيح"، ١٢٠:٢؛ وأحمد بن محمد الخفاجي، "عناية القاضي وكفاية

الراضي على تفسير البيضاوي"، (بيروت: دار صادر)، ٦٨:٢.

بالكسر^(١).

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في توجيه إعراب (رزقاً) مفعولاً مطلقاً في هذه المسألة.

المسألة الثالثة: موقفه من إعراب ﴿يَوْمًا﴾ ظرف زمان في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]

يُحتمل في إعراب ﴿يَوْمًا﴾ وجهان:

الوجه الأول: أنه مفعول به للفعل (اتقوا) على حذف مضاف أقيم المضاف إليه مقامه، والمعنى: واتقوا عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً.

والوجه الثاني: أنه ظرف زمان، والمفعول محذوف، والمعنى: واتقوا العذاب في يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً^(٢).

ورد أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثاني؛ لفساد معناه؛ إذ إنه

(١) ينظر: أبو حيان، "التذيل"، ١١: ٨٦؛ والخفاجي، "عناية القاضي"، ٢: ٦٨.

(٢) ينظر: سعيد بن مسعدة الأخفش، "معاني القرآن". تحقيق د. هدى قراعة، (ط١)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م). ١: ٩٤؛ وأحمد بن محمد النحاس، "إعراب القرآن". تحقيق زهير غازي زاهد. (ط٢)، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). ١: ٥١؛ والفارسي، "الحجة"، ٢: ٤١٨؛ و"الإغفال" تحقيق د. عبدالله بن عمر الحاج. (أبو ظبي: المجمع الثقافي، دبي: مركز جمعة الماجد، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م). ١: ١٢٠؛ ومكي بن أبي طالب. "مشكل إعراب القرآن". تحقيق ياسين محمد السواس. (ط٢)، دمشق/بيروت: دار اليمامة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م). ٦٣؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١: ١٣٧؛ وابن عطية، "المحرر"، ١: ١٣٩؛ والباقولي، "الكشف"، ١: ٣٨؛ والعكبري، "البيان"، ١: ٦٠؛ والهمذاني، "الفريد"، ١: ٢٤٩؛ وأبو حيان، "البحر"، ١: ٣٠٦؛ والسمين، "الدر"، ١: ٣٣٥؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٣: ٢٥٢.

يوجب تكليفهم يوم القيامة، ولا تكليف في ذلك اليوم^(١)، وهذا التعليل ذكره أبو علي الفارسي والواحيدي وتاج القراء وابن عطية والباقولي^(٢).

المناقشة والترجيح:

١. إنّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في توجيه إعراب ﴿يَوْمًا﴾ ظرف زمان وجيه؛ لأنّ الظرف هو ما ضُمّن معنى "في" باطراد^(٣)، ولا يمكن عقلا أن يضمّن ﴿يَوْمًا﴾ في هذه الآية معنى "في"؛ لأنّ المعنى ليس الالتقاء في هذا اليوم، فذلك اليوم لا يؤمر فيه بالالتقاء، فلا تكليف فيه، وإنما المعنى اتقوا هذا اليوم عذابه وهوله^(٤)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، و﴿وَأَنْذَرُكُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ﴾ [مریم: ٣٩]، و﴿وَأَنْذَرُكُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ [غافر: ٣٩]، و﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [الزمل: ١٧]، و﴿يُوقُونَ بِالْآذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] إلا أنّ السمين ردّ فساد معنى الظرفية في هذه الآية؛ لأنّ "الأمر بالحدّ من الأسباب المؤدية إلى العذاب

(١) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٨٠:١.

(٢) ينظر: الفارسي، "الحجة"، ٤١٨:٢؛ و"الإغفال" له، ١٢٠:١؛ وعلي بن أحمد الواحيدي. "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م). ٣٩٩:١. وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١٣٧:١؛ وابن عطية، "المحرر"، ١٣٩:١؛ والباقولي، "الكشف"، ٣٨:١.

(٣) ينظر: يعيش بن علي. "شرح المفصل"، (بيروت: عالم الكتب). ٤٣١:١؛ ومحمد بن عبد الله ابن مالك. "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق د. عبد الرحمن السيد ود. محمد المختون. (ط ١، مصر: دار هجر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). ٢٠٠:٢؛ وأبو حيان، "التذيل"، ٢٤٨:٧؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ٢٠٤:٢.

(٤) ينظر: الفارسي، "الإغفال"، ١٢٠:١.

يوم القيامة" (١)؛ فيصحّ بذلك معنى الظرفية على أن يكون المفعول محذوفاً، والمعنى: واتقوا العذاب في يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً (٢)، ويكون الكلام محمولاً على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنّ فيه من حيث الصناعة النحوية ما يضعفه من الحذف والتقدير، والأصل في الكلام عدم الحذف والتقدير (٣)، ولكنّ السمين مع هذا لم يجز إعراب (يوماً) ظرفاً في نظائر هذه الآية (٤).

٢. إنّ توجيه إعراب ﴿يَوْمًا﴾ مفعولاً به للفعل (اتّقوا) على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه صحيح معنى وصناعة، فمن حيث المعنى فالتبادر إلى الذهن أنّ المراد من الاتّقاء اتّقاء عذاب اليوم وهوله، ومن حيث الصناعة النحوية فإن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في كلام العرب عند أمن اللبس (٥)، ولا لبس في هذه الآية ونظائرها، وهذا التوجيه لا يردّ عليه مسألة أنّ الأصل في الكلام حمله على الحقيقة لا المجاز؛ لأنّ المحققين من أهل العلم يرون أنّ حذف المضاف ليس من المجاز؛ لأنّ المضاف المحذوف مدلول عليه بالاقتضاء، فكأنّه مذكور في الكلام (٦). هذا وقد استدل ابن عاشور على

(١) السمين، "الدر"، ٣٣٥:١.

(٢) ينظر: ابن عطية، "المحرر"، ١٣٩:١؛ وأبو حيان، "البحر"، ٣٠٦:١؛ والسمين، "الدر"، ٣٣٥:١.

(٣) ينظر: الأنباري، "أسرار العربية"، ١٢٤؛ والحري، "قواعد الترجيح"، ٧٣:٢.

(٤) ينظر: السمين، "الدر"، ٤١١:٨، ٥٢٧:١٠.

(٥) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٢٤٧:٢؛ ومحمد بن سهل ابن السراج. "الأصول في النحو".

تحقيق د. عبدالحسين الفتلي. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م). ٢٠:٢٥٥؛ وابن جني، "الخصائص"، ١٩٣:١؛ ومحمود بن عمرو الزخشري. "المفصل في صنعة الإعراب".

تحقيق د. علي بو ملحم. (ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م). ١٣٤.

(٦) ينظر: عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء. "مجاز القرآن". تحقيق مصطفى محمد

صحة إعراب (يومًا) في الآية مفعولا لا ظرفا بأنه لم يُقرأ فيها بغير التنوين^(١)، وفي استدلاله نظر؛ لأنه يصح في غير القرآن عدم تنوين (يومًا) فيقال: "واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئا"^(٢)، وعدم التنوين لا يخرجها عن معنى المفعولية فضلا عن أنّ محل النزاع في الآية ليس في تنوين (يومًا) ولا في عدمه، وإنما في استقامة معنى الظرفية فيها.

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في توجيه إعراب (يومًا) ظرف زمان في هذه المسألة.

المسألة الرابعة: موقفه من إعراب ﴿وَصَدَّدَ﴾ معطوف على ﴿كَبِيرٌ﴾ أو أنه مبتدأ وخبره محذوف في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدَّدَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]

يُحتمل في إعراب ﴿وَصَدَّدَ﴾ ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه مبتدأ، وما بعده (كفر) و(إخراج) معطوف عليه، و(أكبر) خبر عن الجميع، والمعنى: أن هذه الثلاثة (الصدّ عن سبيل الله) و(الكفر به)

=

الذهبي. (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٩م). ١٧؛ ومحمد بن عبد الله الزركشي. "البرهان في علوم القرآن". تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط ١)، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧م). ٢: ٢٧٤؛ ومحمد بن محمد الغزالي. "المستصفى". تحقيق محمد عبد السلام، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م). ٢٦٣.

(١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٤٨٤.

(٢) ينظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ١: ٥١.

و(الإخراج)، أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.
والوجه الثاني: أنه معطوف هو و(كفر) على (كبير)، والمعنى: القتال في الشهر الحرام كبيرٌ وصدٌّ وكفرٌ.

والوجه الثالث: أنه مبتدأ، و(كفرٌ) معطوف عليه، وخبره محذوف دلّ عليه ما قبله، والمعنى: القتال في الشهر الحرام كبيرٌ، والصدُّ عن سبيل الله كبيرٌ، والكفرٌ به كبير^(١).

وردّ أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثاني والثالث؛ لفساد معناهما، إذ إنّه يلزم في الوجه الثاني أمران: أن القتال في الشهر الحرام كفرٌ، وأنّ إخراج أهل المسجد الحرام منه عند الله أكبر من الكفر، وهذا محال، ويلزم في الوجه الثالث أنّ إخراج أهل المسجد الحرام منه عند الله أكبر من الكفر، وهذا محال أيضاً^(٢)، وهذا

(١) ينظر: يحيى بن زياد الفراء. "معاني القرآن". تحقيق أحمد النجاشي وآخرين. (ط١، مصر: دار المصرية). ١٤١:١؛ ومحمد بن جرير الطبري. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق د. عبد الله التركي. (ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). ٣:٦٦٠؛ وإبراهيم بن السري الزجاج. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق عبد الجليل شليبي. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م). ١:٢٩٠؛ والنحاس، "إعراب القرآن"، ١:١١٠؛ والفارسي، "الحجة"، ٣:١٢٧؛ ومكي، "المشكل"، ١٠٣؛ وعلي بن فضال المجاشعي. "النكت في القرآن"؛ تحقيق د. عبد الله عبد القادر الطويل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). ١٦٥؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١:٢١٢؛ وابن عطية، "المحرر"، ١:٢٩٠؛ والباقولي، "الجواهر"، ١:٣٥٦؛ والعكبري، "البيان"، ١:١٧٤؛ والهمذاني، "الفريد"، ١:٥٠٢؛ والقرطبي، "الجامع"، ٣:٤٥؛ وأبو حيان، "البحر"، ٢:٣٨٩؛ والسمين، "الدر"، ٢:٣٩٢.

(٢) ينظر: الأنباري، "البيان"، ١:١٥٢.

التعليق ذكره الطبري وأبو علي الفارسي والمجاشعي وابن عطية والباقولي^(١).

المناقشة والترجيح:

١. إنّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في توجيه إعراب ﴿وَصَدَّ﴾ و﴿وَكُفِّرَ﴾ معطوف على ﴿كَبِيرٌ﴾ أو توجيه إعراب ﴿وَصَدَّ﴾ أنّه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة ما قبله عليه وجيه؛ لأنّ المعنى يصير فيهما أنّ إخراج أهل المسجد الحرام منه أكبر عند الله من الكفر نفسه، وإخراجهم منه هو بعض صفات الكفر، فكيف يكون أكبر من الكفر؟ وهذا محال، فلا شيء أعظم عند الله من الكفر به، ويصير المعنى في العطف على (كبير) أنّ القتال في الشهر الحرام كفر، ولا يصح أن يكون (كفر) خبراً عن (قتال)؛ لأنه ليس هو نفس المبتدأ في المعنى فضلاً عن أنّه لم يقل أحد من أهل العلم أنّ القتال كفر^(٢).

وقد ردّ المجاشعي والسمين فساد معنى أحد الوجهين من كون الإخراج أكبر من الكفر بأنّه غير لازم؛ إذ إنّ المراد أنّ الإخراج أكبر من القتل لا الكفر، فيكون إعراب (كفر) مبتدأ، و(إخراج) معطوفاً عليه، و(أكبر) خبراً عنهما، والكفر والإخراج أكبر عند الله من القتال والصد؛ فيصح معنى الآية ولا يفسد^(٣)، ولا يخفى ما في هذا الردّ من ادّعاء إعراب ليس هو محل النزاع في المسألة، وتكلّف معنى غير ظاهر من عدم معرفة مرجع الضمير في جملة (وكفر به)، ونزع ارتباط هذه الجملة بما قبلها، ومع هذا

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٦٦٠:٣؛ والفارسي، "الحجة"، ١٢٧:٣؛ ومكي، "المشكل"، ١٠٣؛ والمجاشعي، "النكت"، ١٦٥؛ وابن عطية، "المحرر"، ٢٩٠:١؛ والباقولي، "الجواهر"، ٣٥٦:١.

(٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٦٦٠:٣؛ والفارسي، "الحجة"، ١٢٧:٣.

(٣) ينظر: المجاشعي، "النكت"، ١٦٥؛ والسمين، "الدر"، ٣٩٢:٢.

لم يتخلّصوا من تصحيح فساد معنى الوجه الآخر وهو عطف (صدّ) و(كفر) على (كبير)^(١)، ولو قيل بأنّ أصحاب ذلك القول قصدوا بالكفر الكفر الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الملة، كقوله صلى الله عليه وسلم: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"^(٢)، لصحّ في الظاهر معنى الآية إلا أنّ هذا فيه ما يفسده من مخالفة أقوال السلف في سبب نزول هذه الآية من أنّ بعض الصحابة رضوان الله عليهم قتلوا أحد المشركين وهو ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فعيرهم المشركون باستحلال القتال في الأشهر الحرم، فأخبرهم الله أنّ القتال فيها كبير، وأكبر منه الصدّ عن سبيله والكفر به وإخراج أهل المسجد الحرام منه^(٣).

٢. إنّ توجيه إعراب ﴿وَصَدَّ﴾ مبتدأ، وما بعده (كفر) و(إخراج) معطوف عليه، و(أكبر) خبر عن الجميع صحيح معنى وصناعة، فمن حيث المعنى فإنّه يوافق أقوال السلف في سبب نزول الآية من أن الصدّ عن سبيل الله، والكفر به وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام؛ فتفسير السلف وما صحّ من سبب النزول مقدّم على غيره في تفسير القرآن^(٤)، ومن حيث الصناعة النحوية فإنّه ليس فيه ما يفسده.

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في توجيه إعراب (وَصَدَّ) معطوف على (كبير) أو توجيهه بأنّه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة ما قبله عليه في هذه المسألة.

المسألة الخامسة: موقفه من إعراب المصدر المؤول ﴿أو يرسل﴾ معطوفا على

(١) ينظر: المجاشعي، "النكت"، ١٦٦.

(٢) ينظر: النووي، "المنهاج"، ٥٣:٢.

(٣) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٣: ٦٥٦-٦٦٠.

(٤) ينظر: الحربي، "قواعد الترجيح"، ٢١٢:١.

المصدر المؤول ﴿أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ﴾ في قراءة لنصب في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]

يُحتمل في إعراب ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه مصدر معطوف على المصدر (إلا وحياً)، وذلك على قراءة النصب^(١)، والمعنى: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى أو أن يرسل رسولا. والوجه الثاني: أنه مصدر معطوف على المصدر (أن يكلمه الله)، وذلك على قراءة النصب، والمعنى: وما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسل رسولا. والوجه الثالث: أنه جملة مستأنفة، وذلك على قراءة الرفع^(٢)، والمعنى: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو هو يرسلُ رسولا^(٣).

ورد أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثاني في قراءة النصب؛ لفساد

(١) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي. ينظر: أحمد بن موسى بن مجاهد. "السبعة في القراءات". تحقيق د. شوقي ضيف. (ط٢، مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ). ٥٨٢.

(٢) قرأ بها نافع وابن عامر. وقرأ الباقر بالرفع. ينظر: ابن مجاهد، "السبعة"، ٥٨٢.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٤٩:٣؛ والطبري، "جامع البيان"، ٥٤١:٢٠؛ ومحمد بن يزيد المبرد. "المقتضب". تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. (بيروت: عالم الكتب). ٣٤:٢؛ والفارسي، "الحجة"، ١٣٤:٦؛ ومكي، "المشكل"، ٦٠٠؛ والمجاشعي، "النكت"، ٤٣٧؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١٠٥٦:٢؛ وابن عطية، "المحرر"، ٤٣:٥؛ والباقرلي، "الكشف"، ١٢٠٥:٣؛ والعكبري، "التبيان"، ١٣٦:٢؛ والهمداني، "الفريد"، ٥٣٩:٥؛ وأبو حيان، "البحر"، ٣٥٠:٩؛ والسمين، "الدر"، ٥٦٧:٩؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٥٦٩:١٣.

معناه، لما يلزم منه نفي الرسل وقد أرسل الله الرسل^(١)، وهذا التعليل ذكره سيبويه والمبرد وأبو علي الفارسي ومكي والمجاشعي وتاج القراء وابن عطية والباقولي^(٢).

المناقشة والترجيح:

١. إنَّ فساد المعنى في توجيه إعراب ﴿أَوْ يَرْسِلْ﴾ مصدرًا مؤولا معطوفاً على المصدر المؤول ﴿أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ﴾ في قراءة النصب عند أبي البركات الأنباري وجيه؛ لأنَّه يلزم منه نفي إرسال الرسل، فيصير المعنى: وما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسله رسولا أو يرسل إليه رسولا؛ فيؤدي المعنى إلى نفي إرسال الرسل من البشر وهذا إبطال للنبوة، وإلى نفي إرسال البشر إلى البشر، وهذا المعنى مستحيل عقلا، فكيف ينفي الله ذلك عن البشر؟ وهو الذي أرسل الرسل منهم وإليهم، فقال سبحانه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد خالف السمين النحاة فأضاف مانعا لفظيا لرد هذا الوجه؛ لأنَّ التقدير عنده: وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا^(٣)، ولكنه لم يبيِّن وجه الفساد اللفظي، ويبدو أنَّ الفساد اللفظي الذي أَرادَه هو انتفاء الارتباط بين المعطوف اسم كان (أن يرسل) وخبرها (لبشر) بناء على تقديره السابق، ولكن هذا الفساد اللفظي غير صحيح؛ لسببين:

(١) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٢: ٣٥١.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٤٩؛ والطبري، "جامع البيان"، ٢٠: ٥٤١؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٣٤؛ والفارسي، "الحجة"، ٦: ١٣٤؛ ومكي، "المشكل"، ٦٠٠؛ والمجاشعي، "النكت"، ٤٣٧؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ٢: ١٠٥٦؛ وابن عطية، "المحرر"، ٥: ٤٣؛ والباقولي، "الكشف"، ٣: ١٢٠٥.

(٣) ينظر: السمين، "الدر"، ٩: ٥٦٧.

السبب الأول: أنّ النحاة ومن تناول هذه الآية لم يذكروا فيها فسادا لفظيا، وإنما ذكروا فسادا معنويا فقط

والسبب الثاني: أنّ المعنى لو كان مستقيما لأمكن من حيث الصناعة تقدير الربط بضمير محذوف منصوب أو مجرور، وهذا ما فعله النحاة في تبياهم معنى العطف في (وما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسل رسولا)، فقدّروا الرابط في (أن يرسل) ضميرا منصوبا بـ(أن يرسله رسولا) أو ضميرا مجرورا مع الجار بـ(أن يرسل إليه رسولا) ^(١)؛ فالعبارة من حيث الصناعة صحيحة وليست فاسدة.

٢. إنّ توجيه إعراب ﴿أو يرسل﴾ مصدرا مؤولا معطوفاً على المصدر الصريح ﴿إلا وحيًا﴾ في قراءة النصب صحيحٌ من حيث المعنى كما ذكر أبو البركات الأنباري؛ لأنّ المعنى يصير: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى أو أن يرسل، وهذا لا خلاف فيه عند النحاة ^(٢).

٣. إنّ توجيه إعراب ﴿أو يرسل﴾ في قراءة الرفع جملة استثنائية صحيحٌ من حيث المعنى كما ذكر أبو البركات الأنباري؛ لأنّ المعنى يصير: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو هو يرسل رسولا، ولا بد من تقدير الضمير (هو)؛ ليسوّغ مجيء الفعل مرفوعا.

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في توجيه إعراب المصدر المؤول ﴿أو يرسل﴾ معطوفا على المصدر المؤول ﴿أن يكلمه الله﴾ في قراءة لنصب في هذه المسألة.

(١) ينظر: الفارسي، "الحجة"، ٦: ١٣٤.

(٢) ينظر: ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٤: ٤٩؛ وأبو حيان، "التذيل"، ١٥: ٣٦٧.

المبحث الثاني: موقف أبي البركات الأنباري من فساد المعنى في إعراب الجمل

وأشباه الجمل، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: موقفه من إعراب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صفة في قراءة من قرأ برفع (كلّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

يُحتَمَلُ في إعراب ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنّها جملة تفسيرية - على قراءة النصب^(١) -، ف(كلّ) منصوب بفعل مضمر تقديره: (خلقنا)، والمعنى: إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. والوجه الثاني: أنّها جملة وصفية لـ (شيء) - على قراءة الرفع^(٢) - و(كلّ) مبتدأ، و(بقدر) خبر، والمعنى: كلُّ شيءٍ مخلوقٌ لنا بقدر. والوجه الثالث: أنّها جملة خبرية لـ (كلّ) - على قراءة الرفع أيضاً - والمعنى: كلُّ شيءٍ هو مخلوقٌ بقدر^(٣).

(١) وهي قراءة متواترة. ينظر: مكّي، "المشكل"، ٦٥٢؛ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م). ٣٣٦.

(٢) وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبو السّمّال وابن أبي عبلّة. ينظر: الحسين بن أحمد بن خالويه. "مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع". نشره برجستراسر. (مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٤ م). ١٤٨؛ وابن جني، "المحتسب"، ٢: ٢٠٠.

(٣) ينظر: الأخفش، "معاني القرآن"، ٢: ٥٢٩؛ والطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ١٦٣؛ والنحاس، "إعراب القرآن"، ٤: ٣٠٢؛ والحسن بن عبد الله السيرافي. "شرح كتاب سيويه". تحقيق أحمد مهدي وعلي سيد. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م). ٨: ٢؛ وابن جني، "المحتسب"، ٢: ٢٠٠؛ ومكّي، "المشكل"، ٦٥٢؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ٢: ١١٦٦؛ والزخشي، "الكشاف"، ٤: ٤٤١؛ وهبة الله بن علي بن الشجري، "أمالي ابن الشجري". تحقيق د. محمود الطناحي. (ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي،

وجعل أبو البركات الأنباري من حيث المعنى قراءة الرفع مرجوحة؛ لفساد معنى الوصفية فيها، لما يلزم عنها من إيهام أنّ هناك أشياء ليست بمخلوقة^(١)، وهذا التعليل ذكره الأصمعي والنحاس والسيرافي ومكي وتاج القراء وابن عطية والباقولي^(٢).

المناقشة والترجيح:

١. إنّ توجيه إعراب جملة ﴿خَلَقْنَا﴾ صفة لـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ في قراءة الرفع عند أبي

=

١٤١٣هـ - ١٩٩١م). ٩١:٢؛ وابن عطية. "المحرر"، ٢٢١:٥؛ والباقولي، "الجواهر"، ٢٤٧:٢، ١٥٤٣:٣؛ و"الكشف" له، ١٣٠:١؛ والسهيلي، "نتائج الفكر"، ٣٣٦؛ والمبارك بن محمد ابن الأثير. "البدیع فی علم العربیة". تحقیق د. فتحي أحمد علي الدين. (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ). ٨٩:١؛ والعكبري، "التبيان"، ١٩٦:٢؛ والهمذاني، "الفريد"، ٥٨:٦؛ وعثمان بن عمر ابن الحاجب. "أمالي ابن الحاجب". تحقيق فخر قدارة. (الأردن: دار عمار، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م). ٥٠٥:٢؛ وعثمان بن عمر ابن الحاجب. "الكافية في علم النحو". تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر. (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م). ٢٢؛ والقرطبي، "الجامع"، ١٤٧:١٧؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ١٤٢:٢؛ وأبو حيان، "الارتشاف"، ٢١٦٩:٤؛ و"التذيل" له، ٣٢٧:٦؛ و"البحر" له، ٤٨:١٠؛ والسمين "الدر"، ١٤٦:١٠؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ١٤٨:٢؛ وابن عقيل، "المساعد"، ١٤٧:١.

(١) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. "مجالس العلماء". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي - الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م). ٢٢٤؛ والنحاس، "إعراب القرآن"، ٢٠٢:٤؛ والسيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٨:٢؛ ومكي، "المشكل"، ٦٥٢؛ والهمذاني، "غرائب التفسير"، ١١٦٦:٢؛ وابن عطية، "المحرر"، ٢٢١:٥؛ والباقولي، "الجواهر"، ٢٤٧:٢، ١٥٤٣:٣؛ و"الكشف" له، ١٣٠:١.

البركات الأنباري يؤدي إلى فساد المعنى؛ لأنّ الصفة تفيد التخصيص لا العموم، فيلزم عنها إيهام أنّ هناك أشياء موجودة لم يخلقها الله، وهو موافق لمذهب المعتزلة الذين يرون أنّ العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم ولم يخلقها الله، ولكنّ هذا الفساد في المعنى فيه نظر؛ لما يلي:

أولاً: أنّ كون الله تعالى هو خالق كل الأشياء التي يصدق عليها الخلق ثابت بآيات أخر، كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢]، و﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

ثانياً: أن منع إعراب جملة {خلقناه} صفة لـ {كل شيء} لا يلزم منه أنّ بعض الأشياء لم يخلقها الله، ولا أنّ بعضها خلقها غيره؛ لأنّ المعنى: إنّنا كلّ مخلوقاتنا بقدر، وهو معنى صحيح ليس فيه خلل، ولو أنّ النعت يقتضي ما زعموه من توهم أن بعض الأشياء لم يخلقها الله، لاقتضت جملة النعت {خلقه} في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، أنّ يكون الإحسان مقصوراً على الأشياء التي خلقها الله دون غيرها، وأن ثمة أشياء خلقها غيره؛ فيكون الله عزّ وجل لم يُحسن القرآن الكريم؛ لأنّه غير مخلوق، وهذا قول باطل؛ لأنّ الآية تدل على إحسان الأشياء المخلوقة، والمعنى: الذي أحسن خلقه، أي: مخلوقاته، وهذا المعنى صحيح، ولا يقتضي ما زعموه من التوهم في الصفة.

٢. إنّ توجيه إعراب جملة {خَلَقْنَاهُ} خبراً لـ {كُلُّ شَيْءٍ} في قراءة الرفع وحيّة، لأنّ المعنى لا يفسد به، فيصير: كل شيء هو مخلوق بقدر إلا أنّ أبا البركات الأنباري رجّح قراءة النصب على قراءة الرفع في هذا التوجيه؛ لأنّ التوجيه الآخر لقراءة الرفع بإعراب جملة {خلقناه} صفة يبطل به المعنى للإيهام، وقراءة النصب لا إيهام فيها،

فَرَجَّحت بذلك قراءة النصب على قراءة الرفع في كلا التوجيهين^(١)، ولكن في هذا نظر؛ لأنّ فساد المعنى لم يصح في توجيه قراءة الرفع بإعراب جملة {خَلَقْنَاهُ} صفة كما سبق بيانه، فكيف تكون قراءة الرفع بعد ذلك مرجوحة لعدم سلامتها من الإيهام، وقراءة النصب راجحة لسلامتها من الإيهام؟!

٣. إنّ ترجيح أبي البركات الأنباريّ قراءة النصب على قراءة الرفع اعتماداً على صحة معناها وإجماع القراء السبعة عليها فيه نظر؛ لما يلي:

أولاً: أنّ الأصل في القراءات اتّفاقها في المعنى؛ لذا لا يرى الرضي تفاوتاً في المعنى بين القراءتين، بل المعنى فيهما واحد، سواء أكانت الجملة خبراً أم كانت صفة^(٢)، وهذا هو الصحيح، فضلاً عن أنّ الاستدلال بإجماع القراء لا يعدّ دليلاً على صحة معنى قراءة النصب على قراءة الرفع، وإنما يعدّ دليلاً على قوّة ثبوتها من حيث السند، لا من حيث المعنى، كما سبق بيانه.

ثانياً: أن القول بترجيح قراءة النصب على قراءة الرفع اعتماداً على الإيهام ليس مطّرداً في أكثر المواضع الموهمة، ولا دلّ على اعتباره دليل عربي^(٣)، فضلاً عن أنّ قراءة الرفع لا تحتاج إلى تقدير بخلاف قراءة النصب فإنّها بحاجة إلى تقدير، وعدم التقدير أولى من التقدير.

ثالثاً: أنّ القول بأنّ قراءة النصب تدفع توهم إعراب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صفة غير

(١) ينظر: الأنباريّ، "البيان"، ٢: ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) ينظر: محمد بن الحسن الرضي. "شرح الرضي على الكافية". تحقيق يوسف عمر. (ط٢)، بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، ١٩٩٦م). ٤٦٣: ١.

(٣) ينظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية"، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين. (ط١)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث الإسلامية - مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م). ٣: ١٠٣.

صحيح؛ لأنه يصح أن تعرب صفة، ويكون (كلّ شيء) بدل اشتمال من الضمير (إنّا)؛ فيقع التوهّم الذي فروا من أجله في قراءة الرفع إلا أنّ هذا التوهّم غير صحيح؛ لأنّ المعنى: أنّ كلّ شيء خلقناه بقدر، أي: إنّ مخلوقاتنا بقدر، وهو معنى صحيح ومستقيم.

ومنع أحد الباحثين وجه البدلية في الآية من حيث الصناعة والمعنى، فمن حيث الصناعة يرى أنّ بدل الاشتمال مما اختلف النحاة في كنهه وحقيقته بين من يرى أنّ الأول مشتمل على الثاني أو أنّ الثاني مشتمل على الأول أو أنّ كليهما مشتمل على صاحبه، وما كان كذلك فتوجيه الآية عليه ضعيف، ومن حيث المعنى فإنّه لا يصح أن يوصف الخالق عز وجل بأنّه مشتمل لمخلوقاته؛ لأنّ الاشتمال ليس من صفاته سبحانه، فلا يصح أن يوصف الله سبحانه وتعالى بصفة لم يصف بها نفسه ولا وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم^(١)، وما ذكره الباحث فيه نظر؛ لأنّ المشهور في بدل الاشتمال عند النحاة أنّ الأول مشتمل على الثاني^(٢)، وأنّ المراد بالاشتمال عندهم الارتباط المعنوي بين البديل والمبدل منه^(٣)، وليس المراد به المعنى اللغوي، وهو التغطية والإحاطة، وإلا لكانت مصطلحات النحاة، كالجذر، والنصب ونحوها مما لا يصح أن يخبر بها عن الله عز وجلّ، فضلا عن أنّ المعنى المراد من الآية: أنّ كلّ مخلوقات الله بقدر، وكل ما سوى الله فهو مخلوق.

(١) ينظر: محمد عبد الله السيف. "الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعا ودراسة". (ط١، الرياض: دار التدمرية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م). ٥٩٣ - ٥٩٤.

(٢) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٢٧:١؛ وابن السراج، "الأصول"، ٤٧:٢؛ والحسن بن أحمد الفارسي. "الإيضاح العضدي". تحقيق د. حسن شاذلي فراهود. (ط١، جامعة الرياض: كلية الآداب، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م). ٢٨٤؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣٣٨:٣؛ وأبو حيان، "التذيل"، ٤٣:١٣.

(٣) ينظر: عبد الله بن أحمد الفاكهي. "شرح كتاب الحدود في النحو". تحقيق د. المتولي رمضان أحمد الدميري. (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). ٢٦٥.

رابعاً: أنّ توجيه جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ على أنّها جملة تفسيرية في قراءة النصب ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ لا يلزم عند المعتزلة أن تدل على عموم الخلق؛ لأنهم ينازعون أصلاً في الآيات الأخرى الصريحة على عموم الخلق، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، و﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فيُخْرِجون منها أفعال العباد، ويدخلون فيها كلام الله الذي هو صفة من صفاته، وهذا تناقض عجيب منهم.

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث عدم صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في توجيه إعراب جملة (خلقناه) صفة في قراءة الرفع في هذه المسألة.

المسألة الثانية: موقفه من إعراب جملة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ بالنصب معطوفة على الجملة التي قبلها في قراءة يعقوب في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] يُجْتَمَل في إعراب ﴿وكلمة الله﴾ وجهان:

الوجه الأول: أنّها جملة مستأنفة، ف(كلمة الله) مبتدأ، و(هي العليا) خبر، وذلك على قراءة الرفع عند جمهور القراء، والمعنى: أنّ كلمة الله عالية على الدوام. والوجه الثاني: أنّها جملة معطوفة على (كلمة الذين كفروا)، وذلك على قراءة النصب^(١)، والمعنى: أنّ كلمة الذين كفروا صارت سفلى، وكلمة الله صارت عليا^(١).

(١) قرأ يعقوب وحده من العشرة بالنصب، وقرأ الباقيون بالرفع. ينظر: أحمد بن الحسين النيسابوري. "المبسوط في القراءات العشر". تحقيق سبيع حمزة حاكمي. (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م). ٢٢٧؛ ومحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، "النشر في القراءات العشر". تحقيق علي محمد الضباع. (المطبعة التجارية الكبرى). ٢٧٩: ٢.

واستبعد أبو البركات الأنباري من حيث المعنى قراءة النصب؛ لفساد معناها، لما يلزم عنها من إيهام أنّ كلمة الله لم تكن عالية ثم صارت عالية^(٢)، وهذا التعليل ذكره مكّي^(٣).

المناقشة والترجيح:

١. إنّ فساد المعنى في توجيه إعراب جملة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ معطوفة على ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْسَفًا﴾ في قراءة النصب عند أبي البركات الأنباري يلزم منه أنّ كلمة الله كانت سفلى، فصارت عليا، وهي في الحقيقة لم تزل عليا، ولكن هذا الفساد من حيث الإيهام واللبس فيه نظر؛ لأنّ سياق الآية يمنع ذلك أصلاً، فسياقها يدل على أنّ كلمة الكفر - وهي الشرك بالله من عبادة الأصنام والأوثان -

=

(١) ينظر: الفراء، "معاني القرآن"، ١: ٤٢٨؛ والأخفش، "معاني القرآن"، ١: ٣٥٨، والطبري، "جامع البيان"، ١١: ٤٦٧، والنحاس "إعراب القرآن"، ٢: ١١٩؛ ومكّي، "الهداية"، ٤: ٣٠٠، و"المشكل" له، ٣١٤؛ والحسين بن مسعود البغوي. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين. (ط ٤)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م). ٢: ٣٥٣؛ والزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٢٧٢؛ وابن عطية، "المحرر"، ٢: ٣٦؛ والباقولي، "الجواهر"، ١: ٣٥٦؛ والعكبري، "التبيان"، ٢: ٦٤٥؛ والهمذاني، "الفريد"، ٣: ٢٦٩؛ والقرطبي، "الجامع"، ٨: ١٤٩؛ وأبو حيان، "البحر"، ٥: ٤٢٢؛ والسمين، "الدر"، ٦: ٥٢.

(٢) ينظر: الأنباري، "البيان"، ١: ٤٠٠.

(٣) ينظر: مكّي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمال من فنون علومه". تحقيق: جموعة رسائل جامعية بإشراف د. الشاهد البوشيخي. (ط ١)، جامعة الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م). ٤: ٣٠٠، و"المشكل" له، ٣١٤.

كانت منتشرة وعالية في الأرض، وكانت كلمة الله -وهي كلمة التوحيد المراد بها دين الإسلام^(١)- غير منتشرة في الأرض ولم تكن عالية، فدحض الله الكفار وأهلكهم؛ فصارت كلمة الله في الأرض عالية، وكلمة الكفار سافلة؛ لذا يصحّ مجيء (جعل) بمعنى التصيير الدال على الانتقال من صفة إلى صفة أخرى، ويشهد لصحة ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاقل حميةً، ويقاقل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل"^(٢)، وقراءة أبي بن كعب: {وجعل كلمته هي العليا}^(٣)، والأصل في القراءات توافقها في المعنى^(٤).

وقد ردّ السمين على من اعترض على فساد معنى قراءة النصب بأنه حمل معنى (جعل) في الآية على التصيير الدالّ على الضد الخالص، وهذا غير صحيح، وإما هو بمعنى التصيير الدالّ على الانتقال من صفة إلى صفة أخرى^(٥)، ولكن هذا الرد من السمين غير واضح؛ لأنّ أبا البركات الأنباري وغيره ينازعون أصلاً في دلالة التصيير

(١) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. "معترك الأقران في إعجاز القرآن". (ط١)، بيروت:

دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م). ٣: ٣٩٧.

(٢) ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري. "صحيح البخاري". تحقيق جماعة من العلماء. (ط١)،

بيروت: دار طويق النجاة، ١٣٢٢ هـ). ٣: ٣٤.

(٣) ينظر: ابن عطية، "المحرر" ٣: ٣٦.

(٤) ينظر: عثمان بن عمر ابن الحاجب. "الإيضاح في شرح المفصل". تحقيق د. إبراهيم عبد الله.

(ط١)، دمشق: دار سعد الدين، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م). ١: ٢٨٩، والسمين، "الدر"،

٥٥: ٣، ١٠: ٢٥٣، والسيوطي، "الإتقان"، ١: ٢٥٣.

(٥) ينظر: السمين، "الدر"، ٦: ٥٣.

على التحويل والانتقال، ولو أنّ السمين استدل عليهم بسياق الآية لا تتضح ردّه ولصح المعنى في الآية فضلاً عن أنّه لو قيل بأنّ (جعل) جاءت في الآية بمعنى (وضع) لصح فيها المعنى أيضاً؛ إذ إنّ من معاني (جعل) في اللغة أنّها بمعنى (وضع) ^(١)، ولكن هذا القول تدفعه الصناعة النحوية؛ لما يلزم عن مجيء (جعل) بمعنى (وضع) أن تكون متعدية لواحد، فيكون إعراب {السّفلى} حالاً، وهذا لا يصح؛ لأنّ الأصل في الحال ألا تكون جامدة ولا معرفة ^(٢).

وقد ضعّف بعضهم قراءة النصب أيضاً من حيث الصناعة النحوية بأمرين: الأمر الأول: أنّ فيها وضع الظاهر موضع المضمّر، وهذا ضعيف؛ لأنّ الأصل أن يقال: وكلمته هي العليا لا أن يقال: وكلمة الله هي العليا ^(٣)، ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه؛ لأنّ وضع الظاهر موضع المضمّر يكون ضعيفاً بشرط إن كان في غير موضع التعظيم والتفخيم، والآية جاءت على التفخيم والتعظيم، كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٢]، وهذا من أعلى سنام البلاغة والفصاحة ^(٤).

الأمر الثاني: أنّ (كلمة الله) أكّدت بضمير الرفع (هي)، وهذا ضعيف، وإتما

(١) ومنه جعل الشيء جعلاً، أي: وضعه. ينظر: محمّد مرتضى الزبيدي. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق عبد الستار فراج وآخرين. (ط ١)، الكويت: وزارة الإعلام، ١٣٨٥ هـ - ١٤٢٢ هـ - ١٩٦٥ م - ٢٠٠١ م). ٢٨: ٢٠٦.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٧٦: ٢؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣٢٦: ٢؛ وأبو حيان، "التذيل"، ٣٠: ٩؛ والأنباري، "أسرار العربية"، ١٧٩.

(٣) ينظر: الفراء، "معاني القرآن"، ٤٣٨: ١؛ ومكي، "الهداية"، ٣٠٠٤: ٤؛ و"المشكل" له، ٣١٤؛ والعكبري، "البيان"، ٦٤٥: ٢؛ والهمداني، "الفريد"، ٢٦٩: ٣.

(٤) ينظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ١١٩: ٢؛ والسمين، "الدر"، ٥٣: ٦؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٢٢٩: ١.

يؤكد الاسم الظاهر المنصوب بضمير النصب (إيّاها)، ولكنّ هذا الأمر غير صحيح؛ لأنّ ضمير الرفع (هي) جاءت في الآية للفصل لا للتأكيد؛ لأنّ الضمير لا يؤكد الاسم الظاهر^(١).

٢. إنّ ترجيح أبي البركات الأنباريّ قراءة الرفع على قراءة النصب اعتماداً على صحة معناها وقراءة أكثر القرّاء بها فيه نظر؛ لما يلي:

أولاً: أنّ المفاضلة بين القراءات ولا سيما المتواترة من حيث المعنى مخالف للأصل؛ لأنّ الأصل في القراءات اتّفاقها في المعنى فضلاً عن أنّ الاستدلال بقراءة أكثر القراء لا يعدّ دليلاً على صحة معنى قراءة الرفع وفصاحته على قراءة النصب، وإنّما يعدّ دليلاً على قوّة ثبوت تلك القراءة من حيث السند فقط^(٢)، لا من حيث المعنى.

ثانياً: أنّ القول بأنّ معنى قراءة الرفع صحيح وغير ملبس؛ لأنّ كلمة الله لا تزال عالية يلزمهم أن يقولوا بأنّ كلمة الكفر لا تزال سافلة، ولكنّهم لم يقولوا بذلك، بل قالوا بالتصيير والانتقال فيها، وهذا من التناقض، لكنّ المعنى العام يدلّ على علو كلمة الله، وأنّ كلمة الكفر سافلة.

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث عدم صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباريّ من فساد المعنى في توجيه إعراب جملة (وكلمة الله) معطوفة على (كلمة الذين كفروا السفلى) في قراءة النصب في هذه المسألة.

المسألة الثالثة: موقفه من تعلّق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ﴿مَقْتِكُمْ﴾ في قوله تعالى:

(١) ينظر: الزمخشري، "المفصل"، ١٤٦؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢٢:٢، والسمين، "الدر"، ٥٣:٦.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباريّ. "لمع الأدلة". تحقيق سعيد الأفغاني. (ط٢)، دار الفكر، ١٩٧١م). ١٣٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى
الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]

يُحْتَمَلُ فِي مُتَعَلِّق ﴿إِذْ﴾ الظرفية أربعة أوجه:

الوجه الأول: أنها متعلقة بـ(لمقت الله)، والمعنى: لمقت الله إياكم في الدنيا حين
دعيتم إلى الإيمان فكفرتم أكبر من مقتكم أنفسكم في الآخرة.
والوجه الثاني: أنها متعلقة بـ(مقتكم)، والمعنى: لمقت الله إياكم في الآخرة أكبر من
مقتكم أنفسكم في الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم.
والوجه الثالث: أنها متعلقة بـ(تدعون)، والمعنى: لمقت الله إياكم في الدنيا حين
دعيتم إلى الإيمان فكفرتم أكبر من مقتكم أنفسكم في الآخرة.
والوجه الرابع: أنها متعلقة بفعل محذوف تقديره: (مقتكم)، والمعنى: لمقت الله
إياكم أكبر من مقتكم أنفسكم، مقتكم حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم، أو تقديره:
(اذكروا)، والمعنى: لمقت الله إياكم في الآخرة أكبر من مقتكم أنفسكم، اذكروا حين
دعيتم إلى الإيمان فكفرتم^(١).

وردّ أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثاني؛ لفساد معناه؛ لأنهم لم
يمقتوا أنفسهم في الدنيا، وإنما دُعوا إلى الإيمان فيها، ولكنهم مقتوا أنفسهم في الآخرة

(١) ينظر: الفارسي، "الحجة"، ٢٢٦:٥؛ و"الإغفال" له، ٤٢:٢؛ وابن جني، "الخصائص"،
٢٥٩:٣؛ ومكي، "المشكل"، ٥٨٧؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١٠٢٧:٢؛ وابن
عطية، "المحرر"، ٥٤٩:٤؛ والباقولي، "الكشف"، ١١٧٤:٢؛ و"الجواهر" له، ١٠٨١:٢؛
والعكبري، "البيان"، ١١١٦:٢؛ والهمداني، "الفريد"، ٤٧٨:٥؛ وابن الحاجب، "أمالي ابن
الحاجب"، ١٤١:١؛ وأبو حيان، "البحر"، ٢٤٠:٩؛ والسمين، "الدر"، ٤٦١:٩؛ وابن
هشام، "المغني"، ٦٩٩؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٣٠٤:١٢.

عند دخولهم النار^(١)، وهذا التعليل ذكره أبو علي الفارسي وابن جني ومكي وتاج القراء والباقولي^(٢).

المناقشة والترجيح:

١. إنّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في تعلّق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ {مَقْتِكُمْ} وجيه؛ إذ إنّهُ يلزم عنه أنّ الكفّار مقتوا أنفسهم وقت دعوتهم إلى الإيمان، وهذا غير صحيح عقلاً؛ لأنّهم كانوا لكفرهم وعدم إيمانهم محبّين ومستمسكين، وإنّما مقتوا أنفسهم في الآخرة حين دخلوا النار إلا أنّ ابن الحاجب ردّ فساد هذا المعنى بأمرين^(٣):

الأمر الأول: أنّه على سبيل التأويل بالمجاز، وذلك بإنزال السبب -وهو كفرهم بالدعوة إلى الإيمان- منزلة المسبب وهو مقتهم لأنفسهم؛ لقيام الحجة عليهم وتحقيق ما توعدوا به من العذاب جزاء كفرهم وعدم إيمانهم، ووافقه البيضاوي والشهاب الخفاجي^(٤)، ولكنّ الباحث يرى أنّ التأويل بالمجاز يخرج دلالة (إِذْ) من معنى الظرفية إلى السببية، والأصل في الكلام حمله على الحقيقة لا على المجاز فضلاً عن أن المعنى يصير مقلوباً، والأصل في الكلام حمله على ظاهره من غير تقديم ولا تأخير.

(١) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٣٢٩:٢.

(٢) ينظر: الفارسي، "الحجة"، ٢٢٦:٥؛ و"الإغفال" له، ٤٢:٢؛ و"الشيرازيات" له، ٦١٧؛ وابن جني، "الخصائص"، ٢٥٩:٣؛ ومكي، "المشكل"، ٥٨٧؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١٠٢٧:٢؛ والباقولي، "الكشف"، ١١٧٤:٢؛ و"الجواهر" له، ١٠٨١:٢.

(٣) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب"، ١٤١:١.

(٤) ينظر: عبد الله بن عمر البيضاوي. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ). ٥٣:٥؛ والخفاجي، "عناية القاضي"، ٣٦٠:٧.

والأمر الثاني: أنَّ المراد بـ(أنفسكم) أمثالكم من المؤمنين؛ فيكون الكفار مقتوا المؤمنين حين دعوهم للإيمان، فلم يمحقتوا بعضهم بعضاً، ولكن سياق الآية يخالف ذلك فضلاً عن أنَّ هذا المعنى فيه تكلف وبعد لا يخفى^(١).

٢. إنَّ تعلق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ(المصدر) {لمقت الله} صحيح من حيث المعنى إلا أنَّ أبا البركات الأنباري رد هذا الوجه من حيث الصناعة؛ لأنَّه لا يصح الفصل بين المصدر الموصول ومعموله بفاصل أجنبي وهو الخبر (أكبر)، فلا يُخبر عن المصدر الذي بقي من معموله بقية^(٢)، وهو اعتراض وجيه؛ لأنَّ معمول المصدر بمنزلة الصلة من الموصول، فلا يفصل بينهم بفاصل مطلقاً^(٣)، ولكن بعض النحويين أجاز الفصل بينهما في مسألتين:

الأولى: إن كان الفاصل الظرف والجار والمجرور؛ لأنه يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرها، وهذا ما ذهب إليه الكوفيون وابن الحاجب^(٤).

والثانية: إن كان المصدر غير موصول؛ لأنَّه يستباح فيه ما لا يستباح في المصدر الموصول، وهذا ما ذهب إليه ابن مالك والرضي وأبو حيان وابن عقيل^(٥). وهاتان المسألتان مما لم يتفق عليه النحاة، والأولى في توجيه إعراب القرآن الكريم

(١) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، ١٢: ٣٠٤.

(٢) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٢: ٣٢٩.

(٣) ينظر: الفارسي، "الإيضاح"، ١٤٢؛ وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. "المقتصد في شرح الإيضاح". تحقيق: كاظم بحر المرجان. (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). ١: ٥٥٧؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٢: ٢٣٢.

(٤) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب"، ١: ١٤١؛ والسيوطي، "الهمع"، ١: ٣٤٢.

(٥) ينظر: ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ١١٤؛ والرضي، "شرح الكافية"، ٢: ٤٠٦؛ وأبو حيان "التذيل"، ١١: ٧٧؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٢: ٢٣٣.

توجيهه على ما لا خلاف فيه^(١).

٣. إنّ تعلق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ {تدعون} صحيح من حيث المعنى إلا أنّ أبا البركات الأنباري رد هذا الوجه من حيث الصناعة؛ لأنّ (إِذْ) تضاف إلى ما بعدها، وما بعدها مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف^(٢)، وهو اعتراض وجيه؛ لأنّ المضاف إليه حلّ محل التنوين من المضاف، فهو بمنزلة جزء من أجزاء المضاف^(٣)، ومن ثمّ لا يصح أن يعمل المضاف إليه في المضاف بلا خلاف^(٤).

٤. إنّ تعلق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بفعل محذوف تقديره: (مَقَّتَكُم) أي: مَقَّتَكُم حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم أو تقديره: (اذكروا) أي: اذكروا حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم، وهذا الوجه هو الذي رجّحه أبو البركات الأنباري من حيث المعنى والصناعة^(٥)، وهو كما قال؛ لأنّه لا بد من تقدير محذوف لتصح الصناعة إلا أنّ الأصل في تقدير المحذوف أن يكون من لفظ المذكور مهما أمكن^(٦)، فيكون الراجح تقدير الفعل (مَقَّتَكُم) على (اذكروا)، وهذا التقدير هو الذي رجّحه الجمهور^(٧).

(١) ينظر: أبو حيان، "البحر"، ٥٢١:٢، ٤: ١٣٦، ٨٨؛ والسمين، "الدر"، ١٠: ٢٧٨.

(٢) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٣٢٩:٢؛ و"منثور الفوائد" تحقيق د. حاتم صالح الضامن. (ط ١)، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م). ٧٢.

(٣) ينظر: ابن الشجري، "الأُمالي"، ١: ٢٦٨.

(٤) ينظر: ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد. "شرح المقدمة المحسبة". تحقيق خالد عبدالكريم. (ط ١)، الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٧م). ١: ١٨٢.

(٥) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٣٢٩:٢؛ و"منثور الفوائد" له، ٧٢.

(٦) ينظر: ابن هشام، "المغني"، ٨٠٤.

(٧) ينظر: الفارسي، "الحجة"، ٢٢٦:٥؛ والفارسي، ٤٢:٢؛ و"الشيرازيات" له، ٦١٧؛ وابن

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في تعلق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ {مَقْتِكُمْ} في هذه المسألة.

المسألة الرابعة: موقفه من تعلق ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿لِقَادَرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لِقَادَرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]

يُجْتَمَل في إعراب ﴿يَوْمَ﴾ إعرابان:

الإعراب الأول: أنه ظرف زمان، وفي متعلّقه أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون متعلّقًا بالمصدر {رَجْعُهُ}، والضمير في (رجعه) يعود على الإنسان، والمعنى: إنّ الله على رجوع الإنسان يوم تبلى السرائر لقادر.

والوجه الثاني: أن يكون متعلّقًا بفعل محذوف تقديره: (يرجعه)، دل عليه قوله: {رَجْعُهُ}، والضمير في (رجعه) يعود على الإنسان، والمعنى: إنّ الله على رجوع الإنسان لقادر يرجعه يوم تبلى السرائر.

والوجه الثالث: أن يكون متعلّقًا باسم الفاعل {لِقَادَرٍ}، والضمير في (رجعه) يعود على الإنسان، والمعنى: إنّ الله لقادر يوم تبلى السرائر على رجوع الإنسان.

والوجه الرابع: أن يكون متعلّقًا باسم الفاعل {لِقَادَرٍ}، والضمير في (رجعه) يعود على الماء، والمعنى: إنّ الله لقادر يوم تبلى السرائر على رجوع الماء في الصلب.

الإعراب الثاني: أنه مفعول به بفعل محذوف تقديره: (اذكر)، والضمير في (رجعه) يعود على الماء، والمعنى: إنّ الله على إرجاع الماء في الصلب لقادر، واذكر يوم تبلى

=

جني، "الخصائص"، ٣: ٢٥٩؛ وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ٢: ١٠٢٧؛ وابن عطية، "المحرر"، ٤: ١٣٩؛ والباقولي، "الكشف"، ٢: ١١٧٤؛ و"الجواهر" له، ٢: ١٠٨١؛ والعكبري، "البيان"، ٢: ١١١٦؛ والهمداني، "الفريد"، ٥: ٤٧٨؛ وابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب"، ١: ١٤١؛ وأبو حيان، "البحر"، ٩: ٢٤٠؛ والسمين، "الدر"، ٩: ٤٦١؛ وابن هشام، "المغني"، ٦٩٩؛ والألوسي، "روح المعاني"، ١٢: ٣٠٤.

السرائر^(١).

ورد أبو البركات الأنباري من حيث المعنى الوجه الثالث والرابع؛ لفساد معناهما؛ لما يلزم عنه في الوجه الثالث من تحديد قدرة الله بوقت معين، وقدرة الله عامة لا محددة بوقت^(٢)، وهذا التعليل ذكره ابن جني والباقولي^(٣)؛ ولما في الوجه الرابع من عدم دلالة السياق على الإخبار بقدرة الله على رد الماء في الصلب يوم القيامة^(٤)، وهذا التعليل ذكره مكي^(٥).

المناقشة والترجيح:

١. إنَّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في تعلّق ﴿يوم﴾ بـ {لقادر} في الوجه الثالث بحجة أنّ فيه إيهاً بأنّ قدرة الله مخصصة بوقت معين، وقدرة الله عامة

(١) ينظر: الحسن بن أحمد الفارسي. "المسائل الشيرازيات". تحقيق حسن هنداي، (ط ١، الرياض: كنوز إشبيلية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م). ٦١٧؛ وابن جني، "الخصائص"، ٤٠٤:٢؛ ومكي، "المشكل"، ٧٦٦، والمجاشعي، "النكت"، ٥٥٠، وتاج القراء، "غرائب التفسير"، ١٣٢٨:٢ والزنجشيري، "الكشاف"، ٧٣٦:٤؛ وابن عطية، "المحرر"، ٤٦٦:٥؛ والباقولي، "الكشف"، ١٤٤٨:٣؛ و"الجواهر" له، ١٠٨٢:٢؛ و"الاستدراك" له، ٦١٩؛ وابن الأثير، "البديع"، ٥٢٤:١؛ والعكبري، "التبيان"، ١٢٨١:٢؛ والهمداني، "الفريد"، ٣٧٨:٦؛ وأبو حيان، "البحر"، ٤٥٢:١٠؛ والسمين، "الدر"، ٧٥٥:١٠؛ وابن هشام، "المغني"، ٧٠٠؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٣١٠:١٥.

(٢) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٥٠٧:٢.

(٣) ينظر: ابن جني، "الخصائص"، ٤٠٤:٢؛ والباقولي، "الكشف"، ١٤٤٨:٣؛ و"الجواهر" له، ١٠٨٢:٢؛ و"الاستدراك" على أبي علي في الحجة". تحقيق د. محمد الدالي. (ط ١، الكويت: مكتبة البابطين المركزية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). ٦١٩.

(٤) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٥٠٧:٢.

(٥) ينظر: مكي، "المشكل"، ٥٨٧.

لا خاصة فيه نظر؛ لأنه لا يخفى بالدليل الخارجي أنّ الله سبحانه قادر في كل وقت وفي كل زمان، قال تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقُدْرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وإنما خص قدرته سبحانه وتعالى في هذا اليوم؛ لأنه اليوم العظيم الذي أنكره الكفار ولم يؤمنوا به، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الإنفطار: ٢]، ﴿وَالْمَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، والأمر والملك لله في يوم القيامة وفي غير يوم القيامة؛ فتخصيص قدرته سبحانه في ذلك اليوم العظيم يدل من باب أولى على قدرته في غيره، وإلى هذا ذهب أبو علي الفارسي وابن عطية^(١)؛ ولكنّ أبا علي خالف ما ذهب إليه في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فقد ردّ إعراب (حيث) ظرفاً؛ لفساد معنى الظرفية فيها، لما يلزم من تخصيص علم الله بمكان معين، والله سبحانه لا يوصف بهذا^(٢)، وهذا فيه نظر؛ لأنه لا يخفى بالدليل الخارجي أنّ علم الله سبحانه مطلق واسع غير مخصص ولا مقيد، قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الأعراف: ٨٩]، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦]، فتخصيص علمه سبحانه بمكان معين يدل من باب أولى على علمه بغيره.

٢. إنّ فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري في تعلق ﴿يوم﴾ بـ {لقادر} في الوجه الرابع وجيه؛ لأنّ السياق كما أشار أبو البركات لا يدل على أن المراد من الآية بيان قدرة الله على رجوع الماء في الصلب يوم القيامة، ويؤيد ما ذهب إليه أبو البركات ما يلي:

(١) ينظر: الفارسي، "الشيرازيات"، ٦١٧؛ وابن عطية، "المحرر"، ٤٦٦: ٥.

(٢) ينظر: الفارسي، "الحجة"، ٢٤٤: ٣.

أولاً: أنّ رجوع الماء في الصلب ليس فيه شيء سوى إثبات القدرة لله، وهذا أمر لم ينكره الكفار في حين أنّ رجوع الإنسان بعد الموت هو الذي أنكره الكفار؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث والنشور يوم القيامة، وعليه جاءت آيات كثيرة في هذه القضية الإيمانية منها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩]، و﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

ثانياً: أن هذا المعنى (رجوع الماء في الصلب) يخالف المعهود في طريقة القرآن في البيان وهي الاستدلال بالمبدأ على المعاد فضلاً عن أنه لم يأت له نظير واحد في القرآن الكريم، والأصل حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله. ثالثاً: أن الأصل في الضمير إعادته إلى المحدث عنه، والمحدث عنه في الآيات السابقة هو الإنسان، ويدل عليه قوله تعالى: (فماله من قوة ولا ناصر)، وهذا الضمير عائد للإنسان لا للماء فضلاً عن أنّ الأولى في الضمائر توحيد مرجعها في السياق الواحد لا تفريقها^(١).

٣. إنّ تعلق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ بالمصدر {رجعه} صحيح من حيث المعنى إلا أنّ أبا البركات الأنباري ردّ هذا الوجه من حيث الصناعة؛ لأنّه لا يصح الفصل بين

(١) ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم. "التبيين في أيمان القرآن". تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي. (ط ٤)، الرياض: دار عطاءات العلم - بيروت: دار ابن حزم، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م). ١٦٥؛ والحربي، "قواعد الترجيح"، ١: ١٥٧، ٢: ٢٣٢، ٢٤١.

المصدر (رجعه) ومعموله بفاصل أجنبي وهو (لقادر)^(١)، وهو اعتراض وجيه؛ لأنه لا يُخبر عن المصدر قبل تمام صلته^(٢)، فمعمول المصدر بمنزلة الصلة من الموصول، فلا يفصل بينهم بفاصل مطلقاً^(٣)، ولكن بعض النحويين أجاز الفصل في الظرف والجار والمجرور؛ لأنه يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرها، وفي المصدر غير موصول؛ لأنه يستباح فيه ما لا يستباح في المصدر الموصول^(٤)، إلا أنّ ذلك ليس محل اتفاق بين النحويين كما سبق بيانه؛ لأنّ الأولى في توجيه إعراب القرآن الكريم توجيهه على ما لا خلاف فيه^(٥).

٤. إنّ تعلّق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ بفعل محذوف تقديره: (يُرجعه) كما ذهب إليه أبو البركات الأنباري صحيح من حيث المعنى والصناعة، فمن حيث المعنى فهو القول الذي يدل عليه سياق الآيات من أنّ الله على رجوع الإنسان يوم تبلى السرائر لقادر، ومن حيث الصناعة فإنه لا خلاف في هذا التوجيه بين النحويين، وما لا خلاف فيه مقدم على ما فيه خلاف، وإن كان يחדش هذا التوجيه ما فيه من حاجة إلى التقدير، والأصل في الكلام عدم التقدير إلا أنّ هذا التقدير لا بدّ منه ليستقيم به المعنى، فيكون التقدير: إنه على رجعه لقادر يرجعه يوم تبلى السرائر.

(١) ينظر: الأنباري، "البيان"، ٣٢٩:٢؛ وأيضاً: "منثور الفوائد" له، ٧٢.

(٢) ينظر: ابن مالك، "شرح الكافية"، ١٠٢٠:٢.

(٣) ينظر: الفارسي، "الإيضاح"، ١٤٢؛ والرجاني، "المقتصد"، ٥٥٧:١؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٢٣٢:٢.

(٤) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب"، ١٤١:١؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ١١٤:٣؛ والرضي، "شرح الكافية"، ٤٠٦:٢؛ وأبو حيان "التذيل"، ٧٧:١١؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٢٣٣:٢؛ والسيوطي، "الهمع"، ٣٤٢:١؛

(٥) ينظر: أبو حيان، "البحر"، ٥٢١:٢، ٤، ٨٨، ١٣٦؛ والسمين، "الدر"، ٢٧٨:١٠.

٥. إنَّ تعلّق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ بفعل محذوف تقديره: (اذكر) كما ذهب إليه أبو البركات الأنباريّ فيه نظر من حيث الصناعة والمعنى، فمن حيث الصناعة فإنّ في هذا التوجيه حذفًا وتقديرًا، والأصل في الكلام عدم الحذف والتقدير^(١)، ومن حيث المعنى فإن سياق الآيات كلها يتمحور عن الإنسان؛ إذ هو المحدث عنه كما سبق بيان ذلك.

وبناء على ما سبق يترجح لدى الباحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباريّ من فساد المعنى في تعلّق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ بـ {لقادر} في الوجه الرابع، وعدم صحة ما ذهب إليه في الوجه الثالث.

(١) ينظر: الأنباري، "أسرار العربية"، ١٢٤؛ والحري، "قواعد الترجيح"، ٧٣: ٢.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

١. اهتمام أبي البركات الأنباري ببيان فساد المعنى في إعراب المفردات والجمل وأشباهها في القرآن الكريم في كتابه (البيان في غريب إعراب القرآن).

٢. لم يذكر أبو البركات الأنباري أسماء العلماء السابقين الذين تأثر بهم مباشرة أو نقل عنهم في مسائل فساد المعنى في التوجيه الإعرابي، وقد ظهر تأثره الضمني بسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني والباقولي ومكي بن أبي طالب وابن عطية، وإن كان تأثره بمكي أكثر من غيره، ومع ذلك لم يصرح بأسمائهم.

٣. لم يسلم فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري من اختلاف النحاة وغيرهم فيه، وذلك في المسائل الآتية:

- إعراب ﴿يَوْمًا﴾ ظرف زمان.
- إعراب ﴿وَصَدَّ﴾ معطوف على ﴿كَبِيرٌ﴾ أو أنه مبتدأ وخبره محذوف.
- إعراب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صفة في قراءة من قرأ برفع (كل).
- تعلق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ ﴿مَقْتِكُمْ﴾.
- تعلق ﴿يَوْمٌ﴾ بـ ﴿لِقَادِرٍ﴾.

٤. أسباب فساد المعنى عند أبي البركات الأنباري أربعة، وهي:

- مخالفة المعنى للسياق.
- استحالة المعنى عقلا.
- إيهام المعنى والتباسه بغيره.
- مخالفة المعنى للعقيدة.

٥. وافق البحث صحة ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في المسائل الآتية:

- إعراب ﴿أَنْ يَنْكَحَ﴾ مفعولا به للفعل (يستطيع).
 - إعراب ﴿رَزَقَا﴾ مفعولا مطلقاً
 - إعراب ﴿وَصَدَّ﴾ معطوف على ﴿كَبِيرٌ﴾ أو أنه مبتدأ وخبره محذوف.
 - إعراب ﴿أَوْ يَرْسَلْ﴾ مصدرًا معطوفاً على المصدر المؤول ﴿أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ﴾.
 - تعلّق ﴿إِذْ﴾ الظرفية بـ ﴿مُقْتَكَمٌ﴾.
 - تعلّق ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿لِقَادِرٌ﴾ في الوجه الخامس.
٦. لم يوافق الباحث ما ذهب إليه أبو البركات الأنباري من فساد المعنى في المسائل الآتية:
- إعراب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صفة في قراءة من قرأ برفع (كل).
 - إعراب جملة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ بالنصب معطوفة على الجملة التي قبلها.

- تعلّق ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿لِقَادِرٌ﴾ في الوجه الثالث.
٧. تفرد أبو البركات الأنباري بذكر سبب فساد المعنى في المسألة الآتية، وهي:
- إعراب ﴿أَنْ يَنْكَحَ﴾ مفعولا به للفعل (يستطيع).
٨. يوصي الباحث بإفراد هذا الموضوع برسالة علمية تستقصي جميع مسائل الأعراب المفسدة للمعنى عند أبي البركات الأنباري في كتابه "البيان في غريب إعراب القرآن".
- والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيّنا محمدٍ وآله وصحبه.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد. "البديع في علم العربية". تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين. (ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ).
- الأخفش، سعيد بن مسعدة. "معاني القرآن". تحقيق د. هدى قراعة، (ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- الألوسي، محمود بن عبد الله. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي عبد الباري عطية، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. "أسرار العربية". (ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. "البيان في غريب إعراب القرآن". تحقيق د. طه عبد الحميد، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. "لمع الأدلة". تحقيق سعيد الأفغاني. (ط ٢، دار الفكر، ١٩٧١م).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. "منثور الفوائد". تحقيق د. حاتم صالح الضامن. (ط ١، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م).
- ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد. "شرح المقدمة المحسبة". تحقيق خالد عبدالكريم. (ط ١، الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٧م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". تحقيق جماعة من العلماء. (ط ١، بيروت: دار طويق النجاة، ١٣٢٢هـ).
- البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين. (ط ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- تاج القراء، محمود بن حمزة. "غرائب التفسير وعجائب التأويل". (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية - بيروت: مؤسسة علوم القرآن).
- الباقولي، علي بن الحسن. "جواهر القرآن ونتائج الصنعة". تحقيق د. محمد الدالي. (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).
- الباقولي، علي بن الحسن. "الاستدراك على أبي علي في الحجة". تحقيق د. محمد الدالي. (ط١، الكويت: مكتبة البابطين المركزية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- الباقولي، علي بن الحسن. "كشف المشكلات وإيضاح العضلات". تحقيق د. محمد الدالي. (ط١، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٥م).
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. "المقتصد في شرح الإيضاح". تحقيق: كاظم بحر المرجان. (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، "النشر في القراءات العشر". تحقيق علي محمد الضباع. (المطبعة التجارية الكبرى).
- ابن جني، عثمان بن جني. "الخصائص". تحقيق محمد النجار، (دار الكتب المصرية).
- ابن جني، عثمان بن جني. "المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين. (القاهرة: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "أمالي ابن الحاجب". تحقيق فخر قدارة. (الأردن: دار عمار، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "الإيضاح في شرح المفصل". تحقيق د. إبراهيم عبد الله. (ط١، دمشق: دار سعد الدين، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "الكافية في علم النحو". تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر. (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).
- الحري، د. حسين بن علي بن حسين. "قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية". (ط٢، السعودية: دار القاسم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف. "التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق د. حسن هنداوي. (ط١، دمشق: دار القلم - الرياض: كنوز إشبيلية، ١٤١٨هـ - ١٤٤٠هـ، ١٩٩٧م - ٢٠١٩م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف. "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق رجب عثمان محمد. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر. "عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي"، (بيروت: دار صادر).
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد. "مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع". نشره برجستراسر. (مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٤م).
- الرضي، محمد بن الحسن. "شرح الرضي على الكافية". تحقيق يوسف عمر. (ط٢، بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، ١٩٩٦م).
- الزبيدي، محمد مرتضى. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق عبد الستار فراج وآخرين. (ط١، الكويت: وزارة الإعلام، ١٣٨٥هـ - ١٤٢٢هـ - ١٩٦٥م - ٢٠٠١م).
- الزجاج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق عبد الجليل شلي. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. "مجالس العلماء". تحقيق عبد السلام محمد هارون.

- (ط٢)، القاهرة: مكتبة الخانجي - الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣ هـ - (١٩٨٣م).
- الزركشي، محمد بن عبد الله. "البرهان في علوم القرآن". تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١)، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركائه، (١٩٥٧م).
- الرمحشيري، محمود بن عمر. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٠٧هـ).
- الرمحشيري، محمود بن عمرو بن أحمد. "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق د. علي بو ملحم. (ط١)، بيروت: مكتبة الهلال، (١٩٩٣م).
- ابن السراج، محمد بن سهل. "الأصول في النحو". تحقيق د. عبدالحسين الفتلي. (ط٣)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٩٨٨م).
- سلطان العلماء، عبد الغزيز بن عبد السلام. "مجاز القرآن". تحقيق مصطفى محمد الذهبي. (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٩م).
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق د. أحمد الخراط. (ط١)، دمشق: دار القلم).
- سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون. (ط٣)، القاهرة: (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- السيرافي، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد مهدي وعلي سيد. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٨م).
- السيف، محمد عبد الله. "الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم

- جمعاً ودراسة". (ط١، الرياض: دار التدمرية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الإتقان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "معترك الأقران في إعجاز القرآن". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "مع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق عبد الحميد هندراوي. (مصر: المكتبة التوفيقية).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين. (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث الإسلامية - مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- ابن الشجري، هبة الله بن علي. "أمالي ابن الشجري". تحقيق د. محمود الطناحي. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م).
- الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق د. عبدالله التركي. (ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
- ابن عقيل، عبدالله بن عبدالله. "المساعد على تسهيل الفوائد". تحقيق محمد بركات. (ط١، جامعة أم القرى، دمشق: دار الفكر، جدة: دار المدني، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- العكبري، عبد الله بن الحسين. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد

- البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه).
العمادي، محمد بن مصطفى أبو السعود. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
الغزالي، محمد بن محمد. "المستصفى". تحقيق محمد عبد السلام، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "الإغفال". تحقيق د. عبد الله بن عمر الحاج. (أبو ظبي: المجمع الثقافي، دبي: مركز جمعة الماجد، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "الإيضاح العضدي". تحقيق د. حسن شاذلي فرهود. (ط١، جامعة الرياض: كلية الآداب، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "الحجة للقراء السبعة". تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجايي. (ط٢، دمشق/ بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل الشيرازيات". تحقيق حسن هنداي، (ط١، الرياض: كنوز إشبيلية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
الفاكهى، عبد الله بن أحمد. "شرح كتاب الحدود في النحو". تحقيق د. المتولي رمضان أحمد الدميري. (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
الفراء، يحيى بن زياد. "معاني القرآن". تحقيق أحمد النجاشي وآخرين. (ط١، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة).
القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. "التيبان في أيمان القرآن". تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي. (ط٤، الرياض: دار عطاءات العلم - بيروت: دار ابن حزم، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).

- ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق د. عبد الرحمن السيد ود. محمد المختون. (ط ١، مصر: دار هجر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح الكافية الشافية". تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي. (ط ١، جامعة أم القرى: دار الأمان للتراث، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- المبرد، محمد بن يزيد. "المقتضب". تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. (بيروت: عالم الكتب).
- المجاشعي، علي بن فضال. "النكت في القرآن"؛ تحقيق د. عبد الله عبد القادر الطويل. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى. "السبعة في القراءات". تحقيق د. شوقي ضيف. (ط ٢، مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ).
- مكي، مكي بن أبي طالب. "مشكل إعراب القرآن". تحقيق ياسين محمد السواس. (ط ٢، دمشق/بيروت: دار اليمامة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- مكي، مكي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه". تحقيق: جموعة رسائل جامعية بإشراف د. الشاهد البوشيخي. (ط ١، جامعة الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- النحاس، أحمد بن محمد. "إعراب القرآن". تحقيق زهير غازي زاهد. (ط ٢، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- النووي، يحيى بن شرف. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
- النيسابوري، أحمد بن الحسين. "المبسوط في القراءات العشر". تحقيق سبيع حمزة حاكيمي. (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م).
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك". تحقيق محمد

- محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٥هـ).
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).
- الهمداني، المنتجب بن أبي العز بن رشيد. "الفريد في إعراب القرآن المجيد". تحقيق محمد نظام الدين الفتيح. (ط١، المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- الواحدي، علي بن أحمد بن محمد. "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش. "شرح المفصل"، (بيروت: عالم الكتب).

Bibliography

- Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad. "al-Badī' fī 'ilm al-'Arabīyah". Investigated by: Dr. Faṭḥī Aḥmad 'Alī al-Dīn. (1st ed., Makkah al-Mukarramah : Umm Al-Qura University, 1420 AH).
- al-Akhfash, Sa'īd ibn Mas'adah. "Ma'ānī al-Qur'ān". Investigated by: Dr. Hudá Qurrah, (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1411 AH-1990).
- al-Alūsī, Maḥmūd ibn 'Abdillāh. "Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm wa-al-Sab' al-Mathānī". Investigated by: 'Alī 'Abd al-Bārī 'Aṭīyah, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1415AH-1994).
- al-Anbārī, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. "Asrār al-'Arabīyah". (1st ed., Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, 1420AH-1990).
- al-Anbārī, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. "al-Bayān fī Gharīb I'rāb al-Qur'ān". Investigated by: Dr. Ṭāḥā 'Abd al-Ḥamīd, (al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1400AH-1980).
- al-Anbārī, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. "Luma' al-Adillah". Investigated by: Sa'īd al-Afghānī. (2nd ed., Dār al-Fikr, 1971).
- al-Anbārī, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. "Manthūr al-Fawā'id". Investigated by: Dr. Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin. (1st ed., Beirut: Dār al-Rā'id al-'Arabī, 1420AH-1990).
- Ibn Bābshādh, Ṭāhir ibn Aḥmad. "Sharḥ al-Muqaddimah al-Muḥsibah". Investigated by: Khālīd 'Abd-al-Karīm. (1st ed., Kuwait: al-Maṭba'ah al-'Aṣrīyah, 1977).
- al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. "Ṣaḥīḥ al-Bukhārī". Investigated by: a group of scholars. (1st ed., Beirut: Dār Ṭuwayq al-Najāh, 1322 AH).
- al-Baghawī, al-Ḥusain ibn Mas'ūd. "Ma'ālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad 'Abdullāh al-Nimr et al. (4th ed., Dār Ṭaibah, 1417AH-1997).
- Ṭāj al-Qurrā', Maḥmūd ibn Ḥamzah. "Gharā'ib al-Tafsīr wa-'Ajā'ib al-Ta'wīl". (Jeddah: Dār al-Qiblah -Beirut: Mu'assasat 'Ulūm al-Qur'ān).
- al-Bāqūlī, 'Alī ibn al-Ḥasan. "Jawāhir al-Qur'ān wa-Natā'ij al-Ṣan'ah". Investigated by: Dr. Muḥammad al-Dālī. (1st ed., Damascus: Dār al-Qalam, 1440AH-2119).
- al-Bāqūlī, 'Alī ibn al-Ḥasan. "al-Istidrāk 'alā Abī 'Alī fī al-Ḥujjah". Investigated by: Dr. Muḥammad al-Dālī. (1st ed., Kuwait:

- Maktabat al-Bābatīn al-Markazīyah, 1428 AH-2007).
- al-Bāqūlī, ‘Alī ibn al-Ḥasan. "Kashf al-Mushkilāt wa-Īdāḥ al-Mu‘ḍilāt". Investigated by: Dr. Muḥammad al-Dālī. (1st ed., Damascus: Maṭbū‘āt Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah be-Damascus, 1995).
- al-Baidāwī, ‘Abdullāh ibn ‘Umar ibn Muḥammad. "Anwār al-Tanzīl wa-Asrār al-Ta’wīl". Investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī. (1st ed., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1418 AH).
- al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir ibn ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. "al-Muqtaṣid fī Sharḥ al-Īdāḥ". Investigated by: Kāzīm Baḥr al-Marjān. (Baghdad: Ministry of Culture and Information, 1402 AH-1982).
- Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Yūsuf, "al-Nashr fī al-Qirā’āt al-‘Asharr". Investigated by: ‘Alī Muḥammad al-Ḍabbā‘. (al-Maṭba‘ah al-Tijārīyah al-Kubrā).
- Ibn Jinnī, ‘Uthmān ibn Jinnī. "al-Khaṣā’iṣ". Investigated by: Muḥammad al-Najjār, (Dār al-Kutub al-Miṣrīyah).
- Ibn Jinnī, ‘Uthmān ibn Jinnī. "al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh Shawādh al-Qirā’āt wa-al-Īdāḥ ‘anhā". Investigated by: ‘Alī al-Najdī Nāṣif et al. (Cairo: Ministry of Endowments - Supreme Council for Islamic Affairs, 1386 AH-1966).
- al-Ḥarbī, Dr. Ḥusain ibn ‘Alī ibn Ḥusain. "Qawā’id al-Tarjīḥ ‘inda al-Mufasssīrīn Dirāsah Naẓarīyat Taṭbīqīyah". (2nd ed., Saudi: Dār al-Qāsim, 1429 AH-2008).
- Ibn al-Ḥājjib, ‘Uthmān ibn ‘Umar. "Amālī Ibn al-Ḥājjib". Investigated by: Fakhr Qadārah. (Jordan: Dār ‘Ammār, Beirut: Dār al-Jīl, 1409 AH-1989).
- Ibn al-Ḥājjib, ‘Uthmān ibn ‘Umar. "al-Īdāḥ fī Sharḥ al-Mufaṣṣal". Investigated by: Dr. Ibrāhīm ‘Abdullāh. (1st ed., Damascus: Dār Sa’d al-Dīn, 1425AH-2005).
- Ibn al-Ḥājjib, ‘Uthmān ibn ‘Umar. "al-Kāfiyah fī ‘Ilm al-Naḥw". Investigated by: Ṣālīḥ ‘Abd al-‘Azīm al-Shā’ir. (Cairo: Maktabat al-Ādāb, 2010).
- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. "al-Baḥr al-Muḥīṭ". Investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl. (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1420AH-2000).
- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. "al-Tadhyīl wa-al-Takmīl fī Sharḥ Kitāb al-Tashīl". Investigated by: Dr. Ḥasan Hindāwī. (1st

- ed., Damascus: Dār alqilm-Riyadh: Kunūz Ishbīliyā, 1418AH-1440 AH, 1997 -2019).
- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. "Irtishāf al-Ḍarb min Lisān al-‘Arab". Investigated by: Rajab ‘Uthmān Muḥammad. (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1418 AH-1998).
- al-Khafājī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Umar. "'Ināyat al-Qāḍī wa-Kifāyat al-Rāḍī ‘alā Tafsīr al-Baiḍāwī", (Beirut: Dār Ṣādir).
- Ibn Khālawaih, al-Ḥusain ibn Aḥmad. "Mukhtaṣar fī Shawādh al-Qur’ān min Kitāb al-Baḍī". Published by Birjistrāsir. (Egypt: al-Maṭba‘ah al-Raḥmānīyah, 1934).
- al-Raḍī, Muḥammad ibn al-Ḥasan. "Sharḥ al-Raḍī ‘alā al-Kāfiyah". Investigated by: Yūsuf ‘Umar. (2nd ed., Benghazi: Publications of Kazyunus University, 1996).
- al-Zabidī, Muḥammad Murtaḍā. "Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs". Investigated by: ‘Abd al-Sattār Farrāj et al. (1st ed., Kuwait: Ministry of Information, 1385 AH-1422 AH -1965 -2001).
- al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-Sirrī. "Ma‘ānī al-Qur’ān wa-I‘rābuh". Investigated by: ‘Abd al-Jalīl Shalabī. (1st ed., Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1408 AH-1988).
- al-Zajjājī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Ishāq. "Majālis al-‘Ulamā'". Investigated by: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. (2nd ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī – Riyadh: Dār al-Rifā‘ī, 1403 AH – 1983).
- al-Zarkashī, Muḥammad ibn ‘Abdillāh. "al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qur’ān". Investigated by: Dr. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (1st ed., Dār Ihya’ al-Kutub al-Arabiyyah-‘Isā al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā’ih, 1957).
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar. "al-Kashshāf ‘an Ḥaqā’iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl". (3rd ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1407 AH).
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad. "al-Mufaṣṣal fī Ṣan‘at al-I‘rāb". Investigated by: Dr. ‘Alī Bū Mulḥim. (1st ed., Beirut: Maktabat al-Hilāl, 1993).
- Ibn al-Sarrāj, Muḥammad ibn Sahl. "al-Uṣūl fī al-Naḥw". Investigated by: Dr. ‘Abd al-Ḥusain al-Fatī. (3rd ed., Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1988).
- Sulṭān al-‘Ulamā’, ‘Abd alghzyz ibn ‘Abd al-Salām. "Majāz al-Qur’ān". Investigated by: Muṣṭafā Muḥammad al-Dhahabī. (London: Mu’assasat al-Furqān, 1999).

- al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf. "al-Durr al-Maṣūn fī 'Ulūm al-Kitāb al-Maknūn". Investigated by: Dr. Aḥmad al-Kharrāt. (1st ed., Damascus: Dār al-Qalam).
- Sībawaih, 'Amr ibn 'Uthmān. "al-Kitāb". Investigated by: 'Abd al-Salām Hārūn. (3rd ed., Cairo: 1408 AH-1988).
- al-Suhailī, 'Abd al-Raḥmān ibn 'Abdillāh ibn Aḥmad. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1412 AH – 1992).
- al-Sīrāfī, al-Ḥasan ibn 'Abdillāh. "Sharḥ Kitāb Sībawayh". Investigated by: Aḥmad Mahdalī and 'Alī Sayyid. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 2008).
- al-Saif, Muḥammad 'Abdillāh. "al-Atharr al-'Aqadī fī Ta'addud al-Tawjīh al-'Arābī li-Āyāt al-Qur'ān al-Karīm Jam'an wa-Dirāsah". (1st ed., Riyadh: Dār al-Tadmuriyah, 1429 AH-2008).
- al-Suyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (al-Hay'ah al-Miṣriyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1394 AH-1974).
- al-Suyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "Mu'tarak al-Aqrān fī I'jāz al-Qur'ān". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1408 AH-1988).
- al-Suyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "Ham' al-Hawāmi' fī Sharḥ Jam' al-Jawāmi'". Investigated by: 'Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (Egypt: al-Maktabah al-Tawfiqīyah).
- al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsā. "al-Maqāṣid al-Shāfiyah fī Sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah". Investigated by: Dr. 'Abd-al-Raḥmān ibn Sulaimān al-'Uthaymīn et al. (1st ed., Makkah al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, Institute of Islamic Research - Center for the Revival of Islamic Heritage, 1428 AH-2007).
- Ibn al-Shajarī, Hibat Allāh ibn 'Alī. "Amālī Ibn al-Shajarī". Investigated by: Dr. Maḥmūd al-Ṭanāḥī. (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1413 AH-1991).
- al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. "Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āyi al-Qur'ān". Investigated by: Dr. 'Abdullāh al-Turkī. (1st ed., Dār Hajar, 1422 AH-2001).
- Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad. "Taḥrīr al-Ma'nā al-Sadīd wa-Tanwīr al-'Aql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd". (Tunisia: al-Dār al-Tūnisīyah, 1984).
- Ibn 'Aṭīyah, 'Abd al-Ḥaqq ibn Ghālīb. "al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz", Investigated by: 'Abd al-Salām 'Abd al-Shāfi Muḥammad. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1422 AH).

- Ibn 'Aqīl, 'Abdullāh ibn 'Abdillāh. "al-Musā'id 'alā Tas'hīl al-Fawā'id". Investigated by: Muḥammad Barakāt. (1st ed., Umm Al-Qura University, Damascus: Dār al-Fikr, Jeddah: Dār al-Madanī, 1400AH-1980).
- al-'Ukbarī, 'Abdullāh ibn al-Ḥusain. "al-Tibyān fī I'rāb al-Qur'ān". Investigated by: 'Alī Muḥammad al-Bajāwī, ('Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh).
- al-'Imādī, Muḥammad ibn Muṣṭafā Abū al-Sa'ūd. "Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm". (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī).
- al-Ghazālī, Muḥammad ibn Muḥammad. "al-Mustaṣfā". Investigated by: Muḥammad 'Abd al-Salām, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1993).
- al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Ighfāl". Investigated by: Dr. 'Abdullāh ibn 'Umar al-Ḥājj. (Abu Dabi: al-Majma' al-Thaqāfī, Dubai : Markaz Jum'ah al-Mājid, 1424 AH-2003).
- al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Idāh al-'Aḍudī". Investigated by: Dr. Ḥasan Shādhilī Farhūd. (1st ed., University of Riyadh: College of Arts, 1389 AH-1969).
- al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Hujjah lil-Qurrā' al-Sab'ah". Investigated by: Badr al-Dīn Qahwajī and Bashīr Juwaaijābi. (2nd ed., Damascus / Beirut: Dār al-Ma'mūn, 1413 AH-1993).
- al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Masā'il al-Shīrāziyāt". Investigated by: Ḥasan Hindāwī, (1st ed., Riyadh: Kunūz Ishbīliyā, 1424AH-2004).
- al-Fākihī, 'Abdullāh ibn Aḥmad. "Sharḥ Kitāb al-Ḥudūd fī al-Naḥw". Investigated by: Dr. al-Mutawallī Ramaḍān Aḥmad al-Damīrī. (2nd ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 1414 AH-1993).
- al-Farrā', Yaḥyā ibn Ziyād. "Ma'ānī al-Qur'ān". Investigated by: Aḥmad al-Najāty et al. (1st ed., Egypt: Dār al-Miṣrīyah).
- al-Qurtubī, Muḥammad ibn Aḥmad. "al-Jāmi' li-Aḥkām al-Qur'ān", Investigated by: Aḥmad al-Baraddūnī and Ibrāhīm Aṭṭafayyish. (2nd ed., Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1384 AH-1964).
- Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb. "al-Tibyān fī Aimān al-Qur'ān". Investigated by: 'Abdullāh ibn Sālīm al-Baṭāṭī. (4th ed., Riyadh: Dār 'Aṭā'āt al-'Ilm-Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1440AH-2019).

- Ibn Mālik, Muḥammad ibn ‘Abdillāh. "Sharḥ Tashīl al-Fawā'id". Investigated by: Dr. ‘Abd-al-Raḥmān al-Sayyid and Dr. Muḥammad al-Makhtūn. (1st ed., Egypt: Dār Hajar, 1410 AH-1990).
- Ibn Mālik, Muḥammad ibn ‘Abdillāh. "Sharḥ al-Kāfiyah al-Shāfiyah". Investigated by: Dr. ‘Abd al-Mun‘im Aḥmad Harīdī. (1st ed., Jāmi‘at Umm al-Qura University: Dār al-Amoun, 1402 AH - 1982).
- al-Mubarrid, Muḥammad ibn Yazīd. "al-Muqtaḍab". Investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Khālīq ‘Uḍaymah. (Beirut: ‘Ālam al-Kutub).
- al-Mujāshī‘ī, ‘Alī ibn fddāl. "al-Nukat fī al-Qur’ān". Investigated by: Dr. ‘Abdullāh ‘Abd al-Qādir al-Ṭawīl. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1428 AH-2007).
- Ibn Mujāhid, Aḥmad ibn Mūsā. "al-Sab‘ah fī al-Qirā’āt". Investigated by: Dr. Shawqī Ḍaif. (2nd ed., Egypt: Dār al-Ma‘ārif, 1400 AH).
- Makkī, Makkī ibn Abī Ṭālib. "Mushkil i‘rāb al-Qur’ān". Investigated by: Yāsīn Muḥammad al-Sawwās. (2nd ed., Damascus / Beirut: Dār al-Yamāmah, 1421 AH-2000).
- Makkī, Makkī ibn Abī Ṭālib. "al-Hidāyah ilā Bulūgh al-Nihāyah fī ‘Ilm Ma‘ānī al-Qur’ān wa-Tafsīruh wa-Aḥkāmuhū wa-Jumal min Funūn ‘Ulūmuhū. Investigated by: A collection of university theses supervised by Dr. al-Shāhid al-Būshaykhī. (1st ed., University of Sharjah: College of Graduate Studies and Scientific Research, 1429 AH-2008).
- al-Naḥḥās, Aḥmad ibn Muḥammad. "I‘rāb al-Qur’ān". Investigated by: Zuhair Ghāzī Zāhid. (2nd ed., Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1405AH – 1985).
- al-Nawawī, Yaḥyā ibn Sharaf. "al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj". (2nd ed., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabi, 1392 AH).
- al-Naisābūrī, Aḥmad ibn al-Ḥusain. "al-Mabsūṭ fī al-Qirā’āt al-‘Asharr". Investigated by: Subay‘ Ḥamzah Ḥākimi. (Damascus: Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, 1981).
- Ibn Hishām, ‘Abdullāh ibn Yūsuf. "Awḍaḥ al-Masālik ilā Alfīyat Ibn Mālik". Investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd. (Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 1415 AH).
- Ibn Hishām, ‘Abdullāh ibn Yūsuf. "Mughnī al-Labīb ‘an Kutub al-A‘ārīb". Investigated by: Dr. Māzin al-Mubārak and Muḥammad ‘Alī Ḥamad Allāh. (6th ed., Damascus: Dār al-Fikr, 1985).
- al-Hamadhānī, al-Muntajab ibn Abī al-‘Izz ibn Rashīd. "al-Farīd fī

- I'rāb al-Qur'ān al-Majīd". Investigated by: Muḥammad Nizām al-Dīn al-Futayyih. (1st ed., al-Madīnah al-Munawwarah: Dār al-Zamān, 1427 AH-2006).
- al-Wāḥidī, 'Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad. "al-Wasīṭ fī Tafsīr al-Qur'ān al-Majīd". Investigated by: 'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd et al. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1415 AH-1994).
- Ibn Ya'īsh, Ya'īsh ibn 'Alī. "Sharḥ al-Mufaṣṣal". (Beirut: 'Ālam al-Kutub).

أنماط الإحالة الإشارية ودلالاتها عند الجاحظ
في كتابه البرصان والعرجان والعميان والحولان
دراسة نحوية دلالية

Patterns and Meanings of Deictic Reference in
al-Jāhiz's al-Burṣān, al-ʿUrjān, al-ʿUmyān,
and al-Ḥawlān
A Grammatical and Semantic Study

د. سامية بنت مَعْمَس بن يحيى عسيري

أستاذ النحو واللغة المساعد بكلية التربية بمحافظة المزاحمية

جامعة شقراء - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: sasyri@su.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/24		استلام البحث A Research Receiving 2024/10/07
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-014		

الملخص

تناول البحث أنماط الإحالة الإشارية ودلالاتها عند الجاحظ في رسالته البرصان والعرجان والعميان والحولان؛ تناولت فيه تحرير مصطلح الإحالة الإشارية، وناقشت مواضع ورودها في الكتاب محل الدراسة تطبيقاً على الإحالة الإشارية الزمانية والمكانية، والإحالة الإشارية الذكورية والأنثوية، فضلاً عن الإحالة الإشارية البعيدة والقريبة، وظهرت من البحث النتائج منها:

- تتعلق الإحالة بالعلاقات بين الجمل في النص، وتقوم على وجهين: النحو والدلالة، أي: إنها تختص بالجانب النحوي التركيبي، ونظيره الدلالي لإنتاج الدلالة في النص.
- لوحظ ورود الإحالة الإشارية الزمانية، في الكتاب محل الدراسة؛ للمفارقة بين زمنين: قريب يختص بزمن السرد الآتي، وبعيد يمثل الماضي الذي تتصل آثاره بالحاضر.
- اختصت الإحالة الإشارية المكانية بالمكان العام الافتراضي، كأحوال أهل الجنة، وتأثر فيه الجاحظ بأقوال المعتزلة، أو بدن الإنسان من الداخل مما تعلق بالهدف من تأليف الكتاب: التنبيه لأعراض ومخاطر بعض الأمراض.
- اختصت الإحالة الإشارية الذكورية بالأمور المعنوية، وغلبت الإحالة الأنثوية على من تقع عليه الإحالة وهو المؤنث مجازياً.
- الكلمات المفتاحية: الإحالة الإشارية - دلالة الإحالة - الإحالة بأسماء الإشارة - الجاحظ.

Abstract

The research addresses the patterns and significances of deictic references in Al-Jahiz's treatise "Al-Burṣān wa- 'Urjān wa-al- 'Umyān wa-al-Ḥawlān", The study addresses the clarification of the term deictic reference, and examines its occurrences in the book under investigation, with applied analysis on temporal and spatial deixis, as well as masculine and feminine deixis, in addition to distal and proximal deixis. The research yielded several findings, including:

- The reference is related to the relationships between sentences in the text, and is based on two aspects: grammar and semantics, i.e. it is concerned with the syntactic aspect and its semantic counterpart to produce the meaning in the text.
- It was observed that temporal deictic reference appears in the book under study to highlight a contrast between two timeframes: a proximal one, associated with the forthcoming narrative time, and a distal one, representing the past whose effects remain connected to the present.
- Spatial deictic reference in the book is primarily associated with a generalized, imagined space—such as the conditions of the inhabitants of Paradise—where al-Jāḥiẓ was influenced by the views of the Mu'tazilites. It also refers to the internal human body, in alignment with the book's objective: to raise awareness about the symptoms and dangers of certain diseases.
- Masculine deictic reference was primarily used for abstract concepts, while feminine deictic reference predominantly referred to entities that are grammatically feminine in a figurative or non-literal sense.

Keywords: deictic reference - deixis significance - Referral by demonstrative pronouns - Al-Jahiz.

المقدمة

كان عصر الجاحظ من عصور الازدهار للعلوم العربية كافة، فقد تبوأَت العربية علماً رفيع المنال في تلك الفترة، وانتشرت المجالس الأدبية والشعرية ؛ فكانت بمثابة انتشار اللغة والأدب، فكان المرید میدان التنافس بين الخطباء والشعراء، وتلقى الجاحظ العلوم والآداب على أيدي جماعة من كبار أساتذة العصر وأدبائه ومفكره، فاكْتسب علماً وأدباً ومعرفةً ، وكان يقصد بمصنفاته تضامن العلوم، فنجدُه يُصنّف كتاباً في الأدب متضمناً الفلسفة والمنطق كما فعل في كتابه الحيوان، فهو لا يقتصر في كتاب الحيوان على أخبار الحيوانات وخصالها وطباعها، بل يتطرق إلى موضوعات فلسفية كالْكُؤْمُون والتَّوَلَد، والجَوَاهِر والأَعْرَاض، والجزء الذي لا يتجزأ، والمجوسية والدهرية. واتجه في كتابه «البرصان والعرجان والعميان والحوولان» إلى إخفاء السخرية التي اتبعها فقد تعرض لذكر كل ذي عاهة من الناس، وأشار في مواضع منه مما يعتري الحيوان من تلك العاهات، وأراد أن يقارن بين الأصحاء وأصحاب العاهات بأنها لم تكن حائلاً لبلوغ مراتب الحياة العليا، وصرح في مقدمته بجديّة الكتاب وأنه ينقل به الحكمة لا الهزل. وقد وقع الاختيار على هذا الكتاب؛ لدراسة أنماط الإحالة الإشارية؛ لأبين مدى براعة الجاحظ في أسلوبه الأدبي فكان البحث موسوماً بـ(أنماط الإحالة الإشارية ودلالاتها عند الجاحظ في كتابه البرصان والعرجان والعميان والحوولان؛ دراسة نحوية دلالية).

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تنوعت الإحالة في الخطاب الأدبي بين الإحالة الإشارية والتضمينية والنصية والمقامية، إذ تستخدم الإحالة في تماسك النص واستنطاقه؛ لذا نجدُها في النص الأدبي. ويحاول هذا البحث الإجابة عن السؤال الرئيس؛ ما أنماط الإحالة الإشارية عند الجاحظ في كتابه: "البرصان والعرجان والعميان والحوولان"؟ وينبثق عنه عدة

تساؤلات فرعية كالاتي:

- ما مفهوم الإحالة الإشارية؟
- كيف استخدم الجاحظ الإحالة الإشارية الظرفية في كتابه البرصان والعرجان والعميان والحولان؟
- ما مدى توفر الإحالة الإشارية الذكورية والأنثوية عند الجاحظ في كتابه البرصان والعرجان والعميان والحولان؟
- ما الإحالة الإشارية القريبة والبعيدة في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ؟

أهداف البحث:

- تكمّن أهداف البحث في النقاط التالية:
- تحرير مفهوم الإحالة الإشارية.
- إبراز الإحالة الإشارية الظرفية في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان.
- مدى توفر الإحالة الإشارية الذكورية والأنثوية في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان.
- معرفة اهتمام الجاحظ بالإحالة الإشارية القريبة والبعيدة في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان.

الدراسات السابقة:

بعد البحث ومطالعة محركات البحث لم أقف على دراسة أو بحث أكاديمي تناول أنماط الإحالة الإشارية في كتاب الجاحظ موضع الدراسة، ولكن وقفت على بعض الدراسات والأبحاث التي قاربت في تناولها كتاب الجاحظ لكن من منظور نقطة

- بجثية مختلفة، وجاءت الدراسات مرتبة من الأقدم للأحدث كالآتي:
- ١- (من نفائس الخزانة الزركلية، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان)، بحث مُحكم مقدم من: هيئة التحرير بجريدة العرب، منشور بمجلة: العرب، بدار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، مج ٢، ع ١٢، السعودية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
 - تناول الباحث مخطوطة كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، لأبي عثمان الجاحظ التي في الخزانة العامة في مدينة الرباط، الذي يعتبر هذا الكتاب من مخطوطات الأوقاف، برقم (٨٧) وقد انتقاه خير الدين الزركلي فأصبح في خزائنه العامة بترائنا، وهي نسخة مصورة عن الأصل، مشيرة في بحثه هذا للتعريف بالنسخة ووصفها، مع وضع ملحق لصور من المخطوط.
 - ٢- (ملاحظات حول كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، لأبي عثمان الجاحظ)؛ بحث مُحكم مقدم من الباحث: زاهد، زهير غازي، منشور بمجلة معهد المخطوطات العربية، بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - معهد المخطوطات العربية، مج ٢٢، ج ٢، مصر، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
 - جاء هذا البحث من ضمن سلسلة نقد الكتب، وفي الحقيقة انصب النقد كاملاً على تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي، نشر دار العصام ١٩٧٢م. وكان لب الملاحظات على ما فات المحقق من تصحيح أو تحريف سهواً أو بسبب إهمال المطبعة، ولم يتوجه المؤلف إلى شرح أو تعليق على مادة الكتاب العلمية الأدبية.
 - ٣- (كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، بحث مُحكم مقدم من الباحث: صالح، إبراهيم، منشور بمجلة: مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٥٤، ج ١، سوريا، ١٩٧٩م.
 - التزم الأستاذ إبراهيم صالح في نقد تحقيق الدكتور الخولي واتخذ ملاحظات على التحقيق، وذهب أنه من العوار الاعتماد في التحقيق على نسخة واحدة وهو الذي

أوقع في نفس الأستاذ إبراهيم صالح شكًا، وأورد نصوصًا نقل فيها عن الغزالي وابن الجراح والصفدي والثعالبي والصفدي ما يصحح التصحيح الواقع في الكتاب مناط التحقيق.

٤- (مع الجاحظ وبرصانه وعرجانه وعميانته وحولانه)، بحث مقدم من الباحث: العبد اللطيف، صالح، منشور بمجلة: الصقور، بكلية الملك فيصل الجوية، مج ٧، ع ١١، السعودية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، لم أقف على محتويات هذا البحث. وهناك دراسة تناولت الإحالة الإشارية عند الجاحظ لكن في مدونة أخرى من مؤلفات الجاحظ وهو كتاب البخلاء، وهي:

٥- (الإحالة الإشارية في نصوص البخلاء للجاحظ) بحث محكم مقدم من الباحث: مالك نظير يحيا، بمشاركة الباحثين: سائر دندش، سميرة الراهب، منشور بمجلة: جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٣٤، ع ٥٤، سوريا، ٢٠١٢م.

منهج البحث:

اتبعت في بحثي المنهج الوصفي التحليلي، فهو المنوط بمثل هذه البحوث النظرية، حيث قمت باستقراء النصوص التي تبرز فيها الإحالة الإشارية موضع الدراسة، وتحليلها دلاليًا ونحويًا.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس. المقدمة: واشتملت على مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث. التمهيد: مفهوم الإحالة الإشارية.

المبحث الأول: الإحالة الإشارية الظرفية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإحالة الإشارية الزمانية.

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية المكانية.

المبحث الثاني: الإحالة الإشارية النوعية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإحالة الإشارية الذكورية.

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية الأنثوية.

المبحث الثالث: الإحالة الإشارية التقديرية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإحالة الإشارية البعيدة.

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية القريبة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

قائمة المصادر والمراجع

التمهيد: مفهوم الإحالة الإشارية

الإحالة لغة: مصدر من (أحال)، وحال الشيء واستحال أي: تغير، وحالت القوس: انقلبت عن حالها التي غمزت عليها. وأحال في كلامه، وقد أحلت فيما قلت، أي: تحول عن مقصده، فيقال للرجل إذا تحول من مكان إلى مكان، أو تحول على رجل بدراهم حال وهو يحول حولًا. ويقال: أحلت فلانًا على فلان بدراهم أحيله إحالة وإحالا، ويقال: أحلت عليه بالكلام أي أقبلت عليه، وأحال الذئب على الدم أي أقبل عليه. ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة: أي: عُدِلَ به عن وجهه^(١).

ومما سبق نجد أن المعنى اللغوي للإحالة لا ينفك عن معناها في الاصطلاح؛ إذ لابد من علاقة بين المحال والمحال إليه.

الإحالة اصطلاحًا: عرّفها لاينز بأنها "العلاقة بين الكلمات والأشياء والأحداث والأفعال"^(٢)، وعرّفها (دي بوجراند) بأنها "العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"^(٣)، غير أنه لم

(١) ينظر: محمد بن أحمد الأزهرى، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (٢٠٠١م)، ٥: ١٥٧، محمود بن عمرو الزمخشري، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ١: ٢٢٤. محمد بن مكرم بن على بن منظور، "لسان العرب"، (ط٣)، بيروت، لبنان: دار صادر، (١٤١٤هـ)، ١١: ١٨٦. مادة: (ح و ل).

(٢) جون لاينز، "علم الدلالة"، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة - حليم حسين فالج - كاظم حسين باقر، (د. ط، البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٠م)، ٤٣.

(٣) دي بوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، (د. ط، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ١٧٢.

يُستقر على تعريف نهائي له؛ نظرًا لحدائته، فضلًا عن "التوسع فيه وفي تطبيقاته في علم اللغة النصي، ولهذا لم يُتفق على تعريف نهائي له"^(١)، وعَرَفَهَا (كلماتير) بأنها "العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة)، وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)"^(٢).

ويمكن أن نجمل التعريفين اللغوي والاصطلاحي في كون الإحالة هي الروابط التي تربط بين أجزاء النص، وتعتمد على وسائل معينة، وهي التي تسمى (صيغ الإحالة).

- أهمية الإحالة:

إن المتأمل في تكوين الجملة العربية يستطيع أن يلاحظ جليًا أنها ذات مبنى ومعنى، وكلاهما يؤدي للمردود الشكلي والدلالي المعني بإنتاج المعاني على مراد المتكلم. والشكل الذي تتكون منه الجملة يحيلنا بالتالي لدراسة وحدات أصغر من مؤديات الدلالة، وهي الكلمة، مما يدل على تضافر عنصري الكلام من حيث التكوين البنائي للفظ، والإنتاج الدلالي له.

ولقد عني النحاة والبلاغيون قديمًا وحديثًا بهذه الإشكالية التي تربط بين الشكل بمبناه، والدلالة بمعناها^(٣)، مضافًا إليها عنصر جديد، ألا وهو الأداء الكلامي عن طريق الصوت، ومرجع هذا كله إلى البنية التكوينية للفظ، كلبنة أولى في منظومة

(١) أحمد عفيفي، "نحو النص: اتجاه جديد في الدرس اللغوي"، (ط١)، القاهرة، مصر: مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م)، ٥٢٦

(٢) سعيد حسن بحيري، "دراسات لغوية تطبيقية"، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م)، ٨.

(٣) محمد محمد يونس، "المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة العربية"، (ط٢)، بيروت، لبنان: المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م)، ٢٦٧.

الإنتاج الدلالي^(١).

مما سبق، يتضح لنا أن الإحالة تجمع بين النحو والدلالة، وهو ما يرتبط بآليات الإحالة، ومنها الإحالة بأسماء الإشارة أو ظرفي: المكان والزمان، مما ستتناوله الدراسة بالبحث والتطبيق على النحو الآتي:

(١) حلمي خليل، "الكلمة: دراسة لغوية معجمية"، (ط٢، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ٣٠.

المبحث الأول: الإحالة الإشارية الظرفية

المطلب الأول: الإحالة الإشارية الزمانية:

وتتمثّل في ظرف الزمان، "وتُسَمَّى المفعول فيه؛ لأن الزمن فُعِل فيه الحدث، تقول: صمْتُ يومَ الخميس، فالصيام فُعِل في ذلك اليوم"^(١).

والمفعول فيه "هو ما نصب من اسم زمان، أو مكان مقارن لمعنى "في" دون لفظها"^(٢)، وقيل: "هو ما سُلِّط عليه عاملٌ على معنى في من اسم زمانٍ، أو حيناً، أو اسم مكانٍ مبهمٍ، وما صيغ من مصدرٍ عامله"^(٣).

وظرف الزمان هو كل ما دل على زمان وقع فيه الفعل، أورد ابن جني: "واعلم أن الزمان: مرور الليل والنهار، نحو: اليوم واللييلة والساعة والشهر والسنة، وجميع أسماء الزمان من المبهم والمختصّ يجوز أن تكون ظرفاً، تقول: سرْتُ شهرًا، وصمت يومًا، وأقمت عندك حوّلًا، وصمْتُ الشهر الذي تعرف، وزرْتُكَ صَفَر، ولقيْتُكَ يوم الجمعة، فإن قلت: يوم الجمعة مبارك، رفعته لأنه ليس في معنى (في) ففَس عليه"^(٤).

ونلاحظ أن ابن جني قد ربط الظرف بمعنى الوعاء الذي يشير إليه حرف الجر (في)، فلو قلنا: زرتك يوم الخميس، كان المعنى: في يوم الخميس، فكأنه الزمن أو

(١) ينظر: عثمان بن جني، "اللمع في العربية"، تحقيق: فائز فارس، (د. ط، الكويت: دار الكتب الثقافية، د. ت)، ٥٥.

(٢) محمد بن عبد الله بن مالك، "شرح الكافية الشافية"، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (ط ١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، د. ت)، ٢: ٦٧٥.

(٣) عبد الله بن يوسف بن هشام، "شرح قطر الندى وبل الصدى"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط ١، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٣هـ)، ١٧.

(٤) عثمان بن جني، "اللمع في العربية"، ٥٦.

الوعاء الذي اشتمل على الفعل الذي وقع فيه.

ومن ذلك ما أورده الجاحظ: "وكان أيمن بن خريم أبرص، وكان خاصاً ببشر بن مروان، ثم غضب عليه، ومضى إلى عبد العزيز وهو على مصر، فوهب له قيمة ألف ألف درهم، ثم جرى بينه بعد ذلك وبين بشر كلام فقال أيمن: لا والله، ولكنك ملول مستطرف. فقال له بشر: أنا ملول مستطرف، وأنا أوكلك منذ كذا وكذا"^(١).

وتناول الجاحظ أعلاه استهجان بشر بن مروان كلام أيمن بن خريم، واتهامه له بأنه ملول مستطرف، أي: كثير التقلب على أصدقائه، فلا يثبت على أحد. ووقعت الإحالة الزمانية في قوله: منذ كذا وكذا، فأحال المتكلم على زمن رعايته لأيمن، مما عبّرت فيه الكناية عن طول زمن العناية والحدب على من اتهمه بالتقلب على الأصدقاء^(٢)، وهو ما اتسق مع البنية التركيبية في الفقرة، فأتى المتكلم بالقسم (لا والله) لتأكيد المقسم عليه^(٣)، وهو الاتهام الوارد، واستعمل (لكن) للاستدراك^(٤)، في

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ)، ١٣٨.

(٢) أحمد بن علي بن معقل المهلبي، "الماخذ على شراح ديوان أبي الطيّب المتنبي"، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المناع، (ط٢، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ٥: ٢٦.

(٣) محمد بن علي الهروي، "إسفار الفصيح"، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، (ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٠هـ)، ٢: ٦٧٩.

(٤) ينظر: محمد بن يزيد المبرد، "المقتضب"، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (د. ط، بيروت، لبنان: عالم الكتب، د. ت)، ١: ١٢.

قوله: ولكنك ملول مستطرف، فضلاً عن الاستفهام (أنا ملول مستطرف) للتعجب والإنكار، والذي أتى في صورة الجملة الاسمية لاستهجان ادعاء أيمن ثبوت هذه الصفة فيه، وهو ما يقتضى إثبات العكس بالجملة الاسمية التالية (وأنا أوكلك)، وهي جملة حال^(١) نفى بها بشر ما ادعاه فيه أيمن، وعبرت كناية العدد (كذا وكذا)^(٢) عن طول مدة رعايته لأيمن مما لا يستقيم معه ادعاؤه فيه بالتقُّلب على الأصدقاء.

وناقش الجاحظ قضية أفعال الأنبياء بوحى من الله، وأفعالهم البشرية، ومن ذلك ما افترضه الجاحظ من علاج النبي أحد الناس مع عدم وقوع الشفاء، وردّ ذلك إلى أنه من علاج الناس بعضهم لبعض، فأورد: "وإنما كانت المسألة لازمة لو قال: اللهم أبره واشفه، وقال: يبرأ فلان اليوم، أو يمرض فلان اليوم، فإذا لم يكن ذلك جاز للسائل حينئذ أن يطعن، فأما غير ذلك من الأمور، فالمسألة فيه ظلم"^(٣).

وقعت عدة إحالات إشارية زمانية، في قوله: يبرأ فلان اليوم - يمرض فلان اليوم، فأحال الجاحظ على يوم بعينه حدّده النبي افتراضاً لشفاء المريض، مما تعالق مع السياق الوارد لتأكيد الإحالة، ومنه الجملة الفعلية التي وردت في صورة المضارعة لاستحضار يوم الشفاء، وتقابل فيه الفعلان المضارعان: يبرأ - يمرض، مع ذكر الظرف (اليوم)، وهو المحال عليه، ونكّر المتكلم (فلان) للعموم والشمول^(٤).

(١) ينظر: علي بن محمد الأشموني، "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك"، (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ٢: ٢٩.

(٢) ينظر: خالد بن عبد الله الجرجاوي، "شرح التصريح على التوضيح"، (ط١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ٢: ٤٧٣.

(٣) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ٣٩٦.

(٤) ينظر: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، "الصناعتين"، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط، بيروت، لبنان: المكتبة العنصرية، د. ت)، ٣٣٧.

كما وقعت الإحالة الإشارية الزمانية بـ (حينئذ)، في قوله: جاز للسائل حينئذ أن يطعن، وهو ما ورد في سياق جملة الشرط المبدوءة بـ (إذا) للتحقيق، وعبر فعلا الشرط والجواب: لم يكن، جاز، عن الحالة التي يمكن فيها للمحتج أن يحتج على أفعال الأنبياء، ويطعن فيها، وأتى فاعل (جاز) في صورة المصدر المؤول (أن يطعن)^(١)، ولم يقل: جاز الطعن، فكان لعدم لجوء المتكلم للمصدر إشارة للتركيز على فعل الطاعن واستمراريته، فأثر الإتيان بالمصدر المؤول، مما ارتبط بالحال عليه؛ لأن الطعن في فعل النبي يكون عُقُيب عدم وقوع الشفاء، وهو ما خلص منه الجاحظ للمحصلة النهائية التي عبرت عنها الجملة الاسمية (فالمسألة فيها ظلم) للثبوت والتحقق.

(باب من قتلت الصواعق والرياح)، إذ أورد: "خويلد الصَّعِق، جدُّ يزيد بن عمرو بن خويلد الصَّعِق، سُمِّي: الصَّعِق، عمل طعماً فتأنَّق فيه، وهبَّت رياح وعصفت عليه التراب في قدره، فسبَّ الرِّيح فصعِق من يومه ... لأن الصاعقة تقتل بشدَّة الصوت كما تحرق بالنار التي فيها. وكان الحسن يسميها: صاقعة، ويجعل الصواعق ما كان من العذاب النَّازل على الأمم. فأما هذه التي تراها اليوم فهي عنده صواقع"^(٢).

ووقعت الإحالة الزمانية في قوله: التي تراها اليوم، إذ أحال المتكلم على الصواعق التي تقع في زمنه، وهو ما ارتبط بالسياق الوارد، فتعددت الأفعال الماضية في حق المذكور (خويلد الصعق)، مثل: عمل - تأنق - هب - سب؛ للانفصال الزمني والمفارقة بين زمن صعقه وزمن التكلم، وإفادة وقوعها حقيقة^(٣)، وأشارت حروف

(١) ينظر: عثمان بن جني، "الخصائص"، (ط ٤)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، ٢٥٣: ١.

(٢) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ٤٠١.

(٣) ينظر: عبد الله بن يوسف بن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: مازن

النسق إلى توالي وقوع الأحداث، كالفاء في قوله: عمل طعامًا فتأنَّق فيه، فأذرت التُّراب في قدره، فسبَّ الرِّياح فضُعِق من يومه، للترتيب والتعقيب^(١)، والواو في قوله: وهبَّت رياح وعصفت عليه لاستئناف الحدث المسرود.

وفصل المتكلم زمنيًّا بين ما مضى وزمن التكلم بقوله: فأما التي تراها اليوم، مع مراعاة التفاته من الغائب المناسب للمسرود الماضي إلى المخاطب^(٢) (تراها) المناسب لآنية التكلم، والذي أحال عليه بالظرف (اليوم).

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية المكانية:

وتتمثَّل في (ظرف المكان)، وهو ما دل على مكان وقع فيه الفعل، فالظرف المكاني، فما كان مبهمًا، كالجهاات الست، نحو: (فوق)، و(تحت)، و(أمام)، و(وراء)، و(يمين)، و(شمال)، وشبهها في الشَّياع ممَّا يفتقر إلى غيره، وأسماء المقادير، كالفرسخ والميل والبريد ونحوها، صحَّ نصبها على الظرفية، وما كان مختصًّا بالمسجد ونحوه، لا يصحُّ نصبها على الظرفية المكانية إلا ما سُمِع، فيبقى على السماع كالشام ومكة، فلا يُنصَّب من أسماء المكان إلا ما كان مُبهمًا^(٣).

المبارك - محمد علي حمد الله، (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م)، ٣٣.

(١) ينظر: حسن بن قاسم المرادي، "الجنى الداني في حروف المعاني"، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، (ط١، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ٦١.

(٢) ينظر: عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، "الفلک الدائر على المثل السائر"، تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، (د. ط، القاهرة: دار تحضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت)، ٢٢٨: ٤.

(٣) ينظر: ابن الصائغ، "اللمحة في شرح الملحّة"، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، (ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ١: ٤٤٤.

ومن مواضع الإحالة الإشارية المكانية قول عبد الله بن عبد الأعلى^(١) (بحر الرمل):

مَنْ هُنَا لِي مِنْ صَدِيقٍ فَلْيُعِدْ لِيُعِدْنِي إِنِّي الْيَوْمَ كَمِد

مِنْهُمْ تَرَكْتَنِي قَلْبًا قَلَقَ المحوَرِ بِالْقَبْرِ المسد

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ نَبْوَة أَيْنَ صَارَ الرُّوحُ مُذْ بَانَ الجَسَد^(٢)

إذ تناول الشاعر ضيقه بالهموم التي تكاثرت عليه، ومن ثم طلب العون من أصدقائه، إذ هزل جسمه وسقم كأنه على وشك الموت.

ووقعت الإحالة بظرف المكان (هنا)، وقد أحالت على خارج النص؛ إذ لم يذكر المتكلم المحال عليه بقوله: هنا، ويفهم من السياق أن هناك إحالة خارجية قد ناسبت المقام؛ كون الشاعر يبحث عن أي صديق يساعده في الخروج من وحدته. ومما يشير إلى وقوع الإحالة الخارجية فعل الأمر (فليعد) في البيت الأول؛ إذ

(١) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن أبي عمرة الشيباني أخو عبد الصمد. كان عبد الله وأبوه شاعرين وكان عبد الله متهما في دينه. ينظر: أحمد بن حجر العسقلاني، "لسان الميزان"، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، (ط١، حلب: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢ م)، ٤: ٥٠٨.

(٢) البيت لعبد الله بن عبد الأعلى وليس له ديوان. الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ١٣١. ونسبه الشيباني إلى امرئ القيس. ينظر: إسحاق بن مزار الشيباني، "الجيم"، المحقق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، (ط١، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م)، ٣: ١٣١.

استعمل الشاعر لام الأمر^(١) التي تفيد الاستعطاف والأمر، فيؤمر "بِهَا الْعَائِب، وَلَا يَكُون ذَلِكَ لِلشَّاهِد"^(٢)؛ للدلالة على تمسك الشاعر بمن يساعده على الخروج من أزمته، وكرر الشاعر فعل الأمر باستعمال اللام لتأكيد^(٣) احتياجه لمن يعينه.

وأورد الجاحظ في هذا الصدد: "قالوا: والبرص أصله من البلغم، وإذا رأيت الرجل القضيف^(٤) اليابس أبرص الجلد، فاعلم أن المرّة هي التي اعتصرت بدنه حتّى قذفت بالبلغم ومجّته في ظاهر جسده، فلمّا لم يقوَ ذلك المكان على إنفاذه وهضمه، تحيّز هناك فأفسد ما هناك"^(٥).

وأوضح الجاحظ أعلاه السبب العلمي للإصابة بالبرص، وهو مرض يصيب الجلد، وردّ ذلك إلى أن العصارة المعدية قد انتشرت في الجسم، فظهرت على الجلد. ووقعت الإحالة الإشارية المكانية في قوله: هناك، وهو ظرف مكان أحال على

(١) لام الأمر جازمة للفعل المستقبل للمأمور الغائب كذلك أصل دخولها كقولك: ليذهب زيد وليركب عمرو ولينطلق أخوك قال الله عز وجل: لينفق ذو سعة من سعته؛ وقال ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم؛ وهي كثيرة الدور في كتاب الله تعالى والشعر ومنثور الكلام. ينظر: عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي، اللامات، تحقيق: مازن المبارك، (ط٢)، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ٩٢.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، "الجمل في النحو"، تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م)، ٢٦٧.

(٣) عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط، بيروت، لبنان: عالم الكتب، د. ت)، ٢: ٩١.

(٤) القُصيف: القصير. الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، (د. ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ت)، ٤: ١٦٣.

(٥) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ٧١.

منطقة (المرارة) في الأمعاء، وأنها لم تتمكن من أداء وظيفتها، وهو ما أحال عليه الجاحظ بالظرف في قوله: فلما لم يقوَ ذلك المكان، وقصد بالمكان المرارة، وهو ما ورد في سياق أسلوب الشرط (فلما لم يقوَ تحيّر)، فجاء جواب الشرط (تحير) كاستعارة مكنية^(١) دلت على الاضطراب، والخلل في أداء الوظائف، مما ترتب عليه إفساد وظائف المرارة، وهو ما تناوله من الاستعارة في قوله: فأفسد، فدلّت على اضطراب أوسع وأشمل في السياق وليس مجرد فساد في وظيفة محددة، بل تلميحاً إلى الخلل العام الذي يؤثر في جوانب أخرى، فيما جاء عطف النسق دقيقاً بالفاء التي أفادت الترتيب والتعقيب^(٢) في قوله: فأفسد. وارتبطت الإحالة بما قبلها في قوله: المرة هي التي اعتصرت بدنه، وتعالقت مع الظرف (هناك) بـ(حتى) التي أفادت الغاية^(٣) (حتى قذفت البلغم)، وهو ما علّل لظهور البرص، وارتبطت بالمحال عليه (المرارة) بالظرف (هناك).

ومن استعمالاته للإحالة الإشارية بالظرف (هناك) ما أورده في أهل الجنة: "قالوا: فقد كان ينبغي لأهل الجنة ألا يكون منهم إلاّ أعسر يسر، قلنا: هذا ما لا نقف عليه، وليس يقع على أهل الجنة اسم أعسر ولا اسم أيمن، وليست هنالك معاناة؛ لأنّ الكفايات هناك تامة، والأمور كائنة على غاية الموافقة، وعلى تمام

(١) ينظر: عبد العزيز عتيق، "علم البيان"، (د. ط، بيروت، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٢م)، ١٧١.

(٢) ينظر: محمد بن يوسف بن أحمد ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، تحقيق: علي محمد فاخر، (ط ١، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ)، ٣٤٣٦: ٧.

(٣) ينظر: محمد بن السري بن السراج، "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (د. ط، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، د. ت)، ١: ٤٢٤.

التَّعْمَةِ"^(١). وناقش الجاحظ الآراء التي تقول: إن أهل الجنة لا يكونون على الحال التي كانوا عليها في الدنيا، من استخدام الذراع اليمنى أو اليسرى، وردَّ الجاحظ بأنه لا علم لنا بما يكون هناك، وأن الخبر قد ورد بأنهم يكونون على أتم هيئة، وأفضل حال. ووقعت الإحالة المكانية بالظرف (هنالك) في قوله: وليست هنالك معاناة، فأحال على الجنة التي تقدّم ذكرها في قوله: أهل الجنة، وهي إحالة قبلية؛ لأنها عادت على متقدّم.

وارتبطت الإحالة بالحال عليه في سياقه؛ إذ ورد المحال عليه في سياق الجملة الاسمية التي استهلَّ بها الجاحظ الفقرة، وهو ما أفاد التحقيق والثبوت^(٢) الذي قلّلت منه واو الجماعة في قوله (قالوا)، وقصد إجراء القول مجرى الظن^(٣)، وهو ما ارتبط بالمقول الذي يرى أن أهل الجنة أهل اليمين، مما يستوجب عقلاً نفي استعمال اليسار، وهو ما عبّر عنه الصفة المشبهة (أعسر)^(٤)، والتي أفادت نفي الثبوت بدلالة (ليس)، وهو ما ردّه الجاحظ بنفي علم ما يكون في الجنة، وأحال عليها بالظرف (هناك)؛ لأن النص أخبر أنهم يكونون في أتم حال، وهو ما عبّر عنه اسم

(١) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ٥٥٥.

(٢) ينظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، (ط٤)، بيروت، لبنان: دار إحياء العلوم، ١٩٩٨م)، ١: ٧٦.

(٣) ينظر: محمد بن عبد الله بن مالك، "شرح الكافية الشافية"، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، د. ت)، ٢: ٥٦٦.

(٤) ينظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، تحقيق: محمد علي النجار، (د. ط)، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ت)، ٢: ١٣٢.

الفاعل (كائنة) الذي يفيد الحدوث والثبوت^(١)، ومن ثم تعالقت الإحالة مع السياق التي وردت فيه؛ لترتبط بين المحال والمحال عليه كما أوضحنا.

(١) ينظر: يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، "مفتاح العلوم"، تحقيق: نعيم زرزور، (ط٢)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، ١: ٥٠.

المبحث الثاني: الإحالة الإشارية النوعية

المطلب الأول: الإحالة الإشارية الذكورية:

تكون الإحالة فيها باسم الإشارة (ذا) ومثناه (ذان)، وقد تلحقه الكاف للبعيد (ذلك) يقول ابن جني: "وأما أسماء الإشارة، ف(هذا) للحاضر، والثنية في الرفع (هذان)، وفي النصب والجر (هذين)، وذلك للغائب. والثنية: ذاك وذينك وهذه وهاتان وهاتين وتلك وتيك وتانك وتينك، والجمع: هؤلاء وهؤلاء ممدود ومقصور، وأولئك وأولئك، ممدود ومقصور، و(ها) في جميع هذا حرف معناه التنبيه، وإنما الاسم ما بعده"^(١).

ومما ورد في هذا الصدد، في الكتاب محل الدراسة، ما أورده الجاحظ عن (الأقرع بن حابس)، في قوله: "وكان أحد حُكَّام العرب بعكاظ، وقد تحاكت إليه العرب في الثُّفورات، وقد ساير النبي، عليه السلام، في مرجعه من فتح مكة، وقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: ما أحرَّ قومك عن مثل هذا الأمر؟ قال: يا رسول الله: لم يتأخر عنك قومٌ معك، منهم ألف رجل، يعني: مزينة"^(٢). وفيها عتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- للأقرع بن حابس^(٣)، عن تخلف قومه عن فتح مكة؛ ما

(١) ابن جني، "اللمع في العربية"، ١٠٤.

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن محمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ٢٩: ٧٤، رقم: (١٧٥٣٣). وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وينظر: الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ١٨٤.

(٣) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي الدارمي، أحد المؤلفات قلوبهم. قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عطارذ بن حاجب في أشرف بني تميم بعد فتح مكة وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول

يدل على أنه كان ذا مكانة في قومه.

ووقعت الإحالة الذكورية باستعمال اسم الإشارة (هذا) في قوله -صلى الله عليه وسلم-: عن مثل هذا الأمر، وهي إحالة خارجية باعتبار المقام (فتح مكة)؛ ومن ثم تعالقت الإحالة مع المحال عليه خارجيًا، واتسقت مع السياق الذي أورد فيه الجاحظ الرواية، فعرف بالمخاطب الذي احتل مكانة هو وقومه بين العرب في الجاهلية، مما عبّر عنه الفعل الماضي (تحاكت) في قوله: تحاكت إليه العرب في النفورات؛ للثبوت والتحقق^(١)، ومن ثم جاءت الجملة الفعلية في صورة الماضي: ساير النبي -صلى الله عليه وسلم-، في مرجعه من فتح مكة، وكفى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الفتح بـ(الأمر)^(٢)، وعرفه للتعظيم^(٣)، واعتذر الأقرع بأن كثيرين من قومه من (مزينة) كانوا في معسكر المسلمين، وقدم الجار والمجرور (منهم) على العدد الحاضر (ألف رجل)، لتخصيص الحضور، فضلًا عن تقديم الجار والمجرور (عنك)؛ لتخصيص المخاطب، عليه السلام^(٤).

الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف. ينظر: يوسف بن عبد البر القرطبي، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، المحقق: علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ١: ١٠٣.

(١) ينظر: نصر الله بن محمد بن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط، بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ)، ٢: ١٤٧.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بن حسن حنكة، "البلاغة العربية"، (ط١، دمشق: دار القلم - بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ٢: ١٣٦.

(٣) ينظر: القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٢: ٢٣.

(٤) ينظر: عبد الله بن يوسف بن هشام، "شرح قطر الندى وبل الصدى"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط١١، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٣هـ)، ٢٦٦.

فكان لإقران الحاضرين بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم الفتح، تعالق بين المحال (هذا الأمر)، والمحال عليه خارجيًا (فتح مكة)، ودل عليه التركيب النحوي ودلالته. ومما أورده الجاحظ في هذا الصدد خبر بيان بن سمعان الذي ادعى النبوة، وعُرِفَ بالزندقة، بينما هو مجتمع ببعض أصحابه، وأتاه عامل الخراج، فظنَّه رُسُلَ السلطان أتى للقبض عليه: "فتطافروا الجدران، وسقط بيان بن سمعان، فانكسرت ساقه، وتهيَّشَّ وجهه، فلمَّا علموا أن الرسل لم يكن لسلطان، وأنه إنما جاء إلى ربِّ الدار تراجعوا، فقال له بعضهم: أنت تخبرنا عن الأمور الكائنة، ولا تعلم بشأن هذا الرجل حتى قتلت نفسك. قال: قد عرفتُ شأنه، ولكي أردتُ أن أبلو أخباركم" (١).

وقد وقعت الإحالة في قول أصحاب سمعان: ولا تعلم بشأن هذا الرجل، فأحال على صاحب الخراج باسم الإشارة المذكر (هذا)، وهي إحالة داخلية؛ لورود ذكر المحال عليه في النص، ومن ثم فقد ارتبط الطرفان بالسياق الذي أكد هذا التعالق؛ إذ تعددت الجمل الفعلية التي أتت في صورة الماضي (تطافروا - سقط - تهيَّشَّت - علموا - تراجعوا) للتحقق والثبوت بشأن خوف الجمع من المحال عليه (الرسول)، ثم الإتيان بالفعل المضارع (تخبرنا) لبيان استمرارية بيان في خداع أصحابه، وادعاءاته المتكررة بمعرفة الغيب (٢)، وهو ما تناقض مع خوفه من الرسول، ومن ثم اضطر ببيانه إلى التراجع الذي عبَّرت عنه (لكن) لاستدراك (٣) موقفه وصورته التي اهتزت أمام أنصاره في قوله: ولكي أردت أن أبلو أخباركم، مما نلاحظ فيه اقتباسه

(١) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) ينظر: القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٣: ١٥٤.

(٣) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ١: ١٢.

من القرآن^(١) (أَبْلُو أَخْبَارَكُمْ)، متأثرًا بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٢)؛ ليكون كلامه أبلغ في الإيهام بأنه أراد اختبارهم. من هنا، كان للإحالة الإشارية دورها في التعبير عن التناقض بين الادعاء والزعم، وحقيقة بيان وخداعه لأنصاره.

وفسر الجاحظ ما نبا إلى علمه من علة استعمال الإنسان ذراعه اليمنى أو اليسرى، فأورد: "قالوا: وإِنَّمَا صار هذا أعسر، وهذا أيمن على قدر قوّة الكبد والطحال، فإن كانت جواذب الكبد أكثر وأشدّ، كانت الأعمال لليمنى، وإن كانت جواذب الطحال أكثر وأشدّ، كانت الأعمال لليسى"^(٣) (٤).

إذ وقعت الإحالة الإشارية الذكورية في قوله: هذا أعسر، هذا أيمن، وهي إحالة خارجية؛ كون المحال عليه عامًا في بني البشر، ولم يرد ذكره في النص.

وتعالق المحال والمحال عليه مع السياق مما أكد تلك الإحالة خارجية، ومن ذلك المقابلة^(٥) بين الجملتين الاسميتين: هذا أعسر - هذا أيمن، مما يشير إلى منحى تصنيفي لا يقصد به الجاحظ شخصًا بعينه، واستعمل اسم الإشارة للمذكر من باب التغليب^(٦)، بحيث يشمل الذكر والأنثى. وجاء تعليل استعمال الذراع اليمنى أو

(١) ينظر: إبراهيم بن علي القيرواني، "زهر الآداب وثمر الألباب"، (د. ط، بيروت، لبنان: دار الجيل، د. ت)، ٤: ١١٠٦.

(٢) سورة محمد، ٣١.

(٣) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ٥٥٤.

(٥) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ٥٥٤.

(٥) ينظر: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي، "سر الفصاحة"، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ٢٠٠.

(٦) ينظر: ابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٣: ١٦٩١.

اليسرى مبنياً على أسلوب الشرط المبدوء بـ (إن) للشك والتعلق^(١)؛ لاختلاف البشر وتمايزهم فيما بينهم في هذا الباب على النحو الذي ربطه بقوة الكبد والطحال، وهو ما تطلّب إيراد الجمع (جواذب) للتعبير عن الكثرة والغلبة المناسبتين للقوة الواردة^(٢)، فضلاً عن إيراد اسمي التفضيل (أكبر - أشد) للتعبير عن تمايز المفضل على المفضل عليه^(٣)، وهو أبلغ في بيان القوة والغلبة، وعلى استعمال إحدى الذراعين. من هنا، كان للإحالة باسم الإشارة المذكور دوره في الربط بين المحال الوارد والمحال عليه الخارجي الذي يشمل كل بني البشر.

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية الأنثوية:

وقد أجمل ابن مالك أسماء الإشارة المؤنثة في قوله:

بـ(ذا) إلى فرد مذكر أَشْرُ ذي ذات تي تا ذه على الأنثى قُصِرَ

وته كـ(ذه) و(ها) هنا قد كُسِرَا ومد عند كسره أو قصراً^(٤).

وأشار ابن مالك إلى أن أسماء الإشارة للمؤنث: ذي، تي، تا، ذه، ته، وقد تلحقها الهاء للتنبيه.

ومما ورد من الإحالة الإشارية بأسماء الإشارة الأنثوية ما أورده الجاحظ شعراً من قول عبد الله بن عبد الأعلى (بحر السريع):

(١) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "مع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، (د. ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د. ت)، ٢: ٥٤٥.

(٢) ينظر: محمد بن علي الصبّان، "حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك"، (ط ١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ٤: ١٧١.

(٣) ينظر: الصبّان، "حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك"، ٣: ٦٤.

(٤) ابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ١: ٣١٤.

يَا وَيْحَ هَذِي الْأَرْضُ مَا تَصْنَعُ لِكُلِّ حَيٍّ فَوْقَهَا مَصْرَعٌ
تَزْرَعُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا أَتَوْا عَادَتْ لَهُمْ تَخْصُدُ مَا تَزْرَعُ^(١).

إذ تناول الشاعر فكرة الفناء الذي هو مصير كل حيٍّ فوق الأرض، وكأن الأرض تزرع البشر ثم تحصدهم مرة أخرى بعد استيفاء دورة الحياة. ووقعت الإحالة في قول الشاعر: هذي الأرض، وهي إحالة بعدية؛ كون المحال عليه (الأرض) قد ورد بعد المحال (هذي)، والذي ناسب تأنيث الأرض، وزيدت عليه الياء.

وقد اتسقت الإحالة مع سياق البيتين، إذ أتى الشاعر بالاستفهام (ما تصنع) للتعجب من حالة الأرض، وتلقائية دورة الحياة عليها، فضلاً عن التعالق بين المحال عليه (الأرض) والجملة الاسمية (لكل حيٍّ فوقها مصرع)، وقُدِّم فيها الجار والمجرور (لكل) على المبتدأ المؤخر (مصرع)، ونكَّره الشاعر للتهويل^(٢).

وكرر الشاعر التعالق بين المحال عليه وسياق البيتين مما تجلَّى في البيت الثاني في قوله: تزرعه، وأتى بالجملة الفعلية في صورة المضارعة، وأحال على الأرض بالهاء (تزرعهم)، وربط بين حركة الحياة والموت بأسلوب مجازي جاء في صورة الاستعارة

(١) البيت لعبد الله بن عبد الأعلى وليس له ديوان. وهو دون نسبة في عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين"، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ)، ٣: ١٢٤، ونسبه ياقوت الحموي إلى محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان، أبو العيناء الاخباري. ياقوت بن عبد الله الحموي، "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، المحقق: إحسان عباس، (ط١)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ٦: ٢٦٠٢. وينظر: الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ١٣١.

(٢) ينظر: القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٢: ٣٦.

الممكنة (تزرع - تحصد)، وهو ما استعمل فيه أسلوب الشرط (إذا ما أتوا عادت؛ لتحقيق تلقائية دورة الحياة وتأكيدهما، ونسب فعلي: الشرط والجواب للمحال عليه، وحذف المفعول به للفعل (تزرع)، في نهاية البيت الثاني؛ للعموم، وكأن أحدًا لا تستثنيه الأرض من الفناء^(١).

ويتضح مما سبق أن سياق البيتين قد ارتبط بالمحال عليه (الأرض) والتي وردت في سياق الإحالة الإشارية البعدية (هذي الأرض)؛ للتعبير عن تعجب الشاعر مما لاحظته من تكرار الفعل المنسوب للأرض من دون توقف.

ومن مواضع الإحالة باسم الإشارة للمؤنث ما أورده الجاحظ: "ووقع بين شيخ أحَدَب وبين رَجُلٍ شَرٌّ، فقال له الرجل: والله لئن ركلتُ حَديثَكَ هذه ركلة لأَسْوِيَنَّهَا بظَهْرِكَ، قال: وَأَمَلِكْ إِنْكَ إِذَا لَعِظِمَ الْبَرَكَةُ"^(٢).

ووقعت الإحالة في قوله: حديثك هذه، فأحال على الحدية باسم الإشارة (هذه)، وهي إحالة بعدية؛ لأن المحال عليه ورد بعد المحال، ومن ثم فهي إحالة داخلية؛ لذكر المحال عليه (حديثك) في النص.

ونلاحظ أن الإحالة الإشارية قد اتسقت مع سياق النص الذي ارتبط بالمحال عليه (الحدبة)؛ إذ وردت في سياق الشرط (لئن ركلتُ حَديثَكَ لأَسْوِيَنَّهَا)، وأكد باللام الزائدة^(٣) التي اتصلت بأداة الشرط (إن)، وجاء جواب الشرط (لأسوينها) مؤكِّدًا بنون التوكيد الثقيلة^(٤)، مع ملاحظة التعالق مع المحال عليه بهاء الغيبة.

(١) ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ١: ٤٧.

(٢) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ٤٠٨.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بن إسحاق الزجَّاجي، اللامات، تحقيق: مازن المبارك، (ط ٢)، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، ٧٨.

(٤) ينظر: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، "رسالة منازل الحروف"، تحقيق: إبراهيم

واتسق المنحى النحوي مع نظيره الدلالي في النص؛ إذ راعى الشاعر النظير^(١) بين (ركلتك - أسوينها) للفت انتباه السامع للركلة المفترضة، فيما عبّرت الصفة المشبهة (عظيم)^(٢) عن ثبوت الصفة في الراكل؛ كونه سيعيد ظهر المخاطب لحالته الطبيعية.

وأورد الجاحظ في باب [ذِكْرُ المفاليح]: "وفلج من أطباء محمد بن عبد الملك ثلاثة، كلهم قد كان بلغ في السن، وفي سلطان اليسر، ما قد يؤمنهم من هذه العلة، وما كانوا إلا جلوداً على عظم"^(٣).

ووقعت الإحالة في قوله: من هذه العلة، وأحال على (الفَلَج)، وهو "الماء الجاري من العين ونحوه"^(٤)، وهي إحالة بعدية؛ لوقوع المحال عليه (العلة) بعد المحال، فضلاً عن كونها إحالة داخلية؛ لورود طرفي الإحالة في النص.

واتسقت الإحالة مع السياق العام للفقرة، إذ أتى المتكلم بالفعل (فُلج)؛ لبيان الثبوت والتحقق، واعتراض بالإطنباب (شبه الاعتراض)^(٥)، في قوله: من أطباء محمد بن عبد الملك؛ لتخصيص المصابين، فيما تعالقت الجملة الاسمية (كلهم قد بلغ في السن) مع المفلوجين الثلاثة، وأتى بالفعل المضارع (يؤمنهم) لاستحضار حالة الترف

السامرائي، (د. ط، عمان: دار الفكر، د. ت)، ٣٠.

(١) ينظر: حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ٩٨.

(٢) ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق: عبد

السلام محمد هارون، (د. ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ٢: ٣٥.

(٣) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ٤٤٩.

(٤) الفراهيدي، "العين"، ٦: ١٢٧.

(٥) ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، (ط٣، بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ١٩٦.

والتي يُستَبَعَد معها إصابتهم بالفلج، وبيان أعراض الحالة التي عبّر عنها القصر (ما كانوا إلا جلودًا على عظم) للقصر والحصر^(١)، ووردت فيه المطابقة بين (الجلود - العظم) للتعبير عن شدة الهزال والمرض الذي أصابهم على سبيل الكناية عن صفة التعب والهزال.

(١) ينظر: القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٣ : ٩.

المبحث الثالث: الإحالة الإشارية التقديرية

المطلب الأول: الإحالة الإشارية البعيدة:

تعمل فيها أسماء الإشارة للبعيد، بحسب ما أورد (ابن مالك) في قوله: "وإن كان المكان بعيداً، جيء بكاف الخطاب بعدها على نحو ما جيء بعد (ذا)، ومن قال: (ذلك) قال: (هنالك). ومن قال (هناك) قال: (هناك). ويشار أيضاً إلى المكان البعيد بـ(ثُمَّ) و(هَئِثَا) و(هَئَا) ^(١).

فالإشارة للبعيد تكون بذا يفيد البعد، ومنها: ثُمَّ، هنالك، ذلك، تلك، وغيرها مما أوردته الفقرة.

ومن ذلك قوله في فروسية عمر بن الخطاب -عليه السلام-: "قال العمري: كان عمر ابن الخطاب يمسك أذنه اليسرى بإصبعه اليمنى، ثم يثب على ظهر الفرس كأنما خُلِقَ هُنَالِكَ، وكان يقول: اقطعوا الركب، وانزوا على الخيل، وتعددوا واخشوشنوا، وكان يقول: إياكم والسمنة؛ فإنها عقلة، وامشوا خُفَاة؛ فإنكم لا تدرون متى تكون الجولة" ^(٢).

وتناولت الفقرة الفروسية التي تميّز بها عمر بن الخطاب -عليه السلام- ومهارته في ركوب الخيل، وهو ما وقعت فيه الإحالة باسم الإشارة للبعيد (هنالك)، على النحو الذي اتسق مع السياق: نحوياً ودلالياً، إذ أتى السياق بما يشير إلى اللياقة البدنية التي تمتع بها الفاروق -عليه السلام- مما عبّرت عنه الكناية (يمسك أذنه اليسرى بإصبعه اليمنى)، وأفادت (ثم) التراخي الزمني ^(٣) بما يوحي باستعراض الفاروق لمهاراته المتنوعة بين

(١) ابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ١: ٣١٨.

(٢) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالن"، ٣٣٥.

(٣) نظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ٤٣٠.

المسلمين.

وأكدت الكناية العلاقة بين المحال والمحال عليه في قوله: كأنما خُلِقَ هنالك، وأفادت (كأنما) التوهّم، أي: يشعر الرائي أنه مولود على صهوات الخيول. وتعددت الجمل الفعلية التي أتت في صورة الأمر للالتماس^(١)، مثل: اقطعوا، تعددوا، اخشوشنوا، فضلاً عن أسلوب التحذير (إياكم والسمنة)، وأوحت بعدم مناسبتها للفروسية، وما تحتاجه من لياقة، فيما أكد قوله: فإنها عقلة ب(إن) المشددة، وجاءت الكناية (امشوا حفاة) ككناية عن صفة التأهُّب والحيلة، والاستعداد الدائم للقتال الذي قد يشبّ بين لحظة وأخرى.

واتضح مما أورده أن الفقرة دارت حول المحال عليه: الفروسية وما تعلق بها من نصائح وجّهها الفاروق للمسلمين.

ومن ذلك ما أورده الجاحظ: "ودخل مالك الأشتر^(٢) على عليّ بن أبي طالب -- في صبيحة عرسه ببعض نسائه، فقال: كيف رأى أمير المؤمنين أهله؟ قال: كالخير من امرأة، جبّاء قَبّاء. قال: وهل يريد الرجال من النساء غير ذلك؟ لا، حتّى تدفئ الضّجيع، وتروي الرّضيع"^(٣).

(١) أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (ط١)، بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)، ١: ٤٦٣.

(٢) هو مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال المذكورين. حدث عن: عمر، وخالد بن الوليد، وفقئت عينه يوم اليرموك. وكان شهماً، مطاعاً، زعراً، ألب على عثمان، وقاتله، وكان ذا فصاحة وبلاغة. شهد صفين مع علي. ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (ط٣)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ٤: ٣٤.

(٣) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ٤٩٥.

وبيّنت الفقرة المهام التي يرجوها الرجل من المرأة مما اقتضته الفطرة الربانية في الخلق، ووقعت الإشارة باسم الإشارة (ذلك) للبعيد، في قول الأشرت: وهل يريد الرجال من النساء غير ذلك، فأحال على الصفات التي تُرضي الزوج من زوجته جسدياً، ووردت الإحالة للبعيد باعتبار العموم الذي يقتضيه المعنى؛ كون جمال الزوجة مما يُرضي الزوج في أي مكان وزمان، فناسبه الإحالة للبعيد.

واتسقت الإحالة مع السياق الذي وردت فيه، فتعددت مواضع الصفة المشبهة في الفقرة، مثل: جبّاء قَبَاء - الضجيع - الرضيع، وهو ما يشير إلى الثبوت في الصفة^(١)، والدوام فيها على النحو الذي يعزّز قيمة الإحالة، ويرسخ للمهام والصفات التي تُرضي الزوج من زوجته، فيما جاء الاستفهام (وهل يريد الرجال...) يؤكد المعنى المحال عليه، إذ أورد المتكلم (الرجال - النساء) معرّفين ب(أل) لاستغراق الجنس^(٢)، وأوحى الجمع فيهما بالكثرة والغلبة، فلا يشدُّ الناس عن المحال عليه إلا في القليل النادر، فيما أتى المتكلم ب(حتى) لإفادة الغاية^(٣)، وكأن الموصفات الظاهرة الجسدية لا تستوفي حقها من إرضاء الزوج حتى تقتزن بأداء حقوقه هو وأولاده كاملة غير منقوصة، وهو ما ارتبط بالمعنى المحال عليه.

وعن قوة الرمي، واختلاف الناس فيه ما بين الذراعين: اليمنى واليسرى، أورد الجاحظ: "قالوا: وليس الأيمن بيمينه بأشدَّ رمية، ولا أشدَّ ذهاباً من الأعسر

(١) ينظر: عبد الله بن الحسين العكبري، "اللباب في علل البناء والإعراب"، تحقيق: عبد الإله، (ط١، دمشق: دار النبهان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ١: ٤٤٣.

(٢) ينظر: محمد بن عبد الله بن الوراق، "علل النحو"، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، (ط١، الرياض، السعودية: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٢٠٢.

(٣) ينظر: محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، "المفصل في صنعة الإعراب"، تحقيق: علي بو ملحم، (ط١، بيروت، لبنان: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م)، ٣٨٠.

بيساره، ورأينا الأيمن يتعلم الرمي بالعسراء، فتكون رميته أشدَّ وأسدَّ، ولم نَرِ أعسر قطّ يتعلم بيمينه الرمي. ولو أن إنساناً علّق أوتار العود على العسراء لم يكن في الأرض أيمن يضرب به، ولا يُتعاطى ذلك منه، ولم يُطمع فيه من غير أن يغيّر تلك الأوتار"^(١).

نلاحظ أن الجاحظ نقل الآراء التي تؤكد أن تعلّم الرمي يكون أيسر على الذي يستعمل ذراعه اليسرى، ووقعت الإحالة في قوله: يُتعاطى ذلك، فأحال على استعمال الذراع اليسرى تعلّم الرمي باسم الإشارة (ذلك)، وقوله: من غير أن يغيّر تلك الأوتار، وأحال على أوتار القوس باسم الإشارة (تلك) للبعيد، وجاءت الإحالتان للبعيد باعتبار شيوع ذلك في كل زمان ومكان مما أكدته الخبرة والممارسة.

وتعالقت الإحالة المكانية مع السياق الذي وردت فيه؛ إذ أتى السياق بالجملة الفعلية المبدوءة بالفعل (رأى) البصرية^(٢)، في قوله: رأينا الأيمن يتعلم الرمي بالعسراء؛ لتقرير أن ما تناقله الناس جاء وليد الرؤية والممارسة، فضلاً عن اسمي التفضيل: أشدَّ - أسدَّ^(٣)، وما أوحيا به من تميّز الرامي الذي يتعلم الرمي بالعسراء، فالشدة تعود لقوة الرمي والسداد تكون لصحة القصد والوفق والإصابة^(٤).

أما الذي يتعلم الرمي باليمنى، فهو لا يملك قوة الرمي، بدلالة الفعلين

(١) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوّلان"، ٥٣٠.

(٢) ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط ٢٠)، القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ٢: ٦٧.

(٣) ينظر: المرادي، "الجنى الداني في حروف المعاني"، ٣١١.

(٤) ينظر: الأزهرى، "تهذيب اللغة"، ١٢: ١٩٦. مادة: (س د د).

المضارعين المبنيين للمجهول (يُعطى - يُطَمَع) لعموم الفاعلين الذي لا يطمعون منه في قوة الرمي أو سداذه، وعليه فقد اتسق المنحى التركيبي النحوي مع نظيره الدلالي في الفقرة.

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية القريبة:

وهي أسماء الإشارة: هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، وتستعمل لإفادة قرب المشار إليه، نقول: هذا رجل صادق، مما أفاد قربه منا، ومما ورد، في هذا الصدد في الكتاب محل الدراسة، ما أورده الجاحظ: "قال لي: وأحدثك بحديث هو أغرب من هذا وأعجب: ربّ والله ما أصبحت في يوم دجن من أوّله إلى آخره، فيتفق ألاّ يبعث إليّ أحد، ولا يمكنني أن أبعث إلى بعض إخواني، لتوقعي في كل حال رسول من لا أمتنع من إجابته، فلا يبقى من أولئك أحد إلّا والذي يمنعه من الإرسال إليّ أنّه لا يجوز أن يكون الخليفة وأشباه الخليفة يتفق أمرهم وقولهم على مثلي، لا يتفق أن يتركه الجميع إلّا توهم كلّ واحد على حدته أنّ غيره قد سبق إليّ. فاتفق منهم التدافع، وبقيت أثائب وحدي، وإنّما يتهيأ ذلك أن يدعي في ذلك اليوم الملك الأعظم فيتفقون كلّهم على هذا الرأي"^(١).

ووقعت الإحالة في قول الراوي: أغرب من هذا، فأحال على شراء (علويّه المغني) طبلسان، وهي إحالة باسم الإشارة (هذا) للقريب؛ باعتبار آنيّة الرواية وقت روايتها، وهو ما ارتبط بالسياق في الفقرة، فانتقل الراوي إلى موقف أعجب مما لدى علويه المغني، وتمثّل في عدم إرسال أحد من أصدقاء الراوي له يطلب مقابلته؛ لاعتقاده أنه منشغل بمجلس الخليفة، ومن ثم وقعت الإحالة باسم الإشارة في قوله: فيتفقون جميعاً على هذا الرأي، فأحال على ما تقدّم كإحالة قبلية.

(١) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوّالان"، ١٧٠.

وارتبطت الإحالة بالمحال عليه نحوياً ودلالياً، إذ أتى المتكلم بأسلوب القسم للتأكيد على صدق روايته، في قوله: ربّ والله ما أصبحت في يوم دجن من أوله إلى آخره، مع توالي الأفعال المضارعة في الفقرة (يتفق - يبعث - يمكنني - فلا يبقى)؛ لجرّ زمن المسرود وتناصّه مع زمن وقوع هذه الأفعال لإفادة الاستمرارية^(١).

ولجأ الراوي لأسلوب القصر والاستثناء في قوله: فلا يبقى أحد إلا والذي يمنعه، وقصد: إلا شخصاً الذي يمنعه كذا؛ لتأكيد امتناع أصدقائه عن طلبه في ذلك اليوم، وتدافعهم إلى مجلس الخليفة، وهو ما أدى لانفراد الراوي بنفسه، وعبرت عنه الحال (وحدّي)^(٢) في قوله: وبقيت أثائب وحدي، مما ارتبط بالإحالة الواردة (فيتفقون كلهم على هذا الرأي)، وأورد المتكلم (كلهم) كتوكيد معنوي^(٣) يؤكد تدافع الجميع لمجلس الخليفة.

ومن مواضع الإحالة الإشارية بأسماء الإشارة للقريب ما أورده الجاحظ عن أحد رُؤاتِهِ: "والنفْتُ فإذا أنا بالمشمرخ الأحذب، وإذا هو يتقدّمهنّ مرّةً ويزاحمهنّ مرةً، وإذا هو في ذلك يختال في مشيته، فأقبلت عليه واحدة منهنّ فقالت: عذرنا هؤلاء الذين يدلّون بالشباب والجمال واليسار، فقد أطمعهم ذلك فينا، وأنت بأي شيء تدلّ؟ قال: بالبزاعة والظُرف، قال: فضحك منه"^(٤).

(١) محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص"، (ط٣)، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م)، ١٢١.

(٢) ينظر: حسن بن قاسم المرادي، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط١)، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م)، ٢: ٦٩٦.

(٣) ينظر: المرادي، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، ٢: ٩٧٨.

(٤) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ٤٠٦.

وعرض الجاحظ لأحد الظرفاء (المشمرخ الأحذب) الذي لم يكن له نصيب من الشباب والجمال، إلا أنه اعتاد بظرفه معاينة الفتيات، وتمكن من وصاهن كما ورد. ووقعت الإحالة في قوله: عذرنا هؤلاء، وأحال على الفتيان الذين زاحموا الفتيات باسم الإشارة (هؤلاء) للقريب؛ كون الجاحظ يستحضر ما وقع لحظة وقوعه؛ إذ كان الفتيان بالقرب من الفتيات، وهو ما اتسق مع السياق الذي ارتبط بالمحال عليه، فأتى المتكلم بـ(إذا) الفجائية^(١) في قوله: فإذا أنا بالمشمرخ الأحذب، وكررها للتوكيد، والربط بالأحذب المتقدم عمرًا في مقابل المحال عليه (الشباب صغار السن)، والذ أكده الاستفهام: وأنت بأي شيء تدلّ؛ للتعجب من ثقته بنفسه، واقتحامه ميدان الهوى من دون امتلاك مقوماته، وكان لعنصر القرب المكاني أثره في الإحالة التي أوردتها الجاحظ عن الراوي الذي رآها وسمعاها.

ومن ذلك ما أوردته الجاحظ عن أحد رواة: "أين أنتم من الحجّاج بن باب قائد الناس يوم الأزارقة، وهاشم المرقال، وفلان وفلان، إنّما كانوا عوراء من جهة العين اليمين. قال القوم: هؤلاء قادة، وإنما نحن في ذكر الأتباع، وهؤلاء إنّما يراد منهم التدبير والتوقيف، والاسم المهيب الطائر في الآفاق"^(٢).

وتناول الجاحظ ما تعارف عليه الناس من أن الجندي إذا فقد عينه اليمنى، سقط من ديوان الجند؛ لأنه يتقي بترسه الذي يحجب عينه اليسرى، فيصير كالأعمى، ومثّل الراوي بالأسماء الواردة ممن أجاد القتال مع فقدته عينه اليمنى. ووقعت الإحالة في قوله: هؤلاء قادة، فأحال على الأسماء الواردة من قبل من

(١) ينظر: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، "الأزمة والأمكنة"، (ط١)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ١٨٧.

(٢) الجاحظ، "البرصان والعرجان والعميان والحوالان"، ٥٥٣-٥٥٤.

باب الإحالة القبليّة؛ لأنّ المحال عليه ذُكر قبل الإحالة على النحو الذي اتسق مع السياق: نحوياً ودلاليّاً، فأتى الراوي بالمحال في سياق الجملة الاسمية: هؤلاء قادة، والتي تكونت من: مبتدأ وخبر؛ لإفادة الثبوت، مما أشار إلى ذبوع صيت المحال عليه، فضلاً عن القصر بـ(إنما)، في قوله: إنما نحن في ذكر الأتباع؛ لحصر المهارة المقصودة، وإجادة القتال مع فقد العين اليمنى في الجنود والأتباع، وبنى المتكلم الفعل (يُراد) للمجهول لعموم الفاعلين، وصعوبة حصرهم^(١)، وأشار لأنّ الأسماء الواردة في الفقرة لقادة يريد منهم الجنود التوجيه، ومن ثمّ فهم لا يقاتلون مباشرة، بل يقودون الجنود لقتال العدو، وأكد المعنى بالكناية في قوله: والاسم المهيب الطائر في الآفاق، ككناية عن الشهرة^(٢).

(١) ينظر: الجناحي، "البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع"، ١٤١.

(٢) ينظر: عتيق، "علم البيان"، ٢١٤.

الختام

وبعد هذا العرض لـ "أنماط الإحالة الإشارية ودلالاتها عند الجاحظ في رسالته: البرصان والعرجان والعميان والحولان - دراسة نحوية دلالية" يمكن إجمال النتائج على الآتي:

- ١- تتعلق الإحالة بالعلاقات بين الجمل في النص، بحيث تختص بمواضع التقاطع بين دلالاتها على معانٍ مشتركة، سواء أكانت معنوية أم غير ذلك، ومن ثم تتعلق الإحالة بالفعل الإنساني وغيره.
- ٢- للإحالة وجهان تقوم عليهما: النحو والدلالة، أي: إنها تختص بالجانب النحوي التركيبي، ونظيره الدلالي لإنتاج الدلالة في النص.
- ٣- لوحظ ورود الإحالة الإشارية الزمانية، في الكتاب محل الدراسة؛ للمفارقة بين زمنين: قريب يختص بزمن السرد الآتي، وبعيد يمثل الماضي الذي تتصل آثاره بالحاضر، وهو ما تعددت فيه آليات الإحالة الزمانية، مثل: منذ، اليوم.
- ٤- اختصت الإحالة الإشارية المكانية بالمكان الداخلي كما ذكر المارة داخل بدن الإنسان من الداخل مما تعلق بالهدف من تأليف الكتاب: التنبيه لأعراض ومخاطر بعض الأمراض.
- ٥- اختصت الإحالة الإشارية الذكورية بالأمور المعنوية، مثل: هذا الأمر، أو المادية مثل: هذا الرجل، وهو ما ربط المحال عليه بالسياق الذي ورد فيه، فدارت الفقرة حوله.
- ٦- غلبت الإحالة الأنثوية على المحال عليه المؤنث مجازياً، مثل: هذي الأرض، هذه العلة، وهو ما ربط بينها وبين المحال عليه الذي تدور حوله الفقرة بأكملها.

٧- اختصت الإحالة الإشارية البعيدة لدى الجاحظ بالمحال عليه الشائع بين الناس في كل زمان ومكان، كصفات الزوجة المثالية التي تُرضي الزوج، أو مهارات الفارس في الرمي وطرق تعلُّمه، وهو ما أضفى معنى إنسانياً تعالق مع الإحالة من هذا النوع.

٨- اختصت الإحالة الإشارية القريبة بالمحال عليه المعنوي والمادي، مثل: هذا الأمر، هذا الرأي، وكذلك المادي مما تناول السلوكيات الحياتية التي تقع كل يوم، مما جعل للإحالة منحى اجتماعي ارتبط بالنص في كثير من المواضع.

٩- غلبت الإحالة الداخلية لدى الجاحظ على نظيرتها الخارجية، مما يدل على إحكام النص لدى الجاحظ، وميله للترسل واستقصاء المعاني في كتاباته، وهو ما يفسر شيوع أساليب الشرط لديه، حيث اتسق نسيج النص مع الإحالة الإشارية الواردة.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، نصر الله بن محمد، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط، بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ).

الأزهري، محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

الأشُّثوني، علي بن محمد، "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك"، (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

بحيري، سعيد حسن، "دراسات لغوية تطبيقية"، (د. ط، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م).

البغدادي، عبد القادر بن عمر، "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د. ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

الجاحظ، عمرو بن بحر، "البرصان والعرجان والعميان والحولان" تحقيق: عبد السلام هارون، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر، "البيان والتبيين"، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).
الجرجاوي، خالد بن عبد الله، "شرح التصريح على التوضيح"، (ط١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

الجناسي، حسن بن إسماعيل، "البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع"، (ط١، القاهرة - مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م).

ابن جني، عثمان، "الخصائص"، (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.

ت).

ابن جني، عثمان، "اللمع في العربية"، تحقيق: فائز فارس، (د. ط، الكويت: دار الكتب الثقافية، د. ت).

حبكة، عبد الرحمن بن حسن، "البلاغة العربية"، (ط ١، دمشق: دار القلم - بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، "الفلک الدائر على المثل السائر"، تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، (د. ط، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، المحقق: إحسان عباس، (ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).
حنبل، أحمد بن محمد، "مسند الإمام أحمد"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

خليل، حلمي، "الكلمة: دراسة لغوية معجمية"، (ط ٢، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ط ١، بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م).

الذهبي، محمد بن أحمد، "سير أعلام النبلاء"، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

الرماني، علي بن عيسى بن علي، "رسالة منازل الحروف"، تحقيق: إبراهيم السامرائي،

- (د. ط، عمان: دار الفكر، د. ت).
- الزمخشري، محمود بن عمرو، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- روبرت، دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، (د. ط، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨م).
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، اللامات، تحقيق: مازن المبارك، (ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، "المفصل في صنعة الإعراب"، تحقيق: علي بو ملحم، (ط١، بيروت، لبنان: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م).
- السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (ط١، بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- ابن السراج، محمد بن السري، "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (د. ط، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، د. ت).
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد، "مفتاح العلوم"، تحقيق: نعيم زرزور، (ط٢، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ابن سنان، عبد الله بن محمد بن سعيد، "سر الفصاحة"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (د. ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د. ت).
- الشيبياني، إسحاق بن مزار، "الجيم"، المحقق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، (ط١، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٤هـ -

١٩٧٤م).

الصَّبَّان، محمد بن علي، "حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك"، (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط، بيروت، لبنان: عالم الكتب، د. ت).

عتيق، عبد العزيز، "علم البيان"، (د. ط، بيروت، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٢م).

العسقلاني، أحمد بن حجر، "لسان الميزان"، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، (ط١، حلب: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م).

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، "الصناعتين"، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط، بيروت، لبنان: المكتبة العنصرية، د. ت).

عفيفي، أحمد، "نحو النص: اتجاه جديد في الدرس اللغوي"، (ط١، القاهرة، مصر: مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة،

سعيد جوده السحار وشركاه، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

العكبري، عبد الله بن الحسين، "اللباب في علل البناء والإعراب"، تحقيق: عبد الإله، (ط١، دمشق: دار النبهان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "الجميل في النحو"، تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "العين"، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي،

- (د. ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ت).
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، تحقيق: محمد علي النجار، (د. ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ت).
- القرطبي، يوسف بن عبد البر، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، المحقق: علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة"، (ط٤، بيروت، لبنان: دار إحياء العلوم، ١٩٩٨م).
- القيرواني، إبراهيم بن علي، "زهر الآداب وثمر الألباب"، (د. ط، بيروت، لبنان: دار الجيل، د. ت).
- لاينز، جون، "علم الدلالة"، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة - حليم حسين فالخ - كاظم حسين باقر، (د. ط، البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٠م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، "شرح الكافية الشافية"، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، د. ت).
- المبرد، محمد بن يزيد، "المقتضب"، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (د. ط، بيروت، لبنان: عالم الكتب، د. ت).
- المرادي، حسن بن قاسم، "الجنى الداني في حروف المعاني"، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، (ط١، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- المرادي، حسن بن قاسم، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط١، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ -

٢٠٠٨م).

المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، "الأزمنة والأمكنة"، (ط١)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

مفتاح، محمد، "تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناس"، (ط٣)، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب"، (ط٣)، بيروت، لبنان: دار صادر، ١٤١٤هـ).

المهلب، أحمد بن علي بن معقل، "المآخذ على شُراح ديوان أبي الطَّيِّب المَعَنِّي"، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، (ط٢)، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، تحقيق: علي محمد فاخر، (ط١)، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ).

الهروي، محمد بن علي، "إسفار الفصيح"، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، (ط١)، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٠هـ).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، "شرح قطر الندى وبل الصدى"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط١١)، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٣هـ).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: مازن المبارك - محمد علي حمد الله، (ط٦)، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).

ابن الوراق، محمد بن عبد الله، "علل النحو"، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش،
(ط ١، الرياض، السعودية: مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
يونس، محمد محمد، "المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة العربية"، (ط ٢، بيروت،
لبنان: المدار الإسلامي، ٢٠٠٧ م).

Bibliography

- Ibn al-Athīr, Naṣr Allāh ibn Muḥammad, "al-Mathal al-Sā'ir fī Adab al-Kātib wa-al-Shā'ir", investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, ((No edition,, Beirut, Lebanon: al-Maktabah al-'Aṣrīyah, 1420 AH) .
- al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tahdhīb al-lughah", investigation: Muḥammad 'Awaḍ Mur'ib, (1st Edition, Beirut: Dār Ihya' al-Turāth al-'Arabī, 2001).
- al-Ushmūny, 'Alī ibn Muḥammad, "Sharḥ al-Ushmūnī 'alā Alfīyat Ibn Mālik", (1st Edition Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1419AH -1998).
- Buḥayrī, Sa'īd Ḥasan, "Dirāsāt Lughawīyah Taṭbīqīyah", (No edition, Cairo: Maktabat al-Ādāb, 2005).
- al-Baghdādī, 'Abd al-Qādir ibn 'Umar, "Khizānat al-Adab wa-Lubb Lubāb Lisān al-'Arab", investigation: 'Abd al-Salām Muḥammad Ḥārūn, ((No edition, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1418AH -1997).
- al-Jāhiz, 'Amr ibn Baḥr, "al-Burṣān wa-al-'Urjān wa-al-'Umyān wa-al-Ḥawlān", investigation: 'Abd al-Salām Ḥārūn (1st Edition, Beirut: Dār al-Jīl, 1410 AH).
- al-Jāhiz, 'Amr ibn Baḥr, "al-Bayān wa-al-Tabyīn", (No edition, Beirut : Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1423AH).
- al-Jirjāwī, Khālīd ibn 'Abdillāh, "Sharḥ al-Taṣrīḥ 'alā al-Tawḍīḥ", (1st Edition, Beirut-Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1421 AH-2000).
- al-Janājī, Ḥasan ibn Ismā'īl, "al-Balāghah al-Ṣāfiyah fī al-Ma'ānī wa-al-Bayān wa-al-Badī'", (1st Edition, Cairo– Egypt: al-Maktabah al-Azharīyah lil-Turāth, 2006).
- Ibn Jinnī, 'Uthmān, "al-Khaṣā'is", (4th Edition, Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, undated).
- Ibn Jinnī, 'Uthmān, "al-Luma' fī al-'Arabīyah", investigation: Fā'iz Fāris, (No edition, Kuwait: Dār al-Kutub al-Thaqāfiyah, undated).
- al-Ḥazimī, Aḥmad ibn 'Umar, "Fath Rabb al-Barīyah fī Sharḥ Naẓm al-Ājurrūmiyah", (1st Edition, Makkah al-Mukarramah: Maktabat al-Asadī, 1431 AH -2010).
- Ḥabannakah, 'Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan, "al-Balāghah al-'Arabīyah", (1st Edition, Damascus: Dār al-Qalam – Beirut: al-Dār al-Shāmiyah, 1416 AH -1996).
- Ibn Abī al-Ḥadīd, 'Abd al-Ḥamīd ibn Hibat Allāh, "al-Falak al-Dā'ir

- ‘alá al-Mathal al-Sā’ir", investigation: Aḥmad al-Ḥawfy-Badawī Ṭabānah, (No edition, Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, undated).
- al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ‘Abdillāh, "Mu‘jam al-Buldān", (2nd Edition, Beirut: Dār Ṣādir, 1995).
- al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ‘Abdillāh, "Irshād al-Arīb ilá Ma‘rifat al-Adīb", investigated by: Iḥsān ‘Abbās, (1st Edition, Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1414 AH -1993).
- Ḥanbal, Aḥmad ibn Muḥammad, "Musnad al-Imām Aḥmad", investigation: Shu‘aib al-Arna’ūt et al. supervised by: ‘Abdullāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, (1st Edition, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1421AH -2001).
- Khalīl, Ḥilmī, "al-Kalimah: Dirāsah Lughawīyah Mu‘jamīyah", (2nd Edition, Cairo: Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘īyah, 1998).
- al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān, "Mīzān al-I’tidāl fī Naqd al-Rijāl", investigation: ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, (1st Edition, Beirut, Lebanon: Dār al-Ma‘rifah, 1382 AH -1963).
- al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Siyarr A‘lām al-Nubalā'", Investigated by: a group of investogators under the supervision of al-Shaykh Shu‘aib al-Arnā’ūt, (3rd Edition, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1405 AH / 1985).
- Al-Rumānī, ‘Alī ibn ‘Īsā ibn ‘Alī, "Risālat Manāzil al-Ḥurūf", investigation: Ibrāhīm al-Sāmurrā’ī, (No edition,, Amman: Dār al-Fikr, undated).
- Robert, de Beaugrand, "Text, discourse, and process", translated by: Tammām Ḥassān, ((No edition, Cairo: ‘Ālam al-Kutub, 1988).
- Al-Zajjājī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Ishāq, "al-Lāmāt", investigation: Māzin al-Mubārak, (2nd Edition, Damascus: Dār al-Fikr, 1405AH -1985).
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad, "al-Mufaṣṣal fī Ṣan‘at al-I‘rāb", investigation: ‘Alī Bū Mulḥim, (1st Edition, Beirut, Lebanon: Maktabat al-Hilāl, 1993).
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr, "Asās al-Balāghah", investigation: Muḥammad Bāsīl ‘Uyūn al-Sūd, (1st Edition, Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1419AH -1998).
- al-Subkī, Aḥmad ibn ‘Alī ibn ‘Abd al-Kāfī, "Arūs al-Afrāḥ fī Sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ", investigation: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī, (1st Edition, Beirut, Lebanon: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 1423 AH - 2003).

- Ibn al-Sirāj, Muḥammad ibn al-Sirrī, "al-Uṣūl fī al-Naḥw", investigation: 'Abd al-Ḥusain al-Fatī, (No edition, Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Risālah, undated).
- al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr ibn Muḥammad, "Miftāḥ al-'Ulūm", investigation: Na'im Zarzūr, (2nd Edition, Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1407 AH -1987).
- Ibn Sinān, 'Abdullāh ibn Muḥammad ibn Sa'īd, "Sirr al-Faṣāḥah", (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1402 AH -1982).
- al-Suyūfī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, "Ham' al-Hawāmi' fī Sharḥ Jam' al-Jawāmi'", investigation: 'Abd al-Ḥamīd Hindāwī, ((No edition, Egypt: al-Maktabah al-Tawfiqīyah, undated).
- al-Shaibānī, Ishāq ibn Marrār, "al-Jīm", investigated by: Ibrāhīm al-Abyārī, revised by: Muḥammad Khalaf Aḥmad, (1st Edition, Cairo: al-Hay'ah al-'Āmmah li-Shu'un al-Maṭābi' al-Amīriyah, 1394AH -1974).
- Al-Sabbān, Muḥammad ibn 'Alī, "Hāshiyat al-Sabbān 'alā Sharḥ al-Uhmouni li-Alfiyat Ibn Mālīk", (1st Edition, Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1417 AH -1997).
- al-'Abbāsī, 'Abd al-Raḥīm ibn 'Abd al-Raḥmān ibn Aḥmad, "Ma'āhid al-Tanṣīṣ 'alā Shawāhid al-Talkhīṣ", investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, ((No edition., Beirut, Lebanon: 'Ālam al-Kutub, undated).
- 'Atīq, 'Abd al-'Azīz, "Ilm al-Bayān", (No edition, Beirut, Lebanon: Dār al-Naḥḍah al-'Arabīyah, 1405AH -1982)
- al-'Asqalānī, Aḥmad ibn Ḥajar, "Lisān al-Mīzān", Investigated by: 'Abd al-Fattāḥ Abū Ghuddah, (1st Edition, Aleppo: Dār al-Bashā'ir al-Islāmīyah, 2002).
- al-'Askarī, al-Ḥasan ibn 'Abdillāh ibn Sahl, "al-Ṣinā'atayn", investigation: 'Alī Muḥammad al-Bajāwī-Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, ((No edition, Beirut, Lebanon: al-Maktabah al-'Unṣuriyah, undated).
- 'Afīfī, Aḥmad, "Naḥwa al-Naṣṣ: Ittijāhun Jadīd fī al-Darrs al-Lughawī", (1st Edition, Cairo, Egypt: Maktabat Zahrā' al-Sharq, 2001).
- Ibn 'Aqīl, 'Abdullāh ibn 'Abd al-Raḥmān, "Sharḥ Ibn 'Aqīl 'alā Alfiyat Ibn Mālīk", investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, (2nd Edition, Cairo: Dār al-Turāth, Dār Miṣr, Sa'īd Jawdah al-Saḥḥār wa-Shurakāh, 1400AH -1980).
- al-'Ukbarī, 'Abdullāh ibn al-Ḥusain, "al-Lubāb fī 'Ilal al-Binā' wa-al-

- I'rāb", investigation: 'Abd al-Ilāh, (1st Edition, Damascus: Dār al-Nabhān, 1416AH 1995).
- al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, "al-Jumal fī al-Naḥw", investigation: Fakhr al-Dīn Qabāwah, (1st Edition, Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1405AH - 1985).
- Al-Fairouzabādi, Muḥammad ibn Ya'qūb, "Baṣā'ir dhawī al-Tamyīz fī Latā'if al-Kitāb al-'Azīz", investigation: Muḥammad 'Alī al-Najjār, (No edition, Cairo: Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage, undated)
- al-Qurṭubī, Yūsuf ibn 'Abd al-Barr, "al-Istī'āb fī Ma'rifat al-Aṣḥāb", investigated by: 'Alī Muḥammad al-Bajāwī, (1st Edition, Beirut: Dār al-Jīl, 1412 AH -1992).
- al-Qazwīnī, Muḥammad ibn 'Abd al-Raḥmān, "al-Īdāḥ fī 'Ulūm al-Balāghah", (4th ed., Beirut, Lebanon: Dār Ihya' al-'Ulūm, 1998)
- al-Qairawānī, Ibrāhīm ibn 'Alī, "Zahr al-Ādāb wa-Thamar al-Albāb", ((No edition,, Beirut, Lebanon: Dār al-Jīl, undated).
- Lines, John, "'Ilm al-Dilālāh", translated by: Majīd 'Abd al-Ḥalīm al-Māshṭah - Ḥalīm Ḥusain Fāliḥ - Kāzim Ḥusain Bāqir, (No edition, Basra: university of Basra, 1980).
- Ibn Mālīk, Muḥammad ibn 'Abdillāh, "Sharḥ al-Kāfiyah al-Shāfiyah", investigation: 'Abd al-Mun'im Aḥmad Harīdī, (1st Edition, Makkah al-Mukarramah, Umm Al-Qura University, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, College of Sharia and Islamic Studies, undated).
- al-Mubarrid, Muḥammad ibn Yazīd, "al-Muqtaḍab", investigation: Muḥammad 'Abd al-Khāliq 'Uḍaimah, (No edition,, Beirut, Lebanon: 'Ālam al-Kutub, undated).
- al-Murādī, Ḥasan ibn Qāsim, "al-Janā al-Dānī fī Ḥurūf al-Ma'ānī", investigation: Fakhr al-Dīn Qabāwa - Muḥammad Nadīm Fādīl, (1st Edition, Beirut - Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1413 AH -1992).
- al-Murādī, Ḥasan ibn Qāsim, "Tawḍīḥ al-Maqāṣid wa-al-Masālik be-Sharḥ Alfīyat Ibn Mālīk", investigation: 'Abd al-Raḥmān 'Alī Sulaymān, (1st Edition, Beirut: Dār al-Fikr al-'Arabī, 1428 AH - 2008).
- al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafā, "'Ulūm al-Balāghah: al-Bayān, al-Ma'ānī, al-Baḍī'", (3rd Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1414 AH -1993).

- al-Marzūqī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Ḥasan, "al-Azminah wa-al-Amkinah", (1st Edition, Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1417 AH).
- Miftāḥ, Muḥammad, "Tahḥīl al-Khiṭāb al-Shi‘rī: Istirātījīyah al-Tanāṣṣ", (3rd Edition, Casablanca, Morocco: al-Markaz al-Thaqāfi al-‘Arabī, 1992).
- Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, "Lisān al-‘Arab", (3rd Edition, Beirut, Lebanon: Dār Ṣādir, 1414 AH).
- al-Muhallabī, Aḥmad ibn ‘Alī ibn Ma‘qal, "al-Ma‘ākhidh ‘alā Shurrāḥ Dīwān Abī al-Ṭayyib al-Mutanabbī", investigation: ‘Abd al-‘Azīz ibn Nāṣir al-Mānī, (2nd Edition, al-Riyāḍ: Markaz al-Malik Fayṣal lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-Islāmīyah, 1424AH -2003).
- Nāẓir al-Jaish, Muḥammad ibn Yūsuf ibn Aḥmad, "Tamhīd al-Qawā‘id be-Sharḥ Tashīl al-Fawā‘id", investigation: ‘Alī Muḥammad Fākhir, (1st Edition, Cairo, Egypt: Dār al-Salām, 1428 AH).
- al-Harawī, Muḥammad ibn ‘Alī, "Isfār al-Faṣīḥ", investigation: Aḥmad ibn Sa‘īd ibn Muḥammad Qashāsh, (1st Edition, Medina, Saudi Arabia: Deanship of Scientific Research, Islamic University, 1420 AH).
- Ibn Hishām, ‘Abdullāh ibn Yūsuf, "Sharḥ Qaṭr al-Nadā wa-Ballu al-Ṣadā", investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, (1st Edition, Cairo: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1383 AH).
- Ibn Hishām, ‘Abdullāh ibn Yūsuf, "Mughnī al-Labīb ‘an Kutub al-A‘ārīb", investigation: Māzin al-Mubārak-Muḥammad ‘Alī Ḥamad Allāh, (6th Edition, Damascus: Dār al-Fikr, 1985).
- Ibn al-Warrāq, Muḥammad ibn ‘Abdillāh, "‘Ilal al-Naḥw", investigation: Maḥmūd Jāsim Muḥammad al-Darwīsh, (1st Edition, Riyadh, Saudi Arabia: Al-Rushd Bookstore, 1420 AH - 1999).
- Yūnus, Muḥammad Muḥammad, "al-Ma‘nā wa-Zilāl al-Ma‘nā: Anẓimat al-Dilālāh al-‘Arabīyah", (2nd Edition, Beirut, Lebanon: al-Madār al-Islāmī, 2007).

الأبعاد التَّداوليَّة عند ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في
تفسيره للسبع الطوال
"دراسة في ضوء نظرية التلقي"

The Pragmatic Dimensions of Ibn al-Jawzi's (d.
597AH) Interpretation of the Seven Long Surahs
A study in light of the Reception Theory

د. طلال بن خلف الحساني

أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة الباحة

البريد الإلكتروني: tkhalaf@bu.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2025/02/22		استلام البحث A Research Receiving 2024/02/22
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-015		

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى رصد الأبعاد التداوُلِيَّة التي وردت عند ابن الجوزي في تفسيره الموسوم بـ(زاد المسير في علم التفسير)، تلك الأبعاد التي من شأنها أن تحقق فاعلية التلقي؛ لأنها تلتفت إلى كيفية عناية المفسر بالمتلقي الذي يستقبل النص التفسيري، وتكشف كيف كان المتلقي حاضرًا في وعي المفسر من جانب، كما تكشف في الوقت ذاته كيف ترجم المفسر هذا الحضور داخل بنية المدونة التفسيرية بوسائل تعبيرية مختلفة من جانب آخر.

في ضوء ما تقدم؛ فقد استعان الباحث بإجراءات المنهج الوصفي التحليلي مع تطبيق آليات التداوُلِيَّة في أثناء التحليل؛ بغية استكشاف تلك الأبعاد التداوُلِيَّة، وقد تبين لدى الباحث أنّ ابن الجوزي استخدم بعض الأبعاد التداوُلِيَّة، ومنها القصديّة، والحوار الافتراضي القائم على التوقع والاستفهام، وكذلك تداوُلِيَّة الحجاج بين المفسر والمتلقي، تلك الأبعاد التي أثبتت كيف كان لدى أسلافنا القدماء -وفي مقدمتهم المفسرون- وعيٌ مبكرٌ بآليات التلقي، تلك الآليات التي قد يُظنُّ أنها وليدة المدارس الغربية الحديثة؛ مما يثبت للعلماء العرب حقهم في السبق والريادة.

الكلمات المفتاحية: (التداوُلِيَّة، التلقي، السبع الطوال، ابن الجوزي).

Abstract

The research aims to identify the pragmatic dimensions utilized by Imam Ibn al-Jawzi in his interpretation titled: "**Zād Al-Masīr Fī 'Ilm Al-Tafsīr**". These dimensions are intended to enhance the effectiveness of reception, as they focus on how the interpreter attends to the audience receiving the interpretive text. The study reveals how the audience was present in the consciousness of the interpreter on one hand, and simultaneously illustrates how the interpreter translated this presence within the structure of the interpretive work using various expressive means on the other hand.

In light of the above, the researcher employed the procedure of the inductive method to explore these pragmatic dimensions. It became clear to the researcher that Imam Ibn al-Jawzi indeed relied on certain pragmatic dimensions, including intentionality, hypothetical dialogue based on expectation and inquiry, the pragmatics of argumentation between the interpreter and the audience, as well as references of various types. These dimensions demonstrate that our ancient predecessors, particularly the interpreters, had an early awareness of the mechanisms of reception—mechanisms that may be thought to be products of modern Western schools—thus affirming the rightful leadership of Arab scholars.

Keywords: Pragmatic, Reception, the Seven Long Surahs, Ibn al-Jawzi.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن هذه الدراسة تتخذ من أحد كتب التفسير الرصينة، وهو تفسير (زاد المسير في علم التفسير)، لابن الجوزي مادة للدرس والتحليل، حيث يسعى الباحث من خلالها إلى رصد الأبعاد التداولية التي وردت في تفسيره، وكيف كانت عناية المفسر بالمتلقي الذي يستقبل النص التفسيري، وكيف كان المتلقي حاضرًا في وعي المفسر من جانب، وفي الوقت ذاته كيف ترجم المفسر هذا الحضور داخل بنية المدونة التفسيرية بوسائل تعبيرية مختلفة من جانب آخر؛ ومن ثم بيان أثر تلك الأبعاد في تحقيق فاعلية عملية التلقي.

وتعد التداولية رافدًا رئيسًا في الدراسات اللسانية المعاصرة؛ نظرًا لاهتمامها بدراسة اللغة من خلال السياق التواصل، بالإضافة إلى عنايتها بالمتلقي؛ ومن ثم تعد التداولية استراتيجية مهمة في تحليل الخطاب على اختلاف أنواعه، مما يعني أن المدونة التفسيرية يمكن النظر إليها بوصفها خطابًا يستجيب للتحليل التداولي الذي يُعنى باستكشاف فاعلية التواصل من جانب، ويُعنى بالتماسك والتفاعل بين الأنساق من جانب آخر، في ظلال آليات تعبيرية، وتقنيات أسلوبية تحقق في النهاية غاية كبرى، وهي الإقناع، أي إقناع المتلقي بالرسالة المتداولة بين طرفي عملية التواصل.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن عدة تساؤلات هي: هل تضمن تفسير زاد المسير أبعادًا تداولية؟ وما أنماط تلك الأبعاد؟ وهل يشكل ورودها لدى ابن الجوزي ملمحًا أسلوبيًا بارزًا؟ أم كانت من قبيل المصادفة؟ وما الدليل على ذلك؟ وما أثر استخدام تلك الآليات التداولية في فاعلية عملية التلقي؟

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الغايات الآتية:
- أ - رصد الأبعاد التداولية التي وردت عند ابن الجوزي في تفسيره.
 - ب - بيان أثر تلك الأبعاد التداولية في تحقيق فاعلية التلقي، وبيان أثرها في إيجابية العملية الاتصالية.
 - ج - تعميم مقولة (فاينراش) بأنّ (النظرية النحوية تقتضي مفهومًا حوارياً للغة) على مجال التفسير، الأمر الذي من شأنه إثبات أنّ النظرية التفسيرية تقتضي هي الأخرى مفهومًا حوارياً للغة.
 - د - توسيع دائرة البحث اللغوي في تراثنا التفسيري، وذلك بإضافة المستوى التداولي -الذي يركز على فاعلية الاتصال بين المفسر ومتلقي النص التفسيري- إلى مستوى الحدث الكلامي، وهذا يتسق مع ما نادى به (فان دايك) عند تأصيله للتداولية.
- ### أهمية الدراسة:

- تستمد الدراسة الحالية أهميتها من عدة روافد، هي:
- أ - إثبات حق علمائنا القدامى -ومنهم المفسرون- في أنهم سبقوا المستشرقين إلى العديد من القضايا اللسانية المعاصرة.
 - ب - إعادة قراءة تراثنا التفسيري الرصين وفقاً لقراءة معاصرة؛ وذلك في ضوء آليات القراءة التداولية، الأمر الذي من شأنه استكشاف جوانب إبداعية جديدة في تراثنا التفسيري.
 - ج - الكشف عن أبعاد الناحية الاتصالية بين المفسرين من جانب، وبين قارئ كتب التفسير -على امتداد العصور- من جانب آخر.
 - د - الإسهام في إمطة اللثام عن مكان الإبداع في تراثنا التفسيري؛ وذلك في ضوء

آليات التفاعل بين المنشئ والمتلقي، في ضوء معطيات نظرية التلقي.

مادة الدراسة:

تنهض هذه الدراسة الحالية متخذة من كتاب "زاد المسير في علم التفسير"، للعلامة الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، مادة للدرس والتحليل، مع الاعتماد على الطبعة الأولى لدار بن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

منهج الدراسة:

يعد المنهج الوصفي القائم على تحليل الأقوال التفسيرية لابن الجوزي في تفسيره هو المنهج الأكثر مناسبة لهذه الدراسة، مع الاستعانة بآليات المنهج التداولي بوصفه أحد المناهج اللسانية التي تعنى بدراسة استعمال العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات المقامية المختلفة التي يتضمنها الخطاب، كما أنه المنهج الذي يهتم بالبحث عن تلك الآليات التي تجعل الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة؛ ويتجاوز الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيداً عن الأغراض والوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها، ومن ثم فهو المنهج الذي يقوم على تفتيت الخطاب، واستنطاق مقاصده وغاياته، الصريح منها والضمني^(١).

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث عند دراسة تناولت كتاب زاد المسير في علم التفسير وفقاً

(١) ينظر: براون، جيلان، يول جورج، "تحليل الخطاب"، ترجمة: حمد لطفی الزليطني، ومنير التريكي، (د. ط، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٧)، ص ١. وينظر: بوفناز، حسين، عليوات، سامية، "المنهج التداولي في خطبة أكثم بن صيفي عند كسرى"، مجلة الموروث، ١٤ مج (٩)، ٢٠٢١م: ص ٢٣٨.

للمنظور التداولي، وإنما كانت الدراسات اللغوية حول تفسيره تنصب في بوتقة المستويات اللغوية المعهودة^(١)، في حين وقف الباحث عند دراستين حول كتابين آخرين لابن الجوزي من منظور تداولي، هما:

- إنتاج الفكاهة من منظور تداولي (دراسة تطبيقية على كتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي) د. أحمد طه رضوان، مجلة الجامعة الإسلامية، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.
- الحوار في كتاب (الأذكياء)، لابن الجوزي "مقاربة تداولية"، بوقرة نبيلة،

(١) من تلك الدراسات التي قامت حول كتاب (زاد المسير): "الإسهامات اللغوية لابن الجوزي من خلال تفسيره زاد المسير"، مبارك بلالي، منشورات مجلة المعيار، الجزائر، مجلد ٢٦، العدد ٦٣، عام ٢٠٢٢م، و"البحث الدلالي عند ابن الجوزي"، سالم إبراهيم العكرمي، رسالة ماجستير، جامعة المنصورة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٥م، و"البحث الصرفي في تفسير زاد المسير"، سهر جواد علي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٠م، و"بعض اختيارات ابن الجوزي في تفسير زاد المسير في ضوء قواعد الترجيح"، دراسة نظرية تطبيقية، حنان بنت قاسم العنزي، حولية كلية أصول الدين والدعوة، المنوفية، جمهورية مصر العربية، العدد ٣٥، عام ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، و"دراسة اللغة في كتاب زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي"، ابتسام محمد نور غباشي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، و"الدراسات اللغوية والنحوية في زاد المسير"، لابن الجوزي، صباح عطوي عبود، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٩١م، و"المباحث اللغوية والنحوية في تفسير ابن الجوزي"، صلاح الدين سليم محمد، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ١٩٩٤م، و"منهج ابن الجوزي في تفسير زاد المسير دراسة وصفية تحليلية"، منير أحمد مقبل قاسم، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤٣٦هـ.

- أطروحة دكتوراه، جامعة العربي التبسي، الجزائر، ٢٠٢٢م^(١).
- وقد أفادت الدراسة الحالية من دراسات أخرى سابقة، اتخذت من التداولية منهجاً في تناول الأقوال التفسيرية للمفسرين في تفاسيرهم، منها^(٢):
- مظاهر التداولية في التبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت ٤٦٠هـ)، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، العراق، علي محمد نور مجيد عباس، رسالة ماجستير، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
 - الأبعاد التداولية في تفسير قصص سور الطواسين، الباحث: محمد كامل محمد علي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٢٠م.
 - الأبعاد التداولية في تفسير القرآن الكريم، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور نموذجاً، لك سهيلة حساني، مجلة الخليل في علوم اللسان، ٢٠٢١م.
 - الأبعاد التداولية عند الزمخشري في تفسيره لسورة النمل، نماذج مختارة، ل: خديجة بصول، ومحمد خرباش، مجلة النص، الجزائر، مجلد ٧، عدد ٢، ٢٠٢١م.
 - المقاصد التداولية في تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، سعاد ثروت محمد ناصف، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٢٣م.
 - سورة الأعراف دراسة تداولية في تفسير الطاهر ابن عاشور، أحمد صالح علي صالح، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، العدد ٥٤، يناير ٢٠٢٤م.

(١) للمزيد من الدراسات ينظر: "منشورات مرصد تفسير للدراسات القرآنية، ابن الجوزي حياته، جهوده في الدراسات القرآنية، الكتابات حوله"، د.ت، من ص ١٨ إلى ص ٣٠.

. <https://tafsiroqs.article.com>

(٢) تم ترتيب الدراسات السابقة ترتيباً تاريخياً من الأقدم إلى الأحدث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة ومبحثين، اشتملت المقدمة على تساؤلات الدراسة، وأهدافها، وأهمية الموضوع، والمنهج المتبع في الدراسة، ومادة الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث. وحوى المبحثان مصطلحات الدراسة، والأبعاد التداولية عند ابن الجوزي، حيث اشتمل الأول منهما على دراسة المصطلحات وقضاياها التنظيرية، واختص الثاني بالجانب التطبيقي مشتملاً على الأبعاد التداولية عند ابن الجوزي، وهي القصصية وأثرها في التلقي، والحوار الافتراضي القائم على التوقع والاستفهام، وتداولية الحجاج بين المفسر والمتلقي "أنماطه ودلالاته".

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة وقضاياها النظرية

مصطلح: (التداولية)^(١):

كان لأسلافنا العرب القدامى جهود بارزة، تؤكد وعيهم وإلمامهم بمباحث الدرس التداولي المتنوعة؛ يبرهن ذلك أن "الدارس للبلاغة العربية القديمة يلاحظ أنها حاملة محتوى تداوليًا وذلك لاهتمامها بالباط والمستقبل والسياق والمقام، وتعود ملامح التداولية في الفكر العربي إلى كوكبة من العلماء كالجاحظ، وسيبويه والجرجاني وابن جني وغيرهم...، فنجد ملامح التداولية عند ابن جني من خلال توظيفه لعلاقة اللفظ بالمعنى، وعلاقة اللفظ باللفظ، وعلاقة الحروف ببعضها...، كما مزج سيبويه بين الباط والمتلقي من خلال القناة والفهم والسياق، وذلك من خلال جعل النحو مرتبطًا بالظاهرة الاجتماعية، وأغراض المتكلم، ومقام السامع، والوسائل الموصلة للكلام"^(٢).

(١) سيتجاوز الباحث حدود التعريف اللغوي، ويدلف مباشرة إلى التعريف الاصطلاحي؛ نظرًا لأنّ جلّ الدراسات السابقة قد تعرضت لهذا الجانب، مع الإشارة السريعة إلى ما دار في فلك المعنى اللغوي لكل مصطلح، متى تطلب الأمر ذلك.

(٢) إبراهيم لحذاري، وسماح بن خروف، "الأبعاد التداولية في التراث اللغوي العربي"، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريّج، الجزائر، مج ٣، ١٤، يناير ٢٠٢٢م. ص ٣٢١-٣٢٧.

وللمزيد ينظر: بناني، محمد الصغير، "النظريات اللسانية والأدبية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين" (د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م)، ص ١٦١، وما بعدها. و: غلفان، مصطفى، "اللسانيات العربية أسئلة المنهج"، (ط ١، عمّان: الأردن، دار ورد الأردنية، ٢٠١٣م)، ص ٢٢١ وما بعدها. و: الدخيل، معاذ، "منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية"، مقارنة تداولية، (ط ١، تونس: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٤م). ص ٦٢-١١٨. و: مصطفى،

=

فالعلماء العرب عرفوا ملامح الدرس التداولي، وتناولوا مباحث التداولية في دراساتهم دون التنظير للمصطلح بهذا المسمى، في الوقت الذي ظهر فيه مصطلح التداولية لدى الغرب بمصطلحاته المتعارف عليها في أروقة الدرس اللساني المعاصر، وبالنظر في الجهود الغربية نجد أنّ (تشارلز موريس) هو أول من صاغ تعريفاً للتداولية عام ١٩٧٩م، متأثراً بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة؛ حيث جعل التداولية في ثلاثة فروع: أولها: علم التركيب، وقد درس فيه العلاقة الشكلية بين تراكيب الجملة. وثانيها: علم الدلالة...، وآخرها: البراجماتية اللسانية؛ ودرس فيها علاقة الرموز بمفسيها، أي: علاقة العلامات بمفسيها^(١).

مع ملاحظة أنّ مفهوم البراجماتية اللسانية هي أقرب الفروع الثلاثة التي أشار فيها (تشارلز موريس) إلى وظيفة التداولية التي حددها التداوليون فيما بعد؛ حيث تشير التداولية -وفقاً للغاية التي ينشدها المرسل، ويهدف إلى رصدها الباحث في الدراسة الحالية- إلى "كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه [أي المرسل] عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه"^(٢). وقد التفت اللسانيون العرب إلى هذا المصطلح ووضعوا له مرادفات متعددة،

=

مبارك، "التفكير التداولي في البلاغة العربية"، مجلة العلامة، مج ٧، ع ٤٤، ديسمبر ٢٠٢٢م، المركز الجامعي بالجزائر، ص ٣٧-٥٦.

(١) ينظر: عكاشة، محمود، "النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، (ط ١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣م)، ص ٢٨-٣٠.

(٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، (ط ١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ص ٢٢.

منها: البراجماتية، والفوائدية، والنفعية، والعملية، والذرائعية، إلا أن أقرب المصطلحات إلى وظيفتها هو التداولية؛ إذ يوحي بتبادل الأدوار بين المتكلم والمتلقي، كما أن استمرار التداول يوحي بالتواصل والفهم المستمر^(١). ويعد طه عبد الرحمن وسعيد علوش وجميل حمداوي، من اللسانيين الذين أدلوا بدلوهم في ترجمة هذا المصطلح، وهو مصطلح يشير إلى معنيين هما: "الاستعمال، والتفاعل معاً"^(٢). وقد اقتفى الدارسون العرب ذلك الأثر، وأثبتوا للتداولية وظيفتها في هذين الجانبين؛ وأقروا بأن التداولية هي: "دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل في سياق مادي، واجتماعي، ولغوي، وصولاً إلى المعنى الكامل في كلام ما"^(٣).

لقد كان الشغل الشاغل لدى التداوليين هو الوقوف عند القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، ومن ثم تُعدُّ التداولية علم استخدام اللغة^(٤).

في ضوء ما تقدّم فإنّ الدراسة الحالية تُعدُّ دراسةً لغويةً تداوليةً نصّيةً في جوهرها؛ لأنّ "المبرر الأكبر للدراسات اللغوية هو تحسين الاتصال"^(٥). ومن ثمّ فإنّ

(١) ينظر: عكاشة، محمود، "النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، (مرجع سابق) ص ٣.

(٢) عبد الرحمن، طه، "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، (ط ٢، الدار البيضاء: المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م)، ص ٢٨.

(٣) نحلة، محمود، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، (ط ١، مصر: دار المعرفة، ٢٠٠٢م)، ص ١٤.

(٤) ينظر: صحراوي، مسعود، "التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني"، (ط ١، الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ٢٥-٢٦.

(٥) ناصف، مصطفى، "اللغة والتفسير والتواصل"، (د. ط، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس

مهمة الباحث النصّي هي الوقوف عند مدى فاعلية الاتصال بين طرفي الناحية الاتصالية، وأعني بهما (المنشئ، والمتلقي)، سواء كان المنشئ مخاطبًا المتلقي مباشرة، أم مكاتبًا، فإنّ عملية التواصل تتم عبر أثر رسالة متداولة بينهما، هي النصّ.

ومن المفترض أن تكون وظيفة المنشئ، وغايته الكبرى هي اجتذاب المتلقي نحو النص، والتأثير فيه، عن طريق استخدام أدوات لغوية بعينها دون غيرها؛ بغية تحقيق تلك الغاية التي يستخدم من أجلها كل أدواته اللغوية؛ وهذا ما يفسر مقولة براون: "إنّ المعاني لا تكمن في الأدوات اللغوية المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات، ويوظفها بشتى السبل؛ لتحقيق مقاصده ونواياه"^(١).

تأسيسًا على ما تقدّم فإنّ مهمة الباحث في الدراسة الحالية تتمثل في رصد أبعاد الناحية الاتصالية بين طرفي الخطاب التفسيري، وهو ما يعني كشف الجانب التداولي في كتاب من كتب التفاسير التراثية له مكانته وأهميته؛ فالقراءة النصّية تستدعي أن تقوم دراسة النص على مراعاة بُعد التداولية، وهو البعد الذي نادى بإضافته (فان دايك) ووصفه بالمستوى الثالث، وهو المستوى التداولي؛ مستوى الحدث الكلامي وما يتطلبه من قيود ومعايير، فلم يعد كافيًا - في تصوره - ويوافقه الباحث - أن يوصف المنطوق من جهتي بنيته النحوية والدلالية فحسب، وإنما باعتبار الحدث المنجز من خلال إنتاج مثل ذلك المنطوق، علمًا أن إضافة هذا المستوى ستمكن من بناء جزء من المقتضيات التي تجعل الأقوال، المنطوقات، الجمل الصغرى،

=

الوطني للثقافة والفنون والآداب، رجب ١٤١٥-١٩٩٥م)، ص ٢٤١.

(١) يول، براون، "تحليل الخطاب"، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، (د. ط، الرياض:

جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م)، ص ٢٢٧.

مقبولة تداوليًا، وبتعبير آخر مناسبتها بالنظر إلى السياق التواصلية الذي تنجز فيه^(١).
جدير بالذكر أنه من ثمار القراءة التداولية للنصوص عامة، وللتراث التفسيري الرصين خاصة؛ هو دراسة النص دراسة "وصفية من واقع النظر إلى كونه مقبولا تداوليًا، خلال السياق الذي أنجز فيه، وهو مستوى العمل؛ بمعنى أن القول لن يوصف فقط بمراعاة بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه، وإنما سيوصف باعتبار الفعل المنجز بإنتاج هذا القول"^(٢).

إن الوقوف عند الأبعاد التداولية في التراث التفسيري أمر يقود إلى الوقوف على جانب من جوانب التماسك النصي للمدونات التفسيرية؛ لأن "التماسك النصي ذو طبيعة دلالية، مهما تدخلت فيه العمليات التداولية، هذا التماسك يتميز بخاصية خطية؛ حيث يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية، وتصبح المتتالية متماسكة دلاليًا عندما تقبل كل جملة فيها التفسير والتأويل في خط داخلي، يعتبر امتدادًا بالنسبة لتفسير غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية، أو من الجمل المحددة المتضمنة فيها، ومن هنا فإن مفهوم النص تتجدد خصائصه بفكرة التفسير النسبي، أي تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كليًا"^(٣).

وتعد المدونات التفسيرية حقلاً خصباً لإجراءات القراءة النصية التداولية وآليات التحليل النصي، فقد رصد الباحث في تفسير ابن الجوزي ما يثبت ذلك، وهذا يؤكد

(١) بحيري، سعيد حسن، "علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات"، (ط ١)، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان (١٩٩٧م)، ص ٢٣١.

(٢) خطابي، محمد، "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"، (ط ١)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، (١٩٩١م)، ص ٢٩.

(٣) فضل، صلاح، "بلاغة الخطاب وعلم النص"، (ط ١)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (٢٠٠٤م)، ص ٣٠٤.

حرص المفسرين على مد جسور التواصل مع قارئهم، كما حرصوا على جذب المتلقي إلى نصوصهم التفسيرية بأكثر من طريقة؛ ومن ثم تتبين صعوبة مهمة المحلل النصي؛ لأن "التحليل النصي يتسم بسمة جوهرية من بين سماته المتعددة، وهي سمة الدينامية الحرة في الانتقال بين عدة أشكال تحليلية لاستخلاص معايير وقيود تستخلص من النصوص ذاتها، ولا يفرضها الباحث عليها من خلال تصورات مسبقة"^(١).

ويرى طه عبد الرحمن أن "التداول متى تعلق بالممارسة التراثية؛ فهو وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقًا زمنيًا للحصول على التفاعل والتواصل"^(٢).

كما تؤكد ذلك أيضًا الدراسات الأخرى المعاصرة حول المدونات التفسيرية، فقد حاول أصحابها رصد تلك الأبعاد التداولية في تلك التفاسير، وتوصلوا إلى أن المفسرين قد قدموا أمام الآيات القرآنية وقفات تقترب بشكل كبير من رؤية اللسانيات التداولية الحديثة؛ باعتبار أن اللغة تُعدُّ نشاطًا تداوليًا^(٣).

تأسيسًا على ما تقدم فإن هذين الجانبين لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا يمكن فصلهما؛ إذ فصلهما أمرٌ من شأنه عدم استكشاف فاعلية عملية التلقي التي تعد صلب التحليل النصي.

(١) بحيري، سعيد حسن، "علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات"، (مرجع سابق)، ص ١٤٠.

(٢) عبد الرحمن، طه، "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، (مرجع سابق)، ص ٢٤٤.

(٣) ينظر: بوجادي، خليفة، "التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادره ومجالاته"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ع ١٦، سنة ٢٠١٢م، ص ٤.

هنا يكمن تساؤل مفاده: هل من الممكن أن تتحقق فاعلية التلقي رغم الاتصال عن بُعد؟ ولا يزعم الباحث أنه هو من يجيب عن هذا التساؤل؛ فقد أجاب عنه من قبل كل من (فولفجانج هاينه) و (ديتر فيهفيجر)؛ حيث أقرّا بأنّ: "الاتصال عن بُعد لا يلغي التفاعلية: فالشركاء يتفاعلون أيضًا بواسطة النصوص المكتوبة بعضهم من بعض، ويؤثر في بعضهم البعض، غير أنّه فقط عن بُعد، فالكاتب والمتلقي ينجزان نشاطاتهما الاتصالية في سياقات جزئية مختلفة؛ فالسياق الشامل لم يعد يُصنع إلا من خلال النص" (١).

هذا البعد التفاعلي أكّده في الوقت ذاته التداوليون العرب في ثنايا دراساتهم المتنوعة، منهم على سبيل المثال أحمد عفيفي، حين أكّد ضرورة "مراعاة التفاعل والترابط بين جسد النص بأجزائه من ناحية، ومدلولاته المتنوعة من ناحية ثانية، وكذلك التفاعل بين المبدع والمتلقي من خلال مراعاة المقام الذي يشغل جزءًا لا بأس به من اهتمام نحو النص" (٢). وهذا الأمر يتطلب من المحلل النصي أن تكون لديه القدرة على النظر الشامل، والدقة في تلمس العلاقات المتشابكة، وكذلك البصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة (٣).

(١) هاينه، فولفجانج، ديتر فيهفيجر، "مدخل إلى علم اللغة النصي"، ترجمة الدكتور: فالح بن شبيب العجمي، (د. ط، الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، (ط ١، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م)، ص ٩.

(٣) ينظر: علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي "الظواهر التركيبية"، (ط ١، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م). ص ٣٢٥.

مصطلح (التلقي):

إذا كان المعنى اللغوي للتلقي، مع تعدد المعاجم، لم يخرج عن الدلالة على الاستقبال^(١)؛ فإنّ المعنى الاصطلاحي للتلقي لم ينفصل كذلك عن تلك الدلالة؛ إذ يشير هذا المصطلح في أروقة الدرس اللغوي والأدبي إلى "عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص القرائي"^(٢). أو بصيغة أخرى: هو عبارة عن "المشاركة الذهنية والوجدانية للحياة الخاصة للنص مع القارئ"^(٣).

الملاحظ هنا ارتكاز عملية التلقي على جانبين متلازمين معًا لا ينفصلان، هما: الجانب النفسي، والجانب الذهني، أو بصيغة أخرى الجانب الوجداني والجانب الفكري؛ مما يعني أنّ التلقي ليس مجرد عملية إرسال واستقبال تلقائية بعيدة عن التفاعل، وإنما هو عملية تواصل فعّالة بين طرفين متفاعلين على مستويين: أحدهما: ذهني أو فكري، والآخر: نفسي أو وجداني.

جدير بالذكر أنّ بواكير تلك النظرية بمسماها الحالي، هي نتيجة للتفاعل بين العديد من النظريات المعرفية، والأفكار الفلسفية، والمنهجيات الفكرية، وترجع تلك النظرية إلى مدرسة (كونستاس)، على يد كل من: (هانس روبرت ياوس)، و(فولفغانغ إيزر)، وتؤكد تلك النظرية أنّ للمتلقي دورًا موازيًا لمنتج النص؛ على اعتبار أنّ التلقي

(١) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، "لسان العرب" (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، (ل. ق. ي)، و: ابن فارس، أحمد، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د. ط)، بيروت: لبنان، دار الجيل، ١٩٩٩م).

(٢) عبد الواحد، محمود عباس، "قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي"، دراسة مقارنة، (ط١)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦م)، ص ١٤.

(٣) حمود، محمد، "مكونات القراءة المنهجية للنصوص"، (ط١)، الدار البيضاء: المغرب، دار الثقافة والنشر، ١٩٨٨م)، ص ١٨.

ليس عملية سلبية، ولا آلية، بل إنّ المنتج نفسه لا يكتمل إلا بالمتلقي، الذي يعد في جوهره محور عملية التواصل^(١)؛ ومن ثم كانت الدراسة الحالية في ضوء نظرية التلقي، وليس نظرية الاتصال؛ بوصف التلقي عملية تتضمن الاتصال.

ليس معنى ذلك أنّ للغرب فضل السبق في تلمّس أبعاد نظرية التلقي، بل كان للعرب دورهم الرائد حول تلك النظرية؛ حيث شهد القرن الرابع الهجري إرهاصات الالتفات بشكل واضح وصريح إلى المتلقي، بوصفه مشاركاً في عملية الإبداع، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أهم تلك الجهود العربية، ومنها جهود ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، حيث قدّم تصوّراً حول العلاقة بين النص والقارئ، وحدد منهجاً للتلقي^(٢)، ولا يتسع المجال في الدراسة الحالية لرصد الجهود العربية كافة، وإنّما نذكر في هذا السياق بعض العلماء العرب الأجلاء الذين التفتوا إلى عملية التلقي من جوانب متعددة، منهم على سبيل المثال قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، حيث تحدث عن القارئ القادر على الوصول إلى الحكم الجمالي الصحيح؛ ومن ثم فالقارئ الناقد عنده هو: من لديه القدرة على التجول داخل النص^(٣). كما تعد جهود الآمدي

(١) للمزيد حول تلك النظرية ينظر: فطوم، مراد حسن، "التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري"، (د. ط، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ٢٠١٣م)، ١٦ - ١٥. وينظر: قندسي، خيرة، "التفاعل بين النص والقارئ قراءة في جمالية التلقي لدى ياقوس وإيزر"، مجلة النص، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي لباس سيدي بلعباس، ٢٠١٤م، ص ٢٥٥-٢٧٣.

<https://search.emarefa.net/detail/BIM-159964>.

(٢) ينظر: ابن طباطبا، محمد أحمد، "عيار الشعر"، تحقيق: عباس عبد الساتر، (ط٢، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م)، ص ١٧.

(٣) للمزيد ينظر: عباس، إحسان، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن"، (ط٤، بيروت: لبنان، دار الثقافة، ١٩٨٣م)، ص ١٨٩-١٩٥.

(ت ٣٧٠هـ)، من أبرز الجهود العربية المتقدمة في العناية بعملية التلقي، والقارئ؛ حيث فرّق بين نوعين من القراء، القارئ العادي، والقارئ الناقد، فالأخير لدى الأمدي، هو الذي يمكن الاطمئنان إلى حكمه؛ لأنّ حكمه جاء في ضوء التأمل والمقابلة والمفاضلة^(١).

مصطلح (السبع الطوال):

مصطلح (السبع الطوال) من المصطلحات الراسخة في علوم القرآن الكريم وتفسيره؛ ويشير إلى مجموعة سور من كتاب الله تعالى هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وقيل السابعة: الأنفال وبراءة معاً؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل هي يونس^(٢). وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثني، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلَت بالمفصّل". وقد رجح المناوي الرأي الأخير، بجعل الأنفال

(١) للمزيد ينظر: الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، "الموازنة بين الطائيتين"، تحقيق: السيد أحمد صقر، (ط ٤، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص ٤٥ - ١١٧. و: الجرجاني، علي بن عبد العزيز القاضي، "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (د. ط، بيروت: لبنان، المكتبة العصرية، ٢٠١٠م)، ص ٣٣ - ٣٨.

(٢) ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: أبو الفضل أحمد علي الدمياطي، (ط ١، القاهرة: مكتبة دار الحديث، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ١/٢٤٤. وينظر: ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم"، (ط ١، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م)، ١/٥٩ - ٦٠. و: المصري، سعيد عبد الجليل يوسف صخر، "فقه قراءة القرآن"، (ط ١، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص ١٤.

وبراءة سورة واحدة^(١).

(ابن الجوزي):

هو جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التميمي القرشي البكري البغدادي. كان يسمى بالمبارك، ويكنى بأبي الفرج، واشتهر بابن الجوزي؛ قيل لشجرة جوز كانت في داره، وقيل نسبة إلى "روضة الجوز" وهي مرفأ نهر البصرة. كما عرف بين معاصريه بـ (الصَّغَار)؛ نظرًا لأنّ أهله كانوا يعملون في تجارة النحاس^(٢).

ولد ببغداد عام ٥١٠هـ، وتوفي بها عام ٥٩٧هـ، حظي بشهرة واسعة في الخطابة والوعظ والتصنيف، وعرف بكثرة مصنفاته التي شملت كثيرًا من الفنون. أشاد به من أرخوا لهذه الحقبة الزمنية، ومنهم على سبيل المثال: الإمام

(١) ينظر: المناوي، زين الدين محمد عبدالرؤوف، "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، (د. ط، بيروت: لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٢م)، ص ٥٦٥. والحديث "حسن" رواه الإمام أحمد في مسنده، ينظر: ابن حنبل، أحمد، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق: أحمد شاكر، (ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٧٠٢٣)، ١٠٧/٤.

(٢) للمزيد حول ابن الجوزي، وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته، ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: حسين أسد، وشعيب الأرنؤوط، (ط٣، بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م)، ٣٦٥/٢١. و: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس، (ط١، بيروت: لبنان، دار صادر، ١٩٩٤م)، ١٤٠/٣. و: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، "البداية والنهاية"، (د. ط، القاهرة: مطبعة السعادة، د.ت) ٢٨/١٣.

الذهبي^(١)، كما عدّه ابن خلكان "علامة عصره، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ"^(٢). ولا غرابة أن يشهد له مؤرخو تلك العصور بالفضل والفقه وسعة العلم؛ فقد تفرّد في ميادين شتى، وهو ما أثبتته له ابن كثير^(٣).

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، "العبر في خبر من غير"، (د. ط، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠١٥م)، ١١٨/٣.

(٢) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (مرجع سابق)، ١٤٠/٣.

(٣) ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، (مرجع سابق)، ١٦ / ٧٠٧.

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية في تفسير زاد المسير في علم التفسير

يشير مفهوم النص لدى (ديوغراند) إلى "تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال"^(١). كما يعد النص "كلية مترابطة الأجزاء؛ فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل"^(٢). في ضوء هذا المفهوم يمكن أن تعد المدونة التفسيرية بناءً لغوياً يهدف إلى فهم النص القرآني عبر عملية اتصالية فعالة مع المتلقي، ومن ثم تعد المدونات التفسيرية حقلاً خصباً للدرس التداولي، خاصة إذ تحققت فيها تلك الآليات التداولية التي تحقق فاعلية التلقي، ومن ثم نجاح العملية الاتصالية.

البعد التداولي الأول: القصدية وأثرها في التلقي

لعل سمو الغاية في كتب التفاسير، وهي فهم النص القرآني فهماً عميقاً وصحيحاً، هو الذي حقق أول أبعاد الاتصال الناجح بين طرفي الخطاب، أعني بهذا البعد (القصدية). فالقصد من وراء المدونة التفسيرية يؤكد تطابق غاية المفسرين، مع مفهوم القصدية، بوصفها إحدى الآليات التي تشير إلى أنّ "المرسل لا ينتج خطابه عبثاً، لكنه ينتجه من أجل تحقيق هدف معين، وتتفاوت الأهداف من حيث أهميتها الخطائية، ومن حيث ما تتطلبه من عمل ذهني ومخزون لغوي لتحقيقها"^(٣). وهو ما

(١) أبو غزالة، إلهام علي خليل حمد، "مدخل إلى علم لغة النص"، (ط ٢)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م)، ص ٩.

(٢) العبد، محمد، "اللغة والإبداع الأدبي"، (ط ١)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م)، ص ٣٦.

(٣) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، (مرجع سابق)، ص ١٤٩.

يتسق مع ما حدده (روبرت ديوغراندي) حول مفهوم القصد باعتباره "يتضمن موقف المنشئ، واعتقاده أنّ مجموعة الصور والأحداث اللغوية التي قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام، وأنّ هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة؛ للوصول إلى غاية بعينها"^(١).

يقول ابن الجوزي: "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم؛ كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه؛ فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطوياً على العلم الغزير، ووسمته بـ(زاد المسير في علم التفسير)، وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه"^(٢).

تكشف الفقرة السابقة عن بُعد القصدية بجلاء؛ وهو ما يتمثل في النقاط الآتية:

- توجيه الكلام إلى المتلقي، وإبراز حضوره عبر تأثير الخطاب المكتوب بعدة وسائل تعبيرية، في مقدمتها: استخدام ضمير الخطاب المقترن بالأفعال الإنجازية التي تعبر عن أنّ الفعل قد تمّ إنجازه من أجل المتلقي؛ والدليل على ذلك قوله: (فأتيتك بهذا المختصر اليسير)؛ فالعمل المنجز، وهو المدونة المدروسة، كان المقصود بها المتلقي، ويعكس الضمير (كاف الخطاب) في الفعل (أتيتك) تلك الدلالة؛ التي تنبئ بشكل أو بآخر أنّ المقصد والغاية في

(١) ديوغراندي، روبرت، "النص والخطاب والإجراء"، ترجمة الدكتور: تمام حسان، (ط١)، القاهرة:

عالم الكتب، (١٩٩٨م)، ص ١٠٣.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (ط١)، بيروت: لبنان،

دار ابن حزم، (٢٠٠٢م)، ٢٩/١.

نفس المنشئ هو المتلقي.

- قوله: (فاجتهد وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه)، قول يتصدره فعل إنجازي جاء بصيغة الأمر، الذي يعكس دلالة التحفيز والتوجيه والإرشاد، وهو الفعل (اجتهد)، فالفاعل المستتر وجوباً في الفعل الأمر هنا مرجعه المتلقي؛ مما يؤكد مدى عناية المنشئ بالمتلقي من جانب، ويكشف أنّ حضور المتلقي في ذهن المفسر كان عن قصد منذ اللحظة الأولى، وأنّ الغاية من ورائه هي الإفادة.
- لا تخفى دلالة الدعاء للمتلقي في قوله: (وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه)؛ فالدعاء بالتوفيق في حفظ مادة الخطاب جاء مشفوعاً بما يحقِّز المتلقي على الإقبال على مضمون الخطاب، والحافز هنا هو الدعاء بإعانة الله للمتلقي على تلقي الخطاب، والإقبال على مضمونه والعناية به.
- تكشف الفقرة السابقة عن الغاية والقصدية من توجيه الخطاب للمتلقي، وهي غاية علمية نفعية في المقام الأول، ركيزتها الإفهام، وتحقيق القدر الأكبر لفهم كلام الله عز وجل، وهو ما يتجلّى بوضوح في قوله: (كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم)؛ فغاية المؤلف الأولى هي الإفهام، وهي غاية سامية سامقة، تستمد سموها من شرف القرآن وقداسته.
- أبرز المؤلف عبارات موجزة دقيقة الركيزة التي استند إليها لتحقيق تلك الغاية السامية، وهي ركيزة علمية تهدف إلى معالجة ما رصده من أمور حالت دون تحقيق غاية الإفهام فيما سبقه من كتب التفاسير، أعني بتلك الركيزة الاختصار، وهو ما يتجلّى في قوله: (وقد بالغت في اختصار لفظه)؛ مما يؤكد أنّ الاختصار جاء عن قصد؛ وكانت الدوافع إلى الاختصار متعددة، تمثلت في معالجة ما وصفه بـ(كبير قد يعس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه

المشكل، وشرح غير الغريب). ومن ثم فالمدونة تعالج الإطالة والإسهاب، كما تعالج الاقتضاب المخل، مع عدم إغفال المشكل وشرح الغريب. تجدر الإشارة إلى زاوية أخرى تعرض لها التداوليون في تناولهم لمفهوم القصدية، تلك الزاوية هي زاوية المنفعة اللغوية، أو ما اصطلاحوا على وسمه بـ(البراجماتية اللغوية)؛ حيث أكدوا أنّ "القصدية من أبرز ملامح البراجماتية اللغوية التي تعنى بتحليل الخطاب في ضوء النظرة الشمولية، ومقصد المتكلم ومراده منه، فهي تعتمد على مبدأ القصدية في التحليل"^(١)، والقصدية وفقاً لهذا التصور تتفق مع غاية ابن الجوزي من مدونته التي حاول فيها معالجة الإسهاب، وتفادي الاقتضاب. قبل أن يلج ابن الجوزي إلى تفسير السور القرآنية وضع بين يدي المتلقي فقرة أخرى، يرى الباحث أنه يمكن وصف تلك الفقرة التالية بـ "المفتاحية التفسيرية المنهجية".

يقول ابن الجوزي: "لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه، حتى يُنظر للآية الواحدة في كتب؛ فَرُبَّ تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ أو بيعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة، وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانس، وقد حذرت

(١) الحمزاوي، علاء إسماعيل، "القصدية واللاقصدية في الفكر الأصولي قراءة في دلالات الخطاب التكليفي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج ٢، ع ٢، يوليو ٢٠٠٩م، ص ٢٦٨.

من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره؛ فهو لا يخلو من أمرين: إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهرًا لا يحتاج إلى تفسير، وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار^(١).

وقد توفرت في تلك الفقرة عدة أبعاد تداولية هي:

- سوق الغاية النفعية (البراجماتية) من الخطاب بين يدي المتلقي، وذلك عن طريق عرض المآخذ أولاً، حيث كشفت تلك الفقرة الدافع إلى تأليف النص الحاضر، وهو استدراك ما فات كثيراً من كتب التفاسير السابقة عليه؛ لذا وضع المؤلف بين يدي القارئ مآخذه على كتب التفاسير، وهو نوع من التوجيه الخفي للمتلقي من جانب، وتبصرة المتلقي بالمآخذ التي قد لا يكون طالعها بنفسه، لكنه وضعها بين ناظره في هذه الفقرة، غاية برجماتية لا شك.

- كشف الغاية المنشودة من المدونة الحالية، ومن ثم حرص المفسر أن يضع تلك الغاية بين يدي القارئ، ويبرز الجديد الذي سيقدمه له في مدونته، ويتضح ذلك من خلال قوله: "وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه"، الأمر الذي يجعل المتلقي مدركاً لأهمية النص المائل بين يديه.

- حرص المفسر على حضور المتلقي داخل بنية نصه التفسيري، معتمداً على

(١) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ١/

البعد الخطابي؛ أعني به توجيه خطابه إلى المتلقي، وهو ما يتضح في قوله: "فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره؛ فهو لا يخلو من أمرين.."، فهو لا يدع المتلقي في حيرة من أمره إذا لم يجد تفسير آية، بل ينبهه أنه أمام أمرين، كلاهما - في تصور الباحث - يتضمن تحفيزاً ضمناً للمتلقي؛ وذلك عبر الإحالة تارة، وهو ما يكمن وراء قوله: "إما أن يكون قد سبق"، ومن ثم عليه تتبعه، أو عبر التحفيز الذهني على إعمال عقله، بقوله: "وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير".

البُعد التداولي الثاني: الحوار الافتراضي القائم على التوقع والاستفهام:

ترخر كتب التراث العربي والإسلامي بما يثبت إعلاء شأن المتلقي والعناية به عند أسلافنا، وتبرز لنا عنايتهم بإيجابية دوره في عملية التلقي، وهو ما اقتفت أثره اللسانيات التداولية الحديثة التي تُعلي من شأن المتلقي، وتعد أنّ دور المتلقي يتجاوز مجرد عملية استقبال الخطاب بشكل سلبي؛ ومن ثم فقد رأى التداوليون أن "النموذج الأساسي للتبليغ والتواصل هو نموذج تبادلي بين: متكلم أو مؤلّف، ومستمع أو قارئ، ويندرج الدليل اللغوي ضمن هذا التواصل الحوارية بكونه مقطعاً نصياً، يفرض فيه المرسل على المتلقي أن يتبنى موقفاً أو سلوكاً معيناً، انطلاقاً من هذا التصور، يُعد الدليل اللغوي فعلاً توجيهياً في وضعية خطابية، فاللسانيات التي تتوافق مع هذه النظرية يمكن تسميتها باللسانيات التداولية، أو اللسانيات التوجيهية"^(١).

تأسيساً على تلك الركيزة التداولية؛ فإنّ عمل الباحث هنا يتمثل في رصد أنماط الحوار بين طرفي الخطاب، وهما: المؤلّف (ابن الجوزي)، بوصفه منشئ النص، وهو من

(١) آدم، جان ميشيل، "قراءة في كتاب اللسانيات النصية"، ترجمة: عمر بلخير، مجلة اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، (٢٠٠٦).

<https://asjp.cerit.article.com>

سيدير دفّة الخطاب مع الآخر، والطرف الثاني: هو المتلقي، سواء أكان هذا المتلقي هو المتلقي الفعلي المائل أمام الطرف الأول الذي سيتلقى الخطاب في صورته المنطوقة، أم كان المتلقي الغائب الذي سيستقبل الخطاب في صورته المكتوبة، وفي الحالتين يظل المتلقي حاضراً في وعي المؤلّف بشكل دائم، يعتد بوجوده، ويوجه خطابه إليه، ويفترض أنه يقوم بالرد عليه، ويجيب عن تساؤلاته المحتملة التي قد يثيرها مضمون الخطاب في نفسه. يؤكّد هذا المعنى قول فتح الله أحمد سليمان: "صورة المتلقي تتراءى أمام المنشئ ولا تغيب، فالقارئ هو الغائب الحاضر، فإنّ كل منشئ يعبر عن ذاته، ولا يكتب لها" (١).

هذا الحضور الافتراضي للمتلقي في ذهن المؤلّف، هو الذي دفع التداولين إلى النظر إلى المتلقي بوصفه "المنتج الثاني للنص، أو المبدع الثاني له" (٢).

وقد أكّد محمد عبد المطلب أن الجرجاني قد نفتت إلى فكرة حضور المتلقي داخل دائرة الإبداع منذ البداية؛ لذا فالمبدع لا بد أن يراعي هذا الحضور ويتحرك له حركة محسوبة تعبيرياً^(٣)، هنا تتوقف الدراسة عند التعبيرات التي تبرهن وجود تلك الحالة الحوارية الافتراضية بين ابن الجوزي والمتلقي.

ووفقاً لما حدده التداوليون؛ فإنه لا بد أن تكون لدى المؤلّف القدرة المستمرة على توقع ما قد يثير المتلقي من تساؤلات محتملة؛ إذ إنّ هذه التساؤلات في جوهرها

(١) سليمان، فتح الله أحمد، "الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، (ط ١)، القاهرة: مكتبة الآداب، (١٩٨٧م)، ص ٢١.

(٢) الفقي، صبحي إبراهيم، "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"، (ط ١)، القاهرة: دار قباء، (٢٠٠٦م). ١١٠ / ١.

(٣) ينظر: عبد المطلب، محمد، "فضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، (ط ١)، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، (١٩٩٥م)، ص ٢٤٢.

"افتراضات خمنها المتكلم بالنظر إلى الحالة الابتدائية للسياق، ومن معرفة المخاطب وميله إلى الاستماع، وقدرته على السمع وغير ذلك"^(١)؛ فقدرة المؤلف على ما أطلق عليه (فان دايك) التخمين، هي قدرته على التوقع؛ وقد دمج الباحث بين التوقع والاستفهام في بوتقة واحدة؛ نظرًا لأن عملية التواصل تعد حوارًا متصلًا بين المبدع والنص والمتلقي، فالأخير دائمًا في حالة طرح لأسئلة عديدة على النص، والنص بدوره يجيب عن هذه الأسئلة"^(٢).

في ضوء فاعلية عملية التلقي؛ فإنّ التوقع يُعدُّ بُعدًا تداوليًا مهمًا لا يمكن أن يغفله المحلل النصي؛ لأنه يكشف عناية المؤلف بالمتلقي وحضوره في وعيه بصفة دائمة؛ وهذا المبدأ قد أكّده التداوليون بقولهم: "يتوجب على منتج النص أن تتوافر لديهم القدرة على توقع استجابات المستقبلين؛ من حيث دعمها أو معارضتها"^(٣).

ويرتكز دور المحلل النصي، في ضوء هذا التصور لمفهوم التوقع، في رصد ردود الفعل، وقياس التوقع عند المتلقي، والتحريك على نمطه أحيانًا، ومخالفته أحيانًا أخرى، وعليه أن يجعل حركته متذبذبة بينهما ليرصد الفعل وردّه"^(٤).

فالمؤلف في حالة سعي دائم لتحقيق غايته من الناحية الاتصالية مع المتلقي، والتي تأتي في مقدمتها تحقيق غايته من النص؛ ومن ثم يرى (فان دايك) أنه ينبغي أن يكون للمتكلم أغراض على نحو ما، وذلك أنه يريد أن تحصل عبارته على نتائج

(١) دايك، فان، "النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة وتحقيق: عبد القادر قنيبي، (د. ط، الدار البيضاء: المغرب، أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م)، ص ٢٦٨.

(٢) الفقي، صبحي إبراهيم، "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"، (مرجع سابق)، ١ / ١١٠.

(٣) أبو غزالة، إلهام علي خليل حمد، "مدخل إلى علم لغة النص"، (مرجع سابق)، ص ١٧٨.

(٤) عبد المطلب، محمد، "قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، (مرجع سابق)، ص ٢٤٦.

محددة^(١)، وفي حالة تحقيق تلك النتائج التي يصبو إليها المؤلف؛ حينئذ يكون المؤلف وصل حد النجاح في مهمته، هذا النجاح الذي وسمه (فان دايك) بـ "النجاح التداولي للعبارة المتلفظ بها"^(٢).

تجدر الإشارة إلى أنّ الباحث قد رصد تلك الحالة الحوارية التي نسج خيوطها ابن الجوزي بينه وبين المتلقي؛ فالمفسر كان يستحضر المتلقي في ذهنه، ويقوم بتوقع ردود أفعاله، تجاه ما يطرحه من أقوال تفسيرية، قد تثير في ذهن المتلقي تساؤلات؛ ومن ثم كان ابن الجوزي حريصاً على التصريح بتلك التساؤلات المتوقعة؛ وبالتالي كان يتبعها بإجابات واضحة وصریحة.

الأمثلة التطبيقية^(٣):

- **المثال الأول:** يقول ابن الجوزي في الحروف المقطعة أول سورة البقرة: "... فإن قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟ فالجواب: أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم"^(٤).

فقوله: (فإن قيل) يعكس الدلالة على توقع طرح التساؤل، وقوله: (فالجواب) يؤكد وجود البعد الحواری القائم على افتراض طرح السؤال؛ حيث توقع ابن الجوزي أنّ

(١) دايك، فان، "النص والسياق"، (مرجع سابق)، ص ٢٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٣) سيكتفي الباحث بتحليل ثلاثة نماذج على الأكثر في كل موضع؛ حتى لا يتجاوز البحث العدد المسموح به من عدد الكلمات، مع الإحالة إلى مزيد من النماذج والأمثلة في الحاشية.

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ١/ ٣٧. وينظر: ٣٨/١، ٣٩، ٩٥، ٣٠٩.

المتلقي حينما يستقبل هذا القول التفسيري حول الحروف المقطعة في فواتح سورة البقرة، سوف يسأل سؤالاً حتمياً: ما الفائدة من إعلامهم بهذا؟ فجاء الجواب على لسان منشئ النص، ولم يدع المتلقي في حيرة من أمره، إذ بين أنّ الفائدة هي الدلالة على الإعجاز، بل امتد نسيج هذه الحالة الحوارية بين المفسر والمتلقي إلى حوار آخر موازٍ، هو الحوار بين الله من جانب، وبين من أنكروا كلامه من جانب آخر، ونقل ابن الجوزي هذا الحوار الموازي على صورة حوار فعلي قائم على القوة الإنجازية لفعل القول، وهو ما يتضح في قوله: "فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم".

- **المثال الثاني:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾^(١): "فإن قيل: كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر؟ فالجواب: لا يحزنك فعلهم، فإنك منصور عليهم"^(٢).

السؤال الافتراضي الذي طرحه ابن الجوزي في هذا الموضوع، سؤال حتمي؛ لأنّ النهي عن عدم الحزن مع قبح الفعل أمر يستدعي التعجب من القارئ، ومن ثم كان يجب إزالة هذا اللبس؛ لأن المسارعة في الكفر ليست بالأمر الهين، ومن ثم فإنّ الإجابة المطروحة بين يدي القارئ، رغم اختصارها، إلّا أنّها تُغني عن سطور، فالمعنى الذي وضعه المفسر بين يدي المتلقي، لا مجال لإنكاره؛ لأنّ المعنى: لا يحزنك الفعل بعمومه لا حيثيته.

(١) آل عمران: ١٧٦.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ٢٤٢/١. وللمزيد ينظر: ٢٤٥/١، ٢٦٤.

الدليل في تصور الباحث أنّ الإجابة التي طرحها ابن الجوزي وهي، أنّ المعنى لا يحزنك فعلهم، هو السياق الباقي من الآية؛ حيث يعكس هذا السياق سوء العاقبة التي تنتظر هؤلاء؛ فالله تعالى ذكر لنبيه وهو المتلقي المباشر، وللمتلقي غير المباشر في الوقت ذاته، الجزاء الذي ينتظر هؤلاء، وهو أنّ الله أراد ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة، وأنّ لهم عذاباً عظيماً؛ ومن ثم كان النهي عن عدم الحزن على سوء الفعل؛ لما ينتظرهم من سوء العاقبة.

- المثال الثالث: يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْغَافِلُونَ﴾: "فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرار من عيسى بالعجز، في قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(١) وبالعبودية في قوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٢) (٣) (٤).

- تحمل الإجابة التي ساقها ابن الجوزي بين يدي المتلقي أربعة أبعاد متصلة:
- الأول: أنّ الحكمة من السؤال: تثبت الحجة على قومه؛ وهو ما يؤكد حرص المفسر على إبراز البعد الحجاجي فيما يسوقه من أقوال تفسيرية.
 - الثاني: أنّ الحكمة من السؤال هي: تكذيب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم

(١) السجدة: ١١٦.

(٢) المائدة: ١١٦.

(٣) المائدة: ١١٧.

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ١/

٤٢٢. للمزيد ينظر: ١/ ٩٥، ٢٩٣، ٣٠٩، ٤٣١.

بذلك؛ فالله يرى رسله مما ألصقه بهم أقوامهم، وتكذيب الله لهم بيان صدق
لنبيه عيسى عليه السلام.

- الثالث: أن ما جاء على لسان عيسى يتسق دلاليًا مع الحكمة الكامنة وراء
السؤال؛ فقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ إقرار صريح من عيسى بعجزه
أمام ربه سبحانه وتعالى؛ ومن ثم فقوله يتسق مع تكذيب ادعائهم؛ فكيف
يكون إلهًا ويُقرُّ بعدم العلم؟

- الرابع: أن قوله: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إقرار بالعبودية لله؛ فهو
سبحانه ربه وربهم، وأن هذا القول من عيسى هو الذي أمره به سبحانه.

هذه الجوانب الأربعة التي ساقها ابن الجوزي؛ تؤكد شمولية الإجابات التي
يطرحها بين يدي المتلقي، كما أنها تؤكد حرصه على حسم القضايا ذات الصلة
بموضع الآية.

البعد التداولي الثالث: تداولية الحجاج بين المفسر والمتلقي "أنماطه ودلالاته":

استخدم ابن الجوزي عدة أنماط تداولية، تصب في النهاية في بوتقة الحجاج؛
الذي يبغي من ورائه إقناع المتلقي بما يطرحه من أقوال تفسيرية، وهذه الأنماط هي:

- النمط الأول: البعد الحجاجي بين المفسر والمتلقي:

لا ينفصل البعد الحجاجي - في ضوء معطيات التداولية - عن رصد جوانب
التفاعل بين المفسر من جانب، والمتلقي من جانب آخر؛ ففاعلية العملية الاتصالية
بين طرفي الخطاب تعتمد على قدرة من يدير الخطاب - وهو المفسر في السياق
التفسيري - على توقع ردود أفعال متلقي الخطاب التفسيري، فقد يكون معترضًا على
ما يصدره المفسر من أحكام وأقوال، وقد يكون مؤيدًا، لكن لديه تساؤلات ضمنية،
قد تزيد الإجابات عنها من درجة قناعته بما يطرحه المفسر من أقوال.

تجدر الإشارة إلى أن جهد الباحث سيتمركز حول رصد الوسائل التعبيرية التي

تبرهن افتراض المفسر وجود من يعارض قوله، أو من يطرح قولاً من شأنه الاعتراض، أو من يسأل سؤالاً تكمن خلفه دلالات عدم القناعة بالقول التفسيري. ومن تلك الوسائل التعبيرية التي رصدها الباحث، ما عبر عنه ابن الجوزي بوسائل تعبيرية مثل: (فإن قال قائل، فإن اعترض معترض، فإن اعترض على هذا الجواب، لأن سائلاً لو قال، هذا الجواب عن سؤال سائل)، وذلك على النحو الآتي:

- **المثال الأول:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾^(١): "فإن قال قائل: ما وجه الامتنان بمتشابه؟ وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟! فالجواب: أننا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم؛ كان أغرب عند الخلق وأحسن؛ فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهاية في العجب، وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة جاز اختلافه في الألوان والطعوم، وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني؛ كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة"^(٢).
تتجلى الأبعاد التداولية في هذا المثال في عدة مواضع هي:

- التركيب الشرطي: (فإن قال قائل؛ فالجواب)، هو تركيب يعكس دلالة تداولية عميقة، وهي استمالة المتلقي إلى تأييد رأي المفسر، حتى وإن كان المقصود بـ (القائل) هنا شخصاً آخر غير المتلقي، إلا أنه يُملي على هذا وذاك الإجابة التي يريد إقناع الآخر بها، وكأنه أراد أن يستميل المتلقي إليه في الرد على هذا القائل، ولا ينفي هذا بالطبع أن يكون المتلقي نفسه هو المقصود، وكلمة (قائل) هنا تعد ضرباً من ضروب الإحالة بالاسم الظاهر.

(١) البقرة: ٢٥.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ١ / ٥٠.

- قوله: (فإنك لو رأيت)، ضمير الخطاب الكاف وتاء الفاعل، مرجعهما إلى المتلقي ذاته؛ مما يؤكد أنّ المفسر حريصٌ على إقامة الحجة على المتلقي بالدليل والبرهان؛ لأنّ الفعل الإنجازي سيكون فاعله المتلقي نفسه.
- يتجلى البعد الحجاجي هنا في ثلاثة مواضع متتالية: قوله: (أنّا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم؛ كان أغرب عند الخلق وأحسن، وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة، جاز اختلافه في الألوان والطعوم، وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني، كان أطرف وأعجب..). ففعل القول: (قلنا) تكرر ثلاث مرات، يسبقها الضمير (نا) في قوله: (أنّا)، وأصلها: أننا، هذه الكثافة في استخدام الضمير العائد على المفسر والمتلقي معاً؛ تؤكد إقامة الحجة، على المتلقي ودفعه إلى الافتناع بما يطرحه من رؤى.
- **المثال الثاني:** يقول ابن الجوزي في تفسير معنى (أم) في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾^(١): "وفي (أم) قولان: أحدهما: أنها بمعنى: بل، تقول العرب: هل لك عليّ حقّ، أم أنت معروف بالظلم، يريدون: بل أنت، والثاني: بمعنى الاستفهام، **فإن اعترض معترض**، فقال: إنما تكون للاستفهام إذا كانت مردودة على استفهام قبلها، فأين الاستفهام الذي تقدمها؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه قد تقدمها استفهام، وهو قوله: (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)، **فإن اعترض على هذا الجواب**، فقليل: كيف يصح العطف، ولفظ (ألم تعلم) ينبئ عن الواحد، و(تريدون) عن جماعة؟ فالجواب: أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع؛ لأنّ ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فقد خوطبت به أمته، فاكتمى به من أمته في

(١) البقرة: ١٠٨.

- المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية^(١).
- تكشف الفقرة السابقة عن الجانب الحجاجي في تفسير ابن الجوزي بدقة؛ فقد نسج خيوط البُعد الحجاجي على النحو الآتي:
- قوله: (فإن اعترض معترض)، قول يبرهن التفات المفسر - بوصفه منشئ النص - إلى نوعية المتلقي، فليس كلُّ متلقٍ مؤيِّدًا لما يُقال أو يُطرح من أفكار؛ ومن ثم كان افتراض وجود المعترض على آرائه أمرًا منطقيًا؛ فكان السعي نحو دحض هذا الاعتراض وفقًا لآليات الحجاج أمرًا واجبًا، وإقامة الحجة والدليل على صحة ما يطرح من آراء بالأدلة والبراهين.
 - قوله: (فإن أُعْترضَ على هذا الجواب)، قول يؤكد إصرار المفسر على إقناع المعترض صراحة، والمتلقي ضمنيًا بصحة ما يطرحه من آراء، فلم يكتف بالاجابة الأولى التي عرضها، واستمر المفسر في نسج خيوط الحالة الحجاجية الافتراضية لهذا النوع من المتلقين لأقواله، في الوقت الذي لا يكتفي فيه بسوق الاعتراض لمجرد الاعتراض، وإنما هو اعتراض يسوقه المفسر ذاته على لسان المعترض الافتراضي مصحوبًا بالحجة والبرهان، وهو قول المعترض: كيف يصح العطف ولفظ (ألم تعلم) ينبئ عن الواحد، و(تريدون) عن جماعة؟ وهو اعتراض له وجاهته وقوته وبرهانه، لكن جاء البرهان الأقوى، والحجة الدامغة من قول المفسر: (فالجواب: أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع؛ لأنَّ ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فقد خوطبت به أمته، فاكتمى به من أمته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية)، وهو ضرب من دحض الحجة بالحجة.

(١) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ٨١/١-٨٢.

- **المثال الثالث:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾^(١): "فإن قيل: إذا كان السحر نزل على الملكين، فلماذا كُره؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما ابن السري، أحدهما: أنهما كانا يعلمان الناس ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمة؛ لأنَّ سائلاً لو قال: ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام"^(٢).

اللافت للنظر في هذا الموضوع هو أنَّ ابن الجوزي كان في معرض الإجابة عن سؤال متوقع طرحه من المتلقي، وهو: إذا كان السحر نزل على الملكين، فلماذا كُره؟ لكنه عند الإجابة افترض وجود من يسأل، وهو ما عبر عنه بـ(لأنَّ سائلاً لو قال: ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام)، الأمر الذي يدعم تحليل الباحث حول حرص المفسر على استمالة المتلقي إلى ما يطرحه من آراء، وإقامة الحجة والدليل والبرهان على من يفترض أنه سيعارض القول، أو يسأل حول مضمونه؛ ومن ثم كان السعي نحو إقناع السائل بالحجة والدليل، معتمداً على القوة الإنجازية للأفعال: (وجب، يُوقف عليه، يُعلم أنه حرام)؛ فكلها أفعال تعكس دلالة قوة البرهان الذي يسوقه (المفسر والمتلقي) من جهة، أمام هذا السائل الافتراضي من جهة أخرى.

- النمط الثاني: الاستفهام الإقناعي:

أعني بهذا النمط من الاستفهام في الدراسة الحالية: أن يهدف المتكلم من الاستفهام إلى إقناع المتلقي بالحجة والدليل العقلي، بصورة أكبر من حاجة المتلقي إلى معرفة الإجابة في حد ذاتها، وهي إحدى آليات الإقناع في الخطاب الحجاجي، وكأَنَّ

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ١ / ٧٨.

وينظر: ٣٧٧/١.

الغاية من الاستفهام هي التقرير.

يرتكز هذا النمط من الاستفهام حول صيغة (ألا ترى) التي استخدمها ابن الجوزي في مواضع عدة من تفسيره، خاصة في سياق السعي إلى إقناع المتلقي بمعنى من المعاني التي يطرحها، ولعل هذه الصيغة أقرب إلى صيغة (ألم تر) الواردة في آيات الذكر الحكيم، وقد اصطلح على هذا التركيب القرآني باسم: الاستفهام التعجبي. وهو نمط من الاستفهام ليس الغرض منه معرفة شيء مجهول، وإنما يأتي لأغراض أخرى، كالتقرير والتوبيخ وغيرها، وهو - كما ذكر السيوطي - من باب التوسع في استخدام الأساليب، فأخرجوا الاستفهام عن حقيقته لمعان، أو أشربته تلك المعاني^(١).

تأتي خصوصية النص القرآني في استخدام صيغة (ألم تر) - كما قرر الزركشي - أنه أسلوب يخرج فيه الاستفهام عن حقيقته؛ لوقوعه ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام عليه^(٢).

وتكشف السياقات اللغوية التي استخدم فيها ابن الجوزي صيغة (ألا ترى)، أنها تتسق مع ما ذكره المفسرون، حول صيغة (ألم تر) القرآنية؛ فالطاهر بن عاشور قد التفت إلى فكرة الخطاب الافتراضي، أو التخيلي؛ حيث ذكر في معرض تناوله لصيغة (ألم تر) ما نصه: "وكان الخطاب بما غالبًا موجهاً إلى غير معين، وربما كان المخاطب مفروضاً متخيلاً"^(٣).

(١) ينظر: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن، "الإتقان في علوم القرآن"، (د. ط، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ط: ١٣٦٨هـ)، ١٧١/٢. الباب السابع والخمسون، باب الخير والإنشاء وما بعده.

(٢) ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق أبو الفضل أحمد علي الدمياطي، (ط ١، القاهرة: مكتبة دار الحديث، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، ١٧١/٢.

(٣) ابن عاشور، الطاهر، "التحرير والتنوير"، (د. ط، تونس: الدار التونسية للطبع والنشر،

الدليل أنّ تلك الصيغة تستخدم للإقناع لا للاستفهام، هو أنّ المتواتر حول استخدامها يشير إلى أنّها تستخدم مع من تقدم علمه بالشئ، فتكون للتقرير والتذكير، مع الأخذ في الاعتبار أنّ الرؤية في هذا التركيب تستخدم -في الغالب- بمعنى الإدراك القلبي المتضمن معنى الوصول والانتهاء^(١).

ولتوضيح هذا النمط نستعرض الأمثلة الآتية من تفسير زاد المسير:

- **المثال الأول:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٢): "أنبئهم: أي أخبرهم، وروي عن ابن عباس: أنبئهم بكسر الهاء، قال أبو علي: قراءة الجمهور على الأصل؛ لأنّ أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهم وأبناءهم، وهذا لهم، ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء، والهاء والميم تعود على الملائكة"^(٣).
فحينما أراد المفسر أن يقنع المتلقي بقوله، لجأ إلى التمثيل بما يقوله المتلقي نفسه، وينطق به لسانه وما اعتاده. وتلك إحدى وسائل الإقناع التي من شأنها أن تؤدي إلى نجاح عملية التواصل والتفاعل بين طرفي الخطاب. فالملاحظ أنّ فعل القول: (تقول) في هذا السياق قد اكتسب قوة إنجازية؛ لأنّ المنسوب إليه القول هو المتلقي

=

٤٧٦/٢، (١٩٨٤م).

(١) ينظر: صافي، محمود، "الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانته"، (ط٤)، دمشق: دار الرشيد،

٥١٦/٢، (١٩٩٨م).

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع

سابق)، ٥٤/١. وينظر: ١٩٥/١.

نفسه، كما أنّ الضمير المستتر في الفعل (ترى) يعود على المتلقي أيضاً، بالإضافة إلى (كاف الخطاب) في قوله (أنتك) العائدة على المتلقي؛ فالمتلقي هو محور اهتمام المفسر.

- **المثال الثاني:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿رَجَسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(١): "فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه وليس من فعله؟ فالجواب: أنّ نسبته إليه مجاز، وإنما نُسِبَ إليه؛ لأنه هو الداعي إليه المزين له؛ ألا ترى أنّ رجلاً لو أغرى رجلاً بضرب رجل لجاز أن يقال له: هذا من عملك"^(٢).

وثمة ملحوظات يجدر الإشارة إليها في هذا المثال، هي:

- أنّ التركيب (ألا ترى) في هذا الموضع حمل وظيفة تداولية جديدة، هي الإحالة؛ أعني بالإحالة هنا: إحالة المتلقي إحالة خارجية إلى التمثيل بمثال يحتاج من المتلقي إلى القياس العقلي؛ فالمثال الذي ساقه المفسر بين يدي المتلقي، من شأنه زيادة قناعته بتفسيره لمعنى عمل الشيطان بالترتين.
- أنّ الإحالة بالتمثيل في الموضع السابق تعكس الوظيفة التداولية للإحالة في مد جسور التواصل بين طرفي الخطاب، خاصة أنّ الإحالة أُسست على سؤال افتراضي متوقع من المفسر كأنّه يثير في المتلقي بالتبعية هذا السؤال الافتراضي؛ الأمر الذي يحقق فاعلية التلقي، ويضمن لكل طرف من أطراف الحوار تحقيق غايته.

- **المثال الثالث:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرْضَى

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)،

٤٠٥/١.

وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴿١﴾" قال بعضهم: لن تراني بسؤالك، وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية؛ لأن موسى مع علمه بالله تعالى سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، ألا ترى أنَّ نوحًا لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿٢﴾، أنكر عليه بقوله: (إنه ليس من أهلك) مما يدل على جواز الرؤية أنه علّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أنَّ دخول الكفار الجنة لما استحال علّقه بمستحيل، فقال: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ﴿٣﴾" (٤).

وظّف ابن الجوزي في هذا الموضع التركيب اللغوي (ألا ترى) توظيفاً تداولياً دقيقاً؛ حيث اعتمد على إحالة المتلقي بطريقتين بديعتين:

- الإحالة الأولى: تتضح في قوله: (ألا ترى نوحًا)؛ حيث أحال المتلقي إلى قصة سيدنا نوح التي تتسق وسياق المقام الحالي، وكأنه في معرض القص مع المتلقي، والدليل قوله: (نوحًا لما قال)، وهي إحالة إلى موضع قرآني لاحق، لكن القصة معهودة بين طرقي الخطاب، مما يزيد من درجة الاقتناع بينهما والتوافق.
- الإحالة الثانية: تتضح في قوله: (ألا ترى أنَّ دخول الكفار الجنة لمّا استحال علّقه بمستحيل)، واستدل بالآية المذكورة، والبدیع هنا هو توظيف

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) هود: ٤٥.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ١ / ٥١٧. وينظر: ٤٨٨/١.

التركيب اللغوي (ألا ترى) للإحالة إلى قضية دخول الكفار الجنة؛ ومن ثم كانت الإحالة إلى الآية المذكورة.

النمط الثالث: الأسلوب الشرطي:

أعني بهذا النمط أن يستخدم المفسر أسلوب الشرط، لكنه لا ينفرد فيه بفعل القول، إنما يجعل من المتلقي شريكاً له فيه، وذلك على النحو الآتي:

- **المثال الأول:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَيْنِ﴾^(١): "سبق معنى (الآية) و(الفئة)، وكل مشكل تركت شرحه فإنك تجده فيما سبق، واختلفوا في الفئة الرائية على ثلاثة أقوال: هي التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾؛ فإن قلنا: إنّ الفئة الرائية المسلمون، فوجهه أنّ المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين فأروهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود، وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر"^(٢).

قام ابن الجوزي في هذا المثال باستخدام آليات تداولية، هي:

- التوضيح بالتركيب الشرطي في قوله: فإن قلنا: (إنّ الفئة الرائية المسلمون)، (فوجهه أنّ المشركين)، وفي قوله: (وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم) هو توظيف تداولي لأسلوب الشرط القائم على فعل الشرط (قلنا) في الموضعين المسبوق بـ (إنّ) الشرطية، وجوابه في الأولى: (فوجهه أنّ)، وجوابه في الثانية: (فتكثير المسلمين في أعينهم)؛ فالجواب في الموضعين

(١) آل عمران: ١٣.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ١

١٨٠-١٨١.

قائم على فعل القول الذي صاغه ابن الجوزي متصلاً بـ(نا) الفاعلين التي يرى الباحث أنها ليست للتعظيم في هذا السياق، إنما يهدف المفسر منها إلى مؤضعة المتلقي وإشراكه معه في القول؛ وهي إحدى وسائل زيادة الإقناع من جانب، وفاعلية التلقي من جانب آخر.

- قوله: "وكل مشكل تركت شرحه فإنك تجده فيما سبق"، تأكيد واضح لنهجه الذي ألزم نفسه به، وهو عدم التكرار، فهو يدفع عن نفسه شبهة النسيان أو السهو عن شرح معنى من المعاني، وواضح أنّ خطابه وتوجيهه إلى المتلقي مباشرة، عبر (كاف الخطاب) في قوله: (فإنك تجده)، وهي إحالة قبلية ذات مدى متعدد، وأعني بالمدى المتعدد، أنه قد يكون قريباً أو بعيداً، وذلك وفقاً لما سبق ذكره.

- المثال الثاني: يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسَوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١) في المقصود بالمخاطب في قوله: (أكفرتم): "فيقال لهم: أكفرتم، فحذف القول لأنّ في الكلام دليلاً عليه، والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ؛ فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود؛ فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا: المنافقون، فإنهم قالوا بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم"^(٢).

(١) آل عمران: ١٠٦.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق)، ١ =

استخدم ابن الجوزي في هذا المثال عدة آليات تداولية هي:

- توظيف أسلوب الشرط القائم على فعل الشرط (قلنا)، المسبوق بـ(إن) الشرطية، توظيفًا تداوليًّا؛ حيث جعل القول صادرًا من المفسر نفسه، والمتلقي ضمنيًّا، وليست (نا) الفاعلين في الفعل: (قلنا) من باب التفخيم للذات، إنما يهدف منها المفسر أن يشاركه المتلقي في فعل القول، ومن ثم وجب أن يكون الجواب ذا قرائن تثبت الكفر؛ لذا جعل جواب الشرط مقرونًا بالحجج والبراهين التي تزيد من قناعة المتلقي نحو المقصود، وذلك على النحو الآتي:

الفعل الشرطي الأول: (فإن قلنا: إنهم جميع الكفار) فجوابه: (فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا).

الفعل الشرطي الثاني: (وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع)؛ فجوابه: (فكفرهم بعد إيمانهم مفارقة الجماعة في الاعتقاد).

الفعل الشرطي الثالث: (وإن قلنا: اليهود)، فجوابه: (فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره).

الفعل الشرطي الرابع: (وإن قلنا: المنافقون)؛ فجوابه: (فإنهم قالوا بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم). هكذا يسوق ابن الجوزي القول، مشفوعًا بالبرهان عليه، مما يزيد قناعة المتلقي.

- قوله في صدارة الفقرة: (والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ)، بإقرار الكفر وتوبيخ المخاطب عليه أمران يستوجبان بيانًا من المخاطب الذي استوجب توبيخه، ومن ثم عرض ابن الجوزي لكل المعاني

=

.٢١٥/

المحتملة؛ لأنّ المتلقي حتمًا سيتساءل: إلى من وُجّه الخطاب؟ ولمن التوبيخ؟

المثال الثالث: يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١): فقد ذكر ابن الجوزي حول معنى الحصاد معنيين، الأول: أنه الزكاة، والثاني: أنه حق غير الزكاة فُرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر. هنا أثار ابن الجوزي سؤالاً هو: هل نُسخ ذلك أم لا؟ فكان الجواب على النحو الآتي: "إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة، وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقي الحكم، فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟ فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء؛ فذلك يكون يوم الحصاد، وإن قلنا: إنه الزكاة؛ فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة"^(٢).

اللافت للنظر في هذا الموضع ما يأتي:

- الاعتماد على التركيب الشرطي: المكون من (إن الشرطية، وفعل القول الشرطي)، مع ملاحظة أنّ جواب الشرط الأول جملة اسمية مقترنة بالفاء، تمثل إجابة مباشرة للسؤال المطروح (هل نسخ ذلك أم لا)، أما جواب الشرط الثاني فقد جاء جملة اسمية إحالية، أي: تحيل القارئ إحالة قبلية ذات مدى قريب، وهي جملة: (فهو باقي الحكم)، وهي جملة تلبي غاية الاختصار.
- الاعتماد على السؤال الافتراضي، لكن هذه المرة بوصفه امتداداً للتركيب الشرطي، ومنبثقاً عنه؛ مما يؤكد تلاحم بنية المدونة التفسيرية؛ فالسؤال

(١) الأنعام: ١٤١.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ١ /

٤٧٢. للمزيد ينظر: ١/٤٨١، ٤٩٣، ٥١٦، ٥٣٧.

- الافتراضي هو: فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟
- الاعتماد في الإجابة عن هذا السؤال الافتراضي على جملة الشرط المبنية على صدارة فعل القول: إن قلنا؛ مما يؤكد محورية البُعد الحواري داخل بنية المدونة التفسيرية ومدّ جسور التواصل بين المفسر والمتلقي.
- الاعتماد على فعل القول، الملحق بالضمير (نا) الفاعلين.
- النمط الرابع: الأمر والنهي ومعادلاتها الدلالية:
- يقصد الباحث بـ(الأمر) هنا: تلك الوسائل التعبيرية التي تعكس دلالة الحث والتوجيه والإرشاد، وليس ما يعكسه اللفظ من دلالة الإلزام؛ فالبحث هنا حول تلك الوسائل التعبيرية التي استخدمها المفسر في خطابه إلى المتلقي، وكان يهدف منها إلى حثه أو توجيهه أو إرشاده إلى الالتزام بأمر ما.
- أولاً: الأمر:

- تتبع المدونة التفسيرية لابن الجوزي، فقد رصد الباحث المواضع الآتية للأمر:
- المثال الأول: يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١): "واعلم أنّ الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع؛ إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما"^(٢).
- فالحث والتوجيه قد تحققت دلالاته باستخدام فعل الأمر (اعلم)، ويكشف التركيب الوارد بعد الفعل (اعلم) أنّ الأمر خفي على المتلقي؛ حيث يعكس قوله:

(١) البقرة: ٣.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ٣٩/١.

(أَنَّ الحكمة في الجمع بين)، فهذه الحكمة كامنة بين السطور، وقد حاول المفسر إجلاء هذا الخفاء بين يدي المتلقي، وهو ما تحقق في قوله: (أنه ليس في التكليف قسم رابع؛ إذ ما عدا هذه الأقسام، فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما).

- **المثال الثاني:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾^(١): "واعلم أَنَّ فائدة المثل أن يبين للمضروب له الأمر الذي ضُرِبَ لأجله؛ فينجلي غامضه"^(٢).

إذا كانت الغاية النفعية البراجماتية هي لبُّ التداولية وجوهرها؛ فإنَّ حرص المفسر على إفادة المتلقي يمثل هذا البُعد التداولي بوضوح؛ ومن ثم فقد أدَّى الفعل (اعلم) وما تعلق به تلك الوظيفة التداولية؛ حيث حرص المفسر على بيان فائدة ضرب المثل التي تتمثل في إجلاء غموضه.

- **المثال الثالث:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣): "واعلم أنه إنما أمر النبي بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحى، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم، وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس^(٤): وشاورهم في بعض

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ٥٠/١.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) هذه قراءة شاذة، ينظر في تخريجها: السجستاني، أبو بكر عبدالله بن سليمان بن أبي داود، (ت ٣١٢هـ)، "كتاب المصاحف"، تحقيق: أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، (ط ١، الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م) ٣٥٥. و: ابن جني، أبو الفتح عثمان،

الأمر" (١).

- يكشف السياق الذي ورد فيه فعل الأمر (اعلم) عن ثلاثة توجيهات:
- التوجيه الأول: متى تجب المشاورة؟ والإجابة: فيما لم يأت فيه وحي.
 - التوجيه الثاني: من هم أهل المشاورة؟ والإجابة: أرباب الفضل والتجارب منهم.
 - التوجيه الثالث: الاستدلال على صحة المعنى المراد توضيحه للمتلقي، وقد استعان فيه ابن الجوزي بقراءة كل من: ابن مسعود، وابن عباس، التي تبين أنّ الشورى في بعض الأمور، وليس كلها.

ثانيًا: النهي:

في مقابل مفهوم الأمر الذي سبق طرحه، فقد رصد الباحث أنّ ابن الجوزي قد استخدم بعض الوسائل التعبيرية التي يهدف من ورائها إلى دفع المتلقي إلى نبذ أمر ما، أو تركه، أو تنبيهه إلى خطأ ما، أو تحذيره من اعتقاد خاطئ، أو فهم غير صحيح، وهو -في تصور الباحث- يعادل دلاليًا النهي، فيما يُعد نوعًا من أنواع

=

"المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، تحقيق: علي النجدي ناصيف، ود. عبدالحليم النجار، والدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، (د. ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م)، ١/١٧٥، ١٧٦. و: الكرمان، شمس الدين محمد بن أبي نصر بن عبد الله (ت بعد ٥٦٠هـ)، "شواذ القرآن واختلاف المصاحف"، تحقيق: أ.د. الوافي الرفاعي البيلي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)، ١/١٧٦، و: النوازاري، محمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان، "المغني في القراءات"، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، (ط١، الرياض: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٨م)، ١/٦٢١.

(١) المرجع السابق: ١/٦٦، ١٣٩. وللمزيد ينظر: ١/٢٥٨، ٢٧٨، ٢٩٤، ٣٠٩.

النهي الضمّني، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

- **المثال الأول:** يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١): "وقد توهم قوم لا علم لهم بالتفسير وفقهه، أنّ هذه الآية منسوخة؛ لأنهم سمعوا أنها لما نزلت، تخرّج القوم عن مخالطة اليتامى؛ فنزل قوله: ﴿وَإِنْ تَحَايَظُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾"^(٢) وهذا غلط، وإنما ارتفع عنهم الحرج بشرط قصد الإصلاح لا على إباحة الظلم"^(٣).

يرى الباحث أنّ ابن الجوزي يحاول في هذا الموضوع بيان الاعتقاد الخاطيء بين يدي المتلقي، وفي الوقت ذاته توضيح علة الخطأ، مع بيان المعنى الصحيح المراد؛ ومن ثم فهو ينبه المتلقي إلى نبذ هذا الاعتقاد الخاطيء، لأنه غلط، وهذا ما يفسر استخدامه التعبيرات الآتية:

- توهم قوم لا علم لهم بالتفسير وفقهه.
 - وهذا غلط.
- لذا فقد ذيل الموضوع بتوضيح المعنى الصحيح وهو ما يتمثل في قوله: (وإنما ارتفع عنهم الحرج بشرط قصد الإصلاح، لا على إباحة الظلم).
- **المثال الثاني:** يقول ابن الجوزي: "وقد تكلف قوم من مفسري القرآن، فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) النساء: ١١٠.

(٢) البقرة: ٢٢٠.

(٣) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق):

٢٦١/١.

أنّه نهي عن متعة النساء، وهذا تكلف لا يُحتاج إليه؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله، وأما الآية فإنها لم تتضمن جواز المتعة؛ لأنه تعالى قال فيها (أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين)؛ فدلّ ذلك على النكاح الصحيح... ومن ذهب في الآية إلى غير هذا، فقد أخطأ، وجهل اللغة^(١).

التزم ابن الجوزي بنهجه في هذا النمط التداولي؛ حيث أبرز الخطأ الذي يحاول أن يدفع المتلقي عنه، وهو ما رأى فيه التكلف، وأنه لا يحتاج إليه، وأن من يذهب هذا المذهب فقد أخطأ، بل لقد جهل اللغة، وهذا ما يفسر استخدامه الوسائل التعبيرية الآتية:

- وقد تكلف قوم من مفسري القرآن.
 - وهذا تكلف لا يُحتاج إليه.
 - ومن ذهب في الآية إلى غير هذا، فقد أخطأ، وجهل اللغة.
- ثم وضح البرهان على صحة المعنى المراد وهو ما يتمثل في قوله: "لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله، وأما الآية فإنها لم تتضمن جواز المتعة؛ لأنه تعالى قال فيها: (أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين)؛ فدلّ ذلك على النكاح الصحيح". ولا شك أنّ استشهاد ابن الجوزي بقوله تعالى: (أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) يدعم صحة ما يسوقه من تفسير؛ لأنه شاهد قرآني، والقرآن لن يناقض بعضه.
- **المثال الثالث:** يقول ابن الجوزي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ

(١) المرجع السابق: ٢٧٢/١.

رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١﴾: " (شهيذاً) منصوب على التمييز؛ لأنك إذا قلت: كفى بالله ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مبهماً" (٢).
يحذر ابن الجوزي المتلقي أن يكون مبهماً، ويتمثل الإبهام لديه في الاكتفاء بالقول: (كفى بالله)؛ لأنّ على المتكلم أن يبين في أي شيء الكفاية، ويوضح له المعنى الصحيح؛ ومن ثم فكلمة (شهيذاً) تزيل إبهام ما قبلها.
ولا تخفى هنا دلالة (كاف) الخطاب في قوله: (لأنك) وكذلك (تاء) الفاعل في الفعل: (قلت) والضمير الغائب المقدر في الفعل (تبين)، فكلها تعود إلى المتلقي، مما يؤكّد حرص ابن الجوزي على حضور المتلقي داخل بنية مدونته.

(١) النساء: ٧٩.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (مرجع سابق): ١ / ٣٠٣.

الخاتمة

بحمد الله وفضله انتهت هذه الدراسة حول دراسة الأبعاد التداولية في تفسير (زاد المسير في علم التفسير)، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دراسة تطبيقية في ضوء نظرية التلقي على السور السبع الطوال، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، هي:

أولاً: أثبتت الدراسة لعلمائنا القدماء الأجلاء، ومنهم المفسرون، حقهم في الالتفات إلى الأبعاد التداولية التي تسهم في فاعلية التلقي، والتي قد تلقفها الغرب بعد ذلك، وقعدوا لها، ونظروا لمسائلها المختلفة، ووضعوا لها مصطلحاتها.

ثانياً: برهنت الدراسة الحالية عناية المفسرين، ومنهم ابن الجوزي، بمراعاة حال المتلقي، وتوقع ردود أفعاله عند عملية التلقي؛ حيث كشفت النماذج التطبيقية على المدونة التفسيرية كيف تحققت عدة أبعاد تداولية في ضوء نظرية التلقي، ومنها:

البُعد الأول: القصديّة، البُعد الثاني: الحوار الافتراضي القائم على التوقع والاستفهام، البُعد الثالث: تداولية الحجاج بين المفسر والمتلقي، وقد اشتمل هذا البُعد على أربعة أنماط هي: (البُعد الحجاجي بين المفسر والمتلقي، الاستفهام الإقناعي، الأسلوب الشرطي، والأمر والنهي)، البُعد الرابع: الإحالة وأثرها في فاعلية التلقي.

ثالثاً: كشفت الدراسة أهمية المدونة التفسيرية، بوصفها رسالة نصية بين طرفين، تحمل أبعاداً تداولية متنوعة، فقد مهّد ابن الجوزي الطريق لمن بعده من المؤلّفين والكتّاب، على امتداد العصور والأزمان؛ ليقتفوا أثره في العناية بالمتلقي، والالتفات إليه، عبر وسائل وأساليب تعبيرية متنوعة؛ الأمر الذي من شأنه فتح أبواب الإبداع في فنون الكتابة الأخرى، وليس التفسير فحسب.

رابعاً: أبرزت الدراسة أن من الأبعاد التداولية التي اعتمد عليها ابن الجوزي بُعد (التوقع)، وهو أحد الأبعاد التداولية التي تكشف عناية المفسر بالمتلقي، وما

يدور في ذهنه من تساؤلات، ومن ثم كان حريصاً على مدّ جسور التواصل مع المتلقي، من خلال حالة حوارية ممتدة داخل مدونته.

خامساً: كشفت الدراسة أنّ الأبعاد التداولية داخل المدونة التفسيرية، مع تنوعها وتعددتها، قد تكاملت وظائفها وتلاحمت، فلم يكن كل بعد تداولي منها بمعزل عن الآخر؛ مما يؤكد أنّ إعادة قراءة تراثنا العربي الرصين عامة، والمدونات التفسيرية خاصة، في ضوء تلك القراءة التداولية، أمر من شأنه الكشف عن طاقات إبداع متنوعة وكامنة ما كان لها لتتكشف إلا في ضوء تلك الآليات.

سادساً: أثبتت الدراسة صحة مقولة (فاينراش) حول النظرية النحوية، وأنها تقتضي مفهوماً حوارياً للغة؛ حيث يمكن تعميم تلك المقولة على حقل التفسير؛ ومن ثم يمكن القول بأنّ النظرية التفسيرية تقتضي مفهوماً حوارياً للغة، ويعلّل ذلك أنّ الغاية من المدونة التفسيرية هي نجاح العملية الاتصالية بين طرفي الخطاب التفسيري.

سابعاً: أظهرت الدراسة أنه يمكن توسيع دائرة البحث اللغوي في تراثنا التفسيري؛ وذلك بإضافة المستوى التداولي إلى مستوى الحدث الكلامي، وهو ما يُعد استجابة لمبادئ التداولية التي أرسى قواعدها التنظيرية فان دايك، وطبقها قبله بأزمان أسلافنا العرب في تراثهم المتنوع والغزير.

أخيراً: توصي الدراسة الحالية بضرورة الالتفات إلى نماذج أخرى من السور القرآنية التي يجمعها رباط دلالي واحد؛ أعني بهذا الرباط الدلالي، على سبيل المثال لا الحصر، تناول سور الحواميم، أو الطواسين، أو المسبحات، أو هود وأخواتها... إلخ، على أن تخضع أقوال المفسرين للتحليل التداولي؛ لأنّ من شأنه الكشف عن روابط دلالية أكثر عمقاً بين تلك السور.

المصادر والمراجع

المصادر:

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، "زاد المسير في علم التفسير"، (ط ١)، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

المراجع:

آدام، جان ميشيل، "قراءة في كتاب اللسانيات النصية"، ترجمة: عمر بلخير، مجلة اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، (٢٠٠٦م).

<https://asjp.cerit.article.com>

الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، "الموازنة بين الطائنين"، تحقيق: السيد أحمد صقر. (ط ٤)، القاهرة: دار المعارف، د. ت).

بحيري، سعيد حسن، "علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات"، (ط ١)، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان-١٩٩٧م).

براون، جيلان، يول جورج، "تحليل الخطاب"، ترجمة: حمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، (د. ط، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م).

بناني، محمد الصغير، "النظريات اللسانية والأدبية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين" (د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م).

بوجادي، خليفة، "التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادر ومجالاته"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ع ١٦، سنة ٢٠١٢م.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز القاضي، "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (د. ط، بيروت: لبنان، المكتبة العصرية، ٢٠٠١م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح

عنها"، تحقيق: علي النجدي ناصيف، ود. عبدالحليم النجار، والدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، (د. ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (ط٤، بيروت: لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م).

الحمزاوي، علاء إسماعيل، "القصدية واللا قصدية في الفكر الأصولي قراءة في دلالات الخطاب التكليفي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج ٢، ع ٢، رجب ١٤٣٠هـ، يوليو ٢٠٠٩م.

حمود، محمد، "مكونات القراءة المنهجية للنصوص"، (ط١، الدار البيضاء: المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م).

ابن حنبل، أحمد، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق: أحمد شاكر، (ط١، القاهرة: دار الحديث، د.ت).

خطابي، محمد، "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"، (ط١، الدار البيضاء: المغرب، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م).

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م).

خليل، إبراهيم محمود، "في اللسانيات ونحو النص"، (ط١، تونس: دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).

خيرة، قندسي، "التفاعل بين النص والقارئ قراءة في جمالية التلقي لدى ياقوس وإيزر"، مجلة النص، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي لباس سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠١٤م.

<https://search.emarefa.net/detail/BIM-159964>.

دايك، فان، "النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة

- وتحقيق: عبد القادر قنيني، (د. ط، الدار البيضاء: المغرب، أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م).
- الدخيل، معاذ، "منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية"، مقارنة تداولية، (ط ١، تونس: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٤م).
- دي بوجراند، روبرت، "النص والخطاب والإجراء"، ترجمة الدكتور: تمام حسان، (ط ١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- الذهبي، محمد بن أحمد، "العبر في خبر من غير"، (د. ط، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠١٥م).
- الذهبي، محمد بن أحمد، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: حسين أسد، وشعيب الأرناؤوط، (ط ٣، بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق أبو الفضل أحمد علي الدمياطي، (ط ١، القاهرة: مكتبة دار الحديث، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن أبي داود، (ت ٣١٢هـ)، "كتاب المصاحف"، تحقيق: أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، (ط ١، الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).
- سليمان، فتح الله أحمد، "الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، (ط ١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٨٧م).
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن، "الإتقان في علوم القرآن"، (د. ط، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ط: ١٣٦٨هـ).
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، (ط ١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).
- صافي، محمود، "الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيان"، (ط ٤، دمشق: دار الرشيد،

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

صحراوي، مسعود، "التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني"، (ط ١)، الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، "عيار الشعر"، تحقيق: عباس عبد الساتر، (ط ٢)، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م).

عاشور، الطاهر، "التحرير والتنوير"، (د. ط، تونس: الدار التونسية للطبع والنشر، ١٩٨٤ م).

ابن عباس، إحسان، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن"، (ط ٤)، بيروت: لبنان، دار الثقافة، ١٩٨٣ م).

عبد الواحد، محمود عباس، "قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي"، دراسة مقارنة، (ط ١)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦ م).

العبد، محمد، "اللغة والإبداع الأدبي"، (ط ١)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م).

عبدالرحمن، طه، "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، (ط ٢)، الدار البيضاء: المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢ م).

عبدالمطلب، محمد، "قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، (ط ١)، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٥ م).

عفيفي، أحمد، "نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي"، (ط ١)، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١ م).

عكاشة، محمود، "النظرية البراجماتية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، (ط ١)، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣ م).

- أبو غزالة، إلهام علي خليل حمد، "مدخل إلى علم لغة النص"، (ط ٢)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م).
- غلفان، مصطفى، "اللسانيات العربية أسئلة المنهج"، (ط ١)، عمّان: الأردن، دار ورد الأردنية، ٢٠١٣م).
- ابن فارس، أحمد أبو الحسين، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د. ط، بيروت: لبنان، دار الجيل، ١٩٩٩م).
- فضل، صلاح، "بلاغة الخطاب وعلم النص"، (ط ١)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- فطوم، مراد حسن، "التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري"، (د. ط، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ٢٠١٣م).
- الفقي، صبحي إبراهيم، "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"، (ط ١)، القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٦م).
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، "البداية والنهاية"، (د. ط، القاهرة: مطبعة السعادة، د.ت).
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم"، (ط ١)، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).
- الكرماني، شمس الدين محمد بن أبي نصر بن عبدالله، "شواذ القرآن واختلاف المصاحف"، تحقيق: أ.د. الوافي الرفاعي البيلي، (ط ١)، بيروت: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).
- لخداري، إبراهيم، وسماح بن خروف، "الأبعاد التداوُلِيَّة في التراث اللغوي العربي"، مجلة الإبراهيمي لآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعرييج، الجزائر، مج ٣، ١٤، يناير ٢٠٢٢م.
- المصري، سعيد عبد الجليل يوسف صخر، "فقه قراءة القرآن"، (ط ١)، القاهرة: مصر،

- مكتبة القدسي، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
مصطفى، مبارك، "التفكير التداولي في البلاغة العربية"، مجلة العلامة، مج ٧، ع ٤،
ديسمبر ٢٠٢٢ م، المركز الجامعي بالجزائر.
أبو المكارم، علي، "الظواهر اللغوية في التراث النحوي" الظواهر التركيبية"، (د. ط،
القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م).
المناعي، زين الدين محمد عبدالرؤوف، "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، (د. ط،
بيروت: لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٢ م).
منشورات مرصد تفسير للدراسات القرآنية، "ابن الجوزي: حياته، جهوده في
الدراسات القرآنية، الكتابات حوله"، (د.ت).
<https://tafsiroqs.article.com>.
ناصر، مصطفى، "اللغة والتفسير والتواصل"، (د. ط، الكويت: سلسلة عالم المعرفة،
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رجب ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م).
نحلة، محمود، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، (ط ١، مصر: دار المعرفة
الجديدة، ٢٠٠٢ م).
النوزاوازي، محمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان، "المغني في القراءات"، تحقيق: د.
محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، (ط ١، الرياض: الجمعية العلمية السعودية
للقرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٨ م).
هاينه، فولفجانج، ديتير فيهفيجر، "مدخل إلى علم اللغة النصي"، ترجمة الدكتور: فالح
بن شبيب العجمي، (د. ط، الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٩ هـ -
١٩٩٩ م).

Bibliography

Resources:

Bin al-Jawzi, Jamal al-Din Abd al-Rahman, “Zād al-Masīr fi ‘Ilm al-Tafsīr”, (1st edition, Beirut, Lebanon: Dar Ibn Hazm, 1423 AH, 2002).

References:

- Al-Dakhil, Moaz, “The Status of Meanings of Speech in Arabic Grammatical Theory A Pragmatic Approach”, (1st ed., Tunisia: Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, 2014).
- Al-Karmani, Shams al-Din Muhammad ibn Abi Nasr ibn Abdullah. "Shawādh al-Qur’ān wa-Ikhtilāf al-Maṣāhif", investigated by: Prof. Dr. Al-Wafi Al-Rifai Al-Bayli, (1st ed., Al-Maktaba Al-Asriya for Publishing and Distribution, 2015).
- Al-Nawzawazi, Muhammad bin Abi Nasr bin Ahmad Al-Dahhan, “Al-Mughni fi Al-Qira’at”, Investigated by: Dr. Mahmoud bin Kabir bin Issa Al-Shanqiti, (1st ed., Saudi Scientific Society for the Holy Qur’an and its Sciences, 2018).
- Al-Sijistani, Abu Bakr ‘Abdullah bin Suleiman bin Abi Dawud, “Kitāb al-Maṣāhif” Investigated by: Abu Osama Salim bin Eid Al-Hilali, (1st ed., Grass Foundation for Publishing and Distribution, 2006).
- Banani, Muhammad al-Saghir, “al-Nazarīyāt al-Lisānīyah wa-al-Adabīyah wa-al-Balāghīyah ‘inda al-Jāhīz min Khilāl al-Bayān wa-al-Tabyīn”, (University Publications Office, 1994).
- Ghlfan, Mustafa, “Arabic Linguistics: Questions of Methodology” (in Arabic), (1st ed., Dar Ward, Jordan, 2013). p. 221.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman, “Al-Muhtasib fi Bayyin Shawwad al-Qira’at wa al-Idah Anha”. Investigated by: Ali al-Najdi Nasif, Dr. Abdul-Halim al-Najjar, and Dr. Abdul-Fattah Ismail Shalabi, (first edition, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1999).
- Lakhdari, Ibrahim, and Samah Bin Kharouf, “Pragmatic Dimensions in the Arabic Linguistic Heritage” (in Arabic), Al-Ibrahimi Journal of Literature and Humanities, University of Bordj Bou Arreridj, Algeria, Vol. 3, issue 1, January 2022.
- Mustafa, Mubarak, “Discursive Thinking in Arabic Rhetoric” (in Arabic), Al-Alamah Journal, Vol. 7, issue 4, December 2022, University Center of Algeria.
- Abbas, Ihsan, The History of Literary Criticism among the Arabs, “Poetry Criticism from the Second Century to the Eighth

- Century” (in Arabic), (4th edition), (Beirut, Lebanon, House of Culture, 1983).
- Abd al-Muttalib, Muhammad, “Issues of Modernity according to Abd al-Qahir al-Jurjani”, (1st edition, Egypt: Egyptian International Publishing Company - Longman, 1995).
- Abd al-Rahman, Taha, “On the Origins of Dialogue and the Renewal of the Science of Theology”, (2nd edition, Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center, 2002).
- Abdel Wahid, Mahmoud Abbas, “Reading the Text and the Aesthetics of Reception between Modern Western Schools and Our Critical Heritage, A Comparative Study”, (in Arabic), 1st edition, Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1996).
- Abu Al-Makarim, Ali, “Linguistic Phenomena in the Grammatical Heritage (Syntactic Phenomena)”, (in Arabic), (Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution, 2007).
- Abu Ghazala, Elham, Ali Khalil Hamad, “Introduction to Text Linguistics” (in Arabic), (2nd edition, Egypt, Egyptian General Book Authority, 1999).
- Adam, Jean-Michel, “A Reading of the Book of Textual Linguistics”, translated by: Omar Belkheir, Journal of Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, University of Algiers, (2006). <https://asjp.cerit.article.com>.
- Afifi, Ahmad, “Grammar of Text: A New Direction in the Grammatical Lesson”, (1st edition, Cairo, Zahraa Al-Sharq Library, 2001).
- Al-Abd, Muhammad, “Language and Literary Creativity”, (1st edition, Cairo, Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, 1989).
- al-Āmidi, Abu al-Qasim al-Hasan bin Bishr, “al-Muwāzanah baina al-Ṭā’iyīn”, Investigated by: Mr. Ahmed Saqr. (4th edition, Cairo, Dar al-Ma’arif).
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu ‘Abdullah Muhammad bin Ahmad, “Siyarr A’lām al-Nubalā”, Investigated by: Hussein Asad and Shuaib Al-Arnaout. (3rd edition, Beirut, Lebanon: Al-Resala Foundation, 1985).
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdillan Muhammad bin Ahmed, “al-‘Ibarr fi Khabarr mann Ghabar”. (Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2015).
- Al-Faqi, Subhi Ibrahim, “Textual Linguistics between Theory and

- Practice” (in Arabic), (1st edition, Cairo: Dar Quba, 2006).
- Al-Hamzawi, ‘Alā Ismail, “Intentionality and non-intentionality in fundamentalist thought, “A Reading of the Semantics of Mandatory Discourse” (in Arabic), Journal of Arab and Human Sciences, Qassim University, Volume 2, Issue 2, Rajab 1430 AH, July 2009.
- Al-Jawhari, Ismail bin Hammad, “Al-Sihah Tāj Al-Lughah wal-Sihah Al-‘Arabiya”, (4th edition, Beirut, Lebanon: Dar Al-Ilm Lil Al-Millain, 1990).
- Al-Jurjāni, Ali bin Abdul Aziz Al-Qādi, “al-Wasāṭah bayna al-Mutanabbī wa-Khuṣūmih”, Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Ali Muhammad Al-Bajjawī. (Beirut, Lebanon, Al-Maktabah Al-Asriyah, 2001),
- Al-Munāwi, Zain al-Din Muhammad Abd al-Raouf, Fayd al-Qadir, “Sharḥ al-Jamī’ al-Saghir”, (Beirut, Lebanon: Dar al-Ma’rifa for Printing and Publishing, 1972).
- Al-Masri, Sa’eed Abdel-Jalil Yousuf Sakhr, “Fiqh Qirā’at al-Qur’ān”, (1st edition, Cairo, Egypt: Al-Qudsi Library, 1418 AH, 1997).
- Al-Shehri, Abdul Hadi bin Dhafer, “Discourse Strategies, A Pragmatic Linguistic Approach” (in Arabic), (1st edition, Benghazi, United New Book House, 2004).
- al-Suyouti, Abu al-Fadl Jalal al-Din Abd al-Rahman, “al-Itqan fi ‘Uloum al-Qur’an”, (Beirut, Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, published: 1368).
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad bin Abdullah, “Al-Burhan fi ‘Uloum al-Qur’an”, Investigated by Abu al-Fadl Ahmed Ali al-Dumyati. (1st edition, Cairo: Dar al-Hadith Bookstore, 1427 AH, 2006).
- Behairy, Sa’eed Hasan, “Text Linguistics Concepts and Trends”, (in Arabic), (1st edition, Egypt: Egyptian International Publishing Company - Longman - 1997).
- Ibn ‘Ashour, Al-Tahir, “Al-Tahrir wa Al-Tanweer”, (Tunisia: Tunisian Printing and Publishing House, 1984).
- Ibn Faris, Ahmad Abu Al-Husain, “Mu’jam Maqāyis al-Lugha”. Investigated by: Abdul Salam Muhammad Haroun. (Beirut, Lebanon, Dar Al-Jeel, 1979).
- Ibn Katheer, ‘Imad al-Din Abu al-Fida Ismail bin Omar, “al-Bidāyah wa-al-Nihāyah”. (Cairo, Dār Al-Sa’ada).
- Ibn Khillikan, Shams al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Muhammad,

- “Wafiyāt al-A‘yān wa-Anbā’ Abnā’ al-Zamān”. Investigated by: Ihsan Abbas. (1st edition, Beirut, Dar Sadir, 1994),
- Boujadi, Khalifa, “Pragmatic linguistic thinking among the Arabs, its sources and areas” (in Arabic). Journal of Arts and Social Sciences, Algeria, issue 16, 2012.
- Brown, Gilan, Yule George, “Discourse Analysis”, translated by: Hamad Lutfi Al-Zulaitni, and Munir Al-Triki, (Riyadh, King Saud University Press, 1997).
- De Beau Grand, Robert, “Text, Discourse, and Procedure”, translated by Dr. Tammam Hassan. (1st edition, Cairo: Alam al-Kutub, 1418 AH, 1998).
- Dijk, Van, “Text and Context, Investigation of Research into Semantic and Pragmatic Discourse” translated and Investigated by: ‘Abd al-Kadir Qanini. (Casablanca, Morocco: East Africa Printing and Publishing, 2000).
- Fadl, Salah. “Rhetoric of Discourse and Text Science”, (1st edition, Kuwait: National Council for Culture, Arts and Literature, 1425 AH, 2004).
- Fatoum, Murād Hasan. “Reception in Arabic Criticism in the Fourth Century AH”. (Damascus, Syria: publications of the Syrian General Authority for Books, Ministry of Culture, 2013).
- Hammoud, Muhammad, “Components of Systematic Reading of Texts” (in Arabic), (1st edition, Casablanca, Morocco, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 1988).
- Heine, Wolfgang, Dieter Wehweger, “Introduction to Textual Linguistics” translated by Dr.: Faleh bin Shabib Al-Ajmi, (Riyadh: King Saud University Press, 1419 AH, 1999).
- Ibn Hanbal, Ahmad, “Musnad al-Imam Ahmad ibn Hanbal”. Investigated by: Ahmad Shakir. (1st edition, Cairo: Dar al-Hadith).
- Ibn Kathir, Al-Hafiz Imad Al-Din Abu Al-Fida Ismail, “Tafsir al-Qur’an al-‘Azim”, (1st edition, Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-‘Ilmiyya, 2007).
- Ibn Tabataba, Muhammad bin Ahmed Al-Alawi, “‘Iyār al-She‘rr”. Investigated by: Abbas Abdel Sater. (2nd edition, Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 2005).
- Khalil, Ibrahim Mahmoud, “In Linguistics and Text Grammar” (in Arabic), (1st edition, Tunisia: (Dar Al-Masirah for Printing, Publishing and Distribution, 2007).

- Khattabi, Muhammad, "Linguistics of Text, An Introduction to the Harmony of Discourse" (in Arabic), (1st edition, Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center, 1991).
- Khayra, Qandisi, "The Interaction between the Text and the Reader, A Reading of the Aesthetics of Reception according to Yaus and Isser" (in Arabic), Al-Nas Journal, Faculty of Literature, Languages and Arts, Djilali Liabes University, Sidi Bel Abbas, Algeria, 2014. <https://search.emarefa.net/detail/BIM-159964>
- Nahla, Mahmoud, "New Horizons in Contemporary Linguistic Research" (in Arabic), (1st edition, Egypt, New Knowledge House, 2002).
- Nasif, Mustafa, "Language, Interpretation and Communication" (in Arabic), (Kuwait, World of Knowledge Series, National Council for Culture, Arts and Literature, Rajab 1415 AH, 1995).
- 'Ukasha, Mahmoud, "The Pragmatic Theory, The Study of Concepts, Origins, and Principles". (1st edition, Cairo: Library of Arts, 2013).
- Publications of the Tafsir Observatory for Qur'anic Studies, Ibn al-Jawzi, "His Life - His Efforts in Qur'anic Studies - Writings About It" (in Arabic), (ed. T). <https://tafsiroqs.article.com>
- Safi, Mahmoud, "Table in the Parsing, Morphology, and Explanation of the Qur'an" (in Arabic), (4th edition, Damascus, Syria: Dar Al-Rashid, 1418 AH 1998).
- Sahrawi, Masoud, "Pragmatics among Arab Scholars, A Pragmatic Study of the Phenomenon of Speech Acts in the Linguistic Heritage" (in Arabic), (1st edition, Algeria: Dar Al-Tanweer for Publishing and Distribution, 1429 AH, 2008).
- Suleiman, Fathallah Ahmed, "Stylistics, A Theoretical Introduction and Applied Study" (in Arabic), (1st edition, Cairo, Library of Arts, 1987).

خلاصة الزبدة وزبدة العمدة
تأليف الإمام مذهب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري
دراسة وتحقيقاً

A Study and Investigation of the Book
Khulasat al-Zubdah wa-Zubdat al-Umdah
by Imam Muhadhab al-Din Ahmad bin 'Abd al-
Rida al-Basri

د. سامي بن صالح يحيى الغامدي

أستاذ الأدب والبلاغة المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والفنون
بجامعة بيشة

البريد الإلكتروني: ssalghamdi@ub.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2025/02/02		استلام البحث A Research Receiving 2024/10/12
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-016		

المستخلص

قام هذا البحث بدراسة كتاب بلاغي أصيل، هو: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة"، وتحقيقه، وهو مخطوط غير مطبوع في نسخة واحدة متفردة، كُتبت بخط نسخ واضح وجميل؛ ومما شجعتني لتحقيقه ودفعني لذلك: أن مؤلفه الإمام مذهب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، وهو نابغة في معارف متنوعة، وماهر في علوم متعددة، كالفقه والأصول، والتفسير والحديث، والبلاغة، والطب، ويتقاطع أثلاً مع الإمام عبد القاهر السكاكي والقزويني؛ لإفادته منهم تنظيراً وتطبيقاً، وترجيحاً واختياراً، واستغنائاً عن الخلافات البلاغية، ففي دراسة الكتاب وتحقيقه أهمية كبيرة، منها: خدمة المكتبة البلاغية التراثية، وإبراز هذه الخلاصة للباحثين؛ لتحفيزهم بالشرح والتعليق، والاستنباط والحفظ.

ومما يميّز به الكتاب تسلسل مفردات البلاغة، وقصر العبارة وإيجازها، وإحكام المصطلحات وتعريفاتها، وطبي الأقسام بعقلية فذة ومنطقية بارعة، والانتقال بكفاءة من معنى إلى آخر؛ فالكتاب ركيزة بين الموجزات والخلاصات، مما يقضي بأهمية دراسته وتحقيقه، فجاء تقسيم البحث في مقدمة وفصلين، خُص الأول بدراسة المؤلف وحياته وآثاره العلمية، ودراسة الكتاب وقيّمته العلمية ومصادره، وفُتق المنهج الوصفي مع الإفادة من المنهج التاريخي، وأما الثاني فتضمّن تحقيق الكتاب وفُتق ضوابط المحققين أرباب هذا الفن، مع التعليق على بعض المسائل، والتذييل بمصادر الكتاب ومراجعته القيمة.

الكلمات المفتاحية: خلاصة، الزبدة، وزبدة، العمدة، مذهب، البصري.

Abstract

This research studied and investigated an authentic rhetorical book entitled: "**Khulasat al-Zubdah wa-Zubdat al-Umdah**", which is still an unpublished manuscript, having only one unique copy, written in a clear and beautiful Naskh script. What encouraged and pushed me towards editing and investigating the book is that its author, Imam Muhadhab al-Din Ahmad bin Abd al-Rida al-Basri, is one of the scholars of the eleventh century AH. He is a genius in diverse fields of knowledge, and skilled in multiple sciences, such as Islamic jurisprudence and its principles, Qur'an exegesis and hadith, rhetoric and medicine. He intersects in coalition with Imam Abdul-Qahir, al-Sakaki and al-Qazwini, having benefited from them in theory and application, preference and selection, and his dispensing with rhetorical difference of opinions among scholars. Studying and investigating this book is of great importance as it serves the rhetorical library of Islamic heritage, highlights the book for researchers; to motivate them to explain and comment on it, in addition to deduction of rules and its preservation. The book is distinguished by the sequence of rhetorical terms, brevity of phrases, mastery of terms and their definitions, ending of sections with a unique and logical mind, and the efficient transition from one meaning to another. The book is a basic mainstay among other concise books and summaries, which necessitates the importance of studying and investigating it.

The research is divided into an introduction and two chapters. The first chapter was devoted to studying the author, his life and scientific works, and studying the book, its scientific value and its sources and references, adopting the descriptive and historical methods. The other chapter included the investigative edition of the book according to the rules of chief investigative editors in this art. However, the researcher did not fail to comment on some issues, and he concluded the book with an appendix of its sources and valuable references.

Keywords: Khulāsāt, Zubdah, wa Zubdat al-Umdah, Muhadhab, al-Basri.

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والصلاة والسلام على خير خلقه
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد:

فقد بدأ التأليف البلاغي قديماً حتى استقر على يدي الإمام السكاكي ومدرسته،
واتخذ أشكالاً مختلفة بين المطولات والموجزات، والشروح والخلاصات، فاقترضت طبيعة
المرحلة البحثية التفتيش عن هذه المصنفات، ودراستها وتحقيقها، ونشرها لطلبة العلم في
المكتبات ورقياً ورقمياً، ولعلّ في هذا التنقيب ازدهاراً لحضارة الشعوب وتقدمها، والاهتمام
بالتراث عامة والمخطوطات العلمية خاصة؛ سمة من سمات أهل الطلب والمعرفة والفهم؛
فقد شغل التراث أعناق الباحثين تمحيصاً وتدويناً، فاستخرجت منه الخزائن العتيقة بدلاً
من بقائها مقيّدة على الرفوف تنهشها الأخطار والآفات.

ومن التراث البلاغي عملٌ في غاية الأهمية، حوى معلومات في بابها قويّة، خطّه
صاحبه بكلمات ذهبيّة، هو الحافظ مهذب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري،
الموسوم بـ"خلاصة الزبدة وزبدة العمدة"، كما سمّاه كاتبه، وأما في كتب التراجم
فوسم بـ"خلاصة الزبدة في المعاني والبيان والبديع"، لذا؛ اعتمد الباحث تسمية
المؤلف، الذي يعدّ من أشهر علماء البصرة في القرن الحادي عشر الهجري، وقد علا
كعبه لتصنيفه العلوم المتخصصة والمختلفة، كالتفسير والفقه، والأصول، والحديث،
والبلاغة، وعلم الطب، والمتأمل في مؤلفاته الكثيرة يجد لها حظوة عند المهتمين بها،
ووسم الكتاب عند أهل التراجم بـ"خلاصة الزبدة في المعاني والبيان والبديع".

وكتاب "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" من المصنفات البلاغية المتميزة، وهو
مخطوطٌ غير مطبوع، في نسخة واحدة متفردة على حدّ بحثي في ذلك، وقد كُتبت
بخط نسخ واضح وجميل، يرفع من قيمة جمالية المخطوط وأهميته، وفيها إضافات
علمية تجدر العناية بها، فضلاً عن الحقبة الزمنية التي كُتبت فيها، وطبيعة تكوين تلك

الخلاصة وتفصيلها وإيجازها، فرأيت أن أعكف على دراستها وتحقيقها -إن شاء الله- والله أسأل التوفيق والسداد.

أسباب اختبار الموضوع:

أولاً- القيمة الزمانية والمكانية للمؤلف: أضاء القرن الحادي عشر الهجري علماء أجلاء في العالم العربي والإسلامي عاصروا المؤلف، منهم: ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة (١٠٨٩هـ) صاحب "شذرات الذهب"، وحاجي خليفة (١٠٦٨هـ) صاحب "كشف الظنون"، وأبو البقاء الكفوي (١٠٩٣هـ) صاحب "الكليات"، ولعل المؤلف لقي الكفوي عندما كان قاضياً في بغداد. أما القيمة المكانية، فإن البصرة كانت تُعدّ مهذاً للعلم والعلماء، ففي القرن الثاني عشر الهجري -الذي يلي قرن المؤلف- رحل العلامة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- إليها؛ ليتزود من علم علمائها. ثانياً- الآثار العلمية للمؤلف كثيرة جداً، وأكثرها في الشريعة والبلاغة وتفننه فيهما. ثالثاً- هذا الكتاب لم يحظَ بتحقيق وتعليق، ففي إخراجهِ من خزائن المخطوطات، وتحقيقه تميزٌ وخدمةٌ للمشتغلين بالعربية والبلاغة خاصة. رابعاً- الكتاب له قيمة علمية مع إيجازه المحكم، فقد حوى مسائل البلاغة كلها، واستقصاها بدايةً ونهايةً.

أهداف البحث:

أولاً- إخراج الكتاب "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" كما أراده مؤلفه تحقيقاً وتدقيقاً، أو قريب من ذلك، من خلال ضوابط التحقيق المقررة عند أهل التحقيق والمعتمدة لديهم.

ثانياً- التعريف بالمخطوط ونسبته للمؤلف وقيمه العلمية.

ثالثاً- الإبانة عن النص والتعليق عليه، واستخراج مسأله المغلقة والمبهمه.

رابعاً- التعريف بالمصنّف بصورة مركزة وموجزة أيضاً، ولها أهمية كبيرة.
خامساً- الوقوف على مصادر المصنّف؛ لإدراك المنهجية التي انطلق منها.

الدراسات السابقة:

قام الباحث بالاستقصاء في مراكز الدراسات العلمية المتخصصة، والمكتبات الخاصة والعامة، وتتبع ذلك بسؤال المختصين في المخطوطات، فلم يجد -على بحثه- من قام بتحقيق هذا المخطوط^(١).

منهجية البحث:

- اقتضت طبيعة التحقيق أن يكون على قسمين:
- الأول: قسم الدراسة؛ سارت وَفَقَ المنهج الوصفي مع الإفادة من المنهج التاريخي.
- الثاني: قسم التحقيق؛ سيكون المنهج المتبع لا يختلف كثيراً عن بقية المنهجيات المتبعة في التحقيق، فكان على النحو الآتي:
- ١ - ضبط النص ضبطاً سليماً خالياً من الأخطاء الإملائية، والنحوية وَفَقَ القواعد الإملائية الحديثة.
 - ٢ - الاعتماد على نسخة المخطوط الفريدة المحفوظة في (مكتبة جامعة برنستون الأمريكية).
 - ٣ - توثيق النصوص والأقوال من مظاهها الأصلية.
 - ٤ - تجلية غريب المصطلحات والكلمات وإيضاحها.
 - ٥ - الإبانة في الحاشية لما غمض من المسائل، مع مراعاة طبيعة الأبحاث العلمية المحكمة التي تميل إلى الإيجاز.

(١) أفاد مركز الملك فيصل للبحوث بعدم تحقيق هذا الكتاب، وهكذا كان رأي مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ومركز جمعة الماجد بدي. وكان الإفادة عبر البريد الإلكتروني، وهي موثقة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وفصلين وقائمة بالمصادر والمراجع وفق التصور الآتي:
المقدمة: تناولت فكرة الدراسة، وأهميتها، وأسباب اختيارها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، والخطة.

القسم الأول: دراسة موجزة للمؤلف والكتاب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دراسة المؤلف الإمام مهذب الدين البصري:
أولاً - اسمه ونسبه ومولده ورحلاته.

ثانياً - شيوخه.

ثالثاً - آثاره العلمية.

رابعاً - وفاته.

المبحث الثاني: دراسة الكتاب (خلاصة الزبدة وزبدة العمدة)، وفيه:
أولاً - اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف، ومنهج المؤلف فيه.

ثانياً - مصادر المؤلف في كتابه.

ثالثاً - قيمة الكتاب العلمية.

رابعاً - وصف النسخة الخطية وإبراز نماذج منها.

القسم الثاني: النص المحقق

قائمة المصادر والمراجع.

القسم الأول: دراسة موجزة للمؤلف والكتاب

المبحث الأول: دراسة المؤلف الإمام مذهب الدين البصري

أولاً- اسمه ونسبه ومولده ورحلاته:

هو الشيخ الفاضل الأجل مذهب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري الهندي الخراساني، اختلف في اسم أبيه، فقيل: محمد رضا، وقيل: عبد الرضا، أو عبد الرضي البصري، وكان مذهب الدين يكتفي بذكر اسمه، واسم أبيه، وشهرته (المهذب)، وعليه جرى من ترجم له.

ولم تسعف التراجم وغيرها في العثور على سنة ولادته بالتحديد، ولم ينوّه بها المؤلف في مؤلفاته على الرغم من كثرتها، فقيل: إن ولادته عام (١٠٢٠هـ = ١٦١١م) في محافظة البصرة في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وهو رأي جُل من ترجم له، حتى غدا كالإجماع في ذلك^(١).

وكان مذهب الدين عربياً بصرياً أصيلاً، محباً للعرب ويصفهم بالكرام، ولما كان بالهند في آخر حياته، وضجر منهم، ومن صنيعهم، قال: «وبالجملة لو أُنِي بقيت ببلاد العرب الكرام، لصرت شيئاً متصفاً بما يحاكي التمام، ولكن هواء القدر والوجد،

(١) ينظر: اللكهنوي، ميرزا محمد، "نجوم السماء في تراجم العلماء". (ط١). طهران: دار الكتب الإسلامية، (١٣٦٣هـ)، ص ٢٢٠؛ والطالبي، عبد الحي فخر الدين، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر". (د. ط. بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩١هـ)، ١٠٦٩/٢ - ١٠٧٠؛ والطهراني، آغا بزرگ، "طبقات أعلام الشيعة". (ط١). بيروت: دار إحياء التراث العربي، (٢٠٠٩م)، ٥٠/٩؛ والأمين، السيد محسن، "أعيان الشيعة". (د. ط. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٣٧١هـ)، ٦٢٤/٢.

ألقاني في هوالك الهند»^(١).

وكان كثير السفر والتنقل بين البلدان الإسلامية، فرحل من البصرة إلى خراسان، وكابل، وقندهار ودلهي في الهند، وحيدر آباد سنة (١٠٨٥هـ)، واستقر بها آخر حياته.

ثانيًا: شيوخه

تلمذ مُهذَّب الدين وانتهل العلم على جملة من العلماء في شتى العلوم، والمعارف والفنون، غير أنَّ كتب الطبقات والأخبار لم تذكر من أسماء شيوخه إلا الحر العاملي، وهو: محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤هـ)، وهو من المدرسة الإخبارية التي تُعنى بالفقه وقواعده، وكان يوصف بالاعتدال، فقد ابتعد عن الجدل والنقاش والكلام^(٢).

رابعًا: آثاره العلمية

يُعدّ مهذَّب الدِّين البصريّ من العلماء كثيري التأليف والتدريس، فهو فقيه أصولي، ومحدِّث رجالي، ضليع في علم الكلام، متقن لعلمي المعاني والبيان، وعالم بالفلك، والرياضيات، والطب وعلم النفس، وتجويد القرآن، وفن الخطّ، وقد ألّف فيها جميعًا ما بين رسالة مختصرة، أو إجابة عن أسئلة، أو تلبية التماس أحد الأهالي في

(١) ينظر: الطهراني، آغا بزرك، "الذريعة إلى تصانيف الشيعة". (ط٣). بيروت: دار الأضواء،

(١٩٨٣م)، ١٦ / ٩١، والأمين، "أعيان الشيعة"، ٢ / ٦٢٤.

(٢) ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، "الأعلام". (ط٥)، بيروت: دار العلم للملايين،

(١٩٨٠م)، ٦ / ٩٠؛ وكحالة، عمر رضا، "معجم المؤلفين". (د. ط.). بيروت: دار إحياء

التراث العربي، د ت)، ٩ / ٢٠٤؛ والطالبي، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر"،

٢ / ١٠٦٩ - ١٠٧٠؛ والأمين، "أعيان الشيعة"، ٢ / ٦٢٤.

البلاد التي يحلّ بها^(١).

وقد امتاز مهذب الدين بقوة الذاكرة، وكثرة المطالعة؛ لذا كان يُعدُّ في الحفظ، فقد ذكر في بعض كُتبه أنَّه يحفظُ اثني عشر ألف حديث من دون أسانيدھا، وألفاً ومائتي حديث بأسانيدھا، وعلى الرغم من كثرة مؤلفاته إلا أنَّها في خزائن المخطوطات المختلفة لم تُحقَّق، ما عدا كتابي "فائق المقال في الحديث والرجال"، و"المقنة الأنيسة والمغنية النفيسة"، فقد حُققا وطُبعا، وكذلك: "رسالة في المؤنث السماعي"، و"رسالة في البلاغة والفصاحة"^(٢).

ومن أبرز المؤلفات التي ذكرها من ترجم له^(٣):

- ١ - تحفة ذخائر كنوز الأخبار في بيان ما يحتاج إليه من أخبار.
- ٢ - آداب المناظرة، ألفه في حيدر آباد الدكن عام (١٠٨٠هـ).
- ٣ - عمدة الاعتماد في كيفة الاجتهاد، ألفه في كابل (١٠٨٠هـ).
- ٤ - الزبدة في المعاني والبيان والبدیع^(٤).

(١) ينظر: اللكهنوي، "نجوم السماء في تراجم العلماء"، ص ٢٢٠؛ والطالبي، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر"، ١٠٦٩/٢ - ١٠٧٠؛ والطهراني، "طبقات أعلام الشيعة"، ٥٠/٩؛ والأمين، "أعيان الشيعة"، ٦٢٤/٢.

(٢) مهذب الدين أحمد عبد الرضا، "رسالة في البلاغة والفصاحة"، تحقيق علي حكمت. (مجلة دار الشؤون الثقافية العامة مج ٤٨، ع ١، ٢٠٢١م)، ص ١٨٠-١٨٥.

(٣) ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ٩٠/٦؛ وكحالة، "معجم المؤلفين"، ٢٠٤/٩؛ والطالبي، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر"، ١٠٦٩/٢ - ١٠٧٠؛ والأمين، "أعيان الشيعة"، ٦٢٤/٢.

(٤) هذا الكتاب هو الأصل، وأطال في جزئيات البلاغة، وقد بحثت عنه كثيراً، وسألت المختصين فلم أجد جواباً، وليت أحد المحققين يسعى لإخراجه، فأثرت تحقيق الخلاصة؛ لقيمتة البلاغية وتوفره.

- ٥ - خلاصة الزبدة في المعاني والبيان والبديع^(١).
٦ - كليات الطب، ألفه في شاهجان آباد (١٠٨١هـ)، والمفردة الطبية.
٧ - رسالة في القيافة، وريحانة روضة الآداب، وغيرها في شتى العلوم المختلفة^(٢).
خامسًا: وفاته

اختلف من ترجم لمهذب الدين في تاريخ وفاته، وذلك استنادًا إلى ما وصلهم، وبالرجوع إلى خاتمة مؤلفاته التي كان يكتبها بأسلوب متميز، يظهر أنه كان حيًّا في شهر ربيع الأول سنة (١٠٩٠هـ = ١٦٧٩م)؛ لأنَّ فيها ختم آخر كتبه "ريحانة روضة الآداب"، على حين لم يصرح بعضهم بتاريخ وفاته؛ لأنهم لم يتحققوا من ذلك^(٣).

(١) هو الكتاب الذي بين أيدينا، وسماه المؤلف في مقدمة كتابه بقوله: "هذه خلاصة الزبدة وزبدة العمدة... الخ" وللكتاب ميزته المعرفية والعلمية، مع إيجازه وخلاصته لأصله "الزبدة".
(٢) ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ٩٠/٦؛ وكحالة، "معجم المؤلفين"، ٢٠٤/٩؛ والطالبي، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر"، ١٠٦٩/٢ - ١٠٧٠؛ والأمين، "أعيان الشيعة"، ٦٢٤/٢.

(٣) ينظر: اللكهنوي، "نجوم السماء في تراجم العلماء"، ص ٢٢٠، والطالبي، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر"، ١٠٦٩/٢ - ١٠٧٠؛ والطهراني، "طبقات أعلام الشيعة"، ٥٠/٩؛ والأمين، "أعيان الشيعة"، ٦٢٤/٢.

المبحث الثاني: دراسة الكتاب

أولاً- اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف، ومنهج المؤلف فيه

ثبت للباحث نسبة الكتاب إلى مؤلفه -مهذب الدين أحمد عبد الرضا- من عدة طرق، هي:

أولاً- المصادر التي ذكرتها آنفاً في فقرة آثاره العلمية، فقد تبين أنه قام بتأليف كتابين في البلاغة، أحدهما: الزبدة والآخر: الخلاصة، وكلاهما في مسائل المعاني والبيان والبديع، ورسالة صغيرة في البلاغة والفصاحة.

ثانياً- ذكر المؤلف اسمه واسم الكتاب في مقدمة كتابه: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة"، في النسخة الخطية التي قال فيها: «فيقول الجانيّ الرَّاجي عفو ربه العفوِّ والرضا، أحوج خليقته إليه المشتهر بمهذب الدين أحمد بن عبد الرضا، وفقه الله لفهم معاني بيانه، وعلم معاني تبيانه / [١/أ]، هذه خلاصة الزبدة، وزبدة العمدة، مشتملة على مقدمة، ومقالات ثلاثة»^(١)، وفي النص ما يدلُّ على تصريحه باسمه واسم كتابه، مما يدل يقيناً نسبة الكتاب له.

ثالثاً- دياجة مقدمات كتب المؤلف المخطوطة تكاد تكون واحدة، وهي من الأمور التي تجعلنا نقطع بنسبة كتاب "خلاصة الزبدة" إليه، فلازمته التي التصقت بمقدمات كتبه ورسائله تبعث الاطمئنان بأن الكتاب له، ففي مقدمة "خلاصة الزبدة" يقول: «فيقول الجانيّ الرَّاجي عفو ربه العفوِّ والرضا، أحوج خليقته إليه المشتهر بمهذب الدين أحمد بن عبد الرضا...»، وقال في مقدمة "رسالة البلاغة والفصاحة": «فيقول الرَّاجي عفو ربه العفوِّ والرضا المشتهر بالمهذب أحمد بن عبد الرضا: هذه شزيمة وجيزة في الفصاحة والبلاغة...»، وقال في مقدمة "رسالته على البسملة":

(١) ينظر: خلاصة الزبدة وزبدة العمدة: [١/أ] - [١/ب].

«فيقول الفقير إلى عفو ربه والرضا المشتهر بالمهذب أحمد بن عبد الرضا: هذا بعض الكلام على البسمة...» مما يؤكد نسبة كتاب "خلاصة الزبدة" إلى مهذب الدين أحمد بن عبد الرضا.

وكان منهج المؤلف في كتابه كمنهج المصنّفين في تنميق مقدّماتهم وتبويرها بالبسمة والحمد والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، والقول للمؤلف والدعاء لنفسه، ثم قدّم بعدها خلاصة مركّزة لبلاغة تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، واشتملت تلك الخلاصة على مقدمة -الفصاحة والبلاغة- وثلاث مقالات -علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع-، مع تخليصها من الشواهد والأمثلة إلا ما ندر، وكان من منهج المؤلف الذي سلكه وصلّ الكلام -حروفه وكلماته وجمله- بعضه ببعض في سياق واحد، من غير أن يخرج عن مراد صاحب التلخيص والمفتاح.

ثانيًا - مصادر المؤلف في كتابه:

اعتمد مهذب الدين في تصنيف كتبه البلاغية وخاصة: "خلاصة الزبدة" على مؤلفات أربعة، هي: "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر، و"مفتاح العلوم" للسكاكي، و"تلخيص المفتاح" و"الإيضاح" للخطيب القزويني، كما اعتمد على كتابه الأصل: "الزبدة في المعاني والبيان والبديع" ولكنه مفقود، وبالتالي لم يعتمد على مصادر بلاغية غيرها إيجابًا، ولمرضه الذي ذكره في آخر المخطوط، فقال: «مع أَلَمِ كَلْبِي، والحمد لله على أفضاله»^(١).

ثالثًا - قيمة الكتاب العلمية:

لكل كتاب يراد تحقيقه مميزات ومآخذ، فمن مميزات هذا الكتاب:

١ - إيجاز الكتاب واختصاره، مما يجعله يسيرًا، يسهل حفظه وضبطه.

(١) ينظر: خلاصة الزبدة وزبدة العمدة: [١/ب].

- ٢ - الأثر العلمي لمهذّب الدين المتميز في شتى العلوم والمعارف.
- ٣ - جهود المؤلف في توظيف العلوم الأخرى، كعلم المنطق وأصول الفقه، في بيان المباحث البلاغية، وظهورها جلية في عبارات المؤلف ومصطلحاته، واختياراته البلاغية.
- ٤ - الكتاب متّصفٌ بنهج السكاكي، والخطيب القزويني في طيّ المصطلحات والمضامين، مع التّكثيف والإيجاز غير المخل، وهذه ميزة ترفع منه لرتبة البلاغة المنطقية.
- ٥ - الكتاب بلاغي من أوله إلى آخره، فلم يحدّ المؤلف عن المعاني والبيان والبديع قيد أنملة، ولم يُدخل حرفاً غريباً، ولا عبارة غير بلاغية، بل سار وفقّ نهج البلاغيين المتأخّرين في الترتيب والتبويب والتقسيم.
- أما المآخذ على الكتاب، فتتلخص في مأخذين:
 - ١ - ندرة الاستشهاد القرآني والشعري، ولعل المؤلف بسطها في كتابه: "الزبدة"، فلم يُرد إثقال الخلاصة بما بسطه هناك.
 - ٢ - عدم وجود نسخ أخرى.

رابعاً- وصف النسخة الخطية وإبراز نماذج منها:

- ١ - اعتمدت على نسخة مصورة من مكتبة جامعة برنستون الأمريكية، برقم: (٣٩٧١) رمز الحفظ: (٩٨٤).
- ٢ - النسخة الخطية لكتاب "خلاصة الزبدة" تقع ضمن مجموع يضم عدداً من الكتب، حيث ورد ما بين: [٩٤ب - ١٢٧أ] - وليس في ذكر تفاصيل ذلك المجموع غناء-، وعدد ألواح "خلاصة الزبدة": (٣٣) لوحاً، وفي كل لوحة صفحتان واعتمد الباحث في تعداد الألواح بدءاً من (١/أ) إلى (٣٣/ب) لأنه مصنف منفصل عن ذلك المجموع، كما أن عدد السطور في كل صفحة (٩)

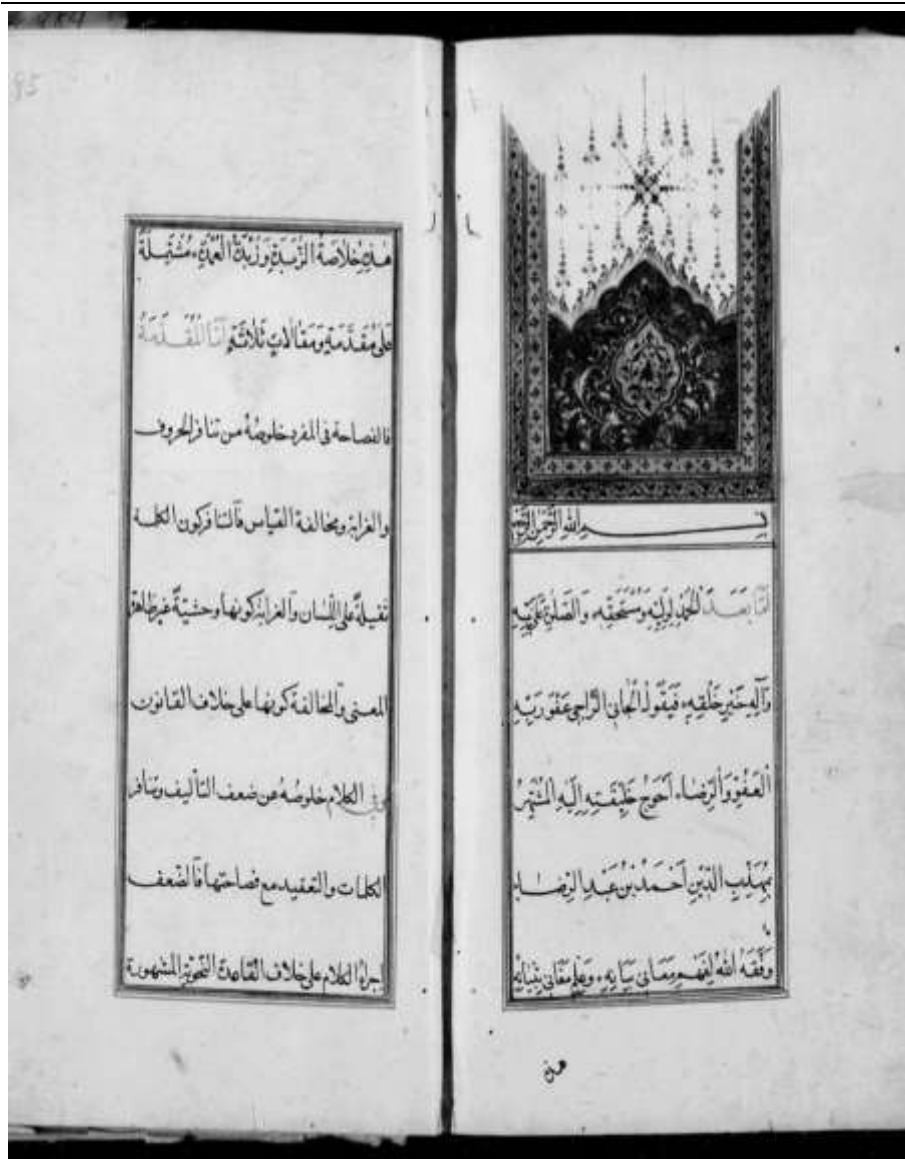
أسطر، أي (١٨) سطرًا في كل لوحة بشكل منتظم، وجميل ما عدا الصفحة الأولى من اللوح الأول [١/أ]، فكانت (٦) أسطر، والأخيرة من اللوح [٣٣/ب] كانت (٧) أسطر، فمجموع الأسطر في المخطوط (٥٨٩) سطرًا، كما أن عدد كلمات المخطوط من أوله إلى آخره (٤٩٥٢) كلمة.

٣ - النسخة كتبت بخط النسخ، وخطها واضح ومقروء وجميل جدًا، مع تركيز النظر على أصل النسخة التي كتبت عنواناته باللون الأحمر، فظهر في التصوير مخففًا وكتب المتن بالقلم الأسود فظهر في التصوير مثقلًا، وذلك على طريقة العلماء والنساخ المتقدمين في الكتابة.

٤ - المؤلف ضبط أوائل نسخته - كعاداته في مؤلفاته - وكذلك فعل في الشواهد، أما بقية المخطوط، فقد ترك الإعراب إلا ما دعت الحاجة إليه.

٥ - قال المؤلف في أول المخطوط: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ: الْحَمْدُ لَوْلِيهِ وَمَسْتَحَقُّهُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ وَآلِهِ خَيْرٌ خَلْقِهِ، فَيَقُولُ الْجَانِي الرَّاجِي...»، وفي نهايته قال: «... اتفق مشقه مشقها بدايةً ونهايةً في ضمن يومٍ وسطيٍّ مع أَلَمِ كَلْبِيٍّ، والحمدُ لله على أفضاله، والصلاة على محمد وآله، تمت تمام تم».

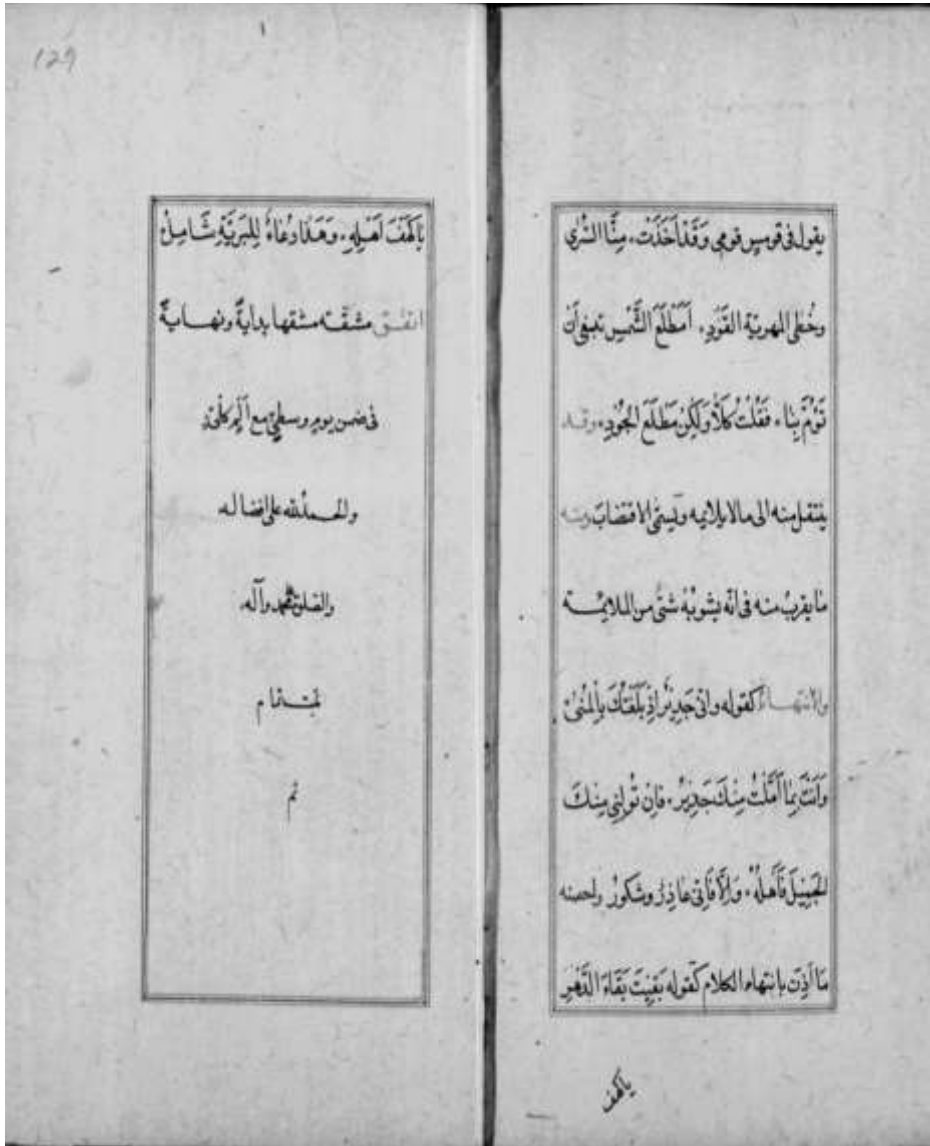
٥ - تعذر الوقوف على ناسخ المخطوط، وتاريخ النسخ؛ لعدم الإشارة إلى ذلك في هذه النسخة المصورة، أو على مخطوطات المؤلف التي حققت، أو كتب التراجم.



نموذج (١) اللوح الأول



نموذج (٢) اللوح الثاني



نموذج (٣) اللوح الأخير

القسم الثاني: النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَمَسْتَحَقُّهُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ وَآلِهِ خَيْرٌ خَلَقَهُ، فَيَقُولُ الْجَانِي الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ الْعَفْوِ وَالرِّضَا، أَخْوَجُ خَلِيقَتِهِ إِلَيْهِ، الْمُشْتَهَرُ بِمُهَذَّبِ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرِّضَا، وَفَقَّهُ اللَّهِ لِفَهْمِ مَعَانِي بَيَانِهِ، وَعَلِمَ مَعَانِي تَبْيَانِهِ / [١/أ]، هَذِهِ خُلَاصَةُ الرُّبْدَةِ وَزُبْدَةُ الْعُمْدَةِ، مَشْتَمِلَةٌ عَلَى مُقَدِّمَةٍ^(١)، وَمَقَالَاتٍ ثَلَاثَةٍ^(٢).

أَمَّا الْمَقَدِّمَةُ؛ فَالْفَصَاحَةُ^(٣) فِي الْمَفْرَدِ^(٤) خُلُوصُهُ مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ، وَالْغَرَابَةِ، وَمُخَالَفَةِ الْقِيَاسِ، فَالتَّنَافُرُ: كَوْنُ الْكَلِمَةِ ثَقِيلَةً عَلَى اللِّسَانِ^(٥)، وَالْغَرَابَةُ كَوْنُهَا وَحْشِيَّةً غَيْرَ ظَاهِرَةً الْمَعْنَى^(٦)، وَالْمُخَالَفَةُ كَوْنُهَا عَلَى خِلَافِ الْقَانُونِ^(٧).

(١) فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَمَا يَوْصِفَان بِهِ.

(٢) يَقْصِدُ بِالْمَقَالَاتِ الثَّلَاثَةِ: عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ.

(٣) ابْتِدَاءُ الْحَدِيثِ عَنِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَخُلُوصُهُمَا مِنَ الْعُيُوبِ... الخ، عَادَةً تَقْلَّدَتْهَا بَاكُورَةُ مُصَنِّفَاتِ الْقَزْوِينِيِّ فِي تَلْخِيصِهِ وَإِيضَاحِهِ. يَنْظُرُ: الْقَزْوِينِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، "التَّلْخِيصُ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ"، ضَبْطُهُ وَشَرْحُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيِّ. (ط ١، الْقَاهِرَةُ: دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، ١٩٠٤م)، ص ٢٤.

(٤) أَيُّ: الْكَلِمَةُ الْمَفْرَدَةُ وَلَهَا شُرُوطٌ.

(٥) وَبِالتَّالِي سَيَنْعَدُّ الذَّوْقُ السَّلِيمُ.

(٦) أَيُّ: لَيْسَ دَارِجًا فِي الِاسْتِعْمَالِ اللَّغْوِيِّ.

(٧) أَيُّ: الْقَانُونُ النَّحْوِيُّ وَالصَّرْفِيُّ الَّذِي جَاءَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ الْفَصِيحَةِ، وَمَنْ خَالَفَ الْقَانُونَ النَّحْوِيَّ وَالصَّرْفِيَّ فَإِنَّهُ يُخْرَجُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْفَصَحَاءِ، فَلَا يُقَالُ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: فَصِيحَةٌ.

وفي الكلام^(١) خلوصه عن ضعف التأليف، وتنافر الكلمات^(٢)، والتعقيد مع فصاحتها؛ فالضعف: إجراء الكلام على خلاف القاعدة النحوية المشهورة^(٣)، [١/ب] كالإضمار قبل الذكر، والتنافر كون تواليها ثقيلاً، والتعقيد كونه غير ظاهر الدلالة على المراد^(٤)؛ لخلل في النظم بتقديم أو تأخير^(٥)، أو حذف، أو إضمار، أو غير ذلك^(٦)، أو لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأوّل إلى الثاني^(٧)، وفي المتكلم^(٨)

(١) أي: تكون فصاحة الكلام.

(٢) مثل صعوبة اجتماع حرفين من مخارج متقاربة، أو تكرار أكثر من كلمة، فسيكون النطق في غاية المشقة.

(٣) أي: ضعيف في حكم النحاة، الذين يرون أن الترتيب ضعيف، بل ليس ناشئاً على القانون الصحيح، ويمثل له البلاغيون بقولهم: "ضرب غلامه زيداً"، فالضمير في "غلامه" لم يعد على أقرب مذكور، بل عاد على متأخر، ولذلك إذا عاد الضمير على متأخر في لفظه ورتبته فإنه يكون شاذاً، ويكون الترتيب والتأليف في حكم أهل الفصاحة والبيان ضعيفاً، بالنسبة لما هو فصيح، أو لما هو مشهور.

(٤) لعلّ: إما في اللفظ أو في المعنى.

(٥) فمن الخلل في اللفظ مثل لها القزويني بقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملوكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ص ٢٨.

فالفرزدق مدح خال هشام بن عبد الملك، واسمه إبراهيم، وقصده أن أبا أم هشام هو أبوه، فهو إذاً خاله، وهذا هشام ابن أخته، إبراهيم خاله فتوصّل بتعقيده في النظم إلى المعنى المعقد بهذا التركيب المتلبس.

(٦) مثل كثرة التكرار والإضافات المتتابعة، لأنها تنافي فصاحة الكلام.

(٧) فالتعقيد في المعنى سيقود المعنى لمخالفة المعنى الصحيح، والتعبير السليم الذي يُرجى أن يعبر به.

(٨) أي تكون فصاحة المتكلم.

اقتداره على التعبير عن المعنى بلفظ فصيح^(١).

والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها^(٢)، والحال: هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص^(٣)، فكون المخاطب منكراً حالاً يقتضي تأكيد الكلام، فالتأكيد مقتضاها^(٤).

وفي المتكلم اقتداره^(٥) [أ/٢] على تأليف كلام بليغ، فعلم أن كل بليغ فصيح دون العكس^(٦)؛ لدخول الفصاحة في البلاغة، ووجود الفصاحة في المفرد دون البلاغة^(٧).

وأما المقالة الأولى ففي علم المعاني^(٨): وهو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي

(١) بعد فراغه من شروط الفصاحة في الكلمة والكلام، استأنف الفصاحة في المتكلم، وهي: القدرة على أن يتكلم المبدع بكلام فصيح، أي إيجاد الملكة بشروطها.

(٢) هذا تعريف الخطيب القزويني للبلاغة. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ص ٣٣. فالمطابقة في مجيء الكلام مشتملاً على تلك الخصوصية التي اقتضاها الحال.

(٣) تلك الخصوصية التي اعتبرت في كلام المتكلم.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصفات: ٤] خطاب لمن ينكر هذا الأمر، ليزيل إنكار المخاطب.

(٥) تلك هي الملكة الكائنة لدى المتكلم تجعله قادراً على تأليف الكلام البليغ، وتُجْتَلَب هذه الملكة من كثرة المطالعة والقراءة والتأمل والكتابة.

(٦) فمعلوم أن الكلام الفصيح إن طابق المقام كان بليغاً؛ لتأثيره في السامعين، وإن لم يطابق عُدّ فصيحاً غير بليغ؛ لعدم تأثيره في المخاطبين، فبينهما عموم وخصوص

(٧) أي: أنها فصيحة لأنها لم تصل إلى طبقة التأثير في المتلقين، فلم يكن وصفها بالبلاغة إلا من خلال فصاحة ألفاظها.

(٨) بدأ المؤلف مقالته الأولى بعلم المعاني، ثم البيان في المقالة الثانية، ثم البديع في المقالة الثالثة، على ترتيب القزويني والبلاغيين المتأخرين، وهذا الترتيب منطقي من حيث تأسيس الجملة، ثم تأثير

التي بها يطابق مقتضى الحال^(١)، والمقصود منه -وهو الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد^(٢)- منحصر في ثمانية أمور: أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والوصل والفصل، والإيجاز [٢/ب] والإطناب والمساواة^(٣).

أما الأمر الأول، فالخبر إما صادق أو كاذب^(٤)، فالصادق المطابق للواقع، والكاذب خلافه^(٥)، وقصّد المخبر بخبره إمّا إفادة المخاطب الحكم^(٦)، أو كونه عالماً به، ويسمّى الأوّل فائدة الخبر، والثاني لازم فائدته^(٧)، وقد يُنزل العالم بهما منزلة

=

الجملة بياناً في المخاطبين، ثم حلية الجمل بحلية الألفاظ، والمعاني التي تكون في علم البديع.

(١) هذا تعريف الخطيب القزويني لعلم المعاني. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٧.
(٢) جملة معترضة، كأنه يرد علم المعاني إلى البلاغة وليس إلى الفصاحة، وهذا رأي السكاكي والقزويني؛ لأن البلاغة هي التي يحتز لها عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهذا الاعتراض جزء من تعريف السكاكي لعلم المعاني، وذلك بقوله: «إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام، على ما يقتضي الحال ذكره». السكاكي، يوسف بن أبي بكر، "مفتاح العلوم"، تحقيق أكرم عثمان يوسف. (ط ١، بغداد: دار الرسالة، ١٩٨٢م)، ص ٣٤١؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٦.

(٣) أجمل هذه الأمور ثم سيفصلها كفعل القزويني في ذلك. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٨.

(٤) أي أحوال الإسناد الخبري.

(٥) بحسب النسبة الخارجية.

(٦) أي ثبوت الخبر أو انتفاؤه، فيريد المتكلم إخبار المخاطب بأمر يجمله.

(٧) يسميها البلاغيون: أغراض الخبر.

الجاهل؛ لعدم جريه على مقتضى علمه فيلقى إليه الخبر كالجاهل^(١)، وإذا كان غرضه إفادة المخاطب أحد الأمرين فالكلام على قدر الحاجة، فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم فلا يؤكد^(٢)، أو مترددًا فيه فيحسن^(٣)، أو منكراً^(٤) فيجب بحسب الإنكار / [٣/أ] إزالة له.

وإخراج الكلام عليها إخراجًا على مقتضى الظاهر، وقد يكون على خلافه^(٥)، فيجعل غير المتردد مترددًا^(٦) طالبًا للحكم إذا قُدم المُلَوِّح فيؤكد الكلام، وغير المنكر كالمنكر^(٧)، والمنكر كغيره إذا ظهر إمارة الإنكار^(٨)، أو كان معه شيء إن تأمل فيه لا ينكره، وهكذا اعتبارات النفي^(٩) من التجريد عن التأكيد^(١٠)، وحسنه^(١١)، ووجوبه^(١٢).

(١) أحسن المؤلف الرأي، فقد ينزل العلماء منزلة الجهلاء للتسوية بينهما في الفعل؛ تقييماً وتشنيعاً على فعل أولئك العلماء، كوصف القرآن علماء بني إسرائيل بعدم إيمانهم وفقههم وديانتهم.

(٢) الخبر الابتدائي.

(٣) الخبر الطلبي.

(٤) الخبر الإنكاري: ففيه مراعاة أحوال المخاطبين، وهذه الثلاثة يسميها البلاغيون: أضرب الخبر.

(٥) وهو: تنزيل غير السائل منزلة السائل، وإخراج تلك التساؤلات من نفسه.

(٦) على خلاف الظاهر؛ لوجود أحوال تقتضي مخالفة الظاهر.

(٧) يؤكد له بأكثر من يؤكد.

(٨) ففي حال تنزيل المنكر منزلة غير المنكر لا يؤكد الكلام له.

(٩) أي: تلك اعتبارات الإثبات وقس عليها اعتبارات النفي، كقولك: ليس زيد منطلقاً.

(١٠) فلا يؤكد الخبر الابتدائي.

(١١) أي: يحسن تأكيده في الطلبي.

(١٢) أي: يجب تأكيده بحسب الإنكار.

والإسنادُ حقيقة^(١)، وهو إسناد الفعل أو معناه^(٢) إلى ما هو له، ومجاز^(٣)، وهو إسنادُ أحدهما إلى غير ما هو له للملاسة^(٤)، فيفتقر إلى قرينة لفظية أو معنوية، [٣/ب].

وأما الأمر الثاني، فحذف المسند إليه^(٥) للاحتراز عن العبث^(٦) بناء على الظاهر، أو تخيل العدول إلى أقوى الدليلين^(٧)، أو امتحان تنبّه السامع^(٨)، أو مقدار تنبّه، أو صونه عن اللسان، أو عكسه، أو تعيّن، أو ادعاء، التعيّن، ونحو ذلك، كالإنكار إذا احتيج إليه، نحو: "فاسق"، أي: زيّدًا، وضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب ضجّة، أو سامة، أو فوات فرصة، كقول الصياد: "غزال"، أي: هذا غزال، أو اتباع الاستعمال الوارد^(٩) على تركه نحو: "رَمِيَة من غير رام"^(١٠).

(١) عقلية.

(٢) معنى الفعل كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وغيرها.

(٣) عقلي، ويسمى: حكميًا، قال عبد القاهر: «هذا المجاز الحكمي». وأدخله السكاكي في سلك الاستعارة بالكناية. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، "دلائل الإعجاز"، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر. (ط ٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ)، ص ٢٩٦؛ والسكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٦٣٥-٦٣٦.

(٤) أي علاقة الملاسة.

(٥) عمود الجملة المسند، والمسند إليه، وركناها.

(٦) أي لا بد من وجود قرينة لحذف المسند إليه.

(٧) من العقل واللفظ.

(٨) بدأ المؤلف يسرد بعض الأغراض والدواعي لحذف المسند إليه، كما عند القزويني. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٥٣-٥٤.

(٩) كأمثال العرب لا يجوز تغييرها.

(١٠) والحق أن أغراض حذف المسند إليه كثيرة ولا يمكن حصرها؛ لأن منها ما يرجع إلى حال

وذكره^(١) [أ/٤] لكونه الأصل ولا مقتضى للحذف، أو الاحتياط لضعف القرينة^(٢)، أو التنبيه على غباوة السامع، أو لزيادة التوضيح والتقرير^(٣)، أو لتعظيمه، أو إهانتته، أو التبرك بذكره، أو الاستلذاذ به، أو لبسط الكلام، وقد يكون للتعجب والتهويل والإشهاد والتسجيل^(٤).

وتعريفه^(٥) بالإضمار لكون المقام للتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، وأصل الخطاب كونه لمعيّن، وقد يُترك إلى غيره ليعمّ كلّ مخاطب^(٦)، وبالعلمية^(٧) لإحضاره في ذهن السامع، أو تعظيمه أو إهانتته^(٨)، [ب/٤] أو إيهام استلذاذه، أو التبرك به، وبالموصولية^(٩) لعدم العلم بأحواله سوى الصلة، أو استهجان التصريح بالاسم، أو زيادة التقرير، أو التعظيم، أو تنبيه المخاطب على خطأ، أو الإيماء إلى علّة بناء الخبر،

=

السامع، ومنها ما يعود إلى نفس المتكلم نفسه.

(١) أي المسند إليه.

(٢) أو خفائها.

(٣) وتأكيد اختصاصه بالمسند.

(٤) سرد المؤلف بإيجاز بعض الدواعي والأغراض لذكر المسند إليه، كما عند القزويني. ينظر:

القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٥٥-٥٦.

(٥) أي: المسند إليه، فالنحاة عندما ذكروا أقسام المعارف وغيرها، كان حديثهم مركّزًا على الحال

الإعرابية صحتّ وفسادًا، أما البلاغيون، فيتعدون إلى معنى المعنى، والأغراض البلاغية من

وراء التراكيب.

(٦) ليدل على العموم البدلي بطريق المجاز أو الحقيقة.

(٧) أي: أغراض التعريف بالعلمية.

(٨) كقولك: أبو المروءة حضر، وأنف الشاة انصرف.

(٩) أي: أغراض التعريف بالموصول.

وباسم الإشارة^(١) لتمييزه أكمل تمييز، أو بيان حاله: قريباً وبُعْداً وتوسّطاً، أو تعظيمه، أو تحقيره، أو التعريض بغباوة السامع، وباللام^(٢) للإشارة إلى معهود، أو إلى نفس الحقيقة، أو للاستغراق حقيقياً^(٣)، أو عرفياً^(٤)، وقد يأتي لواحد باعتبار عهديته في الذهن خاصة [أ/٥] وهو في المعنى كالنكرة، وبالإضافة^(٥) بتعظيم شأن المضاف أو المضاف إليه، أو غيرهما، أو التحقير كذلك.

وتنكيره^(٦): للإفراد أو النوعية، أو التعظيم، أو التحقير، أو التّكثير، أو التقليل، **ووصفه**^(٧) لكونه كاشفاً له، أو مخصّصاً، أو مدحاً، أو ذمّاً، أو تأكيداً، أو لبيان المقصود وتفسيره، **وتوكيده**^(٨): لتقريره، أو دفع توهم التجوّز والسهو، أو عدم الشمول، **وعطف بيانه**^(٩) للإيضاح، وقد يجيء لمجرّد المدح، **والإبدال منه**^(١٠) لزيادة

(١) أي: أغراض التعريف باسم الإشارة.

(٢) أي: أغراض التعريف باللام، أو بـ "أل" على خلاف -لا يعيننا- عند النحاة، قال ابن مالك في ألفيته:

"أل" حرف تعريف أو "اللام" فقط فنمط عرفت قل فيه النمط

ابن مالك، محمد بن عبد الله، "ألفية ابن مالك"، اعتنى بضبطها والتعليق عليها عبد الله الفوزان.

(ط٢، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ)، ص ١٩.

(٣) فيشمل كل أحد من الأفراد، كمفردة "الإنسان" في القرآن الكريم.

(٤) أي: يدل من حيث العرف على أفراد معينين.

(٥) أي: أغراض التعريف بالإضافة.

(٦) أي: تنكير المسند إليه دون أن يدل على معين، وله أغراض بلاغية يطلبها المقام، ويوضحها السياق.

(٧) أي: وصف المسند إليه.

(٨) أي: توكيد المسند إليه.

(٩) أي: بيان المسند إليه.

التقرير، والعطف عليه / [٥/ب] لتفصيله، أو تفصيل المسند مع الاختصار بـ "الواو"، أو "الفاء"، أو "ثم" (٢)، أو لرد السامع إلى الصواب بـ "لا" (٣)، أو لصرف الحكم عن محكوم عليه إلى آخر بـ "بل" (٤)، أو للشك، أو التشكيك بـ "أو" (٥)، وفصله بضميره لتخصيصه بالمسند (٦).

وتقديمه (٧)؛ لأنه الأصل (٨)، ولا مقتضى للعدول عنه، أو لتمكين الخبر في ذهن السامع، فإن فيه تشويقاً إليه، أو للتفاؤل، أو التطيُّر، أو لإيهام أنه لا يزول عن خاطر، أو أنه يُستلذ به لكونه مطلوباً، أو محبوباً، وقد يفيد التقديم تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف / [٦/أ] النفي (٩)، وإلا فقد يأتي للتخصيص ردّاً على من زعم انفراد غيره به، أو مشاركته فيه، وقد يأتي لتقوية الحكم وتقريبه أيضاً.

ويقدم لزوماً لفظ "مثل" و"غير" (١٠)، في نحو: "مثلك لا يبخل"، و"غيرك لا يجود"، أي "أنت لا تبخل"، و"أنت تجود"، من غير إرادة تعريض المخاطب، وتدخل

=

(١) أي: بدل من المسند إليه.

(٢) فالواو مثلاً كقولك: "جاءني محمد وزيد"، وقس عليه.

(٣) كقولك: "جاءني محمد لا زيد".

(٤) كقولك: "جاءني محمد بل زيد".

(٥) كقولك: "جاءني محمد أو زيد".

(٦) أي: توسط ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند، عندها يقصر المسند عليه.

(٧) أي: المسند إليه.

(٨) أصالة وتشريعاً.

(٩) عند عبد القاهر التقديم يفيد الاختصاص. ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ١٢٤ -

١٢٥.

(١٠) ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ١٣٨ - ١٣٩.

"كل" في حيز النفي مؤخرَةً عن أدواته^(١)، أو معمولةً للفعل المنفي، فيتوجّه النفي إلى الشّمول خاصة^(٢)، ويفيد ثبوت الفعل أو الوصف لـ "بعض"، أو تعلّقه به، وإلاّ فيعمّ. وتأخير^(٣) لاقتضاء المقام تقديم المسند كما سيأتي^(٤).

هذا كله مقتضى الظاهر، [٦/ب] وقد يخرج الكلام على خلافه^(٥)، فيوضع المضمر موضع المظهر، نحو: "هو زيد عالم"، مكان الشّأن؛ ليتمكّن ما يعقبه في ذهن السّامع، فإنّه إذا لم يفهم منه معنًى انتظره، والمظهر موضع المضمر، فإن كان اسم إشارة، فلكمال العناية بتمييزه؛ لاختصاصه بحكم بديع، أو للتّهكم بالسّامع، أو التنبيه على بلادته، أو فطانت، أو ادّعاء ظهوره، وإن كان غيره؛ فلزيادة التمكن^(٦)، أو لإدخال الرّوع في ضمير السّامع، أو لتقوية داعي المأمور^(٧)، أو للاستعطاف.

ووضع كلٍّ من المضمر موضع الآخر يسمى التفاتاً^(٨)، وهو: التعبير [٧/أ] عن معنًى بطريقٍ من الثلاثة؛ التكلم والخطاب والغيبة بَعْدَ التعبير عنه بآخر منها، فَمِنْ التّكلم إلى الخطاب والغيبة، وَمِنْ الخطاب إلى التّكلم والغيبة، وَمِنْ الغيبة إلى التّكلم

(١) ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) نحو تقديم "كل" في "كل ذلك لم يكن".

(٣) أي: المسند إليه.

(٤) ينظر: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" [١٠/أ]؛ والتحقيق، ص ٢٧.

(٥) أي إتيان المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر.

(٦) نحو: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ اللَّهُ الصّكْمُ ﴿الإخلاص: ١ - ٢﴾.

(٧) نحو قولنا: "أمير البلدة يأمر بكذا".

(٨) قال السكاكي: "نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه... ويسمى التفاتاً".

ينظر بتصرف: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٣٩٥.

والخطاب، ووجهه أنّ نقل الكلام من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ أحسنَ تطويراً^(١) لنشاط السّامع، وأكثر إيقاظاً له.

ومن خلاف المقتضى تلقي المخاطبٍ بغير ما يترقّب^(٢)، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهاً على أنّه الأولى بالقصد، والسائل بغير ما يتوقع، بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيهاً على أنّه الأولى بحاله/[٧/ب] أو المهم له.

ومنه التعبير عن المستقبل بالماضي^(٣)، تنبيهاً على تحقق وقوعه.

ومنه القلب، وهو: أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه، فإن تضمّن اعتباراً لطيفاً كالمبالغة، فمقبولٌ وإلا فمردودٌ.

وأما الأمرُ الثالثُ، فحذفُ المسندِ لِمَا مرّ في المسندِ إليه^(٤)، وذكره^(٥) لذلك، أو أنّ يتعيّن كونه اسماً أو فعلاً فيفيد الثبوت أو التجدد؛ وإفراده^(٦) لكونه غير سببيٍّ مع عدم إفادة تقوّي الحكم، والسببيّ جملةٌ علّقتْ على مبتدأٍ بعائدٍ غير مسندٍ إليه/[٨/أ] في تلك الجملة، نحو: "زيد أبوه منطلق"، وكونه^(٧) فعلاً؛ لتقييده بأحدِ الأزمنة الثلاثة مع الاختصار، وإفادة التجدد، وكونه اسماً؛ لإفادة عدَمِهما^(٨)، وتقييد الفعل بفضلة^(٩)؛ لتربية الفائدة وتركه؛ لما نفع منها كعدم العلم بالتقييد، أو خوف

(١) أي: تجديداً له.

(٢) وسمه السكاكي بأسلوب الحكيم. ينظر السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٥٥٣.

(٣) وعكسه أيضاً.

(٤) ينظر: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" [٤/أ]؛ والتحقيق: ص ٢١.

(٥) أي: ذكر المسند.

(٦) أي: أفراد المسند.

(٧) أي: كون المسند.

(٨) أي: عدم التقييد المذكور والتجدد، فالاسم يفيد الثبوت.

(٩) بمفعول ونحوه.

انقضاء الفرصة، أو غيرهما.

وتقييده^(١) بالشرط؛ لاعتبار التفاوت بين أدوات الشرط، فـ "إن" وـ "إذا" للشرط في الاستقبال، لكن "إن" عدم الجزم^(٢)، وـ "إذا" الجزم^(٣)، وقد يُستعمل "إن" في الجزم للتجاهل، أو لعدم جزم المخاطب، أو لتنزيله/[٨/ب] منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على مقتضى العلم، أو للتوبيخ على الشرط، وتصوير أنّ المقام لاشتماله على ما يقلعه أصلاً، لا يصلح إلّا لفرضه فرض المحال، أو للتغليب وهو يجري في فنون، وكلّ من جملي كلّ فعليّة استقباليّة، ولا يخالف ذلك إلّا لنكتة؛ كإبراز غير الحاصل مَعْرَض الحاصل، أو كون ما هو للوقوع كالواقع، أو إظهار الرغبة في الوقوع، أو التفاؤل، أو التعريض^(٤)، وـ "لو" للشرط في الماضي مع القطع باتفاء الشرط، فيلزم عدم الثبوت والمضي في جملتيها.

وتنكيره^(٥) لإرادة عدم الحصر/[٩/أ] والعهد، أو للتعظيم، أو التحقير، **وتخصيصه^(٦)** بالإضافة أو الوصف؛ لكون الفائدة أتم، وتركه^(٧) مانع من تربيتها^(٨) كما مرّ.

وتعريفه^(٩)؛ لإفادة السامع حكماً على أمرٍ معلوم له بإحدى طُرُق التعريف

(١) أي: تقييد المسند وهو الفعل.

(٢) بوقوع الشرط.

(٣) بوقوع الشرط.

(٤) من قول السكاكي. ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٤٥٣.

(٥) أي: تنكير المسند.

(٦) أي: تخصيص المسند.

(٧) أي: ترك تخصيص المسند بالإضافة أو الوصف.

(٨) أي: في ترك تقييد المسند لمانع من تربية الفائدة.

(٩) أي: تعريف المسند.

بِأَخَرٍ مِثْلَهُ، أو لَازِمٍ حَكْمٍ كَذَلِكَ، وقد يفيد باعتبار تعريف الجنس قصر الجنس على شيء تحقيقاً أو مبالغةً، وكونه^(١) جملةً لتقوى الحكم، أو لكونه سببياً، واسميتها وفعليتها وشرطيّتها للثبوت والتجدد، واعتبارات أدوات الشرط كما سبق، وظرفيتها للاختصار الفعلية/[٩/ب]؛ لأنها مقدّرة بالفعل على الأصح.

وتأخيره^(٢) لأهميّة ذكر المسند إليه كما مرّ^(٣)، وتقديمه^(٤)؛ لتخصيصه بالمسند إليه، أو للتنبية من أول الأمر على أنّه حَبَرٌ لا نَعْتٌ^(٥)، أو للتفاؤل، أو التشويق^(٦).
وأما الأمرُ الرَّابِعُ، فالغرض من ذكر الفاعل أو المفعول مع الفعل إفادة تعلُّق كلٍّ منهما به^(٧)؛ لا إفادة وقوع نفسه؛ فإن كان الغرض إثباته للفاعل أو نفيه عنه مطلقاً، نُزِلَ منزلةً اللازم، ولم يقدّر له مفعول إذ المقدّر كالمذكور، وإلاّ وجب التقدير بحسب القرائن^(٨)،/[١٠/أ].

والحذف للبيان بعد الإيهام^(٩)، أو لدفع توهم إرادة غير المراد ابتداءً، أو للاختصار مع التعميم، أو بدونه^(١٠)، أو لرعاية الفاصلة، أو لاستهجان ذكره، أو لغير

(١) أي: وكون المسند.

(٢) أي: تأخير المسند.

(٣) ينظر: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" [٤/أ]؛ والتحقيق، ص ٢١.

(٤) أي: تقديم المسند.

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مَسْنَقَةٌ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] [الأعراف: ٢٤].

(٦) إلى ذكر المسند إليه.

(٧) أحوال متعلقات الفعل.

(٨) أي: حال الفعل مع المفعول والفاعل.

(٩) كفعل المشيئة، كقولك: "لو شئتُ جئتُ".

(١٠) أي: للاختصار مجرّداً من التعميم لوجود قرينة، كقولك: "أصغيت إليه" أي أذني.

ذلك، كإخفائه، أو التمكن من إنكاره، أو تعيّن حقيقة أو ادّعاء.

وتقديم المفعول ونحوه على الفعل؛ لردّ الخطأ في التعيين أو الاشتراك^(١).

والتخصيص: لازم للتقديم غالباً، وقد يفيد التقديم الاهتمام بالمقدّم^(٢)، وتقديم بعض معمولاته على بعض؛ لأن أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، / [١٠/ب] كالفاعل على غيره، والمفعول الأوّل على الثاني، أو لأنّ ذكره أهم^(٣)، أو لإخلال المعنى^(٤) أو لفوات التناسب^(٥) بالتأخير.

وأما الأمر الخامس، فالقصر حقيقي وغيره^(٦)، وكل منهما نوعان^(٧): قصر الموصوف على الصفة^(٨)، والصفة على الموصوف^(٩)، والمخاطب^(١٠) إن اعتقد الشركة فقصر إفراد^(١١)، أو عكس ما اعتقده المتكلم فقصر قلب^(١)، أو تساوى عنده فقصر

(١) أو لمن يعتقد لشركة، كقولك: "زيداً عرفْتُ وحده".

(٢) التقديم يفيد العناية والاهتمام رأي عبد القاهر. ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ١٠٧.

(٣) تبع المؤلف في هذه القضية رأي السكاكي والقزويني في التقديم للعناية والاهتمام. ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٤٤٣؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ١٣٥.

(٤) فقد يكون تأخير الفاعل على المفعول والمفعول الثاني على الأول إخلالاً حقيقياً بالمعنى.

(٥) وقد يكون فيه ما يخل بالتناسب في الفواصل والمقاطع.

(٦) وغير حقيقي، وهو الإضائي، والتقسيم وهذا التقسيم من حيث اعتبار عموم النفي، وخصوصه.

(٧) وتقسيم النوعين باعتبار نوع المقصور، والمقصور عليه.

(٨) كقولك: "ما حافظ إلا شاعر".

(٩) كقولك: "ما شاعر إلا حافظ".

(١٠) أي: وأقسام القصر الإضائي باعتبار حال المخاطب.

(١١) أي: يسمى قصر إفراد.

تعيين^(٢)، وشرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافي الوصفين، وقلباً تحقيق تنافيهما، وقصر التعيين أعم^(٣)، / [١١/أ] وللنقص طرق؛ منها: "العطف"، ومنها: "النفي والاستثناء"، ومنها: "إنما"، ومنها: "التقديم"، ودلالة الرابع^(٤) على القصر بالذوق السليم والطبع المستقيم، والباقية^(٥) بالوضع^(٦)، والأصل في الأول^(٧) النص على المثبت والمنفي، فلا يُترك إلا كراهة الإطناب، وفي الباقية^(٨) النص على المثبت فقط، والنفي لا بجامع الثاني^(٩) بخلاف الأخيرين^(١٠)، وأصل الثاني كون ما استعمل له مما يجمله المخاطب، وينكره بخلاف الثالث.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب، فيستعمل له الثاني^(١١) إفراداً أو قلماً، والمجهول^(١٢) منزلة المعلوم؛ / [١١/ب] لادعاء ظهوره فيستعمل له الثالث^(١٣).

=

(١) أي: يسمى قصر قلب.

(٢) أي: يسمى قصر التعيين.

(٣) تلك شروط أقسام القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب.

(٤) القصر بطريق التقديم، ودلالته على القصر بالتقديم تفهم من قرائن الأحوال والذوق.

(٥) القصر بطريق "العطف"، و"النفي والاستثناء"، و"إنما".

(٦) أي: تدل على القصر بأصل وضعها اللغوي.

(٧) أي: القصر بطريق "العطف".

(٨) أي: القصر بطريق "النفي والاستثناء"، و"إنما"، و"التقديم".

(٩) أي: القصر بطريق "النفي والاستثناء".

(١٠) أي: القصر بطريق "إنما"، و"التقديم".

(١١) أي: القصر بطريق "النفي والاستثناء".

(١٢) أي: وينزل المجهول.

(١٣) تلك مواقع المقصور عليه مع طرق القصر.

ثمَّ القصر يقع بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وبين المفعولين، وبين ذي الحال والحال، وغير ذلك؛ ففي "الاستثناء" يؤخَّر المقصور عليه مع "الأداة"، و"التقديم" قليل، وفي "إنَّما" يؤخَّر المقصور عليه ولا يقدِّم للإلباس، و "غيرُ" كـ "إلا" في إفادة القصرين^(١)، إفراداً وقلباً وتعييناً، وامتناع مجامعة "لا" العاطفة^(٢).

وأما الأمر السادس، فالإنشاء نوعان: طلبيّ^(٣) وغيره^(٤) كأفعال المدح والذم/[١٢/أ] وصيغ العقود.

وأنواع الطلب كثيرة، منها: التمني؛ ولفظه "ليت"، ولا يشترط إمكان التمني، وقد يتمي بـ"هل"، وبـ"لو"، وبـ"لعل" فتعطى حكم "ليت"^(٥)، وينصب في جوابه المضارع على إضمار "أن"^(٦).

ومنها: الاستفهام، وألفاظه: "الهمزة"، وهي لطلب التصديق أو التصور، والمسؤول عنه بها ما يليها^(٧)، كالفعل، والفاعل، والمفعول.

و"هل"، وهي لطلب التصديق فحسب، وتخصيص المضارع بالاستقبال، وهي بسيطة يُطلب بها وجود الشيء أو لا وجوده، ومركبة يطلب بها/[١٢/ب] وجود شيءٍ لشيء، أو لا وجوده له، و"ما"، و"من" و"أي"، و"كم"، و"كيف"،

(١) أي: قصر موصوف على صفة والعكس.

(٢) أي: اجتماع "غير" و"لا" في مثال واحد، فمنع البلاغيون قولك: "ما زيد غير شاعر لا كاتب". ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ١٥١.

(٣) ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

(٤) وغير طلبي، وقد انصرف البلاغيون عنه لقلة المباحث البلاغية فيه.

(٥) أدوات ليست للتمني في الأصل.

(٦) كقولك: "لعلي أعتمر فأزورك"، فأضمرت "أن" والتقدير: "فأن أزورك".

(٧) اعتمد المؤلف هنا رأي عبد القاهر. ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ١١١.

و"أين"، و"أنى"، و"متى"، و"أَيَّان"، وهي تشترك في طلب التصور فقط، فيطلب بـ "ما" شرح الاسم أو ماهية المسمى، وتقع "هل" البسيطة في الترتيب بينهما، ويسأل بـ "من" عن العارض المشخص لذي العلم، وبـ "أي" عمّا يميّز به أحد المتشاركين في أمرٍ يعُمُّهما، وبـ "كم" عن العدد، وبـ "كيف" و"أين" و"متى" عن الحال والمكان والزمان، و بـ "أَيَّان" عنه مستقبلاً ويستعمل في مواضع التفخيم، و "أنى" بمعنى "كيف" و"مِنَ أَيْنَ" [١٣/أ]، وتُستعمل الاستفهامية للاستبطاء، والتعجب، والتعجب، والتقريب، والإنكار، والتهكّم، والتحقير، والوعيد، والتّهويل، والاستبعاد، والتنبيه على الضلال^(١).

ومنها: الأمر، وهو: طلب الفعل استعلاءً، وقد يستعمل للإباحة والتهديد والتعجيز والتسخير والاهانة والتسوية والتمني والدعاء والالتماس^(٢).

ومنها: النهي، وهو: طلب الكف عن الفعل استعلاءً، وقد يستعمل للتهديد والدعاء والالتماس^(٣).

وهذه الأربعة^(٤) [١٣/ب] يجوز تقدير الشرط بعدها.

ومنها: النداء، وقد يُستعمل في غير طلب الإقبال، كالإغراء، والاختصاص^(٥). ثمّ الخبر قد يقع موقع الإنشاء^(٦) للتفاؤل، أو إظهار الحرص في وقوعه، والدعاء بصيغة الماضي يحتملها، أو للاحتراز عن صورة الأمر، أو حمل المخاطب على المطلوب.

(١) هذه بعض الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام.

(٢) هذه بعض الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر.

(٣) هذه بعض الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي.

(٤) التمني والاستفهام والأمر والنهي.

(٥) هذه بعض الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء.

(٦) أي: قد يسري إلى كل منهما بعض أحكام الآخر.

وأما الأمر السابع^(١)، فالوصل عطف الجملة على الجملة، والفصل تركه^(٢)، فالأولى منهما إما أن يكون لها محلٌّ من الإعراب أو لا^(٣)، وعلى الأول إن فُصِدَ تشريك الثانية لها/[١٤/أ] في حكمه عُطِفَتْ عليها، وشرطُ كونه بـ "الواو" ونحوه مقبولا كونُ جهةٍ جامعةٍ بينهما، وسيُذكر الجامع وإلا فُصِلَتْ عنها، وعلى الثاني إن فُصِدَ ربطها بها على معنَى عاطفٍ سوى "الواو"^(٤) عُطِفَتْ به، وإلا فإن كان للأولى حكمٌ لم يُقْصَدَ إعطاؤه للثانية بالفصل^(٥)، وإلا فإن كان بينهما كمالُ الانقطاع^(٦) أو كمالُ الاتصال، بأن لا يكون بينهما تعلُّقٌ أصلاً، أو تكون الثانية بمنزلة الأولى، أو شبهُ أحدهما فكذلك^(٧)، وإلا فالوصل.

أما كمالُ الانقطاع فإِختلافهما خَبَرًا وإنشاءً^(٨) لفظاً/[١٤/ب] ومعنًى، أو معنًى فقط، أو لعدم جامع بينهما، وأما كمالُ الاتصال فلكون الثانية مؤكدةً للأولى، أو بدلاً منها، أو بياناً لها^(٩)، وأما كونها كالمقطعة عنها^(١٠) فلكون عطفها عليها موهماً

(١) الوصل والفصل.

(٢) اعتمد المؤلف قول عبد القاهر في عطف الجمل بعضها على بعض أو ترك العطف فيها.

ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ٢٢٢.

(٣) أحوال الفصل والوصل للاشتراك في الحكم.

(٤) أي: الوصل بغير الواو من حروف العطف.

(٥) لعدم الاشتراك في القيد.

(٦) بلا إيهام.

(٧) مواضع الفصل أربعة: كمال الانقطاع بلا إيهام، وكمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع،

وشبه كمال الاتصال. ينظر: القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة".

(ط ٤، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٨م)، ص ١٧٠.

(٨) فيكون بينهما تباين فلا يوجد سبب للعطف.

(٩) الصلة المعنوية تغني عن الرابط في التوكيد وعطف البيان والبدل، ولهذا ترك العطف.

لعطفها على غيرها، أو كالمتصلة بها^(٢) فلكونها جواباً لسؤال اقتضته الأولى، ويُسمى الفصل الأول قطعاً، وهذا استثناءً، وهو ثلاثة^(٣)، فإنَّ السؤال إمّا عن سبب الحكم مطلقاً، أو عن سببٍ خاصٍّ، أو عن غيرهما.

وأما الوصل لدفع الإيهام^(٤)، فكقولك: "لا، وأيدك الله"، وأما لتوسّطهما بين كمال الانقطاع/[١٥/أ] وكمال الاتصال^(٥)؛ فلاتفاقهما خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى، أو معنى فقط بجامع، والجامع يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين، وهو عقليّ بأن يكون بينهما اتّحادٌ في التصرّو، أو تماثل، أو تضائّف^(٦)، أو وهميّ بأن يكون بين تصوّريهما شبه تماثل، أو تضادّ، أو شبه تضادّ، أو خيالي^(٧) بأن يكون بين تصوّريهما تقارنٌ في الخيال.

ومن محسّنات الوصل: تناسبُ الجملتين في الإسميّة، والفعليّة في المضّي والمضارعة، إلّا لما منع، كإرادة التجدد، أو المضّي في أحديهما والثبوت، أو المضارعة في

=

(١) موضع الفصل الثالث شبه كمال الانقطاع.

(٢) موضع الفصل الرابع شبه كمال الاتصال.

(٣) لا يعطف بين السؤال والجواب، فللاستئناف ثلاثة أضرب يتحقق بينها الربط المعنوي.

(٤) يسمى كمال الانقطاع مع الإيهام، لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً، وفي ترك العطف يومهم بغير المقصود، فيؤتى بالعطف لدفع الإيهام.

(٥) يطلق عليه التوسط بين الكمالين. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ١٩٠.

(٦) كما بين السبب والمسبب، فيكونان متوافقين غير مفترقين.

(٧) تبع المؤلف رأي السكاكي والقزويني في الجامع بين الشئيين، وهو إما عقلي أو وهمي أو خيالي. ينظر السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٤٦٨؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ١٩٢.

الأخرى^(١). / [١٥/ب]

وأما الأمر الثامن^(٢) فالإيجاز، أداء المقصود بأقل من عبارة مُتعارفٍ أو ساط الناس في البلاغة، والإطناب أدائه بأكثر منها، والمساواة أدائه بتلك العبارة^(٣)، أو الإيجاز كون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد وافيّاً به، والإطناب كونه زائداً عليه لفائدة، والمساواة كونه بمقداره^(٤).

والإيجاز ضربان: إيجاز القصر، وهو ما ليس بحذف، وإيجاز الحذف، والمحذوف إمّا جزء جملة مضاف، أو موصوف، أو صفة، أو شرط، أو جواب شرطٍ لمجرد الاختصار^(٥)، أو للدلالة على أنه/[١٦/أ] لا يحيط به الوصف، أو لتذهب النفس كل مذهب، أو لغير ذلك، وإمّا جملة مسببة عن مذكور، أو سببٌ لمذكور، أو غيرهما، وإمّا أكثر من جزء جملة.

ثم إنه قد لا يقام شيء مقام المحذوف، وقد يُقام، وقد يدل العقل على الحذف، والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف، أو العقل عليهما، أو عليه^(٦) والعادة على التعيين، أو الشروع في الفعل^(٧) أو الاقتران.

(١) أعرض المؤلف عن الحديث في الجملة الحالية، وكأنه يرى أن مجالها في النحو لا طائل منها، بينما أفاض فيها القزويني. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ١٩٦.

(٢) الإيجاز والإطناب والمساواة.

(٣) تبع المؤلف السكاكي. ينظر السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٤٩٣.

(٤) وقد تبع المؤلف هنا القزويني. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٢١٠.

(٥) خطأ في الأصل: «الاختصاص» لعله من الناسخ، ولعل المؤلف قصد «الاختصار» وهكذا في التلخيص، ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٢١٧.

(٦) أي: يدل العقل.

(٧) خطأ في الأصل: «الشرع في العقل» لعله من الناسخ، ولعل المؤلف قصد «الشروع في

والإطناب إمّا بالإيضاح بعد الإبهام، ليتمكّن في النفس فضل تمكّن، أو بذكر الخاصّ/[١٦/ب] بعد العامّ؛ للتنبيه على فضله، أو بالتكرير لنكتة كالتأكيد، أو بالإيغال؛ وهو ختم البيت أو الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها، كزيادة المبالغة وتحقيق التشبيه، أو بالتذليل؛ وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتأكيد؛ فمنه^(١) ما لا يخرج مخرج المثل، ومنه ما يخرج مخرجه، ومنه لتأكيد منطوق، ومنه لتأكيد مفهوم، أو بالتكميل^(٢) وهو: أن يؤتى في كلامٍ يُوهمُ خلاف المقصود بما يدفعه، أو بالتميم، وهو: أن يؤتى في كلامٍ يُوهمُ خلاف المقصود بفضلة/[١٧/أ] لنكتة كالمبالغة، أو بالاعتراض، وهو: أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معيًى بجملة أو أكثر، لا محلّ لها من الإعراب؛ لنكتة سوى دفع الإبهام، كالتنزيه والدعاء والتنبيه، أو بغير ذلك.

وقد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه، وقتلتها بالتسببة إلى كلام آخر مساوٍ^(٣) له معيًى^(٤).

وأما المقالة الثانية، ففي علم البيان، وهو: علم يُعرّف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة^(٥) عليه، والمقصود منه/[١٧/ب] في ثلاثة أمور،

الفاعل» وهكذا في التلخيص، ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٢٢١.

(١) والتذليل ضربان.

(٢) وهو الاحتراس.

(٣) أي: المساواة.

(٤) بهذه الجملة ختم المؤلف المقالة الأولى: (علم المعاني)

(٥) تجاوز المؤلف الحديث عن الدلالة وأنواعها ومسمياتها، وولج مباشرة إلى مكونات علم البيان.

التشبيه، والحقيقة، والمجاز، والكناية^(١).

أَمَّا الأمر الأوّل، فالتشبيه، هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في المعنى، لا على وجه الاستعارة، وأركانه: طرفاه، ووجهه، وأداته.

فطرفاه إمّا حسيّان أو عقليّان، أو مختلفان، والمراد بالحسي ما يُدرَك هو أو مادّته بإحدى الحواسّ الظاهرة، والعقليّ ما عدا ذلك، فيدخل في الحسيّ الخياليّ، وفي العقليّ الوهميّ.

ووجهه ما يشتركان فيه تحقيّقاً أو تخيّلًا^(٢)، وهو إمّا خارج عن حقيقتيهما، أو غير خارج صفة، إمّا حقيقة^[١٨/أ] حسيّة، كالكيّفيات الجسميّة، وإمّا عقليّة، كالكيّفيات النفسية، وإمّا إضافيّة؛ كإزالة الحجاب في تشبيه الحجّة بالشمس، وإيضاً إمّا واحد أو بمنزلة الواحد لكونه مركّباً من متعدّد، وكلٌّ منهما حسيّ وعقليّ، وإمّا متعدّد^(٣) كذلك أو مختلف. والحسيّ طرفاه حسيّان لا غير، والعقليّ أعم، وقد يُنتزع الشّبه من نفس التّضادّ لاشتراك الضدّين فيه، فيُنزّل منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم.

وأداته "الكاف"، و"كأنّ"، و"مثل"، و"شبه"، وما في معناه، والأصل^[١٨/ب] في "الكاف" ونحوه أن يليه المشبّه به لفظاً أو تقديرًا، وقد يليه غيره، وقد يذكر فعلٌ يُنبأ عنه، نحو: "علمتُ زيداً أسداً" إن قرب^(٤)، وإلا فحسب^(٥).

والغرض منه يعود إلى المشبّه، وهو بيان إمكانه، أو حاله، أو مقدارها، أو

(١) هذه مباحث علم البيان المستقرة عند المؤلّف والبلاغيين من قبله.

(٢) من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه.

(٣) أقسام التشبيه باعتبار الأفراد، والتعدد، والتركيب.

(٤) التشبيه.

(٥) إن بُعد التشبيه.

تقريرها^(١)، وقيل هذه الأربعة تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم، وهو به أشهر، أو تزيينه أو تشويبه أو استطرافه، وقد يعود إلى المشبه به وهو إيهام أنه^(٢) أتم، وذلك في التشبيه المقلوب، أو بيان الاهتمام به ويسمى [١٩/أ] إظهار المطلوب^(٣)، وهو باعتبار طرفيه^(٤) تشبيه مفرد بمفرد، مقيدتين أو غير مقيدتين، أو مختلفين، أو مركب بمركب، أو مفرد بمركب، أو مركب بمفرد، وإذا تعدد^(٥) طرفاه فملفوف أو مفروق، أو الأول أو الثاني فتشبيه التسوية أو الجمع، وباعتبار وجهه^(٦) تمثيل، وهو ما وجهه منتزع من متعدد^(٧)، أو غيره^(٨)، وهو بخلافه، أو مجمل لم يذكر وجهه، فظاهر أو خفي، ومنه ما لم يذكر فيه وصف أحد الطرفين، وما يذكر فيه وصف المشبه به وحده، وما يذكر فيه [١٩/ب] وصفهما أو مفصل مذكور وجهه، وقد يذكر ما يستتبعه مكانه تسامحاً، أو قريب مبتذل، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به، بلا تدقيق نظر لظهور وجهه؛ لكونه أمراً جُملياً، أو قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن، عند حضور المشبه لقرب المناسبة، أو مطلقاً لتكرره على الحسن، أو بعيداً غريباً^(٩) وهو بخلافه لعدم الظهور؛ لكثرة التفصيل

(١) أي: تقرير حاله في نفس السامع.

(٢) أي: المشبه به.

(٣) تبع المؤلف السكاكي في التشبيه المقلوب، والغرض منه بيان الاهتمام به، فسماه إظهار المطلوب. ينظر السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٥٧٤.

(٤) أقسام التشبيه باعتبار الطرفين.

(٥) أنواع التشبيه المتعدد.

(٦) أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه.

(٧) وشرط السكاكي أن يكون غير حقيقي. ينظر "مفتاح العلوم"، ص ٥٧٥.

(٨) التشبيه.

(٩) أي: التشبيه البليغ.

لندور الحضور^(١) عند الحضور لبعد المناسبة، أو مطلقاً لكونه وهمياً، أو مركّباً خيالياً أو عقلياً، أو لقلة تكرّره على الحسّ.

وباعتبار أدايته^(٢) [أ/٢٠] مؤكّد؛ وهو ما حذفت منه، أو مرسل وهو بخلافه، وباعتبار الغرض^(٣) مقبولٌ وهو الوافي بإفادته أو مردود وهو بخلافه.

وأعلى مراتب التشبيه^(٤) حذف وجهه وأداته فقط، أو مع حذف المشبه، نحو "أسد" في مقام الإخبار عن "زيد"، ثمّ حذف أحدهما كذلك، أو مع حذف المشبه ولا قوّة لغيره.

وأما الأمر الثاني^(٥)، فالحقيقة الكلمة المستعملة فيما وُضِعَتْ له في اصطلاح به التخاطب، والمجاز مفردٌ ومركّب، أما المفرد؛ فهو الكلمة المستعملة في غير ما وُضِعَتْ له في اصطلاح [ب/٢٠] به التخاطب^(٦)، على وجه يصحّ مع قرينة صارفة عن جواز إرادته، فلا بُدَّ له من العلاقة، وكلّ منهما لُغَوِيٌّ وشرعيٌّ وعرفيٌّ، خاصٌّ أو عامٌّ^(٧)، والمجاز: إن كانت علاقته غير المشابهة فمرسلٌ وإلا فاستعارة.

(١) المشبه به.

(٢) أقسام التشبيه باعتبار أداته.

(٣) أقسام التشبيه باعتبار الغرض.

(٤) خاتمة التشبيه.

(٥) خطأ في الأصل: «الثالث» لعله من الناسخ، ولعل المؤلف قصد «الثاني». ينظر: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدّة" [ب/٢٠].

(٦) تبع المؤلف القزويني في تعريفه الحقيقة والمجاز. ينظر: القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ص ٢٥٠.

(٧) عند الأصوليين هذه أنواع الحقيقة، ينظر: قدامة، عبد الله أحمد، "روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه"، تحقيق شعبان إسماعيل، (ط١، بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٨م)، ١: ٤٩٢.

والمرسل، كاليد في النعمة والقدرة^(١)، ومنه^(٢) تسمية الشيء باسم جزئه، أو كله، أو سببه، أو مسببه، أو ما كان عليه، أو ما يؤول إليه، أو محلّه، أو حاله، أو آتیه. **والاستعارة التحقیقیّة**: أن يكون المشبه المتروك شيئاً محققاً حسّاً أو عقلاً، وهي باعتبار الطرفين^(٣) أي: المستعار/[٢١/أ] منه والمستعار له قسمان؛ لأنه إن أمكن اجتماعهما في الاستعارة فوفائيّة وإلاّ فعناديّة، ومن العنادية التهكميّة والتملیحيّة، باستعمال لفظ المستعار في الضدّ أو النقيض، وباعتبار الجامع^(٤) قسمان؛ لأنّه إمّا داخلٌ في مفهوم الطرفين أو غير داخل، وأيضاً إمّا عاميّة مبتدلةٌ لظهور الجامع فيهما، أو خاصيّة غربيّة، والغربة في نفس الشّبه، وباعتبار الثلاثة^(٥) ستّة؛ لأنّ الطرفين إن كانا حسيّين فالجامع حسيّ أو عقليّ أو مختلفٌ، وإلاّ فهما عقليّان أو مختلفان. [٢١/ب]، وباعتبار اللفظ^(٦) قسمان، لأنّه إن كان اسم جنسٍ فأصلیّة وإلاّ

(١) هذا قول المخالفين لأهل السنة والجماعة من المعطّلة - كالجهمية والمعتزلة - الذين يُؤوّلون صفة اليدين، ويقولون: المراد بها القدرة أو النعمة، وهو قول مخالفٌ لإجماع السلف، فلا يُعرف أحد منهم أوّلها بالقدرة والنعمة، وأما تفسير اليد بالقدرة والنعمة مخالفٌ لظاهر لفظ الآيات؛ لأنّ سياقها يمنع من ذلك التفسير كما زعمت المعطلة. ينظر: قدامة، عبد الله أحمد، "لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد"، شرح محمد بن صالح العثيمين، (ط٣، الرياض: دار طبرية، ١٩٩٥م)، ص ٤٩-٥٠.

(٢) أي: ومن علاقات المجاز المرسل؛ الجزئية والكلية... الخ.

(٣) أي: أقسام الاستعارة.

(٤) أقسام الاستعارة باعتبار الجامع.

(٥) أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع.

(٦) أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار.

فتبعية^(١)، كالفعل، وما يشتق منه والحرف، وباعتبار آخر^(٢) ثلاثة أقسام؛ لأنّها إن لم تُقترن بصفة معنويّة فمطلقة، وإن قُرنت بما يلائم المستعار له فمجردة، أو بما يلائم المستعار منه فمرشحة، وقد يجتمعان^(٣).

وأما المركّب، فهو اللفظ المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصليّ تشبيه التمثيل للمبالغة، فيسمى التمثيل على سبيل الاستعارة والتمثيل مطلقاً، فإذا فشا استعماله كذلك سُمّي مثلاً.

وقد^(٤) يُضمّر التشبيه في النفس/[٢٢/أ] فلا يُصرّح بشيء من أركانه سوى المشبّه، ويدلّ عليه بأن يثبت للمشبه أمرٌ مختصّ بالمشبه به، فيسمّى التشبيه المضمّر استعارةً بالكناية، وإثبات الأمر للمشبه استعارةً تخيليةً^(٥).

وأما الأمر الثالث، فالكناية لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه، وهي ثلاثة^(٦): الأولى: ما يُطلّب بها غير صفةٍ ولا نسبة^(٧)، فمنها ما هي معنى واحد، وما هي مجموع معانٍ، وشرطهما الاختصاصُ بالمكنى عنه، والثانية: ما يُطلّب بها صفة، فإن لم يكن الانتقال بواسطة/[٢٢/ب] ففريضة واضحة أو خفية، وإلاّ فبعيدة،

(١) يتفرع من الاستعارة التصريحية نوعان: أصلية وتبعية.

(٢) وهي أقسام الاستعارة باعتبار اقتراحها بما يلائم أحد طرفيها.

(٣) أي: قد تجتمع المجردة والمرشحة في مثال واحد.

(٤) أقسام الاستعارة باعتبار المذكور والمحدوف من طرفي التشبيه إلى قسمين: تصريحية ومكنية.

(٥) تحدث المؤلف عن المجاز العقلي -الحكمي- وعلاقاته، وجعله في علم المعاني. ينظر التحقيق:

ص ٢٠.

(٦) أقسام الكناية باعتبار نوع المكنى عنه.

(٧) أي: موصوف.

والثالثة: ما يطلب بها نسبةً، والموصوف في الثانية والثالثة قد يُذكر وقد لا يذكر^(١).
وقد أطبق البلغاء على أنّ المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح^(٢)، وأنّ الاستعارة التحقيقية والتمثيلية أبلغ من التشبيه^(٣).

وأما المقالة الثالثة، ففي علم البديع؛ وهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام البليغ، والمحسنات معنوية ولفظية.

أما المعنوية، فمنها الطباق والمطابقة، وهو إما طباق إيجاب أو طباق / [٢٣] سلب؛ فالأوّل الجمع بين متضادين أي متقابلين في الجملة، والثاني الجمع بين فعلي مصدر أحدهما مثبت أو أمر، والآخر منفي أو نهي، ويلحق به^(٤) الجمع بين معنيين يتعلّق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلّق كالسببية واللّزوم^(٥)، والجمع بين معنيين غير متقابلين، عبّر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان، وما يختصّ باسم المقابلة^(٦) وهو الآتيان بمعنيين متوافقين أو أكثر، بما يقابل ذلك على الترتيب، ومنها^(٧): التناصب، وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضادّ، ويلحق به^(٨) الجمع بين

(١) ختم المؤلف الكناية، ولم يتحدث عن أنواع الكناية التي ذكرها السكاكي، كالتعريض والرمز... إلخ. ينظر: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" [٢٣/أ]، والسكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٦٤٧.

(٢) لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم.

(٣) بهذه الجملة ختم المؤلف المقالة الثانية: (علم البيان).

(٤) أي: يلحق بالطباق شيئان، ويطلق على الثاني إيهام التضاد.

(٥) فالرحمة وإن لم تكن تقابل الشدة لكنها مسببة عن اللين.

(٦) أي: ودخلت المقابلة في الطباق واختصت به.

(٧) كل ما سيأتي بقوله: "ومنها"، أي: ومن المحسنات المعنوية.

(٨) ويطلق عليه إيهام التناسب. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٥٥.

معنيين غير مُتناسبين بلفظين معناهما متناسبان^(١)، ومنها: الإرساد^(٢)، وهو: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدلّ عليه إذا عُرِفَ الروي، ومنها: المشاكلة، وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا، ومنها: المزوجة، وهي: أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء، ومنها العكس؛ وهو أن يقدّم في الكلام جزءً ثم يعكس فيقدّم ما أخر، ويؤخّر ما قدّم^(٣)، ومنها [٢٤/أ] الرجوع؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقيض لנקتة، ومنها: الإيهام والتورية، وهو: إطلاق لفظ له معنيان^(٤)، فيراد البعيد منهما، وهو^(٥) مجرد إن لم يجمع شيئاً ممّا يلائم المعنى القريب، وإلاّ فمرشح، ومنها: الاستخدام، وهو: أن يُراد بلفظ لهُ معنيان أحدهما ثم بضميره الآخر، أو بأحدِ ضميريه أحدهما، ثم بالآخر الآخر، ومنها: اللف والنشر، وهو: ذكر متعددٍ على التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكلٍ من غير تعيين، ثقةً بأنّ السّامع يردّه إليه^(٦).

ومنها: الجمع، وهو: [٢٤/ب] أن يُجمَعَ بين متعدّدٍ في حكم، ومنها: التفريق، وهو: إيقاعُ تباينٍ بين أمرين من نوعٍ واحدٍ في المدح أو غيره، ومنها: التقسيم، وهو: ذكرُ متعدّدٍ ثم إضافةٌ ما لكلٍ إليه على التعيين، ومنها: الجمع مع التفريق، وهو: إدخال شيئين في معنى ثمّ التفريق بين جهتي الإدخال، ومنها: الجمع مع التقسيم،

(١) لم يتحدث المؤلف عن تشابه الأطراف.

(٢) ويطلق عليه التسهيم. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٥٦.

(٣) أوجز المؤلف وقوع وجوه المزوجة بأوضح من عبارة القزويني وأخصر، وهذا ممّا تميز به الكتاب. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٥٨.

(٤) قريب، وبعيد.

(٥) أي: والإيهام ضربان: مجردة، ومرشحة.

(٦) لم يتحدث المؤلف عن أنواع اللف والنشر.

وهو: جمع متعددٍ تحت حكمٍ، ثمّ تقسيمه، أو بالعكس، ومنها: الجمع مع التفريق والتقسيم وهو ظاهر، وقد يطلق التقسيم على^(١) ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كلّ ما يليق به/[٢٥/أ] وعلى استيفاء أقسامه.

ومنها: التجريد، وهو: أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفةٍ آخرٌ مثله فيها مبالغة لجمالها فيه، وهو^(٢) قد يكون بـ "من"^(٣) التجريدية و"الباء"^(٤) التجريدية الداخلة على المنتزع منه، و"الباء" المعية أو المصاحبة على المنتزع، وبدخول "في" على المنتزع منه وبدون توسّط حرفٍ، وبطريق الكناية ومخاطبة الإنسان نفسه، ومنها: المبالغة، وهي: أن يُدعى لوصفٍ بلوغه في الشدّة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً؛ لئلا يُظنّ أنّه غير متناهٍ فيه، فإن كان المدّعي ممكناً/[٢٥/ب] عقلاً وعادة، فهي تبليغٌ، أو عقلاً لا عادةً فاغراقٌ، وهما مقبولان، وإلاّ فغلوّ، ومقبولةٌ ما أُدخلَ عليه ما يُقرّبه إلى الصّحة، أو ما تضمن نوعاً حسناً من التّخييل، أو ما أخرج مخرج الخلاعة.

ومنها: المذهب الكلامي، وهو: أن يراد حجةٌ للمطلوب على طريقة أهل الكلام، نحو ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٥)، ومنها: حُسْنُ التعليل، وهو: أن يُدعى لوصفٍ علّةٌ مُناسبةٌ له باعتبارٍ لطيفٍ غير حقيقي^(٦)، سواءً كانت الصفة ثابتةً قُصِدَ بيانُ علّتها، أو غير ثابتةٍ أُريدَ إثباتها،/[٢٦/أ] وسواءً لم يظهر

(١) أمرين.

(٢) أقسام التجريد.

(٣) تفيد معنى الابتداء.

(٤) يفيد المصاحبة ويدل على التشبيه.

(٥) سورة الأنبياء [آية: ٢٢]. لم يستشهد المؤلف بالقرآن إلّا في هذا الموضع.

(٦) في أربعة أنواع.

للاولى علة في العادة أو يظهر لها علة غير العلة المذكورة، وسواء كانت الثانية ممكنة أو غير ممكنة، ومنها: التفریع، وهو: أن يثبت لمتعلق أمرٍ حكمٌ بعد إثباته لمتعلقٍ آخر، على وجهٍ يشعر بالتفریع والتعقيب.

ومنها: تأكيد المدح بما يشبه الذم^(١)، وهو: أن يستثنى من صفة ذمٍ منفيّة عن الشيء صفة مدح، بتقدير دخولها فيها، أو أن يُثبتَ لشيءٍ صفة مدح، ويعقب بأداة استثناءٍ تليها صفة مدحٍ أخرى له، ومنها: تأكيد الذم/[٢٦/ب] بما يشبه المدح^(٢)، وهو: أن يستثنى من صفة مدحٍ منفيّة عن الشيء صفة ذمٍ بتقدير دخولها فيها، أو يُثبتَ لشيءٍ صفة ذمٍ ويعقب بأداة استثناءٍ تليها صفة ذمٍ أخرى له.

ومنها: الاستتباع، وهو: المدحُ بشيءٍ على وجهٍ يستتبع المدحُ بشيءٍ آخر، ومنها: الإدماج، وهو: أن يضمّن كلاماً سيق لمعنى معنى آخر، فهو أعمّ من الاستتباع، ومنها التوجيه؛ وهو إيرادُ الكلام محتملاً لوجهين مختلفين^(٣)، ومنها: الهزل الذي يراد به الجدُّ، كقوله^(٤):

إذا ما/[٢٧/أ] تَمِييُّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدِي عَنِّي كَيْفَ أَكُلُّكَ لِلضَبِّ

ومنها: تجاهل العارف، ويسمى سوق المعلوم مساق غيره^(٥) لنكته، ومنها:

(١) في ضربين، والأول أفضلهما.

(٢) في ضربين أيضاً.

(٣) ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٦٦٦.

(٤) هذا الشاهد الأول من شواهد المؤلف الشعرية، والبيت من الطويل لأبي نواس. ينظر: الحكمي، الحسن بن هانئ، "ديوان"، حققه وضبطه أحمد الغزالي، (ط١)، القاهرة: مطبعة

مصر، ١٩٥٣م)، ص ٥١٠؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٨٥.

(٥) في الأصل: "عد عني"، وفي رواية الديوان والتلخيص: "عن ذا".

(٦) هكذا سماه السكاكي، وتبعه المؤلف. ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٦٦٦.

القول بالموجب^(١)، وهو أن يقع صفة في كلام الغير كنايةً عن شيء أثبت له حكم فتشبهت لغيره من غير تعريضٍ لثبوته له أو نفيه عنه، أو أن يُحمل لفظٌ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممّا يحتمله بذكر متعلّقه، ومنها: الاطراد، وهو: أن يؤتى بأسماء الممدوح أو غيره، وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف^(٢).

وأما اللفظية/[٢٧/ب]، فمنها الجنس، وهو: تشابه اللفظين، فالتام منه^(٣) أن يتفقا في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، ثم إن كانا من نوع واحد فمماثل^(٤)، أو من نوعين فمستوفى، وأيضاً فإن كان أحدهما مركّباً فجناس التركيب، فإن اتفقا خطأ فمتشابهة وإلا فمفروق، وإن اختلفا^(٥) في الهيئة فقط فمحرف، أو في الأعداد محرف في الأول أو الوسط أو الآخر فرمما سمي هذا مطرفاً، أو بأكثر فرمما سمي مذيلاً، أو^(٦) في الأنواع فلا يقع بأكثر من حرف، فإن كان الحرفان متقاربين^(٧) / [٢٨/أ] فمضارعٌ والحرف في الأول أو الوسط أو الآخر، وإلا فلاحقٌ والحرف فيه كذلك^(٨)، أو^(٩) في الترتيب فتجنيس القلب كلاً أو بعضاً، فإن وقع أحدهما أول

(١) في ضربين.

(٢) بهذه الجملة ختم المؤلف مهذب الدين المحسنات المعنوية.

(٣) بدأ بذكر أقسام الجنس وما يلحق به.

(٤) يسمى الجنس غير التام.

(٥) أي اختلف اللفظان.

(٦) خطأ نحوي في الأصل: «متقاربين» لعله من الناسخ، ولعل المؤلف قصد «متقاربين» وهكذا

في الإيضاح، ينظر: "خلاصة الزبدة وزبدة العمدة" [٢٨/أ]، والقزويني، "الإيضاح في علوم

البلاغة"، ص ٣٥٧.

(٧) أي والحرف في اللاحق يأتي في الأول أو الوسط أو الآخر.

(٨) أي اختلف اللفظان.

البيت والآخر آخره فمقلوبٌ مجنحٌ، أو وليّ أحدهما في القلب وغيره الآخر فمزدوجٌ ومكرّرٌ ومردّدٌ، ويطلق الجنسُ على توافق اللفظين في الكتابة ويسمى خطيًّا، ويلحق به أن يُجمَعَ بين اللفظين الاشتقاق أو ما يشبهه.

ومنها^(١): ردّ العجز على الصدر، وهو: أن يُجعل أحدُ اللفظين^(٢) المكررين/[٢٨/ب] أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها، أو يكون أحدهما^(٣) في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوّه أو آخره أو صدر المصراع الثاني.

ومنها: السّجّع، وهو: توافق الفاصلتين من النثر -كالكافية في الشعر^(٤)- على حرفٍ واحدٍ في الآخر، فإن اختلفا وزنًا فهو مطرّفٌ، وإلاّ فإن كان ما في إحدى القرينتين أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزنًا وتقفيّةً فترصيعٌ وإلاّ فمتوازي^(٥)، وأحسنه^(٦) ما تساوت/[٢٩/أ] قرائنه، ثمّ ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة، ويأتي في النّظم أيضًا^(٧)، وعليه^(٨) التشطير، وهو: جعلُ كلٍّ من شطري البيت سبعةً مخالفةً

(١) كل ما سيأتي بقوله: "ومنها" أي: ومن المحسنات اللفظية.

(٢) في المنشور.

(٣) في الشعر.

(٤) قال السكاكي: «وهي في النثر كما في القوافي في الشعر». السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٦٧٢.

(٥) أي جناس متوازي.

(٦) أي الجنس.

(٧) فالسجّع غير مقصور على النثر، وإنما يأتي في الشعر أيضًا، فهو غير مختص بالنثر كما يقول الخطيب.

(٨) الحرف "على" بمعنى "في" الظرفية، وتقديره: "في الجنس نوع يدعى: التشطير".

ينظر: المرادي، الحسن بن قاسم، "الجنى الداني في حروف المعاني"، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد

لأختيها، والترصيع^(١): هو، جعل العروض مقفأة تقفية الضرب، فمنه ما يكون كلُّ مصراع مستقلاً بنفسه في فهم معناه، وما يكون الأول غير محتاج إلى الثاني فيجيء مرتبطاً به، وما يكون المصراعان بحيث يصحُّ وضع كلٍّ منهما موضع الآخر، وما لا يفهم معنى الأول بالثاني، وما هو بلفظة واحدة في المصراعين، وما [٢٩/ب] المصراع الأول فيه معلّقاً على صفة يأتي ذكرها في الثاني فتُسمّى الكامل والنائب والناقص والمذكور والتعليق^(٢).

ومنها: الموازنة، وهي: تساوي الفاصلتين وزناً لا تقفية، فإن كان ما في إحدى القرينتين أو أكثره مثل ما يقابله من القرينة الأخرى وزناً خُصَّ باسم المماثلة، ومنها: القلب، وهو: كونُ الكلام بحيث لو عكسَ وابتدأ بحرفه الأخير إلى الأول كان الحاصل بعينه هذا الكلام، ومنها: التشريع والتوشيح، وهو: بناء البيت على قافيتين أو أكثر [٣٠/أ] يصح المعنى عند الوقوف على كلٍّ منها، ومنها: لزوم ما لا يلزم والالتزام والإعناث^(٣)، وهو: أن يجيء قبل حرف الزوي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في السجع^(٤).

=

نديم فاضل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ص ٤٧٧.

(١) خطأ في الأصل: «الترصيع» لعله من الناسخ، ولعل المؤلف قصد «التصريع» وهكذا في التلخيص، ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٣٦٥.

(٢) نقل المؤلف كلام الكفوي، ولعله لقيه في بغداد عندما كان قاضياً فيها فاطلع على كتابه. ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، "الكليات"، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م)، ص ٤٤٨.

(٣) هكذا سماه السكاكي. ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٨٧٦.

(٤) بهذه الجملة ختم المؤلف المقالة الثالثة: (علم البديع).

خاتمة؛ فيما يُلحق بالبدیع^(١)، فمنه^(٢): الاقتباس، وهو: أن يُضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه، وهو قد لا ينقل فيه المقتبس من معناه الأصلي، وقد يُنقل وقد يغيّر اللفظ يسيرا، ومنه: التضمن، وهو: أن يضمّن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن/[٣٠/ب] مشهورا، وأحسنه ما زاد على الأصل بنكتة، ولا بأس بالتغيير اليسير، وقد يسمّى تضمين البيت فما زاد استعانة، أو المصراع فما دونه إبداعا ورفوا، ومنه: العقد، وهو أن يُنظم نثر لا على طريق الاقتباس، ومنه: الحل، وهو: أن ينثر نظم بشرط كون سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك النظم، حسن^(٣) الموقع مستقرّ المحل، ومنه: التلميح، وهو: أن يشار في فحوى الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره.

ومنه: التوصيل^(٤)، وهو: أن يؤتى بكل كلمة من الكلام متصلة الحروف، ومنه:/[٣١/أ] التقطيع، وهو: ضد التوصيل، ومنه: التخفيف، وهو: أن يؤتى بإحدى كلمات الكلام منقوطة بأجمعها، وبالأخرى غير منقوطة كذلك، ومنه: الترقيط، وهو: أن يؤتى بأحد حروف كل كلمة منقوطة والأخر بخلافه، ومنه: الحذف، وهو: أن يؤتى بكلام ليس فيه شيء أو بعض من الحروف المعجمة، ومنه: التصحيف، وهو: أن يؤتى بكلام إذا غيّر بنقطة أو حركاته كان مدحا أو ذما، ومنه: التزييع، وهو: أن يؤتى بأربع مصاريع أو بيوت بحيث/[٣١/ب] تُقرأ طولا وعرضا، ومنه: التسميط،

(١) لم يتحدث المؤلف عن السرقات الشعرية، وأقسامها وكأنها تقترب من ملحقاتها النقدي، ومع ذلك تناول ما يلحق بالسرقات كالاقتباس... إلخ؛ لدخولها في البديع.

(٢) كل ما سيأتي بقوله: "ومنه" أي: مما يلحق بالبدیع إلى نهاية التلميح.

(٣) أي: وأن يكون حسن الموقع.

(٤) أضاف المؤلف أنواعا وألحقها بالبدیع، كالتوصيل،... إلى الكلام الجامع، ولم يتطرق لها كثير من البلاغيين في مصنفاتهم التي سلكت سبيل السكاكي، والقزويني في تقسيماتهم البلاغية.

وهو: أن يقسم الشعر أربعة أقسام متساوية، ويُراعى السَّجع في أواخرها والقافية في آخر الرَّابع، ومنه: التعجب، وهو: أن يتعجب الشاعر في شعره لحيرته، ومنه: التلميع، وهو: أن يُؤتى بأحد المصراعين أو البيتين عربياً وبالأخر عجمياً، ومنه: الكلام الجامع، وهو: كون الشعر مشتملاً على حكمة وموعظة وشكاية من الزمان. ومنه^(١): حُسْنُ الابتداء والتخلُّص والانتهاء، فإنه ينبغي للمتكلم [٣٢/أ] أن يتأنَّق في هذه الثلاثة من كلامه؛ ليكون أعذب وأحسن وأوضح لفظاً وسبكاً ومعنى، فالابتداء، كقوله^(٢):

قَصْرٌ عَلَيْهِ حَيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَاهَهَا الْأَيَّامُ

وأحسنه ما ناسب المقصود باشماله على إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله، ويسمى براعة الاستهلال، كقوله^(٣) في التهئة:

بُشْرَى لَقَدْ^(٤) أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَكَوَّكِبُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعْدَا

والتخلُّص، وهو: الخروج ممَّا افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية الملائمة

(١) مواضع التأنق في الكلام. ينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٤٢٩.

(٢) هذا الشاهد الثاني من شواهد المؤلف الشعرية، والبيت من الكامل للأشجع السُّلَمي، ينظر: الأصفهاني، علي بن الحسين، "الأغاني"، تحقيق سمير جابر. (ط ٢)، بيروت: دار الفكر، ١٩٠٦م، ١٨: ٢٢١؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٤٣٠.

(٣) هذا الشاهد الثالث من شواهد المؤلف الشعرية، والبيت من البسيط، لأبي محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لبنته. ينظر: الحموي، علي بن عبد الله، "خزانة الأدب وغاية الأرب"، تحقيق سمير جابر. (ط ١)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م، ١: ٣٥؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٤٣١.

(٤) وفي رواية: "فقد".

بينهما، كقوله^(١)/ [٣٢/ب]:

يَقُولُ فِي قَوْمَسٍ^(٢) قَوْمِي^(٣) وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا السُّرَى وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ^(٤)
أَمْطَلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَكُونَنَّ بِنَا فَقُلْتُ: كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

وقد ينتقل منه إلى ما لا يلائمه ويسمى الاقتضاب، ومنه^(٥): ما يقرب منه^(٦)

في أنه يشوبه شيء من الملاءمة، والانتهاء، كقوله^(٧):

وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشُكُورٌ

وأحسنه ما أذن بانتهاء الكلام، كقوله^(٨):

(١) هذا الشاهد الرابع من شواهد المؤلف الشعرية، والبيتان من البسيط، لأبي تمام، ينظر: التبريزي، يحيى بن علي، "شرح ديوان أبي تمام"، تحقيق محمد عبده عزّام. (ط٥)، القاهرة: دار المعارف. (١٩٥٤م)، ١٣٢/٢؛ والقزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٤٣٢.

(٢) قومس بالضم كورة كبيرة في ذيل جبال طبرستان. ينظر: الحموي، باقوت بن عبد الله، "معجم البلدان"، اعتنى به محمد الخانجي. (ط١)، القاهرة: مطبعة السعادة، (١٩٠٦م)، ٧: ١٨٥.

(٣) وفي رواية الديوان: "صَحِيحِي". وهذان البيتان من التخلصات المختارة.

(٤) فرس أفود بين القود، أي: طويل الظهر والعنق، ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". (ط١)، بيروت: دار صادر، (٢٠٠٠م)، ٣: ٣٧٠ مادة (ق و د).

(٥) أي من الاقتضاب.

(٦) أي من التلخيص.

(٧) هذا الشاهد الخامس من شواهد المؤلف الشعرية، والبيتان من الطويل لأبي نواس. ينظر: الحكمي، الحسن بن هانئ، "ديوان"، ص ٤٨٣؛ وينظر: القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة"، ص ٤٣٤.

(٨) هذا الشاهد السادس والأخير من شواهد المؤلف الشعرية، والبيت من الطويل لأبي إسحاق الغزي. ينظر: الغزي، إبراهيم بن عثمان، "ديوان". تحقيق عبد الرزاق حسين، (ط١)، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، (٢٠٠٨م)، ص ٣٤٥؛ والقزويني، "التلخيص في علوم

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ / [٣٣/أ] يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ

اتَّفَقَ^(١). مشقه مشقها^(٢) بدايةً ونهايةً في ضمن يومٍ وسطيٍّ مع أَلَمِ كُلِّيٍّ

والحمدُ لله على أفضاله، والصلاة على محمد وآله

تمت تمام تم^(٣) / [٣٣/ب]

=

البلاغة"، ص ٤٣٥.

(١) كلمة "اتَّفَقَ" توحى بائتلاف المؤلف مع البلاغيين في علوم البلاغة ومسائلها.

(٢) "مشقة مشقها" التزم بها المؤلف في بعض مؤلفاته، فليتأملها الناظر في تصانيفه الأخرى، ففي رسالته في الفصاحة والبلاغة قال: «هذه شذمة وجيزة في الفصاحة والبلاغة مشقتها على الراحلة».

فظهر أن المؤلف يمشق بقلمه دلالة على السرعة. ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر، "أساس البلاغة". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ص ٧٠٩، مادة (م ش ق).

(٣) بدأ المؤلف كتابه "خلاصة الزبدة" بالحمد وبه ختم، وتمَّ الفراغ من هذه النسخة البلاغية بتمامها وكمالها واكتمالها، وتمَّ ذلك بفعل الناسخ، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- الأصفهاني، علي بن الحسين، "الأغاني"، تحقيق: سمير جابر. (ط ٢)، بيروت: دار الفكر، ١٩٠٦م).
- الأمين، السيد محسن، "أعيان الشيعة". (د. ط، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٣٧١هـ).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، "ألفية ابن مالك"، اعتنى بضبطها والتعليق عليها: عبد الله الفوزان. (ط ٢)، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". (ط ١)، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م).
- التبريزي، يحيى بن علي، "شرح ديوان أبي تمام"، تحقيق: محمد عبده عزّام. (ط ٥، القاهرة: دار المعارف. ١٩٥٤م).
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، "دلائل الإعجاز"، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر. (ط ٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ).
- الحكمي، الحسن بن هاني، "ديوان"، حققه وضبطه: أحمد الغزالي، (ط ١، القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٣م).
- الحموي، علي بن عبد الله، "خزانة الأدب وغاية الأرب"، تحقيق: سمير جابر. (ط ١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، "معجم البلدان"، اعتنى به محمد الخانجي. (ط ١، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود، "الأعلام". (ط ٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).
- الزحشري، محمود بن عمر، "أساس البلاغة". (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

- السكاكي، يوسف بن أبي بكر، "مفتاح العلوم"، تحقيق: أكرم عثمان يوسف. (ط ١، بغداد: دار الرسالة، ١٩٨٢م).
- الطالبي، عبد الحي فخر الدين، "نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر". (د. ط، بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩١هـ).
- الطهراني، آغا بزرك، "الذريعة إلى تصانيف الشيعة". (ط ٣، بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٣م).
- الطهراني، آغا بزرك، "طبقات أعلام الشيعة". (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٩م).
- الغزي، إبراهيم بن عثمان، "ديوان". تحقيق: عبد الرزاق حسين، (ط ١، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٨م).
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "التلخيص في علوم البلاغة"، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي. (ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٠٤م).
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة". (ط ٤، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٨).
- قدامة، عبد الله أحمد، "روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه"، تحقيق: شعبان إسماعيل، (ط ١، بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٨م).
- قدامة، عبد الله أحمد، "لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد"، شرح: محمد بن صالح العثيمين، (ط ٣، الرياض: دار طبرية، ١٩٩٥م).
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، "الكليات"، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).
- كحالة، عمر رضا، "معجم المؤلفين". (د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

اللكهنوتي، ميرزا محمد، "نجوم السماء في تراجم العلماء". (ط ١، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ).

المرادي، الحسن بن قاسم، "الجنى الداني في حروف المعاني"، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

المجلات:

البصري، مهذب الدّين أحمد، "رسالة في البلاغة والفصاحة"، تحقيق: علي حكمت. (مجلة دار الشؤون الثقافية العامة مج ٤٨، ع ١، ٢٠٢١م).

Bibliography

- Al-Isfahani, Ali bin al-Husein, "Al-Aghani", Investigated by Samir Jabir. (2nd ed., Beirut: Dar al-Fikr, 1906).
- Al-Amin, Sayyid Muhsin, "A'yan al-Shi'ah". (1st ed., Beirut: Dar al-Ta'aruf for Publications, 1371 AH).
- Ibn Malik, Muhammad bin Abdillah, "Alfiyat Ibn Malik", Investigated and commented on by Abdullah al-Fawzan. (2nd ed., Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1432 AH).
- Ibn Manzur, Muhammad bin Mukrim, "Lisan al-'Arab". (1st ed., Beirut: Dar Sadir, 2000).
- Al-Tibrizi, Yahya bin 'Ali, "Sharh Diwan Abi Tammam". Investigated by: Muhammad Abduh 'Azzam. (5th ed., Cairo: Dar al-Maarif. 1954).
- Al-Jurjāni, Abdul Qahir bin Abdurrahman, "Dalā'il al-I'jāz", read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shakir. (3rd ed., Cairo: Al-Madani Publishing House, 1413 AH).
- Al-Hakami, Al-Hasan bin Hani', "Diwān", Investigated and commented on by Ahmad al-Ghazali, (1st ed., Cairo: Egypt Publishing House, 1953).
- Al-Hamawi, 'Ali bin 'Abdillah, "Khizānat al-Adab wa-Ghāyat al-Arab". Investigated by Samir Jabir. (1st edition, Beirut: Al-Hilal House and Library, 1987).
- Al-Hamawi, Yaqout bin 'Abdillah, "Mu'jam al-Buldān", Investigated by Muhammad al-Khanji. (1st ed., Cairo: Al-Sa'adah Publishing House, 1906).
- Al-Zirikli, Khair al-Din bin Mahmoud, "Al-A'lām". (5th ed., Beirut: Dar al-Ilm Lil-Malayeen, 1980).
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Umar, "Asās al-Balagha". (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 2001).
- Al-Sakkāki, Yousuf bin Abi Bakr, "Miftāh al-Ulūm", Investigated by Akram Uthman Yousuf. (1st ed., Baghdad: Dar al-Risalah, 1982).
- Al-Talibi, Abdul Hayy Fakhr al-Din, "Nuzhat al-Khawatir wa Bahjat al-Sami' wal-Nawazir". (1st ed., Beirut: al-Balagh Foundation, 1991).
- Al-Tahrani, Agha Bozurg, "Al-Dhari'ah ila Tasaneef al-Shi'ah". (3rd ed., Beirut: Dar al-Adwaa, 1983).
- Al-Tahrani, Agha Bozurg, "Tabaqāt A'lam Al-Shi'ah". (1st ed.,

- Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 2009).
- Al-Ghazi, Ibrahim bin Othman, "Diwan". Investigated by Abdul Razzaq Husain, (1st ed., Dubai: Juma Al Majid Center for Culture and Heritage, 2008).
- Al-Qazwini, Muhammad bin 'Abdirrahman, "Al-Talkhees fi Ulum al-Balaghah", Investigated and explained by 'Abdurrahman al-Barquqi. (1st ed., Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 1904).
- Al-Qazwini, Muhammad bin Abdirrahman, "Al-Idāh fi Ulum al-Balaghah". (4th ed., Beirut: Dar Ihya al-Ulum, 1998).
- Qudamah, 'Abdullah Ahmad, "Rawdat al-Nazir wa Junnat al-Munazir fi Usul al-Fiqh", Investigated by Sha'ban Ismail, (1st ed., Beirut: Dar al-Rayyan Foundation, 1998).
- Qudama, 'Abdullah Ahmad, "Lum'at al-I'tiqād al-Hādī ilā Sabīl al-Rashād", explain Muhammad Bin Saleh Al-Uthaymeen, (3rd ed edition, Riyadh: Tiberias House, 1995).
- Al-Kafawi, Abu al-Baqa Ayyub bin Musa, "Al-Kulliyyaat", Investigated by Adnan Darwish and Muhammad al-Masri. (1st ed., Beirut: Dar al-Risalah Foundation, 1998).
- Kahala, Umar Rida, "Mu'jam al-Mu'allifeen". (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, undated).
- Al-Lakhnawi, Mirza Muhammad, "Nujum al-Sama Fi Tarājim al-'Ulama". (1st ed., Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyyah, 1363 AH).
- Al-Murādi, al-Hasan bin Qasim, "Al-Janā al-Dāni fi Hurūf al-Ma'āni", Investigated by Fakhr al-Din Qabawah and Muhammad Nadim Fadil. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1992).

Journals:

- Al-Basri, Muhadhdhab al-Din Ahmad, "Risalah Fil-Balaghah Wal-Fasahah", Investigated by Ali Hikmat. (Dar al-Shu'un al-Thaqafiyyah al-Amma Journal, Vol. 48, Issue 1, 2021).

المعايير المنهجية عند محمود شاكِر في قراءة النصوص الشعرية في ضوء تعدد روايتها

The Methodological Criteria of Mahmoud
Shakir in Reading Poetic Texts in Light of
Their Narrative Variations

د. حمد بن عبدالله بن سعد العوفي

أستاذ البلاغة والنقد المشارك في جامعة طيبة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

البريد الإلكتروني: houfi@taibahu.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/08		استلام البحث A Research Receiving 2025/01/22
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-017		

المستخلص

ينطلق البحث من سؤال فحواه: ما هي المعايير المنهجية التي اتبعتها محمود شاكر في التعامل مع تعدد الرواية في النص الشعري؟ وما مدى صلاحيتها لتعميمها على دراسة النصوص الشعرية متعددة الرواية، ومن سؤالي البحث تشكّلت أهدافه فكان أبرزها: استخراج المعايير المنهجية للتعامل مع اختلاف الرواية في النص الشعري عند محمود شاكر، والوقوف على مدى صلاحية تلك المعايير في التعامل مع النصوص الشعرية متعددة الرواية.

وقد اقتصر البحث على دراسة منهج محمود شاكر في كتابه نمط صعب ونمط مخيف، مستخدماً المنهج الاستقرائي في معالجة المادة العلمية، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، هي: المبحث الأول: اختلاف الرواية في نسبة القصيدة، المبحث الثاني: اختلاف الرواية في عدد أبيات القصيدة وترتيبها، المبحث الثالث: اختلاف الرواية في ألفاظ القصيدة.

وخرج البحث بنتائج متعددة، أبرزها: أنّ محمود شاكر قسّم النَّظْرَ في تعدد الروايات بحسب نوعه إلى أطر ثلاثة هي ما تشكّلت منه مباحث البحث، هي: الأول: الاختلاف في نسبة القصيدة، ومن أسس منهجه في ذلك: حصر الكتب التي روت القصيدة ودراستها ونقدها، والاستئناس بالأحداث التاريخية في نسبة القصيدة، ثم المقارنة بين القصيدة ومجموع شعر الشاعر معتمداً في ذلك على التدقيق، الثاني: الاختلاف في عدد أبيات القصيدة وترتيبها، ومن أسسه المنهجية في ذلك: حصر الكتب التي روت القصيدة كاملة أو جزءاً منها، ثم معرفة مناهج المؤلفين، ثم تحديد بناء القصيدة، ودراسة الأحداث داخلها، وتناسب الرواية مع

حركة النّعم في القصيدة، الثالث: اختلاف الرواية في ألفاظ القصيدة، فكان المعايير الأهم هنا خدمة الرواية لمعنى البيت والقصيدة، مع النظر إلى سند الرواية ومناسبة اللفظة لحركة التّغني.

الكلمات المفتاحية: تعدد الرواية، محمود شاكر، التّذوق، قراءة النّص.

Abstract

The research questions are: What are the methodological criteria followed by Mahmoud Shakir in dealing with the multiplicity of the narration in the poetic text? What is the extent of its validity to be generalized to the study of poetic texts with multiple narration? From the research questions, its objectives were formed, the most prominent of which are: extracting methodological criteria for dealing with the diverse narration in the poetic text by Mahmoud Shakir, and to assess the extent to which these criteria are applicable to poetic texts with multiple narrative versions.

The research studied Mahmoud Shakir's approach in the book: "*Namaṭun Ṣa'bun wa Namaṭun Mukhīf*", using the inductive approach, consisting of: an introduction, a preface, and three topics, namely: The diverse narration on the origin of the poem, the diverse narration on the number of verses of the poem and its arrangement, and the diverse narration on the wordings of the poem.

The most significant findings: Mahmoud Shakir divided the types of multiplicity of narrations into three frameworks. The foundations of his approach in the first topic include: compiling the books that narrated the poem, studying them critically, and relying on the historical events in the ascription of the poem, then the comparison between the poem and the total poetry of the poet by aesthetics. The second included: Listing the books that narrated the poem in fully or partially. While the third included: The chain of the narration and its verbal suitability for the movement of rhythm.

Keywords: Narrative variation, Mahmoud Shakir, aesthetic appreciation, textual reading.

المقدمة

الحمد لله الذي كرم الإنسان بالبيان، وميّزه عن سائر خلقه بإفصاح نُطقِ اللسان، والصلاة والسلام على خير الإنس والجان، نبي الهدى والإحسان، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وبعد.

امتدَّ الشَّعر العربي قرونا متطاولة في الزمن السَّالف، وتناقله جيل بعد جيل بطرق مختلفة ووسائل متعددة، أخذت تتطور وتتعدد عبر السنين والأزمان، من اعتماد التَّنقل على طريقة واحدة في مبتدئه، وهي طريقة المشافهة، ومن ثَمَّ الانتقال إلى الكتابة، والأخذ بالسماع، والإجازة بالقراءة من الصُّحُف، وقد مرَّ هذا التَّنقل بصعوبات وأزمات، تغلَّب عليها رجال ذلك الزَّمن، وسار إلى أن وصل إلينا شِعْرٌ قِيلَ قبل أكثر من ألف وستمئة سنة، وقد كان لهذا الوصول رغم الصعوبات والأزمات بعض الهنات، التي كان ولا بدَّ أن تحدث، ومنها اختلاف الرواية، وهذا الاختلاف في الرواية لا نَبْعُدُ إن قلنا إنَّه قد أصاب أكثر ما رُوِيَ من أدب، بل انتقل إلى النُّصوص الدينية، وقد لحظ علماء الأدب هذه الظاهرة مبكرا، وتعاملوا معها دون الإفصاح عن منهجهم في ذلك.

وبعد أن تعددت طرق قراءة النُّصوص الأدبية: الشعرية والنثرية، أصبح هذا الاختلاف في الرواية مأزقا في قراءة النُّصوص، فكان ولا بُدَّ من إيجاد منهج للتعامل معه، ومن علماء الأدب الذي تعاملوا مع تعدد الرواية تطبيقا لا تنظيرا، الشيخ محمود شاكر عند قراءته لقصيدة ابن أخت تأبط شرا، في كتابه نمط صعب ونمط مخيف، من هنا انبثقت فكرة هذا البحث، لاستخراج أصول المنهج الذي اتبعه محمود شاكر عند التَّعامل مع اختلاف الرواية، فتمحور سؤال البحث حول: ما هي المعايير المنهجية التي اتبعها محمود شاكر في

التعامل مع تعدد الرواية في النص الشعري؟ وما مدى صلاحية تلك المعايير لتعميمها على النصوص الشعرية متعددة الرواية؟ ومن سؤالي البحث تشكلت أهدافه، ويمكن تفصيلها في النقاط الآتية:

- استخراج المعايير المنهجية للتعامل مع اختلاف الرواية في الشعر عند محمود شاکر.
- الوقوف على مدى صلاحية المعايير المنهجية التي اتبعها محمود شاکر في التعامل مع النصوص الشعرية متعددة الرواية.
- بيان أنواع اختلاف الرواية ذو الأثر في قراءة النصوص، وطرق التعامل معها.

حدود البحث

اقتصرتُ في هذا البحث على كتاب **نخط صعب ونخط مخيف**، من مجموع إنتاج محمود شاکر المعرفي، حيث درس محمود شاکر قصيدة كاملة في هذا الكتاب، من خلال مقالات متفرقة، نشرها في مجلة (المجلة) خلال عامي ١٩٦٩م - ١٩٧٠م، اتضح من خلالها منهجه في دراسة القصيدة، والتعامل مع تعدد الروايات فيها، وهذا الكتاب يُعدُّ "من أدقِّ إنجازاته النظرية والتطبيقية حول قضية الشعر الجاهلي"^(١)، ثم هو يأتي في فترة زمنية من حياة محمود شاکر اكتمل لديه النضج المعرفي، وأصبح الطريق الذي يسلكه في قراءة الشعر واضحاً لديه.

(١) عمر حسن محمود القيام. "محمود شاکر الرجل والمنهج". (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م)، ١١.

أهمية البحث

يأتي هذا البحث استكمالاً لمشروع محمود شاكر في قراءة النصوص الشعرية وفقاً للظروف التي وصلت بها إلينا، فهو لم يُبَيَّن قواعد منهجه، وإنما طَبَّقَهَا يقول: "وكنْتُ وما زلت أرى أنَّ تطبيق المنهج خير وأمثل وأجدي من وضع قواعد للحفظ، لا يعرف من يحفظها كيف يطبقها، ومنهجي مبثوث في كل ما نشرت من الكتب، وفي كل ما كتبت بيدي، وفي كل ما أرشدت إليه مَنْ استرشدني من طلبة العلم"^(١)، وجاء هذا البحث ليبَيِّن تلك القواعد، فيكتمل وضوح المنهج من قواعد واضحة، وتطبيق واضح المعالم، فتمام الفائدة تكون بالنظر في هذه القواعد، ثم النَّظَر في عملية تطبيقها على النصوص، حتى يدرك المتلقي القاعدة وطرق تطبيقها.

إضافة إلى عناية محمود شاكر بالمنهج (التذوق) وتصحيح الدرس الأدبي، وسعة معرفته بالشعر الجاهلي، وطول معالجته لنصوصه، وشروحه، وكلام النقاد فيه، حتى تمكن من إيجاد طريق واضح المعالم في التعامل مع قد يستشكله غيره، من مثل تعدد روايات الشعر، ونحوها.

منهج البحث

ينتمي البحث إلى مجال نقد النقد، وقد اقتضت طبيعته أن أسلك المنهج الاستقرائي في معالجة المادة العلمية، حيث قمت باستقراء الإجراءات التي اتبعها محمود شاكر في تعامله مع تعدد الروايات في النص الشعري، وتحليل تلك الإجراءات، والاستنباط منها.

(١) محمود محمد شاكر. "مقدمة طبقات فحول الشعراء". (جدة: دار المدني)، ١: ١١.

خطة البحث

بعد جمع المادة العلمية، والنَّظَرُ في أجزائها، ومكوناتها، ونظرة محمود شاكر لاختلاف الرواية إذ يقول: "إنَّ الرواة قد اختلفوا في رواية بعض القصائد اختلافا ظاهرا في عدد أبياتها، وفي ترتيب هذه الأبيات، وفي بعض ألفاظها أيضا"^(١) اقتضى ذلك تقسيم البحث إلى مقدمة فيها بيان سؤال البحث، وأهدافه، وحدوده، وأهميته، ومنهجه، وخطته، ثم تمهيد عرِّفت فيه باختلاف الرواية، وأهمية اتباع منهج في التعامل معها، ثم تلا ذلك ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: اختلاف الرواية في نسبة القصيدة.

المبحث الثاني: اختلاف الرواية في عدد أبيات القصيدة وترتيبها.

المبحث الثالث: اختلاف الرواية في ألفاظ القصيدة.

الخاتمة: وفيها عرضت أبرز النتائج.

(١) محمود محمد شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف". (ط ١، جدة: دار المدني، ١٩٩٦م)،

التمهيد

كانت الرواية الشفهية هي الطريقة الأولى في نقل القصائد الشعرية من جيل إلى جيل، وهذه الرواية الشفهية اعتمدت على الذاكرة، وقد جبل الله الإنسان على التسيان والخطأ والوهم، وهذا كله كان له أثره في النصوص المنقولة، خاصة في الشعر الذي جاء في قوالب لفظية محددة؛ مما جعل تغيير كلمة بأخرى من وزنها سهلاً مستساغاً، مع كثرة الألفاظ في اللغة العربية، وقُرب معانيها، ويزداد الأمر قوة إذا كان الراوي يقرض الشعر - وهذا ما كان عليه أغلب رواة الشعر - أو كان متفرغاً لرواية الشعر، كثير الحفظ.

تعريف الرواية

يقول ابن فارس: "الراء والواو والياء أصلٌ واحدٌ، ثم يشتق منه، فالأصل ما كان خِلافَ العطش، ثم يُصَرَّف في الكلام لحامل ما يُرَوَى منه، فالأصل رَوَيْتُ من الماء رِيًّا، قال الأصمعي: رَوَيْتُ على أهلي أَرْوِي رِيًّا، وهو راوٍ من قوم رُوَاةٍ، وهم الذين يأتونهم بالماء، فالأصل هذا، ثم شُبِّه به الذي يأتي القوم بعلم أو خبر فيرويه، كأنَّه أتاهاهم برِيِّهم من ذلك" (١).

فالرواية "بمدلولها العلمي الأدبي طور لغوي متأخر، سبقه طور ذو دلالة مادية حسية، فقد كانت في بدء أمرها محصورة فيما يتصل بالماء من إناء يُحْمَلُ فيه كالمزادة، ومن حيوان يُحْمَلُ عليه كالبعير، ومن إنسان يحمله مستقيماً أو متعهداً دابة السقاية" (٢)، وبهذا يتضح لنا أنَّ أصل الرواية هو نقل الماء من

(١) أحمد بن فارس الرازي. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (ط ٢)

بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ٢: ٤٥٣.

(٢) ناصر الدين الأسد. "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية". (بيروت: دار الجيل،

مكان إلى آخر، وقد قاس العلماء على ذلك نقل الأخبار من الأشعار وغيرها، فأطلقوا على من ينقلها راوٍ تشبيهها لها بنقل الماء، وهنا نرى المناسبة بين ناقل العلم وناقل الماء، فالأول يسعى لحياة العقول والرُّقي بها، والآخر يسعى لحياة الأجساد وبقائها، وفي كلٍّ خير للإنسانية.

ثم بعد هذا التَّنْظِيمَ لنقل العلم نشأ علم جديد على غرار ذلك، وهو ما يُعْرَفُ بعلم الرجال، وهذا العلم يدرس أحوال هؤلاء الثَّقَلَة، من حيث القدرة على نقل هذا العلم من عدمه، وإمكانياتهم المعرفية والعلمية وحتى الجسمانية في ذلك، وقد أخذ أهل الحديث على عاتقهم تطوير هذا العلم، فمادة عِلْمِهِمْ تعتمد على النَّقْل، وهذا النَّقْل يجب أن يُتَحَرَّى فيه الصدق، وألا يشوبه شيء من عدمه، وقد حاول علماء العلوم الأخرى السير حذو أهل الحديث في ذلك، وهذا ما أثر بشكل قوي على تلقي العلوم الأخرى، فأهدافها تختلف، وليست كلها على مستوى واحد من تطلب الشدة في البحث عن نقلة هذه الأخبار.

وفي أثناء إنتاج الأدب، والسير في نقله بالاعتماد على طريقة الرواية الشفهية، نشأت روايات متعددة لنص واحد، ثم بعد أن تطاولت قرون الشعر وتعددت طرق قراءته، نشأت إشكالية في التَّعامل مع هذه الظاهرة، بعد أن أصبحت حقيقة في الأدب من الشعر والنثر، لذا لا بُدَّ من وجود منهجية معينة للتعامل معها، ويمكن تعريف اختلاف الرواية في الشعر بأنه: "عدم اتفاق الرواة على نقل الشعر، وذلك بالزيادة أو النقصان أو في الترتيب أو التبديل، ويشترط لقبول تلك الروايات المختلفة صحة السند والمتن" (١).

=

١٩٥٦م)، ١٨٧.

(١) حمد عبدالله العوي. "بلاغة تعدد روايات النص الشعري، دراسة في ديوان أشعار

=

ومن العلماء من جعل تعدد الرواية من قبيل نقل الشعر بالمعنى، حيث يقول الميمني: "النقل بالمعنى ليس بمقصود على الأحاديث فحسب، بل إنَّ تعدد الروايات في بيت واحد من هذا القبيل، والقول بأنَّ منشأه تعدد لغات القبائل ليس مما يتمشى في كل موضع، على أنَّ إثبات ذلك في كل بيت دونه خرق القتاد"^(١).

وهذا يبدو لي من التأثير بمنهج أهل الحديث ونظرتهم لتعدد الرواية، مع الاختلاف الكبير بين غاية الحديث النبوي والنص الأدبي، فالنظرة الحديثة لتعدد الرواية في النص الأدبي ينبغي أن تكون أوسع من ذلك، فهي إثراء للنص الأدبي، وتساعد على قراءته بأوجه متعددة، خاصة في ظل دراسة الأدب بمناهج مختلفة، وتعدد الروايات يساعد في تأويل النص وفق المناهج المختلفة، وفي هذا إثراء للنص الأدبي.

أما عن رؤية محمود شاكر للمنهج فقد كان مستقرا عنده أن العلم لا يكون إلا بالمنهج، وقد لا يُفصَح عن المنهج ولكنه يطبقه، يقول في ذلك فيما ينقله عنه كمال لاشين إذ يقول: "وأما المنهج فإني سمعت أبا فهر يقول عنه: إنَّ التَّهْوِيلَ بذكر المنهج والتَّبَجُّحَ به شيء، وأنَّ يكون لك في العلم منهج مرضي على الحقيقة شيء آخر، فالمهم هو تطبيق المنهج؛ لأنَّ حفظ قواعد مجتلبة للمنهج لا تصنع وحدها لمن حفظها منهجا، إلا إذا صنعت قواعد النحو وحدها ممن حفظها بليغا مُبِينًا، وإذا صنعت قواعد العروض وحدها ممن

=

الهذليين". (ط ١، الشارقة: دار ملامح للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م)، ١٦.

(١) عبدالعزيز الميمني. "بحوث ومقالات". أعدها للنشر: محمد عزيز شمس، (بيروت:

دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م)، ١: ٢٨٦.

حفظها شاعرا" (١).

والمنهج يحتاج إلى بذل الجهد والتَّفرُّغ له، يقول في ذلك فيما نقله عنه كمال لاشين إذ يقول: "وكان يقول: حيث يوجد الإتقان والدأب وحسن التَّأني في العلم يوجد المنهج، وكل ما جاء من العلم على هذه الشريطة عند المسلمين وعند غيرهم هو علم بمنهج صحيح" (٢).

وقد ذكر محمود شاكر إجراءات المنهج إجمالاً إذ يقول: "ينبغي ألا يدع المرء جهداً يُبذل في تحسِّي أمور أربعة، واستقصائها بكل وجه متيسر: الأمر الأول: استقصاء المصادر التي روت القصيدة تامة، أو روت قدراً صالحاً منها على وجه الاختيار أو الاستشهاد، مع التزام الترتيب التاريخي لهذه المصادر، والترتيب التاريخي لمن أُسندت إليه الرواية فيها. الأمر الثاني: اختلاف عدد أبياتها في كل رواية.

الأمر الثالث: اختلاف ترتيب أبياتها في رواية الرواة عن شيخ واحد من شيوخ الرواية، ثم اختلاف هذا الترتيب، إن كان في رواية غيره من الشيوخ. الأمر الرابع: استقصاء كل اختلاف يقع في بعض ألفاظ الأبيات في هذه المصادر، ثم في سائر مصادر اللغة والنحو والأدب والتاريخ وغيرها" (٣).

(١) كمال عبد الباقي لاشين. "مدخل إلى منهج محمود محمد شاكر". مجلة جامعة الأزهر ١٦، (١٩٩٨م): ١٠١٤.

(٢) كمال لاشين. "مدخل إلى منهج محمود محمد شاكر"، 1014.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، 122.

المبحث الأول: اختلاف الرواية في نسبة القصيدة

القصيدة التي درسها محمود شاعر يرى أنها ليست أنموذجا نموذجيا لتطبيق المنهج العلمي الذي أرادته قراءة الشعر القديم عموما؛ ذلك لكثرة الإشكالات يقول "ولو حُيِّرَتْ لاخترت غير هذه القصيدة لتطبيق المنهج، لما سوف تراه من المشقة التي يتعرض لها دارسها"^(١)، ولكن هذه المشقة وكثرة الإشكالات صقلت المنهج ووضحت معالمه، وجعلته يتعرض لتلك الإشكالات ويحلها بالطرق المثلى، فمن هذه الناحية كان هذا الأنموذج مثاليا. وتعدد الرواية في النص الشعري لا بُدَّ من الإقرار بوجوده ومعرفة أسبابه، وهذا الإقرار ومعرفة الأسباب وطرق التعدد وظروفه المعرفية والاجتماعية له أهميته في تحديد منهجية التعامل، وقد أقر محمود شاعر بوجوده، يقول: "وصفة هذه الرواية التي استقرت ينبغي أن تكون واضحة كل الوضوح، حتى لا تقع في الحيرة عند البحث عن المنهج العلمي الذي ينبغي اتباعه في أمر الشعر القديم كله"^(٢)؛ لذا بيّن قبل ذلك ظروف نقل الشعر من جيل إلى جيل، والذي كان عن طريق الرواية، على سبيل الإجمال، وجعل ذلك في مستويين:

المستوى الأول: الشعراء أنفسهم والرواة الشعراء، وأحوالهم التي نظر

فيها تكمن في النقاط التالية:

- قُرْبُ عهد الشاعر أو بُعْده عن زمن العلماء.
- حجم القصيدة من حيث الطول والقصر.
- شهرة الشاعر في قبيلته وغير قبيلته.

(١) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٥.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤١.

- ذبوع بعض قصائد الشاعر دون بعض.
- رواية الشاعر: فما يرويه شاعر لشاعر آخر من قومه أو من أخواله أو أعمامه غير ما يرويه الشاعر المتذوق أو المتخير.
- حال الراوي حين إنشاد القصيدة بين الإقبال والإعراض، وفي وقت دون وقت.

المستوى الثاني: الرواة العلماء: وأحوالهم التي نظر فيها تكمن في النقاط التالية:

- الاختلاف في الحفظ والتقييد والدقة في ذلك، والحرص والتثبت من حال الرواة.
 - ما يعرض للمكتوب من ضياع وتلف، خاصة إذا علمنا أنَّ أدوات الكتابة كانت بدائية في بادئ الأمر.
 - اختلاف أحوال العلماء الرواة عند الإملاء على تلاميذهم وأصحابهم، وما يعرض لهم أثناء ذلك من الضَّرِّ بما يعرفون أحيانا، والبذل في أحيان أخرى، أو الاختصار والتطويل بحسب الحال.
 - الفترة الزمنية بين وقت الرواة ووقت الإملاء والإنشاء.
- هذا بالإضافة إلى العوارض التي تصيب التلاميذ عند الاستملاء من شيخوهم، من الخطأ أو النسيان وغيرها^(١).

وقبل البدء في التعامل مع ترتيب الأبيات داخل القصيدة لا بُدَّ من الوقوف على غرض القصيدة، وهذا الوقوف ليس سهلا - كما قد يُظنُّ - لأنَّ الأغراض الشعرية تتقارب كثيرا، ولأنَّ الأغلب لا يرى أهمية لذلك، ويكتفي

(١) انظر: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٠.

بإطلاق الغرض العام وليس الدقيق؛ لذا نجد أغراض الشعر في الأغراض العامة المشهورة، من مثل الرثاء والفخر والهجاء، ولكن الأغراض أدق من ذلك، وأهمية معرفة الدقيق منها كبيرة في قراءة القصيدة على وجه دقيق، واستخراج مكامن الجمال فيها، وقد أشار محمود شاعر إلى ذلك فقال: "فمن الخطأ أن يقال إنَّ الشاعر قال قصيدته في طلب الثَّار أو التَّحريض عليه؛ لأنَّه إنَّما قال أكثرها بعد أن أدرك ثأره في هذيل، لا قبل إدراكه، ومن الخطأ أيضا أن يقال إنَّه قالها يرثي خاله تأبط شرا؛ لأنَّه لم يقصد قصد الرثاء، والقصيدة ليست من الرثاء في شيء، وليس فيها تفجع ظاهر على هالك" (١).

وليس هذا بالأمر الهين، ولكنه موضع مهم، ومرحلة خطيرة، في توجيه معاني القصيدة إلى الوجهة الصحيحة، والتعامل مع روايات القصيدة المتعددة، وهذا ما أدركه محمود شاعر عندما ثبَّه عليه، قال: "ولا يزال بنا تداعي معاني الألفاظ والسّمات، حتى يستدرجنا إلى غموض معنى القصيدة غموضا يفضي إلى فَقْد سحرها وجمالها، وإلى طَمَسِ النِّعم المستكن في بحرها، ويذهب جهد الشاعر باطلا" (٢).

ثم إنَّه جعل مسألة اختلاف الروايات مُعينة على قراءة النُّصوص الشعرية -وهذه النُّظرة بخلاف النظرة التي ترى أنَّ اختلاف الروايات في النُّصوص

(١) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٤٠، وتكاد الكتب التي روت القصيدة تجعلها في باب الرثاء، من ذلك الخالديان قالوا قبل روايتها: "وقال الشنفرى يرثي تأبط شرا". الخالديان، محمد وسعيد ابني هاشم. "الأشباه والنظائر". تحقيق: محمد يوسف، (مصر: دار الفاروق، ٢٠٢١م)، ٢: ١١٣.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٤١.

الشعرية مطعن للشك في صحة تلك النصوص، ودليل على أنَّها منتحلة، وأنَّ طول الزمن الذي بقيت فيه على ألسنة الرواة أحدث فيها ما لم يقله الشاعر - ونظرة الشيخ محمود شاكر أعمق، فهي تحلل تلك الروايات، وتستفيد منها في توجيه معنى النصوص، وتفتح آفاقا أرحب في عملية التأويل، يقول: "فكنت أجد متاعا لا يوصف وأنا أحاول أن أدير البيت أو الأبيات على لساني، وفي سمعي، وفي نفسي، برواية بعد رواية، لكي أحاول أن أقطع لنفسي: أي هذه الألفاظ المختلفة أشبه بشعر الشاعر؟ وكان تجربة من أعذب التجارب أي تجربة وأي لذة!"^(١)، وقد وضع شروطا عامة للتعامل مع الروايات المختلفة بجميع أنواعها للنص الشعري، وهذه الشروط تضمن الاستفادة القصوى والصحيحة دون التَّخبط والعشوائية في انتقاء الروايات، وهي:

١ - الاستقرار التام والتتبع الجاد لروايات القصيدة في كتب الأدب واللغة، المطبوع منها والمخطوط، وهو ما أطلق عليه (التَّقصي والتَّقْيِش).

٢ - تحليل وتحليل ودراسة الفروق بين الروايات، وعدم الاكتفاء بإثباتها، وهذا التحليل يقودنا إلى إعادة بناء القصيدة بناء على ما اتضح من نتائج دراسة وتحليل الروايات المختلفة.

٣ - التعليل والتحليل والدراسة في الخطوة السابقة يجب أن يعتمد على المراجعة الطويلة والكثيفة لمعاني الشعر ومقاصد الشعراء، وعدم الركون إلى المعاني المعجمية للألفاظ.

٤ - النَّظَر إلى الترتيب التاريخي للكتب التي رَوَتْ تلك الروايات المتعددة،

(١) انظر: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٣٥.

والنُّسخ المخطوطة للكتاب الواحد، وكذلك التَّفطن لما يمكن أن يكون دخل على أصول هذه الكتب في رحلتها إلينا.

٥- دراسة مؤلفي الكتب الذين ذكروا القصيدة في كتبهم من حيث عدالتهم، ودرجتهم في الإتقان والتجويد، وإنزال كُلِّ منزلته العلمية.

٦- التَّحري والتَّثبت والأناة والتَّأمل وعدم الاستعجال في جميع الخطوات السابقة^(١).

وهذه الخطوات التَّظرية التي دعا إليها محمود شاعر لمن أراد أن يدرس قصيدة جاهلية أو إسلامية دراسة فنية، تقوم على أسس علمية، في إثبات روايتها الصحيحة، ثم انطلق يطبِّق هذه الخطوات في قراءته لقصيدة ابن أخت تأبط شرا.

وفي بداية العملية التطبيقية لما أورده محمود شاعر نظريا في دراسة القصيدة أكدَّ أهمية نسبة القصيدة إلى قائلها، وبَيَّن ضرر الخطأ في ذلك، وأكَّدها أول مشكلة تواجه قارئ النَّص؛ لذا يجب الحذر والدِّقة عند التَّعامل معها، فهي التي يُبنى عليها في باقي التحليل، وإذا كان البناء على أساس غير صحيح فسد ما بعده، حيث قال: "والاستهانة بأمر نسبة الشعر على صاحبه مضر؛ لأنَّه يُدخل الخلط والفساد في تمييز شاعر عن شاعر، وفي الكشف عن خصائص بنية كل شاعر في شعره"^(٢)، وهذا الطريق -وهو نسبة القصيدة إلى قائلها- صعب شديد، قال عنه بعد أن

(١) انظر: محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٤.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٦.

فرغ منه: "وكان الطريق - كما رأيت - وعرا مخفوفاً بمخاطر الضلال" (١)، وهذا الأمر يزداد خطورة في الشعراء المقلين أو أصحاب الواحدة؛ لأنَّ الشعراء الذين عُرِفُوا بقول الشعر وكثرته عُرِفَتْ طرائقهم وأساليبهم في قول الشِّعر، وسَهِّلَ الاطمئنان إلى نسبة القصائد إليهم، والسؤال هنا: ما منهج محمود شاكر الذي نَحْجِه في تحقيق نسبة القصيدة إلى قائلها؟

وقد جعل محمود شاكر هذا العمل - وهو نسبة القصيدة إلى قائلها - أصلاً من أصول منهج دراسة الشعر، وخاصة الجاهلي، ولا يمكن تجاوز ذلك دون البت فيه والدخول في تحليل القصيدة؛ لأنَّه يُفْسِد ما بعده، قال في ذلك: "إنَّ الفصل في نسبة شعر جاهلي إلى صاحبه إذا اختلف الرواة في النسبة يقتضي أن يكون لها أصل من الأصول في كل منهج لدراسة شعر الجاهلية وغير الجاهلية أيضاً" (٢).

ويتتبع الخطوات المنهجية التي اتخذها محمود شاكر في ذلك يمكن أنْ نَفْصَلُها في التالي:

أولاً: حصر الكتب الأدبية واللغوية التي روت القصيدة، سواء نسبتها أم لم تنسبها، أو ذكرتها تامة أو اختارت منها، وترتيب تلك الكتب ترتيباً تاريخياً، وعند النَّظَر إلى صنيع محمود شاكر نجد أنَّه لم يترك كتاباً روى القصيدة إلا ورجع إليه، والكتب التي رجع إليها هي:

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١١٩.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٣٢.

م	المؤلف	الكتاب	حقل الكتاب
١	ابن هشام (ت: ٢١٣)	التيجان	أدبي إخباري
٢	دعبل الخزاعي (٢٤٦)	كتاب الشعراء وهو كتاب مفقود	تراجم شعراء
٣	الجاحظ (ت: ٢٥٥)	البيان والتبيين الحيوان	أدبي
٤	أبو تمام (ت: ٢٣١) ^(١)	الحماسة	مختارات شعرية
٥	ابن قتيبة (ت: ٢٧٦)	الشعر والشعراء	تراجم شعراء
٦	ابن المعتز (ت: ٢٩٦)	طبقات الشعراء	تراجم شعراء
٧	ابن دريد (ت: ٣٢١)	جمهرة اللغة	معجم

(١) هنا نرى أن محمود شاعر قدّم الجاحظ على أبي تمام مع أنّ أبا تمام توفي قبل الجاحظ، والسبب في ذلك "أنّ أبا تمام لم يُعَمَّر طويلاً، وأنّ أبا عثمان الجاحظ عُمِّر طويلاً فرجّح لهذا أنّ الجاحظ - وإن كان توفي بعد أبي تمام بفترة من الزمن - لكنه في ترتيب ورود روايات القصيدة أسبق من أبي تمام، وهذا من فطن أبي فهر، ودقيق تفصيه" كمال عبد الباقي لاشين، "تقريب كتاب نخط صعب لمحمود شاعر". (ط١، القاهرة: دار الحرم للنشر والتوزيع، ٢٠٢٥م)، ٧٢.

لغوي			
أدبي	العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٧)	٨
أدبي	الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦)	٩
مختارات شعرية	الأشباه والنظائر	الخالديان (ت: ٣٨٠) و (ت: ٣٩٠)	١٠
معجم لغوي	الصحاح	الجوهري (ت: ٣٩٣)	١١
مختارات شعرية	شرح الحماسة	أبو علي المرزوقي (ت: ٤٢١)	١٢
أدبي	الآلئ في شرح أُمالي القاضي	أبو عبيد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧)	١٣
بلداني	معجم ما استعجم		
مختارات شعرية	شرح الحماسة	التبريزي (ت: ٥٠٢)	١٤
معجم لغوي	أساس البلاغة	الزمخشري (ت: ٥٣٨) ^(١)	١٥
معجم	حاشية على	ابن بري (ت: ٥٨٢)	١٦

(١) لم يذكره عندما عدّد الكتب التي روت القصيدة، وقد رجع إليه عند ترجيح الروايات في الألفاظ، انظر: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٥٢.

		الصحيح	لغوي
١٧	القَفْطِي (ت: ٦٤٦)	إنباه الرواة	تراجم
١٨	عبدالقادر البغدادي (ت: ١٠٩٣)	خزانة الأدب	نحوي

وبتحليل الكتب التي رجع إليها نستنتج التالي:

الأول: التَّنوع: الذي شمل العلماء والعصور والفنون، فأغلب فنون اللغة رجع إلى كتبها، فوجد الكتاب الأدبي واللغوي والنحوي والإخباري والمعجمي والشعري، وهذا التَّنوع في الاطلاع على المؤلفات من مختلف علوم اللغة ساق إلى التَّنوع في العلماء ومناهجهم، وبمنظرة عجلَى في مؤلفي هذه الكتب ندرك اختلاف مناهجهم في التَّأليف، فمنهم من اعتمد على الرواية، ومنهم من تساهل فيها، ومنهم مَنْ كان هدفه الأخبار، أو المادة اللغوية، ومنهم مَنْ كان هدفه الاختيار، فكل ذلك لم يمنع من الاطلاع على ما روه، وعلى نسبتهم للقصيدة.

ثم التَّنوع في العصور، فلم يقتصر الشيخ محمود شاكر على عصر معين وإنما رجع إلى أوائل عصور التدوين، متمثلة في كتب ابن هشام وما نُقِلَ عن دعبل والجاحظ في القرن الثالث، إلى أَنْ وصل إلى القرن الحادي عشر، فامتدت المدة إلى تسعة قرون، هي المدة الزمنية للمؤلفات التي رجع إليها في تحديد نسبة القصيدة، وهذه النُّظرة الشاملة لكتب التراث، وعدم التوقف عند زمن معين، تعين على الترجيح.

ونلاحظ كذلك أَنَّهُ رجع إلى الكتب الأصول، فأكثر القرون التي رجع إليها كتبها هي القرون الأولى للتَّأليف، بينما القرون المتأخرة والتي اشتهرت بقرون الشروح والخواشي لم يرجع إلى كتب كثيرة فيها، وإنما انتقى أفضلها، ونوضح ذلك من خلال الحصر في الجدول التالي:

المُعَايِيرُ الْمُنَهْجِيَّةُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي قِرَاءَةِ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ فِي ضَوْءِ تَعَدُّدِ رَوَائِئِهَا، د. حمد بن عبدالله بن سعد العوفي

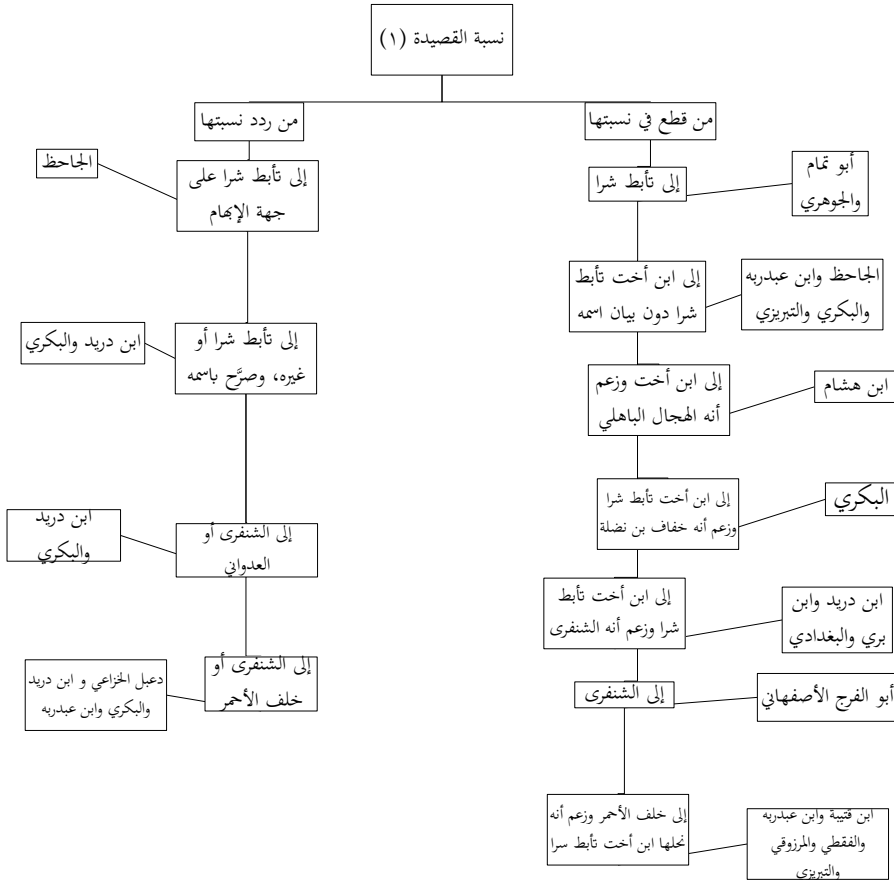
م	القرن	عدد الكتب التي رجع إليها
١	الثالث	٦ كتب
٢	الرابع	٥ كتب
٣	الخامس	كتابان
٤	السادس	ثلاثة كتب
٥	السابع	كتاب واحد
٦	الحادي عشر	كتاب واحد

الثاني: دراسة طريقة نسبة مؤلفي تلك الكتب للقصيدة: وهذه الدراسة تنطلق من سؤالين: ما طريقة نسبة القصيدة إلى قائلها في تلك الكتب؟ وكيف أورد المؤلف القصيدة؟

فالإجابة على السؤال الأول الهدف منها حصر من نسبها ومن لم يفعل ذلك، ومن نسبها نسبها إلى من؟ أما السؤال الثاني فالهدف منه معرفة المقدار الذي رواه من القصيدة، هل رواها كاملة أو اختار منها أبياتاً؟

وهنا أضع شجرة للعلماء الذي رَوَوْا القصيدة في كتبهم، وإلى من نسبوها، وطريقتهم في نسبتها، كما ذكرهم محمود شاكر، وبهذا يتضح لنا الجهد الذي بذله في التحري لنسبة القصيدة إلى قائلها، وقد ذكر تلك الخطوات لبيّن المنهج السليم الصحيح في ذلك، وإلا كان بإمكانه الاكتفاء بعرض النتيجة^(١).

(١) انظر تفصيل ذلك: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٧ وما بعدها



(١) قد يُذكر اسم العالم في أكثر من موضع في المشجرة، وذلك بحسب الروايات التي ذكرها في كتابه، أو كتبه، فقد يقطع بنسبتها في موضع، ويتردد في موضع آخر، مثل صنيع الجاحظ.

وعند مقارنة دراسته للكتب التي روت القصيدة ودراسته لنسبة القصيدة نجد أنه أغفل بعض الكتب، فلم يذكر كيف تعاملت مع القصيدة، والكتب هي:

الأشباه والنظائر للخالدين	نسبها إلى الشنفرى يرثي تأبط شرا ^(١)
الزمخشري في أساس البلاغة	نسبها مرة إلى تأبط شرا، قال: "قال تأبط شرا" وأخرى دون نسبة ^(٢) .

ولم أجد مبررا منهجيا لترك هذين الكتابين - في الجدول أعلاه - فلكل كتاب منهما ما يشبهه في الكتب التي درسها، من ناحية منهجية إيراد القصيدة أو الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه، إلا أن يكون قد سها عنهما، وعموم ذلك لا يؤثر على أصول المنهج عنده، ولا على النتيجة التي توصل إليها.

ثالثا: دراسة الكتب التي روت القصيدة ونقدها: وهنا يشير محمود شاكر إلى أن ليس كل كتاب روى القصيدة روايته صحيحة، وإنما يجب أن يكون المتلقي بصيرا بمنهج المؤلفين، وطرق تعاملهم مع نقد الأخبار، وينزل كل كتاب منزلته، يقول في ذلك: "ثم أضر شيء أن يتعجل الدارس، فلا ينزل كل كتاب منزلته الصحيحة، بالتَّحري في أمر مؤلفيها ودرجتهم من الإتقان والتجويد، ثم درجتهم من الثقة بما نقلوا من رواية الشعر"^(٣).

وكذلك ما اعتادوا عليه في تلك الأخبار، فقد يذكرون العالم باسمه فقط أو بلقبه دون اسمه، أو يجمعون بينهما، حتى وإن صرحوا بذلك، فقد يكون هذا التصريح من إقحام النسخ، وليس هو رأي المؤلف، مثال ذلك ما نقله

(١) انظر: الخالديان. "الأشباه والنظائر". ج ٢، ص ١١٣.

(٢) انظر: محمود بن عمر الزمخشري. "أساس البلاغة". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١: ٦٣٠، وانظر: ٢: ٢١٦.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٥٣.

عن الجاحظ عندما روى القصيدة في كتابيه: الحيوان والبيان والتبيين، يقول: "فإني رأيت الجاحظ في كتبه حين يذكر خلف الأحمر - ولم يرد في كتاب الحيوان إلا على هذين الوجهين وكذلك في كتابه الكبير أيضا البيان والتبيين، إلا في موضعين - أحدهما حين حدّث عن غيره، فقال: قال أبو العاصي: أنشدني أبو محرز، خلف بن حيان، وهو خلف الأحمر، مولى الأشعرين، والموضع الآخر حين ذكر عددا من الخطباء من الرواة والنسابين والعلماء، فذكرهم جميعا بأسمائهم وأسماء آبائهم وكُناههم، فجاء على النسق، قال: خلف بن حيان الأحمر الأشعري" (١).

ثم خرج بنتيجة تُبيّن أهمية معرفة طرائق المؤلفين ومناهجهم في التأليف وطريقة الكتابة، فكل ذلك يساعد على فهم مرادهم، كما كان ذلك عند الجاحظ، حيث ذكر خلف الأحمر عندما نسب إليه القصيدة بطريقة تخالف ذكره لخلف في كتبه الأخرى، حيث قال: "وقال تأبط شرا [أو أبو محرز خلف بن حيّان الأحمر]" (٢) فالناشر وضع دِكْرَ خلف الأحمر بين معكوفتين، يقول محمود شاكر معلقا على ذلك: "ولذلك يُسيء جدا من ينقل هذا النص عن هذا الموضع من كتاب الحيوان، ويحذف الأقواس التي وضعها الناشر إذ وضعها، ثم يبنى على ذلك أنّ الجاحظ تردد في نسبتها إلى تأبط شرا أو إلى خلف" (٣)؛ لأن وضع الأقواس من الناشر يشير إلى أنّ هذه العبارة مقحمة من الناسخ، لذا

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٨.

(٢) أبو عمرو الجاحظ. "الحيوان". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط2)، القاهرة: مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥م/١٨٢/١

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٤٩.

وضعها بين أقواس، فقد جاءت على غير ما اعتاده الجاحظ عند ذكر خلف، وعلى قارئ القصيدة أن يظن لذلك، ولا يقطع بحكم حتى يتبين منه. وكذلك معرفة مناهج المؤلفين في كتبهم، فنجده يقول عن أبي تمام في حماسته: "وكان همُّ أبي تمام في الحماسة اختيار جيد الشعر لمعانيه وألفاظه، ولم يكن همه تحقيق النسبة"^(١)، ومع ذلك لم يهمل النَّظْرُ في تلك الكتب أو دراسة ما فيها.

ومن هذا نقد العلماء الرواة فيما يروونه، والموازنة فيما رَوَوْا، خاصة إذا تعارضت الأقوال، يتضح لنا ذلك عندما عقد موازنة بين الجاحظ وابن قتيبة، فابن قتيبة يرى أنَّ القصيدة قالها خلف الأحمر ونحلها ابن أخت تأبط شرا، والجاحظ ينسبها إلى تأبط شرا أو إلى ابن أخته، ولم يتطرق إلى قضية التَّحَلُّ هذه، فاستدلَّ محمود شاكر لنقد قول ابن قتيبة، بأنَّ الجاحظ هو الأوَّلُ بهذا القول لو كان صحيحا، مُعْلِلًا ذلك بأنَّه قريب من خلف ورآه وسمع منه وروى عنه، وهو أعلم به من ابن قتيبة، إضافة إلى الدِّقَّة في الرواية، حيث قال عنهما: "وانفراده [أي ابن قتيبة] يوجب الحذر... وهو [أي الجاحظ] أشد منه تحريا وضبطا"^(٢).

وكذلك نقد الأقوال والمقصود بذلك عدم التسليم بالأقوال التي تنسب القصيدة أو تنحلها لأشخاص، حتَّى وإن كانت صريحة في ذلك، فيجب على قارئ الشعر أن يكون بصيرا بالأقوال، وسياقاتها، ففي القصيدة التي درسها محمود شاكر، وجد قولاً صريحاً من خلف الأحمر يدَّعي أنَّه قالها، في خبر نقله ابن المعتز، نصه: "وقال لي دعبل: قال لي خلف الأحمر وقد تجارينا في شعر

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٤.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٩.

تأبط شرا وذكرنا قوله:

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُطْلُ

أنا والله قتلها، ولم يقلها تأبط شرا^(١).

فهذا القول مروي من طريق دعبل الخزاعي، وهو متهم بالكذب في رواية الشعر على وجه الخصوص، وتعمد تلفيق الأشعار، وعدم الدقة في نقل الأخبار، إضافة إلى حُبث طبعه، وقد أورد محمود شاعر تلك الاتهامات، واطمأن إليها، ثم رد هذا الخبر^(٢).

ونقذ الأقوال يمتد إلى دراسة تاريخ الرجال، وتاريخ روايتهم للشعر، وعلاقتهم فيما بينهم، فنجد محمود شاعر يستطرد في ذلك، فيدرس الحركة العلمية لستة رواة، وهم (حماد الرواية، وخلف الأحمر، والجاحظ، ودعبل الخزاعي، وأبو تمام، وابن قتيبة)، ومحاور دراسته كانت في: دقة ما يروون، والتقاءهم فيما بينهم، والمدارس التي ينتمون إليها، وقد فصل في ذلك^(٣).

رابعاً: الاستدلال من خلال أبيات القصيدة على القائل: وقد أشار إلى أن أقوى الأدلة معرفة الأشخاص الذين ذكروا في القصيدة، ولكنه لم يهتد في القصيدة التي درسها إلى ذلك حيث قال: "فلو أُتيح لنا أن نعرف من يكون سواد بن عمرو، وما نسبه، لكان هذا البيت وحده أحسن دليل يهدي

(١) عبدالله ابن المعتز. "طبقات الشعراء". تحقيق: عبدالستار فراج، (ط٤)، القاهرة: دار المعارف، ١٤٧.

(٢) انظر: محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٦٩ وما بعدها.

(٣) انظر: محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٦٥ وما بعدها.

على معرفة صاحب هذا الشعر، أو يعين على ترجيح رأي على رأي" (١)، ولكنه عاد ورجح أنه ابن أخ تأبط شرا، حيث قال: "وأجمعوا على أن يعينوه ويخرجوا معه في الطلب بثأر خاله، وفيهم سواد بن عمرو المذكور في آخر القصيدة، وأظنه ولد عمرو بن سفيان أخي تأبط شرا، هذا ما استظهرته من سياق أخبار تأبط شرا وأصحاب" (٢).

وقد ذكر محمود شاكر ثلاثة أدلة من خلال أبيات القصيدة تدل على قائلها:

الأول: أنَّ في القصيدة بيتين يدلان على رثاء الشاعر لخاله، الذي طلب ثاره فأدركه وهما:

وَوَرَاءَ الثَّأْرِ مِني ابْنُ أُخْتٍ مَصِغٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحِلُّ

و:

سَقَيْنِيهَا يَا سَوَادَ بَنِ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلُّ

الثاني: أنَّ في القصيدة ما يدل على أنَّ خاله هذا كان شديد النكابة بهذيل، وذلك من خلال قوله:

فَلَمَّا كَانِ هُذَيْلٌ شَبَاهُ لِمَا كَانَ هُذَيْلًا يُقْلُ

الثالث: أنَّ في القصيدة ما يدل على أنَّ الشاعر قد ظفَّر بثأره من قَتَلَةِ خاله، يقول:

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٣.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٤٨.

صَلَيْتَ مِنِّي هَذَا لِيْلٍ بِخَرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمْلُؤُوا^(١)

خامسا: دراسة الأحداث التاريخية والأخبار الأدبية المتعلقة بالشاعر، والنَّظَر في موافقتها لأحداث القصيدة: وهذا الأمر جعل محمود شاعر يخرج بنتيجة إلى تضيق دائرة الخلاف في نسبة القصيدة، وذلك بأن استبعد نسبتها إلى الشنفرى وأنه هو ابن أخت تأبط شرا استبعادا قاطعا، قال: "أَنَّ صحيح شعر تأبط شرا دال على أَنَّ الشنفرى مات قبله، وأنه رثاه بقصيدة رواها أبو تمام في كتاب الوحشيات"^(٢).

كما أنه استخدم هذا في إثبات نسبة القصيدة، فاستنادا إلى ذِكر تأبط شرا في أيام هذيل وأشعارها وأخبارها^(٣)، استنتج أَنَّ هذه القصيدة قيلت من ابن أخت تأبط شرا في خاله، وهذا ما دلت على أحداث القصيدة .

سادسا: المقارنة بين القصيدة ومجموع شعر الشاعر: وذلك من حيث مشابقتها لشعره، وهذا يستلزم الاطلاع على شعر الشاعر، وهو من أدق المسالك في الترجيح، حيث يُعتمد فيه على ذوق الناقذ، وتشربيه لشعر الشاعر، وقد أشار إليه محمود شاعر إشارة سريعة دون أن يوضح ذلك، يقول: "إني أجد نسبتها إلى تأبط شرا أمرا صعبا؛ لأنَّ نسجها يخالف كل المخالفة ما وصل إلينا من شعره، وهذا أمر دقيق لا سبيل إلى الإبانة عنه في هذا الموضع"^(٤).

(١) انظر: محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٢.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٦.

(٣) انظر: محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٧.

(٤) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٥.

وهذا يقتضي دراسة نسج القصيدة، وموافقته لأسلوب الشاعر: وهذا المعيار يحتكم فيه إلى الذوق، فمن خلال قراءة ديوان الشاعر يُعَرَّفُ أسلوبه ونُحْجِه، ولا يوجد ما يدل عليه سوى ذوق القارئ؛ لذا قال عنه: "وهذا أمر دقيق لا سبيل إلى الإبانة عنه في هذا الموضوع"^(١)، وقد اتبع محمود شاكر منهجا محدد المعالم في عملية التذوق، يتألف من "مجموعة من الإجراءات المتداخلة، أي التي تتوالى وتتوازي معا، وتؤثر وتتأثر ببعضها بعضا، فهي في تفاعل مستمر إلى أن تستقر على نحو يرتضيه الباحث بعد أن يكون قد استفرغ الوسع في استيفائه وضبطه، وهذه الإجراءات هي :

- جمع المادة جمعا يحيط بالمتاح منها.
 - ضبط سياقات المادة التاريخية والاجتماعية والمعرفية.
 - ترتيب المادة ترتيبا زمنيا.
 - تحليل المادة تحليلا يكشف دقيق معانيها وخفي إشارتها.
 - كشف ما بين شتات المادة من اتفاق واختلاف.
 - تمحيص المادة في ضوء سياقاتها وعلائقها"^(٢).
- ويقول في أمر المقارنة: "إذا وقع الاختلاف في نسبة شعر إلى شاعرين جاهليين أو أكثر، لم نجد سبيلا إلى الفصل في أمر نسبة هذا الشعر بالمقارنة، إلا بعد أن نؤسس باب دراسة الشعر ونقده... فإذا فعلنا، فعلينا أن ندرس شعر كل واحد من هؤلاء الشعراء على حدة، ثم ندرس الشعر المختلف في

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٥.

(٢) ياسر بن محمد بابطين. "التذوق منهجا للتلقي وصناعة المعرفة". جامعة عين شمس،

حوليات آداب عين شمس ١٦، (٢٠١٨م): ١٩٣.

نسبته مثل هذه الدراسة، وعندئذ يتاح لنا أن نقارن بين هذا الشعر وبين أشعارهم^(١).

وأمر هذه المقارنة ليس بالهين الذي يستطيعه كل أحد، وإنما يصعب على كبار قراء الشعر، ذلك أنه يحتاج إلى كثرة قراءة الشعر، والتغلغل فيه، حتى يُعَلِّم أسلوب كل شاعر ومسلكه، وقد كان واضحا لمحمود شاعر هذا الأمر، وتنبه عليه بقوله: "أما إذا كان الاختلاف في نسبة الشعر إلى شعراء بعضهم جاهلي وبعضهم إسلامي، صار أمر المقارنة أشد تعقيدا مما تتصور، واتسع اتساعا مخوفا... فضلا عن أن المقارنة تقتضي عندئذ دراسة الشعر المختلف في نسبته دراسة صحيحة يقطعة محيطية على قدر الاستطاعة، فإنها تقتضي أيضا دراسة صحيحة يقطعة محيطية، ويقتضي أيضا ضربا من المقارنة بين شعر هؤلاء الشعراء، قبل البدء في مقارنة أشعارهم جميعا بهذا الشعر المختلف في نسبته إليهم^(٢)."

وقد صنع محمود شاعر ذلك في القصيدة التي درسها، حيث قال: "وكان الاختلاف متفاقما في نسبة هذه القصيدة بين الجاهلية وبين الإسلام، وكان المتهم بصنعها راوية شاعرا، وهو خلف الأحمر، كان من حق البيان عن المنهج أن أذكر أن صريح العقل قاضٍ بالمقارنة بين شعر خلف أو ما بقي منه على الأصح، وبين هذه القصيدة التي زعموا أنه صنعها ونحلها شاعرا جاهليا، إذ ليس معقولا أن يكون بين أيدينا شعر ينسب إلى الجاهلية، صنعه راوية شاعر في الإسلام، وبينهما دهر طويل، ثم تقتصر على تزييف الخبر عن ذلك،

(١) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٤٥.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٤٦.

مهما بلغت الحجة في تزييفه من السداد والإصابة"^(١).

وهذا المعيار يستخدم أيضا في نفي نسبة القصيدة إلى الشاعر إن كانت لا تشبه أسلوبه، أو لم تكن على طريقته، قال مستبعدا نسبة القصيدة إلى الشنفرى: "هذا مع ما أجده أيضا من بُعد بيان هذه القصيدة عن بيان الشنفرى في قصائده التي انتهت إلينا على قلتها"^(٢)، وقال أيضا: "وكان من حق باب المقارنة أن أوازن بين هذا الشعر وبين شعرهم"^(٣)، حتى أخلص إلى نفي نسبتها إليهم، وأنسبها إلى ابن أخت تأبط شرا دونهم"^(٤).

ولكن هذا أمر شاق لو أراد الناقد أن يتبعه لطلال عليه المقام في دراسة قصيدة واحدة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "أما الشنفرى وتأبط شرا فشاعران جاهليان عظيمان مع قلة شعرهما، فلولا أن يخرج الأمر عن حدّه فيطول، لكان صوابا كل الصواب أن يعي المرء نفسه بدراسة شعرهما مثل هذه الدراسة ثم يقارن بين شعرهما وبين هذه القصيدة؛ لأنّه إذا فعل فسوف يخلص إلى فوائد لا أستطيع الآن أن أقدرها قدرها"^(٥).

وبهذا يتضح أن محمود شاكر اتخذ طريقين لإثبات نسبة القصيدة، يتعاضدان، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما:

الأول: من خارج القصيدة، والمتمثل في النظر في الرواية وسندها ودراسته، حيث قال: "إنّ تزييف الإسناد، واستنباط علل وضع الأخبار على

(١) محمود شاكر. "نمط صعب وغط مخيف"، ٣٣٩.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب وغط مخيف"، ٥٦.

(٣) يقصد هنا خلف الأحمر وتأبط شرا والشنفرى.

(٤) محمود شاكر. "نمط صعب وغط مخيف"، ٣٤١.

(٥) محمود شاكر. "نمط صعب وغط مخيف"، ٣٤١.

الرواة، وعلى غير الرواة، أصل عظيم من أصول المنهج، أو من أصول منهجي على الأقل^(١)، وهذا أول ما ينبغي أن ينظر إليهم من أراد نسبة قصيدة مختلف في نسبتها، -وهو أصل من أصول المنهج عند محمود شاكر- حال الرواي، قال: "فعلينا أول كل شيء أن ننظر في حال المخبر: ما هو؟ ومن هو؟ وهذا الأمر لا يشك امرؤ في صوابه"^(٢).

ولكن لا ينبغي الاقتصار عليه وإنما لا بد أن يرافقه الطريق الآخر -وهو النظر إلى داخل القصيدة- وهذا الطريق مهم وهو الطريق الأول في المنهج، قال عنه: "هذا أمر لا بد منه، وهو مقدم على كل شيء عند النظر، ولكن هذا القدر من النظر قد يكون غير كاف كل الكفاية في طرد قاذح الشك الذي يمكن أن ينخر في اليقين"^(٣).

الثاني: النظر إلى داخل القصيدة، وهو ما عاد وأكد بوضوح حيث قال: "وتبين أيضا تبينا واضحا أن دعوى من ادعى من القدماء أن الشعر منحول إلى تأبط شرا، أو إلى ابن أخت تأبط شرا على الصحيح وأن الذي نحل هذا الشعر إلى أحدهما هو خلف بن حيان الأحمر، إمام العربية في زمانه، وأنه هو قائل هذا الشعر باعترافه، كما كذب عليه دعبل الخزاعي الشاعر، فانساق بعض العلماء فكذبوا بكذبه، إنما هي دعوى باطلة من قبل فحوص الرواية... ثم هي أشد بطلانا من قبل نقد القصيدة نفسها، ودراستها دراسة

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٨٠.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٥٣.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٣٢.

صحيحة" (١).

ومن الأمور الداخلية في القصيدة صدق التجربة الشعرية، فالقصيدة التي درسها محمود شاكر قيل إنَّها خلف الأحمر انتحلها، حيث قال: "يكاد يكون محالا محضا عند النَّظَر أنْ يستطيع رجل من الرواة عاش آمنا سالما معافى بين الكوفة والبصرة، في القرن الثاني من الهجرة، وقضى أكثر أيامه ولياليه في رواية اللغة والغريب والشعر، وفي العلم بالنحو والنسب والأخبار، أنْ ينغمس هذا الانغماس المذهل في أحداث غير متاحة لمثله في عصر الإسلام أنْ يعاينها أو يشهدها، وأنْ يُبين عنها بتوهج ساطع يتلأل لا يكاد يخفى أثره في كل لفظ من ألفاظ القصيدة، وفي كل نغم من أجزائها وأبياتها على حدة، ثم في أقسامها السبعة جميعا، ثم في نغمها المتكامل من أول بيت إلى آخر بيت" (٢).

وبعد كل هذه الخطوات المشددة التي سار عليها محمود شاكر، أطلق حكمه في نسبة القصيدة على غالب الظن، وليس القطع، يدل على ذلك عبارته التي قالها، إذ يقول: "وأنا أميل أشد الميل إلى نسبة هذه القصيدة إلى ابن أخت تأبط شرا، سُمِّي أم لم يُسَمَّ، وكل الدلائل التي ذكرتها ترجح ذلك عندي" (٣).

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٣٣.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٤٢.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٥٨.

المبحث الثاني: اختلاف الرواية في عدد أبيات القصيدة وترتيبها

من أهم القضايا التي أولاهها محمود شاكر عناية كبيرة، قضية الاختلاف في عدد أبيات القصيدة وترتيبها، ذلك لما يترتب على هذه القضية من اختلاف في قراءة القصيدة وتحليلها، يقول في ذلك: "وقضية ترتيب أبيات القصيدة قضية معضلة، والاجترأ عليها أمر صعب، وتيسر أداؤها لمن يُحسُّ الفصل فيها قليل"^(١)، وقال في أثناء شرح أبيات القصيدة، وبيان ترتيب أبياتها: "وتبيّن أيضاً أنّ دعوى اختلال الترتيب في الشعر كله دعوى عريضة، وأنّ أمرها أمر عظيم، لا يصلح أن يتكلم فيه من خلا إهابه وجرابه أيضاً، مما يعين على الفصل في مثل هذه القضية المعقدة، بتعقيد عمل (زمن النفس)^(٢) الكامن في أعماق الشعراء، وما يتميز به شعراء العرب خاصة من وضوح عمله في أنفسهم وفي لغتهم وضوحاً لا خفاء له"^(٣).

ثم إنّ هذه القضية - قضية ترتيب أبيات القصيدة - من القضايا التي أعرض عنها علماء التّقدّ قديماً، فلم يتعرضوا لها بالإيضاح وبيان الأسباب، كما ذكر محمود شاكر ذلك حيث قال: "فمن أجل ذلك لم نجد في كتب أسلافنا شيئاً يُعَدُّ به في شأن ترتيب ما اختلّ من قصائد الجاهلية، باختلاف الرواة فيما أدوا إلينا من رواياتهم لكل قصيدة، وبقي الأمر على ذلك إلى زماننا

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٢٩.

(٢) هو الزمن الذي يأتي بعد الزمنين الأولين: زمن الحدث وزمن التغيي، وهو الزمن الذي تشكل فيه تجربة الشاعر، ومنه تنتج القصيدة، وفيه يكون تشعّث الأحداث والتغيي.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٧٩.

هذا^(١)، وسبب هذا الصنيع بيّنه بقوله: "ومن تتبع قديم الدواوين المروية، رأى أكثرهم يروي القصيدة، ثم يذكر اختلاف الرواة القدماء فيها، وينصُّ على تقديم بيت أو أبيات من القصيدة في رواية فلان من الرواة، ثم لا يزيد على ذلك؛ لأنَّه يكره أن يقضي في ذلك قضاء، بل ربما نصَّ وبَيَّنَّ أنَّ البيت أو البيتين مقحمان في هذا الموضع من القصيدة، ثم يكف لسانه؛ لأنَّه يخشى أن يقتات على الرواية وعلى الشعر وعلى الشاعر، ويترك الأمر معلقا لا يقطع فيه بشيء، وهذه أمانة وافرة، وورع غالب، وكمال عقل وعلم"^(٢).

لذا حصل الخلل في التَّعامل مع هذه القضية حين وُلِدَت على أيدي غير عربية في الزمن المتأخر، فلم يُحسنوا التَّعامل معها، يقول عن ميلاد هذه القضية: "فلم تولد سوية الخُلُق مهذَّبة، بل وُلِدَت لغير تمام، شوهاء، مُشَيَّاة الخُلُق سليطة... جاءت شوهاء مُشَيَّاة؛ لأنَّها نتاج أعجمي، استولده المستشرقون الأعاجم مما كان معروفا مألُوفاً عندنا من اختلاف الرواية والرواة، فأرادوا أن يعيدوا ترتيب أبيات القصائد، لا عن علم بلسان العرب، أو معرفة محيطية بأساليب حياتهم وفكرهم في الجاهلية والإسلام، أو عن بَصَر بفن الشعر وأعماقه البعيدة الغور، بل تبجُّحا واستعلاء وغرورا وتذاكيا أيضا"^(٣).

وقبل النَّظر في ترتيب الأبيات لا بُدَّ من تصور بناء الشاعر للقصيدة، وقد أشار إليه محمود شاكر، فقال: "ثم إنَّ الشعر من بين جميع الكلام، هو في كل لسان أشقُّ علاجا، وأعصى قيادا؛ لأنَّ الشعراء لم يقصدوا قط مقصد الإبانة المغسولة عن المعاني، بل رَكَّبُوا إلى أغراضهم أغمض ما في البيان

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٢٦.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٣٠.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٢٦.

الإنساني من المذاهب، فربما شَعَثُوا ما كان حقه أن يكون مجتمعاً؛ لأنهم لا يبلغون حق الشعر إلا بهذا التشعيث، فيأتي أحدهم فيظن أن لو جمع هذا إلى هذا فقد أزال عنه التشعيث وردّه إلى الجادة، ولكنه في الحقيقة لم يزد على أن أفسد ما تعب الشاعر في تشعيثه بميزان وتقدير"^(١).

وهنا نرى أن محمود شاعر ذكر مصطلحا نقديا لم يُعرَف من قبل، وهو التشعيث، ويمكن تعريفه: بأنَّ الشاعر "يفرق المعاني في قصيدته بحكمة وتقدير منه؛ ليكون تفريقه المعاني في نهاية المطاف اجتماعا والتثاماً"^(٢)، وقال محمود شاعر عن أهمية معرفة التشعيث: "وهذا الخلط بين اختلال ترتيب الرواية وبين التشعيث هو الذي يؤدي إلى غموض المعاني على ملتمسها، ثم بعد ذلك من أكبر الأسباب التي أثارت من لهج بإعادة ترتيب القصائد، فزلَّ كل الزلل"^(٣).

ومع ذلك لا بُدَّ من التفريق بين تشعيث الزمن في القصيدة وبين اختلاف الرواية الذي كان سببه الرواة، يقول محمود شاعر في ذلك عن جوته: "ولو كان هذا الأعجمي العبقري عربي اللسان لفرَّق تفريقا صحيحا واضحا بين تشعيث أزمة الأحداث وبين ما عسى أن يكون وقع من الرواة، فأدَّى إلى اختلال ترتيب الأبيات"^(٤).

واختلاف عدد الأبيات يأخذ أشكالا متعددة، فإما أن يكون بحذف بعض الأبيات، مع بقاء الترتيب، أو الحذف مع التغيير في ترتيب الأبيات، أو

(١) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٢٩.

(٢) كمال لاشين. "تقريب كتاب نمط صعب لمحمود شاعر"، ٢٠٤.

(٣) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٩٨.

(٤) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٠٩.

يكون الجمع بين الأمرين الحذف وتغيير الترتيب في الأبيات، وقد قام محمود شاكر بعدد من الإجراءات في تحديد التعامل مع جميع أوجه التغيير الممكنة في عدد الأبيات وترتيبها، تمثلت فيما يلي:

أولاً: حصر الكتب التي روت القصيدة: وهذا الحصر يختلف عن الحصر الذي قام به في تحديد نسبة القصيدة، فهنا ضيق الدائرة بأن قسم الكتب إلى قسمين، هما:

الأول: الكتب التي أوردت القصيدة كاملة: وفي القصيدة التي درسها اتضح له أن أربعة كتب^(١) من أصل ثمانية عشر كتاباً رويت القصيدة كاملة - عند الحصر الأول في تحديد نسبة القصيدة - وجاء روايتهم لها كالتالي:

عدد الأبيات	الكتاب/ المؤلف
٢٧ بيتاً	التيحجان/ ابن هشام (ت: ٢١٨)
٢٦ بيتاً	شرح الحماسة/ المرزوقي (ت: ٤٢١)
٢٤ بيتاً	شرح الحماسة/ التبريزي (ت: ٥٠٢)
٢٤ بيتاً	العقد الفريد/ ابن عبدربه (ت: ٣٢٧)

ثم عقد دراسة تفصيلية بين الكتب التي روت القصيدة كاملة، من حيث النقاط التالية:

- عدد أبيات القصيدة.
- ترتيب أبيات القصيدة.

(١) جعلها محمود شاكر أربعة كتب على أنه لم ينظر إلى حماسة أبي تمام منفردة، وقد نظر إلى روايتها للمرزوقي والتبريزي بروايتين مختلفتين، والأصل أن تكون رواية أبي تمام كذلك منفردة، فتكون الكتب التي روت القصيدة كاملة خمسة كتب وليست أربعة، لما في الاختلاف بين رواية أبي تمام والمرزوقي والتبريزي في شرحيهما.

• الفروقات بين روايات الأبيات^(١).

الثاني: الكتب التي أوردت قدرا صالحا من القصيدة، وبتتبع منهج محمود شاكر في ذلك اتضح أنَّ المقدار الصالح -في نظره- هو سبعة أبيات، ويبدو أنَّ تحديد هذا العدد منه نابع مما قرره علماء النقد العربي بأن أقلَّ أبيات القصيدة سبعة، حيث قال ابن رشيق: "وقيل إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة"^(٢)، وعند تتبعه لمن هو ذلك حال، وجدهم ثلاثة :

عدد الأبيات	الكتاب/ المؤلف
٨ أبيات	الحيوان/ الجاحظ (ت: ٢٥٥)
١٢ بيتا	الأشباه والنظائر/ الخالديان (ت: ٣٨٠، ٣٩٠)
٧ أبيات	اللائي/ البكري (ت: ٤٨٧)

ثم قام بدراسة رواية هذه الكتب اتضح له من خلالها أنَّ هؤلاء العلماء إنما أوردوها على سبيل التَّحْيِيزِ أو الشرح، فجاء الترتيب عندهم مضطرباً لا يعتد به^(٣).

ثانياً: معرفة مناهج الكتب التي روت القصيدة، ودراستها، ونقدها: وهذه المعرفة مهمة، وهي التي تحدد طريقة التعامل مع الكتب، فليست كل كتب الأدب سواء، فمنها ما كان هدفه الرواية، ومنها ما كان هدفه الاختيار،

(١) انظر: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٢٥.

(٢) علي بن الحسن ابن رشيق. "العمدة في صناعة الشعر ونقده". تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، (القاهرة: درة الغواص، ٢٠١٩م)، ٢: ٣٠٢.

(٣) انظر: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٢٨.

ومنها ما كان هدفه الاستشهاد، إلى غير ذلك الأهداف، وبناء على ذلك اختلف منهج محمود شاكر في التعامل مع تلك الكتب، حيث يقول عن العقد الفريد - وهو روى القصيدة كاملة -: "صاحب العقد الفريد لم يَبْنِ كتابه على الرواية، وهو ليس من الرواة في شيء، إنما كان أدبياً شاعراً متخيِّراً، وكان أندلسياً، مضطرب المعرفة برواية أهل المشرق، وأكثر تعويله على ما وقع إليه من الكتب" (١).

ويبدو لي أنَّ محمود شاكر عند إطلاقه هذا الحكم على كتاب العقد الفريد كان مستحضراً آراء الأدباء والنُّقاد، ومن أشهر تلك الآراء مقولة صاحب بن عباد عندما اطلع عليه، فقال: "هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا" (٢) إلى جانب ما يصدِّق هذه المقولة من محتويات الكتاب.

ونجد أنَّ محمود شاكر يفرِّق وبشكل جلي بين النُّقاد والرواة للشعر، فالنُّقاد هم من يعرف معاني الشعر، وطرق الشعراء في الكتابة، وأما الرواة فهم الذين اكتفوا بنقل الأشعار كما وصلت إليهم دون تدخل، وأقصى ما فعلوا أن يشيروا إلى اختلاف الرواية، يقول: "أما الرواة فقد أغضُّوا عن هذا الاختلاف، وإعادة ترتيب هذه القصائد أمر لا يملكون أداته، فاكتفوا بالإشارة إليه أحيانا، ولزموا حدَّ معرفتهم لئلا يتهوروا في التحريف والإفساد... وأما العلماء ونُّقاد الشعر القديم فقد صرُّوا عن النَّظر في هذا الأمر إلا قليلا، لأنَّهم صرُّوا عن معنى النُّقد كما نعرفه في زماننا، وشغلُّوا بتأصيل علوم البلاغة وبناء قواعدها،

(١) انظر: محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٢٧.

(٢) ياقوت الحموي الرومي. "معجم الأدباء". تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ١: ٤٦٤.

ثم إلى نقد التفاريق والتفاصيل في الشعر، دون نقد القصد والإبانة عن معانيه^(١).

وقال عن رواية كتاب التيجان أنه: "حذف البيت السادس عشر: فَأَذْرَكْنَا النَّارَ مِنْهُمْ، وجاء بالأبيات الثلاثة الباقية على هذا الترتيب (١٤، ١٧، ١٥)^(٢) ثم وضعها في أواخر القصيدة بعد البيت السادس والعشرين: وَعَتَّاقُ الطَّيْرِ، ثم قفأها بالبيتين (٢٣، ٢٤): فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بَنَ عَمْرٍو، ثم: حَلَّتِ الْحُمْرُ، فأفسد سياق الأبيات وسياق القصيدة كلها، وإن دل ذلك من فعله على أَنَّ رُغِئْتُهُمْ في البيت السابع عشر بضم التاء وأنَّ الضمير فيها من حديث الشاعر عن نفسه"^(٣).

ولتصور معنى الأبيات أوردها كما جاءت في رواية التيجان:

وَسِبَاغُ الطَّيْرِ تَهْفُوا بِطَانًا	تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِيلُ
وَقُتُّوا هَجَّارًا ثُمَّ أَسْرُوا	لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوا
فَاخْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا	هَوُّمُوا رُغِئْتُهُمْ فَاسْتَمَعُوا
كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ	كَسْنَا الْبَرَقَ إِذَا مَا يُسَلُّ
فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بَنَ عَمْرٍو	إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ حَالِي لَحُلُّ

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٢٥.

(٢) هنا ذكر محمود شاكر ترتيب الأبيات كالتالي (١٤، ١٥، ١٦)، والصحيح ما ذكرت، فلعله خطأ مطبعي، وقد ذكرت بعد ذلك ترتيب ابن هشام في كتابه فليراجع.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٢٩.

حَلَّتِ الْحَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبَلَأِي مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ^(١)

وقال عن رواية ابن عبدربه: "أما ابن عبدربه فإنه جاء بما هو أخبث، حذف هو أيضا البيت السادس عشر، ثم مرّق أوصال الأبيات، فوضع البيتين (١٧، ١٥) بهذا الترتيب بعد البيت الثالث عشر (يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَحِيدًا) وأخذ البيت الرابع عشر (وَفُتِّوْ هَجَرُوا) فطرحه في أسفل القصيدة بعد البيت (٢٦)، (وَعَتَاقُ الطَّيْرِ) وبعده البيت (٢٤) (فَاسْقَيْنِيهَا) فصار كلاما لا يُفْهَمُ، وبشبه أن يكون قد جعل رُغْمَتَهُمْ (بفتح التاء ضمير المخاطب) في البيت السابع عشر" (٢).

فمحمود شاكر رفض ترتيب رواية ابن عبدربه لعدم اتضاح المعنى المراد من الأبيات، وهنا نستنتج أصلا من أصول دراسة الشعر متعدد الرواية عند محمود شاكر، وهو أن المحرك الرئيس في قبول الروايات وردها اتساق المعنى في الرواية؛ لذا يجب الفهم الصحيح للقصيدة، قبل ردّ الروايات، وأن يكون هذا الفهم معللا، متسقا مع طرق العرب في مسالك البيان، وقد جاءت رواية ابن عبدربه للأبيات كالتالي:

يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَحِيدًا وَلَا يَصْ حَبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَفْلُ
فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا هَوُّمُوا رُغْمَتُهُمْ فَاشْتَمَعُوا
كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ

- (١) انظر: محمد بن عبد الملك ابن هشام. "كتاب التيجان في ملوك حمير". تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمينية، (ط٣)، صنعاء: مكتبة الجيل، (٢٠٠٧م)، ٢٩٢.
(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٢٩.

وفي آخر القصيدة كان ترتيبه للأبيات:

وَعَتَاكَ الطَّيْرُ هَفُّوْا بِطَانًا تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ
وَفُتُّوْا هَجَّارُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوْا
سَقَيْنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي

وأخيرا تطرق إلى رواية المرزوقي للأبيات، والمرزوقي شارح لحماسة أبي تمام، ولكن المرزوقي لم يلتزم برواية أبي تمام في ترتيب الأبيات، فحذف البيت السادس عشر وهو قوله:

فَادْرَكْنَا الثَّأْرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا يَنْجُ مَلْحَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ

إضافة إلى أنه ألحق تغييرا في تشكيل كلمة (رُعْتُهُمْ) في البيت التالي:

فَاخْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا هَوُّوْا رُعْتُهُمْ فَاشْتَمَعُلُوا

فجعلها بضمير المخاطب: رُعْتُهُمْ، قال محمود شاعر في توجيهه صنيع المرزوقي: "وصرف الكلام في الأبيات كلها عن أن تكون من حديث الشاعر عن فتية من أصحابه أغاروا معه على هذيل حتى أدرك بثأر خاله، إلى أن تكون استمرارا لحديث الشاعر عن خاله في الأبيات التي قبلها، وعن فتية صحبوا خاله، فكان هو رئيسهم ومديرهم" (٢).

وهذا الصنيع من المرزوقي قتل معنى القصيدة، يقول في ذلك محمود شاعر: "وبحذف البيت السادس عشر وهو قوام هذا القسم كله، وبتأويل

(١) انظر: أحمد بن محمد، ابن عبدربه. "العقد الفريد". تحقيق: محمد سعيد العريان، (ج ٣، بيروت: دار الفكر)، ٣: ٢٢٣، مع اختلاف في بعض ألفاظ الأبيات.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٣٠.

الأبيات إلى خال الشاعر، حَلَّتِ القصيدة من كل ما يدل على أَنَّ شاعرنا هذا قد جدَّ في الطلب بثأر خاله، وصار قوله في أول الشعر: وَوَرَاءَ الثَّأَرِ مِثِّي ابن أُحْتٍ... مُطَرِّقٌ يَرَشِّخُ مَوْتًا. كلام لا تحقيق له، وإِنَّمَا هو كذب محض، وبذلك أباد المرزوقي معنى القصيدة إبادة من لا يرحم" (١)

ولكن ما الذي جعل المرزوقي يحذف هذا البيت مع أَنَّهُ حتما اطلع عليه، يجب محمود شاكر عن ذلك بقوله: "وإِنَّمَا حمل المرزوقي على حذف البيت السادس عشر... أَنَّ المرزوقي أزعجه وحيره قوله: فَادَّرَكْنَا الثَّأَرَ مِنْهُمْ، وَلَمَّا يَنْجُ مِلْحَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ، وضاق بموقع، وَلَمَّا يَنْجُ، والتبس عليه وجوه تأويلها، فلم يُقْلِعْ حتى حذف البيت كله، واستراح، وصرف معنى تأويلها إلى خال الشاعر" (٢).

ثالثا: تحديد بناء القصيدة: والمقصود به كيف بدأ الشاعر كتابة قصيدته؟ فمن منظور محمود شاكر أَنَّ الشاعر يكتب قصيدته على أمد طويل، وفترات متباعدة، ثم يعيد ترتيب أبياتها، وهذا التحديد هو الذي من خلاله نتبيَّن تركيب القصيدة وتركيب أبياتها، يقول محمود شاكر عن البيت الخامس من القصيدة وهو قوله:

حَبْرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ

قال: "وأنا أَرَجِّحُ أَنَّ أول بيت قاله شاعرنا هو البيت الخامس؛ لأنَّه أشبه شيء بصرخات مفجوع تتابعت، وهو البيت الفرد في القصيدة كلها الذي يشبه أَنَّ يكون خرج مخرج الرثاء، وكأنَّه زوَّره في نفسه ورجَّعه لسانه ساعة

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٣٠.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٣٠.

جاء نعي خاله تأبط شرا فاستثاره، ثم كفَّ عن الإيغال في رثائه لسبب ما، صرفه عن التَّفجع إلى ما هو أجل منه^(١)، ثم أردف ذلك بأنَّ وضَّح موضعه من القصيدة، حيث قال: "وأحقُّ بأنَّ يكون أول ما قاله الشاعر، فلما صرفه عن الإيغال في الرثاء ما صرفه، استبقاه حتى أنزله من قصيدته أحق المنازل بها، حين عاد فبنى معنى القصيدة على غير معنى الرثاء، وهو البيت المفرد بالرثاء في القصيدة كلها"^(٢).

ثم لا بُدَّ من فهم طريقة بناء القصيدة، وقد جعلها محمود شاكر تُبْنَى على ثلاثة أزمنة: زمن الحدث، وزمن التَّغني، وزمن النَّفس الذي يقوم فيه الشاعر بعمل ما أسماه بالتشعيث، وهو أنَّ يحرك الأحداث من جديد دون ترتيبها الأول في زمن الحدث، وقد جعل ذلك ما يهديه في طريقه عن البحث عن الترتيب الأمثل لأبيات القصيدة، يقول في ذلك: "ثم دَلَّلْتُ أيضا على فضل زمن النَّفس، وفضل التشعيث، في تسديد خطواتي بين الروايات المختلفة التي وقعت لي وأنا أتقصَّى مراجع القصيدة، وكيف كان أثر وضوح معناها في نفسي، حتى اهتديت إلى ترجيح ما رجحت في ترتيب القصيدة، وفي إقرار بعض الألفاظ دون بعض حين اختلفت رواية الرواة، وفي تفسير معاني الألفاظ التي جاءت في القصيدة"^(٣).

رابعا: تناسب سرد الأحداث مع النَّغم في القصيدة: ينبغي أن تكون الأحداث وفقا لبناء القصيدة، ووفق الغرض في القصيدة، فالقصيدة التي

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٤٣.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٤٧.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٣٠٤.

درسها محمود شاكر كانت مبنية على الذكرى، أي أنَّ الشاعر يتذكر أحداثاً قد مضت، من مقتل خاله إلى أنَّ أدرك الثَّأْرَ مِنْ قَتْلِهِ، فقد سرد محمود شاكر ذلك كله، ثم قال: "فهذا التسلسل في الذكرى، في بطئها ثم حركتها، طابقه الغناء والنغم، بلا اختلال في السياق، ولذلك عدت ترتيب أبي تمام في روايته هذه الأبيات هو حق الشعر فاعتمدته"^(١)، فمحمود شاكر اختار رواية أبي تمام للقصيدة؛ "لأنَّه رأى أنَّ الوشائج المنعقدة بين أبيات القصيدة أقوى ما تكون عُلقَةً، وأشد ما تكون اتساقاً في رواية أبي تمام"^(٢).

ويبدو لي أنَّ محمود شاكر لم يلتزم برواية أبي تمام للأبيات في موضع واحد، وهو تقديمه للبيت العاشر على الحادي عشر، فجاءت رواية أبي تمام:

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رَفْلٌ وَإِذَا يَغْزُو فِسْمَعٌ أَرْلٌ
عَيْثُ مُزْنٍ عَامِرٌ حَيْنٌ يُجْدِي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبْلٌ

وكذلك في البيتين (٢٣ - ٢٤) من رواية أبي تمام، جعلهما محمود شاكر هما ختام القصيدة، وقد جاءت في أحد نسخ المخطوط كما اعتمدها محمود شاكر^(٣).

وقال بعد أنَّ شرح هذا الجزء من القصيدة: "وبين بعد هذا كله أنَّ من قدَّم هذين البيتين عن موضعهما كما فعل المرزوقي، فوضعهما بعد البيتين (٢١ - ٢٢) وجعل خاتمة القصيدة البيتين (٢٣ - ٢٤) فقد هَدَمَ بناء

(١) محمود شاكر. "نمط صعب وغط مخيف"، ١٩٨.

(٢) كمال لاشين. تقريب كتاب نمط صعب لمحمود شاكر، ص ٢٧٦.

(٣) انظر: حبيب بن أوس الطائي. "الحماسة". تحقيق: عبدالله عبدالرحيم عسيلان، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٤م)، ٢١٨، حاشية: ١٠.

القصيدة، ومزَّق النِّعم المتكامل من الفاتحة إلى الخاتمة، وأفسد ما أتمه (زمن النفس) من تشعِث أزمنة التغني، لتكون الأنغام متساوقة على نِسبٍ صحيحة محكمة، وليجعل المنصبت إلى الغناء والتَّرنم مشدودا إلى النِّعم المتجاوب من أول الفاتحة إلى الخاتمة، وليبعث نشوته بعثا حتى تتصاعد مع تصاعد النِّعم، وتشاقل مع تناقله بلا ملل ولا استرخاء ولا ذهول، ولتتجاوب المعاني المشعثة مع أزمنة غنائها تجاوبا مطابقا لفحوى النِّعم ومعانيه^(١).

وأمر تناسب الرواية مع النِّعم أمر دقيق يحتاج إلى طول ممارسة النُّصوص، وقراءتها قراءة متأنية، وإلى أذن موسيقية تستشعر الشعر، يقول محمود شاعر: "ثم لترى أيضا أنَّ النِّعم جزء لا يتجزأ من الشعر، وأنَّه هو الذي يحمل كل أسرار النفس الإنسانية، ومعانيها الكامنة البعيدة الغور، وأنَّه بذلك كله هو العامل المؤثر فيما ذكرته قبل مما يلحق ألفاظ اللغة من الإسباغ والتعرية"^(٢). وحتى يُعرف نغم البحر الذي كُتِبَ عليه القصيدة، وهذا قد يغلط فيه كبار النقاد، ويرون أنَّ البحر غير صالح لهذه القصيدة؛ لذا ينبغي التَّأني في الحكم على نغم الأبيات ومناسبتها للقصيدة.

والقصيدة التي يدرسها محمود شاعر كُتِبَ على بحر المديد، وهو بحر يتطلب سرعة في النِّعم، يقول عبدالله الطيب عن هذا البحر: "فبحر المديد فيه صلابة ووحشية وعنف، تناسب هذا النوع من الشعر، ولا يستبعد أنَّ تكون تفعيلاته قد اقتبست في الأصل من قرع الطبول التي كانت تدق في

(١) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٧٧.

(٢) محمود شاعر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٥٥.

الحرب" ^(١)، وقد وافقه محمود شاكر على ذلك، وهو أيضا لا يحتمل الصور البيانية المركبة، وإنما الصور البيانية السريعة الملتقطة، التي لا إيغال فيها ولا تركيب، بل إنَّ محمود شاكر يذهب إلى أبعد من ذلك في خصوص النِّغم، ويرى أنَّ الزحافات في القصيدة من تشكل النِّغم، وأنها مقصودة من الشاعر لا الضرورة هي التي ألجأته إليها، يقول: "وأنا أُبَيِّنُ أيضا أنَّ الزحاف ليس ضرورة كما يُتَوَهَّم، بل هو أصل في تنوُّع النِّغم، يعطيه شيئا جديدا، ويكسبه معاني جمَّة لا تكاد تحصر" ^(٢).

(١) عبدالله الطيب. "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها في الأغراض والأساليب".

(الكويت: دار الآثار الإسلامية، ١٩٨٩م)، ١: ٩٧.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٧٨.

المبحث الثالث: اختلاف الرواية في ألفاظ القصيدة

ناقش الشيخ محمود شاكر اختلاف الألفاظ في القصيدة، وكانت نظرتة لها نظرة شمولية، فلم يعالجها عند راو واحد، أو حصر المعالجة بين راويين للقصيدة، وإنما شمل ذلك كل اختلاف الروايات عند جميع الرواة، وقد ناقش كل اختيار عدل عنه في رواية أبي تمام للقصيدة الذي ارتضاها، ومن خلال تعامله مع اختلاف الروايات في الألفاظ يمكن أن نجعلها عنده على قسمين:

القسم الأول: اختلاف في الرواية لا يضر.

وقد حدّده في نمودجه الذي درسه بأن يقع الاختلاف مثلاً في ترتيب الصفات، فقال عن رواية كتاب التيجان: "فإنَّ ترتيب الشعر عنده لا يكاد يضر، مع زيادته التي زادها؛ لأنَّها جميعاً صفات متتابعة متفرقة وصف بها الشاعر خاله"^(١)، ولكننا نجده في الجانب التطبيقي يجعل هناك علاقة بين البحر وترتيب الصفات، وبلا شك أنَّ اختلاف ترتيب الصفات، يحدث اختلافاً في النغم، ويؤثر في الترجيح بين الروايات، قال: "فالنَّغم يبدأ سريعاً متحدراً (شَهْمٌ مُدِلُّ ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ) ثم يستقل الحاء المتحركة (حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ) فيبطئ شيئاً ما، ثم يزداد بطئاً وأناة، حتى توشك أن تقف وقفة لطيفة عند مخرج كل حاء، (حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يُحْلُ) فكان هذا التقسيم المتدرج في النغم وفي تحدره راحة تعين على اجتلاء ملامح الصورة المتمثلة في هذه الأبيات، فتزداد وضوحاً وصفاء، ويجد المستمع معها نشوة كنشوة هذا الشاعر في تذكره خاله، معجبا به، مفتونا بأخلاقه وشمائله"^(٢).

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٢٥.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٩٠.

لذا يمكن القول إن أدنى اختلاف يمكن أن يؤثر في معنى الأبيات، وهذا ما أكدّه صنيع محمود شاكر في الجانب التطبيقي، ويمكن التفضيل بين الروايات المختلفة، ولكن أثر هذا الاختلاف في المعنى العام للقصيدة يختلف، فقد يكون قويا وقد يكون ضعيفا بحسبه نوع الاختلاف.

القسم الثاني: اختلاف يؤثر في المعنى، وهذا الاختلاف ينبغي أن يُنظر فيه إلى معاني الألفاظ، ولكن ليست المعاني اللغوية للألفاظ، فاللفظة في الشعر لها معنى خاص تكتسبه من خلال السياق الذي وردت فيه، يقول عن ذلك: "أما ألفاظ الشعر فأمرها مختلف، لأنهم يلبسونها بالإشباع، ويخلعون عنها بالتعرية، ما يكاد ينقل اللفظ من مستقرّه في اللغة وفي كتبها إلى مدارج تسيل باللفظ وقرنائه من الألفاظ إلى غاية غير غاية المتكلم المبين عن نفسه لسامعه، وهذا شبيه بما نسميه المجاز والاستعارة والكناية وما جرى مجراها"^(١)، وهذا لا يعني إهمال كتب اللغة التي أفصحت عن أصول معاني الألفاظ، بل ينبغي على ناقد الشعر أن يعتني بالمعاني في الكتب اللغوية، وينطلق منها، ولكن الخلل أن يتوقف عندها، وقد أشار إلى ذلك محمود شاكر وأبان أن الناقد: "مفتقر بعد مراجعة اللغة والتدقيق في فهم أصول الألفاظ إلى شيء زائد على نص كتب اللغة، وإذا وقف المرء عند منطوق النص وحده، بقي الشعر الذي ينظر فيه مطموسا في موضع، متفككا في موضع آخر، مبتورا في موضع ثالث، فعندئذ يتمرد الشعر، ثم يذهب جامحا ولا ينقاد"^(٢).

وقد جعل محمود شاكر لنفسه معايير عدة في اختيار اللفظة المناسبة عند تعدد الرواية في ذلك، وهي:

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٣٣.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٣٥.

الأول: خدمة الرواية لمعنى البيت القصيدة: وهذا معيار مهم ودقيق، وهو الأصل الذي يُبنى عليه في الترجيح بين الروايات في ألفاظ البيت الواحد، فيجب النظر في ألفاظ القصيدة وقوة جرسها، ثم بناء على ذلك تختار الرواية الأولى، وهذا يعتمد على منهجه في التدوق، "فقد كان شاعر يرجح بين روايات البيت ويجرر في معاني ألفاظه، معتمدا على التدوق؛ لأنَّ علائق النَّص من داخله تكشف ما بين الروايات من فروق، وأيُّ تلك الروايات أقرب نسبا إلى ما أضمره الشاعر في مكنونات بيانه" ^(١)، ففي البيت الرابع :

مُطَرِّقٌ يَرشَحُ مَوْتًا كَمَا أَطَّ رَقَّ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلْ

قال: "واخترت أيضا في رواية البيت الرابع: يَرشَحُ مَوْتًا، وهي رواية المرزوقي في شرح الحماسة، وصاحبي الأشباه والنظائر، وأبي العلاء فيما نقل عنه التبريزي، دون رواية التبريزي نفسه في شرح الحماسة: يَرشَحُ سَمًا، فبين الروائين بون بعيد" ^(٢)، والبون الشاسع كان فيما تؤدي إليها الروايتان من المعنى، ومناسبته للسياق الواردة فيه.

وفي قوله:

قَذَفَ الْعِبَاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أَنَا بِالْعِبَاءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ

يقول في اختلاف الرواية في ألفاظ البيت: "اخترت رواية البيت الثاني: قَذَفَ الْعِبَاءَ، وهي رواية صاحب التيجان، وابن عبدربه في العقد، والزمخشري في أساس البلاغة، دون رواية أبي تمام في الحماسة: خَلَّفَ الْعِبَاءَ؛ لأنها رواية ضعيفة في حق معنى الأبيات، وأخشى أن تكون مما أَلَفَ أبو تمام أن يغيره في

(١) ياسر بابطين. "التدوق منهجا للتلقي وصناعة المعرفة"، ١٩٥.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٥٢.

أشعار الناس، لعاداته في اختياره، والرواية الأولى من الجودة بمكان شامخ^(١).
ففي الإجراء السابق نراه جعل مناسبة معنى الرواية للبيت هي أول ما يرجح به، وهو الأساس الذي ينطلق منه في الحكم على قوة الرواية، ثم استأنس بما يُقَالُ عن أبي تمام بأنه كان يغير في ألفاظ الأبيات، ومحمود شاكر يرى أنَّ ذلك من عادة أبي تمام بخلاف الطاهر ابن عاشور والذي يرى أنَّه لا يذهب إلى هذا التغيير إلا نادراً^(٢).

وكذلك قدّم رواية (وَسْبَاغُ الطَّيْرِ) على (وَعِتَاقُ الطَّيْرِ) في قوله:
وَسْبَاغُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانًا تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَتِلُّ

مع أنَّ رواية الأكثر على (وَعِتَاقُ الطَّيْرِ) قال: "وَسْبَاغُ الطَّيْرِ هي رواية كتاب التيجان وحده، أما سائر الكتب فتروي (وَعِتَاقُ الطَّيْرِ) وقد آثرت الرواية الأولى على ما في كتاب التيجان من الآفات لأسباب: فإنَّ عِتَاقُ الطَّيْرِ جمع عتيق، وهو الكريم الشريف من كل شيء، ومن كل حيوان وطائر، فهي كِرام الطير، التي تصيد، وهي ذوات المخالب المعقّفة، والمناسر المحدبة... وَعِتَاقُ الطَّيْرِ ترهبها الوحش جميعاً، وسبَاغُ الطَّيْرِ كلها، والعقبان"^(٣).

ثم يعلل ذلك بقوله: "إذا كانت رواية الثّقَات من الرواة هي (وَعِتَاقُ الطَّيْرِ) فكيف يصح اجتماع العقبان والذئاب والضباع على طعام واحد؟ وأظنه مما أخطأ فيه خلف الأحمر؛ لإلف لسانه ذكر (وَعِتَاقُ الطَّيْرِ) في الشعر، وربما

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٥٢.

(٢) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور. "شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام". تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٣٣هـ)، ١٥٢.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٦٩.

زَلَّ الراوي الثقة المتقن بالإلف، فأخذ الناس عنه ما لا يصح، فانتشر فيهم وكأَنَّ هذا منه^(١)، فالشاعر ذكر قبل هذا البيت أَنَّ الضباع والذئب قد اجتمعت تأكل من قتلى هذيل، إذ يقول:

تَضَحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذَّبَّ هَا يَسْتَهْلُ

فترجح رواية سِبَاعِ الطَّيْرِ لتتناسب مع الصفات قبلها، "فما دامت الضبع بالوصف الذي وصفهما به الشاعر، والذئب بالوصف الذي وصفها به، فلا بُدَّ أَنْ تكون الطير المشاركة في تلك المأدبة من سِبَاعِ الطَّيْرِ، ورواية عِتَاقُ الطَّيْرِ وإن كان تفسير المرزوقي لها يجعلها في معنى سِبَاعِ الطَّيْرِ إلا أَنَّهُ لا يتحقق بها ذلك المعنى"^(٢).

بل إِنَّ محمود شاكر جعل إدراك جميع الاختلافات في القصيدة نابعا من فَهْم معاني الشعر، وأيُّ اختلال في رواية القصيدة بأنواعه لا يصعب على قارئ الشعر -المتمكن- إدراكه، حيث قال: "وإدراك اختلال القصيدة، متوهما كان اختلاله أو واقعا أو مشبها، هو في ذلك كله قريب ممكن على من تَنَسَّمَ معاني الشعر"^(٣).

الثاني: الاطمئنان إلى سند الرواية: وذلك إذا نُصَّ على الرواية في كتب الأدب، والهدف من هذا المعيار هو الاطمئنان إلى عدم وجود تصحيف في الرواية، فإذا شرح المؤلف الرواية وذكر المراد منها، نظمنا إلى أكتها المرادة، خاصة إذا خالفها رواية في كتب عُرفَتْ بتغيير بعض الألفاظ الشعرية، ففي

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٧٠.

(٢) كمال لاشين، "تقريب كتاب نمط صعب لمحمود شاكر"، ص ٣٧٥.

(٣) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٣١.

رواية البيت الحادي عشر، وهو قوله:

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَخَوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَمِسْمَعٌ أَرْلٌ

قال: "ورواية أبي تمام في الحماسة: وَإِذَا يَغْزُو، من الغزو، ولكني آثرت: يَغْدُو؛ لأنها أحق بالكلام، ولأنَّ الجاحظ لما ذكر البيت في كتاب الحيوان قال: إنما قال: أَرْلٌ، وجعله عاديا، ووصفه بذلك لأنه ابن الذئب، فهذا نص في الرواية، وأخشى أن تكون الأخرى تصحيفا"^(١).

الثالث: مناسبة الرواية لحركة التَّغْنِي في القصيدة، والمقصود بالتَّغْنِي هنا هو التَّغْنِي المعنوي التصويري، وليس الصوتي الإيقاعي، وهذا المعيار ذوقي يستطيعه قارئ النص من خلال تذوقه للنص، واستيعابه لطريقة الشاعر في تسلسل أحداث قصيدته، فعند قول الشاعر:

فَاخْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا هَوُّمُوا رُعْتُهُمْ فَاشْتَمَعُوا

قال: "وقد رَوَى المرزوقي مكان (هَوُّمُوا): فَلَمَّا ثَمَلُوا، وقد يُقال ذلك في النَّوْم، ولكني أظن المرزوقي نفسه هو الذي وضعها استتباعا لقوله: (فَاخْتَسَوْا) كأَنَّهُمْ شَرَبُوا خَمْرًا مِنَ النَّوْمِ فَثَمَلُوا، ولكن هَوُّمُوا أحق بلسان هذا الْمُعْجِي الْمُصَوِّر، وهي أوفق لما في الغناء كلها من الحركة، رُعْتُهُمْ أفزعتهم وهجتههم وخَوَّفَتْهُمْ كَرَّةُ الْقَوْمِ عَلَيْهِمْ، فَهَبُّوا فَرَعَيْنِ أَيْقَاطًا مِنْ شِدَّةِ مَضَائِهِمْ، فَاشْتَمَعُوا حَقُّوا وَنَشِطُوا وَانْطَلَقُوا يَسْرِعُونَ إِسْرَاعًا كَأَنَّهُمْ طِيرٌ ظَمَاءٌ تَهْوِي إِلَى مَاءٍ"^(٢).

فالمرزوقي نظر إلى تقارب اللفظ، بين (الاحتساء والثل) والاحتساء يكون للخمر، ونتيجة ذلك الثمل، فالذي أصابهم من احتساء النَّوْمِ مثل ما

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ١٦٢.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٢٨.

أصاب محتسي الخمر من الثمل، أما محمود شاكر فَرَجَح رواية (هَوُّمُوا) أي اهتزت هامتهم؛ لأنَّها تناسبت مع الحركات بعدها، فعندما تمايلت رؤوسهم من النوم أراعهم الشاعر فنشطوا.

وهذا المعيار مقدم على كثرة الرواية، فلو كثرت رواية لفظ معين لكنها لا تخدم المعنى، وكانت هناك رواية تخدم المعنى، وتتسق مع تصوير القصيدة، فإنَّها مقدمة هنا، لأننا نفترض أنَّ الشاعر كان في أقصى درجات البيان، وهذا ما رجحه محمود شاكر في رواية البيت الرابع والعشرين:

سَقِّنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلُّ

قال: "أما البيت الرابع والعشرون فأكثر الرواية فيه (فاسقنيها) بالفاء، وقد كرهتها، وآثرت ما أثبتُّ عن ابن دريد في الجمهرة، وعن إحدى نسخ الحيوان للجاحظ (سَقِّنِيها)"^(١).

ثم علل سبب اختياره لهذه الرواية مع قلة روايتها في كتب الأدب بقوله: "ثم إني اخترت رواية (سَقِّنِيها) على ما كُثِرَتْ روايته (فاسقنيها)؛ لأنني وجدت هذه الفاء مفسدة، لأنَّها تنقل حديث النفس هذا، فتجعله سردا واحدا، كأنَّه قال: حلَّت الخمر، فمن أجل ذلك اسقنيها، وهذا ليس بشعر صالح هنا، ثم لأن (سَقِّنِيها) بلا فاء فيها من تصوير حركة العجلة والشوق، حتى كأنَّك تراه وهو يمد إليه يد المتناول من خلال النغم، وحتى كأنَّك تراه يتناول بيده قدحا بعد قدح، قد تالَّأى وجهه وضحكت عيناه بريقا يومض"^(٢).

(١) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٦١.

(٢) محمود شاكر. "نمط صعب ونمط مخيف"، ٢٦٦.

خاتمة

- وبعد أن استعرضت الإجراءات المنهجية التي اتبعها محمود شاكر لمعالجة قراءة النص الشعري في ضوء تعدد رواياته، يمكن إجمال النتائج فيما يلي:
- اعتمد محمود شاكر على معايير منهجية واضحة في التعامل مع تعدد الرواية في النصوص الشعرية، وفق أطر ثلاثة، تنطلق من نوعية اختلاف الرواية، وهي:
 - الاختلاف في نسبة القصيدة.
 - الاختلاف في عدد أبيات القصيدة وترتيبها.
 - الاختلاف في ألفاظ القصيدة.
 - الكتب التي رجع إليها محمود شاكر في دراسة الروايات المتعددة -وفق جميع الأطر- ثمانية عشر كتابا بدءا من القرن الثالث الهجري، وحتى القرن الحادي عشر، ومن مختلف علوم اللغة والأخبار.
 - ينبغي على دارس القصيدة العربية -فيما يراه محمود شاكر- أن يمتلك أدوات نقدية وعلمية، يحسن التعامل معها، وهي: التتبع العلمي للقصيدة في كتب التراث، ونقدها، والتذوق الصحيح للشعر.
 - اتخذ محمود شاكر طريقين لإثبات نسبة القصيدة، يتعاضدان، هما:
 - الأول: النظر من خارج القصيدة، وفيه ينظر إلى الرواية وسندها ويدرسه.
 - الثاني: النظر من داخل القصيدة: وذلك من خلال نقد القصيدة ودراسة ألفاظها ومعانيها دراسة صحيحة، ودراسة التجربة الشعرية للشاعر، وموافقتها لأحداث القصيدة، ومعرفة طريق بناء القصيدة.
 - انصبت دراسة الفروق في عدد وترتيب الأبيات على:
 - عدد الأبيات.

- ترتيب الأبيات.
- الفروق بين روايات الأبيات.
- المعايير المنهجية التي اتبعها محمود شاعر في التعامل مع اختلاف نسبة القصيدة هي:
 - حصر الكتب الأدبية واللغوية التي روت القصيدة أو جزء منها.
 - دراسة طريقة نسبة مؤلفي تلك الكتب للقصيدة، وكيفية إيراد القصيدة.
 - دراسة الكتب التي روت القصيدة ونقدها.
 - الاستدلال من خلال أبيات القصيدة على نسبتها.
 - دراسة الأحداث التاريخية والأخبار الأدبية المتعلقة بالشاعر، والنَّظر في موافقتها لأحداث القصيدة.
- المقارنة، وهي أن يقارن الشاعر بين مجموع شعر الشاعر والقصيدة المدروسة، مستخدماً التذوق في الحكم على نسبتها للشاعر أو نفيه.
- المعايير المنهجية التي اتبعها محمود شاعر في التعامل مع تعدد الرواية في عدد أبيات القصيدة وترتيبها هي:
 - حصر الكتب التي روت القصيدة، سواء كاملة أو قدراً صالحاً منها، والموازنة بين روايات الكتب من حيث عدد الأبيات وترتيبها والفروق بين الروايات.
 - معرفة مناهج الكتب التي روت القصيدة، ودراستها ونقدها.
 - تحديد بناء القصيدة.
 - تناسب سرد الأحداث مع النِّغم في القصيدة.
- المعايير المنهجية التي اتبعها محمود شاعر في التعامل مع اختلاف الرواية في ألفاظ القصيدة هي:

- خدمة الرواية لمعنى البيت والقصيدة.
 - الاطمئنان إلى سند الرواية.
 - مناسبة الرواية لحركة التَّغْنِي في القصيدة.
- بعض إجراءات المنهج تتكرر، ولكن يختلف الهدف منها في كل موضع.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- ابن المعتز، عبدالله. "طبقات الشعراء". تحقيق: عبدالستار فراج، (ط٤)، القاهرة: دار المعارف).
- ابن رشيق، علي بن الحسن. "العمدة في صناعة الشعر ونقده". تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، (القاهرة: درة الغواص، ٢٠١٩م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. "شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام". تحقيق: ياسر بن حامد المطيري. (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٣٣هـ).
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد. "العقد الفريد". تحقيق: محمد سعيد العريان. (بيروت: دار الفكر).
- ابن هشام، محمد بن عبد الملك. "كتاب التيجان في ملوك حمير". تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. (ط٣، صنعاء: مكتبة الجيل، ٢٠٠٧م).
- الأسد، ناصر الدين. "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية". (بيروت: دار الجيل، ١٩٥٦م).
- الجاحظ، أبو عمرو. "الحيوان". تحقيق: عبدالسلام هارون. (ط٢، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥م).
- الخالديان، محمد وسعيد ابني هاشم "الأشباه والنظائر". تحقيق: محمد يوسف. (مصر: دار الفاروق، ٢٠٢١م).
- الرازي، أحمد بن فارس. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. (ط٢ بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).
- الرومي، ياقوت الحموي. "معجم الأدباء". تحقيق: إحسان عباس. (بيروت:

دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).

الزمخشري، محمود بن عمر. "أساس البلاغة". تحقيق: محمد باسل عيون السود. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

شاكر، محمود محمد. "مقدمة طبقات فحول الشعراء". (جدة: دار المدني).

شاكر، محمود محمد. "نمط صعب ونمط مخيف". (ط١، جدة: دار المدني، ١٩٩٦م).

الطائي، حبيب بن أوس. "الحماسة". تحقيق: عبدالله عبدالرحيم عسيلان. (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٤م).

الطيب، عبدالله. "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها في الأغراض والأساليب". (الكويت: دار الآثار الإسلامية، ١٩٨٩م).

العوفي، حمد عبدالله. "بلاغة تعدد روايات النص الشعري، دراسة في ديوان أشعار الهذليين". (ط١، الشارقة: دار ملامح للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م).
القيام، عمر حسن محمود. "محمود شاكر الرجل والمنهج". (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م).

لاشين، كمال عبد الباقي. "تقريب كتاب نمط صعب لمحمود شاكر". (القاهرة: دار الحرم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٥م).

الميمني، عبدالعزيز. "بحوث ومقالات". أعدها للنشر: محمد عزيز شمس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م).

ثانياً: الأبحاث العلمية المحكمة:

بابطين، ياسر بن محمد. "التذوق منهجاً للتلقي وصناعة المعرفة". جامعة عين

شمس، حوليات آداب عين شمس، العدد: ٤٦، عدد إبريل، (٢٠١٨م).

لاشين، كمال عبد الباقي. "مدخل إلى منهج محمود محمد شاكر". مجلة جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد: ١٦، (١٩٩٨م).

Bibliography

Firstly: Books

- Ibn al-Mu'tazz, Abdullah. "Ṭabaqāt al-Shu'arā'". investigated by: Abdul Sattar Faraj, (4th ed., Cairo: Dar al-Ma'arif).
- Ibn Rasheeq, Ali ibn al-Hasan. "al-'Umdah fī Ṣinā'at al-Shi'r wa-Naqdih", investigated by: al-Nabawi Abd al-Wahid Sha'lan, vol. 2, (Cairo: Durrat al-Ghawas, 2019).
- Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir. "Sharḥ al-Muqaddimah al-Adabīyah li-Sharḥ al-Marzūqī 'alā Dīwān al-Ḥamāsah li-Abī Tammām", investigated by: Yasir ibn Hamid al-Mutairi, (Riyadh: Dar al-Minhaj Library, 1433 AH).
- Ibn 'Abd Rabbuh, Ahmad ibn Muhammad. "al-'Iqd al-Farīd", investigated by: Muhammad Sa'id al-Aryan, vol. 3, (Beirut: Dar al-Fikr).
- Ibn Hisham, Muhammad ibn Abd al-Malik. "Kitāb al-Tījān fī Mulūk Ḥimyar", investigated by: Center for Studies and Research Al-Yamina, (3rd ed., Sana'a: Al-Jeel Library, 2007).
- Al-Asad, Nasir al-Din. "Maṣādir al-Shi'r al-Jāhilī wa-Qīmatuhā al-Tārīkhīyah". (Beirut: Dar al-Jeel, 1956).
- Al-Jahiz, Abu Amr, "al-Ḥayawān", investigated by: Abd al-Salam Harun, (2nd ed., Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi Press, 1965).
- Al-Khalidiani, Muhammad and Sa'id Ibn Hashim. "al-Ashbāh wa-al-Nazā'ir", vol. 2, investigated by: Muhammad Yusuf, (Egypt: Dar al-Faruq, 2021).
- Al-Razi, Ahmad ibn Faris. "Maqāyīs al-Lugha", investigated by: Abd al-Salam Muhammad Harun, vol. 2, (2nd ed., Beirut: Dar al-Jeel, 1991).
- Al-Roumi, Yaqout al-Hamawi, "Mu'jam al-Udabā'", investigated by: Ihsan Abbas, Vol. 1, (Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1993).
- Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Umar. "Asās al-Balāghah", investigated by: Muhammad Basil Ayun al-Sud, Vol. 1, (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1998).
- Shakir, Mahmud Muhammad. "Muqaddimah Ṭabaqāt Fuḥūl al-Shu'arā'", Vol. 1, (Jeddah: Dar al-Madani).
- Shakir, Mahmud Muhammad. "Namaṭ Ṣa'b wa-Namaṭ Mukhīf",

- (1st ed., Jeddah: Dar al-Madani, 1996).
- Al-Ta'i, Habib ibn Aws. "al-Ḥamāsah", investigated by: Abdullah Abdul Rahim Asilan, (Abu Dhabi: Abu Dhabi Tourism and Culture Authority, 2014).
- Al-Tayyib, 'Abdullah. "al-Murshid ilā Fahm Ash'ār al-'Arab wa-Ṣinā'atihā fī al-Aghrāḍ wa-al-Asālīb", Vol. 1, (Kuwait: Dar Al-Athar Al-Islamiyyah, 1989).
- Al-'Awfi, Hamad Abdullah. "Balāghat Ta'addud Riwayāt al-Naṣṣ al-Shi'rī, Dirāsah fī Dīwān Ash'ār al-Hudhaylīyīn", (1st ed., Sharjah: Malamah Publishing and Distribution House, 2024).
- Al-Qiyam, Omar Hasan Mahmoud. "Maḥmūd Shākir al-Rajul wa-al-Manhaj", (Beirut: Al-Risala Foundation, 1997).
- Lashin, Kamal Abdel-Baqi. "Taqrīb Kitāb Namaṭ Ṣa'b li-Maḥmūd Shākir", (1st ed., Cairo: Dar Al-Haram for Publishing and Distribution, 2025).
- Al-Maymani, 'Abd al-'Aziz. "Buḥūth wa-Maqālāt", Prepared for Publication by: Muhammad Aziz Shams. Vol. 1, (Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1995).

Secondly: Peer-reviewed scientific research:

- Babtain, Yasir bin Muhammad. "al-Tadhawwuq Manhajan lil-Talaqqī wa-Ṣinā'at al-Ma'rifah", Ain Shams University, Annals of the Faculty of Arts, Ain Shams University, Issue: 46, April issue, (2018).
- Lashin, Kamal 'Abd al-Baqi, "Madkhal ilā Manhaj Maḥmūd Muḥammad Shākir", Al-Azhar University Journal, Faculty of Arabic Language, Cairo, Issue: 16, 1998.

بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي

The Eloquence of Separation and Connection (Fāṣl wa-Waṣl) in Ayat al-Kursi

د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، تخصص البلاغة والنقد بجامعة شقراء.

البريد الإلكتروني: awwad.aivan@su.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving		استلام البحث A Research Receiving
2025/02/05		2024/08/25
نشر البحث A Research Publication		
June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-018		

المستخلص

يدرس البحث بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي، ويحاول الكشف عن ملامح أعظم آية في كتاب الله ومظاهر الإعجاز البلاغي فيها، من خلال دراسة أسلوب من أساليب علم المعاني وهو الفصل والوصل، ويفتش البحث في أسباب بروز هذا الأسلوب في آية الكرسي بشكل لافت، ويجلي البحث الأثر الذي تركه أسلوب الفصل والوصل في إعجاز آية الكرسي، وأسباب انتشار جمل الفصل أكثر من الوصل فيها، ويحلل البحث في طيات ذلك الملامح البلاغية والبيانية والنظمية في هذه الآية، وأثر أسلوب الفصل والوصل مع الملامح البلاغية الأخرى في بلوغ هذه الآية قمة البيان وذروة الإعجاز وصدارة آيات الكتاب العزيز.

وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وسلك البحث المنهج الوصفي التحليلي، ولم يخل من المنهج التاريخي والاستقرائي. ومن أهم نتائج البحث: حق لهذه الآية أن تكون أعظم آية في كتاب الله؛ فهي غاصة بالمعاني السامية، وزاخرة بالفضائل الجمّة والبراهين الساطعة، ومن جوامع الآيات القرآنية وروائعها في صدد تقرير توحيد الله وذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، عاجلت كل ذلك بصورة نظامية معجزة. وبروز أسلوب الفصل والوصل في هذه الآية ترك أثرًا في بلاغتها وروعة إعجازها وبديع نظمها. وجلاء أسلوب الفصل أكثر من الوصل بين جمل هذه الآية العظيمة؛ فهو الأنسب في معرض سرد الصفات الإلهية التي توالى في هذه الآية العظيمة بطريقة نظامية معجزة. واشتملت هذه الآية على ما لم تشتمل عليه آية من كتاب الله؛ حيث تضمنت سبعة عشر موضعًا في ذكر اسم الله تعالى؛ ظاهرًا في بعضها، وصفة في أخرى، وضميرًا في بعضها الآخر، وهذا إيجاز الإيجاز.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، إعجاز، الفصل، الوصل، آية الكرسي.

Abstract

This study explores the **rhetoric of separation and connection (fāṣl wa-waṣl)** in **Āyat al-Kursī**, aiming to reveal the distinctive features of the **greatest verse in the Book of Allah** and to uncover aspects of its **rhetorical miracle**, through an analysis of one of the key stylistic devices in the science of *ma'ānī* (the science of meanings): **separation and connection**. The research investigates the reasons for the prominent use of this style in Ayat al-Kursi and clarifies the impact that the style of separation and connection has left on the miracle of Ayat al-Kursi. It also explores the reasons why sentences of separation are more prevalent than those of connection within it. The research analyzes the rhetorical, illustrative, and organizational features within this verse and the impact of the separation and connection style, along with other rhetorical features, in achieving the pinnacle of eloquence, the peak of miraculous expression, and the foremost position among the verses of the Noble Book.

The research includes an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, and a bibliography. The research follows the descriptive-analytical method, without excluding the historical and inductive method.

Among the most important findings of the research: This verse deserves to be the greatest verse in the Book of Allah; it is rich in sublime meanings, abundant virtues, and clear proofs. It is among the comprehensive and marvelous Quranic verses in terms of asserting the oneness of Allah, mentioning His beautiful names and supreme attributes. It dealt with all of this in a miraculously structured manner. The prominence of the separation and connection style in this verse left a mark on its eloquence, the wonder of its miracle, and the beauty of its construction. The clarity of the separation style more than the connection among the sentences of this great verse is most suitable in the context of enumerating divine attributes, which followed in this great verse in a miraculous constructional manner. This verse included what no other verse in the Book of Allah contained, mentioning the name of Allah in seventeen instances, either explicitly, attributively, or in pronominal form. This is the epitome of brevity.

Keywords: Eloquence, Miracle, Separation, Connection, Ayat al-Kursi.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

لا تخفى أهمية الدراسات القرآنية، وخاصة ما يتعلق ببلاغة القرآن الكريم؛ فالدراسات التي ترتبط بأعظم كتاب تكشف لنا مزيداً من أسرار هذا الكتاب العظيم المعجز، والذي أعجز البشر بحسن نظمته وتأليفه وعجيب أسلوبه، أعجز الناس قاطبة جنّاً وإنساً أن يجاروه أو يعارضوه، كيف لا؟ وهو كلام الخالق، فأين نحن منه؟ يقول تعالى: {قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء: ٨٨].

، وجميع ما في القرآن معجز من جميع الوجوه: "بلاغة، ولغة، وتشريعاً، وفقهاً، وأحكاماً، وعبادات، وقصصاً، وأمثالاً، وأخباراً، ومواعظ، وأخلاقاً...؛ إذ هو في ذلك كله -لو كان من صنع مخلوق- لكان على نحو ما قال الله فيه: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]"^(١).

إن المتأمل في كتاب الله يرى عجباً من مظاهر الإعجاز، فكلما ازداد المؤمن فيه تفكيراً وتدبراً تجددت له المعاني، وتكشفت له الدرر والالآئ، وما هذا إلا من بركة القرآن وعلوّ بيانه، {كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]. وكتاب بهذا المستوى العالي نظمًا وأسلوبًا حري بطالب العلم أن يشحذ همته لدراسة بلاغته ونظمه وأسلوبه، بيد أن القرآن الكريم لا يحيط بأسراره

(١) وليد قصاب، "في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم". (ط ١، الإمارات: دار القلم، ١٤٢١هـ)،

محيط ولا يكشف إعجازه كاشف، ومن هنا لم تنزل الدراسات القرآنية حاضرة في مثل هذه الإسهامات عسى أن تنال الشرف في خدمة هذا الكتاب المعجز. وما هذه الدراسة إلا محاولة المقل في بحر هذا الكتاب والغوص في مكوناته؛ للكشف عن شيء من بلاغة هذا الكتاب العظيم.

وقد خصّصت هذه الدراسة بآية الكرسي؛ للتأمل في أسرار تراكيبها ونظمها، من خلال تسليط الضوء على أسلوب برز جلياً فيها وهو أسلوب الفصل والوصل، وجاء اختياري لآية الكرسي؛ لعظم منزلتها بين أي الكتاب، بل هي أعظم آية، فقد اشتملت على توحيد الله وأسمائه وصفاته بما لم تشتمل عليه آية أخرى في كتاب الله، وقد جاءت ألفاظها وتراكيبها في أسمى بلاغة وأرقى مكانة.

ومن دواعي اختياري لهذا الموضوع، والتي تبرز أهميته:

- ١- أهمية هذه الآية العظيمة وعظيم منزلتها بين أي القرآن، بل هي أعظم آية في كتاب الله، ومن جوامع الآيات القرآنية وروائعها في صدد تقرير وحدانية الله وذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، عاجلت كل ذلك بصورة نظامية معجزة.
- ٢- بروز أسلوب الفصل والوصل-الذي يعد مفصل البلاغة، ومطلع الحسن في النظم- في هذه الآية العظيمة بروزاً لافتاً، يستدعي النظر في أثره على سمو بلاغتها وجمال نظمها وروعة إعجازها.
- ٣- كثرة الأحاديث الواردة في الترغيب بقراءتها، وجعلها ورداً للإنسان في أوقاته وفي صباحه ومساءه، وهي حصن حصين من الشياطين وكل الشرور بعد حفظ الله وعنايته، يقول ابن عاشور: "وفيها فضائل كثيرة مجربة للتأمين على النفس والبيت" (١).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ٣: ٢٥.

٤- تضمنت الآية اسمين عظيمين من أسماء الله الحسنى، قيل: إنهما اسم الله الأعظم، وهما (الحي - القيوم)^(١)، فمتى دعا الله العبد باسم من هذه الأسماء العظيمة بحضور قلب ورقة وانكسار لم تكد له دعوة ترد، وهذا مما زادني رغبة لخوض غمار هذه الدراسة في هذه الآية.

٥- لم أقف على دراسة مستقلة وشفافية في بلاغة الفصل والوصل في هذه الآية، مما شجعني على الخوض في غمارها، واستجلاء أسلوب الفصل والوصل فيها. ولو حاول متخصص سر غورها فلن يفلح، ولكنه جهد المقل؛ لتبقى معنا لا ينضب لكل متعطّش لكلام الله وعظيم بيانه.

أسئلة البحث:

- ١- لماذا برز أسلوب الفصل والوصل في آية الكرسي؟
- ٢- لماذا تجلّى الفصل أكثر من الوصل في هذه الآية؟
- ٣- ما الذي أضافه هذا الأسلوب في نظم الآية وإعجازها؟

أهداف البحث

- ١- يحاول البحث الكشف عن مظاهر الإعجاز البلاغي في آية الكرسي، من خلال دراسة أسلوب من أساليب علم المعاني^(٢) وهو الفصل والوصل، وهو

(١) يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: "وهما من أعظم أسماء الله الحسنى"، ويقول: "فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها". محمد بن أبي العز الحنفي، "شرح العقيدة الطحاوية"، تحقيق شعيب الأرنؤوط، د. عبد الله التركي. (ط ١٠)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ)، ص ٨٩، ٩٠.

(٢) علم المعاني أحد علوم البلاغة الثلاثة، بل هو رأسها وأتمها وأكملها؛ فبعد القاهر الجرجاني وغيره علّلوا به إعجاز القرآن، فهو مدار الحجّة القاطعة والعلامة الساطعة. ينظر: شوقي ضيف، "البلاغة تطور وتاريخ". (ط ١١)، القاهرة: دار المعارف، ص ٢٢٢.

ملمح ظاهر في هذه الآية العظيمة.

- ٢- يجلي البحث الأثر الذي تركه أسلوب الفصل والوصل في إعجاز آية الكرسي، وفي تقرير عقيدة التوحيد وعظمة الخالق، وفي سرد الصفات الربانية التي توات في هذه الآية العظيمة بطريقة نظامية معجزة.
- ٣- يبرز البحث أسباب جلاء الفصل أكثر من الوصل في آية الكرسي.

الدراسات السابقة

من خلال تتبعي واستقصائي لما كتب حول آية الكرسي لحظت أن ما كتب لا يعدو أن يكون إشارات مبثوثة متناثرة في بحوث عامة، أو دراسات شاملة لأي القرآن الكريم، أو مقالات عامة وتعليقات يسيرة هنا وهناك، ولم أجد دراسة أكاديمية مستقلة مستفيضة انفردت بدراسة أسلوب الفصل والوصل في هذه الآية العظيمة، بيد أن ثمة دراسات درست آية الكرسي دراسة نحوية، أو معجمية، أو لسانية، أو نظامية، لكنها لم ترو ظمئي؛ إذ لم تتطرق إلى دراسة هذه الظاهرة البارزة في هذه الآية العظيمة دراسة مستقلة مستفيضة، ومن تلك الدراسات:

- ١- الفضل والبيان لأعظم آية في القرآن، لعماد زهير حافظ. وهو بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد التاسع والأربعون، عام ١٤٢٦هـ. وهو بحث مجاله التفسير؛ تناول الآية من حيث فضلها، ومن حيث تفسيرها وبيانها، وأودع فيه بعض اللطائف اللغوية والبلاغية.
- ٢- آية الكرسي دراسة لسانية نصية، لمحمد عبد الله العجل. وهي رسالة دكتوراه في جامعة العلوم الإسلامية في الأردن، ٢٠١٤م. وهذه الدراسة ركزت على الجانب اللساني والنصي في آية الكرسي، ولم تعط أسلوب الفصل والوصل ما يستحقه كظاهرة بارزة في الآية.
- ٣- آية الكرسي فضلها وتفسيرها، لسحر سراج. وهي رسالة ماجستير في جامعة

الرباط في المغرب، عام ٢٠١٥م. وكان تناول الرسالة تناول المفسرين والأصوليين من ناحية تفسيرية صرفة.

٤- أحوال البيان في آية الكرسي "دراسة أسلوبية"، لمحمد علي ناجي المساوي. وهو بحث منشور في مجلة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية في اليمن، ٢٠٢٠م. ودرس البحث آية الكرسي من حيث اللغة والمعنى وفق المنهج الأسلوبي الحديث.

٥- إعجاز النظم القرآني في آية الكرسي، للباحث ارشيد غصاب الشرفات. وهو بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، المركز القومي للبحوث في غزة، العدد الرابع، المجلد الرابع، عام ٢٠٢١م. وهو بحث مختصر لم يتجاوز الثلاث عشرة صفحة، وتحدث فيه بشكل عام عن الأساليب البلاغية المتوفرة في الآية دون التركيز على بلاغة الفصل والوصل فيها.

وغير هذه الدراسات التي أجادت في الحديث عن آية الكرسي، وعالجت قضايا أخرى ولم تتحدث بشكل خاص عن الفصل والوصل الذي يعد الملمح البارز في هذه الآية، أو مرّت عليه مروراً سريعاً لا يضاهي تحليله في الآية الكريمة. وفي هذه الدراسة إن شاء الله ومن خلال الإجابة على أسئلة البحث، وتحقيق أهدافه المذكورة سابقاً^(١)، تتبين إن شاء الله إضافة البحث، وما انفرد به عن غيره من دراسات سابقة.

خطة البحث

دعت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة؛ عرضت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأسئلته، والدراسات السابقة، وخطّته، ومنهجه. تلاها تمهيد؛ تحدثت فيه أولاً

(١) ينظر: ص ٥ من هذا البحث.

عن الفصل والوصل عند البلاغيين، وألححت إلى الفصل والوصل بين المفردات مبيِّناً آراء العلماء في ذلك^(١)، وثانيًا عن آية الكرسي؛ من حيث اسمها، ونزولها، ومقصودها، وفضلها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها. وانتظم البحث في مبحثين، الأول: مواضع الفصل في آية الكرسي وبلاغتها، والمبحث الثاني: مواضع الوصل في آية الكرسي وبلاغتها. ثم خاتمة عرضت فيها نتائج البحث وتوصياته، وذيلت البحث بثبت للمصادر والمراجع.

منهج البحث

درست آية الكرسي دراسة وصفية تحليلية، مع الاستفادة من المنهج التاريخي والاستقرائي في أجزاء من هذا البحث، كل جملة من جمل هذه الآية العظيمة أدرسها على حدة، أحللّها تحليلًا بلاغيًا في السياق الذي وردت فيه، مجلّيًا أسلوب الفصل والوصل فيها، غير مغفل الأساليب البلاغية الأخرى التي انتظمت مع هذا الأسلوب، مبرزًا أثر ذلك في بلاغة الآية وإعجازها.

وبعد، فهذا ما أردت تحقيقه، فإن كمل أو قارب الكمال وتمّ على الوجه المرجو فهو المراد والبعية وذلك فضل من الله ومنّة، وإن كان ثمة قصور -ولا يخلو عمل بشري من قصور- فعزائي أني بذلت الجهد وحاولت بلوغ القصد، والأعمال بالنيات وربّي هو العالم بالمراد والموفق إلى السداد والرشاد، والحمد لله رب العالمين.

(١) سلكت في بحثي واستخراج الشواهد من الآية مسلك الجمهور في أن الفصل والوصل لا يقع إلا بين الجمل.

التمهيد

أولاً: الفصل والوصل عند البلاغيين

التركيب القرآني تركيب محكم دقيق جاء في أحسن تأليف وأبدع نظام، وليس خافياً أن إعجاز القرآن وسرّ بلاغته يكمن في روعة نظمه وحسن تأليفه ودقة تركيبه، ومن أهم التراكيب والأساليب التي سلكها الذكر الحكيم (أسلوب الفصل والوصل). فالوصل: هو عطف الجمل على بعض، والفصل: ترك ذلك العطف^(١)، ومن تعريفاته أنه: "معرفة مواضع العطف والاستئناف والتهديّ إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواضعها"^(٢).

وهو باب دقيق المسلك، وقصر بعض البلاغيين معرفة البلاغة على هذا الأسلوب، فقد نقل الجاحظ في صدد تعريفه للبلاغة أنه: "قيل للفارسي^(٣): ما

(١) ينظر: الخطيب القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص ١٧٥.

(٢) أبو بكر الرازي، "روضة الفصاحة". تحقيق خالد الجبر، (ط١)، عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص ١٧٥، وينظر: شهاب الدين الحلبي، "حسن التوصل إلى صناعة الترسّل". تحقيق أكرم عثمان يوسف، (العراق: دار الرشيد للنشر، د.ت)، ص ١٨٥.

(٣) الجاحظ حين قال: قال الفارسي، إنما كان يعني به جنس الفرس؛ لأنه ذكر بعد ذلك اليوناني، والرومي، والهندي، ثم لو افترضنا جدلاً أن التعريف لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، فهل يعقل أن يذكره الجاحظ له؟ وهو قبله بأكثر من مئة سنة. ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ٩١، وينظر: د. محمد الصامل، "فضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين". مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٤٥، (١٤٢٥هـ): ص ٢٥٢.

البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل^(١)، ولذلك عدّت المعرفة بمواضع الفصل والوصل "من حلية البلاغة"^(٢).

ولعل السرّ يعود إلى غموضه ودقّة مسلكه، وأن أحدًا لا يكمل فيه إلا كمل في غيره في فنون البلاغة، ولا يتأتّى إلا لذوي الطبع والأعراب الخلّص^(٣).

وإذا كانت مرحلة الفصل والوصل عند الجاحظ وأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تمثل البدايات لتتبع هذا الفنّ البلاغي، فقد ورد عند غيرهما إشارات موجزة كما عند الباقلاني^(٤)، والقاضي عبد الجبار^(٥).

وعندما نصل إلى عبد القاهر الجرجاني نجده يفرد عنوانًا خاصًا أسماه (القول في الفصل والوصل)^(٦)، ويمكن أن توصف دراسة عبد القاهر أنها البداية الحقيقية لدراسة الفصل والوصل دراسة تفصيلية، وقد تميّز في ذلك، يقول في بداية حديثه عن الفصل والوصل: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والحجىء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلّص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في

(١) المرجع السابق، الجاحظ.

(٢) أبو هلال العسكري، "كتاب الصناعتين". تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ((بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ)، ص ٤٣٨.

(٣) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ٢٢٢.

(٤) ينظر: الباقلاني، "إعجاز القرآن"، ص ٣٧، ٣٨.

(٥) ينظر، القاضي عبد الجبار، "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، ١٦: ٣٧٩.

(٦) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ٢٢٢.

ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة"^(١).

ثم نلاحظ تتابع البلاغيين في التأثير بما ذكره عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، كما الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز^(٢)، والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) في مفتاح العلوم^(٣).

وحظي الفصل والوصل بعناية بالغة عند الزملكاني (ت ٦٥١هـ) في كتابه البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن^(٤)، حيث درس الفصل والوصل بين المفردات علاوة على الجمل^(٥)، وتابعهم كذلك بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ) في كتابه المصباح، حيث جعل الفصل والوصل أول أبواب أحوال انتظام الجمل^(٦)، والخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) في كتابه الإيضاح في تلخيص المفتاح^(٧)، وسلك الطبي (ت ٧٤٣هـ) مسلك السابقين كذلك في كتابه التبيان^(٨)، والبابري (ت ٧٨٦هـ) في

(١) المرجع نفسه.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز". تحقيق بكرى الشيخ أمين، (ط ١)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م)، ص ٣٢١-٣٣٦.

(٣) ينظر: أبو يعقوب السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبط وشرح وتعليق: نعيم زرزور، (ط ٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٤٨-٢٧٦.

(٤) ينظر: كمال الدين الزملكاني، "البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن". تحقيق د. خديجة الحديثي، د. أحمد مطلوب، (ط ١)، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٤هـ)، ص ٢٦٠-٢٨٩.

(٥) وهو بهذه الدراسة يكون أول من اعتنى بدراسة الفصل والوصل بين المفردات.

(٦) ينظر: بدر الدين بن مالك، "المصباح في المعاني والبيان والبديع". تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، (القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعها بالجماميز، د.ت)، ص ٥٨.

(٧) ينظر: جلال الدين القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، (ط ٣)، بيروت: دار الجليل، ٣: ٩٧.

(٨) ينظر: شرف الدين الطبي، "التبيان في علم المعاني والبديع والبيان". تحقيق هادي عطية مطر

=

شرحه على التلخيص^(١)، وسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١هـ) في المطول^(٢)، والسيوطي (ت ٩١١هـ) في شرح عقود الجمان^(٣)، وابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠هـ) في مواهب الفتاح^(٤).

وقد اقتصر جمهور البلاغيين على دراسة الفصل والوصل على ما يقع بين الجمل^(٥)، ومن البلاغيين القلائل الذين درسوه بين المفردات علاوة على دراسته بين الجمل: الزمخشري في تفسيره الكشاف، ويحيى العلوي (ت ٧٤٩هـ) في كتابه الطراز، وبهاء الدين السبكي (ت ٧٦٣هـ) في عروس الأفراح^(٦).

ومصطلح الفصل والوصل من المصطلحات الثنائية المقترنة بمقابلها، فالفصل وحده مصطلح والوصل مصطلح آخر، ولكنهما يمثلان لوناً من المصطلحات المقترنة التي تدرس فيها الظواهر الأسلوبية المتقابلة ولا يدرس كل واحد على حدة، وهذا

=

- الهلال، (ط ١، بيروت: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٧هـ)، ص ١٣٠-١٤٤.
- (١) ينظر: أكمل الدين الباري، "شرح التلخيص". تحقيق محمد مصطفى رمضان صوفيه، (ط ١، طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٣٩٢هـ)، ص ٣٧١-٤١٩.
- (٢) ينظر: سعد الدين التفتازاني، "المطول في شرح تلخيص المفتاح". (مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ)، ص ٢٤٧-٢٨٢.
- (٣) ينظر: جلال الدين السيوطي، "شرح عقود الجمان". (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ)، ص ٥٨.
- (٤) ينظر: ابن يعقوب المغربي، "مواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص". (بيروت: دار السرور، د. ٣٣: ٣).
- (٥) وقد نحوت نحوهم في هذه الدراسة.
- (٦) ينظر: د. محمد الصامل، "قضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين"، ص ٢٦٦-٢٦٨.

المسلوك ظاهر في الموضوعات البلاغية، مثل: الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وغيرها، ولعل مثل هذه الظاهرة تعد من الإيجابيات في الدراسات البلاغية؛ لكونها تجمع المتقابلات في حيز واحد فيسهل استيعاب الموضوع^(١).

ويلحظ أن جمهور البلاغين التزموا تقديم الفصل على الوصل في عنوان الباب؛ لأن الفصل أصل والوصل طارئ عليه، ولأن مدار الفصل على جهتين الاتحاد والمباينة، ومدار الوصل على جهة واحدة وهي التوسط^(٢).

ويمكن إيجاز مواطن الفصل فيما يأتي:

١- كمال الاتصال بين الجملتين؛ بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى، أو بدلاً منها، أو عطف بيان لها.

٢- شبه كمال الاتصال؛ إذا كانت الجملة الثانية بمنزلة الجواب عن سؤال مقدر يفهم من الجملة الأولى، فتفصل الجملة الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى هذا النوع من الفصل استثناءً بيانياً.

٣- كمال الانقطاع بين الجملتين، وله صورتان؛ الأولى: اختلاف الجملتين خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط. الثانية: اتفاق الجملتين من غير جامع بينهما ولا مناسبة.

٤- شبه كمال الانقطاع بين الجملتين؛ بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة ما يعطف على الجملة الأولى ولكن عطفها عليها يوهم أنها معطوفة على غيرها،

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

(٢) ينظر: عبد الله الحاج الشنقيطي، "فيض الفتاح على نور الأفاح". تحقيق محمد الأمين محمد

يب، (ط ١٤٢٠هـ)، ٢: ٥.

فتفصل لدفع هذا الإيهام^(١)، كقول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي لها بدلا أراها في الضلال تميم^(٢)

فجملة (أراها) يمكن عطفها على (تظن) للتناسب بينهما؛ لكن تُجَنَّب العطف لئلا يتوهم السامع أنها معطوفة على (أبغي) ولأصبح هذا الأمر من مظنونات سلمى، وحينئذ يفسد المراد الذي هو إثبات أن سلمى لم تصب في ظنها^(٣).

وأما مواطن الوصل فتتمثل فيما يأتي:

١- كمال الانقطاع بين الجملتين مع وجود إيهام، فيتعين الوصل لدفع إيهام خلاف المقصود، ويتضح هذا في الجمل الإنشائية الدعائية الواقعة بعد الخبر، كقول: لا، وعافاك الله.

٢- التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال، وهو ضربان؛ الأول: الاتفاق بين الجملتين خبراً أو إنشاء لفظاً أو معنى، الثاني: الاتفاق بينهما معنى فقط^(٤).

ثانياً: آية الكرسي

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ

(١) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ٢٢، والقزويني، "الإيضاح"، ٣: ١١٦.

(٢) البيت من الكامل، ولا يعرف قائله. ينظر: أبو الفتح العباسي، "معاهد التنصيص"، ١: ٢٧٩.

(٣) ينظر: السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٢٦١، والقزويني، "الإيضاح"، ٣: ١١٧، وأبو الفتح العباسي، "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ١: ٢٧٩، ٢٨٠.

(٤) ينظر: القزويني، "الإيضاح"، ٣: ١٢٦-١٢٨.

بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي، د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزي

كُرْسِيُّهُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضُ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ {
[البقرة: ٢٥٥].

اسمها

سميت آية الكرسي بهذا الاسم؛ لأن كلمة (الكرسي) هي الظاهرة في الآية وقد ذكرت فيها، والمتبّع لهذه اللفظة في أي الذكر الحكيم يجد أنها وحيدة في القرآن صيغة ومادة^(١).

نزول سورة البقرة، وآية الكرسي

سورة البقرة مدنية بالإجماع، وهي من أوائل السور نزولاً في المدينة، ونزلت في مدد شتى، وفيها آخر آية نزلت، وهي قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١]، نزلت يوم النحر في حجة الوداع، وقيل: إن هذه الآية ليست مدنية، والصحيح أنها مدنية.

ومن أسمائها: البقرة؛ لاشتغالها على قصة البقرة، وسورة الكرسي؛ لاشتغالها على آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن، وسنام القرآن؛ لقوله عليه وسلم: "إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآن سورة البقرة"^(٢)، والزهاء؛ لقوله عليه وسلم: "اقرأوا

(١) ينظر: محمد بن أبي شيبه، "العرش وما روي فيه". تحقيق محمد بن خليفة التميمي، (ط ١)، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ)، ص ١٠٥، وأبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٢: ٦٠٦، وعائشة بنت الشاطي، "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق". (ط ٣، دار المعارف، د.ت)، ص ٤٣١.

(٢) حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ينظر: أبو عبد الله الحاكم، "المستدرک علی الصحیحین". تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (١)، بيروت: دار الكتب

الزهرابين: البقرة، وآل عمران^(١). وهي السورة الثانية في ترتيب سور القرآن الكريم، واختلف في عدد آياتها قيل: مئتان وخمس وثمانون، وقيل: مئتان وست وثمانون، وقيل: مئتان وسبع وثمانون، وفي المصحف مئتان وست وثمانون آية^(٢).

ونزلت آية الكرسي وثلاثون ألف ملك يشيعها وكان نزولها ليلاً، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم زيداً فكتبها، وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال: " لما نزلت آية الكرسي خَرَّ كل صنم في الدنيا، وخرَّ كل ملك في الدنيا وسقطت التيجان عن رؤوسهم، وهربت الشياطين يضرب بعضهم على بعض إلى أن أتوا إبليس فأخبروه بذلك فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك، فجاءوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت"^(٣).

مقصود سورة البقرة، وآية الكرسي

تضمنت سورة البقرة قواعد الدين، ومن أهم مقاصدها إقامة الدليل على أن

=

العلمية، ١٤١١هـ)، ١: ٧٨٤، رقم (٢٠٥٨).

(١) حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ينظر: الحاكم، "المستدرک على الصحيحين"، ٢: ٣١٥، رقم (٣١٣٥).

(٢) ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ)، ١: ١٥٢، ومجدد الدين الفيروز آبادي، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ)، ١: ١٣٣، ١٣٤، والشهاب الخفاجي، "عناية القاضي وكفاية الرازي". (بيروت: دار صادر، د.ت)، ١: ١٥٢، والشوكاني، "فتح القدير". (ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ)، ١: ٣٢، والقاسمي، "محاسن التأويل". تحقيق محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ١: ٢٤١.

(٣) ينظر: القرطبي، "تفسيره"، ٣: ٢٦٨، والفيروز آبادي، "بصائر ذوي التمييز"، ١: ١٠٣.

الهداية والفلاح والنجاة والنجاح في هذا الكتاب العظيم، من اتبعه وتمسك به هُدي ومن أعرض عنه ضلّ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب والإيمان بالبعث والإيمان بالآخرة، كما تضمنت السورة إثبات قدرة الله تعالى وعظمته^(١)، ولا بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) كلام لطيف عن سورة البقرة، يقول: "هذه السورة مترامية أطرافها وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيها فسطاط القرآن، فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان"^(٢)، ثم يقسم أغراضها قسمين: "قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم"^(٣).

وآية الكرسي بسردها للصفات الربانية المتوالية تثبت ألا معبود يستحق العبادة سواه، وأنه هو العظيم القادر الذي يجب أن تدعن له جميع المخلوقات عبودية وطاعة وإجلالاً.

فضل سورة البقرة، وآية الكرسي^(٤)

ورد في فضل آية الكرسي وفضل قراءتها، وفي فضل سورة البقرة كذلك أحاديث شتى؛ منها الصحيح والضعيف، وسأقتصر على الصحيح منها إن شاء الله؛ ففيها غنية. ومن الصحيح الوارد حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قلت: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

(١) ينظر: أبو بكر البقاعي، "مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور". (ط ١)، الرياض:

مكتبة المعارف، ١٤٠٨، ٢: ٩.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٠: ٢٠٣.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) إدخال سورة البقرة ضمن الحديث عن آية الكرسي؛ للارتباط الوثيق بينهما، فأعظم آية في القرآن وردت في سورة لها شأن عظيم وفضائل لا تحصى.

الْقِيَوْمَ}، فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده أن لها لسناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش" (١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحنو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقصص الحديث، فقال: "إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدقك وهو كذوب؛ ذاك شيطان" (٢).

وما ورد في فضل سورة البقرة التي من ضمنها آية الكرسي ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة" (٣).

وقد جمعت هذه الآية أصول الأسماء والصفات السبعة: الإلهية، والوحدانية، والحياة، والعلم، والملك، والقدرة، والإرادة (٤). و"إنما صارت آية الكرسي أعظم؛ لعظم

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم. ينظر: الإمام أحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد". تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، إشراف د. عبد الله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ)، ٣٥: ٢٠٠، رقم (٢١٢٧٨)، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م)، ١: ٥٥٦، رقم (٨١٠).

(٢) البخاري، "الجامع الصحيح". تحقيق جماعة من العلماء، (ط١، بولاق: مصر، الطبعة السلطانية، ١٤٢٢هـ)، ٤: ١٢٣، رقم (٣٢٧٥).

(٣) ينظر: "صحيح مسلم"، ١: ٥٣٩، رقم (٧٨٠).

(٤) ينظر: النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ٦: ٩٤، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٤.

مقتضاها، فإن الشيء يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته^(١).

مناسبة آية الكرسي لما قبلها وما بعدها

مناسبتها لما قبلها

لما ذكر الله عز وجل في الآيتين السابقتين إرسال الرسل وفضل بعضهم على بعض؛ فمنهم كليم الله، ومنهم من رفعه درجات على غيره، ومنهم من خصّه بالذكر والتأييد وهو عيسى عليه السلام، ثم بين حال اليهود والنصارى الذين انحرفوا عن الدين الحق ونسبوا إلى الله ما لا يجوز، وكان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وكان منهم المشركون المنحرفون في دينهم ومعتقدهم، ثم ذكر هول يوم القيامة وحال الكافرين فيها وأنه لا بيع فيها ولا شفاعة وأن الكافر سينال عقابه، جاءت آية الكرسي التي تتضمن قواعد التصور الإيماني والتي اشتملت على أسماء الله وصفاته الدالة على كماله وقدرته وعظمته؛ لتنبيههم إلى العقيدة الصحيحة التي هي محض التوحيد وهي الدين الخالص التي دعا إليها الرسل جميعاً للتمسك بها وطرح ما سواها، وأن عبادته بحق هي التي تنجي من أهوال يوم القيامة^(٢).

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور أن هذه الآية كالبرزخ بين الأغراض السابقة واللاحقة ابتدأت "بتمجيد الله تعالى وذكر صفاته؛ إبطالاً لكفر الكافرين وقطعاً لرجائهم، لأن فيها {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}، وجعلت هذه الآية

(١) ينظر: بدر الدين الزركشي، "البرهان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١)،

القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٦هـ)، ١: ٤٤٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٠٧، وشهاب الدين الألوسي، "روح المعاني في تفسير

القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي عبد الباري عطية، (ط١)، بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٤١٥هـ)، ٢: ٦.

ابتداءً لآيات تقرير الوحدانية والبعث^(١).

مناسبتها لما بعدها

المناسبة بين آية الكرسي وما بعدها ظاهرة بينة؛ لأنه سبحانه لما بين في آية الكرسي دلائل وحدانيته وعظمته، وسرد صفاته الموجبة لتنزيهه عن كل نقص وعبادته وحده دون سواه، وهذا مما يدعو أولي الألباب على اختيار الدين الحق وقبوله والانقياد إليه دون تردد أو إجبار، فكانت الآية التي بعدها استثناءً بيانيًا وكأنها تجيب عن سؤال: أيتكون على الشرك أم يكرهون على الإسلام؟ والجواب: لا إكراه في الدين^(٢).

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ١٧.

(٢) ينظر: فخر الدين الرازي، "التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٧: ٥، وأبو بكر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ٤: ٢٥، ٢٦، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٥.

المبحث الأول: مواضع الفصل في آية الكرسي وبلاغتها

توطئة

حفلت آية الكرسي بكثير من مواضع الفصل والوصل، بل كان هذا الأسلوب هو السمة البارزة في هذه الآية العظيمة، وذلك لأسرار ونكاتٍ ستبين لنا إن شاء الله من خلال تحليل جمل هذه الآية الكريمة، واستجلاء إعجازها وبلاغتها. وسأدرس إن شاء الله جمل هذه الآية جملةً جملةً بناءً على ترتيبها في الآية العظيمة، أبرز جانب الفصل والوصل فيها وأثر ذلك في بلاغة الآية، ولن أغفل الجوانب البلاغية الأخرى التي تخدم المعنى وتعضد الأسلوب المدروس؛ حيث إن الجملة الواحدة تتضمن أكثر من فن بلاغي أو سرّ بلاغي، ودراستها في سياقها ونظمها يحافظ على بمائها ورونقها، ويكشف بلاغتها وإعجازها.

وقدمت دراسة الفصل على الوصل؛ لأن هذه عادة البلاغيين عندما يدرسون هذا الأسلوب ويحلّلون شواهد، ولبروز أسلوب الفصل في هذه الآية بروزاً واضحاً وجلياً مقارنة بالوصل، حيث جاءت سبع جمل مفصولة عما قبلها، بينما جاءت ثلاث جملة موصولة بما قبلها.

وقبل أن أبدأ بتحليل جمل الآية الكريمة يجدر أن أوضح هنا أن آية الكرسي تضمّنت صفات الباري جل في علاه، وحين تكون المفردات صفات لذات واحدة يمكن أن تجتمع في الظاهر فالأصل حينئذ الفصل؛ لأنها بمثابة الشيء نفسه، ولو جاء الوصل لكان عطفاً للشيء على نفسه وهذا لا يكون؛ لأن العطف يقتضي التغاير، ولهذا يقول الزمخشري: "فإن قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف؟ قلت: ما منها من جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان والبيان متّحد

بالمبين، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: بين العصا ولحائها^(١).
ويقول كمال الدين الزملكاني: "الأصل في الصفات أن لا يعطف بعضها على بعض؛ لاتحاد محلها وقيامها مقام الموصوف"^(٢).

والمستحب لورود صفات الله تعالى في القرآن الكريم يلحظ مجيئها مفصولة في غالبها؛ لكونها صفات ذات واحدة لله سبحانه وتعالى، يقول يحيى العلوي: "فأما الأوصاف الجارية على الله تعالى فقلما يأتي فيها العطف؛ وما ذاك إلا لأنها أسماء دالة على الذات باعتبار هذه الخصائص لها ووافقت الذات في عدم الأولوية لها، فلأجل هذا جرت مجرى الأسماء المترادفة"^(٣)، ولهذا يمكن القول: إن الصفات الخاصة بالله جل وعلا متحدة باعتبار الذات، ومتعددة باعتبار الصفات.

وإلى مواضع الفصل في هذه الآية:

الجملة الأولى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

افتتحت الآية الكريمة افتتاحاً فيه براعة استهلال براعة لا تضاهيها براعة، حيث صُدِّرت بالاسم العلم الفرد الجامع الذي لم يتسم به غيره وهو (الله)، كما قال سبحانه: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مریم: ٦٥]، فهو من أعظم مقاماته سبحانه، فالله

(١) ينظر: أبوبكر الخوارزمي، "الأمثال المولدة". (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ)، ص ١٢٤، والزمخشري، "الكشاف"، ١: ٣٠٢. واللحاء قشر الشجر. وفي المثل: "لا تدخل بين العصا ولحائها، ولحوت العصا ألحوا لحوتاً، إذا قشرتها". ينظر: مادة (لحى)، أبو نصر الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ)، ٦: ٢٤٨٠.

(٢) كمال الدين الزملكاني، "البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن"، ص ٢٨٣.

(٣) يحيى العلوي، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". (ط١)، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ٢: ٢١.

هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين؛ لما اتّصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وهو الملك المستحق للكمال، المنزه عن الشوائب والنقص، الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال. وأصل اسم (الله) (الإله) على القول الصحيح، ودخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى^(١). وعندما نقول (الله) فإنّ الذهن لا ينصرف إلا إلى الذات الواجبة الوجود، المتصف بكل صفات الكمال المنفرد بهذا الاسم، "فإن العلم أعرف المعارف؛ لعدم احتياجه في الدلالة على مسماه على قرينة أو معونة لولا احتمال تعدد التسمية، فلما انتفى هذا الاحتمال في اسم الجلالة كان أعرف المعارف"^(٢).

ويجدر القول هنا أن قوله تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} كلام مستأنف مرتبط بما قبله ارتباطاً قوياً وهو غاية في الفخامة والعظمة، وفصل عما قبله لشبهه كمال الاتصال، فكأن هذه البداية في هذه الآية جاءت جواباً لسؤال مقدر فهم من الآية السابقة، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفْعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، ففصلت عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، كأنه سئل: لمن الملك والأمر في ذلك اليوم الذي لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة؟ فجاءت هذه الآية مثبتة لله صفات الكمال، وأن الملك والأمر والعبادة له دون سواه، نافية أن يكون لأحد سواه ملك في ذلك اليوم، و{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} هي "المقصود الأعظم من جميع الشرائع"^(٣)، وفيها تخلية وتحلية.

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ٤: ٢٧، ٢٨، والسّعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط٤)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ)، ص ٣٩، ١١٠.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ١٧.

(٣) البقاعي، "نظم الدرر"، ٤: ٢٨.

وقد يقال: إن هذه الجملة التي تمثل بداية الآية الكريمة جملة خبرية فصلت عن الآية السابقة التي ابتدأت بجملة إنشائية (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا)، وعلى هذا يكون الفصل لكمال الانقطاع بين الجملتين لاختلافهما خبراً وإنشاءً.

الجملة الثانية: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ}

هذان الاسمان العظيمان^(١) أحاطا بجميع مباحث العلم الإلهي، ومن هذين الاسمين تتشعب جميع المسائل المعتبرة في علم التوحيد. ف (الحي) الباقي الدائم الذي له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات والذي لا يعتريه العدم، وهو اسم من أسماء الله الحسنى يسمّى به، والحياة صفة دلت على كون الله تعالى عالماً قادراً^(٢). و (القيوم) هو القائم الذي يقوم بالأمر ويدبره أحسن تدبير، فهو القائم بنفسه المستغني عن جميع خلقه والقائم بجميع الموجودات، فهو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلّها^(٣)، "فالحياة أصل جميع الصفات، وذكر معها قِيُومِيَّتِهِ المقتضية لذاته وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه"^(٤).

وذكر المفسرون ومعربو القرآن في إعراب (الحي) أوجهًا عديدة؛ فبعضهم رجّح أن تكون صفة، وآخرون لم يجوّزوا الوصفية؛ لأن المضمّر لا يوصف، وكثير منهم جوّز

(١) جاء اقتران هذين الاسمين، المتضمّنين صفتين في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم: في هذه الآية، وفي قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران: ٢]، وقوله تعالى: {وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١].

(٢) ينظر: الرازي، "التفسير الكبير" ٧: ٦، ٧، والبقاعي، "نظم الدرر" ٤: ٣٠، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص ١١٠.

(٣) الرازي، "التفسير الكبير" ٧: ٦.

(٤) يسرى السيد محمد، "بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية". (ط ١)، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ، ١: ٤١٣.

الجميع دون ترجيح أو تفضيل^(١)، ومن ضمن ما ذكروا -وهو الذي سرت عليه- أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، و(القيوم) صفة ل(الحي).

وهذه الجملة فصلت عما قبلها لكمال الاتصال بينهما، فالجملة الثانية بيان للأولى وأفاد الفصل استقلالها؛ لأنها لو وصلت لكانت كالتبعية، فلما وحد الله تعالى نفسه الشريفة أثبت استحقاقه لذلك بحياته، ولأنها حياة أبدية أتبعها بوصف القيومية، وهي مبيّنة لما تضمنته جملة ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من أنه القائم بتدبير الخلق، فاختصاصه بالألوهية يقتضي أنه المدبر لا غيره^(٢).

وقدم الحي على القيوم؛ لأن "أول صفة يجب أن تكون لذلك الإله، لأن القدرة بعد الحياة والعلم بعد الحياة، فكل صفة لا بد أن تأتي بعدها"^(٣).

وقيل: إن (الحي القيوم) مجتمعان هما اسم الله الأعظم، وقيل: (الحي) فقط، وقيل: (القيوم) فقط. ومما يدل على عظم هذا الاسم (الحي القيوم) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد عليهما في ذكره في سجوده يوم بدر^(٤). يقول الرازي: "فظهر أن هذين اللفظين كالحيطين بجميع مباحث العلم الإلهي، فلا جرم بلغت هذه الآية في

(١) ينظر مثلاً: أبو جعفر النحاس، "إعراب القرآن". تحقيق زهير غازي زاهد، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ)، ١: ٣٣٠، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٠٩، وأبو البقاء العكبري، "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد البجاوي، (عميسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت)، ١: ٢٠٣.

(٢) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ٤: ٢٩، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ١٧، ١٨.
(٣) محمد متولي الشعراوي، "تفسير الشعراوي". (مصر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م)، ٢: ١٠٩٢.

(٤) كما روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: الرازي، "التفسير الكبير"، ٧: ٦، والقرطبي، "تفسيره"، ٣: ٢٧١.

الشرف إلى المقصد الأقصى، واستوجب أن يكون هو الاسم الأعظم من أسماء الله تعالى^(١).

وقد حرّر هذه المسألة -اسم الله الأعظم- الشيخ ابن سعدي (ت ١٣٧٦هـ) عندما سئل عن اسم الله الأعظم، هل هو اسم معين معروف أو اسم غير معين ولا معروف؟ فقال رحمه الله: "بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى لا يعرفه إلا من خصّه الله بكرامة خارقة للعادة وهذا ظنّ خطأ، فالصواب أن أسماء الله الحسنى كلها حسنى وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل على جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل على معاني جميع الصفات مثل (الله)؛ فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها وهي جميع أوصاف الكمال، ومثله (الحَيّ القيّوم) فإن الحيّ من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات، والقيّوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه وقام بجميع الموجودات، فهو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلّها. فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس، وهو الذي تدل عليه الأدلة الشرعية، والاشتقاق"، ثم ساق بعض الأدلة على ذلك^(٢).

فمتى دعا العبد ربه باسم من هذه الأسماء العظيمة بانكسار قلب وتذلّل وخضوع مع حسن ظن بالله تعالى، وتوفر شروط إجابة الدعاء وانتفاء الموانع، لم تكد دعوة له تردّ، بفضل الله ومنّه.

(١) الرازي، "التفسير الكبير"، ٧: ٧.

(٢) ينظر: عبد الرحمن السعدي، "تفسير أسماء الله الحسنى". جمع وتحقيق عبيد بن علي العبيد، جمعه المحقق من كتب الشيخ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١١٢، (١٤٢١هـ): ص ١٦٥-١٦٧.

الجملة الثالثة: { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ }

السَّيِّئَةُ: من الفعل وسن، والأصل في معنى السَّيِّئَةِ الغفلة والغفوة^(١)، وهو نعاس يبدأ في الرأس وهو أول النوم، أو ريح النوم التي تأخذ في الوجه، وسمي بها النعاس لما ينتاب الإنسان فيه من الغفلة والفتور والاسترخاء فينعس الإنسان مع بقاء شعوره بمن حوله، فإذا صار إلى القلب فهو نوم يزول معه العقل والقوة والإحساس^(٢).
ومنه قول الشاعر:

وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَنَّتْ ... فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ^(٣).

وعبر بالأخذ دون غيره؛ حيث إن النوم ومقدماته يعرضان للإنسان بطريق الاستيلاء والقهر والغلبة كما يعبر عن الأسير بالأخذ والمأخوذ فهو مأخوذ غلبة وقهراً، والله سبحانه لا يقهر ولا يغلب^(٤)، ولا يغفل عن دقيق ولا جليل، فلا تحله الآفات والعاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات.

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق صفوان عدنان الداودي،

(ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢)، ص، ص ٨٧٢.

(٢) ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٣: ٢٧٢، وابن منظور، "لسان العرب". الحواشي،

اليازجي، وجماعة من اللغويين، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٣: ٤٤٩، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ١: ٢٤٨.

(٣) هذا البيت لعدي بن الرِّقَاع، وهو من الكامل. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، "الشعر والشعراء"،

(القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، ٢: ٦٠٥، ومحمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن

تفسير آي القرآن". تحقيق د. عبد الله التركي، (١، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ)، ٤: ٥٣٠.

(٤) ينظر: الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص ٦٧، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٢:

يقول ابن عاشور: "ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم؛ فإن السنة والنوم يشبهان الموت وحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس"^(١).

وعبر بالسنة والنوم عن الغفلة؛ لأنه سببها، فأطلق اسم السبب على المسبب، وأقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع، من باب التعبير بالجزء وإرادة الكل^(٢). وهذه الجملة مقررة للجملة السابقة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وقد فصلت عنها لكمال الاتصال بها، فهي مقررة لمعنى الحياة والقيومية على أتم وجه؛ إذ إن من تأخذه السنة والنوم إحداهما أو كليهما فسيكون ضعيف الحياة وضعيف القيام بشؤون نفسه فضلاً عن شؤون غيره، وهي أيضاً مؤكدة لقيامه سبحانه على كل شيء وقيام كل شيء به؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً، وهو تأكيد جاء في صورة تعبيرية من باب تقريب المعنى^(٣). وألمح بعض المفسرين إلى سبب للفصل لم يذكره البلاغيون في تنظيراتهم وهو التعليل، فذكر أن قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) تعليل لقوله (الحي القيوم)؛ فالله حي قيوم لأنه لا تأخذه سنة ولا نوم^(٤)، ولذلك فصل بينهما

كما أكدت هذه الجملة نفي التشبيه بين الله وبين المخلوقين، فقد يعنّ في خاطر

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ١٩.

(٢) ينظر: الطبري، "تفسيره"، ٤٤: ٥٣٢، ٥٣٣، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٠٩.

(٣) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٦٠٩، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ١٩، وأحمد المراغي،

"تفسير المراغي". (ط ١)، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ)، ٣: ١٢.

(٤) ينظر: سليمان بن عمر الجمل، "حاشية الجمل على تفسير الجلالين". (بيروت، لبنان: دار

إحياء التراث العربي)، ١: ٢٠٦.

قاصر أن حياة الله من جنس حياة المخلوقين فأزالت هذه الجملة كل ذلك، فهو سبحانه حيٌّ حياة كاملة لا يعثر عليها نقص، وكل صفة اتصف بها فهي في مرتبة الكمال. وأفاد تكرار (لا) في هذه الجملة "انتفاؤها على كل حال؛ إذ لو أسقطت لا احتمال انتفاؤها بقيد الاجتماع، ولكن المنفي الأمران جميعهما"^(١).

ومما يجب أن يُنبّه عليه أن "نفي السنّة عن الله تعالى لا يغني عن نفي النوم عنه؛ لأن من الأحياء من لا تعثر به السنّة فإذا نام نام عميقاً، ومن الناس من تأخذه السنّة في غير وقت النوم غلبة"^(٢). وذكر النوم بعد السنّة؛ مراعاة لترتيب وجودهما، فهو ترقّي من نفي الأضعف إلى نفي الأقوى، ورُتّب على أساس الحصول فالسنّة تحصل قبل النوم^(٣).

الجملة الرابعة: {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

يستمرّ الفصل في جمل هذه الآية العظيمة ومع هذا تبقى مرتبة منسّقة، آخذ بعضها في عناق بعض.

وعندما نتأمل في هذه الجملة نجد أنها فصلت عن سابقتها لكمال الاتصال؛ حيث إنها تأكيد ثانٍ لقيوميّته تبارك وتعالى وتقرير لانفراده بالألوهية وتعليل لاتصافه بها، لأن من كانت جميع الموجودات ملكاً له فهو حقيق بأن يكون قيومها وألاً

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١٠.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ١٩.

(٣) ينظر: محمود الكرماني، "غرائب التفسير وعجائب التأويل". تحقيق شثران العجلي، (ط١)، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٨هـ)، ١: ٢٢٤، والبيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد مرعشلي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ١: ١٥٣.

يهملها^(١).

واللام في (له) للملك، وتعني إحاطة الملك الذي استغرق جميع الموجودات في السموات والأرض، فالموصول وصلته دلّ على العموم وشملا كل موجود^(٢). وقد تقدّم المسند (له) على المسند إليه (ما في السموات وما في الأرض)^(٣)؛ لخصر ملك السموات والأرض وما فيهما له لا لغيره، وهذا من قبيل قصر الموصوف على الصفة.

وتكرار (ما) لتأكيد هذا الملك وإثبات جناب التوحيد، ورد على المشركين وإبطال عقائدهم ونفي الإلهية عن غير الله تعالى، يقول ابن عاشور: "وهذا بلاغة معجزة"^(٤).

وعبر بـ (ما) دون (من)؛ لأنه "لما كان المراد إضافة ما سواه إليه بالملكوقة وكان الغالب عليه ما لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل، فعبر عنه بلفظ (ما)"^(٥). وفي الجمع بين (السموات والأرض) طباق بديع؛ حيث "إن هذين الكوكبين هما المعلومان بالنسبة لنظر الإنسان في الدنيا وهما في ناظره شيء كبير، وذكرهما في سياق

(١) ينظر: أبو السعود العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ١: ٢٤٨.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١٠، والزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ٤: ٧٣، وابن عاشور، "التحريير والتنوير"، ٣: ٢٠.

(٣) جاء قوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} في ثمانية وعشرين موضعاً في القرآن، أولها في هذه الآية.

(٤) ابن عاشور، "التحريير والتنوير"، ٣: ٢٠.

(٥) الرازي، "التفسير الكبير"، ٧: ١٠.

تعظيم أمر الكرسي، فالكرسي مخلوق عظيم والعرش أعظم منه^(١).

الجملة الخامسة: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}

فصلت هذه الجملة عن الجملة قبلها لكمال الانقطاع بينهما؛ فتلك جملة خبرية وهذه جملة إنشائية تضمنت الإنكار والنفي، وسيقت للرد على المشركين الذين زعموا أن الأصنام تشفع لهم، وفيها إبطال لمعتقد بعض مشركي العرب؛ حيث إنهم لم يثبتوا لأهتهم ألوهية تامة، بل قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فجاءت هذه الجملة مبطللة لما يزعمه المشركون؛ حيث إن الشفاعة لا تحصل إلا بشرطين: الرضا، والإذن، فما دام هذا الأمر بيد ملك الملوك فهو يعني بالضرورة قصور آهتهم التي يزعمونها وبطلانها، فيلزم من كمال ملكه أن يكون حكمه جارياً على الكل دون استثناء، وكل الأمور منوطة بتقديره وإذنه ومن ذلكم الشفاعة، فلا يمكن لأحد أياً كان أن يشفع لأحد إلا بإذنه سبحانه، فهو العظيم في ملكوته والعظيم في كبريائه^(٢).

كما جاءت هذه الجملة مقررّة لمضمون الجملة قبلها، ومؤكدة لملكه التام المذكور في قوله: {لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، يقول أبو حيان: "هذه الآية أعظم دليل على ملكوت الله تعالى وعظيم كبريائه؛ بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة عنده إلا بإذن من تعالى، كما قال تعالى: {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبا: ٣٨]، كما دلّت الآية على

(١) مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل بن سليمان". تحقيق عبد الله محمود شحاتة، (١)، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ٥: ١٠٧، والقرطبي، "تفسيره"، ٣: ٢٧٨. وسيأتي

الحديث عن (الكرسي) لاحقاً إن شاء الله. ينظر: ص ٢٩، ٣٠ من هذا البحث.

(٢) ينظر: الرازي، "التفسير الكبير"، ٧: ١١، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٠، ٢١.

وجود الشفاعة بإذنه تعالى^(١).

الجملة السادسة: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}

جملة سادسة في هذه الآية العظيمة يتجلى فيها الفصل في أروع صوره، مع تمام الاتساق والارتباط والتآخي بين الجمل.

أكثر الأقوال على أن المقصود بـ (ما بين أيديهم) الدنيا التي في متناول يد الإنسان و(ما خلفهم) الآخرة التي لم يبلغها ابن آدم، ومنهم من قال العكس، ومنهم من قال: ما قبل خلقهم وما بعد خلقهم، ومنهم من قال: ما أظهره وما كتموه، ومن قال: الأمور الماضية والأمور المستقبلية، وقيل: ما هو ظاهر لهم وما هو خاف عنهم، وقيل: غير ذلك^(٢)، وجميع الأقوال على اختلافها تصب في مصب واحد وهو الإخبار عن إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وهذا ما أكدته الطباق الذي بين (أيديهم، وما خلفهم) على إحاطة علم الخالق بسائر المخلوقات ومن جميع الجهات سبحانه وتعالى. "وكئی بهاتین الجهتین عن سائر جهات من أحاط علمه به، كما تقول: ضرب زيد الظهر والبطن وأنت تعني بذلك جميع جسده، واستعيرت الجهات لأحوال المعلومات، فالمعنى أنه تعالى عالم بسائر أحوال

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١٠.

(٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٥: ٣٩٦، والماوردي، "النكت والعيون". تحقيق السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١: ٣٢٤، والرازي، "التفسير الكبير"، ٧: ١٢، والقرطبي، "تفسيره"، ٣: ٢٧٦، والنيسابوري، "غرائب القرآن ورائب الفرقان"، تحقيق زكريا عميرات، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ٢: ١٤، والشوكاني، "فتح القدير"، ١: ٣١٢، والقاسمي، "محاسن التأويل"، ٢: ١٩١، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٢.

المخلوقات لا يعزب عنه شيء" (١).

وفصلت هذه الجملة عن سابقتها لكمال الانقطاع بينهما؛ حيث اختلفتا خيراً وإنشاءً، ويمكن أن يقال: إن بين هذه الجملة ومجموع جملتي (الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم)، وما تضمنته جملة (من ذا الذي يشفع عنه إلا بإذنه) تقرير وتكميل وتعليل؛ لأن "جملتي (الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم) دلّتا على عموم علمه بما حدث ووجد من الأكوان ولم تدلّا على علمه بما سيكون، فأكد وكمل بقوله: (يعلم ما بين أيديهم)، وهي أيضاً تعليل لجملة (من ذا الذي يشفع عنه إلا بإذنه)؛ إذ قد يتّجه سؤال: لماذا حرّموا الشفاعة إلا بعد الإذن؟ فقل: لأنهم لا يعلمون من يستحق الشفاعة وربما غرّتهم الظواهر، والله يعلم من يستحقها فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم" (٢)، ولأجل هذه المعاني فصلت الجملة عما قبلها، والله أعلم.

واختلف المفسرون في مرجع الضميرين الظاهرين في قوله تعالى: (ما بين أيديهم وما خلفهم)، فمنهم من قال: الملائكة وسائر من يشفع، ومنهم من اختصّهما بالملائكة، ومن قال: إنهما عائدان إلى كل من يعقل ممن تضمنه قوله تعالى: (له ما في السموات وما في الأرض)، وهو الأظهر - والله أعلم - بدليل قوله بعدها: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)، والعلم لا ريب من خواص العقلاء (٣).

الجملة السابعة: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ}

اختلف المفسرون في المراد بالكرسي؛ فمنهم من فسره بالعلم، ومن قال إنه

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١١، ٦١٢.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢١، ٢٢.

(٣) ينظر: الزنجشيري، "الكشاف"، ١: ٣١٠، والرازي، "التفسير الكبير"، ٧: ١٢، والقرطبي،

"الجامع لأحكام القرآن"، ٣٢٧٦، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١١.

العرش، والراجح أنه موضع قدميه عز وجل^(١)؛ كما صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"^(٢).

والكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش والعرش أعظم منه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي. ثم قال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر، ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة"^(٣).

وقد عاد السياق إلى الفصل مرة أخرى بعد جملة موصولة، ففصلت هذه الجملة القرآنية عن قول الله تعالى: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)؛ لكمال

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٤: ٥٣٧-٥٤٠، والقرطبي، "تفسيره"، ٣: ٢٧٧، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩هـ)، ١: ٥١٩، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٣.

(٢) ينظر: ابن أبي شيبة، "العرش وما روي فيه"، ١: ٤٣٧، رقم (٦١)، والحاكم، "المستدرک على الصحيحين"، ٢: ٣١٠، رقم (١١٦)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ١: ٥١٩، وصححه الألباني، ينظر: الحافظ الذهبي، "مختصر العلو". تحقيق ناصر الدين الألباني، (ط٢)، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ)، ص ١٠٢.

(٣) ينظر: ابن أبي شيبة، "العرش"، ١: ٣٥، ٤٣٢، رقم (٥٨)، وأبو بكر البيهقي، "الأسماء والصفات". تحقيق عبد الله محمد الحاشدي، (ط١)، جدة: مكتبة السوادى، ١٤١٣هـ)، ٢: ٣٠٠، رقم (٨٦٢)، وابن تيمية، "مجموع الفتاوى". جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ)، ٦: ٥٥٦، وصححه الألباني بمجموع طرقه في "السلسلة الصحيحة"، (ط١)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ)، ١: ١٥٩، رقم (١٠٩).

الاتصال بينهما، فبعد أن أكدت الجملة السابقة كمال العلم أكدت هذه الجملة كمال الملك والقدرة، فكما وسع علمه كل شيء وسع كرسیه السموات والأرض وما فيهما، وهي كذلك بمثابة التقرير والتأكيد على ما تضمنته الجمل السابقة كلها من بيان عظمة مخلوقات الله، المستلزمة عظمة الله تعالى وعظمة شأنه وقدرته.

وأضيف (الكرسي) إلى الله تعالى لعظمته؛ فإن السموات في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه سبحانه^(١)، و"الكرسي فوق الأفلاك، والعرش فوق الكرسي، ونسبة الأفلاك إلى الكرسي كحلقة في فلاة، والجملة^(٢) بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة"^(٣)، والعالم العلوي والسفلي بما فيهما بالنسبة إلى الخالق سبحانه في غاية الصغر؛ لقوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمر: ٦٧]^(٤)، والله جل في علاه أعظم من الجميع. وهذا ما أكدته الطباق المتكررة في هذه الآية بين (السموات والأرض)؛ حيث إنهما من المخلوقات العظيمة التي رآها البشر رأي العين، ومن ثم فذكر مخلوق أعظم منهما وهو الكرسي يؤكد بلا شك عظمة الخالق رب العالمين.

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٤: ٥٣٨.

(٢) المراد جميع الأفلاك بما فيها الكرسي.

(٣) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٥: ١٥٠.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ٥: ١٥٢.

المبحث الثاني: مواضع الوصل في آية الكرسي وبلاغتها

ثلاث جمل في هذه الآية العظيمة وصلت بما قبلها. وجاء الوصل في الموضع الأول بعد ست جمل مفصولة، وفي الموضعين الآخرين في ختام هذه الآية تباعاً، وكل هذا لأسرار بلاغية ونكات بيانية، تتبين إن شاء الله فيما يأتي.

الجملة الأولى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

جاءت هذه الجملة وصلاً بما قبلها بعد ست جمل فصلت فيما بينها، وقد عطفت هذه الجملة على قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ لاتحاد الجملتين في الخبرية مع وجود التناسب بينهما وليس ثمة أمر يقتضي الفصل، والجملتان الموصولتان يكملان بعضهما وبيئتهما ارتباط وثيق يستدعي الوصل بينهما؛ حيث إن الجملتين مجتمعتان " دليل على تفردته تعالى بعلمه الذاتي التام الدال على وحدانيته"^(١)، وأن من أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، وغيره لا يعلم إلا ما شاء وبعد إذنه وعلمه، استحق أن يكون كامل القدرة وكل شيء في قبضته وتحت تصرفه، ووجب تنزيهه عن النقص والعجز والشبيه والنظير، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٢).

والله عظيم بهذه العظمة وهذا العلم هو المستحق للعبادة دون سواه؛ لأن "العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً، فكيف يعبد من لا يعقل شيئاً البتة من

(١) أبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ١: ٢٤٨

(٢) ينظر: الثعالبي، "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". تحقيق محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ، ١: ٥٠٢، والبقاعي، "نظم الدرر"، ٤: ٣٣، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٢.

وثن وصنم!"^(١).

والإحاطة هنا تعني احتواء الشيء من جميع أطرافه. ونكرت (شيء) من باب نفي العموم، وهذا ما أكده القصر بطريق النفي والاستثناء.

وعلمه، أي: "معلومه؛ لأن علم الله لا يُبْعَض ولا يتبَعَض"^(٢).

وإضافة العلم إلى ضمير اسم الجلالة "تخصيص له بالعلوم اللَّدُنِّيَّة التي استأثر الله بها ولم ينصب عليها دلائل عقلية أو عادية، ولذلك فقوله: (إلا بما شاء) تنبيه على أنه سبحانه قد يطلع بعض أصفياه على ما هو من خواص علمه، كقوله تعالى: {عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} "^(٣).

الجملة الثانية: {وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا}

لَا يُوَدُّهُ، أي لا يثقله ولا يشقُّ عليه ولا يتعاضمه حفظ السموات عن حفظ الأرضين ولا حفظ الأرضين عن حفظ السموات، ولا يثقله حفظ ما علم وأحاط به مما في السموات والأرض^(٤).

وجاءت هذه الجملة موصولة بالجملة قبلها، وهي قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ}؛ حيث إن الارتباط التام بين الجملتين مع المسوغات الأخرى الموجبة للوصل، وانتفاء مقتضيات الفصل هو ما سوغ الوصل بين الجملتين، كما أن بين الجملتين اتفاق في الخبرية وتناسب في المعنى.

وتؤكد هذه الجملة على "عظم مخلوقات الله تعالى، والمستفاد من ذلك عظم

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٤: ٥٣٦.

(٢) الكرماني، "غرائب التفسير وعجائب التأويل"، ١: ٢٢٥.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٢.

(٤) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١٤، والقاسمي، "محاسن التأويل"، ٢: ١٩١.

قدرته جل وعلا؛ إذ لا يؤوده حفظ هذه المخلوقات" (١).

ومما يسوغ هذا الوصل ويؤكد على متانة العلاقة والارتباط بين الجملتين أن الضميرين المتصلين بهذه الجملة مرجعهما إلى الجملة السابقة؛ فالضمير الهاء في (يؤوده)، قيل: يعود إلى الكرسي، وهو قول بعيد؛ لبعد نسبة الحفظ إلى الكرسي، والأقرب عوده إلى الله؛ لتكون الضمائر متناسبة ومرجعها واحد وهو الله (٢).

وأما الضمير في (حفظهما) فيعود إلى السموات والأرض؛ لأن الذي أوجد هذه العوالم لا يعجز عن حفظها، فإذا كانت هذه المخلوقات العظيمة من صنع الله الذي أتقن كل شيء فطبعي أن يكون قادرًا على حفظها دون أدنى كلفة.

الجملة الثالثة: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

ختمت هذه الآية العظيمة بما يناسب ابتداءها معنى من قبيل تشابه الأطراف المعنوي؛ حيث صدرت باسمين عظيمين (الحي، القيوم)، وختمت باسمين عظيمين (العلي، العظيم) (٣)، وهذا من حسن التناسب بين خاتمة الآية وفاتحتها، وهو تذييل منطقي يقتضيه ما تقدمت به الآية العظيمة، ويؤكد ما جاء فيها من أوصاف عظيمة يستحق من اتصف بها العبادة دون سواه، بل إن هذين الوصفين يلتقيان مع كل الأوصاف العظيمة التي ذكرت قبلها ويتناسبان معها، مما زاد الآية تلاحمًا وتعاضدًا وارتباطًا بين جملها وكأنها جملة واحدة

وجاءت هذه الجملة موصولة بالجملة قبلها (ولا يؤوده حفظهما)؛ لاتفاقهما في

(١) الثعالبي، "الجواهر الحسان"، ١: ٥٠٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦١٤.

(٣) لم تختم آية في كتاب الله بصفتي العلو والعظمة إلا آية الكرسي، وقوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى: ٤].

الخبرية والتناسب بينهما فهي من تمامها وليس هناك ما يقتضي الفصل، وأفاد الوصل أنه سبحانه تعالى مع قهره وسلطانه وعلمه وإحاطته وقربه هو عليّ عظيم، ولا تعارض؛ فهو سبحانه عليّ في دنوّه، وقريب في علوّه.

ولما لم يكن علوه وعظمته بالقهر والسلطان والإحاطة بالكمال منحصراً فيما تقدم عطف عليه قوله: (وهو العلي العظيم)^(١).

ونظم الاسمين هكذا مسبوقان بضمير الفصل (وهو العلي العظيم) يتضمن معنى القصر والحصر، فلم يقل: وهو علي عظيم ليثبت الصفة مجرد إثبات، ولكنه قال: (العليّ العظيم)؛ لقصرها عليه سبحانه دون شريك، لا يطاوله في علوّه أحد ولا يشاركه في عظمته أحد، وكل من عداه لا يخلو من افتقار إليه فلا علوّ له ولا عظمة، ويدل على أنه علو وعظمة يليقان بجلاله سبحانه من غير تحريف ولا تكييف ولا تعطيل، لا تدركه العقول ولا تصل إليه الأفهام.

ويعلق ابن القيم (ت ٧٥١هـ) على الختم بمحذيين الاسمين - وقد جاء في جملة معطوفة على ما تقدم - يقول: "لو كان (العليّ العظيم) إنما يراد به اتصافه بالعلم والقدرة والملك وتوابع ذلك كان تكريراً، بل دون التكرير؛ فإن ذكر ذلك مفصلاً أبلغ من الدلالة عليه بما لا يفهم إلا بكلفة"^(٢). فالعلو رفعت، والعظمة عظمة قدره ذاتاً ووصفاً، علواً وعظمة يليقان به، لا يحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثني على نفسه، لا كما يقول الجهمية ومعطلو الصفات بأنه ليس له علوّ ولا عظمة إلا ما في النفوس من اعتقاد أنه أفضل من غيره وأنّ علوّه أمر معنوي، تعالى الله عما يقولون،

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ٤: ٣٦

(٢) ابن قيم الجوزية، "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة". تحقيق حسين عكاشة رمضان، (ط ١)، بيروت: دار ابن حزم، الرياض: دار عطاءات العلم، ١٤٤٢هـ)، ٢: ٩٥٤.

فهو "العليّ بذاته على جميع مخلوقاته، وهو العليّ بعظمة صفاته، وهو العليّ الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، وخضعت له الصعاب، وذلت له الرقاب. (العظيم) الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلّت عن الصفة فإنها مضمحلّة في جانب عظمة العليّ العظيم"^(١).

وبعد، فهذه الآية العظيمة التي جمعت قدرًا كبيرًا من أسماء الله تعالى المتضمّنة صفاته، وختمت بهاتين الصفتين، وسردت هذه الصفات العظيمة بهذه الطريقة البديعة المعجزة، تقرّر أنه سبحانه هو المالك المتصرف المدبر لهذا الكون، وهو المستحقّ للعبادة دون سواه والكلّ مفتقر إليه.

(١) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص ٩٥٤.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في بلاغة هذه الآية العظيمة، ولا سيما بلاغة الفصل والوصل فيها، يتجلى لكل متبصر في نظمها وأسلوبها وألفاظها ومعانيها سرّ عظمتها وفضلها؛ بما اشتملت عليه من أصول أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وبما دعت إليه من توحيد الله وأنه المستحق للعبادة دون سواه، وبما تبثه في قلوب المؤمنين من الطمأنينة والسكينة وكل معاني الأمن والراحة والخشوع، واستشعار عظمة الله تعالى الذي ينبغي أن تتوجه إليه جميع المخلوقات وتتوكل عليه.

وقد أسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

١- حقيق أن تكون هذه الآية أعظم آي القرآن الكريم؛ فهي غاصّة بالمعاني السامية، وزاخرة بالفضائل الجمّة والبراهين الساطعة، ومن جوامع الآيات القرآنية في تقرير وحدانية الله وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا، عاجلت كل ذلك بصورة نظامية معجزة.

٢- بروز أسلوب الفصل والوصل بروزاً لافتاً، وهو ملمح ظاهر في هذه الآية العظيمة ترك أثراً في بلاغتها وروعة إعجازها وبديع نظمها، وتحقق به الترابط والاتساق بين جمل آية الكرسي، ولا سيما أسلوب الفصل الذي جاء في سبع جمل، وهذا من روعة النظم القرآني الذي جعل من هذه الجمل وكأنها كيان واحد دون فاصل بينها بأي عاطف يربط بين الجملة اللاحقة بالسابقة، بيد أن الذي يربط بينها اثلافلها وانسجامها وترابطها المحكم الدقيق، وهذا -على حد علمي- لم يتحقق في موضع كما تحقق في آية الكرسي.

٣- المتتبع لكلام المفسرين يجد أن تعبيراتهم تختلف عن تعبيرات البلاغيين، فلا تجد عندهم مصطلحات (كمال الاتصال وكمال الانقطاع وشبه كمال الاتصال وغيرها مما عند البلاغيين)، ومما يرد عنهم في هذ السياق قولهم: (فصلت،

- وصلت، عطفت)، أو يذكروا علة الفصل والوصل على طرائقهم؛ كالتعليل والتقرير والتكميل والبيان والاتحاد والارتباط والمناسبة وما شابه ذلك.
- ٤- تناوبت دواعي الفصل على سبع جمل في الآية الكريمة، بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع وشبه كمال الاتصال، وكانت أسرار الفصل تدور حول التأكيد والتقرير والتعليل.
- ٥- أسلوب الفصل هو الأنسب في معرض سرد الصفات الإلهية التي توالى في هذه الآية العظيمة بطريقة نظامية معجزة، وكأن كل صفة من صفاته تبارك وتعالى مستقلة بذاتها، وجاءت بأرشفة عبارة وأدق وصف، مؤكدة على عظمتة وملكه التام.
- ٦- جاء أسلوب الوصل في ثلاثة مواضع في الآية الكريمة، وكان هو الأنسب من الفصل؛ إذ لم تتوفر دواعي الفصل، وللتناسب التام في المعنى بين تلك الجمل الموصولة، والارتباط الوثيق بينها، والاتحاد بينها في الخبرية.
- ٧- التأكيد على عدم التعارض بين صفات الخالق سبحانه من أهم مقتضيات الوصل، كما هو ظاهر بين الجمل الموصولة في الآية الكريمة.
- ٨- قد تشترك مسوغات بين الفصل والوصل كالتناسب بين الجملتين، لكن ثمة أمور أخرى ترجح كفة الأسلوب.
- ٩- حُقِّقَ لأسلوب الفصل والوصل أن يكون هو البلاغة وحلية البلاغة، كيف لا؟ وقد تلبَّس بأعظم آية في كتاب الله.
- ١٠- اشتملت هذه الآية على ما لم تشتمل عليه آية من كتاب الله، حيث تضمنت سبعة عشر موضعاً في ذكر اسم الله تعالى؛ ظاهراً في بعضها، وصفة في أخرى، وضميراً في بعضها الآخر، وهذا من إيجاز الإيجاز.
- ١١- من عجيب آية الكرسي وجمال نظمها أنها افتتحت بذكر صفتين من صفات

بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي، د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزي

الله تعالى (الحي القيوم)، واختتمت بصفتين (العلي العظيم)، وبين هذه الصفات وجمل الآية ترابط محكم؛ إذ إن كل جملة في الآية تدل على أنه الحي القيوم، والعلي العظيم.

ومما أوصي به

- الاستمرار والمواصلة في سبر أغوار النص القرآني، وألا يُكتثر بمن يقول: إن الدراسات البلاغية للقرآن الكريم كثيرة، وقد ازدحمت المكتبة القرآنية بمثل هذه الدراسات؛ فهي مع كثرتها لا تضاهي بلاغة هذا الكتاب المعجز، وما كتب حول هذا الكتاب العظيم والكلام المعجز لا يعدو أن يكون -في نظري- غيض من فيض أسرارهِ، ونقطة في بحر عجائبهِ.

المصادر والمراجع

الكتب:

- ابن أبي شيبة، محمد بن عثمان، "العرش وما روي فيه". تحقيق محمد بن خليفة التميمي، (ط ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية". جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، "مسند الإمام أحمد". تحقيق شعيب الأرنؤوط التركي، (مرشد، إشراف د. عبد الله التركي، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م).
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، "الشعر والشعراء". (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، "الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة". تحقيق حسين عكاشة رمضان، (ط ١، بيروت: دار ابن حزم، الرياض: دار عطاءات العلم، ١٤٤٢هـ).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩هـ).
- ابن مالك، بدر الدين محمد "المصباح في المعاني والبيان والبدیع". تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، (القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، د.ت).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". الحواشي اليازجي، وجماعة من اللغويين، (ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

- ابن يعقوب المغربي، أحمد بن محمد، "مواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص". (بيروت: دار السرور، د.ت). أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الأزدي، مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل بن سليمان". تحقيق عبد الله محمود شحاتة، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).
- الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار، "المغني في أبواب التوحيد والعدل". قوّم نصوصه: أمين الخولي، (ط١، مصر: مطبعة دار الكتب، ١٣٨٠هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، "سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقها وفوائدها". (ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).
- الألوسي، محمود شكري بن عبد الله، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- البابرتي، محمد بن محمد، "شرح التلخيص". تحقيق محمد مصطفى رمضان صوفيه، (ط١، طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٣٩٢هـ).
- الباقلائي، محمد بن الطيب، "إعجاز القرآن". تحقيق السيد أحمد صقر، (ط٥، مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، "مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

البيضاوي، عبد الله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ).
البيهقي، أحمد بن الحسين، "الأسماء والصفات". تحقيق عبد الله محمد الحاشدي، (ط ١، جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٣ هـ).

التفتازاني، مسعود بن عمر، "المطول في شرح تلخيص المفتاح". (مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠ هـ).

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". تحقيق محمد علي معوض، عادل أحد عبد الموجود، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر، "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ).
الجاحظ، عمرو بن بحر، "كتاب الحيوان". (ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شaker (ط ٣، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ١٤١٣ هـ).
الجمال، سليمان بن عمر، "حاشية الجمل على تفسير الجلالين". (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ).
الحاكم، محمد بن عبد الله، "المستدرک على الصحيحين". تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ).

الخلي، شهاب الدين محمود، "حسن التوسل إلى صناعة التوسل". تحقيق أكرم عثمان يوسف، (العراق: دار الرشيد للنشر، د.ت).

بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي، د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزي

الحنفي، ابن أبي العز محمد بن علاء الدين، "شرح العقيدة الطحاوية". تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد الله التركي، (ط ١٠، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).

الخطابي، حمد بن محمد، "بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". (ط ٢، عمان، الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ).

الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، (ط ٣، بيروت: دار الجيل، د.ت).

الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، (بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت).

الخوارزمي، محمد بن العباس، "الأمثال المولدة". (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ).
الذهبي، محمد بن أحمد، "مختصر العلو للعلي الغفار". تحقيق واختصار محمد ناصر الدين الألباني، (ط ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ).

الرازي، محمد بن أبي بكر، "روضة الفصاحة". تحقيق خالد الجبر، (ط ١، عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق صفوان عدنان الداودي، (ط ١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، "البرهان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٧م).

الزحشري، محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". تحقيق مصطفى حسين أحمد، (ط ٣، القاهرة: دار الريان للتراث، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، "البرهان الكاشف عن إعجاز

- القرآن". تحقيق د. خديجة الحديثي، د. أحمد مطلوب، (ط ١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٤هـ).
- السَّعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط ٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ).
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، "مفتاح العلوم". ضبط وشرح وتعليق: نعيم زرزور، (ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "شرح عقود الجمان". (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ).
- الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي". (مصر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م).
- الشنقيطي، عبد الله بن الحاج إبراهيم، "فيض الفتاح على نور الأقاح". تحقيق محمد الأمين محمد ييب، (ط ١٤٢٠، ٢٠١٤).
- الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد، "عناية القاضي وكفاية الرازي". (بيروت: دار صادر، د.ت).
- الشوكاني، محمد بن علي، "فتح القدير". (ط ١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
- الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق د. عبد الله التركي، (ط ١، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).
- الطبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، "التبيان في علم المعاني والبديع والبيان". تحقيق هادي عطية الهاللي، (ط ١، بيروت: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٧هـ).
- ضيف، شوقي، "البلاغة تطور وتاريخ". (ط ١١، القاهرة: دار المعارف، د.ت).
- العباسي، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن، "معاهد التنصيص على شواهد

بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي، د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزي

التلخيص". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: عالم الكتب، د.ت).

عبد الرحمن، عائشة محمد (بنت الشاطي)، "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق". (ط ٣، دار المعارف، د.ت).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، "كتاب الصناعتين". تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ).

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).

العلوي، يحيى بن حمزة، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". (ط ١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).

الفخر الرازي، محمد بن عمر، "التفسير الكبير". (ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الفخر الرازي، محمد بن عمر، "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز". تحقيق بكري الشيخ أمين، (ط ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ).

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، "محاسن التأويل". تحقيق محمد باسل عيون السود، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، (ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ).

القشيري، مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط ١،

- القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ).
- قصاب، وليد بن إبراهيم. "في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم". (ط ١، الإمارات: دار القلم، ١٤٢١هـ).
- الكرماني، محمود بن حمزة، "غرائب التفسير وعجائب التأويل". تحقيق شمران العجلي، (ط ١، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٨هـ).
- الماوردي، علي بن محمد، "النكت والعيون". تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- محمد، يسرى السيد، "بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية". (ط ١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ).
- المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي". (ط ١، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ).
- النحاس، أحمد بن محمد، "إعراب القرآن". تحقيق زهير غازي أحمد، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ).
- النووي، يحيى بن شرف، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، (ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
- النيسابوري، الحسن بن محمد، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، تحقيق زكريا عميرات، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).

الدوريات:

- الصامل، محمد بن علي. "قضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين". مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٤٥، (١٤٢٥هـ): ٢٤٩-٣١٧.

بلاغة الفصل والوصل في آية الكرسي، د. عواد بن عيفان بن رشيد العنزي

العبيد، عبيد بن علي. "تفسير أسماء الله الحسنى للإمام السعدي". مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١١٢، (١٤٢١هـ): ١٤٧-٢٥٢.
العسكر، عبد المحسن بن عبد العزيز. "تفسير الكشاف بين التحليل والتأويل". مجلة العلوم العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٣٣، (١٤٣٥هـ): ٧٧-١٤٨.

Bibliography

Books:

- Ibn Abī Shaybah, Muḥammad ibn ‘Uthmān, "al-‘Arsh wa-mā ruwiya fihi". Investigated by: Muḥammad ibn Khalīfah al-Tamīmī, (1, al-Riyād : Maktabat al-Rushd, 1418h).
- Ibn Taymiyyah, Taqī al-Dīn Ahmad bin ‘Abd al-Halīm, "Majmū‘ al-Fatāwā li-Sheikh al-Islam Ahmad ibn Taymiyyah", Compiled and Arranged by: ‘Abd al-Rahman bin Muhammad bin Qasim, (Al-Madinah al-Munawwarah: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Quran, 1425h).
- Ibn Hanbal, Ahmad bin Muhammad, "Musnad al-Imam Ahmad", investigated by: Shu‘aib al-Arna’oot, Adil Murshid, Supervised by: Dr. Abdullah al-Turki, (1st ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 2001).
- Ibn ‘Ashour, Muhammad al-Tahir bin Muhammad. "Al-Tahrir wa al-Tanwir", (Tunisia: Tunisian Publishing and Distribution House, 1984).
- Ibn Qutaybah al-Dinawari, ‘Abdullah bin Muslim, "Al-Shi’r wa al-Shu‘ara (Cairo: Dar al-Hadith, 2002). Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr, "Al-Sawa’iq al-Mursalat ‘ala al-Jahmiyyah wa al-Mu‘attillah", investigated by: Husain Akasha Ramadan, (1st ed., Beirut: Dar Ibn Hazm, Riyadh: Dar ‘Ataat al-‘Ilm, 2020).
- Ibn Kathīr, Ismā‘īl ibn ‘Umar, "Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm", Investigated by: Muḥammad Husain Shams al-Dīn, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, Manshūrāt Muḥammad ‘Alī Bayḍūn, 1419 AH).
- Ibn Malik, Badr al-Dīn Muhammad, "Al-Misbah fi al-Ma’ani wa al-Bayān wa al-Badi’". Investigated by: Dr. Husni ‘Abd al-Jalil Yousuf, (Cairo: Library of Adab and its Printing Press in al-Jamamiz, no date).
- Ibn Manzour, Muhammad bin Mukaram, "Lisān al-‘Arab", Annotations by al-Yaziji and a Group of Linguists, (3rd ed., Beirut: Dar Sadir, 1993).
- Ibn Ya’qub al-Maghribi, Ahmad bin Muhammad, "Mawahib al-Fattah Ḍimnā Shuruh al-Talkhis", (Beirut: Dar al-Surur, no date).
- Abu Hayyan al-Andalusi, Muhammad bin Yusuf, "Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir", Investigated by Sadiqi Muhammad Jamil, (Beirut: Dar al-Fikr, 2000).

- Abu al-Saud al-‘Amādi, Muhammad bin Muhammad, “Irshād al-‘Aql alSalim ilā Mazāya al-Kitab al-Karim”, (Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, no date).
- Al-Azdi, Muqatil bin Sulaiman, “Tafsir Muqātil bin Sulaiman”, Investigated by Abdullah Mahmoud Shahat, (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath, 2002).
- Al-Asad Abadi, al-Qādi Abi al-Hasan Abd al-Jabbar, “Al-Mughni fi Abwābal-Tawhid wa al-Adl”, reviewed by Amin al-Khouli, (1st ed., Egypt: Dar al-Kutub Press, 1960).
- Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din, “Silsilat al-Ahadith al-Sahihah waShay’ min Fiqhaha wa Fawaidha”, (1st ed., Riyadh: Maktabat al-Ma’arif for Publishing and Distribution, 2002).
- Al-Alousi, Mahmoud Shukri bin ‘Abdilah, “Rouh al-Ma’ani fi Tafsir al-Quran al-‘Azim wa al-Sab’ al-Mathani”, investigated by ‘Ali Abd al-Bari ‘Atiyah, (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1994).
- Al-Babarti, Muhammad bin Muhammad, “Sharh al-Talkhis”, Investigated by Muhammad Mustafa Ramadan Sofiyya, (1st ed., Tripoli, Libya: General Establishment for Publishing and Distribution, 1983).
- Al-Baqillani, Muhammad bin al-Tayyib, “I’jaz al-Quran”, Investigated by Al-Sayyid Ahmad Saqr, (5th ed., Egypt: Dar al-Ma’arif, 1997).
- Al-Baqā’i, Ibrahim bin Umar, “Masā’id al-Nazarr li-Ishraf ‘ala Maqāsid al-Suwar”, (1st ed., Riyadh: Maktabat al-Ma’arif, 1987).
- Al-Baqā’i, Ibrahim bin Umar, “Nazm al-Durarr fi Tanāshub al-Āyāt wa al-Suwar”, (Cairo: Dar al-Kitab al-Islami, no date).
- Al-Baiḍāwī, ‘Abdullah bin ‘Umar, “Anwarr al-Tanzil wa Asrarr al-Ta’wil”, Investigated by Muhammad ‘Abd al-Rahman Marr’ashli, (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1998).
- Al-Baihaqi, Ahmad bin al-Husain, “Al-Asmā wa al-Ṣifāt”, Investigated by: ‘Abdullah Muhammad al-Haashidi, (1st ed., Jeddah: Maktabat al Sawadi, 1993).
- Al-Taftazani, Mas’oud bin ‘Umar, “Al-Muṭawwal fi Sharh Talkhis al-Miftah”, (Ahmad Kamel Press, 1911).
- Al-Tha’ālibi, ‘Abd al-Rahman bin Muhammad, “Al-Jawahir al-Hisan fi Tafsir al-Quran”, investigated by Muhammad Ali Mu’awad, and ‘Adil Ahmad Abd al-Majid, (1st ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1998).

- Al-Jahiz, 'Amr bin Bahr, "Al-Bayān wa-al-Tabyin", (Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal, 2002).
- Al-Jahiz, 'Amr bin Bahr, "Kitab al-Hayawan", (2nd ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 2003).
- Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir bin Abdul Rahman, "Dala'il al-I'jaz", Investigated by: Mahmoud Shaker, (3rd ed., Cairo: Al-Madani Press, Jeddah: Dar al-Madani, 1992).
- al-Jamal, Sulaymān ibn 'Umar, "Hāshiyat al-Jamal 'alā tafsīr al-Jalālayn". (Beirut, Lebanon : Dār Ihyā al-Turāth al-'Arabī). Al-Jawhari, Ismail bin Hammad, "Al-Sihah Tāj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyya", investigated by Ahmad 'Abd al-Ghafur Attar, (4th ed., Beirut: Dar al-Ilm for Millions, 1987).
- Al-Hakim, Muhammad bin 'Abdullah, "Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn", investigated by Mustafa Abd al-Qadir 'Atta, (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990).
- Al-Halabi, Shihab al-Din Mahmud, "Hasan al-Tawassul ila Ṣan'at al-Tarassul", investigated by Akram Othman Yusuf, (Iraq: Dar al-Rashid for Publishing, no date)
- Al-Hanafi, Ibn Abi al-'Izz Muhammad bin Ala al-Din, "Sharh al-'Aqidah al-Tahawiyah", Investigated by Shu'aib al-Arna'oot, Abdullah al-Turki, (10th ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 1997).
- Al-Khattabi, Hamd bin Muhammad, "Bayān I'jaz al-Quran, Dimna thalāth Rasā'il fī I'jāz al-Qur'ān", (2nd ed., Amman, Jordan: Dar Ammar for Publishing and Distribution, 2016).
- Al-Khatib al-Qazwini, Muhammad bin 'Abd al-Rahman, "Al-Idāḥ fī 'Uloumal-Balagha", Investigated by Muhammad Abd al-Munim Khafaji, (3rd ed., Beirut: Dar al-Jil, no date).
- Al-Khatib al-Qazwini, Muhammad bin 'Abd al-Rahman, "Al-Talkhisfi 'Ulum al-Balagha", Annotated and Explained by 'Abd al-Rahman al-Barquqi, (Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-Arabi, no date).
- Al-Khawarizmi, Muhammad bin al-'Abbas, "Al-Amthāl al-Muwalladah", (Abu Dhabi: The Cultural Foundation, 2004).
- al-Dhababī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Mukhtaṣar al-'Alū lil-'Alī al-Ghaffār". Investigated by: wa-ikhtisār Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, (t2, Beirut: al-Maktab al-Islāmī, 1412h).
- Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr, "Rawdat al-Fasahah", investigated by Khali 'Abd al-Ra'ouf al-Jabr, (1st ed., Amman, Jordan: Dar

- Wael for Publishing and Distribution, 2005).
- Al-Raghib al-Isfahani, al-Husain bin Muhammad, "Al-Mufradāt fi Gharibal-Quran", Investigated by Safwan Adnan al-Dawudi, (1st ed., Damascus, Beirut: Dar al-Qalam, al-Dar al-Shamiya, 1992).
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad bin 'Abdillah, "Al-Burhān fi 'Uloum al-Quran", investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, (1st ed., Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya, Isa al-Babi al-Halabi with his partners, 1957).
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin 'Umar, "Al-Kashāf 'an Haqā'iq Ghawāmid al-Tanzil wa 'Uyoun al-Aqāwīl fi Wujouh al-Ta'wil". Annotated and investigated by Mustafa Husain Ahmad, (3rd ed., Cairo: Dar al-Rayan for Heritage, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987).
- Al-Zamakhshari, Kamal al-Din 'Abd al-Wahid bin 'Abd al-Karim, "Al-Burhān al-Kashif 'an I'jaz al-Quran", Investigated by Dr. Khadija al-Hadithi, Dr. Ahmad Matlub, (1st ed., Baghdad: Al-Ani Press, 1974).
- Al-Sa'di, Abd al-Rahman bin Nasir, "Tafsir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan", Investigated by Dr. Abd al-Rahman bin Ma'la al-Luwaheq, (4th ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 2005).
- Al-Sakaki, Abu Ya'qub Yusuf bin Abi Bakr, "Miftah al-'Ulum", Annotated and Commented by Na'im Zarzur, (2nd ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya 1987).
- Al-Suyouti, 'Abd al-Rahman bin Abi Bakr, "Sharh 'Uqoud al-Juman", (Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Press, 1939).
- Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli, "Tafsir al-Sha'rawi", (Egypt: Akhbar al-Youm Press, 1997).
- Al-Shinqiiti, 'Abdullah bin al-Haj Ibrahim, "Faiḍ al-Fattah 'ala Nour al-Aqqah", Investigated by Muhammad al-Amin Muhammad Bayyib, (2nd ed., 1420 AH).
- Al-Shihab al-Khafaji, Ahmad bin Muhammad, "Ināyah al-Qādi wa Kifāyat al-Rādi", (Beirut: Dar Sadir).
- Al-Shawkāni, Muhammad bin 'Ali, "Fath al-Qadir", (1st ed., Damascus: Beirut: Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalam al-Tayyib, 1994).
- Al-Ṭabari, Muhammad bin Jarir, "Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wil Ayi al-Qura", Investigated by Dr. 'Abdullah bin 'Abd al-Muhsin al-Turki, (1st ed., Cairo: Dar Hajr for Printing, Publishing and Distribution, 2001).

- Al-Tayyibi, Sharaf al-Din al-Husain bin 'Abdillah, "Al-Tibyān fī 'Ilm al-Ma'āni wa al-Badī' wa-al-Bayān", Investigated by Hadi 'Atiyah Matarr al-Hilali, (1st ed., Beirut: 'Alam al-Kutub, Maktabat al-Nahda al-Arabiyya, 1987).
- Daif, Shawqi, "Al-Balāgha Tatawurr wa-Tarikh", (11th ed., Cairo: Dar al-Ma'arif,).
- Al-'Abbasi, Abu al-Fath Abd al-Rahim bin Abd al-Rahman, "Ma'āhid al-Tansis 'ala Shawahid al-Talkhis", Investigated by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid. (Beirut: Alam al-Kutub, no date).
- Abd al-Rahman, Aisha Muhammad (Bint al-Shati'), "Al-I'jāz al-Bayāni lil-Quran wa-Masā'il Ibn al-Azraq", (3rd ed., Dar al-Ma'arif, no date).
- Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan bin 'Abdillah, "Kitāb al-Sana'atāin", Investigated by Ali Muhammad al-Bijawi, Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, (Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyya, 1999).
- al-'Ukbarī, Abū al-Baqā' 'Abdullāh ibn al-Ḥusain, "al-Tibyān fī I'rāb al-Qur'ān". Investigated by: 'Alī Muḥammad al-Bajāwī ('Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa- Shurakāh).
- Al-'Alawi, Yahya bin Hamzah, "Al-Tirāz li-Asrarr al-Balāgha wa 'Ulum Haqā'iq al-I'jaz", (1st ed., Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyya, 2002).
- Al-Fakhr al-Rāzi, Muhammad bin 'Umar, "Al-Tafsir al-Kabir", (3rd ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1994).
- Al-Fakhr al-Rāzi, Muhammad bin 'Umar, "Nihāyat al-I'jāz fī Dirāyat al-I'jaz", Investigated by Bakri al-Sheikh Amin, (1st ed., Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayeen, 1985). Al-Firuzabadi, Muhammad bin Ya'qub, "Basā'ir Dhawi al-Tamyeez fi Laṭā'if al-Kitab al-'Aziz", Investigated by Muhammad Ali al-Najjar, (Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage, 1996).
- Al-Qāsimi, Muhammad Jamal al-Din bin Muhammad, "Mahāsin al-Ta'wil", Investigated by Muhammad Basil 'Uyoun al-Soud, (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1998).
- Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad, "Al-Jaami' li-Ahkam al-Quran", Investigated by Ahmad al-Bardouni, Ibrahim Atfaysh, (2nd ed., Cairo: Dar al-Kutub al-Misriya, 1964).
- Al-Qushayri, Muslim bin al-Hajjaj, "Sahih Muslim", Investigated by Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi, (1st ed., Cairo: Isa al-Babi al-

- Halabi Press, Beirut: Dār Ihya al-Turath al-Arabi, 1955).
- Qaṣṣāb, Walīd ibn Ibrāhīm. "fī al-I'jāz al-Balāghī lil-Qur'ān al-Karīm". (1st ed., Emirates: Dār al-Qalam, 1421 AH).
- Al-Karrmani, Mahmoud bin Hamza, "Gharā'ib al-Tafsir wa 'Aja'ib al-Ta'wil". Investigated by Shumran al-'Ajli, (1st ed., Jeddah: Dar al-Qiblah for Islamic Culture, Beirut: Institute of Quranic Sciences, 1988).
- Al-Mawārdi, 'Ali bin Muhammad, "Al-Nukat wa al-'Uyoun". Investigated by Al-Sayyid bin 'Abd al-Maqsoud bin 'Abd al-Rahim, (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya).
- Muhammad, Yasri al-Sayyid, "Badā'i' al-Tafsir al-Jami' li-Tafsir al-Imam Ibn Qayyim al-Jawziyyah", (1st ed., Saudi Arabia: Dar Ibn al-Jawzi, 1994).
- Al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa, "Tafsir al-Marāghi", (1st ed., Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi Press, 1946).
- Al-Naḥḥās, Aḥmad ibn Muḥammad, "I'rāb al-Qur'ān". Investigated by: Zuhair Ghāzī Aḥmad, (Bayrūt : 'Ālam al-Kutub, 1409h).
- Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf, "Al-Minhāj Sharh Sahih Muslim bin al-Hajjaj", (2nd ed., Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1972).
- Al-Naisabouri, al-Hasan bin Muhammad, "Ghara'ib al-Quran wa Ragha'ib al-Furqan", Investigated by Sheikh Zakariya Amirat, (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1995).

Journals:

- Al-Samil, Muhammad bin Ali. "Qadiyat al-Fasl wa al-Wasl bayna al-Mufradat 'inda al-Balaghiyyin". Journal of Imam Muhammad bin Saud Islamic University 45, (2004): 249-317.
- Al-'Ubaid, 'Ubayd bin 'Ali. "Tafsir Asma Allah al-Husna li-Imam al-Sa'di". Islamic University Journal of Madinah 112, (2001): 147-252.
- Al-'Askar, 'Abd al-Muhsin bin 'Abd al-'Aziz. "Tafsir al-Kashaf baina al-Tahlil wa al-Ta'wil". Journal of Arabic Sciences at Imam Muhammad bin Saud Islamic University 33, (2014): 77-148.

الكناية التصورية - مقارنة عرفانية

Conceptual Metonymy: A Cognitive Approach

أ.د. النوراني عبد الكريم كبور جبير

أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغات والعلوم الإنسانية
بجامعة القصيم

البريد الإلكتروني: kabourn@yahoo.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/03/12		استلام البحث A Research Receiving 2024/10/11
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-019		

مستخلص

رصدت اللسانيات العرفانيّة الحقل البلاغي بتصوّرات جديدة في مختلف مباحثها، ومنها مبحث الكناية التصوّريّة التي باتت لها أهميّة في التواصل وإنجاز الخطاب، والتعبير عن التجارب الإنسانية، وتيسير الفهم، وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أثر الكناية ودورها في العملية التواصلية، وأهمّ المرتكزات التي يعتمد عليها المتلقي في تأويلها وتفكيكها، كما عملت الدراسة على استجلاء العلاقة بين اللغة والمعرفة من خلال تجاوز البنية الشكلية للغة إلى وظيفتها الإدراكية والتصوّريّة التي تعد الكناية التصوّريّة منطلقاً لها، ولتحقيق الهدف السابق اتّبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج التي أشار إليها الباحث في نهاية الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الكناية، التصورية، المزج التصوري، الإحالة، الفضاء الذهني.

Abstract

Cognitive linguistics has enriched the field of rhetoric with new insights across its various topics, including the study of conceptual metonymy, which has gained significance in communication, discourse production, expressing human experiences, and facilitating comprehension. This study aims to explore the impact of metonymy and its role in the communicative process, as well as the key elements that recipients rely on in interpreting and deconstructing it. The study also seeks to elucidate the relationship between language and knowledge by transcending the formal structure of language to its cognitive and conceptual functions, of which conceptual metonymy is a foundational element. To achieve this objective, the study employs inductive and analytical methods. The research concludes with several findings highlighted by the researcher at the end of the study.

Keywords: Metonymy, Conceptual, Conceptual Blending, Reference, Mental Space.

مقدمة

أفادت المقاربات البلاغية المعاصرة من ثمار الدراسات اللسانية التي ارتبطت بدورها بالعديد من مناهل المعرفة الإنسانية؛ فشهدت البلاغة تحولات مهمّة لها عميق الأثر في الإفادة من العلوم الأخرى كعلم النفس الإدراكي، والمنطق، والحاسب، والفلسفة، والذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب وغيرها، وبات من العسير دراسة ظاهرة لغويّة أو فكرة بلاغيّة بمعزل عن هذا المناخ المعرفي المتّسم بتداخل العلوم على هذا النحو الذي يثري المعرفة، ويغني البحوث والدراسات الإنسانية^(١).

وتهدف المقاربات العرفانية إلى فهم الكيفيّة التي يعمل بها الذهن البشريّ في إدراك اللغة، وتحليل رموز الكلام^(٢)؛ فالدراسات العرفانيّة من الحقول المعرفيّة الحديثة التي منحت الدرس البلاغيّ أسسًا للتطوّر والتحوّل من المجال الفنيّ الإبداعيّ إلى المجال الذهنيّ الإدراكيّ، ومن النظرة الشكليّة إلى البعد الوظيفيّ باعتبارها آلية تصوّريّة تتحكّم فيها أنساق معرفيّة وتصوّرات ذهنيّة؛ فاللغة من الناحية العرفانيّة تمثّل نشاطًا معرفيًا قوي الصلة بالذهن البشريّ^(٣)، تعمل على إبراز علاقة الفكر البشريّ بالعقل؛ فهي الركيزة الأساسيّة في ارتباطها بالعلوم البلاغيّة إلى جانب علاقتها بالعلوم النفسيّة، والعصبية، والمنطق القضوي للعلوم الرياضيّة، وغيرها من المعارف؛ فهندسة الذهن جزء من البنية

(١) عز الدين محمد مجدوب، "إطلاّلات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من

القرن العشرين". (قرطاج، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠١٢م)، ٣١٢.

(٢) جنان عبد العزيز التميمي، "الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني - دراسة

لسانية إدراكية". (الرياض، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها،

٢٠١٣م)، ٣٩.

(٣) عبد المجيد جحفة، "مدخل إلى علم الدلالة الحديثة". (الدار البيضاء، دراتوبقال للنشر،

٢٠٠٠)، ط١، ٤٣.

التصورية المرتبطة بالإدراك.

والكناية من المنظور العرفانيّ تقوم على معانٍ تتحكّم فيها شبكة من المفاهيم الدلالية والخرائط الذهنية التي تعمل على نقل الشحنة البلاغية إلى ذهن المتلقي بين المجال المصدر إلى المجال الهدف؛ لتبدأ سلسلة من التحليل والتفكيك والتأويل، واستدعاء المخزون المعرفي والثقافي الكامن في الذهن لإدراك العلاقات الوراثية لظاهر البنية اللفظية للكناية؛ فالمقاربة العرفانية تركز على دراسة اللغة على ضوء النشاط الذهني، وتفاعلها مع معطيات العلوم الأخرى^(١)، حسب متغيرات التجارب البشرية؛ فالذهن البشري ليس ثابتاً أو متحجراً؛ بل هو في تفاعل دائم مع متغيرات الفكر الإنساني، يستوعب البنيات اللغوية، ويتكامل معها، فاللغة ملكة ذهنية إدراكية تكشف المقدرة الذهنية للعقل البشري في ابتداء التصورات واستيعابها.

الكناية فن بلاغيّ راسخ في التعبير العربيّ منذ القديم؛ حفل بها أدبهم، ولغة حياتهم اليومية، وقد حظيت الكناية باهتمام الباحثين المعاصرين^(٢)؛ إذ أفردوا لها مجالاً رحباً في بحوثهم ودراساتهم، ولعلّ الدراسات اللسانية العرفانية الحديثة لها قصب السبق في إحراز قصب التنظير للكناية التصورية، وتمهيد السبيل للباحثين لارتداد آفاق البحث اللسانيّ العرفانيّ في حقل البلاغة.

وتصب هذه الدراسة في محيط الجهود التي تسعى إلى تطبيق النظريات العرفانية

(١) الزهر الزناد، "نظريات لسانية عرفانية". (تونس، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م)، ١٥.

(٢) مثل دراسة الحبيب المقديني (الاستعارة والكناية في الدراسات اللسانية العرفانية). ودراسة غستان إبراهيم الشمري (الفضاءات الذهنية وبناء المعنى: الاستعارة والكناية أنموذجاً)، ودراسة عمار عثماني (المجازات الإدراكية ودورها في تحليل الخطابات ونقدها: قراءة في مشروع عبد الوهاب المسيري).

الحديثة على البلاغة العربية التراثية^(١)، انطلاقاً من مبدأ ضرورة تحديد البلاغة العربية التي انتظمت الدراسات المعاصرة، ولكن يجب الأخذ في الاعتبار عدم الانسياق الأعمى خلف التجديد؛ لما في ذلك من طمس الهوية العربية وطغيان النظريات الغربية على أصالة العلوم العربية، بل يجب أخذ ما يمكن أن يفيد ويعين على التطور؛ فلكل لغة خصوصية وشخصية لا يمكن الاستهانة بها.

وللتجديد حدود تفرضه أصالة كل حقل علمي، وتاريخه وظروف نشأته، بل وحاجته إلى هذه النظرية أو تلك، والدعوات إلى (تحديد البلاغة) لا غبار عليها خاصة في غمرة التحديات التي تواجهها البلاغة العربية أمام موجة التيارات الحديثة الغربية، ولكن يجب تطوير المقاييس الغربية لتلائم البلاغة العربية وليس العكس.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- الوقوف على مفهوم الكناية التصورية، ومفهوم التجاور الكنائي.
- تحديد مفهوم المزج التصوري وعلاقته بالفضاءات الذهنية.
- بيان أثر السياق والثقافة في بناء الكناية وتفكيكها.
- معرفة أنواع الكنايات التصورية ووظائفها المعرفية.
- توضيح العلاقة بين التشفير والترميز الجزئي في الكناية، وإثراء التفاعلات والتصورية وتوليد الدلالات.
- بيان أثر الإحالة الكنائية في ربط التعالقات التصورية بين المجال المصدر

(١) درج بعض الباحثين على إطلاق مصطلح (البلاغة القديمة)، و(البلاغة التقليدية) على البلاغة التراثية في مقابل مصطلح (البلاغة المعاصرة)، وهما مصطلحان مجحفان في حق البلاغة العربية التراثية توحى بانتهاء دورها، وأقول نجمها، أما (التراثية) فتعطي البلاغة العربية قيمتها التاريخية كجزء مهم من الإرث العربي، وحقل خصب من الحقول المعرفية، كنز من كنوز المعرفة الإنسانية.

والمجال الهدف.

أسباب اختيار البحث:

- من الأسباب التي دفعت الباحث للخوض في هذه الدراسة:
- الأهمية المركزية للكناية في أساليب التعبير وأنماطه؛ باعتبارها إستراتيجية من إستراتيجيات الخطاب.
- أثر الكناية البالغ في العملية التواصلية، ونقل الأفكار والتجارب والانفعالات، وتعميق المعنى.
- كسر طوق الجمود في النظرة التقليدية للكناية، باعتبارها فن بلاغي قادر على التطور والتعاطي مع النظريات الحديثة.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج الاستقرائي في رصد الظاهرة موضوع الدراسة، والمنهج التحليلي في مقارنة النماذج وإصدار الأحكام والخروج بنتائج.

أسئلة البحث:

- تدور مشكلة البحث حول محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات:
- ما مفهوم الكناية التصويرية، وما مفهوم التجاور الكنائي.
- ما هو مفهوم المزج التصوري وما علاقته بالفضاءات الذهنية.
- ما أثر السياق والثقافة في بناء الكناية وتفكيكها.
- ما هي أنواع الكنايات التصويرية ووظائفها المعرفية.
- ما العلاقة بين التشفير والترميز الجزئي في الكناية، وإثراء التفاعلات والتصورية وتوليد الدلالات.
- ما مدى تأثير الإحالة الكنائية في ربط التعالقات التصويرية بين المجال المصدر والمجال الهدف.

تقسيمات البحث:

قسّمت هذا البحث إلى ستة مطالب تسبقها مقدّمة وتمهيد وتعقبها خاتمة وفهارس، وذلك على النحو التالي:

- مقدّمة.
- تمهيد: مفهوم الكناية التصوريّة.
- المطلب الأول: التجاور التصوري (الكنائي).
- المطلب الثاني: تشكيل الكناية التصوريّة، وتأويلها.
- المطلب الثالث: الإحالة في الكناية التصوريّة.
- المطلب الرابع: أنواع الكنايات التصوريّة.
- المطلب الخامس: الكناية ونظريّة المزج التصوريّ.
- المطلب السادس: الوظائف المعرفيّة للكناية التصوريّة.



تمهيد: مفهوم الكناية التصويرية

تشكّل الكناية حضوراً طاغياً في اللغة الأدبية؛ شعراً ونثراً، وفي القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأسلوب الكنائي وسيلة يعبر بها المتكلم عن تجاربه ومشاعره باعتباره جسراً لنقل الفكرة في أطر زاهية من أفانين القول التي تحرك الدّهن وملكة التّصوّر لدى المتلقّي.

والكناية فنّ بلاغيّ وذو طبيعة تصوّريّة لارتباطها بالمفاهيم الثقافية، والقيم المعرفيّة، ولكونها ذات طبيعة متغيّرة؛ إذ تتغيّر أنماطها وأساليبها بتغيّر إيقاع الحياة وسيورتها؛ فهي وسيلة لا غنى عنها في التواصل بين أفراد المجتمع أو الأمة في عصر ما، وآليّة بيانيّة تمثّل وجهاً مهنّاً من أوجه النشاط اللغويّ.

وقد ظلّ مفهوم الكناية في البلاغة التراثيّة محصوراً في نطاق الاستبدال؛ أي: استبدال عنصر لغويّ بعنصر لغويّ آخر وفق المنظور الثقافيّ لمجتمع ما أو أمة ما في عصر من العصور، ويؤصّل إلى المعنى المراد فيها من خلال سلسلة من الارتباطات المنطقيّة.

ولكن بيزوغ فجر العلوم المعرفيّة غيّرت النظرة التقليديّة إلى الكناية؛ فباتت في البحث العرفانيّ المعاصر آليّة معرفيّة، وجزءاً من النسق تصوّريّ للإنسان؛ فالتعبير عن التجربة تتأسّس على أنظمة تصوّريّة تجسّدها الكناية بهدف الوصول إلى فهم أعمق؛ فالكناية فن يقوم على التجربة والفكر، وتتنظم في نسق من التصورات، وظيفتها إحاليّة بين كيانين في إطار تصوّريّ واحد^(١)، وبهذه النظرة الجديدة انفتحت آفاق رحبة لتقديم المزيد من الدراسات في هذا الحقل المعرفيّ.

وعليه لم تعد الكناية مجرد ظاهرة لغويّة تقوم على الاستبدال، وإنّما نسق تصوّريّ

(١) الحبيب المقديني، "الاستعارة والكناية في الدراسات اللسانية العرفيّة" (ضمن أعمال الندوة المهداة إلى روح الأستاذ عبد الله صولة: الدلالة النظرية والتطبيقات)، (منوبة، كلية الآداب، ٢٠١٠م)، ٤٧٩.

وجزء من النظام الذهني للإنسان، ومن هنا غدت الكناية التصورية وسيلة فاعلة يمكن توظيفها في التعبير عن تجارب الفرد، ونقل فكره ومشاعره.

وثبني الكناية التصورية على مبدأ (الإحالة) بين مجالين: مجال مصدر (المكتى به)، ومجال هدف (المكتى عنه)، وكلاً من المجالين قد يكون معنوياً أو حسياً؛ ومن هذا المنطلق فإن الكناية التصورية تعين على فهم مجال من خلال مجال آخر "إن التصورات الكنائية تسمح لنا بتصور شيء من خلال ارتباطه بشيء آخر"^(١).

والكناية في اللسانيات المعرفية آلية معرفية تشكل حضوراً كبيراً في اللغة الرسمية، ولغة الحياة اليومية باعتبارها أسلوباً فطرياً في لغة البشر، ومن ثم فإن الكناية دور أصيل في بناء الخطاب، والإسهام في التفاعل والتواصل ونقل الفكر وصياغة المعنى بين أطراف العملية التواصلية.

وبما أن الكناية منتوج لغوي يسهم في بلورة رؤيتنا للحياة، إلا إنها وليدة الثقافة التي هي بدورها القاعدة الأساسية التي يعتمد عليها المتلقي في تفكيك بنية الكناية والوقوف على المعاني الكامنة خلفها، باعتبار الكناية إستراتيجية من إستراتيجيات الخطاب يتيح للمتكلم بناء تصورات تقوم على الرمز والتشفير؛ يختزل فيها تعبيرات ومعان لتحقيق أهدافه، وبذا فإن الكناية تعتمد على مهارة التفكير في إبداع التصور الذهني، مستثمرة معطيات الأنساق الثقافية التي تمكن المتلقي من الاستنتاج المنطقي الموضوعي؛ فتصبح الكناية قابلة للإدراك.

وللكناية أهمية مركزية في البلاغة، وهي تقوم على استدعاء عناصر من خارج اللغة لفهمها وتأويلها؛ لاعتمادها على علاقات خارجية تؤثر فيها كالثقافة، والسياق، والمقام، والمعارف السائدة.

(١) جورج لايكوف، مارك جونسون، "الاستعارات التي نحيا بها". ترجمة: عبد المجيد جحفة،

(المغرب، دارتوبقال للنشر، ٢٠٠٩)، ط ٢، ٢٢٨.

وبما إنّ الألفاظ اللغوية هي جزء من المقدرة اللغوية لأطراف العملية التواصلية؛ فإنّها من هذا المنظور من الخواصّ الإنسانية المشتركة بين أطراف الخطاب، وهذا مما ييسّر عملية الفهم بين الجملة الكنائية وتأويلها، مع الأخذ في الاعتبار أن الكناية لا تعتمد في تميّزها على التراكيب اللغوية؛ إذ لا نجد فيها انزياحا استبداليا أو تركيبيا؛ لعدم انتفاء إرادة المعنى الأصلي^(١).

ولم تعد النظرة التقليدية للكناية تؤسّس لتطوّر هذا العلم الذي يشكّل جزءاً مهماً في الخطاب والتواصل بين البشر، فهي - والحالة هذه - لا تغني المعارف والتصورات؛ لعدم كفايتها المعرفية والإجرائية من منطق العلوم العرفانية الحديثة، ومن ثم فالنظرة التقليدية تلك لا تركز على الخصائص الدلالية التركيبية والأبعاد المعرفية للكناية وتحليلها وتأويلها.

وقد استطاعت المناهج اللسانية المعاصرة أن تحدث تطوراً كبيراً في المفاهيم الإجرائية في الدرس البلاغيّ أسهمت في بلورة نظرة جديدة للبلاغة، وهي نظرة عميقة تجاوزت المنظور التقليديّ، وحظيت فيها الكناية باهتمام كبير تلمّست جوانب القصور في الدرس البلاغيّ التراثي؛ فهيأت المناخ الملائم لدراسة الكناية وفق النظرة الجديدة سواء من حيث الوظيفة والمفهوم، أو من حيث آليات اشتغالها وتأويلها، فكان من أثر ذلك ميلاد الكناية في ثوبها التصوريّ، ومن أهمّ تلك الدراسات ما قدمه لايكوف وجونسون في كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها).

والتعبير الكنائيّ التصوريّ يحتل مساحة في الحقل الدلاليّ باعتبار أنّ الكلمة لها علاقات بما حولها عن طريق الأفكار والخواطر المحيطة بها؛ فالكلمة بحسب إستيفن

(١) صلاح فضل، "علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته". (القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م)، ط ١،

أولمان "تستدعي كلمات أخرى لها علاقة بها؛ إما معنوياً وإما شكلياً"^(١)؛ فالكلمات تدلّ على بنيات تصوّريّة ذهنيّة ناتجة عن التفاعل الذهنيّ القائم على تكرار التجارب^(٢) فهي في حقيقتها تجلّ لعمليات تحدث في الدّهن.

المطلب الأول: التجاور التصوري (الكنائي):

تذهب البلاغة التراثيّة إلى أنّ التجاور في الكناية مسألة لغويّة، تتم في السياق اللغويّ بين رموز اللغة؛ بمعنى تجاور كلمتين في الدلالة التي يتشكّل منها التعبير الكنائيّ، بينما ترى البلاغة المعرفيّة أنّ التجاور الكنائيّ مسألة تصوّريّة.

وعلى ضوء كلّ مفهوم مما سبق؛ فإنّ البلاغة التراثيّة تحصر التجاور الكنائيّ في الإطار الموضوعيّ الحقيقيّ؛ ففكرة التجاور الكنائيّ في فلسفتها تقع بين ما هو حقيقيّ؛ بإدراك علاقة كلمة حقيقيّة بأخرى بحسب المفاهيم الثقافيّة السائدة، وهي علاقة الاستبدال اللغويّ لأغراض يقصدها المتكلّم كاستبدال (الجَماع) بـ(الملامسة) كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٣)، أو استبدال (احمرار الوجه) بـ(الغضب)، كما في قولنا: (رَأَى الْوَاعِظُ مُنْكَرًا فَاحْمَرَّ وَجْهُهُ).

وتعرّف التجاور الكنائيّ بأنّه: العلاقة الوثيقة والمباشرة بين كيّانين أو عنصرين، أو بمعنى أدق: هو مدى التعالق والارتباط بين كيّانين في النموذج المعرفيّ. وهذا التجاور المعرفيّ يعمل على معالجة المعلومات التي تتعالق بها العناصر داخل الفضاءات الذهنيّة لبناء تصوّرات معرفيّة^(٤).

(١) محمود جاد الرب، "نظرية الحقول الدلاليّة والمعاجم المعنويّة عند العرب". مجلة مجمع اللغة العربيّة، ٧١، (١٩٩٢م): ٢١٣.

(٢) لايكوف، جونسون، "الاستعارات التي نخيا بها". ٢٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣

(٤) الزناد، "نظريات لساويّة عرفيّة". ١٩٩.

وإن كانت الاستعارة تُبنى على المشابهة بين مجالين؛ فإنَّ الكناية التصويرية تُبنى على المجاورة في الربط بين المصدر والهدف، عبر سلسلة من التصورات السُّلمية (المتدرّجة) التي قد تطول أو تقصر بحسب حاجة الأنساق التصويرية؛ فبالنظر إلى الثقافة العربية القديمة نأخذ قول حسان بن ثابت^(١):

يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُثْقِلِ

فالمجال مصدر: (ما تَهَرُّ كِلَابُهُمْ) والمجال الهدف: (الجود والكرم)، والوظيفة الإحالية بين المجالين هو الاستدلال بعدم هريز الكلاب على جود هؤلاء الممدوحين وكرمهم عن طريق مبدأ التجاور الكنائي الذي يتمثل في عدد من التصورات المتعلقة انطلاقاً من المجال المصدر: عدم هريز الكلاب، إلفتها للناس، كثرة الناس الذين يغشون دور هؤلاء الممدوحين، حسن الضيافة ووفرة العطاء الذي يغري الناس بغشاية دور الممدوحين، كرم الممدوحين وجودهم.

تؤدّي المسارات التصويرية للتجاور وظيفة مهمّة في تحقيق الانسجام بين عناصر السلسلة التي تربط بين المجالين (المصدر، الهدف)، وذلك على ضوء الأنساق الثقافية والاجتماعية والفكرية؛ فللاستعمالات الكنائية مرجعيّات ثقافية وتجارب حياتية تشكّل ركيزة ودعامة لتأويل الكناية وتصوّرها، والتجاور إحدى المرتكزات الأساسية في بناء وتفكيك الكناية، وكشف أبعادها المعرفية.

وبالنظر إلى الثقافة المعاصرة نجد تعبيرات كنائية تصويرية من قبيل: (لَزِمَ فُلَانٌ السَّرِيرَ الْأَبْيَضَ)، فالمجال المصدر: (لزوم السرير الأبيض)، والمجال الهدف: (المرض الذي يستدعي التنويم)، والوظيفة الإحالية بين المجالين هو الاستدلال بالسرير الأبيض على المرض الذي يستدعي التنويم عن طريق مبدأ التجاور الكنائي انطلاقاً من المجال المصدر: لزوم السرير الأبيض، البياض رمز السلام، المرضي في حاجة إلى ما يحرك التفاؤل

(١) حسان بن ثابت، "ديوان حسان بن ثابت". (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ط ٢، ١١.

في نفوسهم، البياض يريح المريض ويبشّره بالعافية، جعل أسرة المراكز العلاجية بيضاء لأجل بث الأمل في نفوس المرضى، لزوم السرير الأبيض يعنى الإصابة بمرض استدعى التنويم في المشفى.

وبالنظر إلى المثالين السابقين يتضح أنّ التجاور الكنائي عبارة عن مجموعة من العلاقات التصورية بين المجالين، يحكمها السياق والثقافة والبيئة والمقام، التي تقود إلى إسقاط ناجح بين المصدر والهدف للوصول إلى المعنى الذي هو "نتيجة علاقات متشابكة متداخلة؛ فهو ليس فقط ولید لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالاتها النهائية من خلال ملابسات الأحداث، أي: من خلال السياق"^(١).

المطلب الثاني: تشكيل الكناية التصويرية، وتأويلها

تعتمد الكناية في حقيقتها على ترميز المعنى وربما تشفيره؛ فالمعنى في الكناية عملية تصوّرية في المقام الأول، وتعتمد على مبادئ معرفية تسهم في تشكيل المعنى عن طريق الترميز لخلق معانٍ جديدة، وبلورة أفكار للوصول إلى فهم أعمق وشامل لما يرمي إليه التعبير الكنائي.

والثقافة المجتمعية السائدة هي التي تعين على البناء والتفكيك وفرض ختام الترميز الكنائي؛ لأنّ المبادئ الإستراتيجية التي تحكم التصوّرات الذهنية عند بناء الكناية هي نفسها التي تتيح للمتلقي فهم المعنى، وتجعل الكناية قابلة للإدراك.

وللسياق أثر جليّ في فكّ رموز الكناية وإعادة تشكيل المعنى وفق تصوّر المتكلم، ولذا اهتمّت النظريات اللسانية المعرفية بالسياق والمقام في فهم مرامي الكلام، وذلك يستدعي "إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمّن الأحداث الكلامية. فالقول

(١) محمد إسماعيل بصل، فاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث". مجلة

دراسات في اللغة العربية وآدابها، ١٨، (٢٠١٤م): ٤.

إنَّ الإدراك اللغويّ والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع ليس سوى خرافة مضللة^(١).

إنَّ بناء الكناية التصويرية من وجهة النظر المعرفية تستلزم عمليتين: عملية بناء فضاءات ذهنية. وعملية الربط بينها. وهما عمليتان تكتملان تحت مظلة السياق أو المقام وفق إستراتيجيات لغوية اقتضائية، وثقافية تنسجم والسياق، ويضعها المنشئ في إطار من الترميز؛ فالكناية - كما أشرنا - عملية ترميز جزئية للمعنى يحيل إلى عمليات ذهنية تثري التفاعلات التصويرية، وتوسع مدى مدلولات الترميز اللغوي.

تأويل الكناية التصويرية:

الكناية أسلوب تعبيريّ معرفيّ تعتمد على ترميز اللغة، وعلى ماورائية المعنى؛ ولذا فإنَّ تأويل مقصد الكناية يتطلّب تفاعلاً بين العبارة الكنائية والمتلقّي، وهذا التفاعل يتم على خلفيّة الثقافة التي تعمل على توجيه ذهن المتلقّي نحو بلورة الفكرة وإمالة لثام الترميز عنها، فالعمل "الفني قابل للتأويل بطرق متعدّدة دون أن يؤدّي ذلك إلى فساد خصوصيته، ويكون التفاعل فيه بين العمل باعتباره معطًى موضوعياً، والمتلقّي باعتباره الذات المدركة التي تتولّد عنها قراءات متباينة للنص على الخلفيّة الثقافية"^(٢).

وهناك أمور تعدّ بمثابة حدود؛ بل وموجّهات صارمة في مسألة التأويل الموضوعي للكناية التصويرية، وهي:

- المقام والسياق.
- المسار الدلالي.

(١) شفيقة العلوي، "محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة". (بيروت، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م) ط١، ٢٠.

(٢) رشيد الإدريسي، "سيمياء التأويل: الحريي بين العبارة والإشارة". (الدار البيضاء، المدارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)، ط١، ١٤.

- الأنساق الثقافية.

- مقاصد المتكلم.

- الفهم السليم.

فهي عوامل تتحكم وتحكم مسار التأويل، وتعمل على ضبط تصوّرات المتلقّي، فقولنا: (كَبُرَ فُلَانٌ وَجَاءَهُ النَّذِيرُ)؛ فَإِنَّ (الندير) تعبير كُنائي يفتح باباً لتأويلات متعدّدة فقد يدلّ على: (واعظ، مشيب، إنسان يسمّى نذير، شخص أُرسِل لينذر المخاطب في أمر مخصوص كضرورة المسارعة في سداد دين) ونحو ذلك ولكن السياق والمقام يستبعدان كل تلك التأويلات ما عدا (المشيب)، كما أنّ الثقافة العربيّة درجت على تسمية (المشيب) إنذاراً بقرب الهلاك. مع الأخذ في الاعتبار أنّ التأويل يختلف باختلاف تلك الموجهات، خاصّة الثقافة؛ لاختلاف كل ثقافة وخصائصها^(١).

فتأويل الكناية التصورية تعتمد - مثل الاستعارة - على المؤولات الكامنة في المعجم الثقافي للمتلقّي^(٢)، وغطاء الترميز في الكناية^(٣) لا يمكن كشفه إلا من خلال معرفة السياق والمقام الذي جاء فيهما؛ كما الحال في الاستعارة التصورية.

(١) أمبرتو إيكو، "القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائيّة". ترجمة: أنطوان

أبوزيد، (الدار البيضاء، المركز العربي، ١٩٩٦م)، ط ١، ١٦٠.

(٢) الإدريسي، "سيمياء التأويل: الحريري بين العبارة والإشارة"، ٤٥.

(٣) ويظهر الترميز بوضوح في الكنايات التي تأتي على سبيل الألفاظ، كما في قول القائل:

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ وَكَمَعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي

مَوَاطِبُ الْحَمْسِ لَأَوْقَاتِهَا مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

وهي كناية عن (القلم)، مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العربي". (مؤسسة هنداوي،

٢٠١٧م)، ١٠١١.

والعملية الإدراكية للكناية التصورية هي عملية تفكير ترتبط بالبنية المعرفية للإنسان، وهي عملية قائمة على التفاعل بين الذهن والمحيط الخارجي بما فيها اللغة، وعلم النفس الإدراكي ترى أنّ العملية الإدراكية هي: "محاولة فهم العالم من حولنا من خلال تفسير المعلومات القادمة من الحواس إلى الدماغ، والفهم هنا ينطوي على التفسير والترميز والتحليل والتخزين، والاستجابة الخارجية عند الحاجة"^(١).

والسياق هو العمدية في فهم الكناية وتأويلها، يقول استيفن أولمان: "إنّ نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثّل الحجر الأساس في علم المعنى"^(٢)، وهذا يشير بجلاء إلى أهمية السياق في عملية تفكيك الكناية التصورية وتأويلها، والتوصل إلى تفسيره وفهمه، وإعادة لإنتاج المعنى، فمن خلال الفضاءات الذهنية المتولدة عن الإحالة الكنائية يقف المؤول على المفاهيم المختزلة في التعبير الكنائي والمعاني المضمرة، وكيف أفلح المتكلم في تمرير معانيه بطريقة فنية خفية.

والمسار الدلالي يسهم في توجيه العملية التأويلية والإدراكية، ولكن هذه العملية ليست خاضعة للأهواء والأمزجة بقدر ما تخضع لمنطق العقل.

وإن كان تأويل الكناية التصورية عملية إدراكية تتحكم فيها المسار الدلالي، والفضاءات الذهنية، والثقافة المعرفية والسياق والمقام؛ إلا أنّها تحتفظ بسلطانها الإبداعية.

المطلب الثالث: الإحالة في الكناية التصورية

الإحالة في الكناية بين المجالين التصوريين تُبنى على المسافة بين المجالين أو الكيانين؛ فالعلاقة بين المصدر والهدف يعتمد على القرب أو البعد التصوريّ بينهما، وقوة العلاقة

(١) أنور محمد الشرقاوي، "علم النفس المعرفي المعاصر". (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣م)، ط٢، ٢٧.

(٢) استيفن أولمان، "دور الكلمة في اللغة". ترجمة: كمال محمد بشر، القاهرة، مكتبة الشباب، د.ت، ٣٢.

التصورية بين المصدر والمهدف تقوم على مدى القرب التصوريّ بينهما، ومدى قوة العلاقة التجاورية بينهما، مع الأخذ في الاعتبار أنّ القوة التجاورية متفاوتة بحسب بناء الكناية واختيار عناصرها ومكوناتها.

وعملية الإحالة هذه لا تتم بمعزل عن السياق والمقام؛ فلا بد من إدراك العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، ومن مكونات الموقف الكلامي: شخصية المتكلم، وشخصية السامع وتكوينهما الثقافي، والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، بالسلوك اللغوي، وأثر الحدث الكلامي في المشاركين في العملية التواصلية^(١).

وتعمل الإحالة الكنائية على توليد دلالات جديدة بهدف الفهم وإثراء الخيال، وإغناء المعرفة - كما سيتضح لاحقاً من خلال تحليل نماذج الفضاءات الذهنية-؛ فالكناية لا تخلو من قيم معرفية مرتبطة بأنماط الثقافة، ومن هنا فإنّ الكناية تمثّل -من المنظور المعرفي- نسقاً تعبيرياً لها خاصية توليد الدلالات، إلى جانب وظيفتها المعرفية.

المطلب الرابع: أنواع الكنايات التصورية

الكناية تُبنى على الترميز الجزئي، وإنّ كانت الكناية الجزئية تمثّل نوعاً من أنواع الكناية؛ فهي كامنة في بقية الأنواع؛ لأنّها سمة بارزة من سماتها.

الكناية الجزئية: (الكل والجزء)

وهي كثيرة شائعة في الاستعمال؛ فالكون يقوم على كل وجزء؛ فكثير من أجزاء مكوّنة لكليات، وكثير من الكليات مشتملة على أجزاء مكوّنة لها، ومن أمثلة هذا النوع قول الخنساء في الرثاء^(٢):

(١) حسن محمد زعطوط، "المفاهيم النظرية لسياق الحال ومكوناته عند محمد الطاهر عاشور". مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، (٢٠١١م) ٣٨: ١.

(٢) نماضر بنت عمرو بن الحارث، "ديوان الخنساء". تحقيق: أنور أبو سويلم، (الأردن، دار عمّار للنشر والتوزيع ١٩٩٨م)، ط ١، ١٤٣.

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فالتعبير الكِنَائِيّ في: (كثير الرماد)، والمجال المصدر (المكْتَى به): كثرة الرماد، والمجال الهدف (المكْتَى عنه): الجود والكرم، والوظيفة الإِحَالِيَّة بين المجالين: استدعاء مجموعة من الارتباطات التَصَوُّرِيَّة للاستدلال بكثرة الرماد على جود وكرم الممدوح بشيء جزئيّ وهو (منظر كثرة الرماد)؛ مع أنَّ الجود يقوم على أشياء كثيرة تشكّل (الكل)، و(كثرة الرماد) جزء منها.

فالنسق التَصَوُّرِيّ للجود والكرم يشمل: البشاشة، والسماحة، وحسن الاستقبال، والترحيب، والمنزلة المناسبة للضيوف، والبذل في المال أو الطعام أو كليهما، والمنح والهبات، وإيقاد النار ليلاً لإرشاد الضيوف، وغيرها من القيم، وهي أجزاء مكونة لمفهوم (الجود والكرم)، ولكن العرب درجت على استعمال الجزء (كثرة الرماد)، واختزال بقيّة العناصر الأخرى؛ لكونها الأظهر والأغلب، وإطعام الطعام في تلك الفترة من أهم مظاهر الكرم. الكناية الوعائية: (الوعاء والمحتوى).

يقوم الكون على أوعية فيها محتوى، أو على محتويات في أوعية، ومن أمثلة هذا النوع قول عمرو بن معدكرب الزبيدي^(١):

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْصَ مُحَمَّدٍ والطَّاعِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

التعبير الكِنَائِيّ في: (مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ)، والمجال المصدر (المكْتَى به): مجامع الْأَضْغَانِ، والمجال الهدف (المكْتَى عنه): القلوب، والوظيفة الإِحَالِيَّة بين المجالين: استدعاء مجموعة من الارتباطات التَصَوُّرِيَّة للاستدلال على أنَّ (القلوب) أوعية لمحتوى هو (الضغائن)، مع أنَّ القلب وعاء لأشياء أخرى يمكن أن تدلّ عليه كالحبّ، والخوف،

(١) مطاع الطرايشي، "شعر عمرو بن معدكرب الزبيدي". (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥م)، ط ٢، ١٧٤.

والحسد، ونحو ذلك مما يعتمل في القلب، إلا إنّ الثقافة والعرف الاجتماعيّ يفرضان سيادة الضغائن والأحقاد على هذا الوعاء، فالضعينة الناتجة عن الغضب للقبيلة، وكرهيّة أعدائها، والرغبة في الثأر والانتقام هو ما يجب أن يسود قلب الرجل، ويكون دافعاً له على الرغبة في الحرب، وصدق الحملة في القتال، ولذا فهي الصفة (المحتوى) الأبرز الذي يجدر أن يكون عليه محاربو القبيلة وفرسانها في عصر الشاعر، ويجب أن يكون هذا هو الشعور الطاعني على الوعاء (القلب)، فيُشار بها إليه، أمّا مشاعر الحبّ فالأعراف الاجتماعية القبليّة آنذاك تستدعي كتمانها، أمّا الخوف والحسد فهما ممّا يحاول المرء التبرؤ منهما - قدر المستطاع - كما أنّهما ليستا من الصفات الملازمة للفارس. ومن ذلك قول الشنفرى^(١):

تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتَهَا إِذَا مَا يُبُوتُ بِالْمَذْمَةِ حُلَّتِ

فالمجال المصدر: (تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتَهَا)، والمجال الهدف: (العفة)، وهذا البيت العفيف وعاء لهذه المرأة.

الكناية الزمنية:

وهي ترتبط بأحداث وحالات قد تكون غير مستقرّة؛ فهي تتعلّق بأزمة غير محدودة؛ هي أزمة الحدث وما يستتبعها، وتنقسم إلى قسمين:

١- كناية الحدث الكلّي والحدث الفرعيّ.

٢- كناية الحدث السابق والحدث اللاحق.

ومن أمثلة النوع الأوّل، قول خالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير

(١) الشنفرى، "ديوان الشنفرى". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (بيروت، دار الكتاب العربي،

١٩٩٦م)، ط ٢، ٣٢.

بن العوام^(١):

تَجَوَّلُ خَلَائِلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرِمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا

التعبير الكنائِيّ في: (وَلَا أَرَى لِرِمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ)، المجال المصدر: (عدم سماع صوت خلاخيل هذه المرأة)، المجال الهدف: (امتلاء الرسغ) مما يدلّ على سمنتها وامتلاء جسدها، والوظيفة الإحاليّة بين المجالين: استدعاء مجموعة من الارتباطات التَصَوُّريّة للاستدلال على الحدث الفرعي (عدم حركة الخلاخيل) على امتلاء الجسد (الحدث الكلّي)، الذي يستدعي أنّ جسد المرأة كله ممتلئاً وليس الرسغ فحسب.

ومن أمثلة النوع الثاني قولهم: (جَفَّ حَلْقُ الْمُتَّهِمِ)، فالمجال المصدر: (جفاف الحلق)، والمجال الهدف: (الخوف أو التوتر)، والوظيفة الإحاليّة بين المجالين: استدعاء جملة من الارتباطات التَصَوُّريّة للاستدلال بالحدث اللاحق (جفاف الحلق) على الحدث السابق (الخوف)، فالخوف هو الحدث السابق الذي نتج عنه الحدث اللاحق (جفاف الحلق).

الكناية الاستعارية الاقتضائية:

هي الكناية التي تطفئ فيها الاستعارة، وتتوارى الكناية، ولا تنال حظاً في التعبير إلا من خلال اقتضائها للمجال الهدف، ومن ذلك قول الشاعر:

الْيُمْنُ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ وَالْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ

الاستعارة هنا تطفئ على هذا التعبير؛ بحيث يسيطر منظر (اليُمْن) وقد استحال إلى إنسان يتبع ظلّ الممدوح، فيلازمه لا يفارقه، و(المجد) بات إنساناً في ركب الممدوح من جملة من هم في موكبه الدائم، ممّا يدلّ على الملازمة وعدم الانفكاك، والمتلقّي ينشغل بتأمّل هذه الصورة وتمثّلها؛ فينسى ما اشتمل عليه التعبير من كناية تقتضيها هاتان

(١) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، "الأغاني". تحقيق: إحسان عباس، وآخرون، (بيروت،

دار صادر ٢٠٠٨م)، ط ٣، ١٧: ٢٢٠.

الاستعارتان؛ فاتباع (اليمن) ظلّ الممدوح يتطلّب أن يكون الممدوح (ميموناً)، وسير (المجد) في ركابه يقتضي أن يكون (مجيداً)، وإلا لما تبعه (اليمن) ولا سار (المجد) في ركابه؛ فالجمال المصدر: (اتباع اليمن ظله ومشى المجد في ركابه)، والجمال الهدف: (كون الممدوح ميموناً مجيداً)، والوظيفة الإحالية: استدعاء جملة من الارتباطات التصورية للاستدلال بالاستعارتين على كون الممدوح ميموناً مجيداً.

الكناية الاستدلالية: (التمثيلية):

وهي القائمة على المشابهة بين المجالين؛ بحيث يكون المجال المصدر تمثيلاً دقيقاً للمجال الهدف، فيبرز المعنى في لوحة معبرة يدلّ على المعنى بكل أبعاده، ومما ورد في الحكمة: (إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ)^(١)، فالجمال المصدر: (خضراء الدمن)، والجمال الهدف: (المرأة الجميلة في منبت السوء)، والوظيفة الإحالية بين المجالين هو الارتباط التمثيلي؛ فالنبته التي تنمو في الدمن تبدو أكثر خضرة وروعة لما تمده به الدمن من المواد العضوية التي تجعلها يانعةً وأحسن نباتاً ونمواً؛ ولكنها مواد خبيثة، وكذا المرأة الجميلة في منبت السوء تتغذى على الخبائث تنشأ عليها، وهذا تمثيل قائم على المشابهة الاستدلالية التي تأتي برهاناً يحاج عن نهي الاقتران بهذه المرأة.

ومن ذلك قولنا: (يُسْهِمُ الذَّهَبُ الْأَسْوَدُ فِي تَخْصَةِ الْاِقْتِصَادِ)، فالجمال المصدر: (الذهب الأسود)، والجمال الهدف: (النفط)، وهي كناية استدلالية قائمة على تمثيل قيمة النفط بقيمة الذهب.

المطلب الخامس: الكناية ونظرية المزج التصوري

تتعلّق هذه النظرية بعملية الاسقاط الكنائي بين المجالين (المصدر والهدف)، وهي عملية ذهنية تعمل على إنتاج شبكة من العلاقات التصورية التي تترج في تشكيل

(١) أحمد بن محمد النيسابوري، "مجمع الامثال". (تركيا، مؤسسة الطبع والنشر، ١٣٠٠هـ)، ١: ٣٢.

الصورة، وبناء المعنى من خلال الأنساق والفضاءات الذهنية "المزج التصوريّ" عملية ذهنيّة أساسيّة تشغل على فضاءات تصوّريّة لإنتاج شبكات امتزاج تصوّريّة وبعض الفضاءات التصوّريّة توفرّ إدخالات إلى الشبكة، وبتوجيه من الإسقاط الانتقائيّ ينطلق من فضاءات الإدخال التصوّريّة، ومن العلاقات بينها وبين عناصرها نحو فضاء تصوّريّ ممزوج، غالبًا ما يكون له بنية منبثقة خاصّة به^(١).

ونظرية المزج التصوريّ أفرزتها نظرية الفضاءات الذهنية، وباتت امتدادًا لها، وهي تُعنى بالعناصر البارزة في بناء المعنى، وتقوم على التصوّرات الذهنية؛ فالفضاء هو المجال الرحب الذي يضطرب فيه التصوّرات والمتخيلات والمدرّكات من واقع الكلام بين أطراف العملية التواصلية^(٢) لبناء الصورة المركّبة من الإسقاط بين المصدر والهدف، وهي العملية التي تستلزم مزجًا بينويًا توسّع من المعنى عن طريق تفعيل خاصيّة التخييل الذهنيّ؛ فالتخييل عملية مركزيّة في طبيعة الدّهن البشريّ وتفكيره.

والصورة هنا هي: "كل حيلة لغويّة يُراد بها المعنى البعيد لا القريب للألفاظ"^(٣)، والصورة من هذا المنطلق تمثيل ذهنيّ يتبع للإسقاط الكنائيّ، وتمتزج بعض خصائص المجال المصدر مع بعض خصائص المجال الهدف لإنتاج تصوّر جديد داخل البنية الكنائيّة للجملة. وللمزج التصوريّ أهميّة في توليد المعنى الجديد المتعلّق بالتصوّر المتمثّل في الصورة الممتزجة، وهي بنية دلاليّة استلزمتهما الإحالة بين المجالين، وهكذا يفلح المزج التصوريّ في إنتاج معنى جديد، يوسّع قاعدة الفهم على خلفيّة القيمة الجماليّة.

(١) عمر دحمان، "الاستعارات والخطاب الأدبي، مقارنة معرفية معاصرة". رسالة دكتوراه، جامعة

مولود معمري، (٢٠١٢م): ١٦٢.

(٢) الزناد، "نظريات لسانية عرفيّة". ٢٢٣.

(٣) مجدي، وهبة، وآخرون، "المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (بيروت، مكتبة لبنان،

١٩٨٤م)، ط٢، ٢٢٧.

إنّ نظريّة المزج التصوريّ قريبة من نظريّة (العوالم الممكنة) التي يرى فيه أمبرتو إيكو أنّ العالم الممكن هو عالم مُتخيّل يفترضه القارئ أثناء تأويله للنّص^(١)، وهذا العالم المفترض يمثّل جزءاً من عوالم كثيرة يمكن للقارئ تأويله وفق معطيات الجملة أو النّص، "عالم الواقع ليس هو العالم الممكن الوحيد؛ بل هناك عوالم ممكنة متعدّدة وأنّ عالم الواقع هو أفضل هذه العوالم جميعاً".

والعوالم الممكنة وجهة نظر سيميائية؛ فهي عوالم تفيض بالمعطيات الثقافية التي يختزنها المتلقّي في موسوعته الثقافية الدّهنيّة؛ يستعين بها في توقّعاته لمسار نص، يتعاطى معه عن طريق تخيّل عالم مواز؛ فالعوالم الممكنة فضاء يسمح بإنتاج مجموعة من العوالم؛ فالمتكلّم في بناء كنياته يبيّن فكرته - عن طريق المزج التصوريّ - على إستراتيجية لغويّة يستهدف بها إثارة تأويلات من المتلقّي، بينما المتلقّي نفسه يشيّد عالماً من التأويلات انطلاقاً من خلفيته الثقافية، وبين العالمين يُولد المزج التصوريّ الذي يتفاعل معه المتلقّي لينتج المعنى.

فمثلاً قولنا: (أَصَابَ فُلَانًا الْقَاتِلُ الصَّامِتُ)، فهذه كناية قائمة على الإحالة بين مجال مصدر: (القاتل الصامت)، ومجال هدف: (داء السكر)، والمزج التصوريّ بين المجالين يقوم على مزج المرض بالقاتل المتخفّي؛ لإنتاج فضاءات ممزوجة يبرز داء السكر في هيئة خطيرة وصورة مخيفة توجب الحذر منه، وأخذ الحيطة والأهبة.

←	الحادث الفسيولوجي:	المرض.
←	القاتل المتخفي الصامت:	مضاعفات المرض.
←	عملية القتل السريّة:	نُحس المرض جسد المريض في
←	النتيجة:	خفاء وبطء.
←		وفاة المريض لاحقاً.

(١) إيكو، "القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائيّة". ١٢٣.

إنَّ المجال المصدر (القاتل الصامت)، والمجال الهدف (داء السكر) ينتج عنهما تصوُّراً جديداً يحيل الداء إلى إنسان أو شبح لا هدف له سوى الفتك بضحيتته؛ فهو يعمل بمهارة اعتادها، وخبرة اكتسبها من نشاطاته الإجرامية السابقة في إزهاق أرواح ضحاياه دون أن يشعر به أحد، فهو غادر، خفي، مراوغ، شديد السطوة، يقود المريض - بحنكة وصبر وجلد- إلى الموت، ومع أنَّ التعبير أحال الموت إلى عمليَّة قتل؛ فهو في حكم الجريمة الجنائيَّة التي تستدعي تدخُّل جهات الاختصاص من الأجهزة الأمنيَّة للإيقاع به، وتقديمه لمحاكمة تضمن القصاص لأولياء الدم لكل ضحاياه.

وهذا الربط بين آثار داء السكر ومضاعفاته المفضية إلى الموت والقاتل الذي يكون محالطاً للإنسان المريض، ويعمل في خفاء وصمت على الفتك به؛ يؤدِّي إلى خلق فضاءات ذهنيَّة تصوُّريَّة ممتزجة:

الفضاء الأول	حقيقة الموت - غالباً - بسبب هذا الداء الخطير.
الفضاء الثاني	تكرار قتل هذا الداء للمصابين به على امتداد تاريخ هذا المرض.
الفضاء الثالث	وجود قاتل من طراز رهيب، يعمل في صمت بعيد عن الأضواء، فلا يكشف حقيقته إلا بعد فوات الأوان، ولا يمكن القبض عليه فهو ذو شكل هلامي.
الفضاء الرابع	قلق الإنسان من الإصابة بهذا الداء، وخوف مريض السكر من النهاية المنتظرة؛ فالقاتل متربص لا يُدرى متى يضرب ضريته القاضية.

فمثلاً الكناية في قوله تعالى: ﴿أُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿١﴾. فالمجال المصدر: (يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا)، والمجال الهدف: (الغيبة)، والمزج التصوريّ يقوم على تخيل عالم مُستمد من المجال المصدر، وهو صورة المغتاب وقد استحال إنساناً فاقداً للآدميّة، يأكل لحم أخيه الإنسان مَيْتًا، وهذه صورة مقفزة لا يطبق الإنسان مجرد التفكير فيها، وهي صورة مرسومة بدقّة لتفطيع الغيبة والوقوع في أعراض الناس، أو الحديث عنهم بما يسوؤهم في غيبتهم.

← الحدث السيسولوجي: الغيبة.

← المغتاب: إنسان في شكل وحش آدمي.

← الضحيّة: إنسان غائب (ميت).

← عملية الغيبة: نحش الوحش الآدمي لجثّة أخيه الإنسان.

← النتيجة: الغيبة عمل فظيع.

فهذا العالم المتخيّل لمن ينهش جثث بني جنسه من البشر مُستمدّ من عالم الواقع، وهو عالم المفترسات التي تأكل الجثث وتلغ في الدماء، وكل من تصوّر هذه العوالم المقفزة رجع إلى عالم الواقع وأجرى ذلك على كل مُغتاب، وهذا المزج التصوريّ يؤدّي إلى خلق فضاءات ذهنيّة جديدة:

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

المغتتاب وحش لا يتردد في أكل لحوم إخوته من البشر متى ماتوا (غابوا).	الفضاء الأول
الشخص الذي يُغتتاب في غيابه كالميت في كونه لا يحسّ بما يُقال عنه.	الفضاء الثاني
الغيبة ضرب من أكل لحوم جثث البشر.	الفضاء الثالث
الغيبة نشاط مشين في غاية الفظاعة، يحيل الإنسان إلى أكل لحوم إخوته من البشر.	الفضاء الرابع

ومن ذلك قولنا: (كَبُرَ سِنٌ فُلَانٍ وَجَاءَهُ النَّذِيرُ)، فالمجال المصدر: (النذير)، والمجال الهدف: (المشيب)، والمزج التصوريّ يقوم على مزج المشيب بالنذير، والمجال المصدر هنا وصف لشخص لا ينفكّ يعظ الناس، ويزجرهم عن المعاصي والغفلة، ويرغبهم في الطاعات والاستعداد للآخرة، ويحذّرهم الموت الذي سيلاقيهم، والمجال الهدف هو بدء ظهور الشعر الأبيض في الرأس، وعن طريق المزج التصوريّ فقد صار بداية ظهور المشيب إلى واعظ يدأب دون ملل في إسداء النصّح لصاحبه؛ بضرورة الاستعداد للآخرة بالإقلاع عن كل ما من شأنه أن يكون سبباً في ندمه عند مماته، والحرص على كل ما يحسّن الخاتمة ويسعد يوم الحساب.

← الحدث الطبيعي: التقدم في السن وبلوغ مرحلة الكهولة.

← النذير: ظهور المشيب.

← عمليّة الإنذار: الانزعاج من ظهور المشيب الذي يحتم

على الإنسان سلوك مسالك العقلاء، والإقلاع عن نزق الشباب.

← النتيجة: المشيب غير مرحب به لكونه شديد

الوطأة، ولا يبرح الإنسان، مع إنّه مظهر الوقار والهيبة.

الكناية التصوّريّة - مقارنة عرفانيّة، د. النوراني عبد الكريم كبور جبير

وهذا الربط بين المشيب والنذير؛ باعتبار المشيب بداية الانحدار نحو النهاية، وعلامة النضج وتراكم الخبرات، والتحوّل من مرحلة عمريّة إلى مرحلة عمريّة جديدة؛ فيها المزيد من القيود، فهذا الربط يخلق العديد من الفضاءات التصوّريّة الممتزجة:

الفضاء الأول	حقيقة بلوغ البعض مرحلة المشيب.
الفضاء الثاني	شيوخ ظهور المشيب عند الكثيرين كجزء من ناموس الحياة.
الفضاء الثالث	المشيب واعظ ونذير، ونقطة تحوّل مهمة في حياة الفرد؛ تستدعي منه نهجاً أكثر اتزاناً.
الفضاء الرابع	كون المشيب زاجراً للإنسان؛ يكفكف من غلوائه، وكونه أمراً صامداً ومقلقاً باعتباره بداية النهاية للحياة ومتعها.

المطلب السادس: الوظائف المعرفيّة للكناية التصوّريّة

استيعاب الفكر البشري:

إنّ اللغة من الثوابت التي لا تنمو نمو الفكر الإنساني، الذي يتطوّر بصورة مطّردة؛ فتحليل الكناية من المنظور التصوّريّ يمكن أن يبيّن مدى استيعاب الكناية للفكر البشريّ، فمثلاً قولنا: (دَخَلَ الكَاذِبَانِ فِي جُحْرِ ضَبٍّ) إحالة كنائية بين مجال مصدر: (جحر ضبٍّ)، ومجال هدف: (مأزق حادّ) أو مشكلة لا حلّ لها في الأفق؛ فهذه الكناية تحمل الفكرة بكل أبعادها المعمّقة، وتبرزها من خلال الفضاءات الذهنيّة:

الفضاء الأول	جحر الضبّ لا يسع إلا الضبّ فقط، وهو كائن ضئيل بالقياس إلى البشر.
الفضاء الثاني	الإنسان كائن عملاق بالقياس إلى الضبّ؛ فكيف يسع جحره رجلاً معاً.
الفضاء الثالث	هذا المأزق لا حلّ له في الأفق، ولا يتصوّر حلّة البتّة.
الفضاء الرابع	المعاناة الحقيقيّة لكائنين عملاقين في جحر ضبّ؛ بحيث يعجزهما الحركة والمناورة؛ بل مجرّد احتمال الآخر، مما يدلّ على شدّة هذا المأزق.

والكناية تصوّريّة - شأن غيرها من أنواع المجاز - يسهم في إدراك بعض الأفكار والحقائق والصفات التي تعجز الكلمات المعجميّة المجرّدة عن تمثيلها ونقلها بالصياغة الوافية، فنحن "نخرج إلى عالم الطبيعة والمحسوسات نبحث عن عنصر محسوس فيها لنحوّله إلى إشارة كافية إلى هذا الإحساس"^(١)، فجملة (حَمِي الوَطِيسُ) تعبير كنائي عن شدّة المعركة، وهي أقوى تعبيراً ودلالة عن الفكرة من اللغة المعجميّة المجرّدة (اشتدّت المعركة).

الكشف عن الأنساق الثقافية:

إنّ تفكير الإنسان ونشاطه، وسلوكه يقوم في بعض أوجهه على الكناية التصوّريّة، والكناية يعكس أنماط الثقافة بوصفها مفردة ثقافيّة؛ تكشف أنواع التعبير وطبيعة التفكير. والكناية أسلوب متطور مع الحياة، تواكب الفكر البشري، وهي أداة طيّعة تختلف من عصر لآخر؛ فكناية (جبان الكلب)، و(مهزول الفصيل) لتصوير الجود والكرم

(١) عبد الوهاب المسيري، "اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود". القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م، ط ١، ١٥.

تختلف -ثقافياً- عن قولنا في المعنى ذاته: (مَا فِي يَدِهِ لَيْسَ بِحَقِّهِ)؛ فهذا التعبير نابع من نط الثقافة والمعاصرة؛ فلا مجال للكلب أو للفصيل، والمعنى سلس عميق، ومواكب لطبيعة وثقافة الإنسان المعاصر؛ فالقول السابق يعني: أنَّ هذا الشخص بلغ من الجود مبلغاً حتَّى صار ما يملكه كأنه ليس من أملاكه؛ فلا يتصرّف فيه بمنفعة شخصيّة؛ بل يذرّها للآخرين ينتفعوا به كأثمهم هم من يملكونه، وهو قيّم عليه فقط.

وكقولنا في سياق الحديث عن توزيع أراضٍ سكنيّة محدودة لبعض أهالي منطقة معيّنة: (لا تَمْنَحُوا فَلَانًا قِطْعَةً فَهُوَ قَدْ أَكَلَ وَشَرَبَ)؛ فالإحالة الكنائية بين المجال المصدر: (أكل وشرب)، والمجال الهدف: (التقدّم في السن مع استيفاء متع الحياة) تكشف عن فضاءات تصوّية:

الفضاء الأول	هذا الشخص ليس في حاجة إلى أرض سكنيّة لكونه تقدّم في السن، واستمتع بملذات الحياة، وعليه أن يفسح المجال للشباب.
الفضاء الثاني	في المنطقة شباب يستحقّون بناء حياتهم، فالأرض السكنيّة يذلّ لهم الكثير، ويسرّ لهم أخذ نصيبهم من الدنيا.
الفضاء الثالث	الأراضي السكنيّة محدودة فيجب بذلها لمن هم أكثر حاجة، وهم الشباب المقبلون على الزواج.
الفضاء الرابع	كبار السن يمكنهم البقاء في بيوتهم القديمة، أو العيش مع أبنائهم وأحفادهم.

فالكناية التصوريّة تعبّر عن الواقع الثقافيّ والبيئيّ، والنسق التصوريّ للإنسان، وتعدّ اللغة مصدر برهنة على كينيّة عمل الكناية^(١).

(١) لايكوف، جونسون، "الاستعارات التي نحيا بها". ٢١.

آلية تواصلية:

الكناية التصورية وسيلة إدراكية، والوظيفة الإدراكية هي جوهر العملية التواصلية بين منسئ الخطاب والمتلقي؛ وعليه فالكناية آلية تواصلية بين البشر، فالكناية وسيط فاعل بين الذهن البشري ومحيطه من ناحية، وبين أفراد المجتمع من ناحية أخرى، وبما أنّ الكناية التصورية تُبنى على الترميز والإخفاء؛ فيمكن بواسطتها تجاوز بعض الصعوبات والعراقيل التواصلية؛ فهي من حيث بعدها المعرفي تعين على نقل الأفكار والتجارب من خلال الفضاءات الذهنية.

والكناية التصورية ترمي في نهاية الأمر إلى الفهم والتأثير في المتلقي؛ فلا تخلو الكناية من المقصد التواصلية "الصاحب خطاب ما إلى جانب مقاصده التواصلية الموضوعية من كل قول ينتجه مقصدًا تواصليًا إجماليًا يتعلّق بمجموع خطابه"^(١).

إنشاط الذهن:

عن طريق تفعيل خاصية التخيل في تفكيك الصورة وإعادة إنتاج المعنى عن طريق نظرية المزج التصوري، واشتغال الذهن في تصوّر الفضاءات الذهنية، واستدعاء الموروث الثقافي والموسوعة المفاهيمية لإنتاج المعنى الجديد الذي ترمز إليه الكناية. والعمليات الإدراكية جزء من تفكير الإنسان وإنشاط الذهن للتصوّر، ومن ثم

(١) آن روبول، جاك موشلار، "التداولية اليوم علم جديد في التواصل". ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٣م)، ط ١، ٢٦.

هي وظيفة من وظائف الكناية التصوّريّة، فالكناية "جزء أساسي من التفكير الإنسانيّ، أي: جزء من نسيج اللغة التي هي جزء لا يتجزأ من عمليّة الإدراك"^(١). والكناية تحيل إلى المعنى عن طريق الترميز، والتعبير غير المباشر؛ فالآليّة النسقية للكناية تتيح لها التوسّع الدلاليّ من خلال الفضاءات الذهنيّة، وتنشط الأذهان لتصوّر المعنى، والشواهد السابقة كافية في بيان ذلك؛ فلا حاجة إلى المزيد منها.

(١) المسيري، "اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود". ٢٣.

خاتمة

بحمد الله وتوفيقه بعد تناول الكناية التصوّريّة في السطور السابقة توصلت الدراسة إلى بعض النتائج:

تعتمد الكناية التصوّريّة على الأنساق الثقافية، وعلى مهارة التفكير في تصوّرها الذهني، وهي المعطيات نفسها التي تعين المتلقي على تأويلها وتفكيكها، وعملية التفكيك والتحليل على ضوء العلوم العرفانية تستدعي عناصر من خارج اللغة كالسياق، والمقام، والمسار الدلالي التي تسهم مجتمعة في توجيه العمليّة التأويليّة والإدراكيّة؛ فالكناية التصوّريّة ليست ظاهرة لغويّة بقدر ما هي ظاهرة إدراكيّة تشكّل جزءاً من الأنظمة التصوّريّة للإنسان، إذ لها حضور كامن في الذهن تعمل على تفعيل خاصية التخيل. تبنى الكناية التصوّريّة على مبدأ التجاور الذي تؤدي فيها المسارات التصوّريّة وظيفة تحقيق الانسجام بين عناصر مكونات التجاور، والإحالة في الكناية التصوّريّة بين المجالين تعتمد على قوّة العلاقة التجاوريّة بينهما، إلى جانب السياق والمقام، وإدراك العناصر المكونة للموقف الكلامي.

وللمزج التصوّريّ أهميّة في توليد المعاني التي تستلزمها الكناية من خلال البنية الدلالية؛ فتتوسّع آفاق الفضاءات الذهنية والتصوّر وتتجلّى من خلالها عمق المعنى ودقته. للكناية التصوّريّة العديد من الوظائف كاستيعاب الفكر البشري لكونها تواكب العصر ومتغيرات الحياة، والكشف عن الأنساق الثقافية باعتبارها وليدة البيئة والثقافة، وأداء الوظيفة التواصلية بين الأفراد، وإنشاط الذهن لتمثّل المعاني من خلال المزج التصوري وسلسلة تعالقات الإحالة بين المصدر والهدف. وتوصي الدراسة بمقاربة الكناية على ضوء نظريات اللسانيات التوليدية تنظيراً وتطبيقاً.

المصادر والمراجع

ابن ثابت، حسان، "ديوان حسان بن ثابت"، (ط٢)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٩٤م).

الإدريسي، رشيد، "سيمياء التأويل: الحريري بين العبارة والإشارة"، (ط١)، الدار البيضاء، المدارس للنشر، ٢٠٠٠م.

إيكو، أمبرتو، "القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائيّة"، ترجمة: أنطوان أبوزيد، (ط١)، الدار البيضاء، المركز العربي، (١٩٩٦م).

إيكو، أمبرتو، "التأويل بين السيميائيات والتفكيكيّة"، ترجمة: سعيد بنكراد، (الرباط، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م).

الأزهر الزناد، "نظريات لسانية عرفنية"، (الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٢٢م).
أولمان، استيفن، "دور الكلمة في اللغة"، ترجمة: كمال محمد بشر، (القاهرة، مكتبة الشباب، د.ت).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين "الأغاني"، تحقيق: إحسان عباس، وآخرون، (ط٣)، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨م).

جاد الرب، محمود، "نظرية الحقول الدلاليّة والمعاجم المعنويّة عند العرب"، مجلة مجمع اللغة العربيّة، ٧١، (١٩٩٢م).

جورج لايكوف، مارك جونسون، "الاستعارات التي نغيا بها"، ترجمة: عبد المجيد جحفة، (ط٢)، المغرب، دار توبقال، ٢٠٠٩م).

جحفة، عبد المجيد، "مدخل إلى علم الدلالة الحديثة"، (ط١)، الدار البيضاء، دراتوبقال للنشر، ٢٠٠٠م).

جنان عبد العزيز التميمي، "الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني - دراسة لسانية إدراكية"، (الرياض، جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبد العزيز

- المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٣ م).
دحمان، عمر، "الاستعارات والخطاب الأدبي، مقارنة معرفية معاصرة"، رسالة دكتوراه، (الجزائر، جامعة مولود معمري، ٢٠١٢ م).
الزناد، الأزهر، "نظريات لسانية عرفية"، (تونس، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠ م).
زعطوط، حسن محمد، "المفاهيم النظرية لسياق الحال ومكوناته عند محمد الطاهر عاشور"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٣٨: ١، (الأردن، الجامعة الأردنية، ٢٠١١ م).
الطرايشي، مطاع، "شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي"، (ط٢، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥ م).
مجدى، وهبة، وآخرون، المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، (ط٢)، ١٩٨٤ م.
محمد إسماعيل بصل، فاطمة بلة، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد (١٨)، جامعة تشرين، سوريا - اللاذقية، ٢٠١٤ م - ١٣٩٣ هـ.
المسيري، عبد الوهاب، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدانية الوجود، دار الشروق، مصر - القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٢ م - ١٤٢٢ هـ.
المقديني، الحبيب، الاستعارة والكناية في الدراسات اللسانية العرفية (ضمن أعمال الندوة المهداة إلى روح الأستاذ عبد الله صولة: الدلالة النظرية والتطبيقات)، كلية الآداب، منوبة - تونس، ٢٠١٠ م.
النيسابوري، أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر، الأستانة - تركيا، ١٣٠٠ هـ.
مجدوب، عز الدين إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من

- القرن العشرين، قرطاج - تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠١٢م.
- العلوي، شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، (ط١)، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
- فضل، صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة - مصر، (ط١)، ١٩٩٨م.
- الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث، ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبوسويلم، دارعمار للنشر والتوزيع، (ط١)، الأردن - عمان، ١٩٨٨م - ١٤٠٩هـ.
- الشنفرى، ديوان الشنفرى، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (ط٢)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الشرقاوي، أنور محمد، علم النفس المعرفي المعاصر، مكتبة الأنجلوالمصرية، (ط٢)، ٢٠٠٣م.
- روبول، آن، موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت - لبنان، (ط١)، ٢٠٠٣م.

Bibliography

- Ibn Thābit, Hassān, "Diwānn Hassān Ibn Thābit". (2nd ed., Beirut Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1994).
- Al-Aidrīsī, Rashīd, "Sīmyā' Al-Taawīl: Al-Harīrī Baina Al-‘Ibārah wa Al-Ishārah". (1st ed., Casablanca: al-Madāris, 2000).
- Ico, Umberto, "The reader in the story, interpretive cooperation in narrative texts". Translated by: Anṭwaan Abu Zayd, (T1, Casablnc, Al-Markaz Al-‘Arabī, 1996).
- Ico, Umberto, "Eco, Umberto, "Interpretation between Semiotics and Deconstruction". Translated by: Sa'īd Binka'f, (Rabat, Al-Markaz Al-Thaqāfī Al-'arabī, 2000).
- Al-Azhar Al-Zinād, "Cognitive linguistic theories" (in Arabic). (Al-Dār A-‘Arabīyah, 2022).
- Olmann, Stiven, "Dawr Al-Kalimah Fi Al-Lughah". Translated by: Kamāl Muhammad Bashir, (Cairo: Maktabah Al-Shabāb).
- Al-Aasfahānī, Abu A-Faraj, "Al-Aghānī". Investigated by: Iḥsān ‘Abbās, et al. (3rd ed., Beirut: Dār Ṣādir 2008).
- Jād Al-Rarab, Mahmud, "The Theory of Semantic Fields and Semantic Dictionaries among Arabs" (in Arabic). Journal of the Arabic Language Academy, 71, (1992).
- George Lakoff, Mark Johnson, "Metaphors We Live By". Translated by: Abdel Majid Jahfa, (2nd ed., Morocco, Dār Toubkal, 2009).
- Juhfah, ‘Abd al-Majīd, "Introduction to Modern Semantics" (in Arabic). (1st ed., Casablanca, Dār Tubkal Publishing, 2000).
- Janan ‘Abd Al-‘Aziz Al-Tamimī, "Time in Arabic: From Linguistic Expression to Mental Representation - A Cognitive Linguistic Study" (in Arabic). (Riyadh, King Saud University, Dr. Abdul Aziz Al-Manea Chair for Arabic Language and Literature Studies, 2013).
- Dahmān, Omar, "Metaphors and Literary Discourse, a Contemporary Cognitive Approach", PhD Thesis (Algeria: Mouloud Mammeri University, 2012).
- Al-Zinād, Al-Azhar, "Cognitive Linguistic Theories" (in Arabic). (Tunis, Arab House of Sciences, 2010).
- Za‘tūt, Hasan Muhammad, "Theoretical Concepts of the Context of the Situation and its Components according to Muhammad al-Tahir Ashur" (in Arabic). Journal of Humanities and Social Sciences Studies, 38:1, (Jordan, University of Jordan, 2011).
- Al-Ṭrabishī, Muṭā', "Shi'r 'Amru ibn Ma‘dī Karib Al-Zubaidī". (2nd ed., Damascus, Publications of the Arabic Language Academy, 1985).
- Majdī, Wahbah, et al. "Al-Mustalahāt Al-‘Arabīyah Fī Al-Lluqah wa Al-Adab". (2nd ed., Beirut: Maktabah, 1984).

- Başal, Muhammad Ismā'īl, Fāṭimah Ballah, "Features of Context Theory in Modern Linguistic Studies" (in Arabic), Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Issue (18), Tishreen University, Syria - Lattakia, 2014 - 1393 AH.
- Al-Misīrī, 'Abd Al-Wahhāb, "Al-Luḡah wa Al-Majāz Baina Al-Tawhīd wa Wihdah Al-Wujūd". (1st ed., Cairo: Dār Al-Shurūq, 2002).
- Al-Maqdīnī, Al-Habib, "Metaphor and Metonymy in Cognitive Linguistic Studies (within the proceedings of the symposium dedicated to the spirit of Professor Abdullah Soula: Semantics, Theories and Applications)" (in Arabic), Faculty of Arts, Manouba - Tunisia, 2010.
- Al-Nisābuwrī, Ahmad Muhammad, "Majma' Al-Amthāl". (Turkey, Printing and Publishing House, 1300 AH).
- Majdūb, 'Izz Al-Dīn "Perspectives on Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century" (in Arabic), (Carthage, Tunisia: Tunisian Academy of Sciences, Literature and Arts, 2012).
- Al-'Alawī, Shafīqah, "Muhādarāt Fī Al-Madāris Al-Lisāniyyah Al-Mu'āṣirah". (1st ed., Beirut: Translation, publishing and distribution research, 2004).
- Faḍl, Salāh, "'Ilm Al-Uslūb, Mabādi' wa-Ijrāātuh". (1st ed., Cairo: Dār Al-Shurūq, 1998).
- Al-Khansā', Tamādūr Bint 'Amr ibn Al-Hārith, "Diwān Al-Khansā'". Investigated by: Anwar Abu Suwailim, (1st ed., Jordan: Dār Amār, 1988).
- Al-Shanfarā, "Diwān Al-Shanfarā". Investigated by: Emīail Badī Ya'qūb, (2nd ed., Beirut Dār Al-Kitāb Al-'Arabī, 1996).
- Al-Shaqāwī, Anwar Muhammad, "'Ilm Al-Nafs Al-Ma'rīfī Al-Mu'āṣir". (2nd ed., Maktabah Anglo Al-Maṣrīyah, 2003).
- Robol, Ann, Muschler, Jack, Pragmatics Today: A New Science in Communication, translated by: Saif Al-Din Daghfous and Muhammad Al-Shaibani, (1st ed., Beirut - Lebanon: Arab Organization for Translation, Al-Talī'a House, , 2003).

الخطاب الرمزي في مجموعة معارج البوح

للقاص صالح أحمد السهيمي

قراءة فنية تحليلية

The Symbolic Discourse in the Short Story
Collection "Ma'ārij al-Bawḥ" by Ṣāleḥ Aḥmad
al-Suhaimī

A Stylistic and Analytical Reading

د. إبراهيم بن عامر بن محمد عسيري

أستاذ مساعد - متعاون - بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم والآداب بجامعة نجران

البريد الإلكتروني: asaa52780@gmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/03/10		استلام البحث A Research Receiving 2024/10/23
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-020		

ملخص الدراسة

ترصد القراءة رمزية الخطاب في مجموعة " معارج البوح قصص قصيرة جدا " للقاص صالح بن أحمد السهيمي؛ وتقف على أبرز تمظهرات رمزية الخطاب من خلال عدة مباحث مسبقة بمقدمة وتمهيد تناولت المقدمة فكرة القراءة، والحوافز لمكاشفة الخطاب الرمزي في المجموعة وأسئلتها وأهدافها، ووقفت القراءة في التمهيد على مفهوم الخطاب الرمزي، والتعريف بالكاتب، أما المبحث الأول فقد قرأ المكان والأبعاد الرمزية، وكاشف المبحث الثاني اللون والبنية الرمزية، وتناول المبحث الثالث خطاب اللغة والصورة الرمزية، وجاءت أبرز نتائج القراءة في الخاتمة وتنهض القراءة على جدلية العلاقة والصراع بين الراهن والممكن بوصفها قيمة جوهرية تعددت أنماطها وتشكلاتها في المجموعة، وصراع الذات أمام هذه التحولات، وسير أغوارها، إذ شكّل المكان حضوراً مائزاً في رمزية الخطاب، وبعث الدلالة، وعززت بنية الألوان رمزية الآفاق الدلالية المنبثقة من خلال جدلية الصراع بين رؤية الذات الكائنة والممكنة، والتي تجلت أيضاً من خلال خطاب اللغة والصورة، ورصدت القراءة هيمنة عتبة المجموعة " معارج البوح " وتوظيفها الواعي وحضورها على المستوى الإجرائي، في المتن القصصي.

الكلمات الافتتاحية: معارج البوح - الذات - الرمز - الخطاب

Abstract

This reading traces the symbolic discourse in the collection *Ma'ārij al-Bawḥ: Very Short Stories* by the writer Ṣāliḥ bin Aḥmad al-Suhaymī. It explores the most prominent manifestations of symbolic discourse through several sections, preceded by an introduction and a prelude. The introduction addresses the concept of the reading itself, the motivations for uncovering the symbolic discourse in the collection, its questions, and its objectives. In the preface, the reading examines the concept of symbolic discourse and provides an introduction to the author. The first chapter explores place and its symbolic dimensions; the second chapter uncovers color and symbolic structure; while the third chapter addresses the discourse of language and symbolic imagery. The main findings of the reading are presented in the conclusion. This reading is grounded in the dialectical relationship and tension between the actual and the possible, which emerges as a central theme manifesting in various forms and patterns throughout the collection. It examines the self's struggle in the face of these transformations and its deep exploration. Place assumes a distinct presence in the symbolic discourse, generating meaning, while the structure of colors reinforces the symbolic horizons that emerge from the dialectic between the self as it is and as it could be. This dynamic is also reflected in the discourse of language and imagery. The reading also highlights the dominant role of the collection's threshold—*Ma'ārij al-Bawḥ*—its conscious deployment and functional presence within the narrative structure.

Keywords: Ma'arij al-Bawh- self, symbol, discourse.

المقدمة:

يخضر الخطاب الإبداعي بعمومه والسرد القصصي على وجه الخصوص وهو يكتنز بدلالات إيحائية، مفارقة إغوائية، ينهض بتشكيلها عدة عوامل متميزة، سواء على المستوى الواعي، أو مستوى اللاوعي، فالمبدع في لحظة الكتابة يكون في حيّز زمني مفارق، وجغرافية إبداعية، تذوب فيها الحدود الصارمة بين الوعي واللاوعي، ويتسلل من ثنايا تلك الحدود خطاب -تحت هيمنة اللاشعور- له دلالاته، وإيجاءاته" وتقوده قوى سرّية إلى حيث لا يعلم... وكلما كانت تلك المسارات أكثر غرابة يكون نصه أثري وأكثر خصوبة ودهشة"^(١) فالذات الإنسانية ثرية بالتجارب والخطابات التي اختمرت في وعيها وشكّلت نسقا من أنساقها المضمرة في العقل الباطن، وتتجلى في اللحظة السانحة، وتسفر عن حضورها ورؤيتها المكتسبة.

ويشكل الرمز بُعدا من أبعاد الإنسان المعرفية، يصوغ من خلاله خطابه الوظيفي أو الإبداعي، ويقارب من خلاله رؤاه وفلسفته، وبقدر ثراء البنية المعرفية للذات المرسلّة، تتعدد أنماط الرمز وأبعاده ودلالاته، ويُعد الرمز مستوى من مستويات التواصل بين المرسل و المتلقي، يتجاوز التماثل بين الدال والمدلول؛ لينفتح على آفاق من الدلالة البعيدة، لا يؤديها المستوى الظاهر للرمز؛ بل قد تتعارض مع منطقية الفهم، أو لنقل إنّ الرمز يلقي حيويته الجمالية من خلال الجانب المبهم الذي يحتاج إلى تأويل وتفسير "وعلى الرغم من أنه من الطبيعي تصور الكلمات وكأنها بمثابة علامات عن أشياء أو صور ذهنية أو مفاهيم، فإننا نستطيع الآن أن نتبين أن مثل

(١) عبد الرزاق الربيعي، "ما وراء النص"، (ط١، القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م)،

هذا التطابق إنما يستحوذ فقط على جوانب سطحية لمعنى الكلمة^(١) وهذه السطحية هي مجافية لكنه الخطاب الأدبي الذي يحمل هوية المخاتلة والإغواء المجازية؛ بل قد تطرأ عوامل تجعل من توظيف الرمز ضرورة من ضروريات الخطاب.

وحين النظر إلى المجموعة القصصية "معارج البوح .. قصص قصيرة جداً" للقصص صالح بن أحمد السهيمي نجد أن الرمز حضر في تشكيل الدلالة، حضوراً مكثفاً، محمّلاً بمحولات دلالية ليست بريئة، أي أنّ وراء تلك الرموز معاني مضمرة، مما يلور لها الحضور الرمزي في الوعي النقدي، وهو ما سوّغ لهذه القراءة الاشتغال على مكاشفة الخطاب الرمزي في هذه المجموعة، والوقوف على الأبعاد الدلالية التي انبثقت من خلال البنية الرمزية، ما دلالة هذه الرموز؟ وكيف تجلت رمزية الخطاب في النص؟ وما هي الأبعاد التي تناقشها وتسبر أغوارها؟ وتهدف القراءة الوقوف على الثيمة الجوهرية التي تشكّل منها رمزية الخطاب، وتكاشف الأنماط الرمزية التي وظفها السارد في النص وتحليلاتها في النص.

الدراسات السابقة:

- ظهرت للمجموعة عدد من القراءات ويمكن عرضها فيما يلي:
- قراءة بعنوان: مقال: (من العنوانات اللافتة القبليّة .. إلى العنوانات المرأة الختامية، د. يوسف حسن العارف)، مجلة فرقد الإبداعية، نادي الطائف الأدبي الثقافي، وهي قراءة تركز على جماليات العنوان، والعتبات، ولم تتقاطع مع هذه الدراسة في القراءة الرمزية للخطاب .
 - دراسة بعنوان (قراءة في مجموعة معارج البوح للكاتب د. صالح بن أحمد

(١) تيرنس دبليو ديكون، "الإنسان .. اللغة .. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ"، تر: شوقي جلال، (ط١)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤م) ص ١٢٠.

السهيمي) للكاتب ظاهر الجبيري، موقع الأنطولوجيا، ٢٤ أبريل ٢٠٢٤ م. وهي قراءة انطباعية كما وسمها الدارس، وقف من خلالها على أهم السمات الفنية والأسلوبية في المجموعة، ولم يتطرق إلى الأبعاد الرمزية للخطاب.

- مقال: (القضايا الإنسانية في مجموعة معارج البوح القصصية للقاص السعودي صالح بن أحمد السهيمي، مجلة كل العرب، د. زياد محمود مقدادي) وهي قراءة في مقال قصير، تقف على الجوانب الإنسانية في المجموعة، ولم تقف على التشكيل الفني من خلال الرمز لهذه القضايا.

ومن خلال ما سبق، نلاحظ أنه رغم ظهور ثلاث قراءات للمجموعة، إلا أن هذه القراءات القيمة لا تتقاطع مع انشغال هذه القراءة، وهو ما يبرر وجودها، وحضورها، وإن كانت ستستفيد من تلك القراءات القيمة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في مكاشفة الأبعاد الرمزية للخطاب في مجموعة معارج البوح، وتقف على الجوانب التي تشير إليها، والقضايا التي عالجتها.

المنهج المتبع: ارتأت القراءة أن تقف على رمزية الخطاب في مجموعة معارج البوح من خلال المنهج الفني التحليلي؛ لأنه الأقرب إلى سبر كوامن الخطاب الرمزي وفنية توظيفه في المجموعة، وقد تستعين بما تحتاج إليه من الأدوات النقدية من خارج هذا المنهج إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

التمهيد: مفهوم الخطاب الرمزي

الخطاب الأدبي في جوهره هو خطاب رمزي، يرمز إلى دلالات معينة، وإشارات مقصدية، يسعى المرسل إلى إيصالها للمتلقي من خلال رؤية جمالية، وإشارات رمزية "ويُعد الرمز شكلاً من أشكال التعبير الجمالي، وهو في حقيقته صورة الشيء محولاً إلى شيء آخر بمقتضى التشاكل المجازي"^(١)، ويعتمد إليه السارد لوظيفته توظيفاً جمالياً وفق رؤية يكشف بها بغيته ومقصده، وذلك لأننا "نعيش في عالم رموز وأشياء أخرى أيضاً، وتتوسط الرموز صلتنا بها"^(٢)، وحينما ننظر إلى مجموعة معارج البوح للقصص صالح السهمي؛ فإننا نجد أنّ الخطاب الرمزي قد شكّل حضوراً بارزاً، وتكمن خلفه الكثير من القضايا والدلالات، ويمكن في البدء الوقوف على مفهوم الخطاب الرمزي، وندلف بعده إلى محاور الدراسة ومباحثها :

الخطاب الرمزي:

مفهوم الخطاب: جاء في الوعي النقدي أن الخطاب "كل كلام يتجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً"^(٣) إلا أنه من خلال مكاشفة الكلام ودلالاته،

(١) سوهيلة يوسف، "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة، قراءة في الشكل، خليل حاوي أمودجا، رسالة دكتوراه"، (جامعة الجليلي اليابس - سيدي بلعباس، الجزائر: ١٤٣٨ هـ - ١٤٣٩ هـ ٢٠١٧ م - ٢٠١٨ م)، ص.ب.

(٢) إسرائيل شيفر، "العالم الرمزية الفن واللغة والطقوس"، تر: عبد المقصود عبد الكريم، (ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦ م)، ص ٢١.

(٣) ميجان الرويلي، سعد البازعي، "دليل الناقد الأدبي"، (ط٣، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢ م)، ص ١٥٥.

وجد النقاد أن الكلام ينطوي على معانٍ ودلالاتٍ أخرى غير المتلفظ به، وقد تكون هي الفكرة التي يقصدها المتحدث، بعيدا عن المستوى الظاهري للنص وهذا ما توصل إليه غرايس، إذ رأى في الكلام دلالات يدركها المتلقي، والمتحدث؛ بل قد تكون هي التي تشكل الدلالة المركزية "حيث دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة"^(١)، وتعتمد هذه الدلالات على السياقات التي تشكّل في ضوئها الخطاب، والرؤية التي ينطلق منها الخطاب وتؤثر على حضوره وتشكلاته في الإجراء الجمالي.

مفهوم الرمز: جاء في العرف اللغوي بمعنى: الإشارة والإيماء، وهو في الاصطلاح النقدي "علامة تعبر ممثلة لشيء آخر، ودالة عليه، فتمثّله وتحلّ محله"^(٢)، ونلاحظ اقتراب الوعي اللغوي من الاصطلاح في الدلالة للرمز، لكن الوعي المعاصر أصبح يشكل اتجاهها جماليا له خصائصه وسماته، والأديب يستخدم الرمز بوصفه أداة جمالية تعزز موقفه الجمالي.

التعريف بالقاص:

هو الدكتور: صالح بن أحمد السهيمي، أكاديمي وقاص، وباحث، مهتم بالسرديات العربية القديمة والحديثة، وله إسهامات في الشأن الثقافي والفكري والإبداعي.

أستاذ الأدب والبلاغة المساعد بكلية العلوم والآداب بمحايل عسير، ثم رئيس

(١) نفسه، ص ١٥٥.

(٢) محمد أحمد فتوح، "الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر" (ط٣)، القاهرة: دار المعارف) ص ٣٩.

قسم اللغة العربية بالكلية عام ١٤٤١هـ، ثم وكيل الكلية للشؤون التعليمية والأكاديمية.

وله من النشاط الثقافي والإعلامي والعضويات في خدمة المجتمع:

- ١٩٩٩م - ٢٠٠٢م عضوا في نادي تبوك الأدبي.
- ٢٠٠٣م - ٢٠٠٧م محررا ثقافيا في صحيفة اليوم السعودية، وإعلامي كتب في الصحف المحلية والدولية.
- ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م عضوا في نادي القصة السعودية بجمعية الثقافة والفنون.
- ٢٠٠٧م - ٢٠١٢م عضوا بجماعة حوار النادي الأدبي الثقافي بجدة.
- ٢٠١٢م عضوا بهيئة التحرير بمجلة النادي الأدبي الثقافي بجدة.
- ٢٠١٨م - ٢٠٢٠م المنسق العام للتكامل الثقافي بمنطقة مكة المكرمة.
- أسس الملتقى الثقافي الأول بكلية خدمة المجتمع بمحايل عسير.
- صدر للقصص الكثير من المؤلفات الأكاديمية والإبداعية منها:
- حقول السرد مقاربات في السرد العربي القديم والحديث، مؤسسة الانتشار العربي بيروت.
- أغنية هاربة مجموعة قصصية نادي حائل الأدبي - مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠١٠م.
- أغنية للجياح مجموعة قصصية، نادي الباحة الأدبي - مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠١٢م.
- الحوار القصصي في شعر الهذليين، نادي الطائف الأدبي - مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠١٣م.

- مخطوطته الأخيرة مجموعة قصصية نادي جدة الثقافي الأدبي ٢٠٢٠م.
- معارج البوح قصص قصيرة جدا، دار تكوين للنشر والتوزيع، جدة ٢٠٢٢م.
- طبعت له هيئة الأدب والنشر نص بعنوان وقع الأخفاف ضمن كتاب جماعي عام ٢٠٢٤م^(١).

(١) صالح أحمد السهيمي، "معارج البوح"، (ط١، جدة المملكة العربية السعودية: دار تكوين للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م) ص٦٦.

المبحث الأول: المكان والأبعاد الرمزية

حظي المكان بعناية فائقة في الدرس النقدي، وأولاه النقاد مكانة سامقة في مقارنة الأعمال الإبداعية، وذلك لما يبعثه في ذات المبدع من رؤى ومشاعر تُسهم في بلورة أبعاد فلسفية تتجاوز البعد المادي المحسوس، وترتقي به إلى الآفاق الرمزية، ويصبح حاملاً لهذه الدلالات الرؤيوية والرمزية "وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن المكان هو أساس القصة"^(١) وذلك لتمسكه بهذه المعاني التي تنبثق عنها دلالات وآفاق رؤيوية رمزية، إضافة إلى علاقة الضرورة لارتباط الذات بالمكان؛ أيا كانت هذه العلاقة، "فلا يمكن أن يتصور الذهن لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج سياق المكان"^(٢)، وقد يتشكل المكان المحسوس في وعي المبدع وفق رؤية ممكنة، تتجاوز الراهن، ويتجلى ذلك على المستوى الإجرائي؛ ليفتح بذلك الآفاق الرؤيوية، والتأويلية، ويكتسب المكان رمزية وفق هذا التشكل، بمعنى أن المكان حاضر وتشكل على مستويين، المستوى المحسوس، والمستوى المتخيل، الأول "متناه ويدرك بواسطة الحواس، أما الثاني فهو يشكل امتداداً للحد الأول بوصفه يتميز بالكينونة"^(٣) وفي الثاني تندمج الذات الراهية بوصفه المكان الذي تتطلع إليه والممكن الذي تشكل في وعيها، ويمثل رمزا لرؤاها وكيوننتها.

ويحتفظ المكان في مجموعة "معارج البوح" بهذا الملمح الذي تشكل في عدة

(١) الصادق قسومة، "علم السرد، المحتوى والخطاب والدلالة" (الرياض: جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ١٠١.

(٢) نبيلة إبراهيم، "فن القص"، (د. ط. القاهرة: مكتبة غريب)، ص ١٣٩.

(٣) منصور الديلمي، "المكان في النص المسرحي"، (ط١، عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع،

١٩٩٩م) ص ٢٠.

اتجاهات انطلق فيها من البعد المادي، لا ليقف عنده؛ بل ليشكل من بعده المادي الحسي مكاناً متخيلاً، يسبغ عليه رؤيته، وفلسفته الجمالية، والإنسانية، وهو ما سنقاربه في هذه القراءة، ويمكن أن تكون في المحاور التالية:

أ: عتبة المجموعة (المكان رمزا للرؤية الجمالية)

تُعد العتبة مدخلا جوهريا في قراءة العمل الأدبي؛ بل قد تكون هي الثيمة الجوهرية التي يتفرع عنها متن العمل، وتشكل منها دلالاته وإجاءاته، وقد حظيت بالمقاربات النقدية منذ تحليلات الفلسفة التفكيكية التي نظرت إلى الهامش والجوانب التي بقيت في الظل ردحا من الزمن^(١) وتحت هذه الرؤية اهتم المبدع بعتبات النصوص الخارجية والداخلية، بوصفها نصاً مركزاً، مكثفاً يختزل رؤية النص وفلسفته.

وحين النظر في العتبة الخارجية للمجموعة -الغلاف- نجد المكان حاضراً، ويحمل في طياته فلسفة رمزية يعمد الخطاب إلى تجسيدها على المستوى البصري، بمعنى أن المكان يخرج من الدلالة الحسية إلى دلالات ضمنية يقصدها الخطاب، ويتجلى ذلك حين مكاشفة العناصر التي تشكل منها المكان، إذ تم تشكيكه تشكيلاً محكماً، يشير بأن وراءه رؤية جمالية ترمز إلى دلالات تتجاوز القراءة الأولى؛ بل قد تكون تلك الدلالات الضمنية هي الدلالات المركزية التي تحاول المجموعة أن تُثبِت اللثام عنها بعد أن اختمرت وفق عناصر ورؤية جمالية تشكل في ضوئها الخطاب الرمزي.

في البدء يتشكل المكان من فضاء أزرق شفيف يوحي بالوداعة والهدوء، وفي هذا الفضاء تتشكل صورة يحقها البياض من كل جانب، ويتوسطها سلم درج للصعود، تشكّل على جانبيه الزهر والورد بألوان فاتنة، وتحلى لون السلم بلون البياض،

(١) محمد بوعزة، "من النص إلى العنوان"، (مجلة علامات، جدة: النادي الأدبي الثقافي بجدة،

٥٢٤، (١٤) ٢٠٠٤م)، ص ٤٦٠.

وقد شكلت حدود الغلاف باللون الأزرق بروزا للمكان المتشكل باللون الأبيض، وكأن الغلاف يأخذ بعين المتلقي إلى تخوم البياض ودلالاته، أدى ذلك الجمع بين اللونين الأزرق والأبيض، وفي هذا دلالة جوهريّة تشير إلى توجيه التلقي البصري إلى هذه الحدود وإيجاءاتها.

وتمّ تصميم سلم الدرج هندسيا ليضمن التلقي البصري وفق ترتيبية تصاعديّة كي يصل بالمتلقي إلى الطرف الأعلى الموصل إلى الغيوم والفضاء الأعلى، وتشكّل فوق تلك الغيوم عنوان المجموعة "معارج البوح" متجلية بالنبر البصري.

إنّ الغلاف وهو يعتبر النص الموازي كما يقول جنيت قد تشكل وفق رؤية تفتح الجانب الرمزي والتأويلي، وتجعل القارئ أمام عدد من الأسئلة، ما الدلالة الرمزية المنظوية وراءه في النص، فلا يمكن أن يُعتبر تشكيلا بريئا، أو توظيفاً اعتباطياً؛ ويمكن قراءة الرمز الذي يرمز إليه المكان وفق هذا التشكيل؛ والقول إنّ المكان ينتقل من الأبعاد الحسيّة له إلى الأبعاد المجردة المتخيلة، للإشارة إلى الآفاق الوجودية الإبداعية وتجليات الكينونة الجمالية للذات المبدعة، وتحولاتها في سيروية الحياة الإبداعية. ويرمز أيضاً سلم الدرجات المطلّي باللون الأبيض إلى المراحل أو المستويات التي ينهض بها خطاب المرسل، للروح عما يختلج في فؤاده، ولا يقتصر الأمر على حدود هذه المجموعة؛ بل قد ينفّث الأفق للتأويل، ليشمل كل خطاب يبوح به المرسل في تجربته الجمالية، خصوصا إذا عرفنا أنّ هذه المجموعة هي آخر ما أصدر القاص من أعمال إبداعية، وهذا يعطي للخطاب ملمحاً سير ذاتياً، بحيث يمكن رصده، وتحليل أنماطه، وتحولاته، وارتقائه من مستوى إلى مستوى آخر، وفي هذه تتعاقد رمزية المكان الحسيّة وأبعادها مع رمزية اللغة عنوان المجموعة "معارج البوح" ويمكن قراءة المستويات أيضاً التي ينهض بها تصاعديّة "أدراج السلم" إلى أطراف الغيوم، بأنه كلما ترقّت الذات وتسامت للروح عما يختلج به الفؤاد وتحررت من الأبعاد الحسية المادية اكتسب

الخطاب رفعة وسموًا.

وينهض المكان برمزية اللون التي تشكل بها، حيث يحضر اللون ليؤدي هذه الرؤية، ويرمز إلى تلك الرؤية التي تجلت من الخطاب، وهنا تتسع دائرة إيجاء اللون للتفسير والتأويل يتضمنها معانٍ ورؤى أعم من المعنى الوضعي، وفي هذا السياق ينتقل السارد من خلال رمزية اللون إلى مستوى آخر، ينتقل به من المستوى الوضعي الذي يضفي الأبعاد الجمالية للمكان "إلى كون اللون لغة مستعملة في حياتنا العامة الآن وله دلالة إشارية"^(١) وينهض اللون الأبيض بأولى الدلالات الرمزية التي تشكل المكان، إذ مستويات السلم الممتد من طرف المكان المدون عليه اسم المؤلف، إلى الطرف الآخر الأعلى الممتد إلى الغيوم، وقد جاء اللون الأبيض طلاءً له، وبحفّ طرفي المكان - مستويات السلم - خضرة النباتات والأزهار والورود، إنّ المكان وفق تشكلاته الجمالية باللون الأبيض، وألوان الورود؛ ينتقل إلى معنى أعمق من المعنى الوضعي؛ ليشير إلى أن التحولات التي رافقته في سيرورته وتحولاته السردية تحمل معنى النقاء والجمال في كل تجلياتها، ويصل بنا المكان الحسيّ إلى

ناصية الغلاف ونلاحظ هنا العنوان -معارج البوح- الذي يُحيل إلى المكان المتخيل، وفي هذا السياق، نلاحظ كيف تدرج بنا الخطاب من مستوى حسيّ إلى مستوى رمزيّ أعمق متخيل، يشير وفق آليات وعناصر المكان الحسي، إلى جغرافية المكان الإبداعي، ورمزياته المحلّقة، ولا يعني ذلك التجرد من البعد المادي وهوموه، إذ تشكل وفق آلياته؛ لكنه يرمز إلى تسامي الخطاب على مستوى الآليات والرؤى.

والخطاب يحمل في طيّاته طبيعة الإيهام القصديّ، إذ القراءة العميقة تشير إلى أن المكان الرمزي هو الذي تُفضي به الأبعاد المادية، وهو القيمة المركزية للرمز المادي،

(١) نفسه، ص ٣٠.

وهذا يشير إلى وعي الخطاب بتعددية التلقي، ويحظى بالدلالة الرمزية ذلك القارئ الضمني الذي يتجاوز الأبعاد الحسية إلى ما وراءها من دلالات ترمز إليها، وقد ألمح إلى ذلك المصطلح "معارج".

ولا نجد في المجموعة من العتبات ما يشير إلى المكان وهو يحمل ذات الأبعاد الرمزية سوى نص بعنوان "مقبرة الكوايس" ^(١)، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هنا، أو هذه مقبرة الكوايس، وينهض العنوان على مستويين الأول محسوس، والآخر مجرد متخيل، وفي إضافة كل منهما للآخر يتشكل مكانا متخيلا، رمزيا، أي أن السارد شكل من المحسوس والمجرد مكانا جديدا، فما دلالة هذا التوظيف، وما الذي ينطوي عليه الخطاب هنا؟

إنّ الدالين "مقبرة - الكوايس" يشتركان في معنى دلالي يتسم بالبشاعة والنفور، وقد أضحيا للإشارة إلى جغرافية معينة، هذه الجغرافية ليست محسوسة - من خلال التركيب الإضافي - وإنما تفضي بنا إلى دلالة رمزية، مركبة، فما دلالة هذا التركيب، أو لنقل ما دلالة المكان المركب هنا؟ حتى نقرب أكثر من كنه الحقيقة، نقف على دلالة المصطلح: كوايس، وهي جمع كابوس وهو "ضيق مزعج يقع على صدر النائم كأنه يخنقه لا يقدر معه أن يتحرك" ^(٢)، توحى لنا مفردة الكوايس إلى ما يثير المخاوف على مستوى المنام، لكن الرمز لا يستقيم بهذه الدلالة، أو لا طائل من وراء تلك الدلالة على المستوى السطحي، فهذه الدلالة من بديهيات البشر، ليتضح أن الخطاب يريد أن ينتقل بنا من خلال هذا التوظيف المكثف من مستوى الأساطير وعوالم الغيب والفانتازيا إلى العوالم الرمزية، برؤية قصديّة، ووعي ثاقب، ليشير الخطاب

(١) صالح أحمد السهيمي، "معارج البوح" (مرجع سابق) ص ٣٩.

(٢) معجم الملك سلمان العالمي للغة العربية (كابوس) الرياض، المملكة العربية السعودية.

إلى تلك المخاوف التي تثار في وجه كل رؤية تقديمية ومحاولة للتجاوز، لتنفق الدلالة عن ذلك التركيب الإضافي المكون من المكان ذي البعد المحسوس والمتخيل، ليرمز بها إلى موت وفناء تلك الكوابيس والمخاوف، ونلاحظ كيف استطاع الخطاب أن ينتقل بنا من المستوى الحسي للمكان إلى المستوى الرمزي للإشارة إلى دلالة الخطاب الرمزي -لألا كمقبرة الكوابيس- ليكون مقول القول عن تلك المخاوف التي أثّرت في وجه العملية التقديمية أنّ تلك المخاوف لا جوهر ولا كنه لها، ولا تستند إلى قوانين المنطق ولا تتماشى مع النواميس الكونية، وقد أفاد الدال "مقبرة" إلى أنها أضحت من التاريخ وتجاوزها الزمن، وينهض الخطاب بالدلالة الرمزية إلى تلك المخاوف التي رافقت مراحل التحول في المجتمع بوصفها مرحلة من التاريخ، وينهض الخطاب السردى بعمومه "مع ازدياد الوعي بالحاضر... في استجلاء ما حدث في التاريخ"^(١) ومكاشفته، وقراءة الأنساق التي تجذرت فيه، وفي قراءة تلك التحولات يراعي الخصوصية الجمالية في آليات الخطاب، هذا على المستوى الأفقي للعبثات الخارجية والتي رمزت من خلال المكان إلى دلالات مركزية باح بها رمز المكان، وعند النظر بطريقة عمودية إلى "متن المجموعة" نجد للمكان أيضاً أبعاداً رمزية حاضرة على المستوى الإجرائي، وهي وإن كانت تشترك جميعها في ثيمة واحدة؛ إلا أنها تتباين في مستويات الحضور، ويمكن أن تكون وفق المحاور التالية:

ب: المكان والرمز الوجداني:

يتشكل المكان من خلال الدلالات الرمزية ويتعاقد فيه التلازم الدلالي الذهني والتشكيل المجازي، والذي ينبثق عنه البعد الرمزي وإجاءاته الوجدانية، أي أنّ المكان

(١) غيورغ لوكاش، "الرواية التاريخية"، تر صالح جواد الكاظم، (ط١)، بغداد: منشورات الجمل،

يقارب من خلال تشكلاته الرمزية القيم الإنسانية، مما يتجلى معها المكان بوصفه "مجموع قيم متخيلة يخزنها العقل الباطن، ثم تصبح هي القيم المسيطرة"^(١)، وفي هذا السياق يتجاوز المكان أبعاد الرؤية الحسية إلى الرؤية الوجدانية وقد تجلّى في الوعي الفلسفي الغربي إلى أنه المأوى "تأوي إليه المخلوقات كلها"^(٢)، وفي التجربة الإبداعية تأوي إليه الذات المبدعة لتشكل من خلاله رؤيتها وتصوغ خطابها وترمز به وفق ما يتسق مع الرؤية الجمالية وقلق الذات، ويحضر في هذا السياق نص بعنوان: "عُري" يتجلى فيه البعد الرمز الوجداني من خلال المكان، ويقارب فيه السارد قلق الذات وما يعتريها من قلق الفقد وشعور الغربة الوجداني:

"يلتحفه الفقد في كل وقت يمر فيه بحديقة الحياة،
متأملاً زاوية الصباح،

...

يجلله العُري..

ينبذه في صحراء الذكريات!!"^(٣)

يحضر المكان : "حديقة الحياة، زاوية الصباح، صحراء الذكريات" متشكلاً باللون الذي يحضر من خلال التلازم الذهني، إلا أن المكان الذي حضر اللون فيه حضوراً دالاً قد تشكل بالتشكل المجازي-حديقة الحياة، زاوية الصباح، صحراء الذكريات- وهذا الحضور هو حضور متأزم، فالصباح هو ميقات زمني يحمل لون

(١) غاستون باشلار، "جماليات المكان"، تر: غالب هلسا، (ط٣)، بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ) ص ٣١.

(٢) برتراند رسل، "الفلسفة الغربية"، تر: زكي نجيب محمود، راجعه أحمد أمين، (ط١)، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج١، ١٩٧٨م)، ص ٢٢٧.

(٣) صالح أحمد السهيمي، "معارج البوح"، (مرجع سابق)، ص ٣٧.

الإشراق والبياض، وهو لون ممتدّ مكان مجازيّ -حديقة الحياة- لكن هذا اللون يحضر حضوراً متلازماً من خلال علاقة الشرطية -في كل وقت- بالفقد، والفقد هو إحساس معنوي، وشعور وجدانيّ لا ندرك كنهه، لكن نحسّ بأثره في ذواتنا، وصورته في الأذهان صورة القتامة، والسواد، وقد عبّر عنه بالمضارع "يلتحفه الفقد" في دلالة على شمولية شعور الفقد في ذاته، مما يعني أنّ الذات تعيش في صراع وتأزم، إذ يباغته شعور الفقد كلما مرّ بالمكان الرمزي -بحديقة الحياة- وتأمل زاوية الصباح، أي أنّه كلما مرّ على جماليات الحياة من خلال الدال الرمزي -حديقة الحياة- جذبه الفقد وشعور القتامة.

وبعضد ذلك ب الجملة الفعلية "يجلله العري" ليُشعّ العُري بدلالة التجدد والحدوث؛ للون القتامة والسواد أيضاً، وينهض الفعل المضارع للدلالة على البعد الوجداني للمكان "ينبذه في صحراء الذكريات" ليعزز من رؤية المكان الدالة على القتامة والتشاؤم، وبما تشعه في الذات من خلال التلازم العهدي في الوعي العربي، أو ما ترسخ في الوعي العربي من الدلالة التي تحملها الصحراء من معاني القتامة والتهيه، وفي النص نلاحظ أن الخطاب قد جسد بنية الصراع بين المكان والزمان، وما تحمله من أبعاد رمزية، إذ يحمل الدال -يجلله- معاني الغطاء الذي يمكن تأويله بالظلام سيما مع ما يعتريه من شعور الفقد والتخلي، إلا أن القراءة تلاحظ أن الصراع غير متوازي القوى فالصباح الذي هو رمزٌ للإشراق البهجة والتحول حضر في بنية النص حضوراً باهتاً، يشير إلى هذه الدلالة الجملة -يتأمل زاوية الصباح- بينما شعور القتامة والعُري يجلله بما يحمله من ملامح الظلام وقد نهض الدال -يلتحفه الفقد- مما يشير إلى أن القراءة العميقة للنص تحمل جدلية الصراع بين النور والظلام، ورمزيتها الوجدانية، ولا تقف المجموعة عند توظيف المكان وحسب؛ بل توظيف الطبيعة بما تحمله من مفارقة رمزية تقارب بها أسئلة الذات وفلسفتها.

ج- رمزية الطبيعة وأسئلة الذات:

لا تزال الطبيعة حاضرة في التجارب الإبداعية بوصفها المعين الذي لا ينضب، والمرتكز الذي يعتمد إليها المبدع ليقارب من خلالها ما يثير قلقه وإشكالاته، ولكنه في هذا السياق لا يوظفها السارد والمبدع على وجه العموم توظيفاً مباشراً؛ بل يقف على الجوانب المحسوسة، دون رؤية يرمز من خلالها للتجربة الداخلية وما يعتريه من قلق وسؤال، وهذا حاضر منذ التجربة الشعرية الجاهلية يوظفها المبدع "ويعقد بينها وبين ما يريد الحديث عنه تشبيهاته"^(١)، ويمكن مقارنة الطبيعة من خلال عدة عناصر فيما يلي:

١. رمزية الصحراء:

تجلت الصحراء في الوعي الإنساني وهي تحمل عدة دلالات وإيماءات جمالية من خلال السياقات التي تم توظيفها فيه، وقد استخدمها الوعي الإبداعي في تجلياته لعدة أغراض ومعان "ولما كانت الصحراء الطبيعية وباعتبارها المكان اللامتناهي، والفضاء الواسع، واعتبارها عالماً يوحي بالتشتت والسراب والتهيه"^(٢) أسقطها الخطاب الرمزي على تلك الأبعاد والمعاني، فقد جاء النص "التي باحت" موظفاً الصحراء بوصفها رمزا جاء يقارب القلق التي تعيشه الذات الأنثوية جراء الأنساق المجتمعية التي شكّلت حضور الأنثى، وهو ما أضحى بدوره ما يثير القلق الوجودي للذات الأنثوية، وتشكل خطابها والإعلان عن وجودها، وجاءت الصحراء بوصفها رمزا لقلقها

(١) نوري حموي القيسي، "الطبيعة في الشعر الجاهلي"، (ط١)، الشركة المتحدة للتوزيع - جامعة

بغداد، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م)، ص ٢٧.

(٢) أمينة محمد برانين، "فضاء الصحراء في الرواية العربية المجوس لإبراهيم الكوني أنموذجاً"، (ط١)،

عمان: دار غيدا للنشر والتوزيع، ٢٠١٠ م)، ص ٤١.

وإحساسها بالتيه:

"روحها الهائمة في صحراء الصمت، إحساسها بالصقيع!! قاد أقدامها الحافية،
نحو مدفأة البوح!
باحث!!" (١)

تخضر الصحراء في النص بوصفها رمزا لقلق الذات والتيه الذي تعانیه، إذ جاء من خلال علاقة المضاف والمضاف إليه متعلقا مع سمة سيكولوجية للذات-صحراء الصمت- وورود الصحراء من خلال التعالق يخرجها إلى دلالات إيحائية، تشي بتأزم الذات، واضطرابها، وإلحاح السؤال عن حاجات الذات للبوح، الذي عززه حضور رمز آخر وهو: "الصقيع" وما يثيره من إيجاء بأن الذات تعاني تحوم الرتابة والجفاف، ويخرج الرمز من دلالاته المباشرة من خلال علاقة الإضافة صحراء الصمت ليكون معادلا موضوعيا لتأزم الذات من خلال استحضار رمز آخر وهو الصقيع، وهذا يشير إلى رؤية مغايرة للذات تريد البوح بها، ويبدو أن هناك ما يحول بين الذات وإبداء تلك الرؤى مما جعل الذات تدخل في حيز الكآبة والضرر، والرمز يشير من طرف خفي إلى قيمة التواصل الجوهرية، وأنها ركيزة وخاصة من خصائص الذات الإنسانية والإبداعية على وجه الخصوص، وهو ما تنامي في النص لتوظيف رمز آخر مجازي يخدم تلك الرؤية وهو "مدفأة البوح".

وتخضر رمزية الصحراء في صورة أكثر عمقا في نص آخر بعنوان "عُرِّي" ويكون لعالم بديل خروجاً من قلق الراهن وسؤال الممكن، ينهض على اشتراطات الذاكرة، إذ النص يقرأ تجربة الذات من خلال تحولها وخروجها من عالم كان يحفه الوداعة والهناء، إلى عوالم أخرى مغايرة، يكتنفها، ويحققها الفقد، ويتأمل تأزم الذات من خلال المكان

(١) صالح أحمد السهيمي، "معارج البوح"، (مرجع سابق)، ص ٣٠.

الرمزي - حديقة الحياة - "يلتحفه الفقد في كل وقت يمرّ بحديقة الحياة"^(١)، والتي تأتي بدورها معادلا للممكن المنشود، لكن هذا الممكن له خلفية تشد الذات بجنينها إليه من خلال تقنية الذاكرة، إذ مفهوم النص أن الذات مرت بانكسارات وتحول، وأن المكان الرامز يكون باعنا للحنين، مكاشفا لألم الذات وأسئلته، وهو يشير إلى قضية منذ فجر التاريخ في الوعي الإنساني، وهي قضية الفناء والعدم، وقد عبر عنها بمفردة -الفقد- لتشف عنها الحنين لكل مفقود، وجاءت في مقابل المكان الرمزي -حديقة الحياة- لتكوّن علاقة ضدية، وتسفر في العمق عن الصراع بين الوجود والعدم، وأن وجود المفقود ركيزة جوهرية للوجود "إن العالم في نظر هسرل ... ليس حاضرا كظاهرة عينية تجريبية؛ بل كشرط دائم لوحده وثرائه... فإن الغير هو دائما هناك كطبقة من المعاني المكونة التي تنتسب إلى الموضوع نفسه"^(٢)؛ فالمفقود هنا حاضرٌ، لكنه حضور سلبي، من خلال الشعور بفقده، وارتبط حضوره من خلال الرمز -حديقة الحياة- مما يجعل الذات تُعيد قراءة وجودها، وتحولاتها، وهو ما تجلّى في قوله: "يتجسد له الشلال بالماء الذي أحياه في البدايات" ... مائدة النهايات.. نهايات الوداع"^(٣) يعود السارد إلى البدايات، من خلال بنية صراعية أيضًا صراع البدايات والنهايات، ويرمز لتلك البدايات برمزية الماء، وليس الماء من خلال أنه معطى ماديّ وأصل الحياة وحسب؛ بل يجسّده من خلال أبعادٍ جمالية تفتح شهية البداية "يتجسد له الشلال بالماء"^(٤) إنّ رمزية الماء تنهض بدور إغرائي، من خلال الأبعاد الجمالية، لكنها في الآن نفسه تشكّل له ضرورة

(١) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢) جان بول سارتر، "الوجود والعدم، بحث في الأنطولوجيا الظاهرية"، تر: عبد الرحمن بدوي،

(ط١، بيروت: منشورات دار الآداب، ١٩٦٦م)، ص ٣٩٧.

(٣) صالح السهيمي، "معارج البوح"، ص ٣٧.

(٤) نفسه.

وجود، وجود الذات التي أنْهَكها التعب، وأضناها المسير، لكن هذه الرمزية، رمزية مختلة، بمعنى أنها قد تكون أيضاً مُثَبِّتة في النهايات، وفي النص ما يفتح لنا تلك الدلالة " .. بالماء الذي أحياه في البدايات" مما يجعل الأفق يفتح على الدلالات التأويلية، ويجعل الرمز يحمل أبعاداً إغوائية، جاذبة، لكنها ما تلبث تلك البدايات تستحيل إلى نهايات، وفي المسافة المسكوت عنها تفتح أيضاً الأبعاد التأويلية، وفي تجسيد المعنويات في قوله: "يجلله العُري" يحضر شعور البؤس الذي يعايشه، إذ أصبح هذا الشعور المعنوي -العُري- في صورة مادية كالغطاء يعطي هذه الذات في دلالة الشمول والاحتواء، وأن الفقد يحتويها من كل جانب وحينما، يحقّه الفقد مع كل ملمح من ملامح الحياة، تكون تقنية الذاكرة متنفساً لتذكر تلك الجماليات، وإن كانت تلك التقنية لا مرغوبة لما تفتح عليه ويلات الحنين. "يجلله العُري ينبذه في صحراء الذكريات"^(١) تحضر الجملة الفعلية: "يجلله العُري" لتتسق في الفضاء الذي تدور فيه القصة، لتدل على التجدد والحدوث. لقد وظف النص رمزية الصحراء بطريقة تؤدي دورها في قراءة التجارب التي مر بها السارد، وتحولاته، ووظف معها بعض الرموز -الماء- لتؤدي وتخدم الرؤية التي ترمز للصحراء من خلال الجفاف والتبهِ.

٢. رمزية الرياح:

تحضر الرياح في الوعي الإنساني بدلالة متعددة، تتموضع دلالاتها من خلال السياق الذي ترد فيه، والإيحاءات التي تنبثق عنها، وحينما ننظر إلى مصطلح الرياح في القرآن الكريم نجد أنه يحمل دلالة إيجابية كما في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر الآية ١٢-٢٢) وقد تتغير البيئة الصرفية للمصطلح ويحمل معها المصطلح دلالة الإيجاب والسلب،

(١) نفسه.

كما في قوله تعالى: ﴿جَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس الآية ١٠) حاملة دلالة الإيجاب، وتحضر دلالة السلب في قوله ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ (الحاقة الآية ٦٩) وفي النص "مقبرة الكوايس" يحضر مصطلح "الرياح" مخالفا للدلالة التي ترسخت عنه في الوعي القرآني، مما يجعل القول بأنّ توظيف المصطلح مغايرا للدلالة توظيفا يحمل في كنهه حمولات دلالية رامية، يتشكل معها الخطاب الإيحائي للرمز، وأنّ وراء الدوال خطابا غير متلفظ به، يشكل الثيمة المركزية في الدلالة، ويتجلى ذلك حين القراءة العميقة، التي تُسفر عن بيئة صراعية ضدية، بين الذات وقوى الطبيعة الرمزية الرياح.

ينهض التركيب الانزياحي "يئذّر أحلامه" و"رياح الليل" بالإشارة إلى البنية الضدية، وأن وراء تلك البنية أفعال مقاومة تحاول التجاوز، بينما ينهض الرمز رياح الليل بمحاولة تمكين الكائن، وترسيخ وجوده، وتنهض الذات بمحاولة تأصيل وجوده، وتخطي الكائن:

"أراد أن يئذّر أحلامه الأولى في المزرعة، هبّت رياح الليل"^(١) يؤدي الفعل الماضي "أراد" معنىً رؤيويًا من الإرادة والتجاوز، بمعنى أنّ الرؤيا حاضرة في تشكّل النص واتجاهاته، ليدخل إثر الفعل المضاد في حيز التفاعل والدراما، وهذا وإن كان تعبيرا عن تأزم الذات والقلق الذي يساورها، إلا أنّ النص يكتسب بفضل رمزية الخطاب، سمة الشمولية أو الكونية، بمعنى أنّ القراءة لرمزية -رياح الليل وبذور الأحلام- هو صراع بين الوجود والفناء، صراع بين تمكين الكائن، واجتذاب الممكن، فالرمز خرج من الأبعاد الحسّية إلى الأبعاد الرمزية "فعالم الحسنّ ليس إلا صورة لعالم

(١) صالح أحمد السهيمي، "معارج البوح" (المرجع السابق)، ص ٣٩.

الفكر... والرمز يستخدم أساسا لتجنب التعبير المباشر عن الفن"^(١) لتصل إلى قضية شائكة في الوعي الإنساني وهي قضية الكائن والممكن، وتحضر الرؤية الصراعية بين الأقطاب التي تسعى إلى تمكين الكائن من خلال عنصر المقاومة "رمى بذوره الصغيرة، أعادتها الرياح مجموعة في يده"^(٢). إنَّ الرياح من خلال المسحة الدرامية بينها وبين الممكن، تضيفي إلى تداخل في عوالم الفانتازيا، والعجائي، ولهذا دلالاته في الخطاب، وإيجاءاته، والذي يفتح الجانب التأويلي الذي يوحي بأنَّ رمزية الرياح تجدد آلياتها وتشكلاتها في قمع الممكن وكبح جموحه.

ويوظف النص اللغة بما يخدم رؤيته، من خلال التجديد والرجعية، ويوردها في النص ورودا خفيًا؛ لتكون المدخل الذي تنكشف به رؤية النص، من خلال رمزياته المكثفة. "أعادها مجددا إلى الأرض.. أرجعتها إليه مرة أخرى"^(٣) إن لفظ "مجددا- أرجعتها" تُحيل من خلال تصريفها إلى الرؤية التي تتسق مع البنية الكبرى للنص الكائن والممكن، والخطاب الرمزي وهو يوظف -رمزية الرياح وبذور الأحلام- لقراءة المشهد؛ من خلال الآليات الجمالية، إلا أن الخطاب يحيل ضمنا إلى الأحداث التاريخية التي مرَّ بها المجتمع في سياق التحولات المفصلية، ويروي ذلك الخبر ليكون "قصة -رمزية- مركزة ذات مرجعية تاريخية"^(٤) أي إن أيديولوجيا التاريخ حاضرة في تشكّل العمل، لكنها لم تفرض هيمنتها على تشكّل الآليات الفنية للخطاب، إذ

(١) فايز ترحيني، "الدراما ومذاهب الأدب"، (ط١)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ١٤٢.

(٢) صالح أحمد السهمي، "المرجع السابق"، ص ٣٩.

(٣) نفسه، ص ٣٩.

(٤) فريد أمعشوشو، "من قضايا القصة القصيرة جدا، مجلة الموقف الأدبي"، (سوريا، العدد ٥١٦،

١ أبريل، ٢٠١٤م)، بإضافة سيرة، ص ٥.

استطاع الخطاب الرمزي أن ينعثق من الرؤية التاريخية التقريرية ويحيل إليها في الآن نفسه "فإن المنطوق اللغوي الناهض في كيانه الخاص، والحاضر في ذاكرة الناس... لا يأتي إلى هذه الأرض من فضاء يعلوها"^(١).

٣. رمزية شجرة النيم:

تأتي النباتات في المنظومة المعرفية للإنسان وهي تحمل في ماهيتها من معاني الأنس والهدوء والبهجة والرائحة الزكية، لكن السارد هنا يُخرج النباتات عن تلك الدلالات التي التبست معها، وأضحت تمثل ماهيتها وجوهرها إلى حد ما، ويصنع عليها مغايرة؛ لتكون رمزا لحالات القلق الفكري، والتباس المفاهيم "باتت شجرة النيم تُحدّق بحيرة؛ نحو غصنها المتأرجح في ليل المدينة"^(٢) يأتي عنصر التشخيص الذي ألبسه السارد على الرمز - شجرة النيم - "تحدّق" بما يحمله من سمات إنسانية، لتنبثق عنها دلالات الوعي والقراءة الفكرية، لتحيل شجرة النيم هنا إلى دلالات الأنا الجمعية، وغصنها المتأرجح، إلى الأنا التي شذّت عن تلك النظم، وتأتي الحركة "غصنها المتأرجح" لتكون المؤشرة على قلق الاضطراب في وعيها ونظمها التي شرعت لها، ورمزية ليل المدينة هنا جاءت لتعزز من تلك الدلالات، فليل المدينة مغايرة يحمل سمات الصخب والحركة والاضطراب، لتكون بهذه السمات، معادلا موضوعيا للقلق الذي تعيشه الأنا المضطربة، والتي تشهد تبدا في المفاهيم، وسبر الطرق التي لا تؤدي إلى الحقيقة، ويكتمل المشهد بقوله "رأته متجها من ناحية الجسر، اتكأ على ورقة

(١) بمنى العيد، "في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي" (ط٣)، بيروت: منشورات دار الآفاق (الجديد، ١٩٨٥م)، ص ٤٤.

(٢) صالح أحمد السهيمي، "المرجع السابق"، ص ٢٨.

صفراء، فأغرقه الليل"^(١) يوغل السارد في رسم طريق هذه الذات -الغصن- وهي تحاول أن تنعتق وتخلق لها أفقا آخر، تجد فيه ما يروي شغفها، فتصل إلى دلالات أخرى إلا أنها دلالات مغايرة للحقيقية، "ورقة صفراء" وهي تحمل رمزية الذبول والموات والسقوط، وتشير إلى المنهل الذي سعى ليجد فيه القيم المعرفية، كان منها آسنا، ويدل أيضًا على أنّ هذه الذات تحمل في كنهها الخواء الفكري، بقرينة أنها لم تميّز؛ بل "اتكأ" على هذه الورقة الصفراء، ويتجلى من خلال الفعل الماضي "اتكأ" أنها وصلت بعد صراع ونصب، لكنها رمت حملتها على "ورقة صفراء" فلم تضفر ببعيتها المعرفية؛ بل كانت سببا في ارتباك المفاهيم، وخلخلت القيم، وكان سببا في فئائه وموته " فأغرقه الليل" إن هذه التركيبة الانزياحية لليل، جاءت لتحكي وترمز إلى التيه على المستوى الفكري والروحي أو على مستوى الرؤية لهذه الذات، وقد استطاع الخطاب أن يوظف من العناصر السابقة ما يرمز إلى تلك الإشكالية، ويوحي بأبعادها على مستوى تلك الذات المتخبطة.

(١) نفسه، ص ٢٨.

المبحث الثاني: اللون والبنية الرمزية

تشكل الألوان في معارج البوح وفق رؤية جمالية تشع منها المعالم الرمزية ويكتسب اللون رمزية من خلال اعتناقه من التقريرية والمباشرة "فالنص والخطاب يصبح رمزيا ابتداءً من اللحظة التي نكتشف له فيها بفضل جهد تفسيري معنى غير مباشر"^(١)، ولا تخرج دلالة الألوان الرمزية عن مركزية الصراع بين الكائن والممكن، وجدلية التجاوز، فهي استمرار لتلك الرؤية، واستثمار لمعطيات اللون وإيحاءاته بما يخدم هذه الرؤية. وهذا ما تجلّى بالفعل عند سبر النصوص؛ فإن اللون يحضر بدلالة تتجاوز المعنى المباشر إلى المعنى الرمزي، وقد قارب من خلال بنيته الرمزية العديد من المحاور، ويمكن أن تكون وفق العناصر التالية:

جدلية التأزم والانفراج:

يوظف النص الأبعاد الرمزية اللون في محور الجدل الكائن بين التأزم والانفراج، لا ليكون بالمعنى المحسوس والمدرّك؛ بل يشكل المعنى الضمني الركيزة الجوهرية القصديّة لدلالاته، أي أنه لوّ لا يقصد سماته وماهيته من حيث الجوهر والماهية؛ بل ليحمل دلالاتٍ تُشير إلى الخطاب الرمزي والإيحاءات له، ليتأخم بذلك الجوانب الوجدانية والمعنوية في الذات القلقة ومن ذلك نص بعنوان "أحداق الضجر":

"يا الله.. يا الله...!!

هكذا سمعتها منه!!

وأردف الراوي ضجرًا:

كلما أوقد شعلة للنور،

(١) ترفيتان تودوروف، "الرمزية والتأويل"، تر: د. إسماعيل الكفري (ط١)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م)، ص ٤٣.

وأشعل قنديل الصباح بداخله؛

أعاده الهمّ وأنبته الذكرى؛

نبتة شوكية في أحداق الضجر!!" (١)

يأتي النص وهو يضحّ بالقلق وتأزم الذات تجلت من خلال نداء الاستغاثة الذي بدأ به النص -يا الله يا الله- معززا حضوره بعلامة التأثر (!) ليأتي الراوي العليم والذي امتدت إليه شحنات الضجر المكتسبة من الذات المتأزمة؛ ليقارب جدلية التأزم والانفراج "كلما أوقد شعلة النور.. قنديل الصباح... أعاده الهمّ وأنبته الذكر" يتجه النص اتجاها مباشرا إلى بناء النص من خلال عنصر التجريد، والتركيب الانزياحي - شعلة النور، قنديل الصباح- ليضع العتبة الأولى في اتجاه رمزية الخطاب، بل نلاحظ في العناصر التالية: النور، القنديل، والفعل الماضي "أنبته" عودة أو إشارة ضمنية إلى العناصر الأساسية في الوجود الهواء، الماء، الطين، النار، ليكون مقول القول إنّ الذات تحاول أن تُعيد تشكيل وجودها، واندماجها في الكون، بمعنى أنّ العلاقة بين الذات وبين الوجود علاقة سلبية، أو أن الذات تحاول أن تُعيد تشكيل الوجود بما يتسق مع الرؤية الممكنة.

يُشع النص في عمقه بجدلية الظلام الضياء، وأن الذات في سجال بين قطبي الضياء والظلام، وتحضر دلالة اللون في النص من خلال دلالات المعنى الرمزي والتأويلي، بمعنى أنّ اللون لم يحضر حضورا مباشرا على المستوى الحسي؛ بل توارى خلف رمزية العلامة، وضدية الراهن، فإنّ إيقاد شعلة النور التي ترمز إلى البياض - وقنديل الصباح يستلزم ضرورة وجود الظلام الذي يرمز من خلال الصورة الذهنية إلى السواد، حيث "إثبات أحد موجبي العلة بالآخر لتلازمها" (٢) لكن هذا الظلام، ليس

(١) صالح أحمد السهيمي، "المرجع السابق"، ص ٢١.

(٢) تاج الدين نصر عبد الوهاب بن علي الكافي السبكي، "رفع الحاجب عن مختصر ابن

على المستوى الحسي؛ بل يتجاوز إلى المعنى الرمزي، والذي قد يكون على المستوى الوجداني، أو الرؤيوي الفكري، إذ يفتح الأفق على شتى التأويلات التي يقبلها الدال، ونلاحظ في تركيب العبارة -الشرط وجواب الشرط- "كلما أوقد شعلة ... أعاده الهم" المعنى الجدلي وديمومة الصراع بين هذين المعنيين، وهو صراع له جذوره الفلسفية كما ذكرنا والعودة إلى أصل الأشياء ومكوناتها: النار، الهواء، الطين، والماء.

إنّ النص وظف رمزية الألوان من خلال التلازم الدلالي، إذ شعلة النور وقنديل الصباح، ترمز إلى البياض والضياء، وهو يستعدي أيضًا المعنى الضدي لها، وهو الظلام، الذي يرمز إلى سواد الليل، بالمعنى الرمزي.

وتستمر جدلية التأزم والانفراج للذات من خلال الأبعاد الرمزية للون، في نص بعنوان "بياض" وفي هذا النص يختم السارد من خلال التعالق مع النص المقدس بجملة تُعيد التجدد وديمومة الصراع

"بعد أن وجدته أسلمته للنهار

نقيًا طاهرًا،

رتبت فيه أغنيات الحياة!!

..

قال: نجوئ

ابيضت عيناه!!" (١)

النص لا يخلو من أبعاد رمزية يمكن أن نفهمها من خلال علاقة التلازم والتي

=

الحاجب"، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود (ط١)، عالم الكتب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ج١، ص ٢٥١.

(١) صالح أحمد السهيمي، "المرجع السابق"، ص ٢٥.

منها ندلف إلى كنه النص ودلالاته، فدلالة النهار تستحضر اللون الأبيض، لون النهار، لون الإشراق والنور، وهذا اللون، لون النهار يستدعي الضد أي الظلام من خلال عنصرين:

- أولاً: علاقة التلازم، وهذا التلازم هو تلازم ذهني ضدي، أي إنّ هذا التلازم قد استقر في الوعي الإنساني.

- ثانياً: سياق النص، إذ يقول السارد: "أسلمته للنهار نقيا طاهرا.. أغنيات الحياة" والخطاب الذي يفهم من الملفوظات، فيه دلالة على تحوله من حالة إلى ضدها، ومن مرحلة إلى أخرى. وما دامت دلالة البياض حاضرة من خلال الملفوظ "النهار" ودلالة السواد حاضرة من خلال علاقة التلازم، والسياق؛ فإنّ اللون ينتقل للإشارة إلى دلالة رمزية مضمرة، وتكون الذات في صراع بين قطبين نفهم تلك الدلالة من خلال "أسلمته للنهار"، وعلاقة المضاف والمضاف إليه "رتبت فيه أغنيات الحياة" لتشير إلى معان سيكولوجية في الذات المتأزمة، جاءت هذه الدلالة من خلال التعالق مع النص القرآني المقدس ﴿وَإِضْطَّ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ (يوسف الآية ١٣) ويحضر الرمز من خلال الفعل الماضي "ايضت" الدال على اللون الأبيض، والنص يقف بالقارئ على دالتين دلالة مستوحاة من خلال مرجعية وذاكرة النص، ودلالة يستجلي ملامحها من السياق.

- القراءة الأولى: فإن وقفت على دلالة النص المستوحاة من خلال التعالق مع القرآن الكريم وقصة يعقوب عليه السلام حينما فقد ابنه يوسف عليهما السلام، وهنا يحمل البياض معنى مغايراً لدلالة البياض في سياق النص، ويعزز معنى الجدلية وديمومة الصراع وتصبح الذات حينما بدأت ترى الإشراق والنور ايضت عينها لتعود الجدلية من جديد ومحاولة البحث عن النور، وهي تشير من طرف خفي إلى مأساة سيزيف ودوام الألم.

- **القراءة الثانية:** تأتي لتوظف المفردة "وابيضَّت" الواردة من النص المرجعي القرآني توظيفا مغايرا، وتُكسبه دلالة غير الدلالة القرآنية؛ ليتسق مع سياق النص والجدلية القائمة، ويحضر بذلك معنى الإشراق والنور والبهجة. ينتظم في هذه البنية ويتسق معها في أبعادها الرمزية عدد من النصوص منها (على مشارف فجر جديد، الملحد الذي...!! ضجر النخيل الذي هوى^(١)).

(١) صالح أحمد السهيمي، "المرجع السابق"، ص ٢٦، ٢٨، ٣٥.

المبحث الثالث: خطاب اللغة والصورة الرامزة

أولاً: اللغة ورمزية الخطاب

اللغة الإبداعية هي لغة إغواء ومخاتلة، تنزاح عن وضعيتها إلى معانٍ أخرى لا يؤديها اللفظ المباشر، وربما تكون هذه المعاني المنطوية وراء الدال هي الثيمة المركزية التي ينهض بها الخطاب ومقصديته؛ بل تكون القيمة الفنية للخطاب في تجاوز المعنى المدرك المباشر، ويكسب حيويته التواصلية مع المتلقي حيث "يفترض إنتاج الملفوظ أننا ندفع المخاطب إلى تأويله"^(١)؛ إذ في انشغاله بالتأويل يكتسب النص حياة ومعاني لا يؤديها الخطاب المباشر، أو لا يؤديها متناغماً بشروط فنية الخطاب وجماليته.

وفي مجموعة معارج البوح تنهض اللغة متجاوزة الرؤية التواصلية المباشرة؛ لتلج تخوم اللغة الرامزة، وتوحي بتخوم الذات ورؤيتها، دون أن يصّرح الدوال بذلك بمعنى "أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة"^(٢).

ويتوسل السارد باللغة التي قد تنفتح على اتجاهات ورؤى متباينة؛ لا لينوب في رؤيتها، وأبجدياتها؛ بل لتصبح وسيلة وأداة من أدوات الكتابة، يكشف بها رؤيته وما يثير القلق في الذات. وحين النظر في نص بعنوان: اختفاء على سبيل المثال تجد أن اللغة تنهض بدور حيوي في تجاوز البعد التواصلية لها؛ بل انبثقت عن الخطاب رمزية غير متلفظ بها على المستوى الإجرائي.

تُشكل البداية بالجملة الفعلية "فقد الطريق" ملمحاً سردياً صادمًا، يشير إلى

(١) آن مو شلار جاك روبول، "تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب"، تر:

لحسن بو تكلاي (ط ١، عمان: كنوز المعرفة، ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ)، ص ٢١١.

(٢) ميجان الرويلي سعد، البازعي، "دليل الناقد الأدبي"، (المرجع سابق)، ص ١١٥.

التأزم ويعطي الملمح الدرامي، ويشكل هذ الملمح عنصرا من عناصر الجذب والتشويق الدرامي الذي يوحى بالتيه والشتات، ويعزز السارد بمشهد درامي يوحى بأزمة الصراع بين الأنا ورمزية الراهن التي يرمز لها "بالطين" لتدخل القصة تخوم الدراما والصراع وتسعى الذات المتعالية إلى التجاوز، وهذا ما أدته الصورة في:

"قدماء في الطين عالقة.."

عيناه في السماء شاخصة!!" (١)

تحضر التقنية الواصفة وتشير إلى رغبة الانعتاق، من الواقع المادي -قدماء في الطين- والتحليق في تخوم المطلق عيناه في السماء شاخصة- وهو "وصف عن طريق الرؤية Description de type voir وهو كل وصف قناته إحدى الحواس الخمس" (٢)؛ لكن هذه التقنية الواصفة تستند إلى الرؤية الفلسفية وأصل التكوين للجنس البشري لا لتقاربها؛ بل لتجاوزها، فما رمزية هذه الرغبة في الخطاب؟ إنّ الطين مكون من مكونات الذات الإنسانية، وبديهي أن الذات لا تريد الانعتاق من أصل تكوينها، بل ترمز إلى الانعتاق من تلك الأنساق الثقافية والمجتمعية التي التبست بالذات المتعالية وهي طارئة على كينونتها، مما أفقدها أصالة الوجود، وفي رمزية الخطاب بالطين وهو أصل من أصول الكينونة الإنسانية يشير إلى تمكن تلك الأنساق من الهوية الإنسانية السوية، حتى أضحت وكأنها أصل وجوده وكينونته، وهذا يرمز إلى راهن مأزوم، وواقع نسقي مضطرب، ويرمز الخطاب بقوله: "عالقة" إنّ خطابا نسقيا مضادا يُعيق تجسيد الرؤية الممكنة في الراهن، مما يجعل النص يعيش في الفضاء الدرامي، وقد أشارت إلى

(١) صالح أحمد السهمي، "معارج البوح"، ص ١٨.

(٢) محمد نجيب العمامي، "الوصف في النص السردي بين النظرية والاجراء"، (ط١)، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م)، ص ٨٨.

ذلك الجملة الاسمية: "قدماء في الطين عالقة" وهذا يرمز لثبوت تلك الأنساق المضادة للذات المتعالية، مما سينتج عنه ردة فعل ضدية تحاول الانعتاق من كل الترسبات العالقة، وتشخص عيناه إلى السماء في إشارة إلى محاولة التحرر والتجاوز والرغبة الكامنة في الذات للممكن.

وينتقل النص إلى آفاق أخرى، ومصطلح الطريق -الذي بدأ النص به- له مفهومه الخاص في الوعي الصوفي ف الطريقة "هي السيرة والمذهب، وقيل هي أيضاً هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"^(١)، يتوسل السارد بهذه الرؤية ومفاهيمها لا ليتبنى مفاهيمها والذوبان فيها؛ بل ليسقطها بوصفها أدوات فنية تقارب تأزم الذات التي تحاول التجاوز وصراعاتها، والتي قد تكون أزمة فكرية، أو مجتمعية، والملح السيمولوجي للذات يوحي بأنها ذات تعيش محاض الانتقال من الراهن إلى الممكن، وتصارع العوالم التي تُعيقها عن حدوث الرؤية الممكنة، مما يولد الدلالة السيمولوجية للصراع بين الكائن والممكن، وفي خضم هذا الصراع تطرأ على السطح شخصية الأنثى من خلال تاء التأنيث "قالت" لتؤدي الإشارة إلى ذلك الصراع، بين ذات تحاول الانعتاق من الراهن المادي بكل تجلياته الرامز لها بـ "قدماء في الطين عالقة" متجاوزة ممكنة "عيناه في السماء شاخصة" ويوظف السارد الضمني شخصية الأنثى هنا لتؤدي دوراً وتحتفي بعده عن المسرح "قالت له دونك الجبل، عليك بالحرف.."

انحرفت قدماء وابتلعت الهواية"^(٢).

ينتقل الخطاب السارد إلى مستوى آخر من رمزية الخطاب تؤديها المفارقة

(١) جمال صليبا، "المعجم الفلسفي"، (ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ج٢، ص٢٢.

(٢) صالح السهيمي، "معارج البوح"، ص١٨.

"عليك بالحرف.. انحرفت قدماه..." إنّ شخصية الأثنى التي طرأت على المشهد تحمل سمة المنقذ، وخطاب الوعي المدرك المنقذ للشخصية المتأزمة، وقد أدى ذلك الدور بقولها "عليك بالجبل" الرامز إلى التعالي عن تلك الترسبات التي علقّت فيها الذات المأزومة، وقد تلقى البطل هذه الرسالة، لتشير لسلبية التلقي بـ "انحرفت قدماه وابتلعت الهلوة" إنّ الخطاب ينهض على رمزية التجاوز والرغبة من الانعتاق قد لا تؤدي أكلها بمجردة، أو بما تمتلك الذات الفاعلة من آليات في تحرير نفسها؛ بل قد تؤدي تلك الرؤية إلى الفناء والعدم إذا لم توظف بفاعلية.

ويأتي نص بعنوان "انزياح" يقارب مسألة الأبعاد الأنطولوجية للمبدع، وما يعتره من وجود متذبذب، مفتتحا النصّ بتقنية السؤال الذي يلج من خلاله لتحقيق ذاته، وفي هذا السياق رمزية اللغة الصوفية يكشف بها خطاب الوجود الإبداعي، والحضور المعرفي:

"أجابه بثقة العارف، متوحدا بذاته، مجللا بنور المعرفة:

بين حرف وانحراف" (١)

يحضر الخطاب الرمزي من خلال مصطلحات الرؤية الصوفية متوسلا بها السارد، وذلك للتعالق بين رؤية الشخصية في النص وما يتسق معها أبجديات وأدبيات الرؤية الصوفية، حيث يوظفها؛ يكشف عن وجوده، فاسم الفاعل: العارف مشتق من العرفانية وهي درجة من درجات الترقّي في الأبجديات الصوفية، أيضا متوحدا بذاته، نور المعرفة.

تأتي هذه المفاهيم الصوفية؛ برؤية مفارقة ومتجاوزة الأبعاد الصوفية، ويسقطها السارد على وجوده الإبداعي، فحينما كانت الذات المتصوفة في سعي دؤوب للرقّي

(١) نفسه، ص ٢٢.

للمنازل العرفانية وما يعتريها في ذلك من مراحل متذبذبة، تعالق السارد رؤيويًا مع تلك الرؤية ليقارب بها وجود الذات المتشحة بنور المعرفة، فاللغة في الخطاب الرامز تتجاوز مستوى الرؤية الصوفية لترمز بها إلى مستوى أنطولوجيا المعرفة.

٢- ثانياً: الصورة الرمزية:

ينحى الدرس النقدي بالصورة الرمزية إلى إضاءة جوانب من الذات تتصل بوجود الإنسان وجوهره، وعذابات، ومقاربة تلك الأبعاد من خلال آليات فنية جمالية، إذ هناك جوانب في الذات البشرية غامضة "يصعب التعبير عنها بدقة ووضوح، فالوضوح والدقة والمنطق والوعي والقيود اللغوية والفنية كلها شروط ... تكبح تيار الانفعال"^(١)، ولكن الصورة في كل تحليلاتها تسعى لغاية فنية على المستوى الإجرائي، وهي "تمثيل الواقع المرئي ذهنياً أو بصرياً، أو إدراكاً مباشراً للعالم الخارجي الموضوعي حساً ورؤية"^(٢).

وفي معارج البوح حضرت الصورة الرمزية بشكل مكثف، ولا تقف الأبعاد التي انطلقت منها في مكاشفة هموم الذات ورؤيتها؛ بل تعدت ذلك -بفضل رمزيته- لتشمل الهموم الكونية الشمولية، وهذا ما يخلّد حضور العمل في الرؤية الإنسانية، وللصورة دور فاعل في تجسيد ونقل الراهن وتحليلته عبر الآليات الجمالية، وقد وظفها الإنسان المبدع عبر التاريخ الجمالي في شتى أعماله "حيث تصبح الاستعارات أو

(١) عبد الرزاق الأصفر، "المذاهب الأدبية لدى الغرب"، (ط١)، اتحاد الكتاب العربي، ١٩٩٩م)، ص ١١٣.

(٢) عبد الله ثاني قدور، "سيمائية الصورة"، (ط١)، عمان، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص ٢٥. بتصرف يسير.

الصورة لديه وسيطا لنقل الواقع المرئي، وتحويله إلى عوالم تخييله، ممكنة أو افتراضية^(١)، وذلك بما يتوافق مع رؤية المبدع الذي يقرأ المشهد، ويتطلع إلى تجاوز الكائن إلى الممكن، والصورة في القصص القصيرة أو السردية بشكل عام تصوير للراهن، والرؤية من خلال آليات القص التي تتماشى مع نوع هذا الخطاب، ورمزية النص، وقد وظف السارد نوعا من انواع الصورة السردية تتماشى مع رمزية النص وإيجاءاته، وهي صورة الاستبطان، يرمز بها إلى جدلية الصراع النسقي لذات الأنثى، وما يعترئها من أسئلة تحقق بها أصالة وجودها، وما يعترئها جراء ذلك من مشاعر الانفعال والحيرة، وهذه الصورة "القائمة على الانفعالات والمشاعر الداخلية المستنبطة في أعماق الذات الشعورية واللاشعورية، وتعبر عن الحالة النفسية التي تكون عليها الشخصية داخل المتن الحكائي"^(٢)، وفي هذا السياق يحضر النص المعنون بـ "ضمير أنثى في ليلة الخروج!!" وهو يحمل في جوهرة أبعادا رمزية ودلالات إيحائية، تجسّد في كنهها صراع الكائن والرؤية الممكنة، وعذابات الراهن التي تعيشه، والأنساق التي تحكم رؤيتها "لما تظاهرت أمام المرأة بكامل أنوثتها"^(٣) يمكن أن تكون هذه الجملة المركزية التي تنبثق عنها الدلالات الرامزة، ويعود الضمير في "تظاهرت" إلى الذات الأنثوية، وفي دلالة الفعل تظاهرت على وزن "تفاعل" أي تكلف في حصول الشيء، وتخرج المرأة من دلالة المعنى الحسيّ إلى دلالات أخرى، مركزية وعلى ضوءها تنهض رمزية النص،

(١) نفسه، ص ٢٤.

(٢) جميل حمداوي، "بلاغة الصورة السردية بالملكة العربية السعودية"، (ط١)، الجوبة، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ٢٠١٢م، ع ٣٦، ص ١١.

(٣) صالح السهيمي، "معارج البوح"، ص ٦٦.

فالمرآة هنا ليست التي تعكس الصورة المعنى الحسيّ المباشرة؛ بل المرآة هنا هي النُظم الواعية بذات الأنثى والأنساق المجتمعية المدركة، أو قد تكون المرآة رمزا لذات مدركة لهوية وكيثونة الأنثى وفي الفعل تظاهرت، تحضر دلالة سلبية للذات، والتي تنبتق عنها دلالة إيجابية تفيد بأن الذات الأنثوية قد تعرضت إلى قمع في هويتها وماهيتها، حتى أضحت الكيثونة المائزة الأنثوية لا تحضر إلا من خلال التظاهر، وهذا يدل على أنّ الهوية الأنثوية تعاني من الاستلاب الوجودي، وفي قوله : وألصقت رموشا فوق رموشها، وعدسة فوق عيونها، ووضعت الأساس على وجهها الغارق في بحر أحزانها!!^(١) يوغل النص في وصف حالة الاستلاب، إذ الرموش، وعدسة فوق عيونها، والأساس، تأتي هذه الرموز لا لتقول البعد الحسيّ؛ بل لتقول إن العناصر السيكلولوجية التي يمكن من خلالها تمييز هوية الأنثى أضحت لا تنهض بعملها؛ فأضحت من خلال وزن الفعل ظهر -تظاهرت- تفاعل، إلى اجتلاب عوامل أخرى تساعد إلى إعادة الذات إلى هويتها الأولى، وينهض عنصر المفارقة "أيقظت المرآة في الضمير، عذاب العودة مجدد إلى أهلها!!"^(٢) لا ليقف عند المثير الجمالي، بل يعزز ما تذهب إليه القراءة من أن النص ينهض على معانٍ مركزية ثانية، جاء ليكشفها، وأنساق في صميم الوعي البشري، أدّت بفعل إفراطها إلى سلب ذاتٍ من هويتها، وأنّ هذه الذات تمارس فعل الأصالة التي به تضمن وجودها، وتحقق فاعلية، إنّ النص لا يعني إطلاقا -حسب ما تراه هذه القراءة- المعنى الأولي الذي يتجلى من خلال قراءة السطور؛ بل إنّ ثقله ودلالاته المركزية تكمن في النص المضمّر وراء المكتوب، أو

(١) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٢) نفسه، ص ٦٦.

المعنى الذي قاد إليه المعنى الأولي، والنص وهو يصور أيضاً تلك المشاعر وحالات البؤس للذات التي تعاني من الاستلاب الوجودي؛ يحمل في كنهه صرخة احتجاجية على الأنساق والرؤية التي جسدت من تعميق الهوة بين سؤال الذات والنسق المهيمن. وتأتي قراءة الراهن، وتحولاته من خلال نص آخر بعنوان "ليلة الغرق الأولى" ويمكن أن تكون الجملة الأولى "على شاطئ البحر يسألني"^(١) المفتتح الذي نلج من خلاله إلى عوالم النص وتحومه، إنّ دلالة شاطئ البحر تتجاوز المعنى الحسيّ الأولي، لتقف على معنى آخر، وهو يتصل أولاً بالذات، ويكشف ماهيتها، ويتصل ثانياً بالراهن أو الواقع بأحداثه، ومشخصاته، ويرمز "شاطئ البحر" إلى أنّ الذات تقف في موقف حيادي من الأحداث في الراهن، لا الموقف السليبي، بل موقف العارف الناقد الذي يقرأ الراهن، ويتأمله، ويتخذ منه موقفاً، بمعنى أنّ الذات هنا لم تندرج في نسق السقوط والتبعية للراهن، بل اتسقت في نسق التعالي والتجاوز، وترمز أيضاً جملة شاطئ البحر إلى الأحداث، والتحولات التي الذي يتخذ منها موقفاً مغايراً، وتكتمل رمزية الصورة من خلال بقية النص:

"ما الذي تفكرّ فيه الآن؟!"

قلت بعد تأمل طويل في حركة الأمواج، وأسئلته البليدة:

موجة تغسل أوساخ المدينة!!"^(٢)

يلعب الحوار دوراً بارزاً في تشكيل الصورة بين المتخيل السردى الممكن، وسلبية

(١) نفسه، ص ٢٣.

(٢) نفسه، ص ٢٣.

الراهن الذي أدتها المسافة الزمنية "بعد تأمل طويل"، والقراءة لـ "حركة الأمواج"، لا تقف على المستوى المادي؛ بل هي تقرأ التحولات التي طرأت على جميع الأصعدة، المجالات الفكرية، والمجتمعية وغيرها، وليس المعنى التحول الذي هو يحدث بطبيعة الأشياء ومن النواميس الكونية؛ بل تلك التحولات التي لا تتفق معها الذات الساردة، وفيها خروج عن الأبعاد المنطقية. وفي قوله "موجه أوساخ المدينة" دلالة رمزية على أن تلك التي طرأت على الراهن وأفزتها التحولات مغايرة للנוاميس، ولبكاره الرواح وأبجدياتها، إنّ الخطاب يرمز إلى علاقة ضدية أيضاً بين الذات وإنسان المدينة بتعقيداتها وتحولاتها وما طرأ على علاقة الذات بالآخر الذي أفرزته المدينة المعاصرة.

الخاتمة:

نصل بعد هذه الرحلة الشائقة في مجموعة معارج البوح للقاص صالح بن أحمد السهمي وما تفتق عنها من رؤية للقاص، فقد حضر الخطاب الرمزي في جُل المجموعة، وارتكز توظيفه على ثيمة مركزية تكمن في جدلية الكائن والممكن، وقد أظهرت هذه الجدلية عمق التوظيف للآليات الفنية، وتعددها، والتي نخرج عنها بعدد من النتائج:

- ظهر للقراءة أن المجموعة تقف على عمق القضايا النسقية في المجتمعات الإنسانية من خلال الخطاب الرمزي، وما أفرزته من جدلية الصراع بين تلك الأنساق والرؤية المتجاوزة.
- استطاعت المجموعة أن تظهر جانباً من جوانب الخطاب المسكوت عنه في المجتمع، وما يثيره من قضايا الاستلاب الوجودي للذات المقموعة، والتي تستدعي من المهتمين الوقوف على تلك الجوانب الجوهرية من ذلك الخطاب، وتشكلاته في السردية العربية.
- تجلّى للقراءة تأثير الفلسفة التفكيكية على تشكلات الخطاب الرمزي في المجموعة، وذلك بمقاربة الهامش وقضاياها، وتركيزها على تلك الأبعاد في الأنساق المجتمعية، ويمكن أن تكون مفتتحة لمقاربة الفلسفة الكتابية للخطاب السردى لدى القاص في جميع أعماله.
- جاء خطاب اللغة في معارج البوح موظفاً الأبعاد الرمزية على مستوى التراكيب والدوال والمفردة، مما يستوجب من القارئ التأمل في الخطاب وما ينطوي عليه من أبعاد دلالية.
- شكلت الأبعاد الحسية للرمز عتبةً أولى يلج منها السارد إلى رؤاه، تُفضي به إلى معانٍ مجردة، تتصل بالرؤية الجمالية والقضايا المعنوية والإنسانية المجردة.

- استطاع السارد أن يُظهر رؤيته للقضايا التي قاربها من خلال الخطاب الرمزي، وموقفه منها.

• التوصيات:

صدر للسارد أكثر من عمل سردي، تسترعي من الباحثين الوقوف مع تلك الأعمال، ومقاربة الفلسفة والاستراتيجية السردية التي انطلق منها في تشكيل أعماله، إضافة إلى مقارنة القضايا الفكرية والمجتمعية، ومقاربة مستويات اللغة وسماتها الفنية.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، نبيلة، "فن القص". (القاهرة: مكتبة غريب، د.ت.).
الأصفر، عبد الرزاق، "المذاهب الأدبية لدى الغرب". (اتحاد الكتاب العربي، ١٩٩٩م)
أمعشوش، فريد، "من قضايا القصة القصيرة جدا". (سوريا: مجلة الموقف الأدبي، العدد ٥١٦، ١ أبريل، ٢٠١٤م)
باشلار، غاستون، "جماليات المكان". تر: غالب هلسا، (ط٣، بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ).
برانين، أمينة محمد، "فضاء الصحراء في الرواية العربية المجوس لإبراهيم الكوني أنموذجا". (عمان: دار غيدا للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)
بوعزة، محمد، "من النص إلى العنوان". (جدة: مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، ع ٥٢٤، (١٤) ٢٠٠٤م)
ترحيني، فايز، "الدrama ومذاهب الأدب". (ط١، بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م)
تودوروف، تزفيتان، "الرمزية والتأويل". تر: د. إسماعيل الكفري (ط١، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)
حمداوي، جميل، "بلاغة الصورة السردية بالمملكة العربية السعودية". (الجوبة، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ٢٠١٢م)
ديكون، تيرنس دبليو، "الإنسان.. اللغة.. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ". تر: شوقي جلال (ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤م)
الديلمي، منصور، "المكان في النص المسرحي". (ط١، عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)

الربيعي، عبد الرزاق، "ما وراء النص". (ط ١)، القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، (٢٠٠٨م).

رسل، برتراند، "الفلسفة الغربية". تر: زكي نجيب محمود، راجعه أحمد أمين، (ط ١)، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ٢، ١٩٧٨م)
روبول، آن، مو شلار، جاك "تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب".
تر: لحسن بو تكلاي (ط ١)، عمان: كنوز المعرفة، ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ).
الرويلي، ميجان، البازعي، سعد "دليل الناقد الأدبي" (ط ٣)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م).

سارتر، جان بول، "الوجود والعدم بحث في الأنطولوجيا الظاهرية". تر: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: منشورات دار الآداب، ١٩٦٦م).

السبكي، تاج الدين نصر عبد الوهاب بن علي الكافي، "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب". تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود (ط ١)، عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
السهيمي، صالح أحمد، "معارج البوح". (جدة: دار تكوين للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ).

سوهيلة، يوسف، "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة، قراءة في الشكل، خليل حاوي أنموذجا". (رسالة دكتوراه، جامعة الجليلي الياس -سيدي بلعباس، الجزائر، ١٤٣٨هـ - ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م - ٢٠١٨م).

شيفلر، إسرائيل، "العوالم الرمزية الفن واللغة والطقوس". تر: عبد المقصود عبد الكريم، (ط ١)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦م)

صليبا، جمال، "المعجم الفلسفي". (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)
العمامي، محمد نجيب، " الوصف في النص السردى بين النظرية والاجراء". (ط ١)، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م)

- العبد، يمى، "في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي". (ط٣، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديد، ١٩٨٥م).
- فتوح، محمد أحمد، "الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر". (ط٣، القاهرة: دار المعارف).
- قدور، عبد الله ثاني، "سيمائية الصورة". (ط١، عمان، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).
- قسومة، الصادق، "علم السرد المحتوى والخطاب والدلالة". (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).
- القيسي، نوري حموي، "الطبيعة في الشعر الجاهلي". (ط١، الشركة المتحدة للتوزيع - جامعة بغداد، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م).
- لوكاش، غيورغ، "الرواية التاريخية". تر صالح جواد الكاظم، (بغداد: منشورات الجمل، ٢٠٢١م).
- معجم الملك سلمان العالمي للغة العربية الرقمي.

Bibliography

- Ibrahim, Nabila, “the art of storytelling”, (in Arabic). (Cairo: Ghareeb Bookstore, n.d).
- Al-Asfar, Abdul Razzaq, “Literary Trends in the West”, (in Arabic). (Arab Writers Union, 1999).
- Am'adsho, Fareed, “Issues in Very Short Stories”, (in Arabic). (Syria: Al-Mawqif al-Adabi journal, Issue 516, April 1, 2014).
- Bashlar, Gaston, “Aesthetics of Place”, trans. Ghaleb Hilsa, (3rd edition, Beirut: University Institution for Studies, Publishing, and Distribution, 1407 AH).
- Braneen, Amina Mohammed, “The Desert Space in Arab Novels: A Model in Ibrahim Al-Koni's Works”, (in Arabic). (Amman: Ghaida Publishing and Distribution House, 2010).
- Bouazza, Mohammed, “From Text to Title”, (Jeddah: Alamat journal, Literary and Cultural Club, , Issue 52, (14) 2004).
- Tarhini, Fayez, “Drama and Literary Trends”, (in Arabic). (1st edition, Beirut: University Institution for Studies, Publishing, and Distribution, 1408 AH – 1988).
- Todorov, Tzvetan, “Symbolism and Interpretation”, trans. Dr. Ismail Al-Kafri, (1st edition, Nineveh House for Studies, Publishing, and Distribution, 1438 AH – 2017).
- Hamdawi, Jameel, “The Rhetoric of Narrative Imagery in the Kingdom of Saudi Arabia”, (in Arabic). (Al-Jawbah, Abdulrahman Al-Sudairy Cultural Center, 2012).
- Dekoon, Terence W. “Man... Language... Symbol, The Common Evolution of Language and the Brain”, Translated by: Shawqi Jalal, (1st edition, Cairo: National Center for Translation, 2014).
- Al-Dailami, Mansour, “The Place in the Theatrical Text”, (in Arabic). (1st edition, Amman: Dar Al-Kindi for Publishing and Distribution, 1999).
- Al-Rubaie, Abdul Razzaq, “Beyond the Text”, (in Arabic). (1st edition, Cairo: Shams for Publishing and Distribution, 2008).
- Russell, Bertrand, “Western Philosophy”, (in Arabic). Translated by: Zaki Naguib Mahmoud, Revised by: Ahmed Amin, (2nd edition, Cairo: Committee for Compilation, Translation, and Publishing,

- Vol. 1, 1978).
- Roboul, Ann, Mo Shlar, Jack, "The Pragmatics of Discourse: From the Interpretation of the Utterance to the Interpretation of Discourse". Translated by: Lhassan Bou Teklay. (1st edition, Amman: Kunooz Al-Ma'arif, 2020, 1441 AH).
- Al-Ruwaili, Meghan, Al-Bazie, Sa'd. "Literary Critic's Guide", (in Arabic). (3rd edition, Casablanca: Arab Cultural Center, 2002).
- Sartre, Jean-Paul, "Being and Nothingness: An Essay on Phenomenological Ontology". Translated by: Abdul Rahman Badawi. (Beirut: Dar Al-Adab Publications, 1966).
- Al-Subki, Tāj Al-Din Nasr Abdul Wahab bin Ali Al-Kafi, "Raf' al-Hājib 'an Mukhtaṣar Ibn al-Hājib". investigated, annotated, and studied by Sheikh Ali Muhammad Maawad and Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawjood. (1st edition, Al-Alam Al-Kutub, 1419 AH, 1999).
- Al-Suhaimi, Saleh Ahmed, "Ma'ārij Al-Bawh", (Jeddah: Takwin Publishing and Distribution House, 1444 AH).
- Suhaila, Yousfi, "Symbolism and its Significance in Contemporary Arabic Poetry, A Study of Form, Khalil Hawi as a case study" (in Arabic), PhD Thesis, University of Djillali Liabes- Sidi Bel Abbes, Algeria, 1438 AH - 1439 AH, 2017-2018.
- Shifler, Israel, "Symbolic Worlds: Art, Language, and Rituals", Translated by: Abdelmaqsoud Abdelkarim, (1st edition, Cairo: National Center for Translation, 2016).
- Saliba, Jamal, "Philosophical Dictionary" (in Arabic), (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubnani, 1982).
- Al-Amami, Mohammed Najib, "Description in Narrative Texts: Between Theory and Practice" (in Arabic), (1st edition, Tunisia: Dar Mohammed Ali for Publishing, 2010).
- Al-Eid, Yamna, "Studies in Literary Criticism: Understanding the Text" (in Arabic), (3rd edition, Beirut: Publications of Dar Al-Afaq Al-Jadid, 1985).
- Fotouh, Mohamed Ahmad, "Symbol and Symbolism in Contemporary Arabic Poetry" (in Arabic), (3rd edition, Cairo: Dar Al-Ma'rif).
- Qadour, 'Abdullah Thani, "Semiotics of Image" (in Arabic), (1st

- edition, Jordan - Amman: Al-Waraq Publishing and Distribution, 2007).
- Qasouma, Al-Sadiq, "Science of Narrative: Content, Discourse, and Significance" (in Arabic), (Riyadh: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1430 AH, 2009).
- "The Qaisi, Nouri Hamwi, Nature in Pre-Islamic Poetry, United Distribution Company - University of Baghdad, Vol. 1, 1390 AH 1970).
- Lukash, Georg, "The Historical Novel", translated by Saleh Jawad Al-Kazim, (Baghdad: Al-Jamal Publications, 2021).
- King Salman Global Digital Arabic Language Dictionary.

تجليات السير ذاتي وهوية النصّ
في رواية مفارق العتمة لمحمد المزيني
(دراسة وصفية تحليلية)

Manifestations of Autobiography and the
Identity of the Text in the Novel Mafāriq al-
‘Atma by Mohammed Al-Mazini
(Analytical Study)

د. سامية مسفر فالح الهاجري

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإمام

عبد الرحمن بن فيصل

البريد الإلكتروني: Rozan156@hotmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/28		استلام البحث A Research Receiving 2025/01/21
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ DOI:10.36046/2356-000-016-021		

مستخلص البحث

موضوع البحث هو: تجلیات السیر ذاتي وهوية النصّ في رواية مَفَارِقِ العُتْمَة لمحمد المزيني (دراسة تحليلية).

يهدف هذا البحث إلى دراسة روائية السيرة الذاتية عند محمد المزيني؛ لتحديد هوية النصّ ونوعه الأجناسي بين الأنواع السردية المختلفة، فالتداخل الأجناسي من القضايا النقدية الشاقة التي شغلت النقاد لدى الفصل بين الأنواع؛ إذ تبدأ أزمة النقد حينما يلحظ تناقض بين ما أثبتته المؤلّف من علامة تجنيسية لعمله، وبين عالم النص وإشاراته الداخلية المرجعية.

تطرح روايات محمد المزيني على الباحث سؤالاً ملحقاً حول هويتها الأجناسية، خاصة روايته (مَفَارِقِ العُتْمَة)، التي تشكّل نصّاً إشكاليّاً حول ماهيتها؛ نظراً لأنها تعكس وعياً ذاتيّاً متقاطعاً مع الزمان والمكان في إطار لغوي محدّد، وهذه الانعكاسية هي سبب الإشكالية بين الناقد والمؤلّف. وسيقف البحث عند رواية (مَفَارِقِ العُتْمَة)؛ لبحث تجلیات السيرة الذاتية فيها، وتحديد هويتها الأجناسية، ومدى تعالقها مع السيرة الذاتية عبر آليات تستند إلى المضمون والميثاق والزمن، فضلاً عن التماهي بين المؤلّف والراوي، بما يعزّز التداخل بينهما؛ بناء على ما أرسته الحداثة من كسر الحدود الفاصلة بين الفنون، وما شهدته السيرة الذاتية السعودية من تطوّر واكب المتغير الحاصل في المشهد الأدبي والنقد، انتقل بالسيرة من التقريرية إلى الفنية، وتصوير التجربة بأبعادها الإنسانية.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لكونه المنهج الأكثر مرونة في تحليل الظواهر العلمية المختلفة.

ويتألف البحث من قسمين: قسم نظري يؤصل لمفهوم السيرة الذاتية والروائية، وقسم تطبيقي نبحث فيه عن مظاهر السيرة الذاتية في الرواية المدروسة. وتوصل البحث إلى نتائج، من أهمها: أن رواية مفارق العتمة سيرة ذاتية مكتملة العناصر، أفرغت في قالب روائي. الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية، الرواية، الميثاق، التداخل الأجناسي، الخيال، الواقع.

Abstract

Subject: Manifestations of autobiography and the identity of the text in the novel “Mafāriq Al-‘Atma” by Muhammad Al-Mazini (an analytical study).

This research analyzes Muhammed Al-Muzaini's autobiographical novel to define its textual identity and genre within narrative forms. Genre interference creates a critical challenge when the author's genre markers clash with the text's internal elements. The study aims to resolve this ambiguity by examining the novel's characteristics for accurate categorization amidst literary complexities.

Muhammad Al-Muzaini's “Mafariq Al-Atma” poses a challenge in genre classification due to its self-reflexivity within a specific linguistic framework, creating a critic-author dilemma. This research investigates autobiographical elements and the novel's ambiguous genre. It explores its connection to autobiography through content, covenant, and time, alongside author-narrator identification. This analysis considers modern literary trends blurring artistic boundaries and the evolution of Saudi autobiography from reportorial to artistic, depicting human experiences. The study aims to understand the novel's generic ambiguity within the context of contemporary literary and critical developments.

This research employed a descriptive analytical approach, deemed most suitable for examining diverse phenomena.

The research has two parts: a theoretical section defining autobiography and the novel, and an applied section analyzing autobiographical elements within the studied novel.

The research reached the following results, the most important of which is that the novel “Mafariq al-Atma” is a complete autobiography, presented in a novelistic form.

Keywords: Autobiography, Novel, covenant, Generic overlap, Fantasy, Reality.

مقدمة

لقد ألحقت الحداثة بعض الضعف في الحدود القائمة بين الأنواع الأدبية، فنزع الأدب المعاصر إلى المزج بين الأنواع الأدبية، وكسر الحدود القائمة بينها على الحدة التي كانت قائمة من قبل، وقد أثر هذا التحول في النظرة إلى كسر فصل الأنواع إلى النظر في السيرة الذاتية التي تلقت بالرواية، التي أضحت بما تمتلكه من عناصر بناء وتقنيات أكثر ديناميكية وانفتاحاً على كل الأشكال السردية؛ إذ تتقاطع الرواية مع الشّعر والسينما والمسرح وشتى أشكال السرد، الأمر الذي ينتج أشكالاً جديدة، تسمح بظهور مناخ ثقافي للدراسات البينية، وبذلك تحوّلت الرواية على مستوى الشكل الفني والتقني وعلى مستوى الموضوع والاتجاه، ولعل الأشكال الأدبية القائمة على السرد كانت مجالاً لتجلي هذه الظاهرة؛ إذ أخذت الرواية من فنون أخرى كما أعطتها هي من عناصرها البنائية وسماحتها الفنية، فظهرت سيرة ذاتية أو غيرية في شكل روائي والعكس صحيح، ومثلها مقالة قصصية وحكايات صيغت في قوالب مقالية. وهنا برزت مسألة تداخل الأجناس الأدبية من قبل المبدع إلى الناقد أو القارئ، الذي حاول إيجاد تأويلات نقدية، تتناسب مع الأشكال الأدبية الجديدة بمدخل وأدوات، يستطيع بهما أن يستبطن العمل، ويقارب هذه الأشكال.

ولعل أول إشكالية يواجهها الناقد في العمل السردى العلامة اللغوية التي يضعها المؤلف للقارئ، مؤكّداً على تصنيف عمله في عتبة العنوان بأن ما يكتبه هو: رواية، أو سيرة، أو خواطر، أو مذكرات، أو اعترافات، وغيرها. وهنا تكون الإشكالية بين موقفين: المقصودية، والمقروئية، فالأولى هي رغبة المؤلف التي يقف وراءها مواقف ومبررات عنده، ومدى قصديته من وراء تقديم عمله بوصفه رواية، والعكس إن كانت العلامة الإجناسية تشير إلى سيرة ذاتية أو مذكرات أو يوميات.

وقد قضت التجربة الإبداعية والنقدية لجوء بعض المبدعين إلى الاستتار وراء

عنوان بعينه؛ لأهداف يقصدها كهدف جمالي أو اجتماعي أو سياسي أو ديني، وربما يكون هدفه عكسيًا؛ إذ قد يهدف المؤلّف من وراء تصنيف عمله أنه رواية أو سيرة؛ حتى لا يكون في صدام مباشر مع المجتمع، فيكون فعله احترازيًا مسبقًا.

والقارئ لرواية محمد المزني^(١) (مَفَارِقِ العُتْمَة)^(٢) يجده من الكتاب الذين لم يكن اختيارهم للعلامة اللغوية التصنيفية بأنها (رواية) اختيارًا اعتباريًا؛ ذلك لأن من يقرأ

(١) محمد المزني كاتب وإعلامي سعودي، ولد في مدينة البكيرية في منطقة القصيم في عام ١٩٦٤م، عمل محررًا في عدد من الصحف السعودية بين عامي ١٩٨٦ و ١٩٨٩م، وسكرتير تحرير مجلة (تجارة الرياض)، ومصححًا لغويًا لها عام ١٩٩١م، وباحث مكتبات في مكتبة الملك فهد الوطنية عام ١٩٩١م، ومديرًا للعلاقات العامة في مكتبة الملك فهد الوطنية ثم مديرًا للشؤون الثقافية في عام ١٩٩٦م، أعدّ وقَدّم برامج تلفزيونية، منها: برنامج (الصالون السردى)، وبرنامج (ثقافة المشاهير) لصالح القناة الثقافية السعودية. وعمل سكرتيرًا للنادي الأدبي بالرياض عام ٢٠٠١م، ومسؤول الإعلام والنشر بجمعية الثقافة والفنون، كما عمل مسؤولًا عن لجنة السرد والعروض المرئية بنادي الرياض الأدبي. وهو عضو في لجنة الإعداد للملتقى الإمارات للإبداع الخليجي (اتحاد أدباء وكُتّاب الإمارات). كتب زاوية أسبوعية في (أربعاء المدينة) عام ٢٠٠٨م، ويكتب بصفة أسبوعية في جريدة (الحياة). أصدر عددًا من الروايات، منها: "مَفَارِقِ العُتْمَة"، و"عرق بلدي"، و"إكليل الخلاص"، و"نكهة أنثى محرمة" ٢٠٠٨م، و"الطفاقة بخيئة" ٢٠١١م، و"انفرادي"، ٢٠١٥م، وعددًا من المجموعات القصصية، منها: "كل ما هنا لك". ينظر: محمد المزني، "الروائي محمد المزني". موقع جائزة كتارا للرواية العربية، (د. ت). "استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥م" من موقع:

<https://kataranovels.com/novelis>

(٢) محمد المزني، "مَفَارِقِ العُتْمَة". (ط١، المغرب: دار بسملة للنشر الإلكتروني، ٢٠٢٣م). وقد نشرت لأول مرة عام ٢٠٠٤م.

تلك الرواية يجدها تطرح أسئلة حول كونها رواية أم لا، فما تضمه من سرود وحكايات، وما انبنت عليه من شخوص وأزمنة وأمكنة؛ تجعل الأسئلة أكثر إلحاحًا، وهذا ما يدفع الناقد إلى إعادة النظر في جنسها الأدبي الذي حدده الكاتب باسم (رواية)؛ بناء على تداخلها مع السيرة الذاتية المبنية على التحول الذي فرضه التطور الاجتماعي والثقافي، واتسام كل من السيرة والرواية بانفتاح حدودهما، وعدم انغلاقهما على قواعد التجنيس، واشتراكهما بكثير من قواعد الفن المميز لكل منهما.

وهنا نتحدد إشكالية البحث في الكشف عن تجليات السيرة الذاتية في رواية (مفارق العتمة)؛ لنحدد هوية النصّ فيها، وموقعها في علاقتها مع الأنواع الأخرى؛ لنبين مدى تشابها واختلافها معها. ويتفرّع من هذه الإشكالية عدد من الأسئلة، منها:

- ما مفهوم السيرة الذاتية الروائية؟

- ما مقومات السيرة الذاتية، وما حدودها في رواية (مفارق العتمة) لمحمد المزيني؟

وتنبع أهمية البحث من كونه إسهامًا في الجدل الدائر حول اعتبار الرواية السعودية شكلًا من أشكال السيرة الذاتية؛ بناء على استخدام بعض الكتّاب ضمير المتكلم، الذي يحقق التطابق بين شخصية البطل والراوي، إضافة إلى ذكر الأماكن المعروفة، واللهات وراء النباش في سيرة الروائي الحقيقية، وربط أحداث الرواية بشخصية البطل، لعلنا نقدّم دراسة تخفّف من غلواء شيوع نقد السير الذاتية للرواية السعودية؛ بناء على ما تتيحه الرواية المدروسة من معطيات، تسمح لنا بتجنيسها، وهذه الأهمية هي التي تحدّد أهداف البحث بدقة.

الدراسات السابقة:

لم نعر على دراسات سابقة لرواية (مفارق العتمة) في الدراسات النقدية

العربية، خلا بعض المقالات المنشورة في بعض الصحف العربية، إلا أننا وجدنا دراستين باللغة الفرنسية، تناولتا الرواية من الناحية الاجتماعية لمجتمع المملكة العربية السعودية، وهما:

- دراسة الباحث الفرنسي ستيفان لأكروا، والتي تقدّم بها إلى معهد العلوم السياسية في باريس؛ لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: "حقول الفتنة: دراسة اجتماعية وسياسية للحركة الإسلامية في المملكة العربية السعودية (١٩٥٤-٢٠٠٥م)"، تحت إشراف البروفيسور: جيل كيبل، وأشار فيها إلى أن الرواية سيرة الذاتية.

- دراسة الباحث الفرنسي يانيس خميري، والتي تقدّم بها لنيل درجة الماجستير في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية بباريس بعنوان: "مَفَارِقِ العُتْمَة، صور أدبية لنجد ومجتمعه عبر الزمن"، متناولاً القضايا الاجتماعية لمدينة الرياض، وتجربة انضمام الكاتب لجماعة دينية ثم انشقاق بعض عناصر هذه الجماعة. وهناك دراسات كثيرة، تناولت السّيرة الروائية أو الرواية السّيرية لدى روائيين آخرين تُعدُّ مراجع للبحث.

وهناك مقالات متعددة في الجرائد الرسمية عن الرواية، حيث كتبت أسماء الزهراني مقالاً بعنوان: «مَفَارِقِ العُتْمَة: تحرر الخطاب السردي من سلطة الروائي» في جريدة اليوم، بيّنت فيه كيف نسجت (مَفَارِقِ العُتْمَة) أولى تشكُّلات الجماعات الصحوية، متمثلة في جماعات المساجد الصغيرة، ومخيمات الصيف المدرسية، وهي مرحلة تمثّل - من منظور الرواية- انتقال جيل من شباب الدعاة من مرحلة تكريس التربية العلمية في حلقات الدرس إلى التربية الفكرية الأخلاقية الشاملة، وتوسيع مفهوم الدعوة، وإعادة

لما كان عليه في العهد النبوي، ويَبِّنت أن الرؤية في مَفَارِقِ العُتْمَةِ لا تتركز على حدث واحد، ولا تنحبس في موقع متعال أحادي، يعكس رؤية الروائي، بل يتوزع على ظاهرة الصحوة، كظاهرة حيوية في ولادته وتطوره وتركيبه، فتشمل السلبي والإيجابي، وقد اكتفى الراوي غالبًا بالوصف وترك التقييم للقارئ^(١)، أما بقية الإشارات إلى الرواية فقد كانت ملحوظات بسيطة متفرقة.

أما هيكل البحث فقد بُني على ثلاثة مباحث وخاتمة، تتضمن نتائج البحث وأهم التوصيات.

(١) أسماء الزهراني، "مَفَارِقِ العُتْمَةِ: تحرر الخطاب السردى من سلطة الروائي". صحيفة اليوم، ١٢

أبريل ٢٠١٤م، "استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥م" من موقع:

<https://www.alyaum.com/articles/923642/>

المبحث الأول: التداخل الأجناسي بين الرواية والسيرة الذاتية

إن قضية الأجناس الأدبية قديمة تعود إلى "نقّاد اليونان، وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو، لا يزال النقّاد في الآداب المختلفة على مرّ العصور ينظرون إلى الأدب بوصفه أجناساً أدبية"^(١)، تولّدت وتطوّرت وفق الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية المحيطة، تحكمها بعض القيود والضوابط، فالجنس الأدبي لا "ينمو ويتطوّر بطريقة تلقائية، تملئها ملابسات الحياة وحاجات الفرد، بل تدخل التفكير الفلسفي، وأخذ يستنبط للأدب والفن غايات جديدة"^(٢)، ما يعني أن الجنس الأدبي ليس ثابتاً، بل ينقسم ويتحوّل في إطار التشابه، فتتوالد أجناس أدبية جديدة، ولكن لا يعني أنها منبئة الصلة عن جذورها القديمة، بل "هي نفسها إعادة إنتاج توزيع سمات شكلية كانت موجودة جزئياً من قبل النظام السابق"^(٣).

ولعل تداخل الأجناس الأدبية قد تم بفعل مرونة الأدب وتطوره، فتماهى أحدها في الآخر، وهذا ما انعكس على رؤية النقّاد والباحثين، وجعلهم يستنبطون مفاهيم غير متسقة لبعض تلك الأجناس، فغداً تقعيدها، ووضع ضوابط دقيقة لها أمراً يكاد يكون مستحيلاً.

والسيرة الذاتية من الأجناس الأدبية التي تتداخل، وتمتلك القدرة على استعارة عناصر أجناس أخرى، فالكاتب في السيرة الذاتية الروائية يركن إلى استعارة القالب

(١) محمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن". (ط ٥، بيروت: دار العودة ودار الثقافة، ١٩٨٧)، ١٣٦.

(٢) محمد مندور، "الأدب ومذاهبه". (د. ط، القاهرة: دار نضضة مصر، ١٩٧٩م)، ١٦٨.

(٣) فيليب لوجون، "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي". ترجمة وتقديم: عمر حلي، (ط ١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م)، ٧٤.

الروائي؛ ليصوغ "سيرته الشخصية في ثناياه، مفصلاً في تصويره لقصته عن هدفه الذي ينصرف إلى تصوير حياته في شكل روائي، دون إلغاز أو محاولة للتخفي خلف شخصية روايته الرئيسية، أو انسياق وراء عناصر الفن الروائي، وما يستوجبه هذا الفن من إهمال الخيال، والتحوير لبعض الحقائق تحويراً يخل بالحقيقة التاريخية، وحقيقة حياته الخاصة"^(١).

ومعلوم أن ما ساعد على هذا التداخل أن الرواية فن قلق، لا يعرف الاستقرار، بل يسعى دائماً للتشكّل بأشكال جديدة، وهذا ما جعلها "أشبه بيوقة الفنون الأدبية من شعر ونثر وغيرهما، وذلك بفضل التقنيات الحديثة"^(٢)، فاقتربت من فن السيرة الذاتية "من خلال التراسل الأسلوبي والقني بينهما، بالإضافة إلى أنّ المتخيّل والحقيقي بينهما نسبي"^(٣)، وبذا كانت الرواية أكثر الأجناس الأدبية قرباً من السيرة الذاتية، وتداخلاً معها. وهذا نفسه ما جعل السيرة الذاتية فناً زئبقياً، يصعب ضبطه أو تصنيفه، وهذا ناجم عن تعدّد أشكاله، وتنوّع أساليبه، فهو فن "يرفض التجنيس، ويستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى"^(٤).

(١) يحيى عبد الدايم، "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث". (د. ط، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٤م)، ٨٢.

(٢) سمير حاج، "الرواية في الجليل من خلال بعض أعمال إميل حبيبي وسلمان الناطور، الأدب الفلسطيني في المثلث والجليل". (ط ١، فلسطين: مركز الأبحاث، دائرة اللغة العربية، جامعة بيت لحم، ٢٠٠٧م)، ٨٠.

(٣) محمود محمد أملودة، "الزمن المستعاد ظلال السيرة الذاتية في الرواية الليبية". مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، ٢: ٦٠٣.

(٤) شعبان عبد الحكيم محمد، "السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث". (ط ١، الأردن: الوراق، ٢٠١٥م)، ٢٢٥.

أ- بين الرواية والسّيرة الذاتية:

إن الرواية بناء وشكلاً تقوم على عناصر، هي: الشخص، والزمان، المكان، والحدث، واللغة، إضافة إلى توافر الصراع وتقنيات الوصف والحوار والأسلوب السّرد^(١). فالتقنيات السّردية في الرواية من وصف وحوار وطرق مختلفة يسرد بها الراوي الحكاية؛ تبقى حيلاً فنية، يوظفها الكاتب طبقاً لوجهة نظره وقناعاته الجمالية، وهي أساس الجمالية والتفرد، أما عناصر السّرد فقد يشترك فيها الخطاب السّردى وسائر الأشكال الحكائية الشفاهية والمكتوبة. كما أن للرواية قدرة على "تشرب" الأجناس الأدبية واللا أدبية، ففضاء الجنس الروائي فضاء تنتعش فوق أرضيته كل الأجناس ومختلف الحقول المعرفية - الفكرية^(٢). وهي "تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائصها الحميمية وأشكالها الصحيحة"^(٣).

أما السّيرة الذاتية فهي من أكثر الأجناس الأدبية إشكالية من حيث عدم الاستقرار والتشكّل النهائي، ولذا وصفت بأنها جنس مراوغ^(٤)، فضلاً عن أن

(١) ينظر: د. صلاح فضل، "أساليب السرد في الرواية العربية". (ط٣، بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣م)؛ عبد الرحيم الكردي، "الراوي والنص القصصي". (ط٢، د. م، دار النشر للجامعات، ١٩٩٦م).

(٢) إبراهيم جنداري، "الرواية والتناص". مجلة العميد ١-٢، (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٢م): ٢١١.

(٣) عبد الملك مرتاض، "في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد". عالم المعرفة ٢٤٠، (١٩٩٨م): ١٨٩.

(٤) ينظر: صبري حافظ، "رقش الذات لا كتابتها: تحولات الاستراتيجيات النصية في السّيرة الذاتية". عدد خاص (لغة الذات: السير الذاتية والشهادات). مجلة ألف ٢٢، (٢٠٢٢م): ١١.

المصطلح ذاته يكتنفه الغموض واللبس^(١)؛ نظرًا لقربها من أجناس أدبية كاليوميّات والمذكرات والرسائل وقصائد السيرة، والشهادات، والحوارات الشخصية، واستعارتها بعض آليات عمل تلك الأنواع، أو نظمها الداخلية، وأشكالها التي تأثرت هي أيضًا بالسيرة الذاتية. وكذلك فإن التعريفات المتداولة للسيرة الذاتية لا تخرج عن تحديدها بأنها قصة حياة الشخص التي يسردها بنفسه^(٢).

وهذا انعكس على تعدّد تعريفاتها، فهي من الناحية الشكلية "حكي استعادي نثري، يقوم به شخص واقعي عند وجوده الخاص، وذلك عندما يركّز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"^(٣). وهي في تعريف جبور عبد النور: "رواية حياة المؤلّف بقلمه.. تحكي ماضيًا بسرد متواصل"^(٤)، وهي لدى والاس مارتن: "قصة كيف أصبحت حياة ما كانته، وكيف أصبحت نفس ما هي عليه"^(٥).

فهذه التعريفات تنصّ على أن السيرة رواية، قصة، صورة، وصف، حكي، تاريخ، الأمر الذي أتاح دخول أصول وأعراف هذه الأجناس في موضوعها وشكلها. كما تركز تلك التعريفات على تميّز السيرة بالزمن الماضي (الأحداث المستعادة)، وتحديد السارد بصاحب السيرة، الذي يعزّ عنه بضمير المتكلّم، ولكن حتى هذا

(١) ينظر: لوجون، "السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي"، ٢١.

(٢) حاتم الصكر، "أقنعة السيرة وتحليلاتها البوح والتميز في الكتابة السير ذاتية". (د. ط، عمان: دار أزمنة، ٢٠١٧م)، ٤، ٥.

(٣) لوجون، "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي"، ٢٢.

(٤) جبور عبد النور، "المعجم الأدبي". (د. ط، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ١٤٣.

(٥) والاس مارتن، "نظريات السرد الحديثة". ترجمة: حياة جاسم محمد، (د. ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م)، ٩٧.

داخله كثير من الآراء المتعارضة^(١).

فكاتب السيرة يسرد تفاصيلها وفق منطق الصدق والتطابق، الأمر الذي يجعل منه حكيًا يعتمد الوثيقة والشهادة، ويستبعد التخيل^(٢).

ويقوم التعريف الأصل الذي قدّمه لوجون على أن السيرة الذاتية هي قصة استرجاعية، وأنها حكي نثري، يحكي حياة المتكلم الفرد وتاريخ شخصيته، وينبغي أن يتطابق فيها المؤلف مع السارد، ويتطابق السارد مع الشخصية الرئيسية، وهو يسرد الحوادث من منظور استعادي. كما ركن لوجون إلى الميثاق في تمييزه للسيرة الذاتية، مثل العلامات البارزة على الغلاف، وأن يكون متضمنًا^(٣)؛ لكونه "البوصلة التي تحدّد هوية النصّ، وتكشف عن مرجعيته الواقعية، وأن أوضح الموثيق هو أن يجنّس الكاتب عمله بشكل صريح بكتابة (سيرة ذاتية) على الغلاف الخارجي"^(٤).

ولكن ركون لوجون إلى الميثاق السري ذاتي يجعل الذات الكاتبة مُلزمة أخلاقيًا أمام المتلقي بقول الحقيقة كاملة دون الانتقاء أو الزيف، وهنا يعترض كتاب السيرة الذاتية العرب خاصة عقبة الصدق والصراحة؛ لأن القيود الاجتماعية تقف حائلًا دون ذلك، فيلجأ الكاتب إلى "التخيل الذاتي" الذي جاء به "سيرج دوبروفسكي" (serge debreusky)، وأتاح لكاتب السيرة الذاتية متسعًا للبروح أكثر من السيرة

(١) ينظر: جيرار جينيت، "وجهة النظر من السرد إلى التعبير". ترجمة: ناجي مصطفى، (د. ط، الدار البيضاء: منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، ١٩٨٩م)، ٦٧.

(٢) ينظر: جولان حسين جودي، "السيرة الذاتية الروائية: التناهد الجنسي وإشكالية التصنيف". مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ١٣، (٢٠١٠م): ٨٤.

(٣) ينظر: لوجون، "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي"، ٣٩-٤٥.

(٤) إسرائ سالم موسى الخزاعي، "السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب". (رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، ٢٠١٧م)، ٤٠، ٤١.

الذاتية. ولذا أعاد لونغن النظر في تعريفه للسيرة الذاتية؛ إذ يستحيل التزام المبدع بشرط المطابقة الثلاثية (المطابقة التامة بين المؤلف، الراوي، والشخصية الرئيسة)، وهذا ما جعل تعريفه قاصراً عن تحديد مفهوم السيرة الذاتية بدقة، ودفع كثيراً من الكتاب للجوء إلى رواية السيرة الذاتية للإفلات من صرامة قول الحقيقة كما حصلت في الواقع، والتي يفرضها الميثاق السير ذاتي. ومن هنا أتت رواية السير ذاتية كجنس أدبي نتج عن تفاعل الرواية والسيرة الذاتية بناء على العلاقات التي تربط الرواية بالسيرة، التي "هي من حيث المبدأ علاقات حوارية تفاعلية خلاقة"^(١).

وربما كان التفاعل أو التداخل الذي يجمع ما بين الرواية بوصفها سرّاً متخيلاً والسيرة الذاتية بوصفها نصّاً واقعياً، يعطي الكاتب فرصة المراوغة الأجناسية على القارئ، كما يسمح للقارئ بطرح أسئلة حول نوع العمل، ووضع فرضياته حول اختيار المؤلف علامته الأجناسية، مع ما يتعمده المؤلف أحياناً من دمج عناصر واقعية مع أخرى خيالية؛ ليصبح النصّ سيرة من جهة ورواية من جهة أخرى، ف "السيرة الذاتية (Autobiography) بصفتها نصّاً روائياً من خلال استعلائها على السيري والواقعي والتاريخي؛ لتنزاح إلى معانقة أفق الخيال، والوهم والاختلاف والانتقاء والحذف والمجاز والاستعارة والتميز، والكذب مع مصداقية التجربة الفنية، وأدبية الجملة وشاعرية دلالاتها وحكاية عناوينها، وأسطرة متنها، وما ينضوي تحت هذه التيمات وغيرها مما يمكن وصفه بروائية أو رويّة السيرة الذاتية، التي قد يكون واقعها نفسه أكثر ثراء من جهة الدراما والغرائبية والأسطرة والتخيل من أي خيال في أية

(١) معجب الزهراني، "القراءة الحوارية لعلاقات السيرة الذاتية بالرواية"، في: ندوة القرين الثقافي الحادي عشر، الكويت، ١١-١٣ ديسمبر ٢٠٠٤، ٢: ٩٦.

رواية أحياناً، كما يعترف بذلك كثير من السّاردِين^(١).

ونتيجة هذه التداخلات والتفاعلات بين الرواية والسّيرة الذاتية، ولد جنس أدبي هجين أطلقوا عليه الرواية السّيرية وهي: "عمل سردي روائي، يستند في مدونته الروائية على السّيرة الذاتية للروائي، حيث تعتمد الحادثة الروائية في سياقها الحكائي اعتماداً شبه كلّّي على واقعة سير ذاتية واقعية، تكتسب صفاتها الروائية أجناساً بدخولها في فضاء المتخيل السّردِي، على النحو الذي يدفع كاتبها إلى وضع كلمة رواية على غلاف الكتاب؛ في إشارة أجناسية ملزمة للقارئ، وموجهة لسياسته القرائية النوعية"^(٢).

فالرواية السّيرية إذاً هي "النصوص التخيلية التي يجد قارئها أسباباً تدفعه انطلاقةً من عناصر تشابه، يعتقد اكتشافها إلى الارتياح في وجود تطابق بين الشخصية والمؤلّف، في حين فضّل المؤلّف نفي هذا التطابق أو امتنع على الأقل من تأكيده"^(٣). والرواية السّير ذاتية ليست سيرة ذاتية؛ "إذ لا يتوافر فيها التطابق بين الراوي والشّخصية والمؤلّف تطابقاً تاماً صريحاً كما هو الحال في السّيرة الذاتية، بل هي رواية تدفع قارئها إلى أن يلتقي النص تلقياً مزدوجاً يلتبس فيه التخيلي والروائي بالمرجعي الواقعي"^(٤). ولعل حضور التخيل في الرواية السّير ذاتية يجعلها أكثر صدقاً وليس العكس؛ فهو إذ يضم الميثاق يصبح أكثر جرأة في كشف الذات، كما أن شفافية

(١) حسين المناصرة، "وهج السرد - مقاربات في الخطاب السردِي السعودي". (ط١، الأردن:

عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ٩٥.

(٢) محمد صابر عبيد، "التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة". (د. ط، دمشق: دار نينوى

للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)، ١٤٠.

(٣) محمد القاضي، "معجم السرديات". (د. ط، بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٠م)، ٢١٨.

(٤) المرجع السابق، ٢١٩.

الازدواج بين الراوي والكاتب تترك حيزًا للذات؛ كي تقف أمام ذاتها وتجاوز عريها معرفيًا^(١). ويقوم بدور تحويل السرد من سرد تتراكم فيه الحوادث كما دارت إلى إبداع روائي، تلعب فيه عمليات الانتقاء والتوليف والتخييل، والتجاوز في الأزمنة، وأحداث متباعدة أدوارًا تفوق أدوارها في السيرة الذاتية التقليدية^(٢)، فالتجربة الذاتية يمكن أن تُشخص بالتخييل^(٣)، والتخييل في الرواية السيرة ذاتية يضيف عليها الغموض، وانعدام الحدود بين التخيلي الروائي والمرجعي الواقعي والتخفي والتجلي، الأمر الذي يقلق القارئ، الذي يحدد هوية النص. وبناء على ذلك عُدت كثير من الأعمال الروائية العربية بوجه عام والسعودية بوجه خاص ضمن كتابة السيرة الذاتية؛ لما تضمّنته من مشاهدات من حياتهم اليومية، وحكوا خلالها مواقف تخصّهم أو تخصّ أناسًا قريبين يحملون الطابع السيري^(٤)؛ فلحظوا الطابع السيري في الروايات المحلية عند أحمد السباعي، وحمزة بوقري، وغازي القصيبي، وكذلك رجاء عالم، وعبد العزيز مشري، وعبد خال^(٥). كما يؤكد حسين المناصرة - كذلك - شيوخ الكتابة السيرية عند

(١) معنى العيد، "فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب". (ط١، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٨م)، ٧٣.

(٢) ينظر: جودي، "السيرة الذاتية الروائية"، ٨٤.

(٣) ينظر: عبد الله إبراهيم، "موسوعة السرد العربي". (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م)، ٢: ٤١١.

(٤) على سبيل المثال: ينظر ما كتبه عبد الله الحيدري، مثل:

- "السيرة الذاتية في الأدب السعودي". (ط٢، دار طويق للنشر والتوزيع، د. ت).

- "السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية ببلوغرافيا". (سلسلة ببلوغرافيا الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ٢٠١٧م).

(٥) ينظر: منصور الحازمي، "موسوعة الأدب العربي السعودي «الرواية»". (د. ط، الرياض:

الكتاب السعديين، فهو الفن الأكثر شيوعاً عندهم؛ لكونها كتابة جديدة تمزج بين السيري والروائي^(١).

وفي المقابل لم يتقبل بعض النقاد ما ذهب إليه الدارسون من إسقاط مفهوم السيرة الذاتية على تلك الروايات، ودعا إلى التخفيف من سطوة النقد السيري ذاتي الذي يسطح النصّ، ويدور حوله دون أن يلج فيه، ويدعو إلى التوجّه مباشرة إلى النص الروائي والبحث في بنائها، ويدرس التقنيات السردية الموظفة فيها، وبهذا يصبح النقد معيناً للقراء في تلقي هذه النصوص تلقياً مثمراً، تحقّق لهم المتعة والفائدة، وموجّهاً للكتاب وأخذاً بأيديهم إلى ارتقاء مدارج الإبداع^(٢).

وفي بحثنا هذا نطلق من أن التداخل بين الأجناس فتح الباب واسعاً لدراسة تجليات السيرة الذاتية في رواية (مفارق العثمة)؛ "استناداً إلى أن الألوان الإبداعية تميل غالباً إلى الدخول في علاقة تماثلية فيما بينها، أو توارثية أحياناً، تفسّر بعضها، أو تستكمل وظيفتها التعبيرية"^(٣)؛ لتغدو رواية السيرة الذاتية الروائية "ممارسة إبداعية مهجنة من فنين سرديين معروفين: السيرة الذاتية والرواية"^(٤).

=

مفردات للنشر والتوزيع والدراسات، (٢٠٠١م)، ٢٤، ٢٥.

(١) ينظر: حسين المناصرة، "السيرة الروائية". جريدة الجزيرة، ٢٦ أبريل ١٩٩٨م. "استرجعت بتاريخ: ٢٠٢٤/٨/٩م" من موقع:

https://www.al-jazirah.com/1998/19980426/p205.htm#google_vignette

(٢) ينظر: صالح بن معيض الغامدي، "سيرة ذاتية الرواية العربية السعودية، علامات في النقد الأدبي". (د. ط، جدة: النادي الأدبي الثقافي، د. ت)، ٥١: ٥٨.

(٣) عبد الله الحيدري، "رواية السيرة الذاتية، علامات في النقد الأدبي". (د. ط، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣م)، ٤٩: ٥٨٠.

(٤) عبد الله إبراهيم، "السيرة الروائية - إشكالية النوع والتهجين السري". مجلة نزوى ١٤،

=

ب- مَفَارِقِ الْعَتَمَةِ:

يلخص محمد المزيني في رواية (مَفَارِقِ الْعَتَمَةِ) التي نشرها لأول مرة عام ٢٠٠٤م أولى تشكُّلات الجماعات الصحوية، متمثلة في جماعات المساجد الصغيرة، ومخيمات الصيف المدرسية، وهي مرحلة تمثِّل انتقال جيل من شباب الدعاة من مرحلة تكريس التربية العلمية في حلقات الدرس إلى التربية الفكرية الأخلاقية الشاملة، وتوسيع مفهوم الدعوة، وإعادته لما كان عليه في العهد النبوي، حين كان الدِّين عبادة وحياة، وترصد الرواية تحوُّل تلك الجماعات بتحفيز عاطفي إلى الخط الحركي، وهو في ذلك يروي مشاهد وذكريات تخصُّ مرحلة من عمر الراوي: طفلاً وطالبًا في المدرسة ومراهقًا؛ إذ استقطبته جماعة الإخوان المسلمين، ثم انضم بعد ذلك إلى جماعة الأمر بالمعروف حتى انفصل عنها.

ويكتب الراوي بصراحة وجراحة عن هذه المرحلة المبكرة في حياته بكل ما فيها من اندفاع وصعلكة ونزق الشباب بلغة الاعتراف حينًا وبلغة الإخبار عن وقائع بعينها حينًا آخر، وهي مرحلة تمثِّل جزءًا من حياة السارد، كما تمثِّل جزءًا من حياة المجتمع السعودي في أحد أحيائه بمدينة الرياض في أثناء حركة التحوُّل الاقتصادي والاجتماعي التي شهدتها المملكة.

ولكن الرواية تفتقد عناصر الحكاية والصراع، وعدم تمام حدث بعينه يجذب إليه خيوط كل عناصر القص، من شخوص وزمان ومكان، وإنما هي مشاهد ومواقف تتصل به أو بغيره، ربما الرابط الوحيد الذي يجمع بينها جميعًا هو السارد الذي يتطابق مع المؤلِّف؛ ليستحيل العمل إلى سيرة أكثر منه رواية؛ إذ إن الوقائع والأحداث التي

=

(١٩٩٨م): ١٧.

حدثت بالرواية تحکي وقائع حقیقیة، عاشها المؤلّف فی هذه المرحلة من طفولته وشبابه، وهناك دلیلان علی ذلك یُعَدّان بمثابة قرینتین: إحداهما متصلة بالأجناس المتداخلة بفن السّیرة، والثانیة هی قرینة زمنية، وهما معًا یعملان علی وضع الرواية فی خانة السّیرة الذاتیة ونقلها عن خانة الرواية المتخیلة، وهذا ما اقترح لهذا النوع الذی یتّم إنتاجه طبقًا لشروط مختلفة عن کل من (الرواية) و(السّیرة) مصطلح (السّیرة الروائیة)^(١).

(١) ینظر: إبراهیم، "السّیرة الروائیة: إشکالیة النوع والتهجین السردی"، ١٧.

المبحث الثاني: تجليات عناصر السيرة الذاتية ودوال مرجعيتها السيرية في رواية (مفارق العتمة)

أ- الميثاق والعقد:

لم يدون المزيبي على صفحات روايته ما يشير إلى أنها سيرة ذاتية صريحة، بل كتب بالخط العريض: (مفارق العتمة) رواية، ولكن هذا لا يعني انتفاء الدلالة على أن الرواية سيرة ذاتية؛ استناداً إلى أن الميثاق يمكن أن يكون التمهيد أو المقدمة، "فالميثاق ميثاق العنوان أو ميثاق التمهيد، حيث يلاحظ القارئ تطابق المؤلف السارد والشخصية، مع أنه لم يكن موضوع أي إعلان رسمي"^(١)، ففي مفارق العتمة مقدمة تقوم مقام الميثاق، يتحدث الكاتب فيها عما سيقدمه في الرواية من حكايات تمتزج بالأمكنة، وتحكي تاريخاً لفترة معينة، لينهي القول بالانتماء الذاتي للمكان، يقول بداية: "صفحات تنضح برائحة أحلامنا في نزق إلى مستقبل نجهله، يشدنا الماضي، حيث كانت ولا تزال خطواتنا تدبُّ بين جنباته، نخلق كالفراشات، نزف حكايات صغيرة مختزلة، تملأ فراغات عقولنا، وتهوي بنا بين عقارب الساعات غير المحسوبة، تعصرنا، تشكّلنا، تقذف بنا في رحم عالم نراه يكبر كالمنطاد، يحجب الكون، فنشمر عن سواعدنا بشغب، وحيث الرياح المعتسفة تذر حبات الرمال .. تحملها من صحراء النفود والربع الخالي، مروراً بالصمان، حيث تختلج المشاعر الصامتة فتنبض بالحلم.. تصدح فناجين القهوة بأنفة وكبرياء مصطدمة بأنف الدلة الأشم المسكونة بعنفوان الكرم.. هناك ترقد المدينة المكدودة، تحفُّها الرمال من جهاتها الأربع، تتكور على نفسها بخطوط وتقاسيم أزقة متشابكة، تراها من بعيد، تنبت من الرمال في اصطبار وتبُّل، تنحو على خريز المياه، تنتزعه مكينات الري الحديثة، فلا يخبو صوتها،

(١) لوجون، "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي"، ٤٤.

إلا حينما تلفظ الشمس آخر أنفاسها على صفحة الأرض الموشّاة بلون الذهب وحمرة النار، فلا يبقى منها سوى ظلال معتمة، تبعث على القشعريرة.. تلك كانت مدينتي (الرياض) وفي جزء منها حيث أقطن"^(١).

فالمكان جاء ليخصص الرواية على أنها حكاية لتاريخ شخصي في أمكنة معينة، كما أنه يحدّد أنه الراوي الذي يستعيد الماضي، ونضيف إلى ذلك دلالة العنوان (مَفَارِقِ العُتْمَةِ)، الذي شكّل جملة غير مكتملة، مقطوعة عن متعلقاتها، ولذلك يمكن النظر إليه في علاقته الوثيقة بالنص، وكأن الكاتب أراد أن يقول: أنا على مَفَارِقِ العُتْمَةِ، والمَفَارِقِ دلالة على الطرد والخروج من العتمة اختياريًا، بما يوحي بنوع من الصراع؛ من أجل تحديد المسار، وبناء عليه فالعنوان لا يدلّ على شعور الارتياح بل يدل على القلق. وبهذا نستطيع القول وفق هذه المعطيات -بشكل مبدئي-: إن الرواية سيرة روائية، تحمل في طيّاتها تاريخًا لحياة كاتبها، ولعل في المقدمة أو الاستهلال المنفصل عن جسد الرواية إيجاء بقصدية الكاتب، الذي أظهر رغبته في البوح بتجربته الحياتية لحظة اكتشاف ذاته، والقصدية تبطن رغبته في التعبير لمفارقة العتمة، ويتركها شهادة يمكن الرجوع إليها، ولكنها جاءت في قالب روائي.

ب- التذكّر بوصفه مصدرًا حكائيًا ودالًا لغويًا:

بما أن السّيرة الذاتية "تأوي إلى مرجعية الواقعي/ التاريخي، ومن ثم تقوم على آلية التذكّر"^(٢)؛ فإن هذا يعني أن فعل الاسترجاع والاستعادة بوساطة الذاكرة يتّمان في الحاضر، ذهابًا إلى الماضي بطريقة الانتقاء أو الاختيار التي تسميها معنى العيد (الاستنساب)، وعجز الكتابة عن استعادة كل أبعاد المحكي، بل انتقاء واجتزاء،

(١) المزيني، "مَفَارِقِ العُتْمَةِ"، ٦، ٧.

(٢) أحمد بن علي آل مريع، "السّيرة الذاتية مقارنة الحدود والمفهوم". (ط٣، الرياض: صامد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠م)، ١٠٠.

وأحياناً تقديم وتأخير الوقائع كما يقتضيه السياق^(١). وبما يعني أن عملية التذكّر في مجال كتابة السيرة الذاتية هي عملية انتقائية، تركّز على أحداث بعينها، وتُكتب بوعي حاصر الكتابة؛ لبعد الزمن بين الحدث وكتابه؛ وذلك لأن الكاتب لا يستطيع "التخلّص من الحاضر الذي يكتب فيه؛ ليلتحم بالماضي الذي يرويّه"^(٢). ولذلك مهما توجّى الكاتب الصدق، فإنه لن يلتزم به بشكل تام، وتبقى مسألة مطابقة الواقع نسبية، وهنا يكمن دور التخيل الذاتي.

وقد انتقى المزيبي حوادث تخدم موضوعه الأساس، وهو التحوّل الرئيس في حياته، وبذا عُدّت الذاكرة مرجعاً كبيراً للكاتب، ينهل منها حكاياته طفلاً وشاباً ولكن بانتقائية، فالإنسان إذا أراد "أن ينقل إلينا تجارب حياته الماضية فلا سبيل أمامه، إلا أن يضع قيوداً لهذه التجارب، ويرسم لها إطاراً، ويعيد بناءها عن طريق التذكّر الرمزي، وفي هذه الحالة تصبح الاستعانة بالخيال أمراً ضرورياً للاستعادة الصحيحة"^(٣). لقد كانت الذكريات القديمة تتداعى، وتلجّ على الكاتب، فلا يجد بداً من سردها، وهذا ما يبدو للقارئ عند قراءة الرواية، فالذاكرة هي وعاء أحداثها الحقيقية التي مرّ عليها زمن، حتى باتت مجرد ذكريات، حاول الراوي استدعاءها من الماضي لحظة القص، فهي بوح ذاتي للسارد. ولقد أدرك بعض الباحثين في جنس السيرة الذاتية وجود تداخل يصل إلى حدّ التطابق بين السيرة والذكريات؛ إذ يرى أن

(١) ينظر: مكي العيد، "السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة: دراسة ثلاثية حنا مينة". مجلة

فصول ٤، (١٩٩٧م): ١٢.

(٢) جورج ماي، "السيرة الذاتية". ترجمة: محمد القاضي وعبد الله صولة، (د. ط، تونس: د. ن،

١٩٩٣م)، ٩٤.

(٣) عبد الدايم، "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، ٦.

السّيرة الذاتية والذكريات عادة ما يُستعملان بوصفهما مصطلحين مترادفين، لكن يمكن التفريق بينهما، من خلال ملاحظة مدى اهتمامهما بالشّخصية والأحداث الخارجية، فمن عادة الذكريات أن تبرز شخصيات وأحداث، تقع خارج نطاق شخصية الكاتب وتجاربه الذاتية^(١)، ويفرّق أحدهم بين الذكريات والسّيرة؛ فإذا كانت الأولى يهتم فيها السارد بالحكي الخارج عن نطاق ذاته؛ فإن السّيرة الذاتية سرد متصل اتصالاً زمنياً حديثاً بملاحظات كاتبها مع الاعتناء بتفسيره الذاتي لها^(٢).

وقارئ (مَفَارِقِ العُثْمَة) يلحظ في كل فصولها تقريباً خضوع الحكي لمركزية ذاكرة السارد، الذي تحتفي فيها المسافة بينه وبين المؤلّف، فعلى سبيل المثال: الفصل المعنون بـ (البحث عن المستحيل) يتتبّع الكاتب من خلال ذاكرته تجاربه طفلاً وشاباً من حال الصعلكة الطفولية والمدرسة ثم الانضمام لجماعة الإخوان، ثم تجربته بعد ذلك في الانضمام إلى جماعة الأمر بالمعروف، ذاكراً أسماء أصدقائه والقائمين على أمر الإخوان أو الهيئة، وهي أسماء إن لم تشر إلى أناس بعينهم، فإنها تحيل على شخوص واقعية تصرف في أسمائها، مع ملاحظة أن ذلك السرد السّيري أو ما يمكن أن نسمّيه شهادة على العصر، هو انتقاد لاذع وساخر لهذه التجارب والقائمين عليها، كما يلحظ تكراراً لفظياً (الذاكرة والذكريات) مصرّحاً بهما بين ثنايا الحكي، وقد عد لوجون صنيع المؤلّف هذا بمثابة الإشارة المرجعية التي تؤكّد سيرية العمل؛ إذ ينبغي "توكيد سير ذاتية الرواية؛ للحصول على إشارات أو إلماحات أو اعترافات، يدلي بها الكاتب في أية مناسبة كانت، تشير أو تلمح أو تعترف بمرجعية السّير ذاتية لعمله الروائي؛ حتى

(١) ينظر: الحيدري، "السّيرة الذاتية في الأدب السعودي"، ٧٣.

(2) Terms by Joseph Shipley, George Allen, "Dictionary of world Literary". (London, 1970), 23.

يكون الميثاق بين القارئ والكاتب ماثلاً وعاملاً في هذا المجال^(١)، فالسارد بقصد أو بلا قصد يكشف عن مرجعية حكيه؛ إذ عندما يحكي عن المدرسة بوصفها سلطة خلت من كل دور تربوي في علاقتها بالتلاميذ، فذلك ما جعلهم يتخذون منها ومن بعض المدرسين موقفاً عدائياً^(٢)، يقول: "تداعى إلى ذاكرتي مشهد آخر ضحيته أخي الأكبر، وهو عائد من المدرسة يجثو قدماً، ويعرج بأخرى من آلام مبرحة تنوء بها كلتا قدميه؛ نتيجة عقاب شديد وعصا ملهوفة تؤز بين قدميه.. تلك اللحظة موجعة إلى حد القهر.. استطار فيها عقل أُمي وقلبها.. صارت تحفك كحمامة مصوبة، وبصوت محشرج مبحوح، سكنته غصة صاحت:

- ما بك يا ولدي؟

- علقني الأستاذ بالفلكة..

- لماذا يا ولدي؟

تبعثرت ذراتها بين قدميه، تلملم آلامه كحبات عقد منشور، تعضد له، وتحمل آهة الألم عنه، وترعف باكية...^(٣).

يحكي السارد في النص السابق ما حصل لأخيه، وفي النص التالي يكرّس للقارئ العلاقة المضطربة ذاتها بينه وبين بعض مدرسيه، التي تكشف في جملتها عن

(١) محمد صابر عبيد، "تمظهرات التشكيل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية".

(د. ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م)، ١٤٠.

(٢) ينظر: عن عدائية المكان في الرواية: كوثر محمد أحمد القاضي، "المكان العدائي وهروب الشخصية، دراسة نصية لرواية القانوط لعبد الحفيظ الشمري". مجلة الآداب، جامعة الملك

سعود، ٢٦(٢) (٢٠١٤م): ٦٦، ٦٧.

(٣) المزيني، "مفارق العثمة"، ١٦، ١٧.

ممارسة بعضهم سلطة القهر والتحرّش ببعض طلاب المدرسة، ولم يُردّ أن يسهب في تفاصيل بعض هذه الممارسات؛ حتى لا يقع في صدام مباشر مع سلطة المجتمع، التي تحرص على الإدارة، وعدم كشف ما يחדش قيم المحافظة؛ لذلك يلحظ عدول السّارد في نهاية النّصّ؛ لاقتضاب القول وقطعه عن الاسترسال الحر، مشيرًا وكأنه يؤجّل الحديث إلى مقام آخر، مؤكّدًا أنها قصة أخرى يطول شرحها، يقول: "آتي مبكرًا.. أقوم بواجباتي بعناية وحرص، أنصت للمعلم جيدًا، ولكيلا أبدو أمامه شارد الذهن فاغر الفم، أحاول أن أصانعه بشيء من الاهتمام، أشاطره الإحساس بأهميته بالإيحاء تارة وبالإيحاء تارات أخرى، وفي داخلي صوت يلعنه، وأطارده دائمًا؛ كي لا تبعث به أنفاسي المتهالكة، ولكي أبدد علامات احتقاري له، أمدّ يدي طلبًا للسؤال معرضًا عن محاولات الصفوف الخلفية للإيقاع بي في شرك مشاغباتهم التي كانت تستهويني، أجد فيها شفاء غليلي؛ انتقامًا من الأستاذ البهلوان الذي يعيد إلى ذاكرتي صورة النقش.. أرقب ما يحدث بحذر من ممارسات الصغار الكبار، تلك الثعالب الصغيرة النامية باستمرار، تتحرّك من الأبواب الخلفية وبعيدًا عن عين الرقيب تحت وطأة الأجواء المحمومة بلوعة البلوغ، ونفير الشهوة؛ للإيقاع بالصغار في رحلة مطاردة لا تنتهي.. هذه وحدها قصة أخرى وموال يصمّ الآذان"^(١).

سلطة أخرى ينتقدها السّارد في مجتمعه المحافظ المتدين، وهي: سلطة التقاليد، وهيمنة الخرافة؛ إذ كانت الخرافة تنتشر بين كبار السن والنساء منهم على وجه الخصوص، حيث آمن بعضهن بأن الجن يسكن أرواح القطط، فكل قط جنيّ، لتستمر هذه العقيدة الخرافية في ذاكرة السّارد الذي يقول: "ظلّت تلك الحكايات نقشًا محفورًا في ذاكرتي حتى صرت أرى القطط أبناء الإنس، ولربما سمعت أحاديثهن

(١) المصدر السابق، ٢٣.

في ظلمات الليالي الحالكة... ارتبطت القطط والكلاب بعالم الجان، فلا ينسلون من الأرض متلبّسين إلا تحت عباءة الليل الحالك... وترتسم تلك الحكايات في أذهاننا وخيالنا الصغيرة، ويكبر الخوف فينا من الليل وسكونه العائم بمواء القطط ونباح الكلاب...^(١).

وتمارس الذاكرة دورها المرجعي الذي تمد به السارد/ المؤلف، فهي في أثناء حكيه حول تجربته الشخصية مع جماعة الإخوان الذين انتشروا منذ ستينيات القرن العشرين وسبعينياته بالمملكة، منتقداً هذه التجربة، كاشفاً عن مساوئها، منتقداً سبلهم في استقطاب شباب المدارس، فيبوح بذلك في فصل (نقطة تحول)، حينما بدأوا معه الاستقطاب باصطحابه إلى رحلة العمرة يقول: "أذكر أول عمرة قمنا بها كانت رحلة استثنائية مشحونة بالتوتر والانتظار منذ الساعة الأولى لانطلاقتنا محشورين في سيارة (وانيت)"^(٢).

لقد أضحت (الذاكرة) علامة لغوية وقرينة لفظية، تؤكد دورها المرجعي في السرد السّير ذاتي بالرواية، صرح السارد بها بوعي منه أو بلا وعي، لكن المؤكد أنه قصد ذلك؛ إذ كان واعياً حينما صرّح بمصدره إلى حدّ أن (الذاكرة) احتلت عناوين من فصول روايته مثل الفصل الرابع المعنون بـ: (وجوه لا تغيب عن الذاكرة)، والفصل السابع عشر المعنون بـ: (وعي الذاكرة).

إن الذكريات عند بعض الباحثين هي التي تكتب على صورة استرجاع وتذكّر، يُعنى فيها صاحبها بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته؛ لذلك فالذكريات أقل أنواع السيرة الذاتية حظاً من حيث تمثيلها لكاتبها.. ومن ثم

(١) المزيني، "مفارق العتمة"، ٧٦.

(٢) المصدر السابق، ١٠٠.

فإن قیمتها الأدبیة أدنی من تلك التي تحظى بها المذكرات^(١)، وهذا ما تبدو علیه نصوص المزینی التي تتحكّم فیها الذکرة بسرد متصل عن قصص ومشاهدات.

ج- التلفاز دالاً زمنياً:

مما یؤكد بُعد الروایة عن الجانب الخیالی واقترابها نحو الواقعی لتكون سیرة أكثر منها رواية وجود بعض الإشارات التي تعدّ بمثابة القرائن على واقعیة الحدث وحقیقته، فمما تذکّره السّارد وأراد حکیه قصة امتلاك أسرته لجهاز التلفاز لأول مرة؛ إذ رفض السّارد أن یسكن هذا الشیطان فی بیّتهم، وقد كرّس لهذه القصة فصلاً بعنوان: (السّاحر الصغیر)، فبینما وافق أبوه وإخوته على وجود هذا السّاحر بینهم، كان للسّارد وجدّته موقفهما المعارض الشدید، وكان وقتها مراهقاً حدیث الانضمام لجماعة الإخوان المسلمین، وإذا كان القارئ یعلم أن محمد المزینی مؤلّف الروایة من موالید الستینیات، وكذلك یعلم أن التلفاز قد دخل المملكة العربیة السّعودیة فی هذه الفترة، تأکّد له واقعیة الحکایة المسرودة، وأنها تمثّل جزءاً من سیرة الكاتب الحیاتیة.

لعل ما سبق یضع القارئ أمام نص، راوغ فیهِ مؤلّفه حینما حدّد على غلاف عمله أنه رواية، وقد اتضح سابقاً أن مَفَارِقِ العُتْمَة تنتسب لجنس السّیرة والذکریات المتفرقة التي لم تتماسك فیها حکایة رئیسة، تنمو فیها الأحداث بشكل مطّرد فی صراع یلحظه القارئ بین قوتین متضادّتين. فالسیرة كما یراها عبد الله الحقیل نوع من أنواع الأدب، تتميز "بأن كاتبها یكشف عن خبايا نفسه، ویعرض حیاته وتربیته وأسالیب تعامله، وما اعترى حیاته من تجارب وخبرات وذکریات وممارسات، وما واجهه من متاعب، وما صادفه من مواقف طریفة ومثیرة، وكذا توضیح الظروف

(١) ینظر: عبد الدایم، "الترجمة الذاتیة فی الأدب العربی الحدیث"، ٣-١٦.

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي لازمت مسيرة عمله"^(١).
لقد حاولت الدراسة في هذا المبحث مقارنة نص المزيبي مقارنة عامة؛ إذ جاءت هذه المقارنة بمثابة العتبة النقدية الأولى، وخروجًا من التجريد إلى التحديد الذي تكشفه العناصر السردية التي يشترك فيها الجنسان: الرواية المتخيلة، والسيرة الذاتية عن النوع الأجناسي الذي يحكم نصّ (مُفَارِقِ العَتَمَةِ).

(١) عبد الله الحقيّل، "على مائدة الأدب". (ط٢، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٩٢م)، ١٦٣، ١٦٤.

المبحث الثالث: عناصر السرد في مفارِق العُتمة

أ) الشخصية:

تعدُّ الشخصية في السرد ركناً رئيساً؛ لأنها تحمل الأحداث وتدفعها إلى الأمام، وقد ارتبطت الشخصية في العمل السردی بطرق مختلفة للحكي؛ فقد تقوم رواية على حكي البطل بضمير المتكلم (أنا)، فيكون سارداً مشاركاً لغيره من الشخصيات داخل العمل الروائي أو معبراً عن وجهة نظره، وقد يحكي بضمير الغائب بوصفه سارداً عليمًا. أما السيرة الذاتية فإن السارد لا يحكي إلا بضمير المتكلم؛ بوصفه مميزاً جنس السيرة عن غيره من بقية الأجناس، وتبدو الإشكالية حينما يتعرض الناقد لسارد يحكي بضمير المتكلم، وهنا يكون السؤال: هل ما يقرؤه رواية ساردها مشارك أم سيرة ذاتية؟ وهذا ما تسعى الدراسة للإجابة عنه؛ إذ يتداخل السرد مع السيرة الذاتية.

يحكي السارد في رواية (مفارِق العُتمة) أحداثاً تخصّه وتخصّ غيره بضمير المتكلم الذي يخضع في حكيه إلى قانون تداعي الحكايات عن طريق الذاكرة، فالقارئ لهذه الرواية يلحظ التشابه والتطابق بين المؤلف والشخصية الساردة، في حين اختار المؤلف أن ينكر هذا التطابق، أو اختار أن لا يؤكّده، وحسب هذا التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية هو ما يفترضه هذا البحث في هذا السياق. وهنا فإن محمد المزیني مؤلفاً هو ذاته السارد والشخصية التي تحكي بضمير الأنا مشاهداته، إنه يحكي عن إخوته وأسرته وعلاقته بالمسجد وبقساوة بعض المدرسين الذين جعلوه وأصدقاءه يكرهون المدرسة. وهذا بعينه ما تهتم به السيرة الذاتية؛ لكونها ترجمة الكاتب عن نفسه فيتعرض لسيرته، ابتداءً من مولده وما عرض له من أحداث في الحياة، وهو يمرّ على أسرته، فيتحدّث عمّا كان له في صباه مع والديه، وسائر أفراد أسرته، ثم ينظر إلى علاقاته بالناس أصدقاء وأعداء، وصاحب السيرة الذاتية يبوح بأسراره وما يكنّه في دواخل نفسه، وقد يكون في هذا ضرب من الاعتراف، وما أحسن فيه وما اقترفه من

عيوب^(١)، يقول المزيبي: "علّمتنا المدرسة كيف نكره ثم كيف ننتقم، لم نكن نعرف قط قلوباً تعرف الرحمة أو المغفرة، يطول الانتظار إلى أن تحل قرقعات الجرس منقذة أنفاسنا الطافرة، تسابقنا إلى حيث وهج الشمس ودفئها، ترمي لنا أشعتها كطوق نجاة، فنهوي بأقدامنا الصغيرة فوق الكراسي قفزاً وركلاً لكل شيء يقابلنا، لا نلوى على شيء.. نهرب مخلفين وراءنا خطائاً، لا يعبر عن حاله بأكثر من مقاعد وأوراق مبعثرة، تعلوها أكوام نفايات وبقايا أكل ومعلّبات.. ساعات أخرى مشحونة بالمتعة والعذاب.. نصافح وجه الحالة منيرة، تلقف ما تطاله أيدينا من بسطتها الحافلة بالمأكولات والمشروبات في نرق وتدافع وتعبئة؛ لمشاهدة ننتظرها بفارغ صبر، نقف ملتفين لاقتناص فرصة المشاهدة الكاملة لمعركة ساخنة محمومة بالانتقام، خلّفناها ساعات المدرسة النابضة بالكراهية، ولا نرحل حتى تكتحل أعيننا الصغيرة بمشاهدة كاملة مدعومة بالهتاف والتصفيق، فلا تنتهي إلا بعلقة يأكلها أحد الطرفين، تظل وصمة عار معلقة في جبينه، لا تزول حتى يتقمّص دور المنتقم في تصفية لاحقة..."^(٢)، وتعود هذه الكراهية لما لمسه من أولئك المدرسين الذين طبعوا في ذاكرته ذكريات مؤلمة عن الصورة الذهنية للمعلم داخل المدرسة مثل (النقش)، وهو اللقب الذي ألصقوه بأحدهم؛ إذ يقول عنه بذات الضمير: "النقش لا يجذ أدنى صوت يصدر منا، وكان يردد عبارته المشهورة بلا نفس.. كانت وجوهنا الشاحبة بأعين شاخصة، تلعنه أي نفس أيها القميء، اخرس أيها الصوت المنقوش كوشم قديم، آه لو أبصق في وجهه؛ تعبيراً عن كرهه له، لولا ذلك الخوف من والدي الذي

(١) ينظر: إبراهيم السامرائي، "فن السيرة الذاتية عرفه العرب قبل غيرهم". مجلة الفيصل ١٤٢،

(١٩٨٨م): ٣٣.

(٢) "مفارق العُتمة"، ٢١ - ٢٢.

يكبّلني، وثقة إمام المسجد بي لما تردّدت لحظة واحدة. وفي ريعان هذا الكره المستفز بين جموع المتحلّقين نصف دائرة، حيث ترقمي الأعين على الأعين، والأنفاس تشدّها الأنفاس يصرخ (النقش): أسمعوني صوتكم، اقرؤوا، فنستطير هلعًا، تعلو أصواتنا كطنين النحل، ليسجل بذلك هدفًا يترقبه؛ لترسم بين شفّتيه الغليظتين ابتسامة خبيثة مشحونة بالتشقيي^(١).

ويكبر السارد المؤلّف قليلاً لتستقطبه جماعة الإخوان، الذين يشعلون حماسه ضد من يقتلون المسلمين في بلدان العالم، ثم يفتضح أمر بعضهم من سلوكيات شاذة، وعندما ينتقل إلى جماعة الأمر بالمعروف، وينتسب إلى الهيئة، ينتقد فيهم حبّهم للسلطة والقيادة، فتتزاخم الأسئلة في نفسه، وتغيب عنه حقائق الأمور، هذه الأسئلة وغياب الحقيقة يلحظها القارئ؛ بوصفها مبررًا لسرده بعض هذه المشاهد التي لا شك أنّها خلقت أزمة للكاتب في فترة شبابه، بل أزمة الشّخصية الساردة التي تمثّله، وهنا تكمن أهمية دراسة الشّخصية في مثل هذه النصوص السردية، وجود الشّخصية في الرواية السّير ذاتية لا يمكن الاستغناء عنها، فهي "عنصر مهم في البناء الفني وعماد النصّ السّير ذاتي، وضرورة يقتضي تحليلها والتركيز عليها في إثبات تحقق التطابق؛ فقد أولاها الناقد أهمية كبيرة تفصح عن وعيه لقراءة صورها المتنوعة والمتطورة واختلاف رؤاها وأفكارها"^(٢).

وفي الفصل الأخير يتذكّر تجربته مع جماعة الأمر بالمعروف، واصفًا إحساس الشباب المنضوين تحتها، من خلال آلية عملهم مع الجماعة، يقول بعد سرده قصة زميله خالد عضو الجماعة الذي فاجأه بالانفصال عنهم والانزواء وحده بالبيت:

(١) المصدر السابق، ١٩.

(٢) الخزاعي، "السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب"، ١٨١.

"فعلى الرغم من أنني نجحت في مسح خالد من قائمة همومي، وانتزعت نفسي من برائن عمليات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن ذاكرتي المشبعة بالقيم والمبادئ لا تكف، تعيد أمامي صياغة القيم والمصطلحات وحتى العبارات، وقد اتضحت أمامي الآن بشكل مسيطر كهاجس (الأمة) التي لا تحُدّها حدود بشرية أو طبيعية أو عرقية. تعلّمنا كيف نكوي قلوبنا بهمّ الأمة الإسلامية... وكان ينتدب دائماً بعض الشباب وفق رؤية خاصة، ويكلفهم بمهام عادة ما ينجحون في تنفيذها، خصوصاً فيما يتعلّق بالتنسيق مع الجماعات الأخرى الآخذة في الانتشار والاتساع في مدينة الرياض..."^(١).

والسارد حينما يحكي عن نفسه وعن غيره إنما يطرح الأسئلة بطريقة غير مباشرة؛ لذلك يحكي المزيني عن انتماءاته المتعاقبة مع صبيان الحي حيناً أو زملاء المدرسة حيناً ثانية، أو مع جماعة الإخوان الإرهابية حيناً ثالثة، إنه يحرص أن يكون ذاتاً ملتحمة مع الآخر (الجماعة)؛ هرباً من الوحدة، فذلك يقلل من قلق الوحدة والغربة النفسية؛ إذ يجعلها أكثر قدرة على المواجهة.

إن محمد المزيني في نصّه (مؤلّف وسارد) يكشف من خلال سروده المتعددة عن المستوى الأفقي في الزمن الواحد، والمتعاقبة في الزمن على المستوى الرأسي طفلاً وشاباً، عن أزمة الإنسان العربي المثقف الذي يشعر بالاغتراب والقلق ممن حوله، وعجزه عن الانسجام مع ما يسود الواقع من بعض الأفكار والقيم والنظم، وفي ظل هذا الشعور طفا الصراع بين البطل والمجتمع فكرياً وسياسياً كما ظهر في تجربة الروائي المزيني. قد يتجلّى هذا الصراع على هيئة مواجهة ما بين الأفكار والقيم لدى جماعة معينة وبين الكاتب، حاول من خلاله الخروج منتصباً لأفكاره التي نحت به لاتخاذ منهج مخالف لما كان عليه.

(١) المزيني، "مفارق العُتْمَة"، ١٥٦-١٥٨.

وبما أن الاغتراب نوع من الصراع، فإنه يقوم بدور محوري في تقييم الأوضاع الاجتماعية للإنسان في الأدب والثقافة، تأثر فيه الكتاب العرب؛ إذ "بدأ هذا الموضوع في مختلف تنوّعاته ينتشر من خلال الفكر النقدي والتحليلي بشكل خاص في مختلف الثقافات البارزة، ولا يُستثنى من ذلك الثقافة العربية"^(١). وبعد الاغتراب من أبرز الاتجاهات الأدبية في الرواية العربية؛ بفعل أزمات مختلفة فكرية وأخلاقية وسياسية واجتماعية، أدّت إلى وقوع الحوادث التي دفعت المثقفين والأدباء العرب إلى التأثر بها، ويدوّنوا هذا التأثر والانفعال وهذا الواقع المجتمعي في أدهمهم، فالروايات العربية الحديثة رغم اختلاف المنطقة والمضمون تتأثر قليلاً أو كثيراً بمظاهر الغربة^(٢).

ويظهر الاغتراب جلياً لدى المثقفين الذين يسطرون سيرهم، فهم يتمتعون بقدر من الوعي، وعادةً ما تعود أسباب هذا الاغتراب إلى عدم التطابق بين الواقع المفروض والمثال المنشود، فتتجلّى إشكالية التكيف لديهم؛ لذا فكتابة السيرة على هذا النحو تسهم في انعتاق كاتبها من أوهامه وذاته، وكأنه يكتب طلباً للتطهّر من مشاهد ومواقف مغروسة في ذاكرته، تركت بعضاً من آثارها منقوشاً في ذاكرته.

إن التناقض الذي لاحظته المزيني بين ما هو كائن وما ينبغي عليه أن يكون قد عصف بذهنه، فاهتزت لديه القيم، وأضحى حائراً تتفجّر داخله الأسئلة، ولمزيد من الأمثلة التي تؤكّد ذلك: عندما اصطدم مع السلطة الدينية المتمثلة في خطيب الجمعة الذي نسج من خياله وقائع وأحداثاً لا تتطابق مع ما شاهده وعاشه في بيت

(١) حليم بركات، "الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع". (ط١)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، د.ت)، ٣٥.

(٢) صنع الله إبراهيم محمد أحمد الجعفري، "مظاهر الاغتراب في رواية "تلك الرائحة". مجلة أقلام الهند، ٣، (٢٠٢١م). "استرجعت بتاريخ ١٥/٧/١٤٤٦هـ" من موقع:

<https://www.aqlamalhind.com/?p=2205>

(المطلب)، وما حيك عن وجود الشياطين والجن بإحدى الخرابات هنالك، ليخرج المؤلف بعد خطبة الجمعة مصابًا بالخيبة والحيرة غير أنه مضطر إلى ابتلاع حيرته في صمت؛ إذ لا يقوى على مجابهة السلطة الدينية التي لا يمكن مراجعتها، يقول: "وفي يوم الجمعة تحولت خطبة الجمعة إلى مجالس أخرى للروايات المتضاربة عن بيت (مطلب) وغوايات الشيطان لبني البشر، حيث استقر النص الأخير لحكاية الخرابة على ما أعلن على المنابر؛ ليكون بمنزلة البيان الرسمي الأخير، ولأنني أحد شهود العيان للحدث فلم يخالني أي شك في اختلاق خطيب الجمعة لحكاية ليس من تفاصيلها ما رأيته بعيني، فهي أيضًا من نسج خيال الخطيب.. خرجت تلك الظهيرة القائظة بخيبة كبيرة؛ فقد كنت أنظر إلى خطبة الجمعة بقدسية وإلى الخطيب بعين الإجلال والاحترام، بيد أنني لم أجد مفرًا من لزوم ما لا يلزم، فقد أسكنتني كلماته المقدسة إلى أعماق حيرتي، رافضًا تزوير الحقائق، ولكن بصمت" (١).

إن هذا الموقف يؤكّد أن أحد أسباب اغتراب المثقف في مجتمعاتنا العربية كمحمد المزيني، يجعله في حالة من التمزّق والتشظّي بين السائد الذي يخضع له المجتمع بحكم سلطويته وبين الإيمان بالحقيقة.

لم يجد محمد المزيني بدءًا من مخاطبة مجتمعه في صمت عوضًا عن مخاطبة هذه السلطة، فيناجي نفسه موجّهًا خطابه إلى مدينته ومجتمعه اللذين سبّبا له تناقضات، وجعلاه يلحّ في أسئلته الصامتة، يقول: "صوتي يسبقني لاهثًا.. انظر إلى وجه مدينتك الكافرة بظلامها، المؤمنة الصالحة في نهارها، القائمة في عريها، المشرقة في حللها، هذه التي تسكنني بما هو أكثر من مسكنتها:

أليست جزءًا من وجهك المنضود؟! أنا لا أبحث عن وجه، يستتر خلف كتمان

(١) المزيني، "مفارق العُتْمَة"، ٤٦.

من الأسئلة وأسوار مشوكة من الحيرة"^(١).

والأمر ذاته ينطبق على ما سرده المزيبي عن غيره من أصدقائه الذين وقعوا أسرى لما وقع فيه من التناقض بين السائد المجتمعي وتسَلُّط الخطاب الديني الذي لا يمكن مراجعته، ومحمد المزيبي هنا يرى فيما حدث لبعض إخوته أو أصدقائه مرآة لنفسه.

وفي مشهد آخر يحكي المزيبي عن أحد أصدقائه، وهو (أسامة)، الذي تعرّض مثله لقمع السلطة الاجتماعية، ولم تكن خطيئته سوى ممارسة حقّه في طرح الأسئلة البريئة، ذلك حينما سأل عن وجود الله، لكنه يقع أسيراً للسلطة الأبوية القامعة لأية ممارسة ديمقراطية في طرح الأسئلة، يقول: "كان أسامة يتعطّش دائماً في محاولات دائبة؛ لإيقاظ التفاصيل الغافية بين جوانحه.. فقط إلى قبيل الخط الاستوائي الفاصل بين حياتين، يوم هوت يد أبيه الثقيلة على وجهه الصغير .. كان سؤاله صغيراً، سقط من لسانه سهواً (من خلق الله؟)، جرف معه بقايا الأسئلة وغسل عاره، لم يكذب يصدّق أن الأشياء، تختلط فجأة، وتفقد هويتها في غضون ثوانٍ محسوبة .. جرّب ذلك بنفسه، حيث استدار إلى جهات الأرض الأربع.. لتختلط تكوينات الوجود وألوانه، تسحق بين عينيه حتى السقوط في جب غسل فيه أدرانه!!!"^(٢).

وحينما انضم إلى جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حكى تجربة أحد أصدقائه في هذه الجماعة وهو (خالد)، الذي تخلف عن الجماعة وتوقع على ذاته حينما اهتزت نفسه بتجربة عاطفية زلزلت كيانه وأبعدته عن حوله، وعندما نجح السارد لاحقاً هو الآخر في التحرّر من قيد هذه الجماعة، أخذ يراجع كل شيء، فحكاياته عن غيره - كما ذكرنا - مرايا لنفسه يقول: "فعلى الرغم من أنني مسحت

(١) المزيبي، "مَفَارِقِ العُتْمَةِ"، ١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ١٥.

خالدًا من قائمة همومي، وانتزعت نفسي من برائن عمليات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن ذاكرتي المشبعة بالقيم والمبادئ لا تكف، تعيد أمامي الآن صياغة القيم والمصطلحات وحتى العبارات...^(١).

إن كُتَّاب السيرة بوجه عام، وإن كانت حياتهم الشخصية هي محور سردهم، غير أنهم يتجهون إلى ذكر غيرهم ممن تربطهم بهم صلات، وقد يوظفون "تقنية استحضار الشخوص بطريقة فنية متميزة؛ فقد لوحظ لديهم حنكة في تقنية السرد باستخدام ضمير الأنا وتحليلات البوح فيه ومن خلاله، وقدرة على تخليق الشخوص وتقمُّص شخصياتهم وتحريكهم في المناخات القصصية والروائية"^(٢).

إن السارد في رواية (مُفَارِقِ العُتْمَةِ) قد مارس حكيه بضمير المتكلم، كاشفًا عن جوانب اختزنتها الذاكرة في حياته التي كانت مفعمة بالحركة والتجارب المثيرة، فهي أقرب أن تكون سيرة ذاتية، تحتفي فيها المسافة بين المؤلف والسارد والشخصية الذين يتطابقون جميعًا في شخصية (محمد المزيني)؛ ليؤكد أن عنصر الشخصية في العمل السردى يُعدُّ واحدًا من أهم عناصر البناء السردى، الكاشفة عن هوية الجنس الأدبي الذي تنتسب إليه (مُفَارِقِ العُتْمَةِ).

وتبعًا للمنهج الذي اتبع في رواية (مُفَارِقِ العُتْمَةِ)، يلحظ القارئ اختصاص الحكي في مُفَارِقِ العُتْمَةِ بالعنصر الذكوري؛ إذ كانت كل الشخصيات التي تحدَّث عنها رجالًا. وهنا يبدو للقارئ مدى إسهام الشخصية في خطابها الحكائي عن نفسها أو عن غيرها في دعم رؤية الناقد بمدى انتماء النص السردى إلى جنس السيرة الذاتية،

(١) المصدر السابق، ١٥٦.

(٢) للمزيد بهذا الخصوص ينظر: والاس مارتين، "توظيف الشخوص وإدارة الحوار"، (د.ط، د.م،

د.ن، ١٩٩٨م)، ١٥٢.

وابتعاذه قليلاً أو كثيراً عن جنس الرواية المتخيلة.

ب) الزمان والمكان:

الزمان والمكان في الرواية متشابكان، لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ هما في السرد فضاءان، تتحرك فيهما الأحداث وتنمو، ولا يمكن تخيل حدث دون مكان يحيطه أو زمان يلفّه، فعند النظر إلى رواية (مفارق العثمة) يبدو أن هذين العنصرين يؤكّدان - كما أكّدت الشخصية من قبل - سيرية الرواية، فعلى مستوى الزمان يبرز للقارئ دور الذاكرة لحظة الكتابة في استحضار أحداث سردها الراوي، وهي أحداث ماضية مرّ بها طفلاً وشاباً، وهذا أحد عناصر ميثاق السيرة الذاتية، فالماضي من أحداث السيرة من أهم علامات جنسها الذي يؤكّد هوية النص، وهنا تحتل تقنية الاسترجاع الزمني الصدارة في طريقة الحكّي، فالكاتب يكتب في اللحظة الراهنة أحداثاً مسترجعة وقعت في الماضي، وبالنظر إلى نص المزيني يبرز بوضوح تكرار الفعل الماضي وفعل الكينونة على وجه الخصوص (كان)؛ إذ كرر لفظ (كان) مائتين وخمس وأربعين مرة، هذا غير تكرارها متصلة بضمائر أخرى، مثل: (كنا، كانت، كانوا).

ولعل فيما اقتبس سابقاً من نصوص في البحث لدليل على أن السارد يحكي بضمير المتكلم ما حدث له مع أبيه أو إخوته، كما يحكي عن تجربته القاسية بالمدرسة ومع المدرّسين، فضلاً عن تجربته مع جماعتي الإخوان والأمر بالمعروف، هذا إضافة إلى وجود دوال زمنية تم الإشارة إلى بعضها، قد حددت زمن وقوع هذه الأحداث التي دلّ معظمها على فترتي الستينيات والسبعينيات وجزءاً من الثمانينيات، وهي فترات زمنية متعاقبة، شهدت فيها المملكة العربية السعودية خاصة مدينة الرياض تحولاً اقتصادياً وحضارياً ملحوظاً، وهذا يبيّن خضوع نص المزيني لتقنية الاسترجاع الزمنية التي تكشف عن جوانب من سيرته الحياتية الماضية.

أما على مستوى المكان فإذا كان الزمان ينظم حركة الحدث؛ فإن المكان يستوعب وقوعه، فعنصر المكان في نص المزيبي يحيل بدوره إلى مكان حقيقي غير متخيل، وقعت فيه الأحداث التي يحكيها السارد؛ إذ يحكي عن أحد الأحياء المتواضعة التي نشأ بها في مدينة الرياض وأماكن تنقلاته بين أزقته، وما يتصل به من محلات وأسواق، فيستخدم تقنية الوصف لرسم إطار للمكان الذي يسكنه، مبتعداً قليلاً بعدسته الواصفة للمكان لتشمل مدينة الرياض كلها، وهو وصف يكشف عن علاقته النفسانية بالمكان، يقول: "هناك ترقد المدينة المكدودة، تحفها الرمال من جهاتها الأربع، تتكور على نفسها بخطوط وتقاسيم أزقة متشابكة تراها من بعيد، تنبت من الرمال في اضطبار وتبتل، تنحو على خريز المياه، تنتزعه مكينات الري الحديثة، فلا يخبو صوتها إلا حينما تلفظ الشمس آخر أنفاسها على صفحة الأرض الموشاة بلون الذهب وحمرة النار، فلا يبقى منها سوى ظلال معتمة تبعث على القشعريرة.. تلك كانت مدينتي الرياض، وفي جزء منها حيث أقطن"^(١). ففي فن السيرة الذاتية يقوم المكان بدور مهم؛ لكونه يشكل علاقات نفسية مختلفة بين راوي السيرة والأمكنة المذكورة، فالمكان في الرواية "نفض على استيلاء مكان معين ومحدد، له مرجعية واقعية معروفة، لكنه في الوقت نفسه ينفتح على مجال تخيلي مُقيّد، تتأنس فيه الكثير من صفاته وخصائصه وأجوائه"^(٢).

وكما أن هناك مكاناً أليفاً يصفه الراوي كبيته أو مدينته، فإن هناك مكاناً طارداً وفي الوقت ذاته هو مكان للإقامة المؤقتة كالمدرسة التي تسبب بعض مدرّسيها في توتر

(١) المزيبي، "مفارق العتمة"، ٧.

(٢) عبيد، "التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة"، ٩٧.

العلاقة بينه وبينها، يقول: "علّمتنا المدرسة كيف نكره ثم كيف ننتقم"^(١). ولقد ركّز محمد المزيبي في نصّه على حيّه، واصفًا بيوته وأزقته، وفعل العوامل الجوية من مطر وصقيع وهشاشة بناء بعضها، يقول: "يمتد الشارع الغارق بالمياه الطافحة من عنق الطريق المؤدي إلى الفرن المقابل تمامًا لسوق الخضار (الحلقة)، حيث تسوقه روائح عفنة كعلامة فارقة، لا تغرب عنه صيفًا أو شتاءً بتعاريجه وتشابكه، بلا حدود أو أبعاد أو مسافات، بلا ملامح تميزه في الشكل، لكنه يبدو أمام أعيننا مغارة نتيه في دهاليزها"^(٢). وفي الفصل الأخير من روايته، أسهب في ذكر حدث موت امرأة عجوز وحيدة وفقيرة (عيوش)، تسكن على مقربة من بيته؛ إذ راحت ضحية للسيل الذي أهال بيته فوق رأسها، كما حكى عن تفاصيل أزقة حيّهم في الصباحات المشمسة والأماسي المعتمّة، وهنا "يذهب المبدع المكاني إلى استعادة روح المكان - تاريخيًا وجغرافية وحساسية-، واستدعاء الإنسان فيه لكتابة سيرته بأسلوبية تصويرية جمالية، تتدخل في طبقات المكان عموديًا وفي لوحاته أفقيًا، في محاولة للكشف عن سرّ المكان؛ بوصفه مفتاحًا من مفاتيح التجربة الإبداعية في محتواها الإنساني"^(٣). لقد أسهم الزمان والمكان في تأكيد سيرية النصّ السردى لمحمد المزيبي (مَفَارِقِ العُتْمَة)؛ إذ قرب هذا النصّ من الواقع الحقيقي بقدر بعده عن المتخيل الذي يُعَدُّ أحد شروط الرواية.

ج) الفضاء الدلالي:

إن أهم ما يعتمد عليه الناقد في مقارنة أي نصّ أدبي، هو فضاءه الدلالي

(١) المزيبي، "مَفَارِقِ العُتْمَة"، ٢١.

(٢) المصدر السابق، ٨.

(٣) عبيد، "تمظهرات التشكيل السّير ذاتي"، ١٥٤.

والنّصي؛ بوصفه فضاء، عمد المؤلّف من خلاله إلى إيصال رسالة ما إلى قارئه، وهذا الفضاء يبدأ من خلال التشكيل الطباعي البصري للرواية كلها، بدءاً من الغلاف الخارجي وما يليه من "العتبات"؛ إذ تشير العتبات النصية إلى هوية النص "كالمقدمات والمداخل التي تحفّ بالنّص، أو حوارات ثقافية يرد فيها ما يحيل على النّص السّير ذاتي أو ميثاق إحالي معلن قد نثر عليه في النص" ^(١). وتبدأ أولى هذه العتبات بغلاف النّص الأدبي وما تضمّنّه من عناوين أو رسوم، والمألوف في دراسة الغلاف الأدبي أنه "يشكّل فضاءً نصيّاً دلاليّاً، لا يمكن الاستغناء عنه؛ لمدى أهميته في مقارنة الرواية مبنى وفحوى ومنظوراً" ^(٢). وهنا فإن أول ما يلفت الباحث في غلاف (مُفَارِقِ العُتْمَةِ) لوحة بألوان صفراء وبيضاء كالحلة لجانب من حي سكني فقير، حيث تتلاصق البيوت الطينية في إحدى الحارات الضيقة، وفيها يعكس اللون الأصفر لون الصحراء التي كثيراً ما تسف رمالها على تلك البيوت المتواضعة؛ لتزيدها شحوباً وضعفاً، وقد علت هذه اللوحة باللون الأبيض عنوان النص: (مُفَارِقِ العُتْمَةِ)، ثم إضافة علامة لغوية تشير إلى جنس النص (رواية)، وهو ما تحاول الدراسة مساءلته، وكشف ما به من استتار.

ثم يصدّر الكاتب روايته بنص هو أشبه بالإهداء، وإن لم ينص على أنه تصدير أو إهداء صراحة، يعيد العنوان (مُفَارِقِ العُتْمَةِ)، ثم يكتب أسفله ما يشبه النص التفسيري لهذا العنوان، لكنه تفسير مجازي كاشف لسيرية النّص، حيث يستعيد من

(١) ينظر: عبد القادر الشاوي، "الكتابة والوجود - البّيرة الذاتية في المغرب". (د.ط، المغرب: إفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م)، ٢٩.

(٢) جميل حمداوي، "دلالات الخطاب الغلافي في الرواية". "استرجعت بتاريخ: ٢٢/٨/٢٠٢٤م"

(مَفَارِقِ العُتْمَةِ) بذاكرته أو كما يقول هو: "حكايات صغيرة مختزلة، تملأ فراغات العقل"^(١)، يستعيد من الماضي البعيد قصصه المخبوءة؛ ليطرحها على قارئه، ولهذا النص دوره التداولي في تواصله مع المتلقّي الذي ربما لا يعرف المزيّني الإنسان بقدر ما يعرفه أديباً وسارداً، وتلتحم عندئذ عناصر الاتصال من المرسل إلى المرسل إليه عبر شفرة النص داخل الرسالة، يقول في ذلك النصّ الكشفى لمَفَارِقِ العُتْمَةِ: "صفحات تنضح برائحة أحلامنا في نزق إلى مستقبل نجهله، يشدُّنا الماضي، حيث كانت ولا تزال خطواتنا تدبُّ بين جنباته، نحلق كالفراشات، نزفُّ حكايات صغيرة مختزلة، تملأ فراغات عقولنا، وتهوي بنا بين عقارب الساعات غير المحسوبة، تعصرنا، تشكّلنا، تقذف بنا في رحم عالم، نراه يكبر كالمنطاد يحجب الكون، فنشمر عن سواعدنا بشغب، نمتطي صهوة أحلامنا التي لا تلبث أن تنفجر كفقاعة صابون"^(٢).

وتشكّل عناوين الفصول في ذاتها عتبات دالة على ما يحاول البحث تأكيده؛ إذ تحيل هي الأخرى إلى الهوية السّيرية الغالبة على النصّ؛ فقد احتوت الفصول - وعددها ستة عشر فصلاً - على عناوين ذات دلالات، تحيل مباشرة إلى الواقع، مثل: (وجوه لا تغيب عن الذاكرة، السّاحر الصغير، عام جديد، القادة الجدد، وعي الذاكرة)، بينما بقية الفصول تحمل دلالات مجازية، تستحيل بدورها إلى ذات الدلالات الواقعية من تجارب الراوي حينما يمضي الناقد قدماً في قراءتها.

وهنا يؤكّد البحث إثبات هوية نص المزيّني؛ ليتعاوض هذا الفضاء مع سابقه من زمان ومكان وشخصية في إثبات ما افترضته الدراسة.

(١) المزيّني، "مَفَارِقِ العُتْمَةِ"، ٦.

(٢) المزيّني، "مَفَارِقِ العُتْمَةِ"، ٦.

(د) لغة النص:

اللغة بوصفها أداة تعبير تكشف ما حاول المؤلّف إخفائه، فالأديب يقوم بعملیات ذهنية ونفسانية قبل أن يترجم ما بداخله، وقد جنح محمد المزيني في التعبير المجازي الاستعاري في حكيه، وإن شاب هذا التعبير المجازي وتلك اللغة الشّعريّة أحياناً شيء من التكلّف والصنعة؛ إذ حاول في بعض نصوصه أن يحقّق شعريّة لقلّته السردية، فإذا كانت اللغة الشّعريّة القائمة على الاستعارة والمجاز واحدة من خصائص النصّ الروائي المتخيّل، فإن هناك فصلاً برمتها جنحت فيها قلّته نحو الإخبارية والمباشرة، فضلاً عن الاستطراد، فعلى سبيل المثال: عند تقييمه لتجربته مع جماعة الأمر بالمعروف وما أخذه على بعض المنتسبين إليها ممن سّمّاهم (القادة الجدد) الذين كشفوا عن حبّهم للسلطة والقيادة، فسلّكوا سبلاً لاستقطاب بعض الأعضاء؛ ليحدّثوا انقسامات داخل الجماعة، يقول: "في معتزك الأعمال اليومية جاء آخرون يبحثون عن أدوار قيادية تضعهم في حسابات النقلة النوعية للعمل الصحوي، ملموا شباباً صغاراً بمغريات شتى، أهمها لهم: مضاعفة درجات أعمال السنة.. وتزوير نتائج الامتحانات مستقبلاً.. فما إن يلتف حولهم الفتیان حتى ينفضوا سريعاً من حولهم، كانوا يتقمّصون شخصية شيخنا البسيطة والمسالمة.. فلا تلبث أن يعود إليهم سمتهم لا شعورياً، المختبئ وراء ذقونهم، وابتساماتهم المتكلفة، وقد خانتهم قوى تحملهم؛ لينكشفوا كالمهرجين متخبطين في ظلام بصيرتهم العمياء، منهم الشيخ عمر الذي ظلّ يبحث عن موقع قدم مناسب في خطى انهماكنا في استقبال الأعضاء الجدد، وتقريبهم من أجوائنا.. كان من عاداتنا المقررة سلفاً إجراء بعض الاختبارات العملية وسرّ أغوار الأعضاء الجدد، وتقسيمهم إلى فئات ومراحل لها اختباراتها الخاصة، وفي النهاية يصدر الحكم المناسب بمجدواهم، لتبدأ مرحلة التكاليف والأوامر المضنية؛ لاختبار القدرة على التحمّل، مع استمرار المراقبة حتى في الساعات الخاصة، مثل:

محافظته على الصلاة في وقتها، ومدى تعلّقه بأجواء الحارة التي يقطنها.. في ظل هذه الحقبة المحمومة بإعادة بناء الجماعة، برز الشيخ عمر مستلاً قوى التحدي والمجاهمة، طامعاً في تكوين جماعة يقودها إلى حيث يروم، تضعه في مواجهة مباشرة لنا، غير مدرك لأهمية تكريس الجهود وتوحيد الصفوف في خدمة هدف واحد، فعندما أدرك أنه لا مكان يلبّي رغباته، ويحقّق طموحه في اعتلاء سدة القيادة بيننا، انتهج أسلوب التفرقة، محاولاً اختراق صفوفنا المتماسكة في محاولة أخيرة؛ للاستئثار بمقعد متقدّم من القيادة.. يزد من حنقه وربما اندهاشه قوة صمودنا وإعراضنا عن تفاهاته^(١).

هكذا جاء النّصّ وغيره من النصوص المشابهة عند المزني الذي قدّم فيه بلغة إخبارية ملخصاً ليوم من يومياته مع جماعة الإخوان، فهو يطرح موضوعاً للمناقشة وطرح الأسئلة، فجاءت النصوص -إضافة إلى النّص السابق- مجردةً من أية جمالية لغوية، فيبرز التفاوت بين مستويين لغويين: أحدهما جمالي، والآخر مقالي إخباري، غير أن هذه اللغة الإخبارية المجردة قد كشفت بدورها عن سيرة النّص لا روائيته؛ ذلك لأن من يكتب السّيرة يعني بسرد الحقائق التاريخية موثقة، تجعل الفكرة هي القائد، بينما تتراجع لغة التعبير عن الجمالية، وتنحو نحواً مقالياً إخبارياً؛ لتكون هذه اللغة الإخبارية في النهاية فاضحة للهوية الأجناسية للنّص التي حاول المؤلّف إيهام القارئ بها على الغلاف.

غير أن الالفت في لغة المزني هو ما تحمله من جرأة وصراحة، حاول بها تعرية المسكوت عنه من انحرافات وممارسات، تحرص السلطة المجتمعية على إخفائها في مجتمع المملكة المحافظ، ويمكن النظر إلى هذه اللغة الجريئة التي تماهت مع النزعة الاعترافية للسنارد؛ للتطهّر من ماضٍ وقع ضحيته إبان فترة مراهقته على يد جماعة غررت به.

(١) "مَفَارِقِ العُتْمَة"، ١٠٧.

(هـ) التاريخ الشخصي للمزيني:

يعدُّ التاريخ الشخصي للمزيني وسيلة للتدليل على سير ذاتية الرواية، وقد أظهرت الحوارات التي أُجريت معه على الفترة التاريخية التي تناولها المزيني في (مَفَارِقِ العَتَمَةِ)، وهي فترة انتشار الصحوة، وتغريب الشباب، وأعمال العنف التي اجتاحت الرياض، فهو يقول عندما سُئل عن رواية (مَفَارِقِ العَتَمَةِ): "الصحوة التي كتبت عنها كانت إرهاصات أولى لصحوة أشمل، فذلك الوقت كان الشبيبة يسمّون أنفسهم بالغرباء؛ لرفض المجتمع لهم، وتوصيفهم بأقذع الأوصاف"^(١).

كما أشار في مقابلة أخرى إلى انتمائه إلى الصحوة كما ذكرها في الرواية، يقول المزيني: "للكتاب الأول الذي استعرتة أيضًا حكاية لا تُنسى؛ فقد رسمت أيضًا لي طريقًا أقحمني «عالم الصحوة» بغض النظر عن الهوية التي تحملها قيم الصحوة والتزاماتها.. وذلك عندما كنت أجوب الأحياء المتاخمة لحارتنا. كان الشيء الجميل أننا لا نترك فروض الصلاة، وقد تناهى إلى آذاننا نداء صلاة المغرب، فهبنا نتقافز حول صنادير المياه للوضوء"^(٢).

نخلص مما تقدّم أن المزيني قد كتب روايته (مَفَارِقِ العَتَمَةِ) بعد مرور زمن، فقدّم الماضي في شكل آني؛ لأن لحظة الكتابة تحمل وجهة نظر حاضر الكتابة، وقدّم وعيًا ذاتيًا متقاطعًا مع الزمان والمكان، وعرض لمشكلة شخصية متصلة بالأحداث العامة

(١) محمد المزيني، "المواعظ الصحوية فجّرت عقول الشباب واستلبت أرواحهم". مجلة المجلة، آخر تحديث ١٤ أبريل ٢٠١٤، "استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥" من موقع:

<https://www.majalla.com>

(٢) محمد هليل الرويلي، "كتاب أدخلني الصحوة وآخر أخرجني: الروائي محمد المزيني: هَرَبْنَا الكتب من البحرين ومصر". الجزيرة الثقافية، السبت ٢٢ فبراير ٢٠٢٠. "استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥" من موقع:

<https://www.al-jazirah.com/2020/20200222/cm10.htm>

في إطار المجتمع. فالسيرة الذاتية جنس يتطلّب حضور عناصر بعينها؛ وإذا افتقدتها، فإنها تتحوّل أجناس أخرى أقربها الرواية، ومن أهم تلك العناصر: الميثاق، والتطابق بين المؤلّف والسارد والشخصية، وبناء على ذلك كانت مَفَارِقِ العُتْمَةِ تدخل ضمن دائرة السيرة الذاتية الروائية، فالميثاق لم يغيب عن هذا النص، ووجود التشابه بين المؤلّف والسارد والشخصية والزمان والمكان؛ لأن أحداث النص ارتبطت بحياة الكاتب، وبذا أسست الدراسة لرواية (مَفَارِقِ العُتْمَةِ) لمقولة: أن رواية (مَفَارِقِ العُتْمَةِ) نص سيري بامتياز وليس روائياً، كما أراد المؤلّف إيهام القارئ، يعضد هذا ما ذهب ستيفان لأكروا في دراسته للرواية بعنوان: "حقول الفتنة"، الذي وجد في الرواية تجسيدا لتجربته الشخصية كشابٍ منتبٍ إلى الصحوة الإسلامية، يقيس حجم الفجوة التي ظهرت ما بين الصحوة الإسلامية وبين بيئتها الاجتماعية، وهي رواية فريدة من نوعها، تحتوي على سيرة ذاتية مهمة^(١).

(١) ناقش الباحث ستيفان لأكروا في معهد العلوم السياسية- باريس رسالة الدكتوراه بعنوان:

"حقول الفتنة: دراسة اجتماعية وسياسية للحركة الإسلامية في المملكة العربية السعودية

(١٩٥٤-٢٠٠٥م)"، تحت إشراف البروفيسور: جيل كييل. ينظر:

Lacroix, S. "Les champs de la discorde: une sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005)". (Doctoral dissertation, Paris: Institut d'études p:87..politiques, 2007)

الخاتمة

- حاول البحث ولوج عالم محمد المزيني السردى، واختبار فرضية، ملخصها أن نصّه (مفارق العتمة) هو سيرة ذاتية، وقد أثبت البحث ذلك من الآتي:
- توافرت إشارات مرجعية ودوال زمنية تحيل بل تؤكّد واقعية الحدث وتاريخيته.
 - التذكّر: إذ قامت الذاكرة فيه بدور محوري في إسعاف المؤلّف بحكايات له ولبعض أصدقائه، فلما انثقت ذاكرته انهلّت عليه الذكريات، وتدافعت إلى قلمه؛ ليصوغها في نصّه، إما معترفاً أو ساخرًا.
 - كشفت الشّخصية السّاردة في نصّه عن تطابق ملحوظ بينها وبين المؤلّف/ السّارد؛ إذ اختفت المسافة بينها جميعاً، ويظهر المؤلّف حاكياً بضمير المتكلّم عن تجاربه الحياتية.
 - اعتمد نصّ المزيني السردى على الاسترجاع الزمني في حكي استعادي لحكايات ماضية، حاول كتابتها لاحقاً في زمن الكتابة/ القص الآتي.
 - أسهم المكان الروائي داخل نصوص المزيني في الكشف عن أمكنة حقيقية، تنقل المؤلّف/ السّارد فيها، أو ارتبط بها، أو اتخذ منها موقفاً عدائياً، وتعدّد مدينة الرياض إطاراً مكانياً، ضمّ داخله أمكنة أخرى.
 - أسهم الفضاء النصّي والدلالي في الدلالة على سيرية نص المزيني، من خلال المقدمة والاستهلال وتطابق الشّخصية والسّارد والكاتب.
 - أسهمت لغة السّرد في الكشف عما حاوله المؤلّف من مراوغة للقارئ؛ إذ كشف عن جنوح لغته نحو الإخبارية والمباشرة في بعض سروده عن أنه يحكي وقائع حقيقية، اهتمّ بذكر تفاصيلها، بينما جاءت اللغة الاستعارية المجازية في تعليقاته على التجارب والحكايات المذكورة.

- كشف البحث عن محاولة الكاتب في عتبات النص السردية إخفاء هويته السردية؛ لتلا يصطدم بالسلطة الاجتماعية أو الدينية.

أما ما يوصي به البحث:

- دراسة الروايات دراسة متأنية وفق معايير الجنس الأدبي، وعدم الانطلاق من مُسَلَّمات، بل عبر قرائن تتعلّق بالشكل أو الإطار، الذي يكون أكثر انضباطاً وقابلية للاختيار في الرواية، وتتعلّق أيضاً بقصدية المؤلّف.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم، عبد الله. "السيرة الروائية - إشكالية النوع والتهجين السردى". مجلة نزوى ١٤، (١٩٩٨م): ١٧-٣٠.

إبراهيم، عبد الله. "موسوعة السرد العربي". (ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م).

آل مريع، أحمد بن علي. "السيرة الذاتية مقارنة الحدود والمفهوم". (ط ٣، الرياض: صامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م).

أملودة، محمود محمد. "الزمن المستعاد ظلال السيرة الذاتية في الرواية الليبية". مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر.

بركات، حليم. "الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع". (ط ١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، د.ت).

الجعفري، صنع الله إبراهيم محمد أحمد. "مظاهر الاغتراب في رواية "تلک الرائحة". مجلة أقلام الهند ٣، (٢٠٢١م). "استرجعت بتاريخ ١٥/٧/١٤٤٦هـ من

موقع: <https://www.aqlamalhind.com/?p=2205>

جنداري، إبراهيم. "الرواية والتناص". مجلة العميد ١-٢ (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٢): ٢٠٩-٢٥١.

جودي، جولان حسين جودي. "السيرة الذاتية الرواية: التناهد الأجناسي وإشكالية التصنيف". مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ١٣، (٢٠١٠م): ٧١-٩١.

جينيت، جيرار. "وجهة النظر من السرد إلى التبئير". ترجمة: ناجي مصطفى. (د.ط،

- الدار البیضاء: منشورات الحوار الأكادیمی والجامعی، (١٩٨٩م).
- حاج، سمیر. "الروایة فی الجلیل من خلال بعض أعمال إمیل حبیبی وسلمان الناطور، الأدب الفلستانی فی المثلث والجلیل". (ط ١)، فلسطین: مرکز الأبحاث، دائرة اللغة العربیة، جامعة بیت لحم، (٢٠٠٧م).
- الحازمی، منصور. "موسوعة الأدب العربی السعودی «الروایة»". (د.ط، الریاض: مفردات للنشر والتوزیع والدراسات، ٢٠٠١م).
- حافظ، صبری. "رقش الذات لا کتابتها: تحولات الاستراتيجیات النصیة فی السّیرة الذاتیة". عدد خاص (لغة الذات: السیر الذاتیة والشهادات). مجلة ألف ٢٢، (٢٠٢٢م): ٧-٣٣.
- الحقیل، عبد الله. "علی مائدة الأدب". (ط ٢، الریاض: مطابع الفرزدق التجاریة، ١٩٩٢م).
- حدادی، جمیل. "دلالات الخطاب الغلافی فی الروایة". "استرجعت بتاريخ: ٢٢/٨/٢٠٢٤م من موقع: <https://www.diwanaalarab.com>
- الحیدری، عبد الله. "السّیرة الذاتیة فی الأدب السعودی". (ط ٢، دار طویق للنشر والتوزیع، د.ت).
- الحیدری، عبد الله. "السّیرة الذاتیة فی المملكة العربیة السعودیة ببلیوجرافیا". (سلسلة ببلیوجرافیا الأدب السعودی، جامعة الملك سعود، ٢٠١٧م).
- الحیدری، عبد الله. "روایة السّیرة الذاتیة، علامات فی النقد الأدبی". (جدة: النادي الأدبی الثقافی، ٢٠٠٣م).
- الخزاعی، إسرائ سالم موسی. "السّیرة الذاتیة فی جهود الدارسین العرب". (رسالة

دكتوراه، جامعة القادسية، ٢٠١٧م).

الرويلي، محمد هليل. "كتاب أدخلني الصحوه وآخر أخرجني: الروائي محمد المزيني: هَرَبْنَا الكُتُبَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ وَمِصْرَ". *الجزيرة الثقافية*. ٢٢ فبراير ٢٠٢٠م. استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥م من موقع:

<https://www.al-jazirah.com/2020/20200222/cm10.htm>

الزهراني، أسماء. "مُفَارِقُ الْعَتَمَةِ: تحرر الخطاب السردى من سلطة الروائي". *صحيفة اليوم*، ١٢ أبريل ٢٠١٤م. استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥م من موقع: <https://www.alyaum.com/articles/923642/> الزهراني، معجب. "القراءة الحوارية لعلاقات السيرة الذاتية بالرواية". *ندوة القرن الثقافي الحادي عشر، الكويت*، ١١ - ١٣ ديسمبر، ٢٠٠٤م).

السامرائي، إبراهيم. "فن السيرة الذاتية عرفه العرب قبل غيرهم". *مجلة الفيصل* ١٤٢، (١٩٨٨م): ٣٣-٣٥.

الشاوي، عبد القادر. "الكتابة والوجود- السيرة الذاتية في المغرب". (د.ط، المغرب: إفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م).

الصكر، حاتم. "أفئدة السيرة وتحليلاتها البوح والترميز في الكتابة السير ذاتية". (د.ط، عمان: دار أزمنة، ٢٠١٧م).

عبد الدايم، يحيى. "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث". (د.ط، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٤م).

عبد النور، جبور. "المعجم الأدبي". (د.ط، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م). عبيد، محمد صابر. "التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة". (د.ط، دمشق: دار

نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).

- عبيد، محمد صابر. "مظهرات التشكيل السیر ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السیر ذاتية". (د.ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م).
- العید، منی. "السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة دراسة ثلاثية حنا مينة". مجلة فصول ٤، (١٩٩٧م): ١١-٢٤.
- العید، منی. "فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب". (ط١، بیروت: دار الآداب، ١٩٩٨م).
- الغامدي، صالح بن معیض. "سیر ذاتية الرواية العربية السعودية، علامات في النقد الأدبي". (جدة: النادي الأدبي الثقافي، د.ت).
- الغامدي، صالح معیض. "السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم". مجلة علامات ١٤ (٤)، (١٩٩٤م): ٥١-٨٤.
- فضل، صلاح. "أساليب السرد في الرواية العربية". (ط٣، بیروت: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣م).
- القاضي، كوثر محمد أحمد. "المكان العدائي وهروب الشخصية، دراسة نصية لرواية القانونوط لعبد الحفيظ الشمري". مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، ٢٦ (٢) (٢٠١٤): ٤٧-٦٥.
- القاضي، محمد. "معجم السرديات". (ط١، بیروت: دار الفارابي، ٢٠١٠م).
- الكردي، عبد الرحيم. "الراوي والنص القصصي". (ط٢، د.م، دار النشر للجامعات، ١٩٩٦م).
- لوجون، فيليب. "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي". ترجمة وتقديم: عمر حلي، (ط١، بیروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م).

- مارتن، والاس. "توظيف الشخص وإدارة الحوار". (د.ط، د.م، د.ن، ١٩٩٨م).
- مارتن، والاس. "نظريات السرد الحديثة". ترجمة: حياة جاسم محمد، (د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م).
- ماي، جورج. "السيرة الذاتية". ترجمة: محمد القاضي وعبد الله صولة. (د.ط، تونس: د.ن، ١٩٩٣م).
- محمد، شعبان عبد الحكيم. "السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث". (ط ١، الأردن: الوراق، ٢٠١٥م).
- مرتاض، عبد الملك. "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد". عالم المعرفة، ٤٠، (١٩٩٨م): ٢٨.
- المزيني، محمد. "الروائي محمد المزيني". موقع جائزة كتارا للرواية العربية. (د.ت). "استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥م" من موقع: <https://kataranovels.com/novelis>
- المزيني، محمد. "المواعظ الصحوية فجّرت عقول الشباب واستلبت أرواحهم". مجلة المجلة. آخر تحديث: ١٤ أبريل ٢٠١٤م. "استرجعت بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٥م" من موقع: <https://www.majalla.com>
- المزيني، محمد. "مفارق العُتمة". (ط ١، المغرب: دار بسمة للنشر الإلكتروني، ٢٠٢٣م).
- مسعود، فاطمة. "كافكا: حينما تتحدث الذات عن ذاتها إلى ذاتها". مجلة ألف ٢٢، (٢٠٢٢م): ١١٤-١٣٩.
- المناصرة، حسين. "السيرة الروائية". جريدة الجزيرة، ٢٦ إبريل ١٩٩٨م. "استرجعت

بتاريخ: ٢٢/٨/٢٠٢٤م " من موقع:

[https://www.al-](https://www.al-jazirah.com/1998/19980426/p205.htm#google_vignette)

[jazirah.com/1998/19980426/p205.htm#google_vignette](https://www.al-jazirah.com/1998/19980426/p205.htm#google_vignette)

المناصرة، حسين. "وهج السرد - مقاربات في الخطاب السردى السعودى". (ط١،

الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).

مندور، محمد. "الأدب ومذاهبه". (د.ط، القاهرة: دار نُهضة مصر، ١٩٧٩م).

هلال، محمد غنيمي. "الأدب المقارن". (ط ٥، بيروت: دار العودة ودار الثقافة،

١٩٨٧).

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

George Allen, "Dictionary of world Literary". (London, 1970).

Lacroix, S. "Les champs de la discorde: une sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005)". (Doctoral dissertation, Paris: Institut d'études politiques, 2007).

Bibliography

- ‘Abd al-Dayim, Yahya. "al-Tarjamah al-Dhātīyah fī al-Adab al-‘Arabī al-Ḥadīth". (Beirut: Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, 1974).
- ‘Abd al-Nour, Jabbour. "al-Mu‘jam al-Adabī". (Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn , 1979).
- Al-‘Eid, Yumnā. "The Fictional Autobiography and Its Dual Function: A Study of Hanna Mina’s Trilogy" (in Arabic). *Fusool Journal* (in Arabic) 4, (1997): 11-24.
- Al-‘Eid, Yumna. "The Art of the Arabic Novel: Between the Uniqueness of the Narrative and the Distinctiveness of the Discourse" (in Arabic). (1st edition, Beirut Dār al-Ādāb, 1998).
- Al-Ghamidi, Saleh bin Mu‘id. "Autobiographies of the Saudi Arabic Novel: Landmarks in Literary Criticism" (in Arabic). (Jeddah: al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī).
- Al-Ghamidi, Saleh Mu‘id. "Autobiography in Classical Arabic Literature" (in Arabic). *‘Alamat Journal* 14(4), (1994): 51-84.
- Al-Haydari, Abdullah. "Autobiography in Saudi Literature" (in Arabic). (2nd edition, Dār Ṭuwayq).
- Al-Haydari, Abdullah. "Autobiography in the Kingdom of Saudi Arabia: A Bibliography" (in Arabic). (Jeddah: al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī,, 2003).
- Al-Haydari, Abdullah. "The Autobiographical Novel: Milestones in Literary Criticism" (in Arabic). (Saudi Literature Bibliography Series, King Saud University, 2017).
- Al-Hazmi, Mansour. "Encyclopedia of Saudi Arabian Arabic Literature: The Novel" (in Arabic). (Riyadh: Mufradāt, 2001).
- Al-Huqail, Abdullah. "'Alā Mā’idat al-Adab". (2nd ed., Riyadh: Maṭābi‘ al-Farazdaq al-Tijārīyah, 1992).
- Al-Ja‘fari, Sana’ Allah Ibrahim Muhammad Ahmad. "Aspects of Alienation in the Novel *That Smell*" (in Arabic). *Aqlam Al-Hind Journal* 3, (2021). Retrieved 15/7/1446 from: <https://www.aqlamalhind.com/?p=2205>
- Al-Khuza’i, Isrā Salim Musa. "Autobiography in the Works of Arab Scholars" (in Arabic). (PhD thesis, University of Al-Qadisiyah, 2017).
- Al-Kurdi, ‘Abd al-Rahim "The Narrator and the Narrative Text" (in Arabic). (2nd edition, Dār al-Nashr, 1996).
- Al-Munasirah, Husain. "The Glow of Narrative – Approaches to Saudi

- Narrative Discourse" (in Arabic). (1st edition, Jordan: 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth, 2010).
- Al-Munasirah, Husain. "The Narrative Autobiography" (in Arabic). *Al-Jazirah Newspaper*, April 26, 1998. Accessed August 22, 2024.
https://www.al-jazirah.com/1998/19980426/p205.htm#google_vignette
- Al-Murayyi', Ahmad bin 'Ali. "The Narrative Autobiography" (in Arabic). (3rd edition., Riyadh: Sāmid, 2010).
- Al-Muzaini, Muhammad. "Awakening sermons have blown the minds of young people and stolen their souls" (in Arabic). *Al-Majalla journal*, last updated April 14, 2014. Accessed April 20, 2025.
<https://www.majalla.com>
- Al-Muzaini, Muhammad. "The novelist Muḥammad al-Muzainī" (in Arabic). *Katara Prize for Arabic Novel website*, (n.d). Accessed April 20, 2025. <https://kataranovels.com/novelis>
- Al-Muzaini, Muhammad. "The Crossroads of Darkness" (in Arabic). (1st edition, Morocco: Dār Basmah, 2023).
- Al-Qādi, Kawthar Muhammad Ahmad. "The Hostile Place and The Escape of The Character: A Text Characteristic of Adbuhafeedh Alshammars Al- Qanut". (in Arabic). *Al-Adab Journal, King Saud University* 26(2) (2014): 47-65.
- Al-Qadi, Muhammad. "Mu'jam al-Sardīyāt". (1st edition, Beirut: Dār al-Fārābī, 2010).
- Al-Ruwaili, Muhammad Halil. "One book brought me to awakening and another took me out: Novelist Mohammed Al-Mazini: We smuggled books out of Bahrain and Egypt" (in Arabic). *Al-Jazirah Cultural*, 22 February 2020. Retrieved 20 April 2025 from:
<https://www.al-jazirah.com/2020/20200222/cm10.htm>
- Al-Sakr, Hatim. ""Biographical masks and their manifestations: revelation and symbolism in autobiographical writing" (in Arabic). (n.p., Amman: Dār Azminah, 2017).
- Al-Samurai, Ibrahim. "The art of autobiography was known to the Arabs before others" (in Arabic). *Al-Faisal Journal* 142, (1988): 33-35.
- Al-Shaawi, Abd al-Qader. "Writing and Being - Autobiography in Morocco" (in Arabic). (Morocco: Ifrīqiyyā al-Sharq, 2000).
- Al-Zahrani, Asmaā. ""Darkness Crossroads: The Liberation of Narrative Discourse from the Authority of the Novelist" (in

- Arabic). Al-Yaum Newspaper, 12 April 2014. Retrieved 20 April 2025 from: <https://www.alyaum.com/articles/923642/>
- Al-Zahrani, Mu'jib. "Dialogic reading of the relationship between autobiography and the novel (in Arabic)". (*11th Cultural Century Symposium*, Kuwait, 11-13 December 2004).
- Amludah, Mahmoud Muhammad. "Time Regained: Shadows of Autobiography in the Libyan Novel" (in Arabic). The 12th International Criticism Conference.
- Barakat, Halim. "Alienation in Arab culture: the human labyrinth between dream and reality" (in Arabic). (1st edition., Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah, n.d).
- Fadl, Salah. "Narrative methods in the Arabic novel" (3rd edition, Beirut: Dār al-Madā lil-Thaqāfah wa-al-Nashr, 2003).
- Genet, Gerard. "Point of View: From Narrative to Focalization" (in Arabic). Translated by Naji Mustafa. (Casablanca: publications of al-Ḥiwār for Academic and University, 1989).
- Hafiz, Sabri. "Inscribing the Self, Not Writing It: Transformations of Textual Strategies in Autobiography" (in Arabic). Special Issue (Language of the Self: Autobiographies and Testimonials). *Alf Journal* 22, (2022): 7-33.
- Hajj, Samir. "The Novel in the Galilee Through Selected Works of Emile Habiby and Salman Natour: Palestinian Literature in the Triangle and the Galilee (in Arabic). (1st edition, Palestine: Markaz al-Abḥāth, Dā’irat al-lughah al-‘Arabīyah, Jāmi‘at Bayt Lahm., 2007).
- Hamdawi, Jamil. "Dalālāt al-khiṭāb alghlāfy fī al-riwāyah". Retrieved 22/8/2024 from: <https://www.diwanalarab.com>
- Hilal, Muhammad Ghunaimi. "al-Adab al-Muqāran". (5th edition, Beirut: Dār al-‘Awdah wa-Dār al-Thaqāfah, 1987).
- Ibrahim, Abdullah. "The Narrative Autobiography: The Problematic of Genre and Narrative Hybridization (in Arabic). *Nizwa Journal* 14, (1998): 17-30.
- Ibrahim, Abdullah. "Mawsū‘at al-Sarrd al-‘Arabī". (1st ed., Beirut: al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2008).
- Jandari, Ibrahim. "Novel and intertextuality". (in Arabic) *Al-Ameed Journal* 1-2 (30 September 2012): 209-251.
- Joudi, Jolan Husain Joudi. "The Autobiographical Novel: Generic Interpenetration and the Problem of Classification (in Arabic). *Al-Qadisiyah Journal of Humanities* 13, (2010): 71-91.

- Lojon, Philippe. "Autobiography, Charter, and Literary History".
Translated and introduced by: Omar Hali, (1st edition, Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 1994).
- Mandour, Muhammad. "al-adab wa-madhāhibuhu".) Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1979).
- Martin, Wallace. "Modern narrative theories". *Translated by: Hayat Jasim Muhammad*, (Cairo: al-Majlis al-A‘lá lil-Thaqāfah, 1998).
- Martin, Wallace. "Character recruitment and dialogue management".
(in Arabic). (1998).
- Massoud, Fatimah. "Kafka: When the Self Talks to the Self about the Self". (in Arabic). *Alif: Journal of Comparative Poetics* 22, (2022): 114-139.
- May, George. "The biography". Translated by: Muhammad Al-Qadi and Abdullah Soula, (n.p., Tunisia, 1993).
- Muhammad, Shaaban Abd al-Hakim. "Autobiography in Modern Arabic Literature" (in Arabic). (1st edition, Jordan: al-Warrāq, 2015).
- Murtada, Abd al-Malik. "In the theory of the novel, a study of narrative techniques". (in Arabic) *‘Alam Al-Ma’rifah’ Journal* 40, (1998): 28.
- ‘Ubaid, Muhammad Sabir. "Autobiographical formation, experience and writing" (in Arabic). (Damascus: Dār Nīnawá, 2012).
- Ubaid, Muhammad Saber. "Manifestations of autobiographical formation: A reading of Muhammad Al-Qaisi’s experience in autobiographies" (in Arabic). (Damascus: Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arab, 2005).

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة

The Impact of Syntactic Deviation
on the Regularity of Rhyme
in the Poetry Collection of Hamzah Shahtah

د. فهد بن فريح الرشدي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، التخصص الدقيق: أدب ونقد

بقسم اللغة العربية كلية التربية بجامعة المجمعة

البريد الإلكتروني: f.alrashede@mu.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/29		استلام البحث A Research Receiving 2025/02/06
نشر البحث A Research Publication June 2025 = ذو الحجة ١٤٤٦ هـ		
DOI:10.36046/2356-000-016-022		

الملخص:

يتناول هذا البحث الحديث عن "أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة"، ويسعى لتحقيق هدف متمثل بإثبات أن للانزياح التركيبي بأشكاله الثلاثة أثراً في انتظام القافية، وبيان أن الشعراء يعتمدون على هذه العناصر اللا مألوفة في الوصول ببعض الألفاظ إلى موضع القافية. ولقد سار البحث وفقاً لخطوات المنهج الأسلوبي في استقراء المادة اللغوية، وتحليلها وصولاً إلى النتائج. وانقسم البحث إلى مبحثين، تناول الأول منهما علاقة الانزياح التركيبي بالإيقاع الخارجي، والقافية جزء من الإيقاع الخارجي، في حين تناول الثاني الأثر المترتب على الانزياح التركيبي في انتظام القافية وتطبيق ذلك على ديوان حمزة شحاتة.

وتوصل البحث لعدد من النتائج من أهمها أن الشاعر أفاد من مظاهر الانزياح التركيبي لتحقيق غايته الشعرية المتمثلة في انتظام القافية، كما كان التقديم والتأخير من أهم أشكال الانزياح التركيبي التي استعان بها الشاعر ليصل إلى انتظام القافية وغالبا ما يكون هذا التقديم والتأخير في عمد الكلمة لا غيرها.

الكلمات المفتاحية: الانزياح التركيبي، القافية، الإيقاع الخارجي، التقديم والتأخير، الحذف، الإسناد.

Abstract

This research explores "The Impact of Syntactic Deviation on the Regularity of Rhyme in the Poetry Collection of Hamzah Shahtah". It aims to demonstrate that syntactic deviation in its three forms influences the regularity of rhyme and highlights how poets rely on these unconventional elements to place certain words in rhyme positions.

The study adopts the stylistic approach, involving the collection and analysis of linguistic data to derive findings. The research is divided into two main sections: the first explores the relationship between syntactic deviation and external rhythm, with rhyme being a component of the external rhythm. The second investigates the impact of syntactic deviation on rhyme regularity, applying this analysis to Hamzah Shahtah's poetry collection.

The research concludes with several key findings, most notably that the poet effectively utilized syntactic deviation to achieve his poetic goal of rhyme regularity and rhythmic consistency. One of the most significant forms of syntactic deviation employed was inversion (preposing and postposing), which was often applied specifically to essential words to maintain rhyme structure.

Keywords: Syntactic Deviation, Rhyme, External Rhythm, Preposing and Postposing, Omission, Predication.

المقدمة:

ثمة مجموعة من الأدوات النقدية التي تمثل ركائز أساسية في النقد الحديث، وهذه الركائز يمكن دراستها بشكل منفرد، ويمكن دراستها بصورة متكاملة، ومن أهمها الانزياح، إذ هو مظهر من مظاهر الدراسة النقدية للخطاب الأدبي، ويأخذ على عاتقه بيان التعبيرات اللا مألوفة في اللغة، حيث يركز على كسر أفق التوقعات لدى المتلقي، ويأتي بعبارة لغوية مكونة من عنصرين أحدهما مألوف، والثاني غير مألوف، وبامتزاج هذين العنصرين يتشكل الانزياح.

ويأخذ الانزياح أشكالاً متعددة، منها الانزياح التركيبي، والانزياح الدلالي، والانزياح الإيقاعي، وغيرها، إلا أن هذا البحث يركز على الانزياح التركيبي، الذي يتمثل بثلاثة أشكال: التقديم والتأخير، والحذف، والانزياح الإسنادي، إذ لاحظ الباحث أن هناك بعض المظاهر الفنية التي يوظفها الشعراء عبر الانزياح التركيبي للإتيان بالقافية في موضعها، بمعنى أن الشاعر يستفيد من الانزياح التركيبي في الوصول إلى انتظام القافية، وهو ما سيظهر مُطبَّقاً تطبيقاً عملياً على ديوان حمزة شحاتة ضمن هذا البحث.

وقد جاء انصراف الباحث تجاه دراسة شعر حمزة شحاتة لبروز خاصية الانزياح التركيبي وأثره في انتظام القافية في شعره، وإفادته من أشكال هذا الانزياح: التقديم والتأخير، والحذف، والانزياح الإسنادي، حيث ظهر الأثر جلياً في اختيار بعض المفردات التي تناسب القافية وفقاً لما سعى إليه الشاعر.

وتظهر أهمية هذا البحث في أنه يربط بين مكونين شعريين، الانزياح من جهة، والقافية من جهة أخرى، ويبين براعة الشاعر في الإفادة من أشكال الانزياح التركيبي لتحقيق انتظام القافية وإتمام الإيقاع الخارجي المرتبط بالقافية أصلاً. ويحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما العلاقة بين الانزياح التركيبي والإيقاع الخارجي؟

٢. كيف يؤثر الانزياح في انتظام القافية؟

٤. كيف وظف الشاعر حمزة شحاتة عناصر الانزياح التركيبي في الوصول إلى

انتظام القافية؟

ويهدف هذا البحث إلى بيان العلاقة بين الانزياح عموماً والانزياح التركيبي خصوصاً والقافية، وبيان الكيفية التي يستفيد الشعراء خلالها من الانزياح التركيبي للوصول إلى انتظام القافية، كما يهدف إلى الكشف عن أبرز مظاهر الانزياح التركيبي التي لها علاقة مباشرة بالقافية، ويسعى لتطبيق ذلك كله على ديوان حمزة شحاتة. ويسير هذا البحث وفقاً لخطوات المنهج الأسلوبي، انطلاقاً من استقراء المادة الشعرية من ديوان الشاعر، ومن ثم ترتيبها وتبويبها وفقاً لأجزاء البحث، ثم تحليلها تحليلاً مناسباً، وصولاً إلى النتائج.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات السابقة التي تحدثت عن الانزياح بصفة متخصصة، ناهيك عن الدراسات الكثيرة التي تناولت في بعض أجزائها حديثاً عن الانزياح، ومن بين هذه الدراسات لا حصرًا:

دراسة فهد حماد التميمي عام ٢٠٢٣م، بعنوان: الانزياح التركيبي في شعر بشير الخارجي، المنشور في مجلة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، حيث تحدثت الدراسة عن بعض أشكال الانزياح التركيبي، وطبقت ذلك على شعر بشير الخارجي، ويتميز هذا البحث أنه يتحدث عن ديوان شعري آخر هو ديوان حمزة شحاتة.

دراسة عمر كفاوين عام ٢٠٢٣م، بعنوان: الانزياح التركيبي في شعر يحيى الغزال الأندلسي، المنشور في مجلة أبحاث اليرموك، تناول الحديث عن الانزياح التركيبي عموماً، ويقوم بتطبيق عناصره على مادة شعرية للشاعر يحيى الغزال الأندلسي، وهو

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

ما يختلف تماماً عن الميدان التطبيقي لهذا البحث.

دراسة شهيرة المراحل عام ٢٠١٤م، بعنوان: جماليات اللغة الشعرية: دراسة في شعر راشد عيسى، وهي رسالة ماجستير، وقد اشتملت على فصل عن الانزياح بأشكاله المختلفة، ويتميز البحث الراهن في أنه يتحدث عن شاعر آخر، ويركز البحث في الانزياح التركيبي فحسب.

دراسة وهيبة فوغالي عام ٢٠١٣م بعنوان: الانزياح في شعر سميح القاسم "قصيدة عجائب قانا الجديدة" أنموذجاً، وهي رسالة ماجستير، تتناول الحديث عن الانزياح عموماً، وتقوم بتطبيق عناصره على مادة شعرية للشاعر سميح القاسم، وهو ما يختلف تماماً عن الميدان التطبيقي لهذا البحث.

دراسة أحمد ويس عام ٢٠٠٥م، بعنوان: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، وهي دراسة تلتقي مع البحث الحالي في طبيعة الموضوع النظرية، حيث ركزت على الجوانب النظرية، في حين يتميز هذا البحث بأنه يتناول القضايا النظرية والتطبيقية معاً.

ولقد انقسم البحث إلى تمهيد ومبحثين، تناول الأول بيان العلاقة بين الانزياح التركيبي والإيقاع الخارجي، حيث إن القافية جزء من الإيقاع الخارجي، في حين تناول القسم الثاني الجانب التطبيقي على ديوان حمزة شحاتة ضمن عناصر: التقديم والتأخير، والحذف، والانزياح الإسنادي.

تمهيد:

التعريف بالشاعر: ولد حمزة شحاتة عام ١٩٠٨م، في حارة القشاشية في مكة، ونشأ وتربى في جدة لدى آل جمجوم، درس في مدارس الفلاح النظامية في جدة وكان متفوقا في درسه ومتقدما على سنه، التحق بمدارس الفلاح وواصل دراسته فيها حتى حصل على شهادة الثانوية منها، وكان واحدا ممن ابتعثهم مؤسس هذه المدرسة ومثيلتها في مكة المرحوم الحاج محمد علي زينل رضا للدراسة أو لاستكمالها في الهند، وكان في دراسته ينشئ بعض المقطوعات الشعرية، وينمي هذه الموهبة بالإدمان على قراءة دواوين الشعر وكتب النقد... تسلم أولى وظائفه الحكومية سكرتيرا للمجلس التجاري بمكة الذي كان يرأسه الشيخ سليمان قابل، ولم تطل مدة عمل حمزة بالمجلس التجاري فقد كان من النمط القلق الذي لا يستطيع الاستمرار، وكانت طموحاته وتطلعاته تدفعه إلى التغيير^(١).

كان حمزة شحاتة الشاعر والناثر مثار إعجاب معاصريه، ومن جاء بعدهم من الدارسين، فقد انطوى إنتاجه الشعري على فلتات إبداعية متميزة بشكل لافت، كما دلت خلاصاته الفكرية على عقلية نافذة تبين فلسفته في الحياة.

ترك لنا حمزة شحاتة تراثا شعريا التزم فيه بالشكل التقليدي المحافظ على التيار الاتباعي، لا من حيث الشكل العروضي فقط، بل من حيث المعاني والألفاظ

(١) ينظر: محمد علي مغربي، "أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري"، (ط ١)، دار تحامة للنشر بمكة، ١٩٨٤م)، ١٣٠.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيدى
والأخيلة، وكذلك كتب في الأشكال الشعرية الجديدة فكتب شعر التفعيلة منوعا بين
أغراضه فكان جل شعره ذاتيا في الغزل والشكوى، وله بعض القصائد في الوصف
والحكمة والهجاء، وبعض المطولات الموضوعية في الفلسفة والاجتماع^(١).

(١) ينظر: إبراهيم الفوزان، "الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد"، (ط ١، مكتبة
الخانجي بالقاهرة، ١٩٨١م)، ١٢٩٥.

المبحث الأول: الانزياح التركيبي وعلاقته بالإيقاع

يعد الانزياح عنصراً مهماً في تشكيل البنية الفنية للخطاب الأدبي، فهو ليس مجرد تحول دلالي، أو صوتي، أو تركيبى فحسب، بل إن دائرته أوسع من ذلك وأعمّ، مما يجعله أحد أهم الأدوات الفنية حضوراً عند النقاد والأدباء، باعتبار قدرته على الكشف عن نواح جمالية وفنية كبيرة، وباعتباره أداة لغوية رصينة يستعين بها الأديب لمنح خطابه الأدبي مظهراً فنياً أجود يتمكن المتلقي من تلمسه بصورة واضحة جلية.

أولاً: مفهوم الانزياح التركيبي:

تتعدد أشكال الانزياح، فالانزياح ليس شيئاً واحداً، فهناك الانزياح الدلالي الذي يعتمد على خروج المفردة عن دلالتها الأصلية تبعاً لخروج مصاحباتها اللغوية عن أساسها، وهناك الانزياح الإيقاعي والموسيقي، وهناك الانزياح التركيبي بأنواعه الإسنادية وغير الإسنادية، وفي جميع الأحوال فالانزياح حاضر في الخطاب الأدبي. أما مفهوم الانزياح عموماً فهو خروج عن اللغة المألوفة، وهذا تعريفه بأبسط صوره وأقل ألفاظه، ويقول أحمد ويس في تعريفه للانزياح: "استعمال المبدع للغة، مفردات وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر"^(١).

فالانزياح عموماً خروج عن اللغة المألوفة التي اعتاد عليها المتلقي، ومجيء الكلام على غير المألوف، ويسميه بعض النقاد أسماء أخرى كالانتهاك، والخطأ، والكسر، والغربة اللغوية، وغيرها من المصطلحات التي تشير إلى معنى واحد، بيد أن

(١) أحمد محمد ويس، "الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية"، (ط١)، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، (٢٠٠٥م)، ٧٠.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

مصطلح الانزياح أكثر تلك المصطلحات شيوعاً بين الأوساط النقدية^(١).

بمعنى، أن كل خروج عن اللغة المألوفة يعد انزياحاً، وذلك من منطلق أن المتكلم يزحزح التراكيب اللغوية عن طبيعتها، ونظامها الذي اعتاد عليه المتلقي.

ويهمنا في هذا البحث أحد أنواع الانزياح وليس جميعها، ألا وهو الانزياح التركيبي، إذ يعد الانزياح التركيبي خروجاً على تراكيب اللغة المألوفة، حيث يأتي التركيب على غير ما اعتاد عليه المتلقي، الأمر الذي يترتب عليه معنى جديد، أو غاية فنية جمالية. وهذا النوع من أنواع الانزياح مرتبط بمصطلح التركيب، فالتركيب عبارة عن علاقة تربط بين شيئين أو أكثر، كالتركيب الإسنادي القائم على علاقة المسند بالمسند إليه، ولكن هذا التركيب يخضع لعدد من التحولات التي يمكن أن نطلق عليها مصطلح "انزياح تركيبي" وذلك مثل التقديم والتأخير والحذف والعلاقات الإسنادية المتنوعة، والإسهاب والإطناب، فهذه الموضوعات وإن كانت من اختصاص علماء البلاغة، إلا أنها ذات اتصال وثيق بالعلوم اللغوية، وتتم معالجتها عبر مظاهر الانزياح المختلفة والمتنوعة^(٢).

وقد تأخذ التراكيب في اللغة العربية مظهراً شبيهاً بالأسلوب، حتى إنه يمكن إطلاق مصطلح أسلوب على بعض تلك التراكيب كالقديم والتأخير مثلاً، فإن هذه الحالة التركيبية تخضع لأسلوب لغوي يقوم على أساس الخروج عن القاعدة اللغوية الاعتيادية^(٣)، وهو ما يمثل شكلاً من أشكال الانزياح التركيبي الذي سيقوم هذا

(١) سوزان حماد الطراونة، "جماليات الانزياح في الأعمال الشعرية للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد"، (رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٨م)، ٦-٧.

(٢) تمام حسان، "اللغة العربية معناها ومبناها"، (ط٥، عالم الكتب، ٢٠٠٦م)، ١٨.

(٣) كمال بشر، "دراسات في علم اللغة"، (ط١، عمان - الأردن، دار غريب للطباعة والنشر، د.ت)، ٢٦٢.

البحث بالحديث عنه.

من هنا فإن أي خروج عن القاعدة اللغوية الأصيلة يمكن أن نطلق عليه مصطلح انزياح تركيب، انطلاقاً من كون التركيب لم يأتِ وفقاً للأسس المعيارية التي تسير عليها اللغة، ولم يأتِ وفقاً لما اعتاد عليه المتلقي في هذا الإطار، ولكن ربما يتبادر للقارئ سؤال: ما العلاقة بين هذا الانزياح والموسيقى الخارجية؟ وما العلاقة بين الانزياح والقافية بصفة عامة؟ من هنا جاء هذا البحث ليبين ذلك، ويفسر الكيفية التي وظفها الشاعر في سبيل الإفادة من وسائل الانزياح التركيبي للوصول إلى انتظام القافية باعتبارها جزءاً من الإيقاع الخارجي، ولكن قبل التطبيق نبين علاقة الانزياح بالإيقاع والقافية.

ثانياً: علاقة الانزياح بالإيقاع والقافية:

اتضح في الفقرات السابقة المقصود بالانزياح، وهناك نوع من الانزياح يسمى الانزياح الإيقاعي أو الموسيقي، وهو ليس مدار بحثنا هنا، إنما بحثنا في دور الانزياح في تحقيق جمالية انتظام الإيقاع الخارجي تحديداً، والقافية على وجه الخصوص. يعد الإيقاع بهذا اللفظ والمعنى مأخوذاً من اليونانية القديمة، وتعني هذه الكلمة الجريان أو التدفق، ومن ثم أخذ يشير هذا المصطلح إلى ما يجري من تتابعات وتكرارات منتظمة مع الأخذ في الاعتبار تساوي الزمن بين كل نقلة وأخرى، ثم أصبح المعنى مرتبطاً بكل تتابع تكراري مرتبط بالزمن، سواء أكان في حقل الموسيقى والفن، أم في غيرها من الحقول الأخرى^(١).

(١) مجدي وهبة، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، (ط٢)، بيروت - لبنان: مكتبة لبنان، (١٩٨٤م)، ٧١.

ومحمد صابر عبيد، "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات"، (ط١)، دمشق - سوريا: اتحاد الكتاب العربي،

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

وينقسم الإيقاع عموماً إلى نوعين اثنين، يسمى أحدهما الإيقاع الخارجي، ويسمى الآخر الإيقاع الداخلي، إذ يهتم الخارجي بالحديث عن الأوزان الشعرية والبحر العروضي، والقافية، والروي، في حين يهتم الداخلي بالحديث عن العلاقات الداخلية الأكثر عمقاً بين العناصر الشعرية الحاضرة في القصيدة، فيبحث في علاقات التوازي، والتشاكل، والتجانس، والتكرار، والتناسب بين الأصوات، فكلها عناصر داخلية تكفل للقصيدة أو البيت الشعري مزيداً من الإيقاع والموسيقى، وهذا الفصل بين نوعي الإيقاع لا يعني فصلاً صارماً حاسماً بينهما، بحيث يمكن فصل الإيقاع الخارجي عن الإيقاع الداخلي، بل هو فصل لمجرد الدرس فحسب، أما في حقيقة الأمر فإن هذين النوعين مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، وكل منهما يكمل الآخر، وليس من المعقول الفصل بينهما فصلاً تاماً^(١).

من هنا فإن امتزاج الإيقاع الخارجي بالإيقاع الداخلي يمنح القصيدة موسيقاها، ويؤدي كل من هذين النوعين وظيفته الخاصة به، وفي هذا البحث فإن تركيزنا منصب على الإيقاع الخارجي، نظراً أن القافية جزء من الإيقاع الخارجي، إذ يهتم هذا النوع من نوعي الإيقاع بالأوزان الشعرية العروضية، والتفعيلات الشعرية، كما يهتم بالقافية والروي، فهذه كلها عناصر إيقاعية خارجية^(٢).

بمعنى أن القافية جزء من الإيقاع الخارجي، والقافية كما هو معلوم عنصر

=

١٦، (٢٠٠١م).

(١) انظر: محمد لطيفي اليوسفي، "في بنية الشعر العربي المعاصر"، (ط١، تونس: دار سراس للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م)، ١٤٢.

(٢) ماهر هاشم عبد الله، "بناء القصيدة في شعر بشرى البستاني"، (رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، مصر، ٢٠٢١م)، ٦٢.

أساسي في القصيدة الخليلية، بل لا يمكن وصف الكلام بأنه شعر إلا بوجود القافية على حد تعبير النقاد القدماء، وقد اختلف في تعريفها، فهي عند الخليل على سبيل المثال: من آخر حرف في البيت، إلى أول ساكن يليه، مع المتحرك الذي قبل الساكن، أما الأخفش فهي عنده آخر كلمة في البيت بصرف النظر عن التفاصيل التي ذكرها الخليل، وقد سُميت قافية لأنها تقفو البيت، أو لأن الشاعر يقفو بها البيت، فهي قافية بمعنى مقفية^(١).

والقافية تمنح القصيدة إيقاعاً خارجياً، وذلك انطلاقاً من طبيعة تكرارها في آخر كل بيت، فما هي إلا ترديد وتكرار لمجموعة من الأصوات في خاتمة كل بيت، حيث يصير المتلقي في لحظة ما قادراً على توقعها، ومستحضراً لموضعها في ذهنه، مما يمنح البيت مزيداً من الإيقاع والموسيقى، ويجعل الكلام الشعري أكثر متعة، وهو ما لا يمكن تحقيقه دون القافية، فهي وسيلة فنية لمنح البيت الشعري عنصراً موسيقياً متميزاً^(٢).

وترتبط فكرة هذا البحث بين الانزياح من جهة، والقافية من جهة ثانية، إذ قد يلجأ الشاعر إلى إزاحة الألفاظ والتراكيب بصورة ما لإيصال الكلمة المناسبة إلى قافية البيت، بمعنى أنه يوظف الانزياح التركيبي لخدمة القافية، وليحافظ على وجودها في المكان المناسب لها، ولولا وجود العلاقات التركيبية المرتبطة بالانزياح لما استطاع الشعراء فعل ذلك، والمبحث الثاني من هذا البحث يبين الجانب التطبيقي لهذه الفكرة.

(١) وهبة، "معجم المصطلحات العربية"، ٢٨٢.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس، "موسيقا الشعر"، (ط٥، القاهرة - مصر: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨١م)، ٢٤٦.

المبحث الثاني: عناصر الانزياح التركيبي وأثرها في انتظام القافية

يظهر الانزياح التركيبي عبر مجموعة من التحولات التي تطرأ على تركيب الجملة في العربية، سواء عبر التقديم والتأخير، أم عبر الحذف، أم عبر الانزياح الإسنادي، وهو انزياح يرتبط بإسناد الشيء إلى ما ليس له، فيكون بذلك وخروجاً عن اللغة الاعتيادية، ويأتي هذا المبحث للكشف عن أثر عناصر الانزياح هذه في انتظام القافية، وبيان الكيفية التي أفاد فيها الشاعر من هذه العناصر لجلب القافية إلى موضعها بصورة فنية لا مألوفة.

أولاً: التقديم والتأخير:

لا يمكن حصر باب التقديم والتأخير في الجوانب التركيبية النحوية فحسب، بل إن البلغاء والنقاد العرب القدماء قد أشاروا إلى ما في هذا الباب من جمال، وما يتميز به من ميزات حسنة، وأشكال تركيبية بديعة، إذ لا يمل القارئ في هذا الباب من جماله وحسن ما يشتمل عليه، هذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حينما تحدث عن التقديم والتأخير^(١).

أما المتكلم إذا جاء بالكلام وفقاً لنظام من التقديم والتأخير، فإنه لا يقصد منه مجرد تحويل التركيب عن هيئته فحسب، بل لا بد من فائدة يروجها، وغاية يحققها، فإما أن تكون الغاية لفظية، عبر لفت انتباه المتلقي للفظ بعينه، وإما أن تكون الغاية دلالية كتخصيص ما يتقدم بدلالة معينة دون غيرها، وفي بعض الحالات يأتي التقديم

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣)، القاهرة - مصر: مطبعة المدني، وجدة - السعودية: دار المدني، ١٩٩٢م)، ١٠٦.

والتأخير لتحقيق الغايتين معاً، وهذا ما يحاول البلغاء والأدباء الوصول إليه^(١). وقد يأتي التقديم والتأخير لغاية جمالية فنية إبداعية، وذلك عبر تقريب الألفاظ المتجانسة من بعضها، فقد لا تكون تلك الألفاظ المتجاورة هي الأمثل من بين سائر الألفاظ الأخرى، ولكن مجاورتها اللفظية لما يشاكلها ويجانسها من الألفاظ هو السبب في تقريبها وذكرها، وهو ما يمنح العبارة مزيداً من الجمال والتنميق اللفظي^(٢). ويظهر التقديم والتأخير في النصوص النثرية والشعرية على حد سواء، إلا أنه في الشعر أوضح وأبين؛ وذلك لحرص الشاعر على متابعة الوزن والتفعيلات، يقول أحمد الشايب مبيناً ذلك: "تراكيب الشعر أكثر حرية في تأليف كلماتها من حيث التقديم والتأخير، وذلك ناشئ عن قصد التوفيق بين وزن الشعر وحركات العبارة فتبدو الجمل في نظام غير طبيعي؛ على أن شيئاً من ذلك قد يكون لغرض معنوي أو فني كالقصر أو التفاؤل. أما النثر فلا يخرج نظم الكلام فيه عن الأصل إلا لباعث معنوي"^(٣). إن هذا الكلام يقودنا إلى فكرة هذا البحث، وهي أن التقديم والتأخير المرتبط بالانزياح التركيبي يأتي لخدمة القافية، ولأجل حرص الشاعر على انتظامها، وذلك ما سيظهر في النماذج الشعرية الآتية. يقول الشاعر^(٤):

(١) انظر: أحمد بن مصطفى بن إبراهيم الهاشمي، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع"، ضبط وتوثيق وتدقيق: يوسف الصميلي، (صيدا - بيروت - لبنان: المكتبة العصرية، د.ت)، ١٢٣.

(٢) انظر: عز الدين إسماعيل، "الأدب وفنونه دراسة ونقد"، (القاهرة - مصر: دار الفكر العربي، د.ت)، ٩٦.

(٣) أحمد الشايب، "الأسلوب"، (ط ١٢، القاهرة - مصر، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م)، ٦٩.

(٤) حمزة شحاتة، "ديوان حمزة شحاتة"، محمد علي المغربي، وعبد المجيد شبكشي، (ط ١، جدة:

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

ماذا يَصُدُّكَ عن هَوَايَ وَدُونَهُ نَجْوَى ضَمِيرِكَ - إِذْ تَقُولُ - وَمَوْثِقِي؟

يخاطب الشاعر في هذا البيت الشخص الذي يكيل له العتاب على ما جرى بينهما من سوء المعاملة، ثم إنه يبين له أنه ما الذي يصده عن هواه وعن موثقه، ودونه نجوى ضميره، ولكن ما يلفت الانتباه في هذا البيت الشعري ما يتعلق بالتقديم والتأخير، فإن كلمة "وموثقي" التي جاءت في قافية البيت تعرضت للتأخير عن موضعها، فالأصل في الكلام: ماذا يصدك عن هواي وموثقي ودونه...، فأخر الشاعر هذه الكلمة لتكون آخر البيت في موضع القافية، وهذا انزياح تركيبى بين مفردات التركيب الشعري ضمن البيت، والغاية منه تحقيق انتظام القافية، باعتبارها جزءاً مهماً من الموسيقى الخارجية، فقد وظّف الشاعر هذا النمط من الانزياح التركيبى للوصول بكلمة "موثقي" إلى قافية البيت، وحضور حرف الروي في موضعه، انطلاقاً من كونه شرطاً في الشعر الخليلي، فاستفاد من أدوات اللغة التركيبية لتحقيق هذا الهدف عبر الانزياح التركيبى، ناهيك عن الناحية الفنية الجمالية التي برزت عبر تحويل عناصر التركيب عن موضعها بما يخدم الجانب الموسيقى والفني.

ويقول كذلك في موضع آخر^(١):

هانتْ عليكَ مَوَاجِعِي فَنَسِيتُهَا أَمْ كُنْتَ فِي مَسْعَاكَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ؟

يتابع الشاعر في هذا البيت عتابه للشخص الذي يخاطبه، ويبين له أنه قد هانت عليه مواجهه، بل إنه لم يكن موفقاً في مسعاه، وعند تأمل الشطر الثاني من البيت نجد أنه خضع لبعض مظاهر التقديم والتأخير، فالأصل أن يقول: أَمْ كُنْتَ غَيْرَ

=

دار الأصفهاني للطباعة، ١٩٨٨م)، ٢٣.

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٢٣.

موفقٍ في مسعاك، لأن شبه الجملة: "في مسعاك" متعلق بـ "موفق" وبالتالي فإن رتبة المتعلق به قبل رتبة المتعلق، كما أن "غير موفق" خبر "كنت" وبالتالي فإن رتبته قبل رتبة المتعلق، هذا كله توضيح للهيئة التركيبية التي يجب أن يكون عليها الكلام، إلا أن الشاعر أفاد من عناصر هذا التقديم والتأخير بدافع الحفاظ على رتبة القافية، فلو أتى بالكلام على حاله لانكسرت القافية، وهو ما لا يناسب الشعر الخليلي، فما كان منه إلا أن أزاح المفردات تركيبياً عن مواضعها للوصول بها إلى هذه الحالة التركيبية القادرة على خدمة الموسيقى الخارجية عموماً والقافية تحديداً.

ويقول في موضع آخر أيضاً^(١):

وَعَسَلْتُ فِي دَمْعِ النَّدَا مَـةً مِنْ نَجَاسَتِهِ رِدَائِي

يظهر التركيب الأصيل في هذا البيت على هذا النحو: وغسلتُ ردائي في دمع النجاسة...، بمعنى أن المفعول به قد تأخر عن موضعه كثيراً، فجاء بعد أشباه الجمل التي جاءت بعد الفعل والفاعل، فإن رتبة المفعول به أولى من شبه الجملة، بمعنى أن الشاعر قد أزاح العناصر التركيبية عن مواضعها للوصول بالمفعول به إلى آخر البيت، مراعاة للقافية والروي المتمثلان في كلمة "ردائي"، حيث استطاع عبر هذا الانزياح التركيبي من تحقيق قدر وافر من الإيقاع الخارجي عبر المحافظة على القافية، إذ أسهم الانزياح التركيبي بصورة مباشرة في تحقيق هذا الهدف، ومنح الشاعر فرصة لتحويل عناصر التركيب عن مواضعها بهدف تحقيق هذه الغاية الإيقاعية المهمة.

ويقول في موضع آخر كذلك^(٢):

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٧١.

(٢) شحاتة، "ديوانه"، ١٣١.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

بَثَّ الشَّرَاكَ بِقَلْبِي يَوْمَ فِتْنَتِهِ بِفَرِيَةٍ مِنْ كِذَابِ الْحُسْنِ تُخْتَلَقُ

عند تأمل هذا البيت الشعري، نجد أن الشاعر قد أحرَّ الفعل "تُخْتَلَقُ" إلى آخر البيت، بمعنى أنه جاء به في قافية البيت، محافظاً على صوت الروي من جهة، وحركته من جهة ثانية، وهذا التحول ناشئ عن الانزياح التركيبي المرتبط بتأخير بعض الكلام على بعض، فالأصل أن يقول: بفريَةٍ تُخْتَلَقُ من كِذَابِ الحُسْنِ، لأن الفعل "تُخْتَلَقُ" وفاعله جملة في موضع الوصف لكلمة "فريّة" وبالتالي فقد فصل الشاعر بين الصفة والموصوف، والأصل أن تكون الصفة بعد موصوفها مباشرة، إذ هكذا تقتضي رتبة الكلام وترتيبه، إلا أن الشاعر لجأ للانزياح التركيبي ليأتي بالفعل "تُخْتَلَقُ" في موضع القافية، فيتحقق بذلك انتظامها، ويحافظ على موسيقى البيت الشعري الخارجية، وهو هدف بالغ الأهمية بالنسبة للشعراء في الشعر الخليلي.
كما يقول أيضاً^(١):

وما الدُّنيا سوى مرعى خَصِيبٍ تَرَدَّدَ في مرَاتِعِهِ القَطِيعُ

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن رؤيته الشخصية للدنيا، ويبين أنها مرعى خصيب، تردد القطيع في مراتعه، إلا أنه لم يأت بالكلام على ترتيبه التركيبي المعتاد، فالأصل أن يأتي الفاعل قبل شبه الجملة، أي: تردد القطيع في مراتعه، ولكن ما أتاحه الانزياح التركيبي للشاعر جعله يؤخر بعض مكونات الملفوظ على بعضها، بقصد الوصول بكلمة "القطيع" إلى موضع القافية، فتتناسب بذلك مع ما سواها من الأبيات في القافية والروي، إذ أملت القافية على الشاعر تأخير هذا اللفظ حتى تنتظم القافية، هذا يعني أن الشاعر قد استفاد من الانزياح التركيبي في سبيل الوصول إلى

(١) شحاتة، "ديوانه"، ١٧٩.

انتظام القافية، وهو ما يجعل البيت الشعري متفقاً موسيقياً مع الأبيات الأخرى، ومشتماً على قدر وافر من الجمال الفني المرتبط بالتحويلات التركيبية. كما يقول في موضع آخر^(١):

أَوَاهُ! مَا كَانَتْ سِوَى حِيلَةٍ أَجَرَهَا لِلصَّحْبِ، الصَّاحِبُ

عند النظر في هذا البيت الشعري فإنه لا يخفى على الناظر أن كلمة "الصاحب" قد تأخرت عن موضعها، فكان الأولى بالشاعر أن يقول: أجرها الصاحب للصحب، باعتبار أن رتبة الفاعل قبل رتبة شبه الجملة المتعلقة بالفعل، ولكن لو أتى الشاعر بالتركيب على هذا النحو فإنه سيفقد القافية التي تسير عليها القصيدة، فلجأ إلى الانزياح التركيبي المتمثل بزحزة عناصر الكلام عن موضعها، وتأخير الفاعل عن موضعه حتى تتفق القافية، وينتظم الإيقاع، وهو هدف إيقاعي موسيقي استطاع الشاعر من تحقيقه بمعونة الانزياح التركيبي المتمثل بالتقديم والتأخير. وفي موضع آخر يقول أيضاً^(٢):

وَأَنَّ لِبَاعَةِ الرُّؤَسَاءِ سِحْرًا يُبْلَغُ مَنْ يُطِيفُ بِهِ السَّحَابَا

عند النظر في هذا البيت الشعري يظهر أن الشاعر قد أخر المفعول به عن موضعه الأصل، فإن الأصل أن يقول: يبلغ السحاب من يطيف به، إلا أنه كان مقيداً بقيد القافية، فإنه حريص على أن يأتي بكلمة في آخر البيت تناسب القافية التي يسير عليها، فما كان منه إلا أن أخذ بالانزياح التركيبي، وقام بتغيير مواضع الكلم في البيت حتى يصل بكلمة "السحاب" إلى آخر البيت، فتكون في موضع

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٣٠٣.

(٢) شحاتة، "ديوانه"، ٣١٨.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد
القافية، وهو ما يحقق له انتظام القافية من جهة، واتساق الموسيقى الخارجية من جهة
ثانية، وبالتالي استطاع تحقيق ذلك عبر عناصر الانزياح التركيبي المرتبط بالتقديم
والتأخير.

ويقول كذلك في موضع آخر^(١):

سُبْحَانَ وَاهِبِ هَذَا الضَّعْفِ سَطْوَتُهُ فِي غَائِصٍ مِنْ فُضُولِ الْمَاءِ ضَحْضَاحٍ

يظهر التقديم والتأخير في هذا البيت عند كلمة "ضحضاح" فإن موضعها
القياسي بعد كلمة "غائص"، أي: في غائص ضحضاح من فضول الماء، ولكن لو أن
الشاعر أتى بالتركيب على هذا النحو **لن** يحافظ على القافية الشعرية، ولن يحافظ
على الموسيقى والإيقاع المرتبطان بهذه القافية؛ لذا وجد في عناصر الانزياح التركيبي
وسيلة لتبديل مواضع الألفاظ، وتحويلها عن مظهرها القياسي حتى تنتظم له القافية،
وهو ما أفاد منه الشاعر بصورة واضحة ومباشرة في البيت السابق.

إن النماذج الشعرية التي تمثل الانزياح التركيبي المتعلق بالتقديم والتأخير كثيرة جداً
عند الشاعر حمزة شحاتة وعند غيره من الشعراء، إذ إن الشاعر كثيراً ما يعتمد على هذا
الشكل التركيبي لتحقيق انتظام القافية، والنماذج السابقة أثبتت ذلك، وأبانت عن دور
الانزياح التركيبي في انتظام القافية، ورتابة الموسيقى الخارجية المرتبطة بها.

ثانياً: الحذف:

لا يقل الحذف أهمية عن التقديم والتأخير في ميدان الانزياح التركيبي، انطلاقاً
من كون الحذف يحد ذاته خروجاً عن اللغة المألوفة، والمجيء بالكلام على غير ما اعتاد
عليه المتلقي، وهي ميزة في العربية ذكرها القدماء، وأثنى عليها المحدثون.
ولقد أشار الجرجاني إلى جمال هذا الباب في العربية، إذ يقول: "باب دقيق

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٣٣١.

المسلك، لطيف المأخذ، يكاد يصل في مرتبته إلى مرتبة السحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين. وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر" (١).

ويأتي الحذف في العربية لغايات كثيرة، فهو ليس مجرد تحوّل طارئ على بنية التركيب اللغوي، بل هناك ما يبرر وجوده، ومن أهم تلك الغايات الدلالية الإيجاز، فالإيجاز غاية يسعى إليها المتكلم، وكلما كان المتكلم موجزاً في كلامه، كلما اتصف بالبلاغة والفصاحة، من هنا كان الإيجاز أحد أهم الفوائد التي تجنيها اللغة من الحذف (٢)، ومن الغايات التي يأتي الحذف لأجلها الاحتراز عن العبث بترك ما لا ضرورة لذكره، ويكون ذلك عند حذف المسند إليه تحديداً، ويقع هذا الشكل من الحذف لتحقيق هذه الغاية عند حذف جواب الاستفهام، كما يأتي بعد الفاء الواقعة جواباً للفاء، كقول القائل: من درس فلنفسه، والتقدير: كانت دراسته لنفسه، كما يأتي كذلك بعد جملة مقول القول، وبعد القطع والاستئناف، وغيرها من المواضع التي ذكرها البلاغيون وأشاروا إليها (٣).

ولكن هل يقتصر الحذف على أركان الإسناد فحسب؟

لا تقف حدود الحذف البلاغية والجمالية عند الأركان الإسنادية فحسب، بل تظهر القيمة الجمالية للحذف سواء أكان المحذوف ركناً من أركان الإسناد، أم فضلة

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١١٢.

(٢) انظر: عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة"، (ط ١٧)، القاهرة - مصر: مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، ٢: ٣٣٥.

(٣) أحمد مطلوب، "أساليب بلاغية: الفصاحة البلاغية المعاني"، (ط ١)، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م، ١٦٠ - ١٦٣.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد في التركيب، فالمهم أن يشتمل الكلام على قرينة دالة على حذف عنصر من عناصر هذا التركيب^(١).

وتتحقق الغاية من الحذف إذا منح العبارة مزيداً من الجمال، وجعلها أكثر إبداعاً ورونقاً، فهو ليس مجرد وسيلة عشوائية لتغيير العبارة، أو التقليل من مكوناتها، بل هو وسيلة لإظهار جماليات اللغة، وجعل المتلقي أكثر انجذاباً لتلك العبارة، بمعنى أن العبارة المشتملة على الحذف أكثر جمالاً وإبداعاً من العبارة التي لا تشتمل عليه^(٢).

"إن هذا الحذف كما كان يُسمى عند البلاغيين القدماء، وبعض المحدثين ما هو إلا انزياح، بمعنى أن العبارة التركيبية تأتي على غير مظهرها المعتاد، إذ تختلف فيها عناصر التركيب، ويتغير نظام العبارة ومحتواها اللفظي، إلا أن دلالتها تبقى واضحة للمتلقي، خاصة إذا كان الحذف واضح الغاية، يبين المظهر"^(٣).

وسيتناول هذا الجزء من البحث الحديث عن أثر الحذف باعتباره مظهراً من مظاهر الانزياح التركيبي في انتظام القافية عند الشاعر حمزة شحاتة. يقول^(٤):

حَسْبِي بِمَا حَمَلَ الْفَوَؤُذُ وَمَا لَقِي
كَمْ ذَا أَصَانَعِ فِي هَوَاكَ وَأَتَقِي؟

(١) عبد العزيز عتيق، "علم المعاني"، (ط١، بيروت - لبنان: دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م)، ١٢٢.

(٢) محمد محمد أبو موسى، "خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني"، (ط٧، القاهرة - مصر: مكتبة وهبة، د.ت)، ١٥٣.

(٣) الطراونة، "جماليات الانزياح في الأعمال الشعرية للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد"، ٥٨.

(٤) شحاتة، "ديوانه"، ٢٣.

عند النظر في آخر هذا البيت الشعري، فإننا نجد الشاعر قد اختتمه بالفعل "أتقي" وهو فعل متعديّ، يأخذ مفعولاً به، ففي اختيار الكلام يقول القائل: أتقيك، أو أتقي شيئاً ما، وهكذا، إذ تفرض طبيعة هذا الفعل على المتكلم أن يأتي بمفعول به، حتى يكتمل التركيب، وصحيح أن المفعول به فضلة، إلا أنه ضرورة في تمام الفائدة والدلالة، وهو ما لا نجده في هذا البيت الشعري، فقد أفاد الشاعر من الانزياح التركيبي المرتبط بالحذف، فحذف المفعول به المفترض مجيئه بعد الفعل "أتقي"، ولكن هذا الحذف لم يكن عشوائياً، إنما كان بقصد تحقيق فائدة إيقاعية مرتبطة بانتظام القافية، فلو أتى الشاعر بالمفعول به لاختلقت القافية، وضاع الإيقاع، وهو ما لا يصح في الشعر، من هنا أفاد الشاعر من هذا النمط التركيبي، واستطاع تحقيق مستوى أعلى من الإبداع والجمال المرتبطين بتحقيق الرتبة الموسيقية الإيقاعية عبر بقاء القافية منتظمة.

ويقول الشاعر في موضع آخر^(١):

وَأَمَانِيْ فُوَادٍ مُثَخِّنٍ ضَاعَتْ... وَضَاعُ

يبين الشاعر في هذا البيت ما كان من ضياع الأمانى، فقد ضاعت الأمانى وضاع الفؤاد المرتبط بها، وقد اعتمد الشاعر على الانزياح التركيبي المرتبط بالحذف، وذلك أن قوله: ضاعت وضاع، حُذِفَ الفاعل من هذين الفعلين، فالأصل: ضاعت هي وضاع هو، أو: ضاعت الأمانى، وضاع الفؤاد، ولكن هذا الأصل المفترض لم يأت به الشاعر، بل جاء بالكلام مشتملاً على حذف، بقصد منح العبارة الشعرية فرصة لانتظام القافية، وبقاء الإيقاع الخارجي مستوياً على طبيعته، مما يترتب عليه جمال البيت الشعري وحسن صياغته، فقد أفاد الشاعر هنا من عناصر الانزياح التركيبي المرتبطة بالحذف في سبيل تحقيق الغاية الإيقاعية

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٦٥.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

للقافية والروي على حد سواء.

ويتابع الشاعر قوله في موضع آخر^(١):

خاف الهزيمة فيما راح يأملُه مَيّ، وكنتُ عَيْنِدَ القلبِ، لا أثقُ

يختتم الشاعر هذا البيت الشعري بقوله: لا أثق، وعند تلقي هذا الفعل يتبادر لذهن المتلقي السؤال: لا يثق بماذا؟ بمعنى أن هناك شيئاً محذوفاً من الكلام، ألا وهو الجار والمجرور المتعلقان بالفعل "أثق"، إذ بهما يكتمل المعنى، وتقدير الكلام: لا أثق بأحد، غير أن الشاعر أثر الانزياح التركيبي المرتبط بالحذف لبناء التركيب اللغوي، حيث استطاع عبر عنصر الحذف من تحقيق فائدة موسيقية إيقاعية تمثلت بانتظام القافية على وجهها المطلوب، إذ وافقت القافية في هذا البيت ما سواه من الأبيات الأخرى، وهو الهدف المقصود الذي حققه الشاعر عبر الانزياح التركيبي من طريق الحذف.

ويقول كذلك في موضع آخر^(٢):

واسْخَرِي، يا قُيُودُ! مِنْهُ، إِذَا هَمَّ حِرَاناً عَلَى الإِسَارِ، وضيقي

عند تأمل هذا البيت الشعري، وتحديداً القافية، نجد أن الشاعر قد أتى بكلمة "ضيقي" في موضع القافية، وهو يخاطب القيود عبر هذا الفعل، وكما كان الفعل "يسخر" محتاجاً إلى شبه جملة حاضرة في البيت، وهي "منه"، فكذلك الفعل "ضيقي" يحتاج لشبه جملة كي يتم معناه، شبه جملة تمثل متعلقين بالفعل، ألا وهي: عليه، فتقدير الكلام: وضيقي عليه، ولكن لو أتى الشاعر بهذا التركيب على هذا النحو فلن يكون البيت مستقيماً لا وزناً ولا قافية، مما دفعه للإفادة من الانزياح التركيبي المتعلق بالحذف، فاستطاع تبعاً لذلك من تحقيق غايته الإيقاعية الموسيقية

(١) شحاتة، "ديوانه"، ١٣١.

(٢) شحاتة، "ديوانه"، ٢٦٠.

بانتظام القافية في البيت، ومن جهة أخرى فقد منح الحذف هذا البيت قدراً وافراً من الجمال الفني، باعتبار إحساس المتلقي بانتهاك القاعدة القياسية التي اعتاد سماعها مرتبطة بهذا الفعل.

ويتبين من خلال ما سبق أن الشاعر قد أفاد من عنصر الحذف في الانزياح التركيبي للوصول إلى انتظام القافية، غير أن اعتماده على الحذف في تحقيق هذه الغاية لم يكن بالكمية التي اعتمد بها على التقديم والتأخير؛ لأن التقديم والتأخير أكثر مرونة من الحذف، وبالتالي فهو أكثر ملاءمة للقافية وما يتعلق بها، ولكن لم يمنع ذلك من حضور الحذف باعتباره عنصراً انزياحياً تركيبياً أفاد منه الشاعر في سبيل الوصول إلى انتظام القافية، واتفاق الإيقاع الخارجي، لتكتمل بذلك القيمة الموسيقية للبيت الشعري.

ثالثاً: الانزياح الإسنادي:

تتكون اللغة العربية من نوعين من الجمل هما: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، ويتكون كل نوع من هذين النوعين من ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، وما سواهما في الجملة يعد فضلة، بالتالي فإن تحليل الجملة العربية يبدأ من المسند والمسند إليه، ثم ينتقل إلى الفضلات^(١).

وقد أشار سيبويه منذ بدايات الدرس اللغوي إلى العلاقة الوثيقة بين المسند والمسند إليه، فإنهما ركنان لا يستغني كل منهما عن الآخر، نحو: عبدُ الله أخوك، وذهب زيدٌ، ففي هاتين الجملتين لا بد من وجود هذين الركنين الإسناديين^(٢).

(١) رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، (ط٣)، القاهرة - مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م)، ١٩٥.

(٢) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣)، القاهرة - مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ١: ٢٣.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيدى

إذ لا تستغني الجملة العربية عن ركنيها الإسناديين: المسند والمسند إليه، بل لا بد لأي جملة من وجود هذين الركنين، وإذا خلت من أحدهما فإنها لا تعود جملة، بل تصبح قولاً لا معنى له، ويأتي الفعل في الجملة الفعلية مسنداً، في حين يسمى الفاعل أو ما ينوب عنه مسنداً إليه، أما الجملة الاسمية فالأمر معكوس، فالمبتدأ مسند إليه، والخبر مسند، ويرتبط هذان الركنان ببعضهما عبر علاقة تركيبية يمكن تسميتها بالعلاقة الإسنادية، ناهيك عن مجموعة أخرى من العلاقات التي تنظم طبيعة الترابط بين المسند والمسند إليه^(١).

وتبعاً لنوعي الإسناد في العربية فإن الجملة الاسمية والجملة الفعلية تتكونان من مسند ومسند إليه، بصرف النظر عن ترتيبهما، فالجملة الاسمية هي ما بدأت باسم حقيقة أو تقديرًا، كاجمل المصدرة بـ "كان" وأخواتها، و"إن" وأخواتها، فهي في أصلها اسمية، ولا تخرج عن طبيعتها حتى بدخول النواسخ عليها، أما الجملة الفعلية فهي التي تبدأ بفعل أصالة، حتى لو تقدم المفعول به أو أي شيء من الفضلات، نحو: زيداً ضربت، ومسرعاً وصلت إلى البيت، فهذه الجمل وإن بدأت باسم، إلا أن الأصل فيها أنها بدأت بفعل لا باسم^(٢).

وقد سمي المسند والمسند إليه بالمركب الإسنادي لسببين اثنين، الأول: أنه يصح السكوت على تمامهما، وبالتالي يكتمل المعنى باكتمال وجود المسند والمسند إليه، والثاني: أن كل منهما يدل على جزء من المعنى، وبتركيبهما معاً يكتمل المعنى المرتبط بالجملة، من هنا سمي هذان العنصران بمركب إسنادي^(٣).

(١) تمام حسان، "مناهج البحث في اللغة"، (ط ١)، القاهرة - مصر، مكتبة الإنجلو المصرية، د.ت، ٢١٨.

(٢) انظر: حسان. "اللغة العربية معناها ومبناها"، ١٩٤.

(٣) علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني، "التعريفات"، تحقيق مجموعة من المحققين، (ط ١)،

أما فيما يتعلق بالانزياح الإسنادي، فقد يكون بتقديم شيء من المسند والمسند عليه على الآخر، وهو ما يدخل في باب التقديم والتأخير السابق، أو بحذف أحد هذين الركنين، وهذا يدخل كذلك في باب الحذف السابق الذكر، أو ما يكون عبر إسناد الشيء إلى ما لا يصلح له في أصل اللغة، كإسناد الإشراق إلى الوجه، وزيد إلى الأسد، فالأصل في اللغة ألا يُسند هذا لذلك، إلا أن العلاقة غير المألوفة بين مكونات الكلام حولت التركيب عن أصله، وهو ما يختص بالانزياح الإسنادي، وهو مدار التحليل في هذا الجزء.

يقول الشاعر^(١):

لَمْ يَكُنْ بِالْيَسِيرِ صَبْرِي عَلَى عَسْءٍ فِكَ لَوْ أَنَّني طَلَيْقُ الْوِثَاقِ

يظهر الانزياح الإسنادي في قوله: أنني طليق الوثاق، حيث أسند "طليق الوثاق" إلى ياء المتكلم، فإاء المتكلم مسند إليه، و"طليق الوثاق" مسند، وبالتالي جاء الشاعر بالمضاد إليه "الوثاق" كي تتناسب مع القافية، إذ كان يكفيه أن يقول: أنني طليق، وكفى، إلا أن هذا التعبير لا يتناسب مع القافية الشعرية التي تشكل جزءاً مهماً من الإيقاع الخارجي، بمعنى أن الشاعر قد زحزح مكونات التركيب الإسنادي الاسمي في هذه الجملة للوصول إلى لفظ متفق مع القافية، وبالتالي فقد استطاع الانزياح التركيبي الإسنادي من الوصول بالكلام إلى القافية الشعرية المقصودة، والوصول كذلك إلى الروي المناسب وحركته المناسبة أيضاً.

=

بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ٢١٠.

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٢١.

كما يقول أيضاً^(١):

أَقْبَلَ اللَّيْلُ فِي النَّفْسِ سِ مِنْ اللَّيْلِ صِرَاعٌ

يظهر الإسناد الاسمي في البيت السابق بقوله: "وفي النفس من الليل صراع"، حيث أسند قوله: "وفي النفس من الليل" إلى "صراع"، إذ إن هذا الإسناد يصح في الميدان الفني الإبداعي، أما في الواقع الدلالي المعيارى فلا يمكن أن تكون النفس مكاناً للصراع الحقيقي، إنما تكون هكذا مجازاً، بمعنى أن هذه العبارة قد اشتملت على شيء من الانزياح التركيبي الإسنادي، حيث أسند الخبر إلى ما لا يصلح الإسناد إليه في اللغة القياسية، وإن من بين أهم الأسباب التي دفعت الشاعر لهذا الانزياح محافظته على القافية، فقد جعل كلمة "صراع" في موضع القافية، وجعل الإسناد إليها وسيلة لانتظام القافية واتفق الإيقاع الخارجي، وهو ما استطاع تحقيقه عبر هذه المكونات اللفظية الخاضعة للانزياح الإسنادي.

ويقول كذلك في موضع آخر^(٢):

لَمْ يُبْقِ فِي الْجَوَى صَبْرًا لِلنَّازِلَةِ إِلَّا أَثَارَةُ نَفْسٍ، طَيْهَا رَمَقٌ

يتحدث الشاعر في هذا البيت عما حل به من الألم والأسى والجوى، حيث لم يبق هذا كله في نفسه إلا أثارة نفس، طيها رمق، وما يهمنا في هذا التركيب قوله: طيها رمق، فالرمق مسند، وطيها مسند إليه، وفي واقع اللغة المعيارية القياسية فإن الرمح لا يسند إلى الطي، إنما تطوى الأوراق والصحف وما شابهها، ولكن لو أسند الشاعر "طيها" لغير كلمة "رمق" مما يناسبها في الاستعمال المعيارى لاختلفت القافية، وانكسر الإيقاع الخارجي، من هنا أفاد الشاعر من الانزياح الإسنادي، عبر إسناد

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٦٥.

(٢) شحاتة، "ديوانه"، ١٣١.

المبتدأ إلى غير ما يتوقعه المتلقي، بقصد الوصول إلى انتظام القافية من جهة، وحضور الجمال الفني من جهة ثانية، باعتبار المجاز الحاضر في هذا التركيب اللغوي، وهو ما حققه الشاعر من خلال هذه العناصر التركيبية. ويقول أيضاً في موضع آخر^(١):

وذهبت أستسقي الفضا ل، والفضائل كالسراب

يتحدث الشاعر عن الفضائل في هذا البيت، ثم إنه وصفها بأنها كالسراب، وما يستوفقنا في البيت السابق أن الشاعر قال في خاتمة البيت: والفضائل كالسراب، حيث أسند "السراب" إلى الفضائل، باعتبارها المبتدأ، ولكن الواقع الحقيقي الملموس للغة لا يتوافق مع طبيعة هذا الوصف، فالفضائل أمر معنوي، والسراب شيء يمكن مشاهدته، ولم يكن المتلقي معتاداً على أن توصف الفضائل بأنها كالسراب، إلا أن الشاعر أتى بهذه العبارة تبعاً لعناصر الانزياح الإسنادي التركيبي، حيث أسند المبتدأ إلى ما لا يناسبه في الحقيقة، وذلك من قبيل المجاز، بقصد الإتيان بصورة فنية بداية، وموافقة للقافية من جهة أخرى، حيث اعتنى بكلمة "السراب" أن تكون مجرورة ليتوافق هذا الجر مع حركة الروي التي جاء بها الشاعر ضمن هذه القصيدة. ويقول كذلك في موضع آخر^(٢):

هيهات! لا يعطف ذو نعمة على شقي، عيشه شاحب

عند النظر في هذا البيت الشعري نجد أن آخره عبارة عن جملة اسمية، هي: عيشه شاحب، فهل يوصف العيش بأنه شاحب؟ كلا، إنما يوصف الوجه بذلك، مما يعني انزياح التركيب الإسنادي عن أصله، وإسناد المبتدأ إلى ما لم يُعتد عليه في الواقع،

(١) شحاتة، "ديوانه"، ١٧٦.

(٢) شحاتة، "ديوانه"، ٣٠٣.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد
وذلك تحقيقاً لغايات فنية وإيقاعية، فالعيش يصلح أن يقال عنه: عيشه نكدٌ، أو:
عيشه صعبٌ، وهكذا من البدائل اللفظية المتنوعة، إلا أن الشاعر قد اختار "شاحب"
بما فيها من زحزحة للمعاني، وانزياح للتركيب الإسنادي بعلاقاته التركيبية، وقد جاء
اختيار هذه اللفظة "شاحب" لتحقيق انتظام القافية التي بُنيت عليها القصيدة، فما
كان من الشاعر إلا أن وظف الانزياح الإسنادي فأسند العيش إلى ما لا يوافقه في
أصل المعنى حتى يصل إلى القافية المناسبة، وبالتالي تناسب الإيقاع الخارجي مع ما
يوافقه من الأبيات الشعرية السابقة.

ولم يكن أمر الانزياح الإسنادي مقصوراً على الجملة الاسمية، بل هناك نماذج
عدة جاء فيها الانزياح الإسنادي ضمن الجملة الفعلية، ومن ذلك قول الشاعر^(١):

بَلْ قَدْ مَنَعْتُ، وَلَسْتُ أَوَّلَ رَاغِبٍ فَجَعَلْتُهُ فِي رَغْبَاتِهِ يَدُ أَخْرَقٍ

إذ يتمثل الإسناد الفعلي في هذا البيت بقوله: فجعته يدُ أخرق، إذ أسند
الشاعر الفعل "فجعته" إلى ما لا يصلح أن يُسند إليه إلا على سبيل المجاز، حيث
أسند الفعل إلى "يدُ أخرق"، فقد جعل المضاف إليه حاضراً في موضع القافية، مما
ترتب عليه انتظام القافية، علاوة على ما اشتمل عليه البيت من معنى مجازي جمالي،
أي أن الشاعر قد أفاد من الانزياح الإسنادي في سبيل إدخال مفردة صالحة لأن
تكون في موضع القافية، وهي: أخرق، وبالتالي حافظ على انتظامها وحافظ كذلك
على رتابة الإيقاع الخارجي المرتبط بالقافية والروي.

ويقول كذلك في موضع آخر^(٢):

مَنْ لِلْغَلَابِ سِوَى الشُّبَا بَ إِذَا تَكَاتَفَتِ الصِّعَابُ؟

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٢٣.

(٢) شحاتة، "ديوانه"، ١٤١.

يبين الشاعر في هذا البيت أن الغلاب ليس له سوى الشباب إذا تكاثرت حوله الصعاب، ولكن ما يستوقفنا في هذا البيت موضع كلمة "الصعاب" باعتبارها واقعة في موقع القافية، حيث تمثل هذه الكلمة مسنداً إليه، فالفعل: تكاثفت مسند، والصعاب مسند إليه، وقد حرص الشاعر على أن يأتي بهذه الكلمة في موضع القافية للوصول إلى انتظامها، والوقوف على رتبة الإيقاع الخارجي، حيث وصل إلى ذلك عبر الانزياح التركيبي الإسنادي، الذي يعتمد أساساً على إسناد الفعل إلى ما لا يصلح منه، ففي اللغة المعيارية بعنصرها الدلالي لا يمكن أن تتكاثف الصعاب، فالتكاثف من صفة البشر لا المعنويات، إلا أن الشاعر أسند هذا الفعل إلى "الصعاب" اعتماداً على الانزياح الإسنادي، بقصد الوصول إلى قافية منتظمة هذا من جهة، ورفد المعنى بمزيد من الجمال والإبداع الفني من جهة أخرى، وهو ما تحقق عبر هذه الجملة في البيت الشعري السابق.

ويقول في موضع آخر أيضاً^(١):

في قربة مهیضة الجناح تمرح في أديمها الأشباح

يظهر الإسناد الفعلي المرتبط بالقافية في قوله: تمرح في أديمها الأشباح، إذ إن اللغة المعيارية قد لا تجيز إسناد فعل المرح للأشباح، فهي لا يُعرف ماهيتها ولا طبيعتها، إلا أن الشاعر قد أفاد من الانزياح الإسنادي ليأتي بكلمة "الأشباح" حتى تتفق معه القافية، وينتظم الإيقاع، بل إنه فصل بين الفعل والفاعل بقوله: في أديمها، حتى يحافظ على مجيء كلمة "الأشباح" في موضع القافية، وبذلك يتحقق لديه الهدف الإيقاعي المتمثل بانتظام القافية، وتسخير الانزياح الإسنادي في سبيل تحقيق هذا الهدف.

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٢٠٧.

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

كما يقول أيضاً في موضع آخر^(١):

وَأَيْنَ قَوْلٌ، أَكَّدَتْ صَدَقَهُ عَيْنَاكَ، وَالْقَبْضَةُ، وَالْحَاجِبُ

يظهر الإسناد الفعلي في هذا البيت في قوله: أَكَّدَتْ صَدَقَهُ عَيْنَاكَ، فالعينان لا تؤكد قولاً، ولا القبض، ولا الحاجب، فكل ذلك من قبيل الانزياح الإسنادي، حيث أُسند الفعل "أكَّدَتْ" إلى ما لا يصلح إسناده له في أصل اللغة، غير أن الشاعر أفاد من هذا الانزياح لتحقيق غاية إيقاعية بالدرجة الأولى، وهي مجيء "الحاجب" في موضع القافية، وتكون حركتها الرفع لتتناسب مع حركة الروي، وهو ما تمكن من تحقيقه عبر هذا النمط من الانزياح، ومن جهة ثانية فقد استطاع الشاعر المجيء بجملة تركيبية جمالية، تسير وفقاً لنمط غير مألوف من الكلام، وبالتالي يكسر أفق التوقع لدى المتلقي فيما يخص إسناد هذا الفعل، وأخيراً يظهر الإبداع والجمال الفني في هذا التركيب.

وفي نهاية هذا الجزء يظهر أن هناك عدداً كبيراً من النماذج على الانزياح الإسنادي التي قصد فيها الشاعر إسناد المسند إلى ما لا يصلح له أصالة، غير أنه أسنده إليه على سبيل العلاقة اللا مألوفة بين الألفاظ، للوصول بكلمة بعينها إلى موضع القافية، وبالتالي يحقق انتظام تلك القافية من جهة، ويحقق الرتبة الإيقاعية المرتبطة بالقافية والروي، وهذا كله عائد إلى التوظيف الصحيح للانزياح الإسنادي في البيت الشعري.

(١) شحاتة، "ديوانه"، ٣٠٣.

الختام

- لقد تناول هذا البحث الحديث عن الأثر الذي تركه الانزياح التركيبي في بنية البيت الشعري للوصول إلى غاية يقصدها الشاعر، ألا وهي انتظام القافية، مما يعني رتابة في الإيقاع الخارجي باعتبار أن القافية جزء من هذا الإيقاع، وكان تطبيق ذلك على ديوان حمزة شحاتة، وتبعاً لمجريات البحث فقد توصل لمجموعة من النتائج هي على النحو الآتي:
- يعتمد الشاعر على عناصر الانزياح التركيبي: التقديم والتأخير، والحذف، والانزياح الإسنادي، في تغيير ترتيب التركيب، بحيث يجعل من الكلمة المقصودة في موضع القافية بشكل مقصود في كثير من الأحيان، حتى يحافظ على رتابة هذه القافية، بمعنى أن الشاعر قد أفاد من مظاهر الانزياح التركيبي في تحقيق غايته الشعرية المتمثلة بانتظام القافية، ورتابة الإيقاع الخارجي.
 - يعد التقديم والتأخير من أهم أشكال الانزياح التركيبي التي يستعين بها الشاعر لتغيير مواضع الكلم حتى يصل بكلمة محددة إلى موضع القافية، وهو ما يفضي إلى انتظامها، وغالباً ما يكون هذا التقديم والتأخير في عُمَد الجملة لا في غيرها.
 - كان للحذف حضور في تحقيق انتظام القافية، خصوصاً الحذف المرتبط بالفضلات من الجملة، إلا أن حضور الحذف لم يكن بالكثرة التي وجدناها في التقديم والتأخير عند الشاعر.
 - قصد الشاعر في عدد كبير من النماذج التي اشتملت على انزياح إسنادي إسناد المسند إلى ما لا يصلح له أصالة، غير أنه أسنده إليه على سبيل العلاقة اللا مألوفة بين الألفاظ، للوصول بكلمة بعينها إلى موضع القافية، وبالتالي يحقق انتظام تلك القافية من جهة، ويحقق الرتابة الإيقاعية المرتبطة بالقافية والروي، وهذا كله عائد إلى التوظيف الصحيح للانزياح الإسنادي في البيت الشعري.

المصادر والمراجع

- إسماعيل، عز الدين. "الأدب وفنونه دراسة ونقد". (القاهرة - مصر: دار الفكر العربي، د.ت).
- أنيس، إبراهيم. "موسيقا الشعر". (ط ٥، القاهرة - مصر: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨١م).
- بشر، كمال. "دراسات في علم اللغة". (ط ١، عمان - الأردن: دار غريب للطباعة والنشر، د. ت).
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. "دلائل الإعجاز في علم المعاني". تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط ٣، القاهرة - مصر: مطبعة المدني، وجدة - السعودية: دار المدني، ١٩٩٢م).
- الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف. "التعريفات". تحقيق مجموعة من المحققين. (ط ١، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- حسان، تمام. "اللغة العربية معناها ومبناها". (ط ٥، عالم الكتب، ٢٠٠٦م).
- حسان، تمام. "مناهج البحث في اللغة". (ط ١، القاهرة - مصر: مكتبة الإنجلو المصرية، د. ت).
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط ٣، القاهرة - مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).
- الشايب، أحمد. "الأسلوب". (ط ١٢، القاهرة - مصر: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م).
- شحاتة، حمزة. "ديوان حمزة شحاتة"، تحقيق: محمد علي المغربي، وعبد المجيد شبكشي. (ط ١، جدة: دار الأصفهاني للطباعة، ١٩٨٨م).
- الصعدي، عبد المتعال. "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة". (ط ١٧،

- القاهرة - مصر: مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م).
- الطراونة، سوزان حماد. "جماليات الانزياح في الأعمال الشعرية للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد". (رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٨م).
- عبد التواب، رمضان. "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي". (ط٣، القاهرة - مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).
- عبد الله، ماهر هاشم. "بناء القصيدة في شعر بشرى البستاني". (رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، مصر، ٢٠٢١م).
- عبيد، محمد صابر. "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والسطينات". (ط١، دمشق - سوريا: اتحاد الكتاب العربي، ٢٠٠١م).
- عتيق، عبد العزيز. "علم المعاني". (ط١، بيروت - لبنان: دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م).
- الفوزان، إبراهيم. "الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد". (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١م).
- مطلوب، أحمد. "أساليب بلاغية: الفصاحة البلاغة المعاني". (ط١، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م).
- أبو موسى، محمد محمد. "خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني". (ط٧، القاهرة - مصر: مكتبة وهبة، د.ت).
- مغربي، محمد علي. "أعلام الحجاز في القرن الرابع الهجري". (ط١، جدة: دار تهمامة للنشر، ١٩٨٤م).
- الهاشمي، أحمد بن مصطفى بن إبراهيم. "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع"، ضبط وتوثيق وتدقيق: يوسف الصميلي. (صيدا، بيروت - لبنان: المكتبة

أثر الانزياح التركيبي في انتظام القافية في ديوان الشاعر حمزة شحاتة، د. فهد بن فريح الرشيد

العصرية، د. ت).

وهبة، مجدي. "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (ط ٢، بيروت - لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

ويس، أحمد محمد. "الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية". (ط ١، بيروت: مجد للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).

اليوسفي، محمد لطيفي. "في بنية الشعر العربي المعاصر". (ط ١، تونس - دار سراس للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م).

Bibliography

- Ismail, 'Izz al-Din. "Al-Adab wa-Fununuh Dirāsa wa-Naqd". (Cairo - Egypt: Dar Alfikr Al-'Arabi).
- Anis, Ibrahim. "Musiqā al-Shi'r". (5th, ed., Cairo - Egypt: Maktabat Al-Anglo Misriyyah, 1981).
- Bishr, Kamal. "Dirāsāt Fi 'Ilm al-Lugha". (1st, ed, Amman - Jordan: Dar Gharib).
- Al-Jurjāni, Abu Bakr Abdul Qahir bin Abdul Rahman bin Muhammad.. "Dala'il al-I'jāz Fi 'Ilm al-Ma'āni".. Investigated by: Mahmoud Muhammad Shakir. (3rd, ed. Cairo - Egypt: matbaeat al-Madani, -Jeddah - Saudi Arabia: Dar al-Madani, 1992).
- Al-Jurjāni, 'Ali bin Muhammad Al-Zain Al-Sharif. "al-Ta'rīfāt". Investigated by: A group of investigators. (1st, Beirut - Lebanon: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiya, 1983).
- Hassan, Tamam. "al-Lughah al-'Arabīyah Ma'nāhā wa-Mabnāhā (5th, ed, 'Ālam Al-Kutub, 2006).
- Hassan, Tamam. " Manāhij al-Baḥṡ fī al-Lugha". (1st, ed., Cairo - Egypt: Maktabat Al-Anglo Misriyyah).
- Sibawaih, Abu Bishr 'Amr bin 'Uthman bin Qunbar. "Al-Ktāb", Investigated by Abd al-Salam Muhammad Haroun (3rd, ed., Cairo - Egypt: Maktabat Al-Khanji, 1988).
- Al-Shayyib, Ahmad. "Al-Uslūb". (12th, ed. Cairo - Egypt: Maktabat al-Nahḍah al-Miṣrīyah, 2003).
- Shehata, Hamza. "Diwān Hamza Shehata". Investigated by: Muḥamad 'Ali al-Maghribi and 'Abd Al-Majid Shabakshi. (1st, ed., Jeddah: Dar al'-Asfihani, 1988).
- Al-Sa'idi, 'Abd al-Muta'al. "Bughyat al-Īdāḥ li-Talkhīṣ al-Miftāḥ fī 'Ulūm al-Balāghah" (17th, ed., Cairo - Egypt: Maktabat Al-Adab, 2005).
- Tarawnah, Suzan Hammad.. "Jamālīyāt al-Inziyāḥ fī al-A'māl al-shi'rīyah lil-shā'ir 'Abd al-Razzāq 'Abd al-Wāḥid". (Master's thesis, Mu'tah University, 2018).
- 'Abd al-Ṭawwab, Ramadan. "al-Madkhal ilā 'Ilm al-Lughah wa-Manāhij al-Baḥṡ al-Lughawī". (3rd, ed., Cairo - Egypt: Maktabat Alkhanji, 1997).
- 'Abdullah, Mahir Hashim. "Binā' al-Qaṣīdah fī Shi'r Bushrā al-Bustānī". (PhD Thesis, Mansoura University, Egypt).
- 'Ubaid, Muhammad Sabir. "The Modern Arabic Poem between

- Semantic and Rhythmic Structure, The Sensitivity of the First Poetic Emergence, The Pioneers' Generation and the Sixties". (in Arabic) (1st ed., Damascus, Syria: Arab Writers Union, 2001).
- ‘Ateeq, ‘Abd al-‘Aziz. " ‘Ilm al-ma‘ānī". (1st, ed, Beirut - Lebanon: Dar Al-Nahda Al-‘Arabia, 2009).
- Al-Fawzan, Ibrahim. "Modern Hijazi Literature between Tradition and Innovation" (in Arabic). (1st ed. Cairo: Al-khanji Bookstore, 1981)
- Maṭloub, Ahmad. "Asālīb Balāghiya: al-Faṣāha al-Balaghah al-Ma‘āni". (1st, ed, Kuwait: Wakālat al-Maṭbū‘āt, 1980).
- Abu Musa, Muhammad Muhammad. " Khaṣā’iṣ al-Tarākīb Dirāsah Taḥlīlīyah li-Masā’il ‘Ilm al-Ma‘ānī". (7th ed., Cairo - Egypt: Maktabat Wahbah).
- Maghribi, Muhammad ‘Ali. "Notable Figures of the Hijaz in the Fourth Century AH" (in Arabic). (Jeddah: Tihama Publishing, 1984).
- Al-Hashimi, Ahmad bin Mustafa bin Ibrahim. " Jawāhir al-Balāghah fī al-Ma‘ānī wa-al-Bayān wa-al-Badī' ". Revised and investigated by: Yousuf al-Sumaili. (Sidon, Beirut - Lebanon: Almaktaba Al-‘Asria).
- Wahba, Majdi. " Mu‘jam al-Muṣṭalaḥāt al-‘Arabīyah fī al-Lughah wa-al-Adab". (2nd, ed., Beirut - Lebanon: Maktabat Lubnan, 1984).
- Weiss, Ahmed Muhammad. " **Linguistic Deviation in the Framework of Stylistic Analysis**". (in Arabic). (1st, ed., Beirut: Majd lil-Drasat, 2005).
- Al-Yousifi, Muhammad Latifi. "Fī Binyat al-shi‘r al-‘Arabī al-Mu‘āṣir". (1sted, Tunisia- Dar Siras, 1985).

استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية من وجهة نظر طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية

Using Digital Dictionaries in Learning Arabic as a
Second Language: (Attitudes, Challenges,
Influencing Factors, Skills)
The Institute of Arabic Language for Non-Native
Speakers at the Islamic University as a Case Study

د. تركي عبدالعزيز عبدالله الملحم

أستاذ مشارك بقسم إعداد وتدريب المعلمين

بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: torky-almulhem@iu.edu.sa

اعتماد البحث A Research Approving 2025/04/24		استلام البحث A Research Receiving 2025/01/21
نشر البحث A Research Publication ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025 DOI:10.36046/2356-000-016-023		

المنخص:

هدف البحث الحالي إلى التعرف على وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، والتعرف على أهم التحديات والعوامل المؤثرة في استخدامهم لها في تعلم اللغة العربية لغة ثانية، وقد عمد البحث إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتمثل المجتمع البحثي له في جميع متعلمي اللغة العربية لغة ثانية بمعهد اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث تم اختيار عينة عشوائية قوامها (٧٢٤) مفردة بحثية لتطبيق استبانة ومقياس اتجاه لجمع البيانات. وقد جاءت أبرز النتائج كالتالي: الاتجاه العام لعينة البحث حول استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية جاء بدرجة "كبيرة" بمتوسط عام مقداره (٣,٤٢)، وجاء الاتجاه العام نحو تحديات استخدام المعاجم الرقمية متوسطاً، بمتوسط مقداره (٣,٣٧)، ثم جاء الاتجاه العام نحو العوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية جاء بدرجة "كبيرة"، بمتوسط عام مقداره (٤)، بينما جاء الاتجاه العام لعينة البحث حول أهم المهارات التي تعمل المعاجم الرقمية على تنميتها في اللغة العربية لغة ثانية جاءت بدرجة "كبيرة" بمتوسط عام مقداره (٣,٩)، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($\alpha \leq 0.05$) في استجابات عينة البحث حول وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تبعاً لكل من: المستوى اللغوي، الجنسية، العمر، وسيلة الاستخدام، وفي ضوء تلك النتائج فقد أوصى البحث بضرورة استثمار التوجهات الإيجابية لمتعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية، وضرورة العمل على الحد من العوامل المؤثرة على استخدام المعاجم الرقمية.

الكلمات المفتاحية: المعاجم الرقمية، اللغة العربية لغة ثانية، متعلمي اللغة العربية لغة ثانية.

Abstract:

The current study aimed to identify the point of view of learners of Arabic as a second language toward the use of digital dictionaries and to explore the key challenges and factors influencing their use in learning Arabic as a second language. The research employed a descriptive-analytical approach, with the study population comprising all learners of Arabic as a second language at the Institute of Arabic Language, Islamic University of Madinah. A random sample of 742 participants was selected to complete a questionnaire and an attitude scale to collect data. The key findings were as follows: The general point of view of the sample toward using digital dictionaries in learning Arabic as a second language was ranked as "high", with an overall mean score of 3.42. The general attitude toward the challenges of using digital dictionaries was ranked as "moderate," with a mean score of 3.37, and the overall attitude toward the factors influencing the use of digital dictionaries in learning Arabic as a second language was ranked as "high" with an overall mean score of 4. Additionally, the general the point of view of the sample regarding the most prominent skills that digital dictionaries develop in Arabic as a second language was ranked as "high" with a mean score of 3.9. The results also showed no statistically significant differences at the significance level ($\alpha \leq 0.05$) in the responses of the research sample regarding the point of view of the learners of Arabic as a second language toward using digital dictionaries at the Institute of Arabic Language, Islamic University of Madinah, based on language level, nationality, age, and method of use. Based on these findings, the study recommended leveraging the positive the point of view of learners of Arabic as a second language toward using digital dictionaries in learning Arabic and the need to work on addressing the factors affecting the use of digital dictionaries.

Keywords: Digital dictionaries, Arabic language, learners of Arabic as a second language.

مقدمة البحث:

يشهد مجال تعليم اللغة العربية لغة ثانية تطوراً ملحوظاً، مدفوعاً بازدياد الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة في مختلف مراحل العملية التعليمية، ومن أهم الأدوات التي ظهرت في هذا السياق وأكثرها شيوعاً هي المعاجم الرقمية، التي توفر للمتعلمين إمكانيات واسعة في تطوير الحصيلة اللغوية، وفهم القواعد والتراكيب، وتنمية المهارات، واستخدام اللغة العربية بشكل أكثر فاعلية.

فالمعاجم الرقمية (e-Dictionary) من جهة عبارة عن معجم "يعمل بالحواسيب على اختلاف أنواعها، يحتوي على قواعد للبيانات تمكنه من عرض جميع المعارف المعجمية بسهولة ويسر، كما تمكن من إجراء عمليات بحث متنوعة حول هذه المعارف"^(١)، وهي من جهة أخرى "مخزون من المفردات اللغوية المرفقة بمعلومات عنها، ككيفية النطق بها وأصلها واستعمالاتها ومعانيها وعلاقتها بغيرها، يقوم جهاز آلي بإدارة هذه المعطيات وتديرها وفق برنامج محدد سلفاً"^(٢).

وتتمثل أهمية المعاجم الرقمية في كونها تمثل عنصراً فاعلاً في تعلم واكتساب المهارات اللغوية، بالإضافة للمميزات التي يتمتع بها في معالجة مفردات اللغة، والتي من أهمها: تنوع طرق البحث عن المعلومة، القدرة التخزينية الكبيرة، سهولة التعامل من قبل المستخدم، الدقة والشمول، بالإضافة إلى التحديث المستمر للمحتوى، والقدرة على استغلال التحديثات التقنية^(٣).

(١) حسني عائشة ناصري، "حاجة المتعلمين إلى صناعة معجم مدرسي إلكتروني: اللغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط أمودجا". مجلة التعليمية، ١، (٢٠٢٣): ٤٦٧ - ٤٧٧.

(٢) فضيلة دقناتي، "واقع المعجم العربي الإلكتروني: ملاحظات حول معجم الغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة". مجلة البحوث التربوية والتعليمية عدد خاص، (٢٠٢٢): ١١٩ - ١٣٤.

(٣) روفية زارزي، "الأدب التربوي حول المعجم الإلكتروني". مجلة البحوث التربوية والتعليمية، ١،

أما أهمية المعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية فيمكن في قدرتها على جذب المتعلمين على مستوى البحث والاستخدام والعرض من خلال الوسائط المتعددة، بالإضافة إلى استهدافها لكافة الفئات المهنية كالطلاب والمعلمين والباحثين والمترجمين، وقدرتها على التعامل مع التحديات التي تواجه اللغة العربية كالقضايا النحوية والإملائية والتركيب السياقي، بالإضافة على قدرتها على تعزيز قدرات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في اكتساب المهارات اللغوية المطلوبة^(١).

حيث يشير مصطلح اللغة الثانية (Second Language) إلى "أية لغة يتعلمها الفرد بعد اللغة الأم، ويتم اكتسابها تدريجياً بغرض ممارسة تلك اللغة"، ويصبح هذا المتعلم ثنائي اللغة، أي يتكلم لغته الأم بالإضافة إلى لغة ثانية^(٢).

ويمثل تعلم اللغة العربية لغة الثانية تحدياً قوياً بالنسبة للمتعلمين والمعلمين على حد سواء، حيث تتمثل أهم هذه التحديات بشكل عام في إتقان المهارات اللغوية الأربعة: مهارة الاستماع، مهارة التحدث، مهارة القراءة، ومهارة الكتابة^(٣)، وقد أكدت دراسة الديبان (٢٠٢٢) على أن تعلم صوتيات اللغة العربية لغة ثانية تمثل

=

(٢٠٢٣): ٦٢٧ - ٦٤٨..

(١) سليمة جعير وصبرينة بن قموم، "تعليمية اللغة العربية باستخدام المعجم اللغوي الإلكتروني للناطقين بها وبغيرها". مجلة البحوث التربوية والتعليمية عدد خاص، (٢٠٢٢): ٨٧ - ١٠٢.

(٢) تيمتوري إسাকা، وعبدالله بن عبدالعزيز الحسيني، "اكتساب المفردات عند متعلمي اللغة العربية لغة ثانية". مجلة الناطقين بغير اللغة العربية ١٩، (٢٠٢٣): ١ - ٣٤.

(٣) أنور بن سعد الجدعاني، "صعوبات تعلم مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في معهد تعليم العربية للناطقين بغيرها بجامعة الملك عبدالعزيز". تعليم العربية لغة ثانية مج ٥، ٩٤، (٢٠٢٣): ١٨٨ - ٢٥٥. ٢٢٥.

تحديداً على ثلاث مستويات هي: المستوى المهاري والمستوى الصوتي، والمستوى الاجتماعي^(١). ويرى الباحث أن أهم التحديات التي تواجه تعلم اللغة العربية لغة ثانية يتعلق باكتساب المفردات في سياقها العام والخاص، بالإضافة لقدرة المتعلم على توظيف وتركيب هذه المفردات بما يخدم التعبير عن أفكاره عند التواصل مع الآخرين. ويعد التعرف على اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية من الأهمية بمكان، حيث يمثل الاتجاه "مجموعة من التراكمات لخبرات ومواقف ومعلومات يتعرض لها الفرد وتتعلق بموضوع معين، وتؤدي إلى تكوين موقف ثابت نسبياً، إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً أو حيادياً، فيشكل استجابة الفرد نحو هذا الموضوع"^(٢).

وتكمن أهمية التعرف على وجهات نظر واتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية في كونها "قادرة على التنبؤ بالسلوك الاجتماعي للفرد المتعلم تجاه المعاجم الرقمية"^(٣)، بالإضافة لقدرته على "تحديد منحى السلوك ووجهته، وتنظيم العمليات الدافعية والانفعالية والمعرفية، ومساعدة الفرد على اتخاذ القرارات المناسبة في المواقف المختلفة" المتعلقة باستخدام المعاجم الرقمية في تطوير

(١) إبراهيم بن علي بن عبدالله الديبان، "تحديات تعلم فونيمات اللغة العربية لغة ثانية." مجلة جامعة بابل - العلوم الانسانية مج ٣٠، ع ١٠٤، (٢٠٢٢): ١ - ٢٧.

(٢) متولي صابر خلاف معبد، "أثر التفاعل بين وجهة الضبط "الداخلية / الخارجية" والفصول الافتراضية "المتزامنة / غير المتزامنة / المدمجة" على الاتجاه نحوها والتحصيل وكفاءة التعلم لدى طلاب كلية التكنولوجيا والتعليم بالسويس." المجلة التربوية ج ٩٤، (٢٠٢٢): ٧١٣ - ٨٢٧.

(٣) بشار عبيد القرالة، وبنى دومي حسن بن علي الناجي، "أثر الويب كويست على التحصيل الآني والمؤجل والاتجاهات العلمية لدى طلاب الصف العاشر الأساسي في مادة الكيمياء لدى طلاب مديرية تربية المزار الجنوبي" رسالة ماجستير. جامعة مؤتة، مؤتة، (٢٠٢٠).

مهارات اللغة العربية لغة ثانية^(١).

كما يعد الوقوف على التحديات التي تواجه متعلم العربية لغة ثانية في استخدام المعاجم الرقمية، والعوامل التي تؤثر على هذا الاستخدام، بالإضافة إلى التعرف على المهارات اللازمة لتحقيق الاستفادة المرجوة من استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية لغة ثانية، تُعد من المتطلبات الضرورية، والتي من خلالها تستطيع جهات الاختصاص التخطيط لبرامج تعليم العربية لغير الناطقين بها.

ومن خلال الخبرات العملية للباحث، ومراجعة الأدب النظري المتعلق باستخدام المعاجم الرقمية واتجاهات المتعلمين نحوها، وجد الباحث ندرة في الدراسات التي حاولت العمل على استكشاف اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، وهو ما يسعى البحث نحو استكشافه.

مشكلة البحث:

نبع الإحساس بمشكلة البحث من خلال من خلال خبرتي الشخصية كمعلم للغة العربية لغة ثانية، حيث لاحظت وجود تحديات كبيرة تواجه المتعلمين عند محاولتهم استخدام المعاجم الرقمية. فعلى الرغم من توفر العديد من المعاجم الرقمية التي تقدم محتوى غني ومتنوع لتعليم اللغة العربية، إلا أن هناك فجوة واضحة في كيفية تفاعل المتعلمين مع هذه الأدوات ومدى إدراكهم لقيمتها. خلال عملي مع الطلاب، لاحظت أن الكثيرين يواجهون صعوبات في اختيار المعجم الرقمي المناسب أو فهم كيفية استخدامه بفعالية لتحسين مهاراتهم اللغوية، مثل القراءة، الكتابة، أو المفردات.

(١) فايز لافي فهاد العازمي، والكيلاني أحمد محي الدين، "فاعلية التعلم المدمج لتدريس مادة تاريخ الكويت في التحصيل والاتجاهات لدى طلاب الصف العاشر الثانوي في دولة الكويت" رسالة ماجستير. جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، (٢٠٢٠).

وقد أكدت الدراسات والأبحاث السابقة على أهمية استخدام المعاجم الرقمية أحادية أو ثنائية أو متعددة اللغة في تعلم واكتساب المهارات اللغوية الأساسية، كدراسة (Karami, & Riasati, 2023)^(١). كما أكدت دراسة بن سكيريفة ودحو (٢٠٢٢)^(٢)، ودراسة الصراف (٢٠٢١)^(٣) على جدوى استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية، أما دراسة الطاهر وبرهومة (٢٠٢٢)^(٤)، ودراسة الحري وشعيب (٢٠٢٠)^(٥) فقد أكدت على أهمية استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية. وعلى الرغم من تأكيد الدراسات السابقة على أهمية استخدام المعاجم الرقمية في تعلم المهارات اللغوية بشكل عام ومهارات اللغة العربية بشكل خاص، إلا أنه يوجد قصور في المعرفة المتعلقة بوجهات نظر متعلمي اللغة العربية نحو استخدام

(1) Karami, Samaneh, and Mohammad Javad Riasati. "A Study of Electronic Dictionary Use and Attitudes among Iranian Students of Translation during COVID-19 Pandemic." *Education Research International* 2023.1, 2023: 7616256.

(٢) بن سكيريفة حليلة، وحسين دحو، "المعاجم التاريخية الإلكترونية في خدمة اللغة العربية: معجم الدوحة التاريخي أنموذجاً: المرحلة الأولى من خمسة "٥" قبل الهجرة إلى اثنين "٢" هجرية." مجلة طلبة للدراسات العلمية الأكاديمية مج ٥، ١٤، (٢٠٢٢): ٦٠٨ - ٦٢٨.

(٣) ١٥. علي محمود الصراف، "استعمال طلاب جامعة الكويت للمعاجم الإلكترونية أحادية اللغة: دراسة مسحية وصفية." مجلة رسالة المشرق مج ٣٦، ٣٤، (٢٠٢١): ٨٣ - ١١٩.

(٤) الطاهر عرين زهدي عاطف، وعيسى عودة موسى برهومة، "نحو تصميم معجم حاسوبي للمتادفات والمشتركات والمتلازمات اللفظية للناطقين بغير العربية: دراسة معجمية حاسوبية" رسالة ماجستير. الجامعة الهاشمية، الزرقاء، (٢٠٢٢).

(٥) الحري خالد بن عبدالرحمن، سعدي البركاني، و أبو بكر عبدالله علي شعيب، "المعجم الإلكتروني ودوره في تنمية التواصل اللغوي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى من وجهة نظر المختصين والمتعلمين." حولية كلية اللغة العربية بجرجا ع ٢٤٤، ج ٦، (٢٠٢٠): ٥٨٥٠ - ٥٨٩٦.

المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية، وهو ما يحاول البحث الحالي العمل على معالجته من خلال محاولة الإجابة على الأسئلة البحثية التالية.

أسئلة البحث:

يعمل البحث الحالي على محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية؟
٢. ما التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟
٣. ما العوامل المؤثرة على استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟
٤. ما أهم المهارات التي تعمل المعاجم الرقمية على تطويرها لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟
٥. ما مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات استجابات عينة الدراسة حول وجهات نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية يمكن أن تعزى لمتغيرات (المستوى اللغوي - الجنسية - العمر - وسيلة الاستخدام)؟

أهداف البحث:

يعمل البحث الحالي على تحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف على اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية.
٢. التعرف على التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية.
٣. تحديد العوامل المؤثرة على استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية من

وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية.

٤. تحديد أهم المهارات التي تعمل المعاجم الرقمية على تطويرها لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية.

٥. التعرف على مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$ في متوسطات استجابات عينة الدراسة حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية يمكن أن تعزى للمتغيرات (المستوى اللغوي - الجنسية - العمر - وسيلة الاستخدام).

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث الحالي في:

أولاً: الأهمية النظرية:

- إمداد المكتبة المحلية بدراسة علمية جادة تحاول الوقوف على رؤية متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية.
- يعتبر الكشف عن اتجاهات المتعلمين نحو هذه الأدوات خطوة أساسية لتقييم مدى قبولها واستخدامها، مما يمكن أن يساعد في تحسين تصميمها وتطويرها بما يتناسب مع احتياجات المستخدمين.
- تعريف معلمي ومتعلمي اللغة العربية لغة ثانية بأهمية وجدوى استخدام المعاجم الرقمية في تنمية العناصر والمهارات اللغوية لدى المتعلمين.

ثانياً: الأهمية العملية:

- يقدم البحث إضافة علمية نوعية من خلال دراسة شاملة تسلط الضوء على دور المعاجم الرقمية في تعليم وتعلم اللغة العربية لغة ثانية، مما يساهم في توسيع دائرة البحوث المتعلقة بتكنولوجيا التعليم اللغوي.
- المساعدة في تعلم ونشر اللغة العربية لغة ثانية، من خلال العمل على

- استيعاب التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلمها.
- مساعدة متعلمي اللغة العربية في تطوير مهارات اللغة العربية لغة ثانية من خلال استخدام المعاجم الرقمية عبر الإنترنت.
- مساعدة معلمي اللغة العربية لغة ثانية على تحديد أنسب طرق وأدوات توظيف تكنولوجيا المعاجم الرقمية في تطوير المهارات اللغوية لدى المتعلمين من خلال الوقوف على اتجاهاتهم حول هذه الأدوات.
- دعم مراكز تعليم اللغة العربية لغة ثانية في تبني استخدام تكنولوجيا المعاجم الرقمية في تنمية العناصر والمهارات اللغوية لدى المتعلمين بناء على اتجاهاتهم نحوها.
- المساهمة في تعزيز تضمين المعاجم الرقمية في المناهج الدراسية المخصصة لتعلم العربية لغة ثانية.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على الحدود التالية:

- الحدود المكانية:** تم إجراء البحث الحالي في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية.
 - الحدود الموضوعية:** اقتصر البحث على موضوع استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية، من وجهة نظر طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية.
 - الحدود البشرية:** اقتصر البحث على متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية.
 - الحدود الزمانية:** جرى البحث الحالي في الفصل الدراسي الأول عام ١٤٤٦ هـ.
- مصطلحات البحث:**

اللغة الثانية: Second Language

تُعرف اللغة الثانية على أنها: "أي لغة تم تعلمها بعد اللغة الأولى، سواء أكان هذا التعلم في الفصول الدراسية بشكل منظم، أم عند التعرض الطبيعي للغة"^(١). ويُعرف الباحث اللغة الثانية إجرائياً على أنها: "اللغة التي يتم تعلمها بعد اللغة الأم، والتي يستخدم متعلم اللغة العربية لغة ثانية المعاجم الرقمية كأداة مساعدة في تعلم مفرداتها وقواعدها ومهاراتها".

المعاجم الرقمية: Electronic Dictionaries

يُطلق عليه اسم المعجم الإلكتروني أو المعجم الرقمي أو المعجم الآلي، ويُعرف المعجم الرقمي اصطلاحاً على أنه:

- "قاعدة بيانات آلية تقنية للوحدات اللغوية، وما يتعلق بها من معلومات من قبيل كفاءات النطق بها، وأصولها الصرفية ومحاملها الدلالية، وكفاءات استخدامها ومفاهيمها المخصصة التي تحفظ بنظام معين في ذاكرة تخزين ذات سعة كبيرة، ويقوم جهاز آلي بإدارة المعطيات الفنية والمضمونية التي يتضمنها المعجم وفق برنامج محدد سلفاً"^(٢).
- "أي مادة مرجعية مخزنة في شكل إلكتروني تعطي معلومات عن تهجئة الكلمات أو معناها أو استخدامها"^(٣).

(١) خالد الانصاري، "اكتساب وتعلم اللغة العربية لغة ثانية ولغة أجنبية." مجلة الناطقين بغير اللغة العربية ٤٤، (٢٠٢٠): ٥٤.

(٢) خالد الانصاري، "اكتساب وتعلم اللغة العربية لغة ثانية ولغة أجنبية." مجلة الناطقين بغير اللغة العربية ٤٤، (٢٠٢٠): ٥٤.

(3) Alamri, Hayat Rashid, and Hind Mousa Hakami. "Exploring Perspectives of EFL Students on Using Electronic Dictionaries to Improve Vocabulary Learning: A Comparative Study." *International Journal of Curriculum and Instruc-*

ويُعرف الباحث المعاجم الرقمية إجرائياً على أنها: "قاعدة بيانات لغوية إلكترونية تتضمن الوحدات اللغوية العربية وكل ما يتعلق بها من معلومات حول المعنى والمبنى والدلالة، يستخدمها متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في تعلم المفردات والتراكيب والمهارات المرتبطة باللغة العربية".

الاتجاه: Attitude

يُعرف الاتجاه على أنه:

- "مجموعة من التراكبات لخبرات ومواقف ومعلومات يتعرض لها الفرد وتعلق بموضوع معين، وتؤدي إلى تكوين موقف ثابت نسبياً، إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً أو حيادياً، فيشكل استجابة الفرد نحو هذا الموضوع"^(١).
ويُعرف الباحث الاتجاه إجرائياً على أنه "مجموعة من الانطباعات والخبرات المتراكمة والمواقف التي تتكون لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية تجاه استخدام المعاجم الرقمية عند تعلم اللغة العربية، حيث تنشأ هذه المواقف نتيجة لتفاعلهم معها، وتُعبّر عن قبول أو رفض هذه الأداة في عملية تعلم اللغة، وذلك اعتماداً على التجارب الشخصية والنتائج المتوقعة من استخدامها".

الإطار النظري للبحث:

المعاجم الرقمية: E-Dictionaries

=

tion 14.2, (2022): 1581.

(١) متولي صابر خلاف معبد، "أثر التفاعل بين وجهة الضبط "الداخلية / الخارجية" والفصول الافتراضية "المتزامنة / غير المتزامنة / المدججة" على الاتجاه نحوها والتحصيل وكفاءة التعلم لدى طلاب كلية التكنولوجيا والتعليم بالسويس". المجلة التربوية ج ٩٤، (٢٠٢٢): ٧١٣ - ٨٢٧.

المعاجم الرقمية هي أحد نواتج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتؤثر في تعلم اللغة بشكل عام وتعلم اللغة العربية لغة ثانية بشكل خاص، وهي امتداد رقمي حديث للمعجم الورقي التقليدي، وتُعرف على أنها "معجم تقليدي محوسب، يُخزن على شكل شرائح إلكترونية أو وسائط ممغنطة كالأقراص الممغنطة أو الضوئية، وذلك لاستخدامها لأغراض الترجمة الآلية والتعليم واكتشاف الأخطاء الإملائية علاوة على أغراض المعالجة الآلية الأخرى"^(١).

كما تُعرف على أنها: "معجم للغة العربية، يعمل بالحواسيب الشخصية، على اختلاف أنواعها، يحتوي على بيانات وجداول وقواعد تمكنه من عرض جميع المعارف المعجمية بسهولة ويسر، كما يمكن من إجراء عمليات بحث متنوعة، وهو بذلك يلي حاجات المعلمين والمتعلمين والمختصين وغير المختصين على حد سواء"^(٢).

أهمية المعجم الرقمي:

تكمن أهمية المعاجم الرقمية بالسرعة في البحث والوصول إلى المعاني والمفردات، وإمكانية استخدامها في أي وقت وأي مكان، كما تُعد من العناصر الأساسية في نظم معالجة اللغة الطبيعية، سواء كانت لغة بشرية أو اصطناعية^(٣).

كما أكد بوخلخال وتهامي (٢٠٢١) على أن أهمية الصناعة المعجمية العربية

(١) اللوط بدرة، وجيلاي بن يشو، "واقع رقمنة المعجم العربي وآفاقه: معجم الرائد أمودجا". التعليمية مج ١٣، ١٤ (٢٠٢٣): ٥٢٤ - ٥٣٤.

(٢) سالم محمد يزيد، "بناء المعجم الرقمي العربي في ضوء اللسانيات الحاسوبية". مجلة إشكاليات في اللغة والأدب مج ١٠، ١٤، (٢٠٢١): ١١٤٤ - ١١٦٦.

(٣) موريده عبدالسلام، "المعجم الحاسوبي اللغوي ودوره في ضبط وتوحيد المصطلح التراثي العربي: الذخيرة اللغوية العربية للدكتور عبدالرحمن الحاج صالح نموذجاً". التعليمية مج ١٣، ١٤، (٢٠٢٣): ٣٦٤ - ٣٧٥.

في قدرتها على المنافسة مع اللغات الأخرى عبر الوسائط الحديثة، بالإضافة إلى دورها في الحفاظ على التراث والهوية والانتماء الوطني والديني، وكونها قناة للتواصل الحضاري والثقافي بين الأجيال والثقافات المختلفة^(١).

بالإضافة لكون المعاجم الرقمية يمكنها تقديم الدعم الفوري للمتعلمين سواء داخل الفصول أو خارجها، وفي سياقات تعليمية وبحثية مختلفة، وبخاصة من خلال الإنترنت، ما يساعدهم في بناء المعرفة العميقة عن المفردات الجديدة التي يتعلمونها ويستخدمونها من خلال تلك المعاجم^(٢).

وقد أجملت دراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠) أهمية المعاجم الرقمية لمتعلمي اللغة العربية لغة ثانية في كونه وسيلة لتطوير مهارات التواصل الثقافي، كما تتمثل أهميته في^(٣):

- مواكبة تطور اللغة العربية على كافة المستويات الناتج عن التحديث المستمر.
- جودة النتائج التي تفرزها هذه التطبيقات والمرتبطة بجودة المعجم الإلكتروني من حيث عدد المداخل وشمول المعلومات.
- يعمل المعجم الإلكتروني عمل المدقق الإملائي، حيث يعتبر الكلمات الصحيحة غير الموجودة في المعجم خاطئة

(١) بوخلخال علي، ومحمد تهامي، "المعاجم الرقمية (اللغوية والثقافية) ودورها في تعزيز التواصل الحضاري الثقافي بين الأجيال: قراءة استكشافية." المجلة العربية للتربية مج ٤٠، ٢٤، (٢٠٢١): ١٣٩ - ١٥٦.

(2) Zammit, Jacqueline. "Application of 'Gabra' online dictionary for international adults learning Maltese." *Computer Assisted Language Learning* 37.5-6, (2024): 1311-1334.

(٣) الحربي وشعيب، "المعجم الإلكتروني ودوره في تنمية التواصل اللغوي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى من وجهة نظر المختصين والمتعلمين." ٥٨٥٠ - ٥٨٩٦

ومما سبق، يرى الباحث أن أهمية المعجم الرقمي تكمن في دعم عملية تعلم وتعليم اللغة العربية لغة ثانية، من خلال توظيف أدوات وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات في عرض واسترجاع الوحدات الرقمية بطريقة آلية.

خصائص المعجم الرقمي:

يتفرد المعجم الرقمي بالعديد من الخصائص التي تميزه عن غيره من المعاجم التقليدية، فبجانب "إحكام تبويبه، ووضوح أسلوبه، ودقة تعاريفه، وغنى أمثلته"^(١)، فإن المعجم الرقمي يجب أن يتصف بالخصائص التالية^(٢):

- سهولة الاستخدام والبحث عن المفردات.
- وفرة المادة اللغوية من مفردات ومعاني ودلالات وشروح مدعومة بالوسائط.
- الاعتماد على مصادر وسياقات لغوية متعددة، منها القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب.
- سرعة ودقة الأداء عند البحث عن المفردات.

ويرى الباحث أن خصائص المعاجم الرقمية تتمثل في: القابلية للتحديث والتطوير المستمر والتكيف مع المتغيرات، الإتاحة المستمرة للمستخدمين والباحثين في أي وقت وأي مكان، وإمكانية استخدامها عبر مختلف الوسائط مثل الحواسيب والهواتف النقالة، والانتشار الواسع بفضل اعتمادها على الإنترنت، مما يتيح الوصول إليها من أي مكان يتواجد فيه المتعلم.

(١) سعيدة عزوز، وماجي مصطفى، "المعاجم المحوسبة في الوطن العربي: دراسة نقدية لمعجم

صخر الإلكتروني". التعليمية مج ١٣، ع ١٤، (٢٠٢٣): ٣١٤ - ٣٢٧.

(٢) حسني عائشة ناصري، "حاجة المتعلمين إلى صناعة معجم مدرسي إلكتروني: اللغة العربية في

مرحلة التعليم المتوسط أمودجا". مجلة التعليمية ١، (٢٠٢٣): ٤٦٧ - ٤٧٧.

وظائف المعجم الرقمي:

يقوم المعجم الرقمي بالعديد من الوظائف الحيوية لكل من المتعلم والباحث والمستخدم، وذلك في جميع المجالات والأنشطة، وبحسب مهرة (٢٠٢٣) فإن أهم الوظائف التي يقوم بها المعجم الرقمي تتمثل في^(١):

- الحفاظ على اللغة الوطنية وتطويرها بما يتماشى مع متطلبات العصر الحديث.
 - تقريب المعارف والعلوم عبر تجميع وربط المعاجم المتخصصة والعامة، سواء كانت أحادية أو متعددة اللغات، مما يسهل عملية البحث وتكامل العلوم.
 - توفير المصطلح لجميع العلوم وفي كل المجالات.
 - المساهمة في تعلم اللغات الأجنبية على نطاق واسع.
- من خلال ما سبق يرى الباحث أن من أهم وظائف المعجم الرقمي هو تسهيل تعلم اللغة العربية لغة ثانية، من خلال توفير مصدر دائم لزيادة المفردات والشروحات، مما يعزز من مهارات الدارسين الأساسية في اللغة العربية.

الاتجاهات:

مفهوم الاتجاه:

يُعرف الاتجاه من جهة يمثل "تعبير عن درجة الاتساق في الاستجابة لموقف أو موضوع ما"^(٢)، أو هو "استعداد المتعلم للاستجابة بطريقة منسقة وبطريقة محددة،

(١) مهرة مليكة، "المعجم العربي الإلكتروني بين حقيقة الوجود وقيمة الموجود." التعليمية مج ١٣، ١٤، (٢٠٢٣): ٢٠٤ - ٢٢١.

(٢) شادية نايف عبدالرضوان الفواعير، ومحمد قاسم محمد المقابلة. القيم والاتجاهات التربوية لدى مديري المدارس الحكومية في مديرية تربية وتعليم لواء الجامعة ودورها في تحسين الأداء المدرسي من وجهة نظر المعلمين (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة جرش، جرش، (٢٠٢٢).

سواء كانت إيجابية أو سلبية، لأشخاص أو مواضيع أو مفاهيم معينة^(١)، وهو من جهة أخرى يعبر عن "تهيؤ عقلي عصبي مُتعلم يدل على استجابة الفرد الموجبة أو السالبة نحو شخص أو شيء أو موضوع أو موقف أو رمز، وذلك في البيئة التي تستثار فيها الاستجابة، وهذا الاستعداد تظهر نتيجته على شكل وجهة نظر الفرد عن موضوع أو موقف أو حدث، وفي شتى مناحي الحياة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتربوياً وغيرها"^(٢).

من التعريفات السابقة ينظر الباحث إلى الاتجاه على أنه "تعبير المتعلم عن وجهة نظره في المواقف التعليمية المختلفة، سواء بطريقة إيجابية أو بطريقة سلبية، يمكن قياسها من أجل تحديد استجابة المتعلم المستقبلية تجاه هذه المواقف".
وظائف الاتجاه:

للاتجاه عدداً من الوظائف المهمة التي يستطيع من خلالها الفرد المتعلم من تصحيح مساره التعليمي، ومن أبرز وظائف الاتجاه^(٣):

١. الوظيفة النفعية: والتي تهدف إلى تقديم المساعدة للمتعلّم لإتمام الهدف الذي

(١) رندى عطية فهد المجالي، وجهاد سليمان محمد القرعان. مستوى التوافق المهني وعلاقته بالاتجاهات نحو التعليم عن بعد لدى معلمي غرف المصادر خلال جائحة كورونا (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة، مؤتة، (٢٠٢١).

(٢) منال شكري محمد طه، فاخر نبيل محمد الخليلي، وعبد محمد عساف. الفاعلية الذاتية المهنية وامتلاك المرشدين لمهارات الإرشاد وعلاقتها باتجاهات الهيئة التدريسية والطلبة نحو الإرشاد التربوي في مدارس محافظة القدس (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية، نابلس، (٢٠٢١).

(٣) مي موسى إبراهيم المجالي، ومحمد داود خليل المجالي. اتجاهات معلمي الحاسوب للمرحلة الأساسية نحو تفريد التعليم وعلاقتها بدرجة استخدامهم له في الأردن (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، (٢٠٢٢).

يرغب في الوصول إليه، كما تمكنه من التفاعل الناجح مع المحيطين به.

٢. الوظيفة التنظيمية: وهي الوظيفة التي تهدف إلى تنظيم علاقة المتعلم تجاه المتعاملين معه، وتمثل قواعد لتمكنه من الاستجابة المناسبة لكافة المواقف الحياتية.

٣. وظيفة تعبيرية: وهي التي تتيح للمتعلم التعبير عن نفسه، وتحديد هويته في المجتمع.

ويرى الباحث أن وظيفة "القياس" تُعد أهم وظائف الاتجاه والتي تمكن الباحثين من تحديد وجهة التصرفات المستقبلية للمتعلمين، وتحدد طرق التأثير على تلك التوجهات، بغرض الدفع في اتجاه تحديد الأهداف الفردية للمتعلم، والجماعية لنظام التعليم.

أساليب قياس الاتجاه:

- تُعد أساليب قياس الاتجاهات أولى المراحل في سبيل تقييم ورصد وتعديل سلوكيات المتعلم، لذا فقد طور الباحثين نوعين من هذه الأساليب هما^(١):
- أ- الأساليب المباشرة: وهي شائعة الاستخدام بين الباحثين، تقوم على طرح أسئلة مباشرة، أو عبارات مباشرة في المعنى والغرض، ليجيب عنها المفحوص بالقبول أو الرفض، ومن أشهرها مقاييس ثرستون، وليكرت، وجوتمان.
- ب- الأساليب غير المباشرة: مثل الاختبارات المعرفية والتي تقيس اتجاهات المفحوص

(١) همت عطا إبراهيم أبو حمر، إبراهيم عبد الوكيل الفأر، ياسر عبد الرحيم بيومي، و حمدي عز العرب عميرة. فعالية نموذج الصف المقلوب في تنمية التحصيل ومهارات إنشاء موقع قاموس مصطلحات الكمبيوتر لدى طالبات الصف الثاني الثانوي العام واتجاهاتهن نحو تعلم مادة الحاسوب (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طنطا، طنطا، (٢٠٢١).

من خلال استجابته للأسئلة المعرفية، كما تعد اختبارات الإدراك والذاكرة واختبارات الأحكام مثلاً آخر على هذه الأساليب.

أهمية الاتجاه في تعلم العربية:

تمكن أهمية التعرف على اتجاهات المتعلمين بشكل عام في كونها تستطيع أن تحدث تأثيراً فعالاً لدى الفرد المتعلم، وذلك من خلال كونها تعد أحد مسببات السلوك، كما تعد أحد النواتج له أيضاً، لذا فإن التعرف على اتجاهات المتعلم تُعد مطلباً أساسياً لأي نظام تعليمي ناجح^(١). فالاتجاهات تُعد بمثابة مؤشر نتوقع على ضوئه سلوكاً معيناً يقوم به المتعلم، فاتجاه المتعلم نحو أساليب وبرامج تعلم اللغة العربية يؤثر في سلوك المتعلم وقدرتهم على تعلم اللغة^(٢).

ويعتقد الباحث أن أهمية الاتجاه لمتعلم اللغة العربية لغة ثانية تتمثل في كونه مؤشراً على استجابة المتعلم للبرامج التعليمية المقدمة له، وأساليب التدريس التي تعتمد عليها، والأدوات المستخدمة في تعلم اللغة، وهو ما يمثل ضرورة حيوية للمؤسسة التعليمية التي ينتمي لها المتعلم، من أجل تحقيق الأهداف الموضوعة له ولها على حد سواء.

الدراسات السابقة:

من خلال مراجعة الأدب النظري المتعلق بموضوع البحث الحالي، تبين للباحث

(١) العتيبي، فاطمة صالح عبدالله مبارك صالح، الشيراوي، مريم عيسى، وداغستاني، وحسين إبراهيم. اتجاهات المعلمين وأولياء الأمور نحو زواج الأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية البسيطة في دولة الكويت (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الخليج العربي، المنامة، (٢٠٢٢).

(٢) إيناس حسين عبدالله الخوالدة، وأحمد محمد الدويري. درجة استخدام الانفوجرافيك التعليمي في تحسين التحصيل الدراسي في الرياضيات وتنمية الاتجاهات لدى طلبة الصف الرابع الأساسي من وجهة نظر المعلمين في الأردن (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة آل البيت، المفرق، (٢٠٢١).

وجود العديد من الدراسات العربية والأجنبية المتعلقة بالبحث الحالي، سوف يتم تناول عددا منها في المحاور التالية:

أولاً: الدراسات العربية:

دراسة الطاهر وبرهومة (٢٠٢٢). بعنوان: "نحو تصميم معجم حاسوبي للمترادفات والمشتركات والمتلازمات اللفظية للناطقين بغير العربية: دراسة معجمية حاسوبية". وهدفت الدراسة إلى بيان العلاقة بين الصناعة المعجمية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وشملت العينة معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها و ١٠ خبراء لغويين، واعتمدت أدوات جمع البيانات على قوائم مترادفات ومشتركات لفظية ومتلازمات لفظية وبناء معجم حاسوبي، ونجحت الدراسة في تصميم موقع معجم حاسوبي يضم (٨٤٥) مدخلاً رئيسياً بمعلومات نحوية وصرفية ومعاني دلالية^(١).

دراسة الصراف (٢٠٢١). بعنوان: "استعمال طلاب جامعة الكويت للمعاجم الإلكترونية أحادية اللغة: دراسة مسحية وصفية". هدفت الدراسة إلى التعرف على كيفية استخدام طلبة جامعة الكويت للمعاجم العربية الإلكترونية أحادية اللغة، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي المسحي، كما تم اختيار عينة عشوائية من (٤١٧) طالباً، وتم جمع البيانات من خلال الاستبانة، وأظهرت النتائج أن الطلبة يفضلون استخدام المعاجم الإلكترونية على الورقية، ويستحسنون شرح معاني المداخل

(١) الطاهر عرين زهدي عاطف، وعيسى عودة موسى برهومة، "نحو تصميم معجم حاسوبي للمترادفات والمشتركات والمتلازمات اللفظية للناطقين بغير العربية: دراسة معجمية حاسوبية"، (٢٠٢٢).

المعجمية والمعلومات المقدمة، ويأملون في الحصول على مزيد من هذه الشروح^(١).
دراسة السناني (٢٠٢١). بعنوان: "بناء معجم تعليمي إلكتروني للكلمات المشتركة بين اللغتين العربية والملايوية". هدفت الدراسة إلى بناء معجم تعليمي إلكتروني ثنائي اللغة يجمع بين الكلمات المشتركة بين اللغتين العربية والملايوية باستخدام المنهج الوصفي. شملت العينة (٦) من أهم القواميس التعليمية الملايوية، وتم استخدام قائمة المعايير والاستبانة كأدوات لجمع البيانات، وأظهرت النتائج نجاح الدراسة في بناء معجم تعليمي إلكتروني ناطق على الإنترنت، مع تحديد (٢٢) حقلاً دلاليًا مشتركاً بين اللغتين^(٢).

دراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠). بعنوان: "المعجم الإلكتروني ودوره في تنمية التواصل اللغوي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى من وجهة نظر المختصين والمتعلمين". هدفت الدراسة إلى التعرف على دور المعجم الإلكتروني في تنمية التواصل اللغوي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، واعتمدت على عينة عشوائية مكونة من (٢٨) عضواً من أعضاء هيئة التدريس في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأظهرت النتائج أن المعجم الإلكتروني يساعد بشدة المتعلمين على فهم صيغ اللغة العربية واستخدامها بترتيب مناسب، بالإضافة إلى فهمهم لمعاني ودلالات وسياق

(١) علي محمود الصراف، "استعمال طلاب جامعة الكويت للمعاجم الإلكترونية أحادية اللغة:

دراسة مسحية وصفية". مجلة رسالة المشرق مج ٣٦، ع ٣٤، (٢٠٢١): ٨٣ - ١١٩.

(٢) عادل بن علي غانم السناني، ومحمد حسن الحارثي. "بناء معجم تعليمي إلكتروني للكلمات المشتركة بين اللغتين العربية والملايوية". مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، ع ٣،

(٢٠٢١): ١٨٧ - ٢٤٢.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

دراسة (Karami, & Riasati, 2023). بعنوان: "A Study of Electronic Dictionary Use and Attitudes among Iranian Students of Translation during COVID-19 Pandemic". هدفت الدراسة إلى تقديم لمحة عامة عن مواقف وعادات وتفضيلات طلاب الجامعات الإيرانية في استخدام القاموس الإلكتروني في بيئة التعلم، واستخدمت الدراسة المنهج المختلط وشملت عينة الدراسة (٦٤) طالباً من طلاب دراسات الترجمة الإنجليزية بجامعة آزاد، وأظهرت النتائج تفضيل الطلاب للقواميس الإلكترونية وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لاستخدام القواميس الإلكترونية تعزى لمتغير الجنس^(٢).

دراسة (Çolak, & Balaman, 2022). بعنوان: "The use of online dictionaries in video-mediated L2 interactions for the social accomplishment of Virtual Exchange tasks". هدفت الدراسة إلى استكشاف الاستخدام النشط للقواميس الإلكترونية في التفاعلات ثنائية اللغة (L2) عبر الفيديو في برامج التعليم التبادلي الافتراضي بالتعليم العالي، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وبلغت عينة الدراسة (١٩) مشاركاً لأداء (١١) مهمة باستخدام القواميس الإلكترونية، وتم تسجيل المحادثات ومعالجتها، وأظهرت النتائج أن القواميس

(١) الحربي وشعيب، "المعجم الإلكتروني ودوره في تنمية التواصل اللغوي لمعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى من وجهة نظر المختصين والمعلمين، ٥٨٥٠ - ٥٨٩٦.

(2) Karami, Samaneh, and Mohammad Javad Riasati. "A Study of Electronic Dictionary Use and Attitudes among Iranian Students of Translation during COVID-19" 7616256.

الإلكترونية تلعب دورًا رئيسيًا في المهام الاجتماعية بين الثقافات، وسعى المتعلمون ثنائي اللغة للبحث عن مرادفات الكلمات المعروفة بالفعل والتحقق من معرفتهم الحالية^(١).

دراسة (Müezzın, 2021). بعنوان: "The Role of E-Dictionaries During Translation and Their Impact on Teaching Arabic To Non-Native Speakers". هدفت الدراسة إلى التعرف على دور المعاجم الإلكترونية وأثرها في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد شملت العينة (٤٨٥) طالباً من جامعة ١٩ مايو بتركيا، كما استخدمت الدراسة الاستبيان الإلكتروني لجمع البيانات، وأظهرت النتائج أن المعاجم الإلكترونية تعزز الحصيللة اللغوية وتساعد الطلاب على الترجمة بشكل أفضل^(٢).

دراسة (Morys, 2019). بعنوان: "Bilingual Onomasiological Online Dictionary: The Preparation of the English-Spanish Summer Camp Dictionary". هدفت الدراسة إلى تطوير نموذج أولي لقاموس إلكتروني ثنائي اللغة (إنجليزي-إسباني) عبر الإنترنت، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الكمي على ست مراحل: (إنشاء مجموعة - استخراج الكلمات الرئيسية - استخراج المجموعات - توليد التوافق - إنشاء قاعدة البيانات - تصميم صفحات الإنترنت)، تم تحليل قاموسين أحادي اللغة عبر الإنترنت (BerufeNet and Computer Glossary)

(1) Çolak, Fulya, and Ufuk Balaman. "The use of online dictionaries in video-mediated L2 interactions for the social accomplishment of Virtual Exchange tasks." *System* 106 (2022): 102772.

(2) Müezzın, Ahmet. "The Role of E-Dictionaries During Translation and Their Impact on Teaching Arabic To Non-Native Speakers." *DINBİLİMLERİ AKADEMİK ARASTIRMA DERGİSİ-JOURNAL OF ACADEMIC RESEARCH IN RELIGIOUS SCIENCES* 21.1 (2021).

لبناء النموذج المقترح. وأظهرت النتائج نجاح الدراسة في بناء نموذج القاموس الإلكتروني المقترح^(١).

ثالثاً: التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال استقراء الدراسات السابقة وأهم ما توصلت إليه من نتائج، يمكن تبين نقاط الاتفاق والاختلاف بين هذه الدراسات والدراسة الحالية كالتالي:

أولاً: نقاط الاتفاق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

اتفقت الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في النقاط التالية:

الهدف: هدف البحث الحالي إلى الوقوف على وجهات نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعجم الرقمي في تعلم العربية، بالإضافة للوقوف على التحديات والعوامل المؤثرة في استخدام المعجم الرقمية لتعلم العربية، وأهم المهارات التي تعمل تلك المعاجم على تنميتها في تعلم العربية. وهو ما يتفق بشكل جزئي مع أهداف دراسة كل من الطاهر وبرهومة (٢٠٢٢)، ودراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠)، ودراسة (Karami, & Riasati, 2023)، ودراسة (Colak, & Balaman, 2022).

المجتمع: استهدف البحث الحالي متعلمي اللغة العربية لغة ثانية بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهو ما يتفق بشكل كامل مع مجتمع دراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠). كما تتفق بشكل جزئي مع المجتمعات التي استهدفتها دراسة الطاهر وبرهومة (٢٠٢٢)، ودراسة (Muezzin, 2021).

المنهج: اعتمدت معظم الدراسات السابقة كدراسة الطاهر وبرهومة (٢٠٢٢)،

(1) Morys, Ollha Vasylyivna. *Bilingual Onomasiological Online Dictionaries: The Preparation of the English-Spanish Summer Camp Dictionary*. MS thesis. Universidade do Minho (Portugal), 2019.

ودراسة (Muezzin, 2021)، ودراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة السناني (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (2020)، ودراسة (Colak, & Balaman, 2022)، ودراسة (Morys, 2019) على استخدام المنهج الوصفي بتنوعاته المختلفة. وهو ما يعنى إمكانية الاعتماد عليه في البحث الحالي.

الأدوات: اتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة كدراسة ودراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة السناني (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠)، ودراسة (Karami, & Riasati, 2023)، ودراسة (Muezzin, 2021)، على استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وهي ما سوف يستخدمه البحث الحالي في جمع البيانات.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

اختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في النقاط التالية:

الهدف: هدف البحث الحالي إلى الوقوف على وجهات نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعجم الرقمي في تعلم العربية، بالإضافة للوقوف على التحديات والعوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية لتعلم العربية، وهو ما يختلف بشكل كلي مع أهداف دراسة كل من السناني (٢٠٢١)، ودراسة (Morys, 2019) والتي ركزت على الصناعة المعجمية. كما اختلفت أهداف البحث الحالي بشكل جزئي مع أهداف دراسة كل من الطاهر وبرهومة (٢٠٢٢)، ودراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠)، ودراسة (Karami, & Riasati, 2023)، ودراسة (Colak, & Balaman, 2022) التي ركزت على أهمية استعمال المعاجم الإلكترونية في مجتمعات بحثية متعددة، لكنها أغفلت التحديات والعوامل المؤثرة في استخدامها، وكذلك المهارات التي تُنمّيها لدى متعلمي العربية لغة ثانية.

المجتمع: يستهدف البحث الحالي متعلمي اللغة العربية لغة ثانية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية. وهو ما يختلف مع المجتمعات التي استهدفتها الدراسات السابقة كدراسة

الظاهر وبرهومة (٢٠٢٢)، ودراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة السناني (٢٠٢١)، ودراسة (Colak, & Balaman, 2022)، ودراسة (Morys, 2019)، ودراسة (Karami, & Riasati, 2023)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠) من حيث الخصائص الديموغرافية للعينة البحثية.

المنهج: اعتمد البحث الحالي في تحقيق أهدافه على المنهج الوصفي، وهو ما يختلف مع دراسة (Karami, & Riasati, 2023) التي تعتمد على المنهج المختلط. **الأدوات:** يعتمد البحث الحالي على استخدام مقياس الاتجاه كأداة رئيسية لجمع البيانات، وهو ما يخالف الأدوات المستخدمة في الدراسات السابقة كدراسة الظاهر وبرهومة (٢٠٢٢) التي اعتمدت على قائمة المترادفات، ودراسة السناني (٢٠٢١) والتي اعتمدت على قائمة المعايير.

ثالثاً: بيان الفجوة البحثية:

في ضوء استقراء الدراسات السابقة وأهم ما توصلت له من نتائج، تبين للباحث النقاط التالية:

- ندرة الدراسات التي حاولت معرفة وجهات نظر المتعلمين نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية بشكل عام وكلمة ثانية بشكل خاص، وهو ما يسعى البحث الحالي لتحقيقه.

- ندرة الدراسات التي تناولت دور المعجم الرقمي عبر الإنترنت في تعلم اللغة العربية لغة ثانية، وهي الفجوة التي يحاول البحث الحالي سدها.

منهج البحث:

تبين للباحث من خلال استقراء الأدب النظري والدراسات السابقة أن أنسب منهج للبحث الحالي هو المنهج الوصفي التحليلي، نظراً لأدواته التي تمكن من وصف مشكلة الدراسة بدقة، وقد تم استخدامه لوصف استخدام المعاجم الرقمية واتجاهات

متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحوها^(١).

مجتمع البحث:

يتمثل مجتمع البحث الحالي في جميع متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية والبالغ عددهم (١٦٩٢) طالباً، وذلك وفق إحصائيات وحدة شؤون الطلاب بالمعهد.

عينة البحث:

للإجابة على أسئلة البحث وتحقيق أهدافه، قام الباحث باختيار عينة عشوائية بسيطة قوامها (٧٤٢)، موزعة كالتالي (٤٤٠) للاستبانة و(٣٠٢) لمقياس الاتجاه، من متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، ويرجع ذلك الاختلاف في التوزيع للاعتبارات الأخلاقية وحرية الاختيار حيث إن مشاركة الأفراد طوعية تماماً، وبناءً على رغبتهم الشخصية، وقد تم ذلك وفق الخصائص الديموغرافية التالية:

(١) رجاء محمود أبو علام، "مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية". (ط ١، مصر: دار النشر للجامعات، للجامعات، ٢٠١٥).

١ - خصائص عينة البحث وفقاً لمتغير المستوى اللغوي:

جدول رقم (١) توزيع أفراد عينة البحث تبعاً للمستوى اللغوي

المتغير		الاستبانة		مقياس الاتجاه	
الفئة	الترميز	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
المستوى الأول	١	٢٤,٠٩٪	١٠٦	٢٠,٨٦٪	٦٣
المستوى الثاني	٢	٢٢,٩٥٪	١٠١	٢١,٥٢٪	٦٥
المستوى الثالث	٣	٤٣,١٨٪	١٩٠	٤٥,٣٦٪	١٣٧
المستوى الرابع	٤	٩,٧٧٪	٤٣	١٢,٢٥٪	٣٧
المجموع		١٠٠٪	٤٤٠	٣٠٢	١٠٠٪

من بيانات جدول (١) يتبين أن: غالبية عينة البحث في المستوى الثالث لدراسة اللغة العربية وذلك بنسبة مئوية بلغت (٤٣,١٨٪) و (٤٥,٣٦٪) في أداتي البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه)، وهو ما يشير بوضوح لتكافؤ عينة البحث بحسب نسب كل مستوى.

٢- خصائص عينة البحث وفقاً لمتغير الجنسية:

جدول رقم (٢) توزيع أفراد عينة البحث تبعاً للجنسية

مقياس الاتجاه		الاستبانة		المتغير		
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	الترميز	الفئة	الجنسية
٢,٩٨٪	٩	٢,٢٧٪	١٠	١	أمريكي	
٠,٩٩٪	٣	١,١٤٪	٥	٢	بريطاني	
٣,٣١٪	١٠	٥,٥٤٪	٢٤	٣	صيني	
٩٢,٧٢٪	٢٨٠	٩١,١٤٪	٤٠١	٤	أخرى	
١٠٠٪	٣٠٢	١٠٠٪	٤٤٠	المجموع		

باستقراء بيانات جدول رقم (٢) يتبين أن: جاءت في الترتيب الأول "أخرى" بنسبة بلغت (٩١,١٤٪) و (٩٢,٢٧٪) في أداتي البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه)، وهو ما يشير لتنوع وتعدد جنسيات متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

٣- خصائص عينة البحث وفقاً لمتغير العمر:

جدول رقم (٣) توزيع أفراد عينة البحث تبعاً للعمر

المتغير		الاستبانة		مقياس الاتجاه	
الفئة	الترميز	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
أقل من ٢٠ عام	١	٤٣	%٩,٧٧	٢١	%٦,٩٥
من ٢١ إلى ٣٠ عام	٢	٣٨٨	%٨٨,١٨	٢٧٥	%٩١,٠٦
من ٣١ إلى ٤٠ عام	٣	٨	%١,٨٢	٥	%١,٦٦
أكبر من ٤١ عام	٤	١	%٠,٢٣	١	%٠,٣٣
المجموع		٤٤٠	%١٠٠	٣٠٢	%١٠٠

من بيانات جدول رقم (٣) يتبين أن: جاءت في الترتيب الأول الفئة العمرية "من ٢١ إلى ٣٠ عام" بنسبة بلغت (٨٨,١٨) و (٩١,٠٦)٪ في أداتي البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه)، وهو ما يشير إلى أن غالبية الدارسين للغة العربية من غير الناطقين بها من فئة الشباب.

٤ - خصائص عينة البحث وفقاً لمتغير وسيلة الاستخدام:

جدول رقم (٤) توزيع أفراد عينة البحث تبعا وسيلة الاستخدام

المتغير		الاستبانة		مقياس الاتجاه	
الفئة	الترميز	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
وسيلة الاستخدام	الحاسب الشخصي	١	٣٩	١٧	٥,٦٣٪
	الحاسب اللوحي	٢	١٢	١١	٣,٦٤٪
	الهاتف الذكي	٣	٣٨٩	٢٧٤	٩٠,٧٣٪
	المجموع		٤٤٠	٣٠٢	١٠٠٪

من بيانات جدول رقم (٤) يتبين أن: جاءت في الترتيب الأول الفئة التي تستخدم "الهاتف الذكي" بنسبة بلغت (٨٨,٤١٪) و (٩٠,٧٣٪) في أداتي البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه)، وهو ما يشير إلى أن غالبية متعلمي العربية لغة ثانية يعتمدون على الهاتف الذكي في استخدام المعاجم الرقمية، ونفسر ذلك نظراً لقلة تكلفته وسهولة استخدامه وتوافره الدائم، في المقابل، يتميز الحاسب اللوحي والحاسب الشخصي بحجم الشاشة الكبير وسهولة الاستخدام، ولكن صعوبة التنقل وزيادة التكلفة قلل من استخدامهما لدى عينة البحث.

أدوات البحث:

لإجابة أسئلة البحث قام الباحث بإعداد (مقياس الاتجاه - الاستبانة)، وفق الإجراءات التالية:

١- وضع الصورة الأولية لأدوات البحث: بعد اطلاع الباحث على الأدب النظري المتعلق بالبحث الحالي، قام بوضع الصورة الأولية لاستبانة "استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية"، والتي تكونت صورتها الأولية من (٢٨) عبارة، موزعة على ثلاثة محاور، كما قام بوضع الصورة الأولية لمقياس اتجاه:

"اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية"، والذي يتكون من (٣٧) عبارة، موزعة على (٥) محاور.

٢- اعتماد ميزان تقديري لأدوات البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه): اعتمد الباحث على مقياس ليكرت الخماسي، حيث تم التعبير عن هذا المقياس كمياً، عن طريق إعطاء درجة لكل استجابة كالتالي: موافق بشدة (٥)، موافق (٤)، محايد (٣)، غير موافق (٢)، غير موافق بشدة (١) درجة واحدة، من ثم قام بتحديد طول الفئة الاستجابة على المقياس كما هو مبين بجدول رقم (٥) التالي:

جدول رقم (٥) ميزان تقديري وفقاً لمقياس ليكرت الخماسي

الاتجاه العام	المتوسط المرجح	الاستجابة
موافقة بدرجة قليلة جداً	من ١ إلى ١,٨٠	غير موافق بشدة
موافقة بدرجة قليلة	من ١,٨١ إلى ٢,٦٠	غير موافق
موافقة بدرجة متوسطة	من ٢,٦١ إلى ٣,٤٠	محايد
موافقة بدرجة كبيرة	من ٣,٤١ إلى ٤,٢٠	موافق
موافقة بدرجة كبيرة جداً	أكبر من ٤,٢٠	موافق بشدة

وعليه فقد اعتمد الباحث على "المتوسط المرجح" في المعالجة الإحصائية لاستجابات أفراد عينة - البحث متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، على عبارات أدوات البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه) من خلال مقياس ليكرت الخماسي بغرض التعرف على الاتجاه العام لآراء عينة البحث.

٣- التأكد من صلاحية أدوات البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه): وذلك كالتالي:

أ- الصدق الظاهري لأدوات البحث:

بعد إعداد الأدوات الأولية للبحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه)، عرضها

الباحث على خبراء في تعليم اللغة العربية وتكنولوجيا المعاجم الرقمية لاستطلاع آرائهم واقتراح التعديلات، وبعد تلقي المقترحات، أجرى الباحث التعديلات المطلوبة لتصبح الأدوات جاهزة للتطبيق.

ب- حساب صدق الاتساق الداخلي لأدوات البحث:

اعتمد الباحث في حساب صدق الاتصال الداخلي لأدوات البحث على حساب معامل الارتباط "بيرسون"، باستخدام لغة تحليل البيانات "آر" (R)، ويعرض الجدول رقم (٦) التالي:

جدول (٦) معامل ارتباط "بيرسون" لأدوات البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه) والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه

معامل الارتباط (r)	العبارة	معامل الارتباط (r)	العبارة	معامل الارتباط (r)	العبارة	معامل الارتباط (r)	العبارة
*،٢٣	٢١ع	**،٦٢	٤ع	الاستبانة			
**،٥٢	٢٢ع	*،٣٥	٥ع	**،٦٦	١٧ع	**،٦٦	١ع
**،٥٩	٢٣ع	*،٣٦	٦ع	**،٧٢	١٨ع	**،٦٦	٢ع
**،٦٢	٢٤ع	*،٣٥	٧ع	**،٧٧	١٩ع	**،٧٤	٣ع
**،٥٤	٢٥ع	**،٥٤	٨ع	**،٧٣	٢٠ع	**،٧٠	٤ع
**،٥٦	٢٦ع	**،٥٩	٩ع	**،٧٨	٢١ع	**،٧٤	٥ع
*،٤٤	٢٧ع	**،٥٥	١٠ع	**،٧٨	٢٢ع	**،٦٦	٦ع
**،٦٥	٢٨ع	**،٥١	١١ع	**،٨٤	٢٣ع	**،٧١	٧ع
**،٦٦	٢٩ع	**،٦٣	١٢ع	**،٨١	٢٤ع	**،٧٠	٨ع
**،٥٣	٣٠ع	*،٣٤	١٣ع	**،٧٦	٢٥ع	**،٧٠	٩ع
**،٧٤	٣١ع	**،٦٧	١٤ع	**،٨٦	٢٦ع	**،٦٨	١٠ع
**،٧٠	٣٢ع	**،٦٨	١٤ع	**،٨٥	٢٧ع	**،٦٢	١١ع
**،٦٣	٣٣ع	**،٦٨	١٦ع	**،٨٤	٢٨ع	**،٦٦	١٢ع
*،٢٠	٣٤ع	**،٥٨	١٧ع	مقياس الاتجاه		**،٦٣	١٣ع
*،١١	٣٥ع	*،٣٠	١٨ع	**،٦٦	١ع	**،٧٣	١٤ع
*،٠٣	٣٦ع	*،٠٣	١٩ع	**،٧٤	٢ع	**،٧٢	١٥ع
**،٥٢	٣٧ع	**،٥٦	٢٠ع	**،٦٧	٣ع	**،٦٨	١٦ع

يتضح من خلال بيانات جدول (٦) أن: جميع معاملات الارتباط لعبارات الاستبانة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه كل عبارة يقع ما بين (٠،٦٢)

كحد أدني و (٠,٦٨) كحد أعلى، كما أن جميع معاملات الارتباط لعبارات مقياس الاتجاه والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه كل عبارة يقع ما بين (٠,٠٣) كحد أدني و (٠,٧٤) كحد أعلى، وهو ما يشير إلى أن جميع عبارات أداتي البحث متسقة داخلياً مع الدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي له، مما يثبت صدق الاتساق الداخلي للأدوات، ويؤكد صلاحيتها ومناسبتها للتطبيق.

ج- ثبات أدوات البحث:

للتأكد من ثبات أدوات البحث (الاستبانة - مقياس الاتجاه)، قام الباحث بتطبيق اختبار أوميغا ماك دونالد (McDonald's Omega) لحساب الثبات، وجاءت النتائج كما هو مبين في الجدول رقم (٧) التالي:

جدول رقم (٧) معامل أوميغا ماك دونالد لمقياس ثبات أدوات البحث وما تتضمنه من محاور فرعية

الأداة	المحاور الرئيسية	عدد العبارات	معامل الثبات (α)
الاستبانة	التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية	١٢	٠,٩٧
	العوامل المؤثرة على استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية	٩	٠,٩٦
	مهارات اللغة العربية التي تعمل المعاجم الرقمية على تنميتها	٧	٠,٩٧
الثبات العام للاستبانة			
مقياس الاتجاه	اتجاه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية	٦	٠,٨١
	اتجاه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو إمكانية الوصول للمعاجم الرقمية	٧	٠,٧٤
	اتجاه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو محتوى المعاجم الرقمية	٩	٠,٨١
	اتجاه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو الدعم بالمعاجم الرقمية	٥	٠,٩١
	اتجاه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو البحث والتفاعل بالمعاجم الرقمية	١٠	٠,٩٠
الثبات العام لمقياس الاتجاه			
		٣٧	٠,٩٤

من بيانات جدول رقم (٧) يتبين أن: الثبات العام للاستبانة بلغ (٠,٨٩)،

حيث تراوح ثبات محاورها الفرعية بين (٠,٩٦) كحد أدنى و (٠,٩٧) كحد أعلى، كما بلغ الثبات العام لمقياس الاتجاه (٠,٩٤)، حيث تراوح ثبات محاوره بين (٠,٧٤) كحد أدنى و (٠,٩١) كحد أعلى، وهو ما يشير إلى أن أدوات البحث تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات تمكن من الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة، وذلك بحسب مقياس "نانلي" والذي يعتمد قيمة (٠,٧٠) كحد أدنى للثبات.

أساليب التحليل الإحصائي:

يعتمد البحث الحالي في التوصل إلى نتائجه على تحليل البيانات التي تم جمعها باستخدام: برنامج معالجة الحزم الإحصائية (SPSS V27)، ولغة تحليل البيانات "آر" (R)، وذلك لتطبيق الأساليب والاختبارات الإحصائية التالية: حساب التكرارات، وحساب النسب المئوية، والمتوسط الحاسبي، والانحراف المعياري، ومعامل الارتباط "بيرسون"، واختبار (McDonald's Omega)، واختبار (Kruskal Wallis).

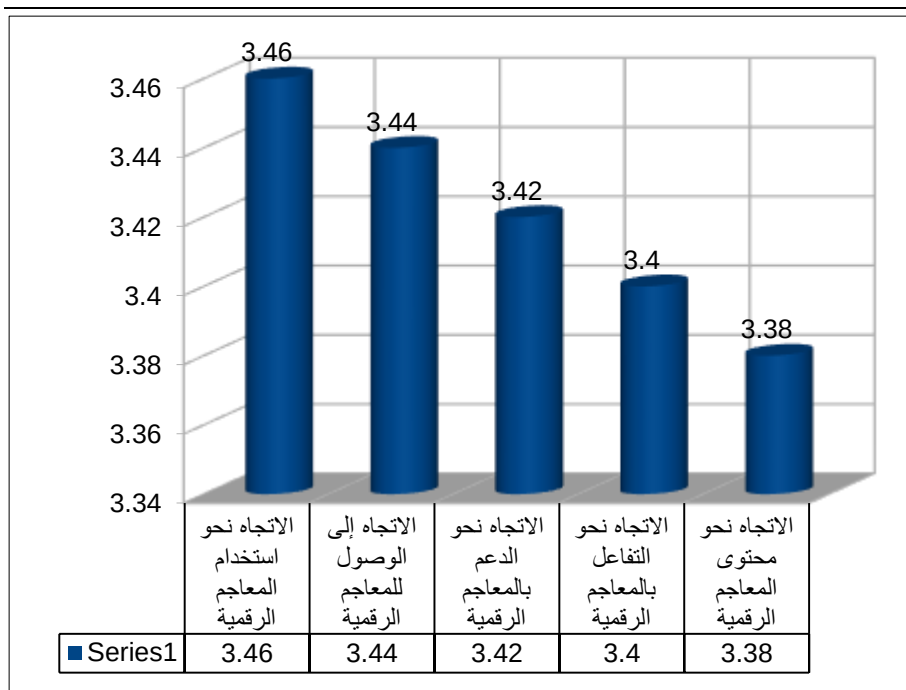
نتائج الإجابة على أسئلة الدراسة:

إجابة السؤال الأول: والذي ينص على "ما اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية؟". قام الباحث بتحليل مقياس "اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية". وذلك باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

جدول رقم (٨) المتوسط والانحراف المعياري لاستجابات عينة البحث حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية

المقياس	المحاور الفرعية	عدد العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاتجاه العام
اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية	أ- الاتجاه نحو استخدام المعاجم الرقمية	٦	٣,٦٤	٠,٥٣	موافقة كبيرة
	ب- الاتجاه نحو الوصول للمعاجم الرقمية	٧	٣,٤٤	٠,٥١	موافقة كبيرة
	ت- الاتجاه نحو محتوى المعاجم الرقمية	٩	٣,٨٣	٠,٤٤	موافقة متوسطة
	ث- الاتجاه نحو الدعم بالمعاجم الرقمية	٥	٣,٤٢	٠,٥٢	موافقة كبيرة
	ج- الاتجاه نحو التفاعل بالمعاجم الرقمية	١٠	٣,٤٣	٠,٤٣	موافقة متوسطة
الاتجاه العام نحو استخدام المعاجم الرقمية		٣٧	٣,٤٢	٠,٣٧	موافقة كبيرة

من بيانات جدول رقم (٨) يتبين أن: الاتجاه العام لعينة البحث حول استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية لغة ثانية جاء بدرجة "كبيرة"، وذلك بمتوسط عام مقداره (٣,٤٢)، والذي يقع في نطاق الفئة (من ٣,٤١ إلى ٤,٢٠) على مقياس ليكرت الخماسي.



شكل (١) متوسط استجابات عينة البحث حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية

كما يتبين من الشكل رقم (١) أن: جاء الاتجاه نحو الاستخدام العام للمعاجم الرقمية من قبل متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في الترتيب الأول على مقياس الاتجاه، وذلك بمتوسط مقداره (٣,٤٦)، يليه في الترتيب الثاني الاتجاه إمكانية الوصول للمعاجم الرقمية، بمتوسط مقداره (٣,٤٤)، ثم جاء الاتجاه نحو الدعم المقدم للمتعلم في المعاجم الرقمية في الترتيب الثالث بمتوسط مقداره (٣,٤٢)، بينما جاء الاتجاه نحو التفاعل مع محتوى المعاجم الرقمية في الترتيب الرابع بمتوسط مقداره (٣,٤٠)، في حين جاء الاتجاه نحو محتوى المعاجم الرقمية في الترتيب الخامس والأخير بمقياس الاتجاه بمتوسط مقداره (٣,٣٨).

يمكن تفسير الاتجاه الإيجابي الكبير لمتعلمي اللغة العربية نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية لعدة أسباب، منها: توافر الأجهزة الرقمية، سهولة استخدامها، الاعتماد على التطبيقات الرقمية للتعلم، جودة البنية التحتية للاتصالات، توافر العديد من المعاجم الرقمية عبر الإنترنت، وانخفاض تكلفتها مقارنة بالطرق التقليدية، بالإضافة إلى نقص مراكز تعلم اللغة المعتمدة في العديد من البلدان غير الناطقة بالعربية، وهذه النتائج تتفق مع ما توصلت إليه دراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠)، ودراسة (Karami, & Riasati, 2023) والتي أجمعت على الاتجاه الإيجابي نحو المعاجم الرقمية.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أ- اتجاه متعلمي العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية:

جدول (٩) اتجاه المتعلمين عينة البحث نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية

لغة ثانية

البيانات	موافقة بشدة	موافقة	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام
أفضل التعامل مع واجهة الاستخدام للمعجم الرقمي للغة العربية	٧٨	١٢٠	٨٦	١٤	٤	٣,٨٤	٠,٩١	٢	موافقة كبيرة
	% ٢٥,٨٣	٣٩,٧٤	٢٨,٤٨	٤,٦٤	١,٣٢				
أشعرُ بسهولة التعامل مع واجهة المعجم الرقمي للغة العربية	٦٢	١٤٧	٧٠	١٧	٦	٣,٨٠	٠,٩٠	٣	موافقة كبيرة
	% ٢,٥٣	٤٨,٦٨	٢٣,١٨	٥,٦٣	١,٩٩				
أفضل التصميم البسيط لواجهة استخدام المعجم الرقمي للغة العربية	٧١	١٣٩	٧٦	١٤	٢	٣,٨٧	٠,٨٥	١	موافقة كبيرة
	% ٢٣,٥١	٤٦,٠٣	٥٢,١٧	٤,٦٤	٠,٦٦				
أستطيعُ تخصيص واجهة استخدام المعجم الرقمي للغة العربية ليناسب استخدامي	٥٣	١١٩	٩٢	٣٢	٦	٣,٦٠	٠,٩٠	٤	موافقة كبيرة
	% ١٧,٥٥	٣٩,٤٠	٣٠,٦٤	١٠,٦٠	١,٩٩				

صعوبة في استخدام المعاجم الرقمية للغة العربية	ت	١٠	٦٧	٩٩	٩٢	٣٤	٢,٧٦	١,٠٣	٦	موافقة متوسطة
	%	٣,٣١	٢٢,١٩	٣٢,٧٨	٣٠,٤٦	١١,٢٦				
أَشْعُرُ بِأَنِّي لَا أَتَعَلَّمُ كثير من المفردات جراء استخدام المعاجم الرقمية للغة العربية	ت	٢٢	٨٠	٧٩	٨٧	٣٤	٢,٩٠	٠,١٤	٥	موافقة متوسطة
	%	٧,٢٨	٢٦,٤٩	٢٦,١٦	٢٨,٨١	١١,٢٦				
الاتجاه نحو استخدام المعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية = ٣,٤٦ موافقة كبيرة										

باستقراء بيانات جدول رقم (٩) يتبين أن أعلى (٤) عبارات دالة على اتجاه الاستخدام جاءت كالتالي: جاءت العبارة "أَفْضَلُ التصميم البسيط لواجهة استخدام المعاجم الرقمية للغة العربية" في الترتيب الأول بين عبارات محور الاستخدام بمتوسط مقدار (٣,٨٧)، وانحراف معياري بلغ (٠,٨٥)، وجاءت العبارة "أَفْضَلُ التعامل مع واجهة الاستخدام للمعجم الرقمي للغة العربية" في الترتيب الثاني بين عبارات المحور بمتوسط مقدار (٣,٨٤)، وانحراف معياري بلغ (٠,٩١)، وجاءت العبارة "أَشْعُرُ بسهولة التعامل مع واجهة المعجم الرقمي للغة العربية" في الترتيب الثالث بين عبارات المحور بمتوسط مقدار (٣,٨٠)، وانحراف معياري بلغ (٠,٩٠)، وجاءت العبارة "أَسْتَطِيعُ تخصيص واجهة استخدام المعجم الرقمي للغة العربية ليناسب استخدامي" في الترتيب الرابع بين عبارات المحور بمتوسط مقدار (٣,٦٠)، وانحراف معياري بلغ (٠,٩٠).

أظهرت النتائج الاتجاه الإيجابي للمتعلمين نحو استخدام المعاجم الرقمية لتعلم

العربية لغة ثانية، بفضل تصميمها البسيط، وسهولة استخدامها، وقدرتها على تخصيص المحتوى، مما يقلل الجهد والوقت، وتعكس الاستجابات أهمية هذه العناصر في تطوير المعاجم الرقمية، بالإضافة إلى اعتماد المتعلمين على أدوات التكنولوجيا الحديثة في عملية التعلم والتي تنمي الاتجاه نحو استخدام المعاجم الرقمية، وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة الصراف (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠).

ب- اتجاه متعلمي العربية لغة ثانية نحو الوصول للمعاجم الرقمية:

جدول (١٠) اتجاه المتعلمين عينة البحث نحو إمكانية الوصول للمعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية

العبارة	موافق بشدة	موافق	لا	لا	موافق بشدة	موافق	الاتجاه العام
أستخدّم المعجم الرقمي للعربية الذي يناسبني	ت	٧٢	١٤٩	٦٧	١٣	١	موافقة كبيرة
	%	٢٣,٨٤	٤٩,٣٤	٢٢,١٩	٤,٣٠	٠,٣٣	
أحبّ التعامل مع المعجم الرقمي للعربية في أي مكان أريده	ت	٨٧	١٣١	٧١	٩	٤	موافقة كبيرة
	%	٢٨,٨١	٤٣,٣٨	٢٣,٥١	٢,٩٨	١,٣٢	
أستطيع الوصول إلى أدوات المعجم الرقمي للعربية ببسر وسهولة	ت	٦٢	١٢٩	٨٤	٢٢	٥	موافقة كبيرة
	%	٢٠,٥٣	٤٢,٧٢	٢٧,٨١	٧,٢٨	١,٦٦	
لا أرغب في استخدام المعجم الرقمي لصعوبة التعامل معه في الوقت والمكان الذي أريده	ت	٢٦	٥٨	٨٧	٨٠	٢٤	موافقة متوسطة
	%	٨,٦١	٢٨,١٥	٢٨,٨١	٢٦,٤٩	٧,٩٥	
يمكنني الوصول إلى المعجم الرقمي للعربية من خلال الأجهزة المتنوعة	ت	٦٠	١٣٥	٨٣	١٥	٩	موافقة كبيرة
	%	١٩,٨٧	٤٤,٧٠	٢٧,٤٨	٤,٧٩	٢,٩٨	

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ٢

لا أفضل الأجهزة الذكية (الهاتف - الحاسوب) في التعامل مع المعاجم الرقمية	ت	٣٠	٩٠	٧٨	٨١	٢٣	٣,٠٨	١,١٣	٥	موافقة متوسطة
%		٩,٩٣	٢٩,٨٠	٢٥,٨٣	٢٦,٨٢	٧,٦٢				
أضطرُ لاستخدام بعض الأدوات والتطبيقات الخارجية لمساعدتي على استخدام المعجم الرقمي للغة العربية	ت	١٢	٤٢	١٠٤	١٠١	٤٣	٢,٠٦	١,٠٢	٧	موافقة قليلة
%		٣,٩٧	١٣,٩١	٣٤,٤٤	٣٣,٤٤	١٤,٢٤				
الاتجاه نحو الوصول للمعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية = 3.44										
موافقة كبيرة										

باستقراء بيانات جدول رقم (١٠) يتبين أن: جاء أعلى أربعة عبارات من حيث ترتيب موافقة عينة البحث المتعلقة بمحور الاتجاه نحو الوصول للمعاجم الرقمية كالتالي: جاءت العبارة "أحبُّ التعامل مع المعجم الرقمي للغة العربية في أي مكان أريده" في الترتيب الأول بين بمتوسط مقداره (٣,٩٥)، وانحراف معياري يساوي (٠,٨٧)، وجاءت العبارة "أستخدمُ المعجم الرقمي للغة العربية في الوقت الذي يناسبني" في الترتيب الثاني بين بمتوسط مقداره (٣,٩٢)، وانحراف معياري يساوي (٠,٨١)، بينما جاءت العبارة "يُمكنني الوصول إلى المعجم الرقمي للغة العربية من خلال الأجهزة المتنوعة" في الترتيب الثالث بين بمتوسط مقداره (٣,٧٣)، وانحراف معياري يساوي (٠,٩٣)، في حين جاءت العبارة "أستطيعُ الوصول إلى أدوات المعجم الرقمي للغة العربية بيسر وسهولة" في الترتيب الرابع بين بمتوسط مقداره (٣,٧٣)، وانحراف معياري يساوي (٠,٩٢).

وتشير تلك النتائج إلى أن عينة البحث تتجه بشكل إيجابي نحو إمكانية

الوصول للمعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية، ويعزو الباحث تلك النتيجة إلى المميزات والخصائص التي تتمتع بها تلك المعاجم من حيث مرونتها وتوافرها المستمر في أي وقت وأي مكان، وتكلفتها المناسبة، وتوفر الإنترنت والأجهزة والبرامج المطلوبة لاستخدامها، كل ذلك أدى لتكوين اتجاه إيجابي نحو الوصول واستخدامها لتعلم العربية لغة ثانية من قِبَل المتعلمين، وهذه النتائج تتفق مع ما توصلت إليه دراسة (Çolak, & Balaman,2022).

ت- اتجاه متعلمي العربية لغة ثانية نحو استخدام محتوى المعاجم الرقمية:
جدول (١١) اتجاه المتعلمين عينة البحث نحو استخدام محتوى المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية

العبارة	موافقة بشدة	موافقة	لا بد	المتوسط	غير موافقة بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	الاتجاه العام
أعتقد أن المعاجم الرقمية تتضمن كل ما أحتاج إليه في تعلم اللغة العربية	ت	٥٣	١١٧	٨٨	٣٥	٩	٣,٥٦	١,٠١	٦ موافقة كبيرة
	%	١٧,٥٥	٣٨,٧٤	٢٩,١٤	١١,٥٩	٢,٩٨			
أرى أن المعاجم الرقمية تتضمن شرح واقي لمفردات اللغة العربية	ت	٤٩	١٣٤	٨٩	٢٣	٧	٣,٦٥	٠,٩٢	٤ موافقة كبيرة
	%	١٦,٢٣	٤٤,٣٧	٢٩,٤٧	٧,٦٢	٢,٣٢			
يساعدني النطق الصوتي في تنمية مهارات الاستماع والنطق لمفردات اللغة العربية	ت	٧٢	١٣٧	٦٦	١٧	١٠	٣,٨١	٠,٩٧	٣ موافقة كبيرة
	%	٢٣,٨٤	٤٥,٣٦	٢١,٨٥	٥,٦٣	٣,٣١			
أفضل تنوع محتوى المعاجم الرقمية للغة العربية القائمة على الوسائط المتعددة (الصوت - الصورة - الفيديو)	ت	٧٩	١٣٤	٧١	١٥	٣	٣,٩٠	٠,٨٨	١ موافقة كبيرة
	%	٢٦,١٦	٤٤,٣٧	٢٣,٥١	٤,٩٧	٠,٩٩			
أشعر أنني لا أستمتع بمحتوى معاجم اللغة العربية الرقمية	ت	١٩	٨٠	١٠٢	٧٧	٢٤	٢,٩٨	١,٠٥	٧ موافقة متوسطة
	%	٦,٢٩	٢٦,٤٩	٣٣,٧٧	٢٥,٥٠	٧,٩٥			

أُضْطُرُّ إلى استخدام العديد من المعاجم التقليدية للتأكد من معاني مفردات اللغة العربية	ت	٧	٣٠	١١٠	١١٠	٤٥	٢,٤٨	٠,٩٣	٩	موافقة قليلة
	%	٢,٣٢	٩,٩٣	٣٦,٤٢	٣٦,٤٢	١٤,٩٠				
أرى أن المعاجم الرقمية توفر سياقات المفردات اللغوية وهذا يُسهِّل عليَّ التعرف على المفردات الجديدة	ت	٦٦	١٣٧	٨٤	١١	٤	٣,٨٣	٠,٨٦	٢	موافقة كبيرة
	%	٢١,٨٥	٤٥,٣٦	٢٧,٨١	٣,٦٤	١,٣٢				
أعتقد أن المعاجم الرقمية لا تُوفِّر أصداداً ومرادفات المفردات بشكل كافٍ	ت	١٠	٥٣	٩٥	١٠٣	٤١	٢,٦٣	١,٠٣	٨	موافقة متوسطة
	%	٣,٣١	١٧,٥٥	٣١,٦٤	٣٤,١١	١٣,٥٨				
أفضِّل التعامل مع المعاجم الرقمية للغة العربية لثراء الأمثلة التي تقدمها	ت	٤٣	١٣٧	٩٢	٢٣	٧	٣,٦٢	٠,٩٠	٥	موافقة كبيرة
	%	١٤,٢٤	٤٥,٣٦	٣٠,٤٦	٧,٦٢	٢,٣٢				
الاتجاه نحو محتوى المعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية = ٣,٣٨										
موافقة كبيرة										

باستقراء بيانات جدول رقم (١١) يتبين أن: جاء أعلى خمس عبارات من حيث ترتيب موافقة عينة البحث المتعلقة بمحور الاتجاه نحو استخدام محتوى المعاجم الرقمية كالتالي: جاءت العبارة "أفضِّلُ تنوع محتوى المعاجم الرقمية للغة العربية القائمة على الوسائط المتعددة (الصوت - الصورة - الفيديو) في الترتيب الأول بين عبارات المحور بمتوسط مقداره (٣,٩٠)، وانحراف معياري يساوي (٠,٨٨)، وجاءت العبارة "أرى أن المعاجم الرقمية توفر سياقات المفردات اللغوية وهذا يُسهِّل عليَّ التعرف على المفردات الجديدة" في الترتيب الثاني بمتوسط مقداره (٣,٨٣)، وانحراف معياري يساوي (٠,٨٦)، ثم جاءت العبارة "يُساعدني النطق الصوتي في تنمية مهارات الاستماع والنطق لمفردات اللغة العربية" في الترتيب الثالث بين عبارات المحور بمتوسط

مقداره (٣,٨١)، وانحراف معياري يساوى (٠,٩٧)، بينما جاءت العبارة "أرى أن المعاجم الرقمية تتضمن شرح وافٍ لمفردات اللغة العربية" في الترتيب الرابع بين عبارات المحور بمتوسط مقداره (٣,٦٥)، وانحراف معياري يساوى (٠,٩٢)، في حين جاءت العبارة "أفضل التعامل مع المعاجم الرقمية للغة العربية لثراء الأمثلة التي تقدمها" في الترتيب الخامس بين عبارات المحور بمتوسط مقداره (٣,٦٢)، وانحراف معياري يساوى (٠,٩٠).

وتؤكد هذا النتائج على الاتجاه الإيجابي للمتعلمين نحو محتوى المعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية، ويعزو الباحث تلك النتيجة نظراً للتنوع الكبير في سياقات المفردات، واستخدام الوسائط المتعددة، ووفرة الشروحات، وإمكانيات التدريب المتكرر على النطق والاستماع، مما جعل التعامل مع محتواها تجربة ثرية وممتعة في آن واحد، وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة كل من الصراف (٢٠٢١)، ودراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠)، ودراسة (Müezzín, 2021)، ودراسة (Karami, & Riasati, 2023) والتي أجمعت على إيجابية التعامل مع محتوى المعاجم الرقمية بالمقارنة بالمعاجم التقليدية.

ث- اتجاه متعلمي العربية لغة ثانية نحو الدعم المقدم بالمعاجم الرقمية:

جدول (١٢) اتجاه المتعلمين عينة البحث نحو استخدام الدعم بالمعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية

العبارات		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام
أَفْضَلُ المعاجم الرقمية للغة العربية لتعدد اللغات التي تدعمها حول العالم	ت	٦٩	١٤٢	٨٠	٩٠	٢	٣,٨٨	٠,٨١	١	موافقة كبيرة
	%	٢٢,٨٥	٤٧,٠٢	٢٦,٤٩	٢,٩٨	٠,٦٦				
أَعْتَقِدُ أن استخدامي للمعاجم الرقمية يزيد لاستطاعتي تغيير لغة واجهة استخدام المعاجم الرقمية بحسب اللغة التي أرغبها	ت	٦٥	١٣٦	٨٣	١٤	٤	٣,٨١	٠,٨٧	٢	موافقة كبيرة
	%	٢١,٥٢	٤٥,٠٣	٢٧,٤٨	٤,٦٤	١,٢٣				
أَسْتَفِيدُ بالتنبهات والتعليمات التي تقدمها المعاجم الرقمية للغة العربية أثناء الاستخدام	ت	٥٣	١٢٤	١٠٢	١٧	٦	٣,٦٧	٠,٩٠	٣	موافقة كبيرة
	%	١٧,٥٥	٤١,٠٦	٣٣,٧٧	٥,٦٣	١,٩٩				
أَعْتَقِدُ أن المعاجم الرقمية لا تُقدِّم أي نوع من أنواع الدعم	ت	٣٤	٦٤	٩٢	٨٢	٣٠	٢,٩٧	١,١٦	٤	موافقة كبيرة
	%	١١,٢٦	٢١,١٩	٣٠,٤٦	٢٧,١٥	٩,٩٣				
أَرَى أن المعاجم الرقمية للغة العربية لا تُقدِّم أي إحالات لمصادر أخرى	ت	١٤	٥٨	١٠٨	٩٣	٢٩	٢,٧٨	١,٠١	٥	موافقة متوسطة
	%	٤,٦٤	١٩,٢١	٣٥,٧٦	٣٠,٧٩	٩,٦٠				
الاتجاه نحو استخدام الدعم بالمعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية = ٣,٤٢										
موافقة كبيرة										

من بيانات جدول رقم (١٢) يتبين أن: جاء أعلى ثلاث عبارات من حيث

ترتيب موافقة عينة البحث المتعلقة بمحور الاتجاه نحو استخدام الدعم بالمعاجم الرقمية كالتالي: جاءت العبارة "أَفْضَلُ المعاجم الرقمية للغة العربية لتعدد اللغات التي تدعمها حول العالم" في الترتيب الأول بمتوسط بلغ (٣,٨٨) وانحراف معياري مقداره (٠,٨١)، بينما جاءت العبارة "أَعْتَقِدُ أن استخدامي للمعاجم الرقمية يزيد لاستطاعتي تغيير لغة واجهة استخدام المعاجم الرقمية بحسب اللغة التي أرغبها" في الترتيب الثاني بمتوسط بلغ (٣,٨١) وانحراف معياري مقداره (٠,٨٧)، في حين جاءت العبارة "أَسْتَمْتِعُ بالتنبيهات والتعليمات التي تقدمها المعاجم الرقمية للغة العربية أثناء الاستخدام" في الترتيب الثالث بمتوسط بلغ (٣,٦٧) وانحراف معياري مقداره (٠,٩٠).

ويرى الباحث أن تلك النتائج تشير إلى وجود اتجاهات إيجابية من عينة البحث نحو استخدام الدعم بالمعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية، ويعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن إمكانية التحكم في الواجهة، ودعمها للترجمة لعدة لغات من وإلى اللغة العربية، وتقديم التنبيهات والتلميحات أدت إلى دعم عملية التعلم بشكل جيد، وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من الصراف (٢٠٢١) والحري وشعيب (٢٠٢٠) في أدوات دعم المحتوى التي تتميز بها المعاجم الرقمية وأهميتها لتعلم اللغة العربية.

ث- اتجاه متعلمي العربية لغة ثانية نحو البحث والتفاعل بالمعاجم الرقمية:

جدول (١٣) اتجاه المتعلمين عينة البحث نحو استخدام البحث والتفاعل بالمعاجم الرقمية في

تعلم اللغة العربية لغة ثانية

العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه العام
أفضل التعامل مع أدوات البحث عن المفردات التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية	ت	٦٠	١٣٢	٩٠	١٧	٣	٣,٧٦	٠,٨٧	٢
	%	١٩,٨٧	٤٣,٧١	٢٩,٨٠	٥,٦٣	٠,٩٩			موافقة كبيرة
أرى أن المعاجم الرقمية تُعطي نتيجة البحث بدقة وسرعة عالية	ت	٥٦	١٤١	٨٥	١٩	١	٣,٧٧	٠,٨٣	١
	%	١٨,٥٤	٤٦,٦٩	٢٨,١٥	٦,٢٩	٠,٣٣			موافقة كبيرة
أفضل استخدام البحث الصوتي عن المفردات العربية المتوفرة في المعاجم الرقمية	ت	٣٦	١١٨	١٠٠	٣٥	١٣	٣,٤٣	٠,٩٩	٧
	%	١١,٩٢	٣٩,٠٧	٣٣,١١	١١,٥٩	٤,٣٠			موافقة كبيرة
أحب أدوات التفاعل مع المحتوى التي يوفرها المعجم الرقمي لتعلم اللغة العربية	ت	٤٩	١٢٣	١٠٨	١٠	٤	٣,٦٥	٠,٨٧	٤
	%	١٦,٢٣	٤٠,٧٣	٣٥,٧٦	٥,٩٦	١,٣٢			موافقة كبيرة
أفضل استخدام أدوات التدريب الكتابي التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية	ت	٥٢	١١٦	١٠٥	١٩	١٠	٣,٦٠	٠,٩٦	٦
	%	١٧,٢٢	٣٨,٤١	٣٤,٧٧	٦,٢٩	٣,٣١			موافقة كبيرة
أكثر من استخدام أدوات التدريب على النطق التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية	ت	٥٢	١٢٥	٩٣	٢٥	٧	٣,٦٣	٠,٩٤	٥
	%	١٧,٢٢	٤١,٣٩	٣٠,٩٧	٨,٢٨	٢,٣٢			موافقة كبيرة
أعتقد أن البحث في المعاجم الرقمية عمل وبطيء	ت	٣٠	٧٢	١٠١	٧٤	٢٥	٣,٠٣	١,١٠	٨
	n/								موافقة متوسطة
أرى أن المعاجم الرقمية لا توفر التفاعل باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي	ت	١٠	٦٠	١١١	٨٩	٣٢	٢,٦٧	١	٩
	%	٣,٣١	١٩,٨٧	٣٦,٧٥	٢٩,٤٧	١٠,٦٠			موافقة متوسطة

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ٢

موافقة متوسطة	١٠	٠,٩٥	٢,٧٠	٢٧	١٠٣	١١٣	٤٧	١٠	ت	عُتِّبِدُ أن المعاجم الرقمية تُقلِّل من استخدام الوسائط المتعددة
				٨,٩٤	٣٤,١١	٣٨,٠٨	١٥,٥٦	٣,٣١	%	
موافقة كبيرة	٣	٠,٨٥ ٨	٣,٦٧	٥	١٥	١٠٦	١٢٤	٥٢	ت	أُفْضِلُ أدوات التقييم التفاعلية التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية
				١,٦٦	٤,٩٧	٣٥,١٠	٤١,٠٦	١٧,٢٢	%	
موافقة كبيرة	الاتجاه نحو البحث والتفاعل بالمعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية = ٣,٤									

من بيانات جدول رقم (١٣) يتبين أن: جاء أعلى خمس عبارات من حيث ترتيب موافقة عينة البحث المتعلقة بمحور الاتجاه نحو استخدام البحث والتفاعل بالمعاجم الرقمية كالتالي: جاءت العبارة "أرى أن المعاجم الرقمية تُعطي نتيجة البحث بدقة وسرعة عالية" في الترتيب الأول بمتوسط مقداره (٣,٧٧) وانحراف معياري بلغ (٠,٨٣). وجاءت العبارة "أُفْضِلُ التعامل مع أدوات البحث عن المفردات التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية" في الترتيب الثاني بمتوسط مقداره (٣,٧٦) وانحراف معياري بلغ (٠,٨٧). وجاءت العبارة "أُفْضِلُ أدوات التقييم التفاعلية التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية" في الترتيب الثالث بمتوسط قدره (٣,٦٧) وانحراف معياري بلغ (٠,٨٨). بينما جاءت العبارة "أُحِبُّ أدوات التفاعل مع المحتوى التي يوفرها المعجم الرقمي لتعلم اللغة العربية" في الترتيب الرابع بمتوسط قدره (٣,٦٥) وانحراف معياري بلغ (٠,٨٧). في حين جاءت العبارة "أُكْثِرُ من استخدام أدوات التدريب على النطق التي توفرها المعاجم الرقمية للغة العربية" في الترتيب الخامس بمتوسط قدره (٣,٦٣) وانحراف معياري بلغ (٠,٩٤).

ويعزو الباحث هذه النتائج إلى أن المعاجم الرقمية توفر أدوات بحث وتفاعل صوتي وكتابي متنوعة مع المحتوى؛ تساعد متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في تنمية الحصيلة اللغوية من المفردات، وتصحيح الأخطاء، وتقديم الشروحات لفهم معاني

المفردات الجديدة بدقة وسرعة، وهو ما ظهر بشكل كبير في وجهات نظر عينة البحث نحو استخدام أدوات البحث والتفاعل في المعاجم الرقمية، وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة (Çolak, & Balaman, 2022)، ودراسة الصراف (٢٠٢١)، في أن المعاجم الرقمية توفر أدوات التفاعل مع المحتوى بطرق متعددة.

إجابة السؤال الثاني: والذي ينص على "ما التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟". قام الباحث بتحليل المحور الأول من استبانة "استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية: دراسة حول (الاتجاهات، التحديات، العوامل، المهارات) معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية أنموذجاً" المتعلق بالوقوف على التحديات التي تواجه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في استخدام المعاجم الرقمية بمعهد تعلم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وذلك باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

جدول (١٤) التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية

العبارات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	النسبة	الاتجاه العام
أجد صعوبة عند استخدام المعاجم الرقمية بسبب تعدد	ت	٦٧	١٣٧	١٢٥	٩٠	٢١	١,١٠	٧	موافقة متوسطة
	%	١٥,٢٣	٣١,١٤	٢٨,٤١	٢٠,٤٥	٤,٧٧			
أجد صعوبة عند استخدام المعاجم الرقمية بسبب تحديث محتوى	ت	٤٤	١٤٣	١٤٧	٨٦	٢٠	١,٠٢	٩	موافقة متوسطة
	%	١٠	٣٢,٥٠	٣٣,٤١	١٩,٥٥	٤,٥٥			
أجد مشكلة عند التعامل مع واجهة الاستخدام للمعجم الرقمي في تعلم اللغة	ت	٥٢	١٣٩	١٤٢	٨٥	٢٢	١,٠٦	٨	موافقة متوسطة
	%	١١,٨٢	٣١,٥٩	٣٢,٢٧	١٩,٣٢	٥			
أواجه مشكلة في الوصول إلى المعاجم الرقمية عبر	ت	٦٣	١٢٣	١١٩	١٠٦	٢٩	١,١٥	١١	موافقة متوسطة
	%	١٤,٢٣	٢٧,٩٥	٢٧,٠٥	٢٤,٠٩	٦,٥٩			
أجد صعوبة في الحصول على تدريب كافٍ على استخدام أدوات	ت	٧٣	١٤٣	١٢٦	٧٦	٢٢	١,١٠	٦	موافقة متوسطة
	%	١٦,٥٩	٣٢,٥٠	٢٨,٦٤	١٧,٢٧	٥			
يمثل استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في تطوير المعاجم الرقمية للغة	ت	٧٦	١٣٩	١٣٣	٧٢	٢٠	١,٠٩	٥	موافقة كبيرة
	%	١٧,٢٧	٣١,٥٩	٣٠,٢٣	١٦,٣٦	٤,٥٥			
أواجه مشاكل تقنية	ت	٥١	١٣٥	١٤٢	٩٠	٢٢	١,٠٦	١٠	موافقة متوسطة

أثناء استخدام	%	١١,٨٥	٣٠,٦٨	٣٢,٢٧	٢٠,٤٥	٥			
أوجد عائق في ملائمة المعجم الرقمي للاستخدام عبر العديد من	ت	٥٨	١١٤	١٤٦	٩٩	٢٣	٣,١٩	١,٠٩	١١
	%	١٣,١٨	٢٥,٩١	٣٣,١٨	٢٢,٥٠	٥,٢٣			موافقة متوسطة
أواجه صعوبات في التأكد من جودة الترجمة التي تقدمها	ت	٨٣	١٣٤	١٢١	٨٧	١٥	٣,٤٢	١,١١	٤
	%	١٨,٨٦	٣٠,٤٥	٢٧,٥٠	١٩,٧٧	٣,٤١			موافقة كبيرة
أجد ضعف في توفر وسائل التعامل مع المحتوى	ت	٧١	١٥٢	١٤٢	٦٤	١١	٣,٤٧	١,٠١	٣
	%	١٦,١٤	٣٤,٥٥	٣٢,٢٧	١٤,٥٥	٢,٥٠			موافقة كبيرة
الاعتماد على الترجمة الآلية للمفردات قد تكون غير دقيقة في كثير من الأحيان	ت	١١٤	١٦٧	١٠٧	٤٣	٩	٣,٦٧	١,٠١	١
	%	٢٥,٩١	٣٧,٩٥	٢٤,٣٢	٩,٧٧	٢,٠٥			موافقة كبيرة
أواجه مشكلة في دقة الترجمة الآلية للمفردات	ت	٨٢	١٥٣	١٢٦	٦٥	١٣	٣,٥٢	١,٠٥	٢
	%	١٨,٨٦	٣٤,٧٧	٢٨,٦٤	١٤,٧٧	٢,٩٥			موافقة كبيرة
التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية = ٣,٣٧									
موافقة متوسطة									

باستقراء بيانات جدول رقم (١٤) يتبين أن: الاتجاه العام لعينة البحث حول التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية لغة ثانية جاء بدرجة "متوسطة"، وذلك بمتوسط عام مقداره (٣,٣٧)، والذي يقع في نطاق الفئة (من ٢,٦١ إلى ٣,٤٠) على مقياس ليكرت الخماسي، حيث جاءت أعلى (٥) تحديات من حيث متوسط موافقة عينة البحث كالتالي: جاءت العبارة "الاعتماد على الترجمة الآلية للمفردات قد تكون غير دقيقة في كثير من الأحيان" في الترتيب الأول بين التحديات بمتوسط قدره (٣,٦٧) وانحراف معياري يساوي (١,٠١). وجاءت العبارة

"أواجه مشكلة في دقة الترجمة الآلية للمفردات" في الترتيب الثاني بمتوسط قدره (٣,٥٢) وانحراف معياري يساوي (١,٠٥)، ثم جاءت العبارة "أجد ضعف في توفر وسائل التعامل مع المحتوى الصوتي متعدد اللهجات" في الترتيب الثالث بمتوسط بلغ (٣,٤٧) وانحراف معياري قدره (١,٠١). بينما جاءت العبارة "أواجه صعوبات في التأكد من جودة الترجمة التي تقدمها المعاجم الرقمية للغة العربية" في الترتيب الرابع بمتوسط قدره (٣,٤٢) وانحراف معياري يساوي (١,١١). في حين جاءت العبارة "يمثل استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في تطوير المعاجم الرقمية للغة العربية تحديًا كبيرًا بالنسبة لي" في الترتيب الخامس على محور التحديات بمتوسط قدره (٣,٤١) وانحراف معياري يساوي (١,٠٩).

وتشير تلك النتائج إلى أن المعاجم الرقمية لا تزال في مراحلها الأولى وتحتاج إلى تطوير الأدوات والأساليب لتناسب طبيعة وخصوصية اللغة العربية؛ لذا فإن أبرز التحديات من وجهة نظر عينة البحث تتمثل في دقة ترجمة المفردات، وعدم اكتمال التعامل مع المحتوى الصوتي بالعديد من اللهجات العربية، وتأثيرات الذكاء الاصطناعي على تطوير المعاجم الرقمية، وتختلف هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة الصراف (٢٠٢١)، والحري وشعيب (٢٠٢٠)، و (Karami, & Riasati, 2023)، و (Müezzini, 2021). والتي أكدت جميعها على الاتجاه الإيجابي المرتفع نحو المعاجم الإلكترونية، ولم تُظهر أي من التحديات التي أوضحتها نتائج البحث الحالي.

إجابة السؤال الثالث: والذي ينص على "ما العوامل المؤثرة على استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟". قام الباحث بتحليل المحور الثاني من استبانة "استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية: دراسة حول (الاتجاهات، التحديات، العوامل، المهارات) معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية نموذجاً"، المتعلق

بالوقوف على العوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية بمعهد تعلم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

جدول (١٥) العوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية

العبارة	موافق بشدة	موافق	متوسط	غير موافق بشدة	المتوسط	الاجماع	الاتجاه العام
تعتمد جودة استخدام المعاجم الرقمية للغة العربية على مستوى المهارات التقنية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية	ت	١٠١	٢٠٢	١٠٦	٢٥	٦	موافقة كبيرة
	%	٢٢,٩٥	٤٥,٩٠	٢٤,٠٩	٥,٦٨	١,٣٦	
تؤثر لاحتياجات التعليمية (أهداف التعلم) على استخدامي للمعاجم الرقمية للغة العربية	ت	٩٠	١٩٩	١١٧	٢٩	٥	موافقة كبيرة
	%	٢٠,٤٥	٤٥,٢٣	٢٦,٥٩	٦,٥٩	١,١٤	
يتأثر استخدامي للمعاجم الرقمية للغة العربية باتجاهاتي نحو التكنولوجيا بشكل عام والمعاجم الرقمية بشكل خاص	ت	٨٥	١٩٨	١٣٥	٤٣	٩	موافقة كبيرة
	%	١٩,٣٢	٣٨,١٨	٣٠,٦٨	٩,٧٧	٢,٠٥	
يؤثر على استخدامي للمعاجم الرقمية نقص معرفتي بأهميتها ودورها	ت	٦٢	١٤٣	١٥٥	٦٨	١٢	موافقة متوسطة
	%	١٤,٠٩	٣٢,٥٠	٣٥,٢٣	١٥,٤٥	٢,٧٣	
يحد من استخدامي للمعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية ارتفاع تكلفة الوصول إليها عبر الإنترنت	ت	٦٣	١٤١	١٥٠	٦١	٢٥	موافقة متوسطة
	%	١٤,٣٢	٣٢,٠٥	٣٤,٠٩	١٣,٨٦	٥,٦٨	
يؤثر توفر الدعم الفني على استخدامي للمعاجم الرقمية للغة العربية	ت	٧٠	١٥٤	١٦٣	٤٣	١٠	موافقة كبيرة
	%	١٥,٩١	٣٥	٣٧,٠٥	٩,٧٧	٢,٢٧	
يتأثر استخدامي للمعاجم الرقمية	ت	٨٧	١٦٠	١٤٦	٣٤	١٣	موافقة كبيرة

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ٢

للغة العربية ب (الدفاعية - أسلوب	%	١٩,٧٧	٣٦,٣٦	٣٣,١٨	٧,٧٣	٢,٩٥			
تزيد من استخدامي للمعاجم الرقمية توفر الخصائص التي يتمتع بها المعجم الرقمي ومنها: (الموثوقية	ت	٧٩	١٨٦	١٤١	٢٧	٧	٣,٦٩	٠,٨٩	٣
- الدقة - سهولة الاستخدام - التفاعل - المحتوى)	%	١٧,٩٥	٤٢,٢٧	٣٢,٠٥	٦,١٤	١,٥٩			
يتأثر استخدامي للمعاجم الرقمية بوجود سياسات تعليمية تُشجع على توظيفها في تعليم اللغة العربية	ت	٦٨	١٨٥	١٣٩	٣١	١٧	٣,٥٨	٠,٩٦	٦
لغة ثانية	%	١٥,٤٥	٤٢,٠٥	٣١,٥٩	٧,٠٥	٣,٨٦			
العوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية = ٤									
موافقة كبيرة									

باستقراء بيانات جدول رقم (١٥) يتبين أن: الاتجاه العام لعينة البحث حول العوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية لغة ثانية جاء بدرجة "كبيرة"، وذلك بمتوسط عام مقداره (٤)، والذي يقع في نطاق الفئة (من ٣,٤١ إلى ٤,٢٠) على مقياس ليكرت الخماسي، حيث جاءت أعلى (٥) عوامل مؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية لغة ثانية من حيث متوسط موافقة عينة البحث كالتالي: جاء العامل المؤثر "تعتمد جودة استخدام المعاجم الرقمية للغة العربية على مستوى المهارات التقنية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية" في الترتيب الأول في قائمة العوامل المؤثرة بمتوسط مقداره (٣,٨٣) وانحراف معياري يساوي (٠,٨٩)، وجاء العامل "تؤثر الاحتياجات التعليمية (أهداف التعلم) على استخدامي للمعاجم الرقمية للغة العربية" في الترتيب الثاني بمتوسط قدره (٣,٧٧) وانحراف معياري يساوي (٠,٨٩). كما جاء العامل "تزيد من استخدامي للمعاجم الرقمية توفر الخصائص التي يتمتع بها المعجم الرقمي ومنها: (الموثوقية - الدقة - سهولة الاستخدام - التفاعل - المحتوى)" في الترتيب الثالث بمتوسط قدره (٣,٦٩) وانحراف معياري يساوي (٠,٨٩). بينما جاء العامل "يتأثر استخدامي للمعاجم الرقمية للغة العربية باتجاهاتي

نحو التكنولوجيا بشكل عام والمعاجم الرقمية بشكل خاص" في الترتيب الرابع بمتوسط قدره (٣,٦٣) وانحراف معياري يساوي (٠,٩٧). في حين جاء العامل "يتأثر استخدامي للمعاجم الرقمية للغة العربية بـ (الدافعية - أسلوب التعلم - المستوى اللغوي)" في الترتيب الخامس بمتوسط قدره (٣,٦٢) وانحراف معياري يساوي (٠,٩٨).

ويفسر الباحث تلك النتائج بأن استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية لغة ثانية يعتمد على التعلم الذاتي، مما يجعل العوامل الذاتية للمتعلم مؤثرة بشكل كبير، كما أن خصائص المعجم الرقمي وأدواته في التعامل مع المحتوى تعد من أهم العوامل المؤثرة في الاستخدام، بينما جاءت العوامل المرتبطة بالمؤسسة في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية؛ نظراً لطبيعة استخدام المعجم الرقمي، الذي يعتمد بشكل أساسي على التعلم الفردي والتعلم الذاتي، وتتفق هذه النتائج بشكل جزئي مع ما توصلت إليه دراسة كل من: الصراف (٢٠٢١)، والحري وشعيب (٢٠٢٠)، و (Müezzini, 2021) حول العوامل الإيجابية المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية والمتمثلة في الخصائص والأدوات التي يوفرها المعجم الرقمي لتعلم العربية.

إجابة السؤال الرابع: والذي ينص على "ما أهم المهارات التي تعمل المعاجم الرقمية على تطويرها لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟". قام الباحث بتحليل المحور الثالث من استبانة "استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية: دراسة حول (الاتجاهات، التحديات، العوامل، المهارات) معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية أنموذجاً"، المتعلق بالوقوف على المهارات التي يُستخدم المعاجم الرقمية في تنميتها بمعهد تعلم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وذلك باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

جدول (١٦) مهارات اللغة العربية لغة ثانية التي تعمل المعاجم الرقمية على تنميتها

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها - العدد: ١٦ | الجزء: ٢

العبارة	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف
ت	١٦٢	١٨٧	٧٣	١٠	٨	٤,١٠	٠,٨٨	1	موافقة كبيرة
%	٣٦,٨٢	٤٢,٥٠	١٦,٥٩	٢,٢٧	١,٨٢				
ت	١٣٢	١٨٥	٨٢	٣٣	٨	٣,٩١	٠,٩٧	٤	موافقة كبيرة
%	٣٠	٤٢,٠٥	١٨,٦٤	٧,٥٠	١,٨٢				
ت	١٢٠	١٨٢	٩٨	٣٠	١٠	٣,٨٥	٠,٩٨	٦	موافقة كبيرة
%	٢٧,٢٧	٤١,٣٦	٢٢,٢٧	٦,٨٢	٢,٢٧				
ت	١٠٤	١٨٣	١٠٥	٣٢	١٦	٣,٧٤	١,٠١	٧	موافقة كبيرة
%	٢٣,٦٤	٤١,٥٩	٢٣,٨٦	٧,٢٧	٣,٦٤				
ت	١١٣	٢٠٠	٨٨	٢٩	١٠	٣,٨٦	٠,٩٥	٥	موافقة كبيرة
%	٢٥,٦٨	٤٥,٤٥	٢٠	٦,٥٩	٢,٢٧				
ت	١٢٢	٢٠٣	٨٨	١٩	٨	٣,٩٤	٠,٩٠	٢	موافقة كبيرة
%	٢٧,٧٣	٤٦,١٤	٢٠	٤,٣٢	١,٨٢				
ت	١٢٦	١٩٦	٩٠	١٩	٩	٣,٩٣	٠,٩٢	٣	موافقة كبيرة
%	٢٨,٦٤	٤٤,٥٥	٢٠,٤٥	٤,٣٢	٢,٠٥				
مهارات اللغة العربية لغة ثانية التي تعمل المعاجم الرقمية على تميمتها = 3.9									

باستقراء بيانات جدول رقم (١٦) يتبين أن: الاتجاه العام لعينة البحث حول

أهم المهارات التي تعمل المعاجم الرقمية على تنميتها في اللغة العربية لغة ثانية جاءت بدرجة "كبيرة"، وذلك بمتوسط عام مقداره (٣,٩)، الذي يقع في نطاق الفئة (من ٣,٤١ إلى ٤,٢٠) على مقياس ليكرت الخماسي، حيث جاءت أعلى (٤) مهارات تعمل المعاجم الرقمية على تنميتها من حيث متوسط موافقة عينة البحث كالتالي: جاءت المهارة "تُسَاعِدُنِي المعاجم الرقمية في تنمية المفردات الجديدة في اللغة العربية" في الترتيب الأول في قائمة المهارات بمتوسط قدره (٤,١٠) وانحراف معياري يساوي (٠,٨٨). ثم جاءت المهارة "تُسَاعِدُنِي المعاجم الرقمية من تطوير مهارة الترجمة من إلى اللغة العربية في الترتيب الثاني بمتوسط قدره (٣,٩٤) وانحراف معياري يساوي (٠,٩٠). بينما جاءت المهارة "تُحَسِّنُ المعاجم الرقمية من مهارتي في البحث اللغوي" في الترتيب الثالث بمتوسط بلغ (٣,٩٣) وانحراف معياري قدره (٠,٩٢). في حين جاءت المهارة "تُحَسِّنُ المعاجم الرقمية من مهارتي في فهم/تطبيق قواعد اللغة" في الترتيب الرابع بمتوسط قدره (٣,٩١) وانحراف معياري بلغ (٠,٩٧).

ويعزو الباحث تلك النتائج إلى طبيعة المعاجم الرقمية التي تشمل أدوات كالبحث الصوتي والكتابي، تنوع المحتوى، نطق المفردات، وتصحيح الأخطاء، تساعد المتعلم على تنمية مفرداته وتطوير مهارات الترجمة من وإلى اللغة العربية، وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة الحربي وشعيب (٢٠٢٠)، ودراسة (Çolak, & Balaman, 2022)، ودراسة (Müezzini, 2021).

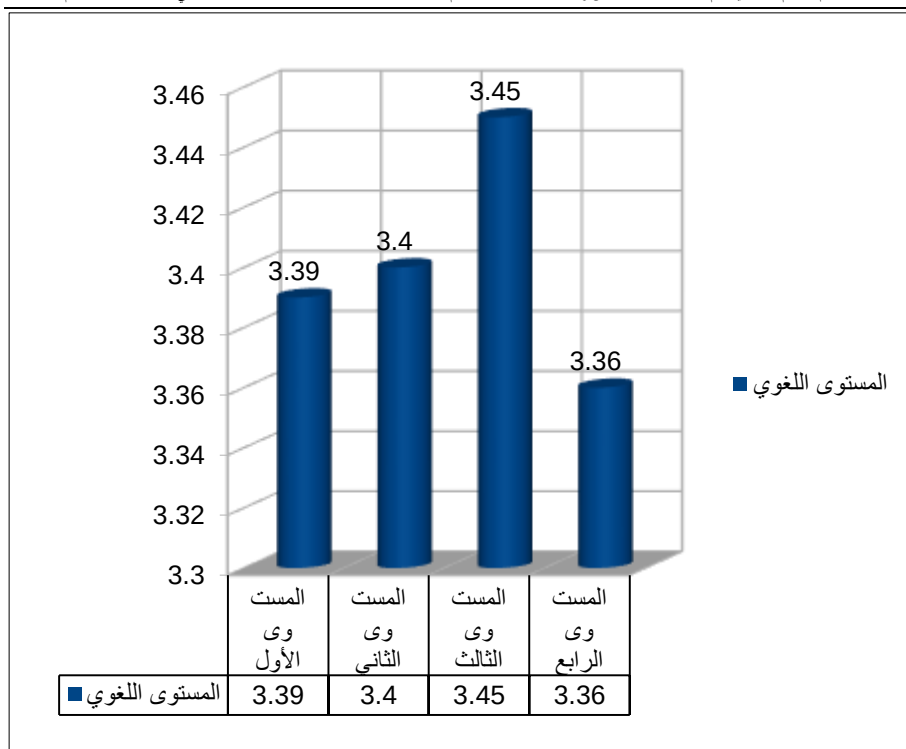
٥- إجابة السؤال الخامس: والذي ينص على "ما مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات استجابات عينة الدراسة حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية يمكن أن تعزى لمتغيرات (المستوى اللغوي - الجنسية - العمر - وسيلة الاستخدام)". قام الباحث باختبار الفروق الجوهرية بتطبيق اختبار (Kruskal-Wallis) للفروق للبيانات غير المعتدلة، وذلك على النحو التالي:

١ - الفروق الجوهرية باختلاف متغير المستوى اللغوي:

جدول رقم (١٧) نتائج اختبار "Kruskal-Wallis" للفروق الجوهرية لاتجاهات عينة الدراسة

تبعاً لمتغير المستوى اللغوي

المقياس	Kruskal-Wallis chi-squared		درجة الحرية (df)	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المتغير	الدلالة الإحصائية
	القيمة	المعنوية (p-value)				المستوى اللغوي	
اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية	٣	١,١٩١	٠,٧٥٥	٠,٣٧	٣,٣٩	المستوى الأول	غير دالة
				٠,٣٨	٣,٤	المستوى الثاني	
				٠,٤	٣,٤٥	المستوى الثالث	
				٠,٢٦	٣,٣٦	المستوى الرابع	



شكل (١) متوسطات اتجاهات عينة البحث تبعاً لمتغير المستوى اللغوي

باستقراء بيانات جدول رقم (١٧) يتبين أن: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($\alpha \leq 0.05$) في استجابات عينة البحث حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، بمعهد تعليم العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث جاءت قيمة اختبار (Kruskal-Wallis) تساوي (١,١٩١) وهذه القيمة غير دالة إحصائياً، حيث جاءت قيمة معنويتها تساوي (٠,٧٥٥) وهي أكبر من (٠,٠٥) ما يدل على عدم وجود فروق جوهرية في استجابة أفراد عينة البحث بحسب متغير "المستوى اللغوي". وهو ما يفسره الباحث إلى طبيعة التعامل مع المعاجم الرقمية، وتنوع وظائفها، وسهولة

الوصول إليها، وتلبيتها لجميع احتياجات كل مستوى بحسبه، وبالتالي لا تتطلب مستوى لغوي معين، فهي تعمل مع كل المستويات بنفس الدرجة.

٢- الفروق الجوهرية باختلاف متغير الجنسية:

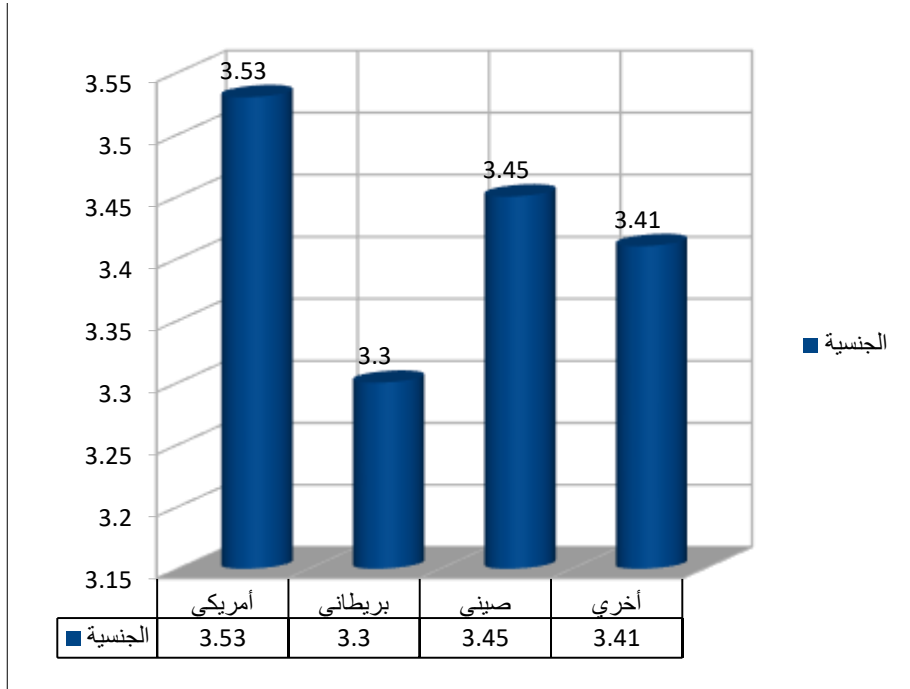
جدول رقم (١٨) نتائج اختبار "Kruskal-Wallis" للفروق الجوهرية لاتجاهات عينة

الدراسة تبعاً لمتغير الجنسية

المقاييس	المتغير الجنسية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية (df)	Kruskal-Wallis chi-squared		الدلالة الإحصائية
					القيمة	المعنوية (p-value)	
اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية	أمريكي	٣,٥٣	٠,٦٣	٣	٠,٤٨٢	٠,٩٢٢	غير دالة
	بريطاني	٣,٣	٠,٣				
	صيني	٣,٤٥	٠,٣				
	أخرى	٣,٤١	٠,٣٧				

باستقراء بيانات جدول رقم (١٨) يتبين أن: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($\alpha \leq 0,05$) في استجابات عينة البحث تبعاً لمتغير "الجنسية" حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، حيث جاءت قيمة اختبار (Kruskal-Wallis) تساوي (٠,٤٨٢) وهذه القيمة غير دالة إحصائياً، حيث جاءت قيمة معنويتها تساوي (٠,٩٢٢) وهي أكبر من (٠,٠٥) ما يدل على عدم وجود فروق جوهرية في استجابة أفراد عينة البحث بحسب متغير "الجنسية" حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، ويعزو الباحث ذلك إلى أن عامل الجنسية غير مؤثر على الاتجاهات نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية، نظراً لتشابه الاحتياجات اللغوية بين الجنسيات المختلفة، كما أن تصميم المعاجم الرقمية مصمم لدعم جميع المتعلمين بغض النظر عن جنسياتهم، بالإضافة إلى سهولة الوصول إليها من أي مكان وفي أي وقت،

ومن ثم تستطيع الجنسيات المختلفة تنمية الحصيلة اللغوية وفهم التراكيب وتنمية المهارات اللغوية من خلال المعاجم الرقمية بشكل متساوٍ.



شكل (٣) متوسطات اتجاهات عينة البحث تبعاً لمتغير الجنسية

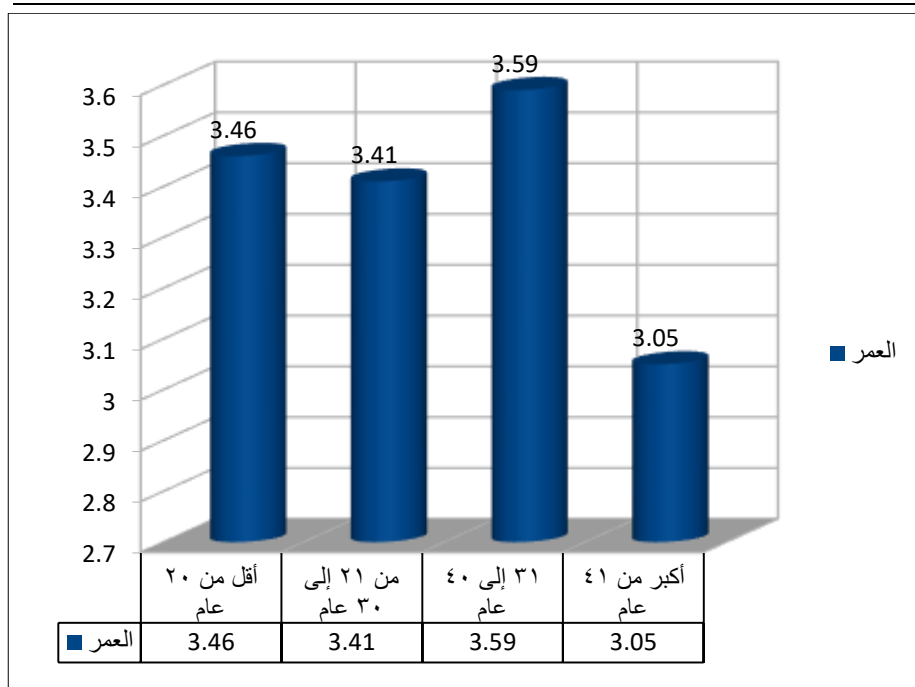
٣- الفروق الجوهرية باختلاف متغير العمر:

جدول رقم (١٩) نتائج اختبار "Kruskal-Wallis" للفروق الجوهرية لاتجاهات

عينة الدراسة تبعاً لمتغير العمر

المقياس	المتغير العمر	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية (df)	Kruskal-Wallis chi-squared		الدلالة الإحصائية
					القيمة	المعنوية (p-value)	
اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية	أقل من ٢٠ عام	٣,٦٤	٠,٣٨	٣	٣,٢٤٩	٠,٣٥٤	غير دالة
	من ٢١ إلى ٣٠ عام	٣,٤١	٠,٣٥				
	من ٣١ إلى ٤٠ عام	٣,٥٩	٠,٣١				
	أكبر من ٤١ عام	٣,٠٥	٠				

باستقراء بيانات جدول رقم (١٩) يتبين أن: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($\leq 0,05$) في استجابات عينة البحث تبعاً لمتغير "العمر" حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية، حيث جاءت قيمة اختبار (Kruskal-Wallis) تساوي (٣,٢٤٩) وهذه القيمة غير دالة إحصائياً، حيث جاءت قيمة معنويتها تساوي (٠,٣٥٤) وهي أكبر من (٠,٠٥) وتُظهر النتائج عدم وجود فروق جوهرية في استجابة عينة البحث تجاه استخدام المعاجم الرقمية بناءً على متغير العمر، حيث أن معظم متعلمي اللغة العربية لغة ثانية من الفئات العمرية الشابة، مما يشير إلى تقارب مهاراتهم التقنية واحتياجاتهم اللغوية واتجاهاتهم نحو المعاجم الرقمية.



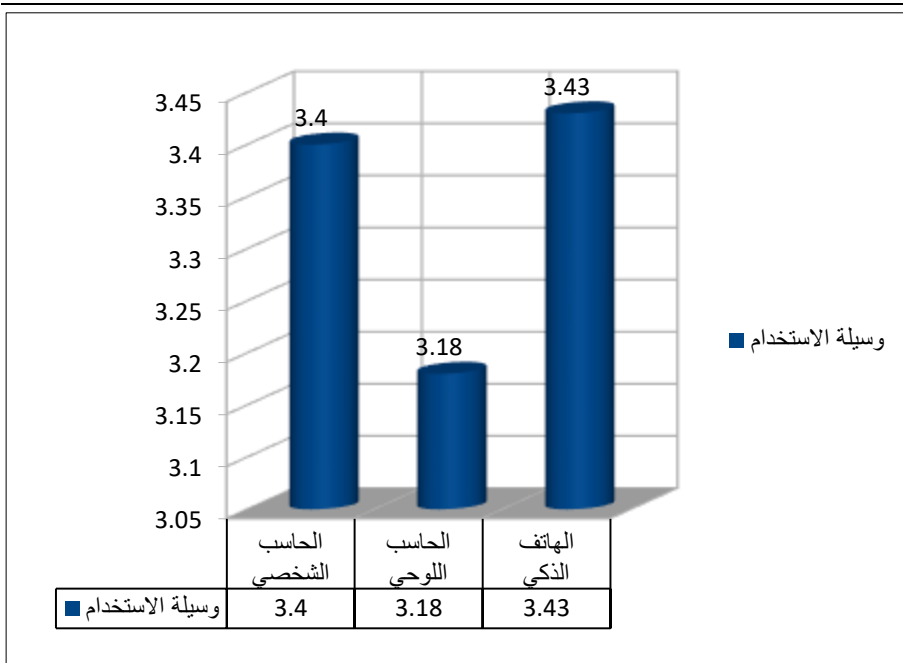
شكل (٤) متوسطات اتجاهات عينة البحث تبعاً لمتغير العمر

٤- الفروق الجوهرية باختلاف متغير وسيلة الاستخدام:

جدول رقم (٢٠) نتائج اختبار "Kruskal-Wallis" للفروق الجوهرية لاتجاهات عينة الدراسة تبعاً لمتغير وسيلة الاستخدام

المقياس	المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية (df)	Kruskal-Wallis chi-squared		الدلالة الإحصائية
					القيمة	المعنوية (p-value)	
اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية	الحاسب الشخصي	3.4	0.3	٢	٤,٢٦٦	٠,١١٨	غير دالة
	الحاسب اللوحي	3.18	0.32				
	الهاتف الذكي	3.43	0.38				

من بيانات جدول (٢٠) يتبين أن: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($\alpha \leq 0.05$) في استجابات عينة البحث تبعاً لمتغير "وسيلة الاستخدام" حول اتجاهاتهم نحو استخدام المعاجم الرقمية، حيث جاءت قيمة اختبار (Kruskal-Wallis) تساوي (٤,٢٦٦) وهذه القيمة غير دالة إحصائياً، حيث جاءت قيمة معنويتها تساوي (٠,١١٨) وهي أكبر من (٠,٠٥) وتُظهر النتائج عدم وجود فروق جوهرية في استجابة عينة البحث بحسب متغير "وسيلة الاستخدام"؛ حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية؛ لأن جميع المعاجم الرقمية مصممة لتناسب مختلف الأجهزة، ويمكن الوصول إليها عبر محركات البحث المتنوعة، مما ينعكس على تقارب اتجاهاتهم نحو وسيلة استخدامها.



شكل (٥) متوسطات اتجاهات عينة البحث تبعاً لمتغير وسيلة الاستخدام

الخاتمة:

تناول البحث "استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية: دراسة حول (الاتجاهات، التحديات، العوامل، المهارات) معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية أنموذجاً"، وقد استعرض البحث الاتجاهات والتحديات والعوامل والمهارات المتعلقة بهذا الاستخدام، وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج بالإضافة إلى تقديم مجموعة من التوصيات واقتراح عدة مقترحات كما يلي:

ملخص النتائج:

- في ضوء ما سبق خلص البحث إلى النتائج التالية:
- هناك اتجاه إيجابي لدى عينة البحث نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم اللغة العربية لغة ثانية.
- جاء الاتجاه نحو تحديات استخدام المعاجم الرقمية "متوسطاً" بمتوسط (3.37).
- جاء الاتجاه نحو العوامل المؤثرة في استخدام المعاجم الرقمية لتعلم اللغة العربية لغة ثانية "كبيراً" بمتوسط (4).
- كانت للمهارات التي تنميها المعاجم الرقمية في اللغة العربية لغة ثانية، "كبيرة" بمتوسط (3.9).
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) في استجابات عينة البحث حول اتجاهات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية في معهد تعليم العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تبعاً لكلٍ من المستوى اللغوي، الجنسية، العمر، ووسيلة الاستخدام.

توصيات البحث:

في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج فإن الباحث يوصي بالنقاط الأساسية التالية:

- ضرورة استثمار التوجهات الإيجابية لمتعلمي اللغة العربية لغة ثانية نحو استخدام المعاجم الرقمية في تعلم العربية، في زيادة أعداد متعلمي العربية من غير الناطقين، وتوجيههم نحو أفضل المعاجم العربية الرقمية لاستخدامها.
- ضرورة قيام مراكز تعلم العربية بمزيد من الجهد في التغلب على التحديات التي تواجه استخدام المعاجم الرقمية لتعلم العربية، بعد أن بينت النتائج وجود العديد من التحديات التي تفرض ضرورة التطوير المستمر لتلك المعاجم.
- ضرورة قيام مراكز تعلم اللغة العربية لغة ثانية بدراسة العوامل المؤثرة على استخدام المعاجم الرقمية التي حددتها نتائج البحث الحالي، والعمل على الحد من العوامل السلبية، وتعزيز العوامل الإيجابية.
- ينبغي على مراكز تعلم اللغة العربية لغة ثانية بتطوير المعاجم الرقمية لتشمل جميع مهارات التعلم (قراءة، كتابة، نطق، واستماع)، وتضمن اللهجات والسياق الثقافي العربي لتحسين النتائج وجذب المزيد من المتعلمين.

مقترحات البحث:

- في ضوء نتائج البحث، فإن الباحث يقترح مواصلة البحث حول النقاط التالية:
- تأثير المعاجم الرقمية على مهارتي (الكتابة - النطق) لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية باستخدام المنهج التجريبي.
- العلاقة بين استخدام المعاجم الرقمية وتنمية حصيلة المفردات اللغوية لدى متعلمي العربية لغة ثانية.
- فاعلية استخدام المعاجم الرقمية على تنمية مهارات التحدث بالعربية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية.

المراجع العربية:

رجاء محمود أبو علام، "مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية". (ط ١، مصر: دار النشر للجامعات، ٢٠١١).

خالد الانصاري، "اكتساب وتعلم اللغة العربية لغة ثانية ولغة أجنبية". مجلة الناطقين بغير اللغة العربية ٤٤، (٢٠٢٠): ٥٤.

بن سكيريفة حليلة، وحسين دحو، "المعاجم التاريخية الإلكترونية في خدمة اللغة العربية: معجم الدوحة التاريخي أنموذجاً: المرحلة الأولى من خمسة ٥" قبل الهجرة إلى اثنين "٢" هجرية. مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية مج ٥، ١٤، (٢٠٢٢): ٦٠٨ - ٦٢٨.

بوخلخال علي، ومحمد تهامي، "المعاجم الرقمية (اللغوية والثقافية) ودورها في تعزيز التواصل الحضاري الثقافي بين الأجيال: قراءة استكشافية". المجلة العربية للتربية مج ٤٠، ٢٤، (٢٠٢١): ١٣٩ - ١٥٦.

إسكاكا تيمتوري، وعبدالله بن عبدالعزيز الحسني، "اكتساب المفردات عند متعلمي اللغة العربية لغة ثانية". مجلة الناطقين بغير اللغة العربية ١٩، (٢٠٢٣): ١ - ٣٤.

أنور بن سعد الجدعاني، "صعوبات تعلم مهارة التحدث لدى متعلمي العربية لغة ثانية في معهد تعليم العربية للناطقين بغيرها بجامعة الملك عبدالعزيز". تعليم العربية لغة ثانية مج ٥، ٩٤، (٢٠٢٣): ١٨٨ - ٢٥٥ - ٢٢٥.

سليمة جعير، وصبرينة بن قموم، "تعليمية اللغة العربية باستخدام المعجم اللغوي الإلكتروني للناطقين بها وبغيرها". مجلة البحوث التربوية والتعليمية عدد خاص، (٢٠٢٢): ٨٧ - ١٠٢.

الحري خالد بن عبدالرحمن، سعدي البركاني، و أبو بكر عبدالله علي شعيب، "المعجم الإلكتروني ودوره في تنمية التواصل اللغوي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات

- أخرى من وجهة نظر المختصين والمتعلمين." *حولية كلية اللغة العربية* بجرجا ٢٤٤، ج٦، (٢٠٢٠): ٥٨٥٠ - ٥٨٩٦.
- عادل خراط، وصورية عشايشة، "نحو معجم مدرسي محوسب: دراسة في التصور النظري والتمثيل الإجمالي." *مجلة لغة. كلام* مج ١٠، ع ١، (٢٠٢٤): ٧١٥.
- إبراهيم بن علي بن عبدالله الديان، "تحديات تعلم فونيمات اللغة العربية لغة ثانية." *مجلة جامعة بابل - العلوم الانسانية* مج ٣٠، ع ١٠، (٢٠٢٢): ١ - ٢٧.
- فضيلة دقناتي، "واقع المعجم العربي الإلكتروني: ملاحظات حول معجم الغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة." *مجلة البحوث التربوية والتعليمية* عدد خاص، (٢٠٢٢): ١١٩ - ١٣٤.
- روفية زارزي، "الأدب التربوي حول المعجم الإلكتروني." *مجلة البحوث التربوية والتعليمية* ١، ٢٠٢٣: ٦٢٧ - ٦٤٨.
- سالم محمد يزيد، "بناء المعجم الرقمي العربي في ضوء اللسانيات الحاسوبية." *مجلة إشكاليات في اللغة والأدب* مج ١٠، ع ١، (٢٠٢١): ١١٤٤ - ١١٦٦.
- عادل بن علي غانم السناني، ومحمد حسن الحارثي، "بناء معجم تعليمي إلكتروني للكلمات المشتركة بين اللغتين العربية والملايوية." *مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها* ع ٣، (٢٠٢١): ١٨٧ - ٢٤٢.
- علي محمود الصراف، "استعمال طلاب جامعة الكويت للمعاجم الإلكترونية أحادية اللغة: دراسة مسحية وصفية." *مجلة رسالة المشرق* مج ٣٦، ع ٣، (٢٠٢١): ٨٣ - ١١٩.
- الطاهر عرين زهدي عاطف، وعيسى عودة موسى برهومة، "نحو تصميم معجم حاسوبي للمتراكبات والمشتراكات والمتلازمات اللفظية للناطقين بغير العربية: دراسة معجمية حاسوبية" رسالة ماجستير. الجامعة الهاشمية، الزرقاء، (٢٠٢٢).
- فايز لافي فهاد العازمي، والكيلاني أحمد محي الدين، "فاعلية التعلم المدمج لتدريس

مادة تاريخ الكويت في التحصيل والاتجاهات لدى طلاب الصف العاشر الثانوي في دولة الكويت " رسالة ماجستير. جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، (٢٠٢٠).

موريده عبدالسلام، "المعجم الحاسوبي اللغوي ودوره في ضبط وتوحيد المصطلح التراثي العربي: الذخيرة اللغوية العربية للدكتور عبدالرحمن الحاج صالح نموذجاً." *التعليمية* مج ١٣، ع ١٤، (٢٠٢٣): ٣٦٤ - ٣٧٥.

سعيدة عزوز، وماجي مصطفى، "المعاجم المحوسبة في الوطن العربي: دراسة نقدية لمعجم صخر الإلكتروني." *التعليمية* مج ١٣، ع ١٤، (٢٠٢٣): ٣١٤ - ٣٢٧.

بشار عبيد القرالة، وبنى دومي حسن بن علي الناجي، "أثر الويب كويست على التحصيل الآني والمؤجل والاتجاهات العلمية لدى طلاب الصف العاشر الأساسي في مادة الكيمياء لدى طلاب مديرية تربية المزار الجنوبي" رسالة ماجستير. جامعة مؤتة، مؤتة، (٢٠٢٠).

اللوط بدر، وجيلالي بن يشو، "واقع رقمنة المعجم العربي وآفاقه: معجم الرائد أنموذجاً." *التعليمية* مج ١٣، ع ١٤ (٢٠٢٣): ٥٢٤ - ٥٣٤.

متولي صابر خلاف معبد، "أثر التفاعل بين وجهة الضبط "الداخلية / الخارجية" والفصول الافتراضية "المتزامنة / غير المتزامنة / المدمجة" على الاتجاه نحوها والتحصيل وكفاءة التعلم لدى طلاب كلية التكنولوجيا والتعليم بالسويس." *المجلة التربوية* ج ٩٤، (٢٠٢٢): ٧١٣ - ٨٢٧.

مهرة مليكة، "المعجم العربي الإلكتروني بين حقيقة الوجود وقيمة الموجود." *التعليمية* مج ١٣، ع ١٤، (٢٠٢٣): ٢٠٤ - ٢٢١.

حسني عائشة ناصري، "حاجة المتعلمين إلى صناعة معجم مدرسي إلكتروني: اللغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط أنموذجاً." *مجلة التعليمية* ١، (٢٠٢٣): ٤٦٧.

— ٤٧٧.

العتيبي، فاطمة صالح عبدالله مبارك صالح، الشيراوي، مريم عيسى، و داغستاني، و حسين إبراهيم. (٢٠٢٢). اتجاهات المعلمين وأولياء الأمور نحو زواج الأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية البسيطة في دولة الكويت (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الخليج العربي، المنامة.

مي موسى إبراهيم المجالي، ومحمد داود خليل المجالي. اتجاهات معلمي الحاسوب للمرحلة الأساسية نحو تفريد التعليم وعلاقتها بدرجة استخدامهم له في الأردن (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، (٢٠٢٢).

شادية نايف عبدالرزوان الفواعير، ومحمد قاسم محمد المقابلة. القيم والاتجاهات التربوية لدى مديري المدارس الحكومية في مديرية تربية وتعليم لواء الجامعة ودورها في تحسين الأداء المدرسي من وجهة نظر المعلمين (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة جرش، جرش، (٢٠٢٢).

إيناس حسين عبد الله الخوالدة، وأحمد محمد الدويري. درجة استخدام الانفوجرافيك التعليمي في تحسين التحصيل الدراسي في الرياضيات وتنمية الاتجاهات لدى طلبة الصف الرابع الأساسي من وجهة نظر المعلمين في الأردن (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة آل البيت، المفرق، (٢٠٢١).

همت عطا إبراهيم أبو حمر، إبراهيم عبد الوكيل الفأر، ياسر عبد الرحيم بيومي، وحمدي عز العرب عميرة. فعالية نموذج الصف المقلوب في تنمية التحصيل ومهارات إنشاء موقع قاموس مصطلحات الكمبيوتر لدى طالبات الصف الثاني الثانوي العام واتجاهاتهن نحو تعلم مادة الحاسوب (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طنطا، طنطا، (٢٠٢١).

رندي عطية فهد المجالي، وجهاد سليمان محمد القرعان. مستوى التوافق المهني وعلاقته

بالاتجاهات نحو التعليم عن بعد لدى معلمي غرف المصادر خلال جائحة كورونا (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة، مؤتة، (٢٠٢١).

منال شكري محمد طه، فاخر نبيل محمد الخليلي، وعبد محمد عساف. الفاعلية الذاتية المهنية وامتلاك المرشدين لمهارات الإرشاد وعلاقتها باتجاهات الهيئة التدريسية والطلبة نحو الإرشاد التربوي في مدارس محافظة القدس (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية، نابلس، (٢٠٢١).

Bibliography

- Abū ‘Allām, Rajā’ Maḥmūd, "Manāhij al-Baḥth fī al-‘Ulūm al-Nafsiyah wa-al-Tarrbawīyah". (1st ed., Egypt: University Publishing House, 2011).
- Al-‘Amri, Hayat Rashid, and Hind Mousa Hakami. "Exploring Perspectives of EFL Students on Using Electronic Dictionaries to Improve Vocabulary Learning: A Comparative Study" (in Arabic). *International Journal of Curriculum and Instruction* 14.2 (2022): 1581
- al-Anṣārī, Khālīd. "Acquiring and Learning Arabic as a Second and Foreign Language" (in Arabic). *Journal of Non-Native Speakers of Arabic*, Vol. 4, (2020): 54.
- al-Dubayyān, Ibrāhīm ibn ‘Alī ibn ‘Abdillāh "Challenges of Learning Arabic Phonemes as a Second Language" (in Arabic). *Journal of the University of Babylon - Humanities* Vol. 30, No. 10, (2022): 1-27.
- al-Ḥarbī, Khālīd ibn ‘Abd-al-Raḥmān Sa‘dī al-Burkānī, wa Abū Bakr ‘Abdillāh ‘Alī Shu‘aib. "The Electronic Dictionary and Its Role in Developing Linguistic Communication for Arabic Language Learners Who Speak Other Languages from the Perspective of Specialists and Learners" (in Arabic). *Annals of the Faculty of Arabic Language*, Girga, Issue 24, Vol. 6, (2020): 5850-5896.
- Alī Maḥmūd al-Ṣarrāf "Kuwait University Students' Use of Monolingual Electronic Dictionaries: A Descriptive Survey Study" (in Arabic). *Risalat Al-Mashriq Journal*, Vol. 36, No. 3, (2021): 83-119.
- Aljd‘ānā, Anwar ibn Sa‘d "Difficulties in learning speaking skills among learners of Arabic as a second language at the Institute for Teaching Arabic to Speakers of Other Languages at King Abdulaziz University" (in Arabic). *Teaching Arabic as a Second Language* Vol. 5, iss. 9, (2023): 188-255. 225.
- Al-Louṭ, Badrah, and Jīlālī ibn Yeshaw. "The Reality and Prospects of Digitizing the Arabic Dictionary: Al-Raed Dictionary as a case study" (in Arabic). *Educational Journal* 13, iss. 1 (2023): 524-534.
- al-Qarālah, Bashshār ‘Ubaid and Banā Dūmī. Ḥasan ibn ‘Alī al-Nājī, "The Effect of WebQuest on Immediate and Delayed Achievement and Scientific Attitudes of Tenth Grade Students in Chemistry at the Southern Mazar Education Directorate" (in Arabic). Master's Thesis. Mutah University, Mutah, (2020).
- al-Sinānī, ‘Adil ibn ‘Alī Ghānim and Muḥammad Ḥasan al-Ḥārithī. "Building an e-learning dictionary of cognates between Arabic

- and Malay” (in Arabic). *Journal of the Islamic University of Arabic Language and Literature*, Vol. 3, (2021): 187-242.
- al-Ṭāhir, ‘Arin Zuhdī ‘Āṭif and ‘Īsā ‘Awdah Mūsā Barhūmah, "Towards Designing a Computer Dictionary of Synonyms, Colloquialisms, and Collocations for Non-Native Speakers of Arabic: A Computational Lexicographical Study" (in Arabic). Master's Thesis, Hashemite University, Zarqa, (2022).
- ‘Azzūz, Sa‘īdah, wa Muṣṭafā Mājī. "Computerized Dictionaries in the Arab World: A Critical Study of the Sakhr Electronic Dictionary." *Educational* Vol. 13, Issue. 1, (2023): 314-327.
- Boukhalkhāl, ‘Alī, and Muḥammad Tuhāmī. "Digital dictionaries (linguistic and cultural) and their role in enhancing cultural and civilizational communication between generations: An exploratory reading" (in Arabic). *The Arab Journal of Education*, Vol. 40, No. 2, (2021): 139-156.
- Çolak, Fulya, and Ufuk Balaman. "The use of online dictionaries in video-mediated L2 interactions for the social accomplishment of Virtual Exchange tasks". *System* 106 (2022): 102772.
- Faḍīlat Daqnātā, "The Reality of the Electronic Arabic Dictionary: Notes on the Al-Ghani Dictionary and the Contemporary Arabic Language Dictionary" (in Arabic). *Journal of Educational and Teaching Research*, Special Issue, (2022): 119–134.
- Fāyiz Lāfā Fahhād al-‘Āzmi, and Kailāni Aḥmad Muḥyī al-Dīn. "The Effectiveness of Blended Learning for Teaching Kuwaiti History on Achievement and Attitudes of Tenth Grade Secondary School Students in the State of Kuwait" (in Arabic). Master's Thesis. The World Islamic Sciences and Education University, Amman, (2020).
- Ḥusnī ‘Ā’ishah Nāṣirī, "Learners’ Need to Develop an Electronic School Dictionary: Arabic Language in Intermediate Education as a Model." *Educational Journal* 1, (2023): 467-477.
- Ibn Skirifa Halima, and Hussein Dahou, "Electronic Historical Dictionaries in the Service of the Arabic Language: The Doha Historical Dictionary as a Case Study" (in Arabic). *The First Stage from Five “5” before the Hijra to Two “2” AH.* Tabna Journal of Academic Scientific Studies, Vol. 5, issue. 1, (2022): 608-628.
- Karami, Samaneh, and Muhammad Javad Riasati. "A Study of Electronic Dictionary Use and Attitudes among Iranian Students of Translation during COVID-19 Pandemic" (in Arabic). *Education Research International* 2023.1 (2023): 7616256.

- Kharrāt, ‘Ādil and Šūrīyah ‘Ashāshh. “Towards a Computerized School Dictionary: A Study of Theoretical Conceptualization and Procedural Representation” (in Arabic). *Language Journal. Kalam* Vol. 10, Issue. 1, (2024): 715.
- Maharharah, Malīkah. “The Electronic Arabic Dictionary: Between the Reality of Existence and the Value of Existence” (in Arabic). *Educational* Vol. 13, No. 1, (2023): 204-221.
- Morys, Ollha Vasyilvna. *Bilingual Onomasiological Online Dictionaries: The Preparation of the English-Spanish Summer Camp Dictionary*. MS thesis. Universidade do Minho (Portugal), 2019.
- Müezzīn, Ahmet. "The Role of E-Dictionaries During Translation and Their Impact on Teaching Arabic To Non-Native Speakers." *DINBILIMLERİ AKADEMIK ARASTIRMA DERGİSİ- JOURNAL OF ACADEMIC RESEARCH IN RELIGIOUS SCIENCES* 21.1 (2021).
- Mutawallī Šābir Khallāf Ma‘bad, “The Effect of the Interaction between “Internal/External” Locus of Control and “Synchronous/Asynchronous/Blended” Virtual Classrooms on Attitude Towards Them, Achievement, and Learning Efficiency of Students of the Faculty of Technology and Education in Suez” (in Arabic). *Educational Journal*, Vol. 94, (2022): 713–827.
- Moridah ‘Abd al-Salam, “The Computer Linguistic Dictionary and Its Role in Controlling and Unifying Arabic Heritage Terminology: The Arabic Linguistic Heritage of Dr. Abdul Rahman Al-Haj Saleh as a Case Study” (in Arabic). *Educational Journal* 13, No. 1, (2023): 364-375.
- Rofia Zarzi, "Educational Literature on the Electronic Dictionary" (in Arabic). *Journal of Educational and Teaching Research* 1, 2023: 627-648.
- Salem Mohammed Yazid, "Constructing the Arabic Digital Dictionary in Light of Computational Linguistics" (in Arabic). *Journal of Problems in Language and Literature*, Vol. 10, Issue. 1, (2021): 1144-1166.
- Salma Jaarir and Sabrina Ben Qomum, “Teaching the Arabic Language Using the Electronic Linguistic Dictionary for Native and Non-Native Speakers” (in Arabic). *Journal of Educational and Teaching Research*, Special Issue, (2022): 87-102.

- Tymtwry, Isākā and ‘Abdullāh ibn ‘Abd-al-‘Azīz al-Ḥusainī, “Vocabulary Acquisition among Second Language Learners of Arabic” (in Arabic). *Journal of Non-Native Speakers of Arabic* 19, (2023): 1-34.
- Žammit, Jacqueline. "Application of ‘Ġabra’online dictionary for international adults learning Maltese". *Computer Assisted Language Learning* 37.5-6 (2024): 1311-1334.
- al-‘Utaibī, Fāṭimah Ṣāliḥ Allāh Mubārak Ṣāliḥ, al-Shīrāwī, et al. Teachers' and Parents' Attitudes Towards Marriage of Persons with Mild Intellectual Disabilities in the State of Kuwait (Unpublished Master's Thesis). Arabian Gulf University, Manama.
- Mai Musa Ibrahim Al-Majali, and Muhammad Dawoud Khalil Al-Majali. “Attitudes of primary school computer teachers towards individualizing education and its relationship to the degree of their use in Jordan” (in Arabic). (Unpublished Master’s Thesis). The World Islamic Sciences and Education University, Amman, (2022).
- Shadiyat Naif ‘Abd al-Radwan al-Fawa‘ir and Muhammad Qasim Muhammad Al-Muqabalah. “Educational values and attitudes among public school principals in the University District Education Directorate and their role in improving school performance from the teachers' perspective”. (unpublished master's thesis). Jerash University, Jerash, (2022).
- Enas Hussein Abdullah Al-Khalayleh, and Ahmed Mohammed Al-Duwairi. “The degree of using educational infographics in improving academic achievement in mathematics and developing attitudes among fourth-grade students from the perspective of teachers in Jordan” (in Arabic). (Unpublished Master's Thesis). Al al-Bayt University, Mafraq, (2021).
- Hemat Atta Ibrahim Abu Hamr, Ibrahim Abdel Wakil Al-Far, Yasser Abdel Rahim Bayoumi, and Hamdi Ezz Al-Arab Amira. The effectiveness of the flipped classroom model in developing achievement and skills in creating a computer terminology dictionary website among second-year secondary school female students and their attitudes towards learning computer science (in Arabic). (Unpublished Master's Thesis). Tanta University, Tanta, (2021).
- Randa Attia Fahd Al-Majali, and Jihad Suleiman Muhammad Al-Qur’an. “The level of professional compatibility and its relationship to attitudes towards distance learning among resource room teachers during the Corona pandemic” (in Arabic). (unpublished

master's thesis). Mutah University, Mutah, (2021).
Manal Shukri Muhammad Taha, Fakher Nabil Muhammad Al-Khalili, and Abdul Muhammad Asaf. "Professional self-efficacy and counselors' possession of counseling skills and their relationship to the attitudes of teaching staff and students towards educational counseling in schools in the Jerusalem Governorate" (in Arabic). (Unpublished Master's Thesis). An-Najah National University, Nablus, (2021).

فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات الطلاب المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية لناطقين بغير العربية

The Effectiveness of a Training Program
Aimed at Developing Pre-Service Teachers'
Skills in Designing Language Tests for Non-
Native Speakers of Arabic

د. عبد الرحمن بن عبد الله مقبل القرني

الأستاذ المشارك بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: alqarni407@hotmail.com

اعتماد البحث A Research Approving 2025/06/01		استلام البحث A Research Receiving 2025/02/28
نشر البحث A Research Publication ذو الحجة ١٤٤٦ هـ = June 2025 DOI:10.36046/2356-000-016-024		

مستخلص البحث:

هدف هذا البحث إلى التحقق من فاعلية برنامج تدريبي لتطوير مهارات الطلاب المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير العربية، وقد تمثل مجتمعه في طلاب بكالوريوس إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى، وتم فيه استهداف العينة وهم جميع طلاب المستوى الثامن المتوقع تخرجهم بقسم إعداد المعلمين، وذلك لقياس الأثر الذي يحدثه البرنامج التدريبي على أفراد هذه العينة، من خلال النظر إلى نتيجة الاختبارين القبلي والبعدي من قبل ومن بعد التجريب، وقد استخدم البحث المنهج شبه التجريبي لقياس تحصيل أفراد العينة، وتحليل بيانات الدراسة إحصائياً، واعتمد البحث على البرنامج الإحصائي (SPSS) ومن خلال هذا التحليل خلُص البحث إلى عدة نتائج من أهمها: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في الاختبارين القبلي والبعدي لكفايات إعداد الاختبارات اللغوية، وذلك لصالح الاختبار البعدي، مما يدل على أن برنامج التدريب كان له أثر كبير في تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى أفراد عينة البحث.

الكلمات المفتاحية: برنامج تدريبي/ تطوير المهارات/ الاختبارات اللغوية

Abstract

The aim of this study was to examine the effectiveness of a training program designed to develop the skills of pre-service teachers in constructing language tests for non-native speakers of Arabic. The study population consisted of undergraduate students enrolled in the Arabic Language Teacher Preparation Program for Non-Native Speakers at the Institute of Arabic Language Teaching, Umm Al-Qura University. The targeted sample consisted of all eighth-level students expected to graduate from the Teacher Preparation Department. The purpose was to measure the impact of the training program on the sample individuals by comparing the results of the pre-test and post-test conducted before and after the experiment. The study employed the quasi-experimental method to assess the participants' achievement levels and to analyze the data statistically.

The study relied on the statistical software SPSS, and through this analysis, it reached several findings—most notably: the presence of statistically significant differences between the mean scores of the sample members in the pre-test and post-test related to competencies in constructing language tests, in favor of the post-test. This indicates that the training program had a significant impact on developing the participants' competencies in designing language assessments.

Keywords: Training program- Skills development -Language tests.

المبحث الأول: أساسيات البحث

مقدمة:

للمعلم دور كبير في العملية التعليمية حيث إنَّ المعلم الجيد يستطيع إيجاد الجوّ المناسب والطرق الجيّدة ليقود المتعلم إلى التعلم، والمعلم يوصف بأنه الركن الأساس في عملية التعليم والتعلم فهو القائد، والمرشد، والموجه فيما ترى الدراسات الحديثة، لذلك اهتمت المؤسسات التربوية، وعنيت عناية خاصة بالمعلم من حيث إعداد الخطط التربوية في مجال إعداداته وتأهيله وتدريبه، وهذا جاء استجابة لنتائج الدراسات المختلفة، والتي أكدت أن هناك تدنيًا في أداء المعلمين العاملين في مجال تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، وهذا يعود إلى النقص في إعداد المعلمين مهنيًا وتقنيًا وتواصلًا، مع عدم تدريبهم التدريب الكافي في هذا المجال.

ولعل من الضروري بمكان العمل على رفع كفايات المعلم التدريسية من خلال إكسابه مهارات تصميم الاختبارات اللغوية، إذ "للاختبارات أهمية خاصة في مجال تعليم اللغات الأجنبية، يشمل ذلك برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتعد اختبارات اللغة هي الوسيلة الوحيدة لتقويم كفاية المتعلم وتحصيله في كثير من تلك البرامج"^(١) والاختبارات تُعد من الوسائل المهمة التي يعتمد عليها كثيرًا في الوقوف على قدرات الطلاب وتقويمها، ومعرفة مستوى تحصيلهم، ومن ناحية أخرى نستطيع بواسطتها الوقوف على مقدار تحقق الأهداف الموضوعية، أو نواتج التعلم، وعلى الرغم من أهمية الاختبارات ودورها في العملية التعليمية، إلا أننا نجد أن المعلمين غالبًا ما

(١) العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، "أساسيات تعليم اللغة العربية"، (المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها)، ص ٤١٩.

يُدرَّبون على التدريس دون الاهتمام بتدريبهم على إعداد الاختبارات وبنائها مما أدى إلى ضعف ظاهر في الاختبارات التي يعدها كثير من المعلمين لتقويم طلابهم، ويشير (طعيمة) إلى حقيقة أخرى تتعلق بضرورة معرفة المعلمين بهذه الاختبارات وبضرورة التنوع فيها، حيث يورد في كتابه "نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة العربية" أن الدراسات قد "أثبتت أن التمسك بالأساليب التقليدية في التقويم، والاعتماد إلى الأنماط المتعارف عليها من الاختبارات المقالية وحدها، وعدم القدرة على وضع تصور واضح لقياس مغاير لأهداف مناهج اللغة العربية، كل هذا كان كفيلاً بأن يحد من دور التقويم كبعد رئيس من جوانب المنهج، وكأداة أساسية من أدوات التطوير"^(١)، ومن هنا نتجت أهمية هذا البرنامج التدريبي الذي يهتم بالجوانب الإجرائية العلمية المهمة، في التقويم ووسائل القياس وأنواع الاختبارات عبر خطوات معلومة، كما يحيط البرنامج بالجوانب الفنية وآفاقها المتنوعة، ومن ثم يحيل المتدربين إلى عدد كبير من المراجع ليرجع إليها المتدرب ويمارس من خلالها تعلمًا ذاتيًا موسعًا.

الإحساس بمشكلة البحث

الاختبارات اللغوية إحدى الركائز الأساسية للمنهج، وتُعد مهارات إعداد الاختبارات اللغوية أحد أهم المهارات اللازمة للمعلم في العملية التعليمية، فمن خلالها يقف على مستوى تقدم الطلاب، لذلك ينبغي على الطالب المعلم أن يعرف كيفية بنائها ويتقنها، لما لها من دور محوري في تقويم تعلم الطلاب وتحسين نواتج التعليم. حيث تشير دراسة مختار والحطامي ٢٠١٨م^(٢) إلى أبرز التحديات التي يواجهها

(١) رشدي أحمد طعيمة، "نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة العربية"، (دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص ٢٤.

(٢) مختار، إبراهيم، وعبد الغني الحطامي، "المشكلات التي يواجهها المعلمون المتدربون في

المعلمون المتدربون خلال فترة التربية العملية. وأهمها ضعف مهارات إعداد الاختبارات، بما في ذلك صياغة الأسئلة وتغطية المهارات اللغوية المختلفة، سواء من حيث صياغة الأسئلة، أو تغطية جوانب المهارات اللغوية المختلفة، أو تحقيق معايير الصدق والثبات، أو حتى التوازن بين المستويات المعرفية.

وقد يرجع هذا القصور إلى ضعف الجانب التطبيقي في برامج إعداد المعلمين، أو قلة الخبرات العملية في بيئات التعليم الفعلية، أو التركيز على الجانب النظري دون ممارسة كافية. كما أن بعض الطلاب المعلمين يفتقرون إلى الوعي بالمعايير التربوية التي تُبنى عليها الاختبارات الجيدة، مما ينعكس سلباً على قدرتهم على قياس المهارات اللغوية بشكل دقيق وموضوعي.

وعليه، "تبرز الحاجة إلى دراسة علمية تستقصي واقع مهارات الطلاب المعلمين التطبيقية في إعداد الاختبارات اللغوية، وتحديد مواطن الضعف، وتقترح سبل تطوير هذه المهارات بما يسهم في تأهيل معلمين قادرين على التقويم الفعّال، ورفع جودة العملية التعليمية في مجال اللغة"^(١).

مشكلة البحث

تحددت مشكلة البحث في تعرف معدل المهارات المعرفية والتطبيقية الخاصة بتصميم الاختبارات اللغوية لدى العينة المختارة من طلاب برنامج إعداد المعلمين

=

تدريس اللغة العربية أثناء التربية العملية من وجهة نظرهم - الصف الرابع بالحلقة الأولى نموذجاً". ورقة قدمت في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٨م.

(١) عبد الكريم سعيد، أهمية الاختبارات التحصيلية في التقويم التربوي، مجلة المصباح في علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، ٢٠٢٢م، ٢: ٢٨-٤٧.

بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى قبل مرورهم ببرنامج تدريبي قائم على حقيقية تعليمية مختصة بهذا الشأن، وقياسها قبل بداية البرنامج، وبعد الانتهاء منه، لتعرف أثره في رفع معدل مهاراتهم في هذا الجانب، وللتأكد من فاعليته في رفع معدل هذه المهارات عن طريق قياس "فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات الطلاب المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير العربية".

أسئلة البحث:

تلخصت أسئلة البحث في سؤال رئيس هو: ما فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات الطلاب المعلمين، ببرنامج إعداد المعلمين، بقسم إعداد المعلمين بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها، بجامعة أم القرى في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير العربية؟ وتفرعت عنه الأسئلة التالية:

١. ما نتيجة الاختبار القبلي للعينة التجريبية من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة بجامعة أم القرى؟
٢. ما نتيجة الاختبار البعدي للعينة التجريبية المختارة من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة؟
٣. ما الأثر الذي أحدثه البرنامج التدريبي على إجابات أفراد العينة في الاختبار البعدي؟
٤. ما الفروق ما بين إجابات أفراد العينة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي؟

أهداف البحث

هدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

١. تعرف فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات المعلمين ببرنامج البكالوريوس لإعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى، في إعداد الاختبارات اللغوية.

٢. تعرف نتيجة الاختبار القبلي للعيينة التجريبية المختارة من طلاب برنامج البكالوريوس لإعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى؟
٣. تعرف نتيجة الاختبار البعدي للعيينة التجريبية المختارة من الطلاب في برنامج البكالوريوس لإعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى؟
٤. قياس الأثر الذي أحدثه البرنامج التدريبي على إجابات أفراد العينة في الاختبار البعدي؟
٥. قياس الفروق ما بين إجابات أفراد العينة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي؟

أهمية البحث

تبينت أهمية البحث من كونه:

١. قدم رؤية علمية موثقة للقائمين على برنامج إعداد معلمي اللغة بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى تؤكد أهمية زيادة زمن التطبيقات العملية المتعلقة بمقرر الاختبارات اللغوية.
٢. قاس فعالية البرامج التدريبية القائمة على الحقائق التدريبية، والدورات التدريبية القصيرة.

حدود البحث:

- **الحد الموضوعي:** تمثل الحد الموضوعي في تعرف فاعلية برنامج تدريبي قائم على حقبة تعليمية محكمة، في رفع معدل مهارات تصميم الاختبارات اللغوية: من حيث أهدافها، وأنواعها، وطرق إعدادها، وقياسها لدى أفراد العينة المختارة.
- **الحد المكاني:** برنامج البكالوريوس بقسم إعداد المعلمين في معهد تعليم اللغة العربية بها بجامعة أم القرى.

- الحد الزمني: تمت الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م.

مصطلحات البحث:

أولاً: فاعلية:

١. اصطلاحاً: الفاعلية (Effectiveness): هي القدرة على تحصيل النتيجة المطلوبة، والمتوقعة^(١).

٢. إجرائياً: قدرة البرنامج التدريبي على تطوير مهارات المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية.

ثانياً: برنامج تدريبي:

١. اصطلاحاً: البرنامج التدريبي (Training Program): عبارة عن برنامج صُمم لتدريب الأفراد على مهارات محددة، تحتوي على أنشطة تدريبي طويلة المدى تتضمن سلسلة من الدورات، ويكون لها ميزانية مناسبة^(٢).

٢. إجرائياً: برنامج قائم على حقيقة تدريبية في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير اللغة العربية مقدم لطلاب المستوى الثامن المتقدم.

ثالثاً: مهارات المعلمين:

١. اصطلاحاً: تعرف بأنها "المهارات المطلوبة للعمل ومتطلبات الحياة، مثل مهارات التعلم والابتكار، وتقنية المعلومات والاتصالات"^(٣).

(١) Dictionary.com | Find the Meanings and Definitions of Words at Dictionary.com. 2011. Web. 28 Sept. 2011.
<http://dictionary.reference.com/browse/effectiveness>.

(٢) دليل مصطلحات هارفارد بزنس ريفيو، رابط: <https://hbrarabic.com/>

(٣) Berine Trilling, Charles Fadel. (2009) 21st century skills "learning for Life in

٢. إجرائياً: قدرة ومهارات المعلمين على تصميم الاختبارات اللغوية وتطبيقها.

رابعاً: الاختبارات اللغوية

١. اصطلاحاً: "مجموعة من المثبرات التي يُطلب فيها من الدارسين الاستجابة لها بغرض الوقوف على مستواهم اللغوي"^(١).

٢. إجرائياً: مجموعة من الأساليب العلمية تهدف إلى قياس مستوى تحصيل وكفاية الدارسين الناطقين بغير العربية في مهارات اللغة وعناصرها.

=

Our Times". San Francisco: Jossey- Bass.

(١) رشدي أحمد طعيمة، "دليل عمل في إعداد المواد التعليمية لبرامج تعليم العربية". (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٨٥م).

المبحث الثاني: الجانب النظري، والدراسات السابقة

أولاً: أدبيات البحث: الاختبارات اللغوية: أهدافها، وأنواعها، وإعدادها:
أهداف الاختبارات اللغوية:

الاختبارات عموماً تُعد من أهم الوسائل التي تستخدم في تقييم قدرات الطالب، ومعرفة مدى مستواه التحصيلي، ويتم عن طريقها تحديد مدى تحقيق الأهداف المرجوة، أو النواتج التعليمية، وكل ما يقدمه المعلم من أنشطة تعليمية متنوعة، يساعد في رفع الكفايات التحصيلية لدى الطالب، لذلك يجب أن تكون الاختبارات ذات كفاءة عالية؛ لتؤدي أغراضها، كما أن الاختبارات تعين في الوقوف على مدى تحقيق المنهج الدراسي لأهدافه المرسومة له، كما تساعد في كشف جوانب القوة والضعف لدى الطالب، ومدى التقدم الذي أحرزه، وبذلك يمكن العمل في ضوء ذلك على تحسين العملية التربوية والتعليمية وتطويرها، والمضي بها إلى الأمام^(١). ولاحظ الباحث من خلال تجربته في أعمال الجودة والتطوير الأكاديمي ما للاختبارات اللغوية من أهمية في العملية التعليمية، حيث تبنى على نتائجها الأسس اللازمة لعملية التقويم البرامجي، وقياس مدى تحقق المدخلات الخاصة بالبرنامج التعليمي، ومدى ملائمة المخرجات لأهدافه، ومدى قدرتها على تلبية حاجات سوق العمل.

والاختبار في الاصطلاح: أداة لقياس مستوى الأفراد في مجال معين، أما الاختبار اللغوي فهو مجموعة من المثيرات التي يُطلب من الدارسين الاستجابة لها بهدف الوقوف على مستواهم في اللغة، ومعرفة مدى تقدمهم لغوياً مقارنة بزملائهم.

(١) خالد أحمد الرفاعي، "اختبارات اللغة العربية: تجارب وآفاق"، (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٧هـ)، ص: ٢١٤.

والاختبار بهذا التعريف يمثل أحد ثلاثة عناصر رئيسة في العملية التعليمية، وفي ضمان نجاحها، العنصر الأول الهدف التعليمي: ويشمل المهارات التي يمكن الوصول إليها بعد التعليم. والعنصر الثاني تنفيذ التعليم: ويتضمن النشاطات المتبعة للوصول إلى الهدف المرجو. والعنصر الثالث التقويم، الذي يرتبط بالعاملين السابقين: الهدف والتنفيذ^(١). ويرى الباحث من خلال تجربته التعليمية أن الاختبارات اللغوية لا تحتتم العملية التعليمية فحسب، بل تقوم عليها كل العملية التعليمية من بدايتها وحتى نهايتها خاصة وأن برامج تعليم اللغة الثانية والأجنبية تبنى على نتائج ما يعرف باختبارات تحديد المستوى، كما تبنى على تحليل حاجات المتعلمين، وتقويم مدى مناسبة البرنامج التعليمي للفئة المستهدفة.

وقد عُرِفَت الاختبارات اللغوية بأنها نوع من أنواع الاختبارات التي تكشف مستوى التعلم في برنامج لغوي معين، أو تبين مقدرة العامة في اللغة، أو تحدد استعداداته لتعلم اللغة، إلى غير ذلك من الأغراض. وبعبارة أخرى هي مجموعة من الأسئلة التي تتطلب أن يستجيب لها الدارس المُختَبَر، أو يجيب عنها بغية تحديد مستواه في اللغة ومعرفة مدى تطوره لغوياً^(٢). وتعدد أشكال هذه الاختبارات _ حسب علم الباحث _ باختلاف أهدافها إلى: اختبار التحصيل، اختبار الكفاية، اختبار الاستعداد اللغوي _ التنبؤي.

وهناك من أشار إلى أنّ الاختبار اللغوي هو مجموعة من المدخلات اللغوية التي تم تصميمها في صيغة أسئلة قد تكون تحريرية أو شفوية، تُقدم للطلاب ليجيب عنها بهدف الوقوف على أدائه في الكفاءات النحوية، والكفاءات التواصلية التي تضمنها

(١) خالد محمد الرفاعي، المرجع السابق، ص: ٢١٩.

(٢) عمر الصديق عبدالله وآخرون، "اختبارات اللغة". (الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٦م)، ص: ٦.

الاختبار، أو في المهارات اللغوية أو العناصر، التي اكتسبها الطالب في أثناء دراسته. وهذا الأداء يقدر بدرجات كمية تُعرف الدرجات الخام، أو يُقيم أداء الطالب بدرجات كيفية، ومن خلال هذه الدرجات تُتخذ القرارات بترفيه الطالب إلى المستوى الأعلى، أو بقاءه في المستوى نفسه نسبة لتعثره في اجتياز الاختبار^(١).

يُستنتج الباحث من التعريف السابق ما يلي:

١. أن الاختبار اللغوي هو مجموعة من المدخلات والأنشطة اللغوية، وهذا

التعريف يتناسب مع علم اللغة التطبيقي الذي يُعنى بتعلم اللغات الأخرى.

٢. التركيز على أن الاختبار هو أداء لغوي يدل على الكفاءة النحوية

والكفاءة التواصلية لدى متعلمي اللغة مما يجعل الاختبار ذا صلة وطيدة

بالنظريات اللسانية.

٣. نتيجة الاختبار تعين على إصدار حكم على الطالب بغرض ترفيعه، أو بقاءه في

المستوى الذي هو فيه بسبب تعثره في اجتياز الكفاءات المطلوبة في الاختبار.

٤. الاختبار الجيد يجب أن يراعي المستوى اللغوي للمتعلم^(٢).

كما أشار الخولي^(٣) إلى أن الاختبارات لها عدة أهداف لا يمكن الاستغناء

عنها بالنسبة للطالب، أو للمعلم، أو لأولياء الأمور، أو للمؤسسة التعليمية، وهي

مهمة وضرورة لمعرفة تحصيل الطالب بغرض ترفيعه، أو تخريجه وتوظيفه، أو قبوله. ومن

(١) أسامة زكي السيد علي، "الاختبارات اللغوية: مقارنة منهجية تطبيقية لمعلمي اللغة العربية

الناطقين بغيرها". (الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية،

٢٠١٦م)، ص: ٢٩.

(٢) أسامة زكي السيد، مرجع سابق، ص: ٣٠.

(٣) محمد علي الخولي، "الاختبارات اللغوية". (الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)،

ص: ٢-٤.

أهداف الاختبارات:

١. قياس التحصيل والوقوف على مدى تمكن الطالب من مهارة لغوية معينة يمثل ذلك الاختبار الذي يطبقه المعلم على طلابه خلال العام الدراسي، أو بعد نهايته.

٢. تقييم عمل المعلم في العملية التدريسية لمعرفة نجاحه فيها، وتمكين الطالب من تقييم نفسه ومعرفة تقدمه في دراسته.

٣. نقل الطلاب إلى عام دراسي آخر، أو إلى فصل دراسي أعلى من المستوى الحالي.

٤. التشخيص وذلك لمعرفة جوانب الضعف وجوانب القوة عند الطلاب مما يسهم في تطوير عملية التدريس، حيث يتم التركيز على جوانب الضعف وتعزيز نقاط القوة عند الطلاب.

٥. التصنيف، وذلك إذا أراد الطالب أن يلتحق بالبرنامج، فما المستوى اللغوي الذي يناسبه؟ بالاختبار نستطيع وضع الطالب مع المجموعة التي في مستواه اللغوي.

وتجدر الإشارة إلى أن الاختبار الواحد يمكن استخدامه لأكثر من غرض واحد فقد يُستعمل اختبار التحصيل للتقييم الذاتي، وقد يُستخدم للتشخيص، وغير ذلك.

أنواع الاختبارات اللغوية:

إنَّ العناصر والمهارات اللغوية التي يمكن أن يتناولها الاختبار يحددها هدف الاختبار فهل الهدف من الاختبار معرفة الكم، والكيف الذي تم تدريسه في المقرر وما حصله الدارسون في هذا المقرر؟ أم الهدف هو اختيار أفضل الطلاب لتكليفهم بعمل معين بناء على مقدرتهم اللغوية؟ أم كان القصد من الاختبار تحديد مستويات الدارسين الجدد ووضع كل منهم في المجموعة التي تناسبه؟ ويجدر بالذكر أنَّ المعلم هو أول من يعرف أي نوع من أنواع الاختبارات يحتاجه طلابه، كما أنه يعرف كذلك ما

هو الاختبار الأنسب لطلاب الذين يقوم بتدريسهم، وهذه الأفضلية يحددها الهدف الذي صُمم الاختبار من أجله فهناك عدة استخدامات للاختبارات اللغوية، وغالبا ما يُستخدم الاختبار نفسه لأكثر من هدف^(١).

وبناء على تلك الأهداف والاستخدامات المتنوعة للاختبارات اللغوية في المجالات التربوية والتعليمية، تم تصنيف الاختبارات اللغوية على النحو التالي:

١. اختبارات الاستعداد اللغوي: ويفترض فيها أن تتنبأ وتفرق بين الدارسين الذين لديهم استعداد فطري لتعلم اللغة لثانية، والدارسين الذين ينعدم، أو يقلّ استعدادهم للتعلم.

٢. اختبار تحديد المستوى: يستخدم بغرض تصنيف الدارسين الجدد وتوزيعهم كل حسب مستواه اللغوي في المجموعة التي تناسبه حتى يتسنى له البدء في البرنامج اللغوي.

٣. الاختبار التحصيلي: يُطبق لمعرفة استيعاب ما درسه الدارس خلال فترة دراسية معينة، بهدف الوصول إلى معرفة المستوى الذي حققه في دورة اللغة بالنظر إلى زملائه في المستوى نفسه.

٤. اختبار التشخيص: يهدف إلى إعانة كل من المعلم والطالب على معرفة مواطن الضعف ومواطن القوة لدى المتعلم ومستوى تطوره في التعلم.

٥. اختبار الكفاية اللغوية: تصمم بهدف معرفة مدى مقدرة المختبر من خلال خبراته السابقة، القيام بأعمال مطلوب منه القيام بها مستقبلا، وهي في ذلك

(١) محمد عبد الخالق محمد، "اختبارات اللغة". (ط٢، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م)،

ص: ٣٣-٣٤.

لهدف، خلاف اختبارات التحصيل^(١).

- إضافة إلى تلك الأنواع هناك من صنف الاختبارات إلى أنواع عدة، منها:
 - الاختبار الموضوعي: وهو اختبار الإجابة عن أسئلته دقيقة لا يختلف عليها اثنان من المصححين، فالإجابة محددة جدا، ودرجة الطالب لا تتغير بتغير المصححين لورقة الطالب.
 - الاختبار الذاتي: اختبار إجابته غير محددة بدقة تختلف من طالب إلى طالب آخر، وذلك حسب طبيعة الأسئلة، فلو قرأ الإجابة ذاتها مصححان لأعطى كل منهما درجة مختلفة.
 - الاختبار الإنتاجي: في هذا النوع من الاختبارات يأتي الطالب بالإجابة من عنده.
 - الاختبار التعريفي: وهذا النوع عكس النوع السابق حيث يختار الطالب الإجابة من بين عدة إجابات معطاة له مسبقا على ورقة الإجابة.
 - الاختبار التكويني: يكون هذا الاختبار خلال البرنامج التعليمي، كالاختبار الشهري أو نصف الفصلي، وما إلى ذلك.
 - الاختبار الختامي: يُعقد في نهاية البرنامج التعليمي، سواء في نهاية الفصل أو في آخر العام.
- وهكذا، فلاختبار من حيث الموضوعية نوعان: موضوعي، أو وذاتي. والاختبار من حيث الإجابة المطلوبة من الطالب: إنتاجي، أو تعريفي، وهو حيث توقيته: تكويني، أو ختامي... إلخ. والمعلم في الغالب يُعبر هو الذي يقرر إذ هو الذي يحدد زمن الاختبار وشكله ومكانه والهدف منه، وفق الظروف المحيطة، ووفق الأهداف

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". (ط٢)، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٥م)، ص: ٢١٨-٢٢٠.

التدريسية المراد تحقيقها من المادة المقررة. وهنا تأتي أهمية قدرة المعلم على إعداد الاختبارات وتطبيقها فالمعلم صاحب التجربة في المجال يستخدم نوع الاختبارات المناسبة للمادة المقررة، ويجري اختبارها في الوقت الذي يناسب طلابه^(١).

إعداد الاختبارات اللغوية:

نسبة لأهمية التقييم في العملية التعليمية ينبغي التركيز على المواصفات الرئيسة التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند وضع الاختبار، منها:
الصدق: ويقصد بصدق الاختبار أن يعبر الاختبار ويرتبط فعلا بما صُمم لأجله، فالاختبار الذي أعد لقياس نشاط لغوي معين تكون جميع فقراته مرتبطة بهذا النشاط المراد قياسه.

الثبات: وذلك بأن لا تتغير نتائج الاختبار تقريباً إذا ما تم استخدامه أو تطبيقه مرة أخرى في أزمنة مختلفة، ومما لا شك فيه أنّ هناك ارتباط وثيق بين الصدق والثبات فكلما ارتفعت نسبة صدق الاختبار ارتفعت نسبة ثباته.

الموضوعية: تجنب العوامل الذاتية أو الخارجية التي تؤثر في نتيجة الاختبار، وذلك بأن يكون الاختبار مغطياً تقريباً غالب أقسام المادة محل الاختبار، وأن تكون جميع فقرات الاختبار واضحة، والأسئلة متدرجة مراعية ما بين الطلاب من فروق^(٢).

والصدق والثبات من شروط تصميم الاختبار الجيد، والصدق يقصد به، كما أشرنا آنفاً أن يرتبط الاختبار بالفعل بمحتوى المادة المقررة، أو الهدف الذي أعدّ من أجله فالاختبار فهم المقروء، على سبيل المثال، يجب ألا يحتوي على أسئلة لا تتعلق بالفهم القرائي. وقد ذُكر في غير موضع أن الصدق والثبات متلازمان فالصدق شرط مهم

(١) الخولي، "الاختبارات اللغوية"، مرجع سابق ص: ٩-٥.

(٢) الرفاعي، "اختبارات اللغة العربية: تحارب وآفاق"، مرجع سابق، ص: ٢١٥.

لتحقق الثبات في الاختبار؛ لأنه عندما يقيس الاختبار الأهداف التي وُضع لقياسها فإن تقديراته ستكون متقاربة إذا ما أعيد تطبيقه أكثر من مرة. كما يجب التنبيه إلى أنَّ إلمام المعلم بأهداف المقرر، يعينه على إعداد اختبارات تتسم بالصدق والثبات^(١).

وقبل الشروع في إعداد الاختبار يجدر بنا أن نمتلك ما يلي:

١. تصورا واضحا لمحتوى الاختبار.
 ٢. مخططا عاما بالموضوعات التي يشملها الاختبار.
 ٣. وزن كل بند من بنود الاختبار.
 ٤. عدد الأسئلة التي يجب أن تُصاغ حول كل نشاط مطلوب.
- والاختبار الجيد يُتوقع منه أن يعبر استيعاب الطلاب للمدة الدراسية المقدمة لهم^(٢). وعند إعداد الاختبار يجب مراعاة ورقة الاختبار شكلا ومضمونا، فمن المواصفات الخاصة بشكل ورقة الاختبار ينبغي مراعاة الآتي: وضع شعار الجامعة، اسم الجامعة، اسم الكلية، اسم القسم، الشعبة، المستوى اللغوي، اسم المقرر، الفصل الدراسي، تاريخ الاختبار، زمن الاختبار، تعليمات الاختبار، توزيع الدرجات، الإشارة إلى انتهاء الاختبار في نهاية الورقة. كما ينبغي مراعاة: وضوح الكتابة، جودة الطباعة، التنسيق العام للورقة من هوامش ومسافات.

أما مواصفات الاختبار من حيث المضمون فتتمثل فيما يلي:

- أن ترتبط جميع البنود بكل مجالات الأهداف التعليمية: معارف، ومهارات، وقيم.
- أن تشمل الأسئلة كل المستويات المعرفية وفق التصنيف لمتفق عليه (المعرفة والتذكر، والاستيعاب، والتطبيق والتحليل، والتركيب والتقييم).

(١) أسامة، "الاختبارات اللغوية مقارنة منهجية"، مرجع سابق، ص: ٥٠.

(٢) الفوزان، "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها"، مرجع سابق، ص: ٢٢٥.

- أن تتنوع البنود بحيث تتضمن المقالية، والموضوعية مراعية شروط وأحكام كل منها^(١).

ويمكن تلخيص الخطوات التي يمر بها الاختبار ليصل إلى درجة الجودة في النقاط التالية:

١. وضع الخطة، وتجهيز مادة محتوى الاختبار من المنهاج والكتب الدراسية، وصياغة الأهداف، ومسح شامل للمنهج والكتب الدراسية التي تم تحليلها، ومن ثمَّ عرض الخطة على خبراء في المجال، ومراجعة التخطيط للاختبار وفقاً لاقتراحات المختصين.

٢. كتابة الأسئلة وعرضها على المختصين أو الزملاء من ذوي الاطلاع والخبرة، ثم ترتيبها ومراجعتها وفقاً لتوصيات المختصين، وصياغة تعليمات الاختبار، ومن ثمَّ إعداد أوراق الإجابة ومفاتيحها.

٣. إعداد النسخ النهائية للاختبار باختيار الأسئلة للصور النهائية ومراجعتها، ووضع معايير للاختبار، وطباعته في صورته النهائية^(٢).

ثانياً: الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: دراسة (التنقاري وفكري)^(٣)، دراسة بعنوان: الاختبارات اللغوية (٢٠٠٧م).

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم لمحة عن الاختبارات موجهة لمعلمي اللغة العربية

(١) أسامة، "الاختبارات اللغوية: مقارنة منهجية"، المرجع السابق، ص: ٥١-٥٢.

(٢) عبد الخالق، "اختبارات اللغة"، مرجع سابق، ص: ٥٦-٥٧.

(٣) صالح محبوب التنقاري، وفكري عابدين حسن، "الاختبارات اللغوية". مجلة الدراسات اللغوية ١٥، (٢٠٠٧م): ص: ٨.

لناطقين بغيرها، مع التركيز على أولئك الذين لم يكتسبوا خبرات في هذا المجال وذلك عن طريق الإجابة عن عدد من الأسئلة حول ماهية الاختبارات، ومواصفات جودتها، وأوقات إجرائها، ومضامينها، وكيف يتم إجراؤها؟ ولقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، متوصلاً إلى مجموعة من النتائج منها: أن الاختبار الجيد يكون ثابتاً، وصادق، وأن فوائد الاختبارات تشمل المعلم والطالب، وأن كل اختبار له محاسنه ومعايه لذا فإن أفضل اختبار هو ذلك الذي يجمع بين نوعي الاختبارات من حيث الذاتية والموضوعية. ولقد أفاد البحث الحالي من الإجابات التي صاغها هذه الدراسة في بناء خطة البرنامج التدريبي حيث مثلت أسئلته والإجابة عنها محاور هذا البرنامج بحيث مثلت إضافة إلى محتوى الحقبة التدريبية التي بني عليها البرنامج.

الدراسة الثانية: دراسة (أبو عراي)، دراسة بعنوان "التقويم اللغوي للمهارات الإنتاجية" (٢٠١٩م)^(١).

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أسس تقويم مهارات المحادثة والكتابة من حيث التحصيل، وكفاءة الأداء في ظل أسس التقويم الحقيقي مجيبة عن الأسئلة التالية: ما مفهوم تقويم التحصيل في المحادثة والكتابة؟ وما المراد بتقويم كفاءة الأداء في تلك المهارات؟ ولقد استخدمت الدراسة المنهجين الوصفي والتطبيقي، وخلصت الدراسة في جانبها التطبيقي إلى تقديم مؤشرات مرجعية لقياس الكفاءة اللغوية في مهارتي التحدث والكتابة للمستويات: المبتدئ، والمتوسط، والمتقدم، والمتفوق، وهو مما أفاد البحث الحالي في وضع وتصميم الاختبارين القبلي والبعدي، إضافة لاستخدام هذه المؤشرات في الربط بين خصائص الاختبار والمهارات المستهدفة.

(١) ناجح أبو عراي، "التقويم اللغوي للمهارات الإنتاجية: المحادثة والكتابة للناطقين بغير العربية"، (منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٩م)، ص: ٧٥.

الدراسة الثالثة: دراسة (الحدقي وشمشك)، دراسة بعنوان: "تطوير نظام التقويم في برنامج اللغة العربية بالسنوات التحضيرية في ضوء الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات" (٢٠١٦م)^(١).

هدفت الدراسة إلى توظيف الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات في تطوير عملية التقويم في برنامج تعليم وتعلم اللغة العربية في المرحلة التحضيرية في الكليات الإسلامية/الإلهيات. وفي سبيل ذلك قام الباحثان بدراسة نظام التقويم القائم في الجامعات حاليا عبر استبيان باللغتين العربية والتركية شارك فيه (٦٠) معلما ومعلمة ينتمون لـ (٣٩) كلية يمثلون ٤٩,٥ ٪، من كليات العلوم الإسلامية في تركيا، ونسبة ٦١,٩ ٪ من الكليات التي فيها سنة تحضيرية عربية، وقد أسفر هذا الاستبيان عن الوقوف على عدد من مواطن الخلل في نظام التقويم، منها: عدم وجود إطار مرجعي للتقويم في أغلب الكليات، وعدم الاهتمام بقياس مهارات التحدث والاستماع في اختبارات الكلية، وضعف البرامج التدريبية الموجهة لتدريب المعلمين على التقويم، نسبة ليست قليلة ٣٦,٥ ٪ من الكليات لا تجري اختبارات للانتقال بين المستويات. قام الباحثان أيضا بعرض كيفية الاستفادة من الإطار المرجعي والكتب التي صدرت لدعمه، ثم جاء القسم الأخير بإطار مقترح للتقويم اللغوي على مستوى الكليات المختلفة وإدارات برامج السنة التحضيرية والمعلمين والطلاب، ولقد أفادت الدراسة الحالية من الإطار المقترح الذي تقدمت به هذه الدراسة في تطبيقات البرنامج

(١) إسلام يسري على الحدقي، وسلطان شمشك، "تطوير نظام التقويم اللغوي في برنامج اللغة العربية بالسنوات التحضيرية في ضوء الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات"، (المؤتمر الدولي الثاني لتطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: تدريس اللغة العربية في برامج السنة التحضيرية في تركيا الواقع وآليات التطوير، ٢٠١٦م).

التدريبي لأفراد العينة، وفي تصميم الاختبارين القبلي والبعدي.

الدراسة الرابعة: دراسة (معمرى)، دراسة بعنوان: "أسس وضع الاختبارات في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها" (٢٠١٨م)^(١).

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف الخطوات الأساسية المهمة لتصنيف الطلاب الأجانب وتوزيعهم على فئات لغوية متفاوتة، ومن ثمّ استعراض الشروط اللازمة لوضع اختبارات التصنيف في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتحديد مواصفات البرنامج المحدد لتعيين الكفاية اللغوية المطلوب تصميمها وتقديمها استناداً إلى مستويات تعلم اللغة، واقتراح أنواع الاختبارات التي تعين المعلم على معرفة المستوى اللغوي للطلاب، ولقد خلصت إلى النتائج الآتية: إن التصميم يُعد من أهم مراحل إعداد اختبار، فإذا كان من واجبات الطالب معرفة كيف يجب، فمن واجبات المعلم أن يجيد طرح الأسئلة المناسبة، فإذا كان الاختبار مصمماً بإتقان فإن هذا الأمر فيه راحة المعلم وللطالب، إن وضع الاختبار يتطلب الالتزام بأهداف المادة المقررة، مع الاهتمام بزمان الاختبار، التدرج في أسئلته من الأسهل إلى الصعب، وتوافر جميع مواصفات جودة الاختبار صدقاً، وثباتاً، وموضوعيةً، وضرورة أن يشتمل على وصف تام لمهارات اللغة العربية الأربع، مع أهمية تصميم برامج تعليمية للناطقين بلغات بغير اللغة العربية، تبعاً لمعايير المقدرة اللغوية لعالمية والإقليمية في كل المؤسسات التعليمية، وقد أفادت الدراسة الحالية من وصف هذه الدراسة لأسس ومعايير تصميم الاختبارات، وبخاصة اختبار الكفاية اللغوية، وتبني بعض هذه الأسس والمعايير في سياقها التطبيقي والتجريبي.

(١) أحلام معمرى، "أسس وضع اختبارات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ٣٥، ٢٠١٨م: ٥٩٥.

الدراسة: الخامسة دراسة (جعفور وآخرون)، دراسة بعنوان: "الاحتياجات التدريبية لأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة دراسة وصفية تحليلية لاختبارات البكالوريا التجريبية شعبة آداب وفلسفة - بثنويات ولاية الوادي وسط" (٢٠١٨م)^(١).

هدفت هذه الدراسة إلى حصر احتياجات تدريب أساتذة اللغة العربية في مجال كفاية إعداد اختبارات التحصيل وذلك عن طريق التعرف على حدود توافر مؤشرات اختبار التحصيل المتقن، متبعة منها وصفا تحليليا، باستخدام معامل الارتباط، والمتوسط الحسابي، والوسيط، وغيرها من الإجراءات، وتم التوصل إلى أن الاحتياجات للتدريب المتعلقة بأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية وضع الاختبارات، تتمثل في مؤشرات (معامل سهولة صعوبة الاختبار، والمقدرة على التمييز، إضافة إلى صدق الاختبار، وثباته، وجودته)، ونسبة للتشابه بين أهداف الدراستين من حيث استهداف الحاجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية في كفاية تصميم الاختبارات اللغوية، فقد أفادت الدراسة الحالية من هذه الدراسة في إجراءاتها ومنهجها، كما استفادت من نتائجها، في تصميم إجراءات البرنامج التدريبي.

الدراسة السادسة: دراسة: (آل حسين) دراسة بعنوان: "انعكاسية الاختبارات اللغوية على تعليم اللغة العربية وتعلمها" (٢٠٢٠م)^(٢).

(١) ربيعة جعفر وآخريات، "الاحتياجات التدريبية لأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة؛ دراسة وصفية تحليلية لاختبارات البكالوريا التجريبية". مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ٢٨، ٢٠١٨م: ٢٨٤.

(٢) فهد بن سعود آل حسين، "انعكاسية الاختبارات اللغوية على تعليم اللغة العربية وتعلمها لغاً ثانية". رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة التطبيقي (٢٠٢٠م).

هدفت الدراسة إلى التعرف على الانعكاسية الإيجابية، والسلبية لاختبارات اللغة على تعليم اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، والنظر لأثر الاختبارات بوصفها أداة مؤثرة في تعليم اللغة وتعلّمها بوصفها لغة ثنية، ولقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي مستخدمة ثلاثة أدوات للوصول للنتائج تمثلت في: استبانتين وبطاقة ملاحظة للتوصل لنتائجها التي من أهمها: أن تأثير، أو انعكاس الاختبارات من وجهة نظر لمعلمين والمتعلمين، ومن واقع الممارسة الفعلية داخل الصف الدراسي أن التأثيرات إجمالاً، سلبية، وأن هناك فروق ذات دلالة إحصائية تنصب في صالح المتعلمين على العكس من المعلمين في مجال المنهاج والمحتوى التعليمي، كما أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في انعكاس أثر الاختبارات على الأعمال الصفية لكلا الطرفين المعلمين والمتعلمين في العملية التدريسية. ولقد لفتت منهجية هذا البحث ونتائجه النظر إلى أهمية الربط بين نتائج التقويم الصفّي وأساليب التدريس، وهو من الأمور التي ركزت على الدراسة التطبيقية للدراسة الحالية.

الدراسة السابعة: دراسة (المحمد) دراسة بعنوان: "فاعلية برنامج تدريبي في تحسين مهارات بناء الاختبارات التحصيلية لدى معلمي العلوم الاجتماعية في دولة الكويت" (٢٠٠٩م) (١).

هدفت الدراسة إلى بناء برنامج للتدريب على تحسين قدرات المعلمين بدولة الكويت في تصميم وإعداد اختباراتهم التحصيلية، والكشف عن فاعلية تلك

(١) فيصل عبد الله حمد المحمد، "فاعلية برنامج تدريبي في تحسين مهارات بناء الاختبارات التحصيلية لدى معلمي العلوم الاجتماعية في دولة الكويت". رسالة ماجستير في التربية، تخصص قياس وتقويم (٢٠٠٩م).

لاختبارات، مستخدمة المنهج التجريبي القائم على اختبار عینتین: واحدة تجريبية والأخرى ضابطة، وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أنه لا توجد فروق دالة إحصائية الاختبار القبلي بین المجموعتين المختبرتين، وأن هناك فروق ذات دلالة عند تطبيق الاختبار البعدي لصالح المجموعة التجريبية مما يعني كفاءة البرنامج التدريبي، ولقد أفادت الدراسة الحالية من هذه الدراسة بشكل كبير في منهجيتها وإجراءاتها رغم اختلاف بین الدراستين في طبيعة المتغيرین المستهدفین - المستقل والتابع - ومجتمع الدراسة في بعض الجزئیات.

الخلاصة:

إجمالاً، ومع ضرورة إثبات حقيقة استفادة الدراسة الحالية من كل ما سبق من دراسات سابقة، إلا أنه تجدر الإشارة إلى وجود اختلاف في طبيعة الأهداف، والمجتمع، والمنهج، والمتغيرات ما بین الدراسات السابقة والدراسة الحالية، في كون أن الدراسة الحالية استهدفت مجتمعا مغايرا للمجتمعات المستهدفة في بعض الدراسات السابقة، ومنها دراسة (المحمد)، كما أنها اختلفت في منهجها مع معظم الدراسات السابقة على نحو دراسة (التنقاري وفكري) الوصفية، وفي أدواتها على نحو دراسة (الحدقي وشمشك)، وفي متغيرها التابع المتمثل في: "فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير العربية" لطلاب قسم تعليم اللغة، بالمعهد بجامعة أم القرى.

المبحث الثالث: تطبيق البرنامج التدريبي

بداية البرنامج: قام الباحث بإجراء اختبار قبلي محكم، وفق النموذج أدناه:

شكل (١) + (٢)

(١) اختبار فنية واختبار اللغة السؤال الثالث: لتصميم اختبار مناسب يجب علينا — أولاً إعداد خطة الاختبار. — ثانياً: — — ثالثاً: صياغة الأسئلة. — رابعاً: اختيار الفقرات التالية السؤال الرابع: صمم أسئلة موضوعية لاختبار عناصر اللغة من خلال ١. بند الاختبار من متعدد. ٢. بند الصحاب والخطأ. ٣. بند التلخيص. ٤. بند التكملة. ٥. بند الترجمة. السؤال الخامس: صمم اختباراً من ثلاثة بنود - إحدى عبارات اللغة - مراعياً مواصفات ورقة الاختبار من حيث الشكل والمضمون (يمكن الرجوع إلى المصادر لاختبار لماذا صيغ الاختبار).	البرنامج التدريبي: إعداد الاختبارات اللغوية لخصمي اللغة العربية الناطقين بغير اللغة العربية الاختبار القبلي للبرنامج - زمن الاختبار ثلاث ساعات تعليمات الاختبار (١) أجب عن جميع الأسئلة التالية على نفس الورقة. (٢) نتيجة الاختبار لا تؤثر على معدلك العام. (٣) قرأ مسبقاً. (٤) الدرجة الكلية للاختبار ١٠٠ درجة. السؤال الأول: عرف المصطلحات التربوية التالية: (١) القبلي. (٢) الاختبار. (٣) اختبار التقييم. (٤) اختبار التحصيل. (٥) اختبار التصنيف. (٦) اختبار الكفاءة. (٧) صدق الاختبار. (٨) لياح الاختبار. (٩) لمؤشرات أو المقاييس. (١٠) كفاءة. السؤال الثاني: بين الفروق بين المفاهيم التالية: (١) التقييم والتدريب. (٢) الاختبار القبلي والاختبار الموضوعي. (٣) الاختبار القبلي والاختبار التحصيلي. (٤) التقييم الذاتي والتقييم النهائي.

إجراءات البرنامج

أولاً: محتواه: اعتمد البرنامج على حقبة تدريبية، معدة مسبقاً لتدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها على إعداد الاختبارات اللغوية. وقد اشتملت الحقبة على ثماني (٨) جلسات، بواقع ساعة لكل جلسة،

أفردت الجلسة الأولى لبيان الأهداف من البرنامج، وشرح خطة التدريس والتقييم، بينما أفردت (٧) ساعات لتدريس محتوى الحقيبة، حيث بلغ مجموع الساعات الكلية للبرنامج: اثنتي عشر (١٢) ساعة، بواقع: ساعة للتمهيد، وساعتين للاختبار القبلي، وسبع (٧) ساعات للبرنامج التدريبي، وساعتين للاختبار البعدي.

شكل (٣) صورة غلاف الحقيبة



شكل (٤) فهرس المحتويات















جدول رقم (٥) نموذج الإرشادات المرتبطة بالبرنامج



جدول رقم (٦) نموذج للدروس التي قدمت بالبرنامج (الدرس الأول)

الجلسة الأولى

التمييز بين التقييم والاختبار والقياس والتقويم



على الرغم من أن بعض الناس تستخدم كلمات: (الاختبار والقياس والتقييم والتقويم) تبادلياً إلا أنه من المهم التمييز بينها، والمفردات الأتية تتضمن شرحاً لمعاني هذه المصطلحات.

التقييم

درج كثير من الناس على استخدام كلمة «تقييم» مكان «تقويم». مع أن الأخيرة هي الصحيحة لغوياً، ولا أصل أو وجود للأولى «تقييم» في اللغة. إلا أننا استثمرنا هذا الخطأ الشائع لاستخدام الكلمة للتمييز بين كلمتي (Assessment) و (Evaluation) فاستخدمنا «تقييم» ترجمة للأولى: (Assessment) و «تقويم» ترجمة للثانية: (Evaluation).

فالقصود بالتقييم: أننا نقيم كفاية الطالب، وذلك يكون بجمع المعلومات التي نحتاجها؛ لتساعدنا في تحديد المستوى الذي بلغه الطالب في تحقيق الأهداف التعليمية. وقد يتطلب منا الأمر استخدام العديد من الإجراءات للحصول على هذه المعلومات، وربما شغل ذلك: ملاحظات رسمية وغير رسمية للطالب، واختبارات تحريرية، وأداء الطالب في الواجبات المنزلية، وأعمال المختبر، والأوراق البحثية، والمشروعات، والأسئلة الشفهية، وتحليل السجلات المدرسية للطالب.

تساعده (٦)

ارجع إلى المعجم الوسيط، وانظر كيف عرّف التقييم.

11

الهيئة العامة للتعليم
إعداد: فاعلية برنامج تدريبي قائم على تطوير مهارات الطلاب المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية للناطقين بغير العربية

المبحث الرابع: إجراءات البحث

يعرض هذا المبحث وصفاً لطريقة بناء أدوات البحث، وإجراءات تطبيقها، حيث يشتمل على المنهج المستخدم، والتصميم التجريبي المستخدم في البحث، ووصفاً لمجتمع البحث وعينته، وطريقة اختيار العينة، وعرضاً لأدوات البحث وطرق ضبطها، ومواد المعالجة التجريبية، وتحديد أساليب المعالجة الإحصائية التي استُخدمت في ضبط أدوات البحث والإجابة عن أسئلته بهدف الوصول إلى النتائج.

أولاً: منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج شبه التجريبي: وهو الذي يقوم في الأساس على دراسة الظواهر الإنسانية كما هي دون تغيير^(١) واستخدم الباحث هذا المنهج لقياس فاعلية برنامج قائم على حقبة تدريبية لتطوير كفايات طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى في إعداد الاختبارات اللغوية، ولقد استخدم الباحث تصميم المجموعة الواحدة ذات الاختبارين القبلي والبعدي، والذي يعني في البحث الحالي تطبيق الاختبار التحصيلي قبل وبعد تطبيق البرنامج التدريبي، ومن ثم مقارنة النتائج بعد ذلك بحساب الفروق بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي للاختبار.

ثانياً: مجتمع البحث:

تشكل مجتمع البحث من طلاب برنامج بكالوريوس إعداد المعلمين، بقسم إعداد المعلمين، بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بجامعة أم القرى، البالغ عددهم ثمانية وتسعون (٩٨) طالباً، والذين ينتمون إلى عدة دول ما بين آسيا وأفريقيا

(١) محمد النعيمي، وآخرون، "طرق ومناهج البحث العلمي"، (الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع،

٢٠١٥م)، ص: ٢٠١.

وأوروبا، ويتلقون مجموعة متعددة ومختلفة من المقررات اللغوية والتربوية والثقافية التي تؤهلهم إلى تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ببلداتهم.

ثالثاً: عينة البحث:

تمثلت عينة البحث في عينة قصدية تم اختيارها وهم جميع طلاب المستوى الثامن المتوقع تخرجهم، وعددهم ستة عشر طالباً (١٦) وتم ذلك بناء على الأسباب، والمبررات التالية:

١. تمثل العينة الطلاب المتوقع تخرجهم في الفصل الدراسي لتطبيق البحث.
٢. تلقت عينة الدراسة جانباً نظرياً حول اختبارات اللغة يمثل منطلقاً للبرنامج التدريبي.

٣. العينة متاحة، وهم جميع طلاب المستوى الثامن (الأخير) في برنامج بكالوريوس إعداد المعلمين في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى.

رابعاً: متغيرات البحث

تمثلت متغيرات البحث الحالي في الآتي:

١. المتغير المستقل: وهو المتغير الذي يعتمد على متغير أو متغيرات أخرى، أو يتسبب في حدوثها^(١). والمتغير المستقل في البحث الحالي هو: البرنامج التدريبي القائم على الحقيبة التدريبية.
٢. المتغير التابع: وهو المتغير الذي يسعى البحث إلى تفسيره، ومعرفة أسبابه، وتحديد مدى إمكانية توقع حدوثه^(٢). والمتغير التابع في البحث الحالي هو:

(١) ل جاي، وجيفري ميلز، وبيتر أيريزيان، "البحث التربوي- كفايات للتحليل والتطبيقات"، ترجمة صلاح الدين محمود علام. (عمان: دار الفكر، ٢٠١٣م)، ص: ٢٣٥.

(٢) مهدي محمد القصاص، "مبادئ الإحصاء والقياس الاجتماعية". (مصر: كلية الآداب، جامعة

تطوير كفايات طلاب بكالوريوس في إعداد الاختبارات اللغوية.

خامساً: أدوات البحث:

تعرف أدوات البحث بأنها: "الوسيلة أو الطريقة أو الإجراء التي بها يجمع الباحثون معلومات وبيانات معينة حول موضوع أو مشكلة محددة"^(١). ويُعرض في هذا الجزء الإجراءات التي أُتبعت في إعداد أدوات البحث، وموارده، وضبطها، وتحدد الإشارة إلى أن هذه الأدوات من شأنها أن تجيب عن عدد من أسئلة البحث، تمهيداً لعرض النتائج النهائية التي تم التوصل إليها في المبحث التالي، ولتحقيق هدف البحث والمتمثل في التعرف على فاعلية برنامج قائم على حقبة تدريبية تهدف لتطوير كفايات طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى، تم بناء اختبار تحصيلي يهدف إلى قياس كفايات طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية.

وقد تم إعداد الاختبار بالاعتماد على بعض المصادر، من بينها كتب ومراجع ودراسات وبحوث سابقة تتناول موضوع الاختبارات، وقد صيغت تعليمات الاختبار بصورة واضحة ومبسطة.

- **الصورة الأولى للاختبار:** تم إعداد الاختبار في صورته الأولى من (١٠٠) مائة فقرة تقيس مستوى إعداد الاختبارات اللغوية لدى طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية.

وللتأكد من مناسبة الصورة الأولى للاختبار، تم عرضه على عدد المحكمين

=

(المنصورة، ٢٠٠٧م)، ص: ٥٤.

(١) محمد احمد بخيت، وآخرون، "مناهج البحث في علم النفس". (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠١٢م)، ص: ٤٩.

المتخصصين، لإبداء آراءهم حول الاختبار من حيث: مناسبة تعليمات الاختبار، ومدى شموليته، ومدى مناسبة الاختبار لتحقيق الهدف من البحث، ومدى مناسبة الأسئلة لطلاب بكالوريوس إعداد المعلمين، ودقة السؤال لغوياً وعلمياً.

- **تحكيم الاختبار:** تم تحليل آراء المحكمين، وإجراء التعديلات على الصورة الأولية والتي تمثلت في إعادة صياغة بعض الأسئلة وترتيب البعض منها.
- **تصحيح الاختبار:** لتحقيق الدقة في التصحيح وسرعته، تم تحديد طريقة تصحيح الأسئلة بحيث يحصل الطالب على درجة واحدة (١) إذا كانت الإجابة صحيحة، وصفرًا (٠) إذا كانت الإجابة خاطئة، وبذلك تكون الدرجة النهائية للاختبار (١٠٠) درجة، والدرجة الصغرى صفرًا.
- **صدق الاختبار:** تم التأكد من صدق الاختبار، بطريقة احتساب الصدق الذاتي، بالتطبيق على درجات الطلاب في الاختبار القبلي، وذلك باحتساب الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وقد بلغت قيمة معامل الصدق الذاتي (٠,٩٧). وهي قيمة مرتفعة تدل على صدق الاختبار، وتمتع أسئلته بدرجة مرتفعة من الدقة والمرونة والتوازن عند تطبيقه.
- **ثبات الاختبار:** تم التأكد من ثبات الاختبار بطريقتين، وذلك بالتطبيق على درجات الطلاب في الاختبار القبلي وذلك على النحو التالي:
الطريقة الأولى: التجزئة النصفية: تم استخدام معادلة (سبيرمان براون) عن طريق التجزئة النصفية لأسئلة الاختبار، حيث بلغت قيمة معامل الثبات (٠,٩٦)، وهو معامل ثبات مرتفع، ويدل على أن الاختبار على درجة مناسبة من الثبات.
الطريقة الثانية: معادلة ألفا كرونباخ: باستخدام المعادلة بلغت قيمة معامل الثبات (٠,٩٥)، وهو معامل ثبات مرتفع، ويدل إلى صلاحية الاختبار لتحقيق أهداف البحث من خلال الإجابة عن أسئلتها، مما يؤدي إلى إمكانية الوثوق في

النتائج التي يمكن أن تُسفر عنها عند تطبيقه.

الصور النهائية للاختبار: بعد التأكد من صدق الاختبار، وحساب ثباته، احتفظ الاختبار بجميع أسئلته، وبذلك أصبح مكوناً في صورته النهائية من (١٠٠) مفردة، تقيس مستوى كفاءة طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية.

شكل رقم (٧) درجات الطلاب في الاختبارين القبلي والبعدي

الجنسية	الاسم	درجة الاختبار	درجة الاختبار
بورندي	ابوبكر نيز يغي	79	93
بريطاني	احسن فاروق	72	96
بوركني	ايسوف لوفو	76	97
الكونغو	باتشي سامبو	74	92
بنيني	باسيل لواني م	66	89
بوركينافاسو	بوكاري كوم	76	93
بورندي	جمعه كاسيسا	69	88
كمبودي	رحمن . . سار	78	95
بنجلاديشي	شاه عبد الله اله	73	89
بنيني	شمس الدين او	77	92
بنيني	عبد الحميد لا	71	95
نيجيري	عليو موبولا دا	69	88
اوغندي	عمر كاباندا	68	87
غامبي	محمد لامين ك	77	96
بنيني	مؤيد اغنيلا كو	75	97
كمبودي	نصري أتم أمير	62	86

الأساليب الإحصائية:

اعتمد الباحث على البرنامج الإحصائي (SPSS) لتحليل بيانات البحث إحصائياً، مستخدمة الأساليب الإحصائية التالية:

- معامل ألفا كرونباخ (Alpha – cornpach).
- معامل الصدق الذاتي (Intrinsic Validity).
- معامل سبيرمان براون (Spearman-Brown).
- الإحصاءات الوصفية (المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية).
- اختبار "ت" لمجموعتين مرتبطتين (Paired Samples T.test).
- مربع إيتا (η^2) لقياس حجم الأثر .

المبحث الخامس: نتائج البحث وتفسيرها

في هذا المبحث تم عرض النتائج التي توصل إليها البحث باستخدام الأساليب الإحصائية لقياس فاعلية برنامج قائم على حقبة تدريبية هدف لتطوير كفايات طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين في إعداد الاختبارات اللغوية، ومن ثم الإجابة عن أسئلة البحث، وتفسير النتائج مرتبطة بالأسئلة الخاصة بها، ومفسرة في ضوء ما جاء في أدبيات البحث المرتبطة بمجالها، وفيما يلي عرض لهذه النتائج في ضوء أسئلة البحث، وهي:

- السؤال الرئيس لهذا البحث والذي نصه: ما فاعلية برنامج قائم على حقبة تدريبية لتطوير كفايات طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى في إعداد الاختبارات اللغوية؟ وتفرعت عنه الأسئلة التالية؟
- ما نتيجة الاختبار القبلي للعينة التجريبية من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى في كفايات إعداد الاختبارات اللغوية؟
- ما نتيجة الاختبار البعدي للعينة التجريبية المختارة من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى في كفايات إعداد الاختبارات اللغوية؟
- ما الأثر الذي أحدثه البرنامج التدريبي على إجابات أفراد العينة في الاختبار البعدي؟
- ما الفروق ما بين إجابات أفراد العينة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي؟
- الإجابة عن السؤال الأول من أسئلة البحث، ونصه: ما نتيجة الاختبار

القبلي للعينية التجريبية من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى في كفايات إعداد الاختبارات اللغوية؟
وللإجابة عن السؤال السابق، وللتعرف على نتيجة الاختبار القبلي لعينة البحث تم الأخذ بدرجات الاختبار، وحساب مجموع الدرجات والنسبة المئوية لكل طالب، وقد تم الحكم على النسب المئوية وفقاً لنظام تقدير الدرجات بالجامعات السعودية على النحو التالي:

م	النسبة المئوية		التقدير
	من	إلى	
١	٩٠	إلى ١٠٠	ممتاز
٢	٨٠	أقل من ٩٠	جيد جداً
٣	٧٠	أقل من ٨٠	جيد
٤	٦٠	أقل من ٧٠	مقبول
٥	٠,٠٠	أقل من ٦٠	ضعيف

ويوضح الجدول التالي مجموع الدرجات والنسبة المئوية لطلاب عينة البحث في الاختبار القبلي.

جدول (١): مجموع الدرجات والنسبة المئوية لطلاب عينة البحث في الاختبار القبلي (ن = ١٦)

م	الاختبار	النسبة المئوية	التقدير
	الدرجة الكلية	٧٢,٦٣٪	جيد

يتضح من الجدول (١) أعلاه أن النسبة العامة لنتيجة الاختبار القبلي لعينة البحث من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى في كفايات إعداد الاختبارات اللغوية بلغت (٧٢,٦٣٪)، وهذا يدل على أن مستوى طلاب عينة البحث كان (جيداً) في كفايات إعداد الاختبارات اللغوية. ويرى الباحث: أن ما جاء في النتيجة السابقة يعكس — إلى حد ما — حاجة الطلاب لاكتساب معارف ومهارات إضافية، ترفع من معدل قدراتهم على تصميم الاختبارات اللغوية وتطبيقاتها.

الإجابة عن السؤال الثاني وينص على: ما نتيجة الاختبار البعدي للعينة التجريبية المختارة من طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى في كفايات إعداد الاختبارات اللغوية؟ وللإجابة عن السؤال السابق، وللتعرف على نتيجة الاختبار البعدي للعينة التجريبية تم الأخذ بدرجات الاختبار، وحساب مجموع الدرجات والنسبة المئوية لكل طالب، ويوضح الجدول التالي مجموع الدرجات والنسبة المئوية لطلاب المجموعة التجريبية في الاختبار القبلي.

جدول (٢): مجموع الدرجات والنسبة المئوية لطلاب عينة البحث في الاختبار البعدي (ن)

(١٦=

م	الاختبار	النسبة المئوية	التقدير
	الدرجة الكلية	٩٢,٠٦٪	ممتاز

يتضح من الجدول (٢) أن النسبة العامة لنتيجة الاختبار البعدي لعينة البحث في مهارات إعداد الاختبارات اللغوية قد بلغت (٩٢,٠٦٪)، وهذا يدل على مستوى طلاب عينة البحث قد تحسن بدرجة كبيرة (ممتازاً) بعد مرورهم بالتجربة، وهو مما يؤكد نجاعتها في رفع مستوى أفراد العينة، وأن النتائج السابقة تعبر إلى حد كبير عن فاعلية البرنامج التدريبي في تطوير كفايات الطلاب في إعداد الاختبارات اللغوية.

الإجابة عن السؤال الثالث وينص على ما الفرق ما بين إجابات أفراد العينة

التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي.

للإجابة عن السؤال السابق تم اختبار الفرض البحثي التالي: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في الاختبارين القبلي والبعدي.

ولاختبار هذا الفرض تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة البحث قبل وبعد البرنامج التدريبي، ثم تم استخدام اختبار "ت" لمجموعتين مرتبطتين (Paired Samples T.test)، بهدف قياس دلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في **القياسين** القبلي والبعدي للاختبار، وقد جاءت النتائج كما يوضح ذلك الجدول التالي.

جدول (٣): نتائج اختبار "ت" لدلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي للاختبار

الاختبار	القياس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة "ت"	القيمة الاحتمالية (P-value)	الدلالة الإحصائية
الدرجة الكلية	القبلي	١٦	٧٢,٦٣	٤,٨٠	١٥	٢٣,٨١١	٠,٠٠١	دالة
	البعدي	١٦	٩٢,٠٦	٣,٧٧				

يتضح من الجدول (٣) أن قيمة "ت" لدلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث بلغت (٢٣,٨١١) للدرجة الكلية للاختبار في القياسين القبلي والبعدي. وهذه القيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠٥). وهذا يدل على وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في القياسين القبلي لكفايات إعداد الاختبارات اللغوية، وذلك لصالح القياس البعدي. حيث اتضح من النتائج أن المتوسط الحسابي لدرجات الأداء في القياس البعدي (٩٢,٠٦) كان أكبر من متوسط درجاتهم في القياس القبلي (٧٢,٦٣).

الإجابة عن السؤال الرابع وينص على ما الأثر الذي أحدثه البرنامج التدريبي على إجابات أفراد العينة في الاختبار البعدي.

لقياس حجم أثر البرنامج التدريبي في تطوير إعداد الاختبارات اللغوية لدى أفراد عينة البحث، وبما أن قيم (ت) دالة إحصائياً في القياس البعدي للاختبار، ولتحديد درجة العلاقة بين المتغيرات تم استخدام معامل الارتباط الثنائي المتسلسل، وذلك باستخدام الصيغة الآتية:

$$\begin{array}{c} \text{ت}^2 \\ \text{ت}^2 + \text{د} \end{array} \quad \begin{array}{c} \backslash \\ \text{ر ث} \end{array} =$$

حيث إن:

- رث: معامل الارتباط الثنائي المتسلسل.
- ت^2 : مربع قيمة ت المحسوبة.
- دح: درجات الحرية.

وقد تم حساب مربع الارتباط الثنائي المتسلسل مربع إيتا (η^2)، للحصول على نسبة التباين (حجم الأثر) في المتغير التابع (تطوير كفايات الطلاب في إعداد الاختبارات اللغوية) الناتجة عن المتغير المستقل (البرنامج التدريبي). وتم الرجوع إلى الجدول المرجعي لتحديد مستويات حجم الأثر، كما يلي^(١):

جدول (٤) يوضح الحكم على مستويات حجم الأثر

مستويات حجم الأثر			نوع المقياس
صغير	متوسط	كبير	
٠,٠١	٠,٠٦	٠,١٤	η^2

حيث إن:

η^2 : معامل الارتباط الثنائي المتسلسل، مربع إيتا لقياس حجم الأثر.

(١) رشدي منصور فام، "حجم التأثير الوجه المكمل للدلالة الإحصائية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية - ١٦، (١٩٩٧م): ٥٧.

ويوضح الجدول التالي قيم مربع إيتا (η^2) وحجم أثر البرنامج التدريبي في تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى أفراد عينة البحث.

جدول (٥): نتائج مربع إيتا " η^2 " لتحديد حجم أثر البرنامج التدريبي في تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى أفراد عينة البحث

قيمة "ت"	درجات الحرية	قيمة " η^2 "	نسبة التباين المفسر	حجم الأثر
١٨,٥٢٠	١٥	٠,٩٧٤٢	٩٧,٤٢٪	كبير

يتضح من الجدول (٥) أن قيمة مربع إيتا " η^2 " بلغت (٠,٩٧٤٢) لقياس درجات الاختبار، وبنسبة تباين مفسر (٩٧,٤٢٪)، وهي قيمة كبيرة وفقاً لتحديد مستويات حجم الأثر، وهذا يشير إلى أن البرنامج التدريبي كان له أثر كبير في تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى أفراد عينة البحث.

ويرى الباحث: أن ما ظهر من فاعلية البرنامج التدريبي في تطوير كفايات أفراد عينة البحث في إعداد الاختبارات اللغوية ربما يعود إلى دقة تطبيق البرنامج التدريبي في جميع مراحله، وتوجيه وإرشاد الطلاب ومساعدتهم في حل المشكلات التي تواجههم، وتنفيذ الأنشطة التدريبية المصاحبة للبرنامج.

المبحث السادس: ملخص نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

يتناول هذا المبحث عرضاً ملخص نتائج البحث، وأهم التوصيات، والبحوث المقترحة.

أولاً: ملخص النتائج

توصل البحث في خواتيمه إلى النتائج التالية:

١. أن مستوى طلاب عينة البحث كان (جيداً) في التطبيق القبلي لمهارات إعداد الاختبارات اللغوية بنسبة بلغت (٧٢,٦٣٪).
٢. أن مستوى طلاب عينة البحث كان (ممتازاً)، في التطبيق البعدي لمهارات إعداد الاختبارات اللغوية بنسبة بلغت (٩٢,٠٦٪).
٣. وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي لمهارات إعداد الاختبارات اللغوية، وذلك لصالح القياس البعدي.
٤. أن البرنامج التدريبي كان له أثر كبير في تطوير مهارات إعداد الاختبارات اللغوية لدى أفراد عينة البحث.

ثانياً: التوصيات

- في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث الحالية يوصي الباحث بما يلي:
١. دمج كفايات إعداد الاختبارات اللغوية بالمناهج الدراسية بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى.
 ٢. تطوير تطبيقات إلكترونية تفاعلية تُعزز من تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين.
 ٣. تطوير استراتيجيات حديثة قائمة على التقنية سهلة التطبيق بهدف تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين.

٤. عقد ورش عمل للاستفادة من نتائج البحث الحالي ومناقشتها لتعزيز نقاط القوة، ومعالجة نقاط الضعف في البرنامج التدريبي.
٥. توظيف البرنامج التدريبي في البحث الحالي في عقد دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس.

ثالثاً: المقترحات

- استكمالاً لما بدأه البحث الحالي، يُقترح الباحث إجراء الدراسات المستقبلية التالية:
 ١. أثر تقنيات التعليم في تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين.
 ٢. فاعلية استراتيجية قائمة على إعداد الاختبار الإلكترونية في تطوير كفايات إعداد الاختبارات اللغوية لدى طلاب بكالوريوس إعداد المعلمين.

المصادر المراجع:

- أبو عرابي، ناجح، "التقويم اللغوي للمهارات الإنتاجية: المحادثة والكتابة للناطقين بغير العربية"، ورقة بحثية منشورة، المملكة العربية السعودية، (منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٩م).
- آل حسين، فهد بن سعود، "انعكاسية الاختبارات اللغوية على تعليم اللغة العربية وتعلمها لغةً ثانية"، (المملكة العربية السعودية وزارة التعليم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، قسم علم اللغة التطبيقي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة التطبيقي، ٢٠٢٠م).
- بخت، محمد احمد، وآخرون، "مناهج البحث في علم النفس". (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠١٢م).
- التنقاري، صالح محبوب، وحسن، فكري عابدين، "الاختبارات اللغوية"، مجلة الدراسات اللغوية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي، ٢٠٠٧م).
- جعفور، ربيعة وأخريات، "الاحتياجات التدريبية لأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة دراسة وصفية تحليلية لاختبارات البكالوريا التجريبية"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ٢٨، (الجزائر، شعبة آداب وفلسفة بثانويات ولاية الوادي وسط، - جامعة الشهيد حمة لخضر - ٢٠١٨م).
- الحدقي، إسلام يسري على، وشمسك، سلطان، "تطوير نظام التقويم اللغوي في برنامج اللغة العربية بالسنوات التحضيرية في ضوء الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات"، (المؤتمر الدولي الثاني لتطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: تدريس اللغة العربية في برامج السنة التحضيرية في تركيا الواقع وآليات

التطوير، ٢٠١٦م).

الخولي، محمد علي، "الاختبارات اللغوية". (الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م).

دليل مصطلحات هارفارد بزنس ريفيو، رابط: <https://hbrarabic.co/>.

الرفاعي، خالد أحمد، "اختبارات اللغة العربية: تجارب وآفاق". (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٧هـ).

طعيمة، رشدي أحمد، "دليل عمل في إعداد المواد التعليمية لبرامج تعليم العربية"، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٨٥م).

طعيمة، رشدي أحمد، "نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة العربية"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٣م).

عبد لله، عمر الصديق وآخرون، "اختبارات اللغة". (الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٦م).

العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، أساسيات تعليم اللغة العربية، (المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها).

علي، أسامة زكي السيد، "الاختبارات اللغوية: مقارنة منهجية تطبيقية لمعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٦م).

فام، رشدي منصور، "حجم التأثير الوجه المكمل للدلالة الإحصائية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية - ١٦، (١٩٩٧م): ٥٧.

الفوزان، عبد الرحمن بن إبراهيم، "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". (ط٢، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٥م).

القصاص، مهدي محمد، "مبادئ الإحصاء والقياس الاجتماعية". (مصر: كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٧م).

ل. جاي، وجيفري ميلز، وبيتر أيريزيان، "البحث التربوي - كفايات للتحليل والتطبيقات"، ترجمة: صلاح الدين محمود علام. (عمان: دار الفكر، ٢٠١٣م).

محمد، عبد الخالق محمد، "اختبارات اللغة". (ط٢، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م).

المحمد، فيصل عبد الله حمد، "فاعلية برنامج تدريبي في تحسين مهارات بناء الاختبارات التحصيلية لدى معلمي العلوم الاجتماعية في دولة الكويت"، (عمان، جامعة عمان للدراسات العليا، كلية الدراسات التربوية والنفسية العليا، رسالة ماجستير في التربية، تخصص قياس وتقييم، ٢٠٠٩م).

مختار، إبراهيم، الحطامي، وعبد الغني "المشكلات التي يواجهها المعلمون المتدربون في تدريس اللغة العربية أثناء التربية العملية من وجهة نظرهم - الصف الرابع بالحلقة الأولى نموذجًا". ورقة قدمت في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٨م.

معمر، أحلام "أسس وضع اختبارات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ٣٥ (الجزائر، جامعة قاصدي مرباح، ٢٠١٨م).

النعمي، محمد، وآخرون، "طرق ومناهج البحث العلمي"، (الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

المراجع الأجنبية:

- Berine Trilling, Charles Fadel. (2009) 21st century skills
Berine Trilling, Charles Fadel. (2009) 21st century skills “learning for
Life in Our Times”. San Francisco: Jossey- Bass\.
- Dictionary.com | Find the Meanings and Definitions of Words at
Dictionary.com. 2011. Web. 28 Sept. 2011.
<<http://dictionary.reference.com/browse/effectiveness>.
Dictionary.com | Find the Meanings and Definitions of Words at
Dictionary.com.) 2011. Web. 28 Sept. 2011.
<<http://dictionary.reference.com/browse/effectiveness>.

Bibliography

- Abū ‘Arābī, Nājih, “Linguistic Assessment of Productive Skills: Speaking and Writing for Non-Native Speakers of Arabic” (in Arabic) published research paper, Kingdom of Saudi Arabia, (Publications of the King Abdullah bin Abdulaziz International Center for the Arabic Language, 2019).
- “The Impact of Linguistic Tests on Teaching and Learning Arabic as a Second Language” (in Arabic). (Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Education, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Institute of Arabic Language Teaching, Department of Applied Linguistics, a thesis submitted for the degree of PhD in Applied Linguistics, 2020).
- Bukhait, Muḥammad Aḥmad, et al., "Research Methods in Psychology", (in Arabic). (Riyadh: Al-Rushd Library, 2012) .
- Al-Tanqārī, Ṣālīḥ Maḥjūb and Ḥasan, Fikrī ‘Ābidīn, “Al-Ikhtibārāt al-Lughawīyah”, Journal of Linguistic Studies (Arab Organization for Education, Culture and Science, Khartoum International Institute, 2007).
- Ja‘fūr, Rabī‘ah, et al., “Training Needs of Arabic Language Teachers in the Field of the Competency of Constructing Good Achievement Tests: A Descriptive and Analytical Study of Experimental Baccalaureate Tests” (in Arabic). Journal of Social Studies and Research 28, (Algeria, Department of Literature and Philosophy, Secondary Schools of the Central Oued State, - University of Martyr Hama Lakhdar - 2018).
- Al-Ḥadaqī, Islām Yusrī ‘Alī, & Shamsik, Sulṭān, “Developing the linguistic assessment system in the Arabic language program in the preparatory years in light of the Common European Framework of Reference for Languages” (in Arabic). (The Second International Conference on the Development of Arabic Language Teaching to Non-Native Speakers: Teaching Arabic in Preparatory Year Programs in Turkey: Reality and Development Mechanisms, 2016).
- Al-Khulī, Muḥammad ‘Alī, "Language tests" (in Arabic). (Jordan: Dār al-Falāḥ, 2000).
- Harvard Business Review Arabic Glossary, link: <https://hbrarabic.co/>
- Al-Rifā‘ī, Khālīd Aḥmad, “Arabic Language Tests: Experiences and Prospects” (in Arabic). (Riyadh: King Abdullah bin Abdulaziz International Center for the Arabic Language, 1437 AH).

- Ṭu‘aymah, Rashdī Aḥmad, “A Guide to Preparing Educational Materials for Arabic Language Teaching Programs” (in Arabic). (Mecca: Umm Al-Qura University, 1985).
- Ṭu‘aymah, Rashdī Aḥmad, "Samples of objective tests in the Arabic language" (in Arabic). (Cairo: Dār al-Fikr al-‘Arabī, 2003) .
- ‘Abdullāh, ‘Umar al-Ṣiddīq, et al., "Language tests" (in Arabic). (Khartoum: Sudan Open University Publications, 2006).
- Al-‘Uṣailī, ‘Abd al-‘Azīz ibn Ibrāhīm, “Basics of Arabic Language Teaching” (in Arabic), (Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Higher Education, Umm Al-Qura University, Institute of Scientific Research, Arabic Language and Literature Research Center).
- ‘Alī, Usāmah Zakī al-Sayyid, "Linguistic Tests: A Methodological Approach for Non-Native Arabic Language Teachers" (in Arabic). (Riyadh: King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language, 2016).
- Fām, Rashdī Maṣṣūr, “Effect size the complement of statistical significance” (in Arabic). Egyptian Journal of Psychological Studies 16 (1997): 57 .
- Al-Fawzān, ‘Abd al-Raḥmān ibn Ibrāhīm, "Illuminations for Arabic Language Teachers for Non-Native Speakers" (in Arabic). (2nd ed., Riyadh: King Fahd National Library, 2015).
- Al-Qaṣṣās, Maḥdī Muḥammad, “Principles of Statistics and Social Measurement” (in Arabic). (Egypt: Mansoura University, Faculty of Arts, 2007).
- Gay, L. R., Mills, Geoffrey, & Airasian, Peter, “Educational Research: Competencies for Analysis and Applications”, Translated by: Ṣalāh al-Dīn Maḥmūd ‘Allām, (Jordan: Dār al-Fikr, 2013) .
- Muḥammad, ‘Abd al-Khālīq Muḥammad, "Language tests" (in Arabic). (2nd ed., Riyadh: King Saud University, 1996).
- Al-Muḥammad, Faiṣal ‘Abdullāh Ḥamd, "The effectiveness of a training program in improving achievement test construction skills among social science teachers in the State of Kuwait" (in Arabic). (Amman, Amman University for Graduate Studies, Master’s thesis in Education, 2009).
- Mukhtār, Ibrāhīm al-Ḥaṭṭāmī, & ‘Abd al-Ghanī, “The problems faced by trainee teachers in teaching Arabic during practical education from their perspectives – the fourth grade of the first cycle as a

model” (in Arabic). Paper presented at the 3rd International Conference on Arabic Language, Sharjah, UAE, 2018.

Ma‘marī, Aḥlām, "Foundations for developing tests for teaching Arabic to non-native speakers" (in Arabic). Journal of Researcher in Humanities and Social Sciences 35 (Algeria, University of Kasdi Merbah, 2018).

Al-Nu‘aymī, Muḥammad, et al., "Methods and approaches to scientific research" (in Arabic). (Jordan: Al-Warrāq Publishing, 2015).





The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature



Issue : 16

Apr - Jun 2025

part 2